



الاتحاد العام للآثاريين العرب



كتاب المؤتمر التاسع للإتحاد العام للآثاريين العرب

في الفترة من ١١-١٢ نوفمبر ٢٠٠٦م

الندوة العلمية الثامنة
دراسات في آثار الوطن العربي
الحلقة السابعة

إصدار

المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي
لاتحاد الجامعات العربية

القاهرة

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م



الاتحاد العام للآثار العرب



كتاب المؤتمر التاسع للآثار العام للآثار العرب

في الفترة من ١١-١٢ نوفمبر ٢٠٠٦ م

الندوة العلمية الثامنة
دراسات في آثار الوطن العربي
الحلقة السابعة

اصدار
المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي
لاتحاد الجامعات العربية

القاهرة
١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

**توثيق النظم
 لإدارة الاتحاد العام للدارسين العرب
 الصنفه عن الصنفين العربي
 للدراسات العليا والبحث العلمي
 لاتحاد الجامعات العربية**

تم إعداد هذا التقرير بتمويل من

المركز القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث



تم إعداد هذا التقرير بتمويل من

المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث

المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث

تم إعداد هذا التقرير بتمويل من

المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث

المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث
 المجلس القومي للدراسات والبحوث

**الهيكل التنظيمي
إدارة الاتحاد العام للآثاريين العرب
المنبثقة عن المجلس العربي
للدراسات العليا والبحث العلمي
لاتحاد الجامعات العربية**

فكرة اتحاد الجامعات العربية:

الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية
الأمين العام لمساعد لاتحاد الجامعات العربية
الأمين العام لمساعد لاتحاد الجامعات العربية

أ.د. صالح هاشم
أ.د. فيصل عبد الله الحاج
أ.د. إبراهيم الأمين حجر

فكرة المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي:

رئيس جامعة القاهرة ورئيس مجلس إدارة المجلس العربي
نائب رئيس جامعة القاهرة ومدير المجلس العربي
نائب مدير المجلس العربي
أمين المجلس العربي

أ.د. علي عبد الرحمن يوسف
أ.د. سعتر محمد صني خورشيد
أ.د. ضياء أحمد القاضي
أ.د. يسرى عبد الحميد رضوان

فكرة الاتحاد العام للآثاريين العرب:

رئيس الاتحاد العام للآثاريين العرب
أمين الاتحاد العام للآثاريين العرب
نائب رئيس الاتحاد العام للآثاريين العرب
الأمين المساعد للاتحاد العام للآثاريين العرب

أ.د. علي رضوان
أ.د. محمد محمد الكحلوي
أ.د. عبد الرحمن الطيب الانصاري
أ.د. يوسف الأمين

لجنة التنظيم والاعداد:

أ. خالد محمد درويش
أ. نيرة أحمد جلال الدين
أ. فاطمة اسماعيل على
أ. عبد الرحيم حنفي

أ. ياسر اسماعيل
أ. مصن نجم
أ. صني عمارة

قواعد تقديم البحوث للنشر

- طبقاً للقواعد المقررة للنشر فإن إدارة الاتحاد ترحب من السادة الباحثين الالتزام بما يلي:-
- 1- أن يكون البحث جديداً ولم يسبق نشره في أية دورية أخرى.
 - 2- أن يكون عدد صفحات البحث خمس وعشرين مسقفة حجم 17,5 x 24 ومزوداً بملخصين واحد باللغة العربية والآخر بلغة أجنبية .
 - 3- أن تتبع القواعد العلمية في إثبات مصادر و مراجع المقالات و الأبحاث وفقاً للترتيب التالي :-
(اسم المؤلف - عنوان الكتاب - دار النشر - مكان النشر - التاريخ - الجزء - الصفحة) علي أن تكون الهوامش مسلسلة بأرقام متتالية من 1 - 100 مثلاً وأن تكون أسفل كل صفحة وليس في نهاية البحث، علي أن تكون الهوامش بنط 12 .
 - 4- أن ترد المقالات مطبوعة وفق نظام الناشر المكتبي IBM بنط (14) والعنوان الرئيسي بنط (16) أسود (B)، والعناوين الفرعية بنط (14) أسود (B)، وأن يكون نوع الخط (عربي Arabic Transparent) (الجبتي Times New Roman) ويفرق مع البحث عدد 2 CD.
 - 5- أن ترد المقالات بعد تصحيحها لغوياً .
 - 6- يشترط في حالة وجود لوحات أن تكون اللوحات مصورة فوتوغرافياً و تكون مأخوذة Scanner وان تكون بتنسيق Jpg وأن تكون الصور مخرجة في Folder خاص علي CD طبقاً لتسلسلها في البحث.
 - 7- تستقبل المجلة أيضاً البحوث المدونة باللغة العربية أو اللغات الأجنبية .
عظماً بأن المجلة لا تلتزم برد المقالات التي لا توافق لجنة التحكم علي نشرها.
يرجى في حالة الاستفسار أو الرغبة في إرسال مقالات الاتصال بنا علي العنوان التالي:-
الاتحاد العام للأنثاريين العرب - المجلس العربي للدراسات العليا و البحث العلمي
جامعة القاهرة - المدينة الجامعية للطلاب
شارع ثروت - رقم بريدى 12112 الجزيرة - جمهورية مصر العربية
تليفون: 20171.031 - 20171.00 - 2017.654 فاكس: 2017.268
بريد الكترونى: info@acgssr.org
ملحوظة:-
- في حالة وجود صفحات زائدة عن العدد المقرر أو لوحات فوتوغرافية أو مخططات معمارية يدفع عند كل صفحة أو لوحة عشرة جنيهات وعن كل مخطط خمسة جنيهات، وإدارة الاتحاد تعذر عن عدم قبول أو نشر أى يحص يرد إليها بدون الالتزام بالقواعد المشورة.

والله ولى التوفيق،،

مقدمة

يُعد المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي التابع لاتحاد الجامعات العربية إحدى ثمرات العمل المشترك بين مراكز البحث العلمي في العالم العربي، وتهدف سياسته إلى تفعيل دور الجامعات العربية من خلال إيجاد منظومة مشتركة بينها في كافة المجالات العلمية، ويعتبر الإتحاد العام للآثاريين العرب واحد من أهم الإنجازات التي أفرزتها سياسة المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، حيث احتضن الإتحاد العام للآثاريين العرب ممكناً إياه من تأدية دوره على الصعيدين المحلي والعربي، وهياً له كل السبل من أجل الوصول به إلى قمة نجاحه وتفوقه. وليس أدل على ذلك من تتابع إصداراته العلمية وهذا الإصدار الذي بين أيدينا هو حصاد أعمال المؤتمر التاسع للآثاريين العرب - الندوة العلمية الثامنة، والذي يضم ما يقرب من ثمانمائة صفحة حيث شارك فيه أكثر من مائة باحث وباحثة من مصر والعالم العربي، وقد تضمن هذا الكتاب ما يقرب من ٤٠ بحثاً مزودة باللوحات الفوتوغرافية والمخطوطات المعاصرة في كافة مجالات الدراسات الأثرية (قديم - إسلامي - ترميم) استوعبتها كافة محاور المؤتمر الذي انعقد تحت مسمى "دراسات في آثار الوطن العربي ٧"، وتمتاز أبحاث هذا الإصدار بالجدية والابتكار وتحمل بين توصيتها كإن جديد، وإن تفعيل تلك التوصيات في مراكز البحث بعد خطوة جديدة عن طريق التنسيق بين الجامعات العربية المعنية بالدراسات الأثرية، وفي الوقت الذي يخطط المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي سياسة موحدة بين المراكز البحثية بالجامعات العربية في مجال التطبيقات والتدريب على استيعاب أحدث الأساليب العلمية، ويقوم المجلس العربي أيضاً من خلال تفعيل دور الإتحاد العام للآثاريين العرب والذي يعمل بكل صدق على توثيق الجذور الحضارية والتأكيد على وحدة التقارب العربي.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص الامتنان والشكر لكل العلماء والباحثين الذين شاركوا أو ساهموا في إنجاز هذا العمل الضخم.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل ...

أبحاث قسم الآثار القديمة

رقم	الاسم	الجنسية	عنوان البحث	صفحة
١	د. احمد غاتم حافظ احمد	مصر	ثر الفكر السيلسي على السياحة في مصر البطلمية " دراسة من خلال عصر القوة	١٨-١
٢	د. اشرف زكريا سيد	مصر	قنون ومعتقدات العصر الحجري القديم الاوسط في لوريا والشرق الاثني	٤٢-١٩
٣	د. ام الخير العقون	الجزائر	مدى تطبيق المصدر المصري والرسوم الصخرية بالصحراء الوسطى	٦٩-٤٣
٤	د. خالد حمزة	مصر	دراسة في إشكالية لقبى <i>šn</i> و <i>imy-r3 šn</i> و <i>mn</i> وصلتهما بلقب <i>la 3ane</i>	٨٣-٧٠
٥	د. سماح محمد الصلوي ابراهيم	مصر	الرموز المصورة على فسيفساء الكنائس في الفترة ما بين القرن الرابع والسابع الميلادي (دراسة أثرية)	١١٥-٨٤
٦	شافية شارن	الجزائر	العلاقات الاقتصادية والحضرية النوميديّة الليبية	١٢٧-١١٦
٧	د. صبري طه حسنين	مصر	ليات اقتصاد السوق المحلي في العصور الفرعونية من خلال الوثائق الايبية واللوحات الفنية	١٥٢-١٢٨
٨	أ. عبد الرحيم ربحان بركات	مصر	دير سانت كاترين بسيناء ملتقى الايمان	١٨٩-١٥٣
٩	أ. د. عبد المنعم عبد الحليم سيد	مصر	حول محاولات تشويه التاريخ المصري القديم	٢٠٧-١٩٠
١٠	د. عبد المنعم محمد عبد المنعم مجاهد	مصر	الدلالات اللغوية للفظ اليد في مصر الفرعونية	٢٤٧-٢٠٨
١١	د. عبد الواحد عبد السلام ابراهيم	مصر	أسماء المحفة في اللغة المصرية القديمة	٢٦٦-٢٤٨
١٢	د. عزيزة حسن السيد سليمان محبوب	مصر	مصر وسوريا - ورواج الصلة البطلمية	٢٨٧-٢٦٧
١٣	د. عصام السعيد	مصر	مدينة تثرو الشمالية في النصوص المصرية القديمة	٢٩٥-٢٨٨
١٤	د. عبد خليل حلمي	مصر	الآثار الغارقة بين المصطلح والمفهوم	٣١٢-٢٩٦
١٥	د. فضيلة عبد الرحيم	العراق	قصة الخليفة - اسطورة بابلية	٣٢٢-٣١٣
١٦	د. مجدي اسماعيل عبد العل	مصر	أنا أعرك - أنا اعرف أسماك - - التعويذة رقم ٤٠٧ من نصوص التوابيت - دراسة ادبية في اللغة والدين بمصر القديمة	٣٤٤-٣٢٣

٣٦٢-٣٤٥	ايزيس وامازيس عند هيرودوت - نظرية نقدية	مصر	أ.د. محمد السيد عبد القوي	١٧
٣٩٢-٣٦٣	اشكالية التفسير الاثري للعناصر الروحانية في الفن المصري خلال العصر القديم المتأخر (رؤية في الفن الروماني المتأخر والمسيحي المبكر)	مصر	أ.م. محمد عبد الفتاح السيد سليمان	١٨
٤٠٢-٣٩٣	الاكتشافات الاثرية على الجانب الشرقي للبحر الميت في ضوء القصص القرآني البحث عن قوم عاد	الاردن	د. محمد وهيب علي الحسين	١٩
٤٥٣-٤٠٣	المميزات الحضارية لعصور ما قبل التاريخ في اليمن القديم	اليمن	د. منير عبد الجليل العريفي	٢٠
٤٨٢-٤٥٤	فكر اخناتون بين التأييد والمعارضة	مصر	د. نور جلال عبد الحميد	٢١

٤١١-٤١١	٢١١-٢٢١	٢٢١-٢٥١	٢٥١-٢٨١	٢٨١-٢٩١	٢٩١-٣٠١	٣٠١-٣١١	٣١١-٣٢١	٣٢١-٣٣١	٣٣١-٣٤١	٣٤١-٣٥١	٣٥١-٣٦١	٣٦١-٣٧١	٣٧١-٣٨١	٣٨١-٣٩١	٣٩١-٤٠١	٤٠١-٤١١	٤١١-٤٢١	٤٢١-٤٣١	٤٣١-٤٤١	٤٤١-٤٥١	٤٥١-٤٦١	٤٦١-٤٧١	٤٧١-٤٨١	٤٨١-٤٩١	٤٩١-٥٠١	٥٠١-٥١١	٥١١-٥٢١	٥٢١-٥٣١	٥٣١-٥٤١	٥٤١-٥٥١	٥٥١-٥٦١	٥٦١-٥٧١	٥٧١-٥٨١	٥٨١-٥٩١	٥٩١-٦٠١	٦٠١-٦١١	٦١١-٦٢١	٦٢١-٦٣١	٦٣١-٦٤١	٦٤١-٦٥١	٦٥١-٦٦١	٦٦١-٦٧١	٦٧١-٦٨١	٦٨١-٦٩١	٦٩١-٧٠١	٧٠١-٧١١	٧١١-٧٢١	٧٢١-٧٣١	٧٣١-٧٤١	٧٤١-٧٥١	٧٥١-٧٦١	٧٦١-٧٧١	٧٧١-٧٨١	٧٨١-٧٩١	٧٩١-٨٠١	٨٠١-٨١١	٨١١-٨٢١	٨٢١-٨٣١	٨٣١-٨٤١	٨٤١-٨٥١	٨٥١-٨٦١	٨٦١-٨٧١	٨٧١-٨٨١	٨٨١-٨٩١	٨٩١-٩٠١	٩٠١-٩١١	٩١١-٩٢١	٩٢١-٩٣١	٩٣١-٩٤١	٩٤١-٩٥١	٩٥١-٩٦١	٩٦١-٩٧١	٩٧١-٩٨١	٩٨١-٩٩١	٩٩١-١٠٠٠																								
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

التوظيف السياسي لبعض الأماكن السياحية بمصر البطلمية د. أحمد غانم حافظ احمد*

مقدمة :

ليس هناك من شك في أن مصر قد تمتعت عبر عصورها المختلفة بعدد من الموارد والمميزات التي أدرکها كل حاکم أو زائر لها ، وقد اختلفت النظرة لتلك الموارد والمميزات باختلاف أهداف حکامها وزائريها ، وهذا ما يتضح جليا من شهادة هيرودوتوس عن مصر حين قال " فيما يخص المصريين أنفسهم ، فالجدير بالملاحظة هو أن أولئك الذين يقطنون أرض القمح يكرسون أنفسهم أكثر من أي شعب آخر في العالم من أجل أن يحفظوا ذاكرة الأعمال القديمة وهم الأمل في التاريخ من بين كل ما شهدت من شعوب " (١)

وكما يتضح من عنوان الورقة فإنها تركز علي إحدى مميزات مصر في هذا الصدد وكيف برزت في أثناء حكم البطالمة ، ألا وهو ما عمرت به مصر علي اختلاف أقاليمها من أمكنة كانت لها سمة سياحية أو ترفيهية إذا جاز لنا التعبير .

ينوي الباحث في هذه الورقة أن يتناول الأماكن والمزارات الضاربة في جذور تاريخ مصر في عصر البطالمة في محاولة منه أن يثبت أن هذه الأماكن كانت في تلك الفترة مقصدا للزائرين وهو ما يعتبره الباحث مطابقا لمفهوم السياحة بالمعني الحديث للكلمة^(٢) ، فضلا عن أن الباحث سوف يعني بمفهوم التوظيف السياسي لمثل هذه الأماكن والمزارات .

وفي هذا الصدد سوف يحاول الباحث أن يتنقل بين أنماط سياحية مختلفة تتراوح بين السياحة الدينية التي تنطبق علي معبد أمون في واحة سيوة وكذلك الاحتفالات الدينية التي عمد البطالمة إلي تشجيعها . و السياحة الثقافية التي مثلتها مكتبة الإسكندرية بوصفها صرحا ثقافيا كان كعبة للعلماء من شتى بقاع العالم القديم . والسياحة الترفيهية

* مدرس بكلية الأدب - جامعة الإسكندرية قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية.

(١) Herodotus , *Historiae* , I, II, 77.L.C.L.

(*) السياحة عبارة عن انتقال الإنسان من مكان إلي مكان ومن زمان إلي زمان (السياحة العالمية) أو الانتقال في البلد (السياحة الداخلية) لمدة يجب الا تقل عن ٢٤ ساعة بحيث لا يكون من أجل الإقامة الدائمة وبعيدا عن كسب الرزق لممارسة أنشطة متعددة وفقا للغرض من الرحلة وحبب رغبة المسائح فإما أن تكون إشبعاا لرغبة ثقافية أو رياضية أو نحضور اجتماعات ومؤتمرات أو للقيام بالمناسك الدينية أو طلبا للعلاج : راجع : دلال عبد الهادي ، دراسات في أساسيات السياحة - القح للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ ، ص ٨ .

التي مثلها إقليم أرسينوي وإقليم كانوبوس , موضحا كيف تم توظيف كل نوع منها توظيفا سياسيا .

أولا : التوظيف السياسي لبعض أماكن السياحة الدينية

(أ) معبد آمون في سيوة

يعد معبد آمون القابع بواحة سيوة من الأماكن التي كان يحرص الناس علي زيارتها في مصر منذ عهد الفراعين القدامى بهدف التبرك, الذي كان معروفا للمصريين والإغريق وقد اشتهر منذ القرن الخامس ق.م بأنه مركز للنبوءة كمعبد ابوللون في دلفي وقد رأى الإغريق في آمون إلها مساويا لزيوس^(٢), وقد زار الاسكندر الأكبر معبد آمون إيمانا منه بانتسابه المباشر إلي زيوس من خلال جده هيراكليس حيث تمت له الموافقة علي منح السلطة للملك العظيم وكان وصوله موضع كل ترحيب , وقدمت إليه قورينه الهدايا ومن بعدها قورينائييه Cyrenaica تلك الولاية الغنية , مما ساعد الاسكندر علي بسط سلطانه علي كل ليبيا في العصر الهلينيستي دون أن يذهب إليها بشخصه^(٣) .

وبرأي د. نبيل راغب فإن ما ينطبق علي الاسكندر الأكبر ينطبق علي كل ملوك البطالمة الذين حكموا الإسكندرية حتى الفتح الروماني لها , وكذلك علي جميع الرعايا النيرتانيين في مصر الذين سحرتهم الاحتفالات المنبهة التي كانت تقام في المعابد المصرية , وكان طبيعيا أن يدعي ملوك البطالمة الألوهية اعتمادا علي ثقافة المصريين السابقة في هذا الصدد^(٤) .

(2) يحدثنا هيرودوت عن زيارات كرويسوس Croesus ملك ليديا المعاصر لفترة حكم اماسيس Amasis لمصر ومنها زيارته لدلفي ودودونا وأمون في واحة سيوة بشأن الأطمئنان لنجاح حملته المستقبلية ضد الفرس . Idem., I, 46 , وهناك زيارة القائد الأثيني المشهور كيمون Cimon لمعبد آمون في سيوة حيث لم يتم الإجابة عليه وأمر بالرحيل الفوري , وكذلك زيارة الشاعر اليوناني بنداروس الذي قدم أحد قصائده الغنائية في المدح هدية لآله آمون والتي ظلت محفورة علي أحد جدران المعبد , وكذلك زيارة القائد العسكري الإسبرطي ليساندروس والذي يعود إليه الفضل في ذبوع صيت اسبرطه كمدينة قائدة في العصر الهلينيستي وقد قرر أن يزور المعبد طلبا لمعونة آمون . قارن :

- Ahmed Fakhry , Siwa Oasis , The American University Press , Cairo, 1990 , p.83

(3) Francois Chamoux , Hellenistic Civilization , Translated by Michel Roussel &

Margaret Roussel , Blackwell Publishing , 1st published in English , 2003 , p.18-19.

(4) نبيل راغب, عصر الإسكندرية الذهبي, رؤية مصرية علمية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٣, ص ٩١.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

وقد أصبحت الروايات علي أن هذه الزيارة التي قام بها الإسكندر الأكبر نتج عنها صولة علي شرعية الحكم في مصر بعد أن اكتسب لقب " ابن الإله آمون " ، تلك الشرعية التي بدء خلفاؤه من البطالمة في مصر في السعي وراء اكتسابها ربما سيرا منهم علي نهج الإسكندر مع المصريين أو لرغبتهم في دعم سيطرة الدولة الجديدة علي مصر عن طريق الدين .

وهنا يود الباحث أن يشير إلي أن زيارة الإسكندر الأكبر لمثل هذا المكان الشهير لم تأت تقريبا منه للمصريين كما هو سائد لدي البعض من جمهور المتخصصين لأنه ، في الواقع ، ومن خلال معرفة ظروف المصريين ، لم يكن الإسكندر في حاجة إلي مثل هذه الدعاية لأنه أصلا كان مرحبا به حتى من قبل دخوله إلي مصر. (٥) خصوصا إذا وضعنا في الاعتبار أن المصريين كانوا ينظرون إليه بوصفه المخلص لهم من الحكم الفارسي الغاشم

وربما جاءت هذه الزيارة محاولة منه للتبرك بشيعة كهنة آمون ، بما قد يحقق له النجاح في مهمته في الشرق وهو التفسير الذي يتفق و ما عرف عن طبيعة الإسكندر العلية . ولعل هذه الزيارة التي قام بها الإسكندر لمعبد آمون في سيوة - بوصفه سائما وعسكريا واعدا - أضفت إلي المكان شهرة علي شهرته كما تسببت في أن يظل هذا المعبد محتفظا بما له من شهرة دينية انتقلت معه عبر العصور في مصر . ويبدو أن هذه الزيارة لم يقتصر أثرها علي تبوع صيت المكان في فترة جديدة من تاريخ مصر بدأت بدخول الإسكندر إليها ، وإنما امتد أثرها إلي الإسكندر ذاته حيث خلع عليه كهنة المعبد أحد ألقاب القراعة وهو " أين رع " ، فضلا عن خلفائه من البطالمة الذين حكموا مصر منذ ٣٣٣ ق.م حتى ٣٠ ق.م وهو الأثر الذي تمثل في اتجاه تفكير بطلمبوس الأول Σωτηρ تاحية توظيف العاطفة الدينية لخدمة دعم الوجود السياسي لدولة البطالمة علي أرض مصر .

ويمكننا من هذا المنطلق أن نقرر تلك العبادة الجديدة التي قدمها البطالمة للمصريين ممثلة في شكل إله رسمي للدولة يجمع بين الصفات الإغريقية والمصرية بهدف ربط وتوحيد الجنسين دينيا ، وكان هو الإله " سيرابيس Serapis " ، ويؤكد بلوتارخوس أن الكاهن المصري مانيتون الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث ق.م ، وهو أحد كهنة معبد هلبوبوليس بالاشتراك مع تيموثيوس أحد كهنة معبد ديمبتر اليوناني قد وضع أساس هذه العبادة الجديدة (٦) واستقرا علي أن يكون التالوث المقدس هو محور العبادة الجديدة (٧) .

(٥) - Arrianus , *Anabasis Alexandrou* , 119 , I .3. , Diodorus Siculus , XVII . 49 .

(٦) - Plutarchus , *De Iside et Osiride* , 28 .

هذا وقد انتشرت المعابد السيرابية في المدن المصرية الكبرى ومنها سيرابيون الإسكندرية ومكانه في الحي الخامس والمسمى بالحي الوطني أو حي راقودة وتحديداً فوق اكروبوليس المدينة وهي المنطقة الواقعة اليوم فوق تل باب سدرة وسيرابيون كانوبوس (معبد أبي قير) علي ساحل البحر شرقي الإسكندرية .
وقد قام القائد الروماني لوكيوس ليكينوس لوكولوس - في أثناء خدمته العسكرية تحت لواء لوكيوس كورنيليوس سولا - بدخول الإسكندرية وزيارة سيرابيون الإسكندرية والمكتبة الملحقة به التي سميت بالمكتبة الصغرى تميزاً لها عن مكتبة الإسكندرية الكبرى ^(٨) ، وذلك في عام ٨٧ ق م وذلك بعد أن استقبله الملك البطلمي ومنحه حق تناول الطعام في القصر الملكي كما أغدق عليه من التكريم ما لم يسجله التاريخ لأي قائد أجنبي ، ويروي بلوتارخوس أنه بعد انتهاء خدمته وعودته إلي روما نالت مكتبته تقديراً شديداً لما حوته من مخطوطات كثيرة وطريقة وان أبوابها كانت دائماً مفتوحة كذلك، وكان الإغريق يستخدمون الأروقة وغرف القراءة مجاناً ^(٩) ولدينا دليل يعود إلي أواخر القرن الرابع الميلادي علي أن الخطيب أفثونيوس الأنطاكي قام بزيارة السيرابيون ورأى ما به من غرف لحفظ الكتب وكيف كانت الكتب متاحة لكل الدارسين واعترف بأن مكتبة السيرابيون استطاعت أن تجذب كل سكان المدينة من طلاب الحكمة ^(١٠) وعموماً فإن كل كتابات المؤرخين تدل علي أن معبد السيرابيون كان من أعظم المعابد في حوض البحر الأبيض المتوسط ^(١١) .

(ب) الاحتفالات الدينية

كانت توجد في مصر الاحتفالات التقنيدية للديانة الشعبية التي كان من إحدى خصائصها عبادة الحيوانات وهي التي أشار إليها الأجانب من الرومان بشيء من التهكم والاحقار ، علي العكس تماماً من الإغريق الذين قدموا لزيارة مصر بأهراماتها الكثيرة وقصر اللابيرنت الذين كانوا يسعدون بالقيام بجولة لرؤية الكهنة وهم يطعمون التمساح الذي يعيش في البحيرة المقنسة بجوار معبده في إقليم أرسينوي ، وكان منظر

(٧) عن مكونات الثالوث (سيرابيس ، ايزيس ، حريوقراطيس) راجع : إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١٧٧ - ١٧٨

(٨) M. El - Abbadi , The Life and the Fate of The ancient Library of Alexandria , UNESCO, 1990 , p. 91 ff.

(٩) Plutarchus , Vitae , Lucullus , XLII .L.C.L .

(١٠) Aphthonius , Progymnasmata , 12 . , cf. Roy Macleod , The Library of Alexandria Center of Learning In The Ancient World , A.U.C. Press , 1st published , 2002 , p. 68

(١١) Tacitus . Historiae , IV , 83-84 . Ammianus Marcellinus , Historiae , XXII 16 , 12- 13 . , Herodian , History of The Empire , IV.6,8 . , Dio Cassius , Πρωτικά Ιστορία , LVII 23 , 2 . L.C.L .

الكاهن والتمساح يمثل بالنسبة لهم مكان جذب سياحي، وقد كان التمساح بالنسبة لأهالي الإقليم هو إلههم الحارس (سوبك) ويلقب باليونانية Σουχος (سوخوس). في المقابل نجد أوكتافيانوس والملقب بأوغسطس أثناء قيامه بجولات تفقدية بعد فتحه مصر يرفض أن يزور عجل أبيس قائلا انه اعتاد عبادة آلهة وليس أبقارا في حين طلب رؤية جثمان الإسكندر، ولم يشاهده فقط ولكن لمسه أيضا حيث كان قد فقد الجثمان جزءا من الأنف (١٢).

بل وهناك من الكتاب الرومان من تحدث عن هذه العبادات وعن اليونانيين الذين آمنوا بها بقدر من السخرية مثل جوفيناليس قائلا: "... من الذي يعرف الحيوانات التي يعيدها المصريون الذين لا عقول لهم؟ أنهم يعبدون التمساح في إحدى الأماكن، ويقف مكان آخر في رهبة أمام طائر أبو منجل الذي يلتهم الثعابين..وهنا يعبدون القبط وهناك السمك و بينما تعبد مدينة بأكملها الكلب" (١٣).

وفي ترجمة السيد جاد لكتاب نفتالي لويس (الحياة في مصر تحت الحكم الروماني) نقرأ أن هناك أيضا من بين الكتاب اليونانيين الذين غلب عليهم طابع التعقل هؤلاء لم يراعوا - إلا في النادر - أن هذه العبادات ربما ترجع أصولها إلي الرغبة في استرضاء الحيوانات المقدسة التي كانت إما تشكل خطرا أو تجلب فائدة للحياة البشرية في وادي النيل (١٤).

ومن الاحتفالات الدينية المصرية التي كان يحرص المصريون علي حضورها تلك التي كانت تقام في الدلتا خاصة في "سايس" و "هليوبوليس" ويبدو أنها كانت علي قدر من الأهمية والتنظيم والجذب للمصريين من جميع أقاليم مصر، مما ساعد بوجية نظر الباحث علي رواج ما يسمى حاليا بالسياحة الدينية، وقد حدثنا هيرودوتوس عن تلك الاحتفالات في كتابه الثاني (١٥)، ويبدو أن هذه الاحتفالات قد استمرت في مصر في عصرها البطلمي وان اختلفت أماكن الاحتفالات بما يتفق وطبيعة العصر والحاكم البطلمي الجديد، إذ أصبح هناك سيرابيون الإسكندرية الذي كانت تقام فيه الاحتفالات الدينية وتقدم فيها التقدّمات للمعبود سيرابيس، وهذا ما يؤكد نقس الموجود علي قاعدة أحد التماثيل والمحفوظ بالمتحف اليوناني والروماني بالإسكندرية التي كتب عليها: [βουλος.Eu]-βουλος [..ος.Eu] Ασκληπιοδ [βουλος.Eu]-βουλος Σαραπ[ει]

(12) Idem, LI, 16. L.C.L.

(13) Juvenal, Satires, 15, 1-8.

(١٤) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ترجمة وتقديم / السيد جاد، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٩٠.

(15) Herodotus, op.cit., II.59-63.

" مهدي من اسكليبيدوروس ، ابن يوبولاس إلي سيرابيس " (١٦)
ويجد الباحث في تشجيع البطالمة لمثل هذه الاحتفالات الدينية في المجتمع المصري عاملا ساعدهم إلي حد كبير علي الاحتفاظ بوحدة نسيج المجتمع المصري الذي اخذ يجتمع علي عبادة واحدة مما اسهم في تقوية قبضتهم علي مصر وهذا ما يعرف بالتوظيف السياسي للدين والأماكن الدينية في مصر - تلك الظاهرة التي عرفت في مصر منذ أيام الفراعنة - ذلك التوظيف السياسي الذي تبعته بعض المظاهر مثل محاولات الملوك البطالمة استقطاب كهنة المعابد بمنهجهم ما عرف بأراضي المعابد .

ثانيا : التوظيف السياسي لبعض أماكن السياحة الترفيحية

(أ) إقليم أرسينوي

هناك دليل من الوثائق البردية والمنشور ضمن مجموعة بردي تيتونس ، عبارة عن وثيقة يرجع تاريخها إلي ١١٢ ق.م ، يدعم به الباحث فكرته السابقة عن معرفة مصر للسياحة في عصر النولة البطلمية وفيما يلي نص الوثيقة :

" تحية من هيرمياس إلي حورس ، إليك نسخة من الخطاب الموجه إلي اسكليبياديس . وبناء عليه عليك القيام بتنفيذ كل ما ورد به بكل دقة . العام الخامس ، السابع عشر من كسانديكوس (أمشير) ، الموافق السابع عشر من ميكبير (أمشير) .

إلي اسكليبياديس ، ليكيوس ميممبوس عضو مجلس الشيوخ الروماني يحتل منزلة وشرف عظيمين والمبحر من المدينة (الإسكندرية) إلي إقليم أرسينوي بهدف زيارة الموقع .فلتدعه يستقبل بجلال عظيم ، وكن حريصا علي الانتهاء من إعداد حجرات الضيوف وأماكن الوصول في المقاطعات وعلي أن تقدم له الهدايا المذكورة في مكان الوصول ، وعلي " إعداد " أثاث حجرة الضيف والطعام المخصص لكل من بيتسوخوس والتماسيح

Και το γεινομενον τωι Πετεσουχωι και τοις κροκοδειλοις ψωμιον
و علي " إعداد " مراسم زيارة (مشاهدة) اللابيرنث (Λαβυρινθου θεαν)
قصارى جهدك كي ترضي الرجل (الزائر) مبديا كل حماسة . " (١٧)

من خلال النظر إلي تاريخ البردية المقترح نعرف أنها ربما تعود إلي بدايات عهد بطلمبوس التاسع سوتير الثاني ١١٦ - ١٠٧ ق.م أي ضمن الفترة التي تعارف جمهور المتخصصين علي تسميتها بعصر الضعف البطلمي التي شهدت التدخل

(16) Bernard Etienne , " Inscriptions Grecques d'Alexandrie Ptolemaïque .", IFAO , 2001,p.27-8 ,No.4

(17) Hunt A.S.& Edgar C.C. , Select Papyri Public Documents , Harvard University Press , 1995 , L.C.L., No.416 .p.566.-7.

الروماني في شئون مصر والذي بدأ منذ عهد بطلميوس الخامس ابيفانيس ٢٠٥ - ١٨١ ق.م والذي تزوج من كليوباترة ابنة اثنك السليوقي انتيوخوس الثالث وتريعت علي عرش مصر وعرفت باسم كليوباترة الأولى. (١٨)

ويغض النظر عن الظروف السياسية للدولة البطلمية وعن أسباب ضعفها فما يهم الباحث هنا هو ما تشي به الوثيقة السابقة من معلومات مباشرة أحيانا وغير مباشرة أحيانا أخرى تخص موضوع البحث فمن المعلومات غير المباشرة التي نستقيها بجلاء من الوثيقة هو أنه كان لدي مصر في عصر الدولة البطلمية تصورا كاملا منظما لبرامج سياحية - ربما شكلت الوثيقة إحداهما - و أن زوار مصر من الأجانب كانوا يتمتعون بهذا التصور المنظم فور وصولهم خاصة إذا كانوا من الشخصيات السياسية الهامة .

كما نستقي أيضا أن البطالمة استغلوا موارد مصر السياحية تلك لخدمة أغراض سياسية خاصة بدعم حكمهم في مصر لا سيما ونحن نتحدث عن فترة شهدت ضعف البطالمة وما أفترن بهذا الضعف من تخطيط سياسي، و تدخل من جانب الرومان في شئون مصر، وكثرة لجوء الملوك البطالمة للاعتماد علي دعائم ساهمت كلها في إضعاف الدولة البطلمية .

وواقع أن الرومان قد ظلت أعينهم تحرس مصر لاسيما بعد أن تأكدت لهم ضياع هيبة الملوك البطالمة وذلك بعد أن تفرغوا لصراعاتهم علي العرش مما تسبب في إهمالهم شئون البلاد ، فقامت ضدهم الثورات المصرية التي بلغ من حدة بعضها أن طرد الملك البطلمي من علي عرشه واستعانت بالرومان للعودة إلي العرش .

وهناك الكثير الذي يمكن أن نستند إليه في الوثيقة سالفة الذكر لنؤكد علي أن مصر زخرت بالبقع السياحية التي استغلها حكامها خير استغلال ، ومن تلك البقع " اللابيرنث " والمعروف بقصر التيه والموجود بإقليم أرسينوي (الفيوم) ، وكان هيرودوتوس ٤٨٤-٤٣٠ ق.م من أشهر زواره وقد وصف لنا مدي ضخامته ، خاصة الغرف الموجودة في الطوابق العليا حيث يقر انه رآها بنفسه ، في حين انه لم يتمكن من مشاهدة تلك الموجودة في الأدوار السفلية و إنما كتب عنها من خلال ما سمعه ، وذلك لأن السلطات المصرية لم ترغب في السماح بزيارتها مبررة ذلك بأنها تضم رفات كل من الملوك الذين كانوا سببا في بناء هذا الصرح والتماسيح المقدسة (١٩) .

وتسجل صفحات التاريخ أيضا زيارة ديودوروس الصقلي الذي يعود إلي القرن الأول ق.م للابيرنث، حيث روي عن الملك المصري " منديس " Mendes ،

(١٨) حسين الشيخ ، العصر الهلينيستي (مصر) دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٣) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص ٣٢٠ .

(١٩) Herodotus , op.cit., II, 148 . L.C.L.

والمعروف لدي البعض باسم " ماريس " Mares , وكيف أنه هو الذي بني لنفسه اللابيرنث ليصبح مقبرة له , كما حدثنا عن عظمة البناء التي لا تعود فقط لحجمه الضخم و لكن إلي الحرفية الفائقة التي بني بها , وطبقا لروايته فإن البعض يري أن دايدالوس قد عبر إلي مصر ومن شدة إعجابه بالمهارة التي بني بها المبني بني لملك كريت " مينوس " Minos لابيرانث علي نفس شاكلة اللابيرنث المصري ويبدو من رواية ديودوروس انه زار مصر وشاهد اللابيرنث بها حيث أورد له وصفا دقيقا أقل ما يدل عليه هو الانبهار الشديد (٢٠) .

بل ويبدو أن هناك دليلا عند مانيتون السمنودي الذي يعود تاريخه إلي القرن الثالث ق.م وهو أقدم من عرف من المصريين الذين كتبوا باللغة اليونانية ويبدو أنه ظهر في أواخر عصر بطلميوس الأول واشتهر في عصر بطلميوس الثاني حيث ورد ذكر اللابيرانث في شذرة قصيرة تنسب إلي القائمة التي كتبها عن الملوك المصريين وتقول : أن الملك الرابع " لاماريس " Lamares قام ببناء اللابيرانث في إقليم أرسينوي ليكون مقبرة له (٢١) .

أما عن المؤرخ والجغرافي اليوناني الشهير سترابون ٦٤ق.م - ١٩ م صاحب كتاب " الجغرافيا " Τα Γεογραφικά فقد زار مصر في حوالي عام ٢٤/٢٥ ق.م , وذلك بصحبة الوالي الروماني علي مصر Praefectus Aegypti أيليو جالوس ووصل إلي جزيرة فيلة و حدود مصر الجنوبية (٢٢) , وتحدث عن اللابيرانث والأهرامات الموجودة بجوار مقبرة الملك الذي بني اللابيرانث وقد فسر كثرة عدد القاعات (الغرف) فيه حيث يقول انه كانت من عادة كل الأقاليم أن تجتمع في طقس

Diodorus Siculus , I , 61, 66. (٢٠) وفي وصفه للابيرنث المصري يقول: "...لقد كافح المصريون بشدة من أجل أن يتفوقوا علي أسلافهم في ضخامة المبني , لأنهم اختاروا موقعا مجاورا للقناة المؤدية إلي بحيرة مورييس في ليبيا وهناك شيئا مقبرتهم من أفضل أنواع الحجارة , إنهم لم يتركوا الفرصة لخلفائهم ليتفوقوا عليهم لا في فنون النحت ولا في مهارة الصنعة الحرفية التي تنطق بكلاهما كل غرفه فيه, والزائر بعد دخوله السياج المقدس يجد المعبد محاطا بالأعمدة , أربعون من كل جانب , كما أن هذا المبني مسقوف بقطعة واحدة وقد زين هذا السقف بالمنحوتات والرسومات الجدارية الكثيرة ..."

(21) Project of The Petrie Museum of Egyptian Archaeology , 2000 , p.1.

http://www.casa.ucl.ac.uk/digital_egypt/hawara/

وعن جماليات اللابيرانث وعظمة عمارته ودوره في التاريخ ونظرة الملوك الفرعنة إليه يمكن الرجوع ل:

- Uphill E.P. , Pharaoh's Gateway to Eternity, The Hawara Labyrinth of King Amenemhat III, London 2000 .

(22) Purcell N. , Strabo , in : The Oxford Companion to Classical Civilization , Oxford , 1998 , p.692 .

ديني كل مع كهنته بهدف التضحية وتقديم العطايا المقدسة والفصل في أشد الأمور أهمية ، وكان كل إقليم يجتمع في القاعة المخصصة له وقد تحدث سترابون عن ابيدوس حيث قارن بين قصر Memnonium الموجود هناك وبين اللابيرانث موضحاً أن الأول أكثر بساطة في بنائه من الأخير . (٢٣)

وقد ذاعت شهرة اللابيرانث في قرون الميلاد الأولي وهذا ما تشي به كتابات بلييني ٢٣-٧٩ م والذي أورد له وصفاً في إطار حديثه عن المباني ذات الشهرة والعظمة المعمارية (٢٤) ونجد فيما ورد لدي بومبونيوس ميلا ما يؤكد علي نفس الفكرة حيث تحدث عن اللابيرانث بوصفة مبني بسماتيك وأكد علي انه كان مبنيًا من الرخام وانه قد سقف بنفس المادة وعلي عدد الحمامات الكبير الذي احتوي عليه . (٢٥)

يتضح من خلال الوثيقة أيضاً أن مصر في عصر البطالمة كانت تعرف أصول الاستضافة التي يمكن أن نطلق عليها بمفهوم العصر الحديث الاستضافة السياحية وذلك من خلال حرص مرسل الوثيقة علي التأكيد علي العناية بتجهيز أماكن الوصول مع تقديم الهدايا للزائر في نفس أماكن الوصول و الاهتمام بإعداد حجرات الضيوف و الاهتمام بكل تفصيلة من شأنها تحقيق الراحة والمتعة للزائر مثل الاهتمام بتجهيز التقدّمات والأضاحي للتماسيح و لبييتيسوخوس .

ولا يدعي الباحث أن مثل هذا النوع من التجهيز والاستقبال كان متاحاً لكل زوار مصر علي اختلاف طبقاتهم ولكن وكما هو واضح من الوثيقة فهو علي الأقل كان متاحاً للشخصيات الهامة منها ، وخصوصاً الشخصيات التي تمثل جهات يحرص الملوك البطالمة علي كسب ودهم السياسي ، ويمكن أن نؤكد علي هذه الفكرة عن طريق الاستناد إلي حالة الضعف السياسي والاقتصادي التي حلت علي البطالمة في مصر بدءاً من عصر بطلميوس الخامس وهي الحالة التي كان يصعب معها بطبيعة الحال عمل تجهيزات مماثلة لأعداد كبيرة وبشكل منتظم . (٢٦)

(23) Strabo , Τα Γεωγραφικά , XVII , I, 3, 37,42 .

(24) Plinius , Historia Naturalis , XXXVI , 13 .

(25) Pomponius Mela , Χορογραφία , I ., 9,56.

(26) من الأبحاث الشيقة التي عرضت الفكرة مستندة إلي ذات الوثيقة : محمود ابراهيم السعدني ، أول سائح روماني لمصر : من ؟ ومتي ؟ ولماذا ؟ ، مؤتمر الفيوم الأول — الفيوم بين الماضي والحاضر ، ٢٠٠١ ، ص.ص ٤٤٠-٤٧٣ . وراجع :

هبة مجدي خليل محمد ، السياحة في مصر القديمة خلال العصرين اليوناني - الروماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٦ م ، ص١٧-٢٢ : حيث صنفت هذه الزيارة بكل تفاصيلها علي إنها إحدى أنواع السياحة الثقافية التي كانت قائمة في إقليم الفيوم دون إلقاء الضوء علي ما للتماسيح من قدسية دينية اشتهر بها هذا الإقليم بالذات وربما مرجع ذلك في اعتقادي ما أورده سلفا عن عدم اعتقاد

علي أي الأحوال فإن الوثيقة أكدت علي فكرة وجود أماكن في مصر ذات سمة سياحية ترفيهية و أكدت أيضا علي حسن استغلال حكامها من البطالمة لهذه الأماكن بما يخدم أهدافهم السياسية . وعلي الرغم مما قد يبدو عليه البطالمة من حكمة ومهارة سياسية بسبب تفكيرهم في توظيف مثل تلك الأماكن سياسيا إلا أن حكمتهم ومهارتهم تلك وكما أثبتت أحداث التاريخ لم تكن كافية لحماية وجودهم أو ضمان بقائهم في مصر علي الدوام .

(ب) مدينة كانوبوس

يمثل سيرابيون كانوبوس أحد معالم الإسكندرية في العصر البطلمي والذي اشتهر بمعجزاته الشفائية عن طريق النوم في أحضان المعبد *κατα-κλινειν* وجمهور الحجاج الذين يقصدونه بغية التخلص من الأمراض أو من ينوبون عنهم (٢٧) وقد رأت إحدى الدراسات الأثرية الحديثة أن سيرابيون كانوبوس كان أكثر شهرة من سيرابيون الإسكندرية بسبب ارتباط الأول بظاهرة النوم العلاجي والتي لا يوجد دليل علي ممارستها بسيرابيون الإسكندرية , وقد أكدت هذه الدراسة أيضا علي أن هذه الممارسة لم تكن حكرًا علي سيرابيون كانوبوس ولكن تمت ممارستها في أماكن أخرى مثل سيرابيون منف و في ابيدوس و دندرة والدير البحري , وانتهت الدراسة إلي أن هذه الممارسة لم يثبت ممارستها في مصر قبل فترة الدولة الحديثة رغم إجماع معظم آراء المتخصصين علي التشكيك في تلك النتيجة .

كما خلصت هذه الدراسة إلي أن منطقة أبو قير بما تشمله من مدن منها كانوبوس وتونيس وهيراقليوم ورأس زيفيريوم كانت كيانا مستقلا وليس مجرد ضاحية تابعة للإسكندرية , وأن مدن هذه المنطقة ظلت مزدهرة منذ العصور الفرعونية حتى الفتح الإسلامي لمصر وذلك بفضل الأدوار المختلفة التي لعبتها في شتى نواحي الحياة وبخاصة النواحي التجارية والاجتماعية والدينية , وقد اكتسبت كانوبوس أهمية اجتماعية لم تتمتع بها اية مدينة أخرى خلال العصرين البطلمي والروماني في مصر إذ غدت متنفسا للسكندريين والجنسيات الأخرى المختلفة , وأصبحت تعج بالآلاف من طالبي المتعة من العابثين وكان لذلك أثره المباشر علي شكل المدينة ونوعية المباني

= الرومان في عبادة الحيوانات التي كانت شائعة في مصر ومن ثم فيمكن اعتبار زيارة هذا السيناتور للتماسيح في إقليم الفيوم لا تزيد عن مجرد مشاهدة لطقس ربما لم يشاهده قبل هذه الزيارة .

(27) Strabo , op.cit., XVII, I, 17.

التي احتوت عليها كي تتلاءم ونشاط المدينة فأصبحت مكتظة بالفنادق والحمامات العامة والقصور علي طول الترع الكانوبية وساحل البحر (٢٨) .

هذا ويبدو أن كانوبوس بما احتوته من متع وإباحية كانت مصدرا " للجذب ومدعاة للزيارة ليس فقط من عامة الشعب ولكن أيضا من قبل بعض الملوك البطالمة أنفسهم وهذا ما يتضح من خلال ما كتبه " برنان " عن بطلميوس الرابع الذي كان الذهاب إلي كانوبوس لقضاء بعض الوقت بها محببا له رغم التحذيرات التي وجهت له بعدم الذهاب لعدم ملائمة طبيعة المكان ومكانته الملكية وهذا ما يؤكد العنور هناك علي أكبر رأس لتمثال ملك بطلمي في منطقة أبو قير وكذلك العنور علي قاعدة تمثال خصصت لحمل تمثال ضخم تحمل القاعدة إهداء مقدم إلي الإلهة أرسينوي من قبل كاهن النيل . (٢٩)

كما شهدت كانوبوس بوصفها موئلا للمحبين والعشاق لقاءات الملكة كليوباترة و القائد الروماني ماركوس انطونيوس الأمر الذي ترك انطباعا سيئا عن كانوبوس وكليوباترة علي السواء نطالعه في كتابات الرومان التي تصورها وقد اصطادت القائد الروماني بأساليبها الفذرة في هذه المدينة (٣٠) .

ويعكس مرسوم كانوبوس الصادر في ٢٣٨ ق.م تقريبا كيف حاولت المدينة أن تلعب دورا سياسيا وذلك بفضل كهنتها الذين اصدروا هذا المرسوم بعد اجتماع لهم بمناسبة عيد ميلاد الملك بطلميوس الثالث وذلك للنظر فيما قدمه الملك وزوجته من أعمال جليلة للمعابد والآلهة.

وعصوما فقد تعددت أهداف هذا المرسوم الذي يعتبر بنظر البعض مرسوما قوميا متعدد الأهداف يعكس العلاقة بين الملك البطلمي والكهنة المصريين وبموجب هذا المرسوم أطلق علي الملك وزوجته " الإلهين الخيرين " وتمت إضافة طبقة خامسة من الكهنة في كل المعابد المصرية سميت " طائفة الآلهة الخيرة " .

٢٨) عبد الحميد عبد الحميد المرسي مسعود ، منطقة أبو قير في العصر اليوناني الروماني : دراسة أثرية . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٥ م ، ص ٧١ ، ٤٩٧ .

- يري البعض أن ارتباط سيرابيون كانوبوس بالمعجزات الشفائية يفسر لدي الأثاريين سبب العنور علي رأس الإله اسكليبيوس إله الشفاء هناك والارتباط الشديد بين الإله سيرابيس واسكليبيوس بسبب تشابهما بخاصية الاستشفاء عن طريق العلاج بالنوم ، حيث شهدت معابد اسكليبيوس أيضا في ايدوروس في بلاد اليونان العديد من الاستشفاءات من جراء هذه الممارسة راجع : فايز يوسف ، حضارة المعبد في بلاد الإغريق ومصر ، مجلة مركز الدراسات البردية ، المجلد التاسع ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ١٢٨ .

(29) Bernand A., Le Delta Egyptien d' apers ies textes Grecs I- Les Confins Libyques

4eme partie : La Behera Meridionale, E Les Inscriptions de Kom El - Hisn

(Decret de Canope) , Le Caire ,1970, p.237, No.8.

(30) Ovidius , Metamorphoses , XV, Ves. , 825-8.

كتب هذا المرسوم بأكثر من لغة حيث كتب بالخطين الهيروغليفي والديموطيقي واللغة اليونانية ، وعثر منه حتى الآن علي ست نسخ وهم لوحة تانيس ، و لوحة كوم الحصن ، ولوحة مدينة الكاب ، ولوحة تل بسطه ، ولوحة الكرنك ، ولوحة عثر عليها بأحد مساجد القاهرة ومحفظة بتحف اللوفر بباريس . (٣١)

ثالثا: التوظيف السياسي والحضاري لبعض أماكن السياحة الثقافية الإسكندرية

في إطار حرص البطالمة في عصر قوتهم علي استغلال شهرة بعض المناطق في مصر في دعم نظامهم السياسي الحاكم ، نجد انهم لم يهتموا فقط باستغلال المناطق ذات الشهرة السياحية أو الترفيهية ، و إنما قاموا أيضا باستغلال دور مصر الثقافي والحضاري الذي طالما عرف عنها منذ عهد الفرعنة (٣٢) ، وذلك عن طريق بناء بطلميوس الأول لمكتبة الإسكندرية وتفعيل بطلميوس الثاني والثالث لدورها (٣٣) .

وهنا يستطيع الباحث أن يؤكد علي أن عصر القوة البطلمي كان عصرا عرف فيه الحكام مقومات الحكم السليمة وراحوا يأخذون بأسبابها إذ نجد أن بعضهم يستفيد علميا من ذلك الزخم العلمي الذي كان موجودا علي ارض الإسكندرية مثل بطلميوس فيلادلفوس الذي أثبت نبذة منشورة علي شبكة المعلومات الدولية أنه قد تعلم علي الفيلسوف اليوناني ستراتون اللامبساكي ٣٤٠ - ٢٦٨ ق.م الذي وفد إلي الإسكندرية

(٣١) سليم حسن ، مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الجزء ١٥ ، ١٩٩٤ م ، ص.ص ١٩٣ - ٢٠٨ وراجع :

- Holbl G., A History of The Ptolemaic Empire , Trans. By Tina Saavedra , London & New York , 2001, pp.105-111.

(٣٢) من أشهر الشخصيات التي زارت مصر طاليس وديمقريطوس وفيثاغورس و أفلاطون وذلك بعد إعدام أستاذه سقراط حيث عرف هناك عن الساعة المائية والتي قدمها بعد ذلك لبلاد اليونان. راجع: هبة مجدي خليل ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

وعموما يبدو أن تأثير أفلاطون بمصر كان شديد لدرجة أن أحد الباحثين رأي أن مصر في كتابات أفلاطون كانت بمثابة النموذج الواجب احتداؤه خاصة في مجالات الموسيقى والتعليم والرياضيات والفن . راجع : مجدي كيلاني ، الفلسفة اليونانية من منظور معاصر ، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ص.ص ٢٤٨ - ٢٥٤ .

(٣٣) عن مجهودات البطالمة الأوائل في جمع الكتب اللازمة لمكتبة الإسكندرية وتحديد دور كل من فيلادلفوس وبيوارجيتيس ، وعن العلوم التي ازدهرت في المكتبة جراء سياساتهم والتي دأبت علي تشجيع العلماء في الموسيون . راجع:

Knowledge of the World in -Jacob Christian & De Poligmac Francois , Alexandria , Third Century B.C. The 70 a single city , trans. By Colin Clement , Cairo , 2000,p.51-53- .

لينهل مما بها من علوم وفكر^(٣٤) وبفضل التشجيع العلمي في عهد بطلميوس الثالث اشتهر أبولونيوس البرجي الذي أتى إلي الإسكندرية حيث درس مع تلامذة اقليدس ولقب بأعظم عالم هندسة^(٣٥).

ويري الباحث أن البطالمة الأوائل في نهجهم السابق ربما رغوا في اقتفاء خطي الإسكندر الأكبر، الذي تعلم علي أرسطو مؤسس الليكيوم في شتي علوم المعرفة من أخلاق وسياسة وفلسفة وفنون الحكم، كما أنت رعيتهم للشعراء والكتاب في الإسكندرية - إلي جانب ما تمثله هذه الرعاية من وسيلة دعائية سياسية- دليلا علي أثر الإسكندر الحضاري عليهم، فربما أثرت في أنفسهم حادثة إبقاء الإسكندر الأكبر علي منزل الشاعر الغنائي بنداروس في طيبة التي نمرها عن بكرة أبيها واسترق أهلها في أثناء ثورة المدن اليونانية ضده بعد وفاة والده في محاولة منهم لاختبار مدي قوة الحكم الجديد. (٣٦)

والواقع أنه إذا كان فضل اختيار وتشييد مدينة الإسكندرية يعود للإسكندر الأكبر فإن الإسكندرية مدينة بكل شهرتها وحضارتها وفنونها إلي البطالمة الأوائل الذين سخروا جل إمكاناتهم من أجل جعلها منفردة بدافع من حرصهم علي دعم حكمهم السياسي في مصر وهنا يستشهد الباحث بحادثة سرقة بطلميوس الأول لجثمان الإسكندر الأكبر وهو في طريقه لمثواه الأخير في بابل والاحتفاظ به في منف ثم بعد اتخاذه للإسكندرية عاصمة لمصر البطلمية نجده يقوم بنقل الجثمان إلي الإسكندرية^(٣٧) ليتحول بذلك موقع مدينة الإسكندرية إلي موقعا ذو أهمية عالمية منذ تلك الحادثة وحتى يومنا هذا.

(٣٤) هو ثالث رئيس للكيوم Lyceum أرسطو بعد وفاة ثيوفراسطوس وأحد تلاميذ المدرسة المشائية وكان أريستارخوس من بين تلاميذه راجع : www.mlhanas.de بالدخول علي Alexandria واختيار اسم Straton of Lampsacus.

(٣٥) www.groups.dsc.st-and.ac.uk Apollonius of Perga by : O' Connor J. & Robertson.

(٣٦) عن حملة الإسكندر علي المدن اليونانية راجع :
أد رستم، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلي الفتح الروماني، بيروت، ١٩٦٩، ص.ص ١٧-١٩. وقارن، الإسكندر الأكبر، ترجمة زكي علي، الألف كتاب، القاهرة، ١٩٦٣، صفحات ٢١ وما بعدها. قارن حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة : العصر الهلنستي (مصر)، مرجع سابق، ص. ١٢-١٣. ويبدو للباحث أن الإسكندر الأكبر لم يكن متأثرا بموهبة بنداروس الفنية فقط لكنه تأثر به فكريا وعقائديا أيضا وهذا ما قد يدل عليه اتفاق بنداروس ومن بعده الإسكندر علي زيارة معبد آمون في سيوة. راجع الحاشية (٢) ص ٢ من ذات البحث.

(٣٧) في الواقع تختلف المصادر القديمة حول خط سير جثمان الإسكندر الأكبر إلي مقره الأخير في إسكندرية وميعاده فمنهم من قال أن بطلميوس الأول هو الذي قام بهذا العمل Diod.,XVII.28. ومنهم من نسبته إلي بطلميوس الثاني Strabo,op.cit., XVII.1.8., Paus., I.6.3. إذ ينكر

وعلي الرغم مما عبرت عنه المكتبة القديمة والموسيون الملحق بها من رعاية ثقافية بطلمية الطابع إلا أن الباحث لا يستطيع أن يجردها من مغزى التوظيف السياسي فلعلها كانت رسالة للممالك الهلنستية الأخرى المحيطة بمصر لتعلن بشكل غير مباشر مدي قوة وسيطرة الحاكم البطلمي علي زمام الأمور السياسية في مصر وانه منقرغ لأمر حضارية وثقافية أخرى من شأنها دعم سطوته واحترامه داخل وخارج مصر . وفي الواقع فإن الباحث يعتقد أن رعاية ودعم البطالمة الأوائل لمكتبة الإسكندرية القديمة والموسيون الملحق بها إنما يأتي في إطار رغبة البطالمة توظيفهم الإسكندرية توظيفا حضاريا , بكل ما تشمله الكلمة من الترويج السياسي والاقتصادي والثقافي والديني لحكمهم بين الممالك الهلنستية الأخرى خارج مصر, فالتوظيف الحضاري يعد هو الإطار الأوسع والأكبر تأثيرا الذي يشمل - في حال تحققه - التوظيف السياسي محل اهتمامنا . وليس هناك من شك أن كلاهما يرتبط بالآخر ارتباطا وثيقا ولذا يمكن القول أن نجاح البطالمة في توظيف الإسكندرية بما فيها من منشآت ثقافية توظيفا حضاريا كان عاملا مساعدا لهم علي الترويج السياسي لحكمهم الملكي في مصر وخارجها وهو ما يعد أحد أشكال التوظيف السياسي .

هكذا كانت المكتبة والموسيون ذات رسالة حضارية ضمنت بين طياتها أهدافا سياسية بشكل غير مباشر .

بالفعل استطاع البطالمة الأوائل استغلال الإسكندرية حضاريا وهذا ما يبرر بوجهة نظر الباحث سرعة تحولها لتصبح أكبر مدينة إغريقية في العالم القديم تفوق في اتساعها أكبر المدن الإغريقية القديمة وغدوها في طليعة عواصم الحضارة الإغريقية التي ظلت محتفظة بالصدارة علي مدار القرنين الثاني والثالث ق.م إلي الحد الذي أصبحت معه حضارة هذين القرنين تعرف باسم " الإسكندرية " .

هذا ورغم قصور الحفريات عن إمدادنا بواقع ما كانت عليه المدينة إلا انه يمكن من خلال ما كتبه شعراء القرن الثالث أن يدرك القارئ حقيقة ما كانت عليه الحياة في الإسكندرية وكيف أصبحت الإسكندرية رحما حضاريا جديدا استطاع بفضل ما توافر له من دعم بطلمي سرقة الأضواء من أثينة في بلاد اليونان و برجامة في آسيا الصغرى , وحسب الباحث في هذا الصدد أن يستشهد بما أورده هيرونداس علي لسان امرأة عجوز تتحدث إلي شابة رحل عنها زوجها إلي الإسكندرية قائلة :

باوزانياس أن سوتير دفن جثمان الإسكندر في منف وأن فيلادلفوس نقل الجثمان للإسكندرية قارن : مصطفى العبادي: مجتمع الإسكندرية عبر العصور , تأليف نخبة من الأساتذة , الإسكندرية , ص ٢٨ أيضا: فادية محمد أبو بكر, مصر زمن البطالمة, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, ٢٠٠٦, ص ١٠٦-١٠٧ .

...لقد انقضت عشرة شهور منذ سافر ماندريس Mandris إلي مصر لكنه لم يرسل إليك كلمة واحدة. ولا شك في انه قد نساك وانتهل من نبع سرور آخر ! مصر! (يقصد الإسكندرية)، هناك حيث يوجد معبد الإلهة أرسينوي وكل شئ يمكن وجوده في إي مكان آخر: ثراء وملاعب ومجد وراحة وعظمة ومباهج وفلاسفة وذهب وشبان وملك كريم ودار للعلم وخمر وكل الأشياء الطيبة التي يمكن أن تتوق إليها النفس، ونساء يقفن في عدهن ويضارعن في جمالهن الإلهات التي احتكمن إلي باريس". (٣٨)

من خلال السطور السابقة نستطيع أن نري كيف كانت الإسكندرية مدينة تمتلك كل الإمكانيات التي حولتها لتصبح مدينة سياحية تجمع بين انماط متنوعة من السياحة، كما عاشت المدينة تفاصيل الحياة الثقافية التي فرضتها عليها المكتبة والموسيقيون من استقبال للعلماء والفنانين والفلاسفة وطلاب العلم والدرس من شتى بقاع العالم القديم، شهدت أيضا تفاصيل حياة ترفيهية ماجنة إذ كان بها الثراء والملاعب والمباهج وكل الأشياء التي يمكن أن تتوق إليها النفس كما أن بها نساء كثيرات علي قدر عال من الجمال، ونتج عن كلا النوعين نوعين آخرين من السياحة وهما: السياحة الثقافية والسياحة الترفيهية.

هكذا كانت الإسكندرية التي اتخذها البطالمة عاصمة حكمهم مصر ويبدو أن كل ما كان موجودا في الإسكندرية كان مقصودا بهدف الحصول علي عاصمة تدل كل تفاصيلها وإمكاناتها علي مدي قوة الدولة البطلمية.

ويود الباحث أن يشير إلي أنه في حين كانت كل الأماكن السياحية السابق التعرض لها- ما عدا الإسكندرية - ذات شهرة وصيت من قبل ظهور البطالمة، وربما آثار هذا انتباه البطالمة مما حفزهم علي توظيف تلك الأماكن توظيفا سياسيا بشكل يخدم سياستهم المستقبلية يعتبر الباحث الإسكندرية استثناء" من تلك القاعدة إذ جاء التفعيل الثقافي والسياحي لدور مدينة الإسكندرية - الأمر الذي تسبب في نيوغ شهرتها لأول مرة في تاريخ مصر القديم- مواكبا تماما لتوظيف هذا الدور علي الصعيد السياسي.

وبعبارة أخري، لم تكن للإسكندرية أية شهرة أو دور - سوي أنها صنيعا الإسكندر الأكبر - قبل اتخاذها عاصمة لمصر في عصر البطالمة بدلا من منف، ويبدو أن الإسكندرية ظلت تتمتع بطابع خاص حتى في عصر الرومان إذ حرص الرومان من بعد البطالمة علي الإبقاء عليها لتصبح أيضا عاصمة مصر الرومانية.

(٣٨) فادية محمد أبو بكر، نفس المرجع السابق، ص. ٩٨ وعن المزيد بشأن هيروداس أو هيروداس القوسي صاحب الميميات Mimes الشهيرة يمكن الرجوع للموقع التالي www.mlahanas.de تحت اسم Herodas

هكذا تجول الباحث في بعض أرجاء مصر البطلمية ، محاولا الوقوف علي بعض ما تميزت به تلك الأرجاء من شهرة سياحية سواء كانت سياحة دينية أم ترفيهية أم ثقافية وكيف وظف البطالمة بعض هذه الأرجاء توظيفا " حضاريا" وبعضها الآخر توظيفا " سياسيا" وذلك كي يؤكد الباحث علي أن مصر لم تعد يوما عبر تاريخها دورا تلعبه حتى لو كانت محتلة .

أولا : المراجع العربية والمعربة

- ١ - أسد رستم ، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلي الفتح الروماني ، بيروت ، ١٩٦٩م
- ٢- حسين الشيخ ، العصر الهلنستي (مصر) دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٣) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ م .
- ٣- سليم حسن ، مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الجزء ١٥ ، ١٩٩٤ م
- ٤- فادية محمد أبو بكر ، مصر زمن البطالمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٦م
- ٥- مجدي كيلاني ، الفلسفة اليونانية من منظور معاصر ، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر ، الإسكندرية ٢٠٠٤م
- ٦- محمود إبراهيم السعدني ، " أول سائح روماني لمصر : من ؟ ومتي ؟ ولماذا ؟ " ، مؤتمر الفيوم الأول — الفيوم بين الماضي والحاضر ، ٢٠٠١
- ٧- مصطفى العبادي : مجتمع الإسكندرية عبر العصور ، تأليف نخبة من الأساتذة ، الإسكندرية
- ٨- نبيل راغب ، عصر الإسكندرية الذهبي ، رؤية مصرية علمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .
- ٩- نفتالي لويس ، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني ، ترجمة وتقديم / السيد جاد ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م .
- ١٠- و . تارن ، الإسكندر الأكبر ، ترجمة زكي علي ، الألف كتاب ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

Sources

ثانيا : المصادر

- 1- Ammianus Marcellinus , *Historiae* , L.C.L.
- 2- Aphthonius , *Progymnasmata* , L.C.L.
- 3- Arrianus , *Anabasis Alexandrou* . L.C.L.
- 4- Dio Cassius , *Ρωμαικα Ιστορια* , L.C.L.
- 5- Diodorus Siculus , *De Iside Et Osiride* , L.C.L.

- 6- Herodian, History of The Empire , L.C.L.
- 7- Herodotus , *Historiae* , L.C.L.
- 8- Juvenalis , *Satires* , L.C.L.
- 9- Ovidius , *Metamorphoses* , L.C.L.
- 10- Pausanias , Description of Greece , L.C.L.
- 11- Plinius , *Historia Naturalis* , L.C.L.
- 12- Plutarchus , *Vitae* , L.C.L.
- 13- Pomponius Mela , *Chronographia* , L.C.L.
- 14- Strabo , *Τα Γεωγραφικά* , L.C.L.
- 15- Tacitus , *Historiae* , L.C.L.

References ثالثا: المراجع الأجنبية

- 1- Ahmed Fakhry, Siwa Oasis , The American University Press , Cairo, 1990.
- 2- Bernard A., Le Delta Egyptien D' apers les textes Grecs ,4eme Partie , Le Caire, 1970.
- 3- Bernard Etienne , ' Inscriptions Grecques d' Alexandrie Ptolemaique' , IFAO, 2001.
- 4- Francois Chamoux , Hellenistic Civilization , Trans. By Michel & Margaret Roussel , Blackwell Publishing , 1st published in English , 2003.
- 5- Holbl G., A History of The Ptolemaic Empire , Trans. By Tina Saavedra , London & New York , 2001.
- 6- Hunt A.S.& Edgar C.C., Select Papyri –Public Documents , Harvard University Press ,, 1995.(L.C.L.)
- 7- Jacob Christian & De Poligmac Francois , Alexandria Third Century B.C The Knowledge of the World in a single city , Trans. By Colin Clement, Cairo , 2000.

- 8- Moustafa El – Abbadi, The Life and The Fate of The Ancient Library , UNESCO, 1990.
- 9- Purcell N., The Oxford Companion to Classical Civilization , Oxford , 1998.
- 10- Roy Macleod , The Library of Alexandria Center of Learning In The Ancient World , A.U.C. Press , 1st published, 2002.
- 11- Uphill E.P., Pharaoh's Gateway to Eternity , The Hawara Labyrinth of King Amenemhat III, London, 2000.

رابعاً : مواقع علي شبكة المعلومات الدولية ورسائل علمية

1- www.mlahanas.de

2- www.groups.dsc.st-and.ac.uk

3- www.casa.ucl.ac.uk/digital_egypt/hawara/

- ١- عبد الحميد عبد الحميد المرسي مسعود, منطقة أبو قير في العصر اليوناني الروماني : دراسة أثرية, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة عين شمس, ٢٠٠٥م .
- ٢- هبة مجدي خليل محمد , السياحة في مصر القديمة خلال العصرين اليوناني - الروماني , رسالة ماجستير , غير منشورة , كلية السياحة والفنادق , جامعة الإسكندرية , ٢٠٠٦م

فنون و معتقدات العصر الحجري القديم الأوسط في الشرق الأدنى و أوروبا د. أشرف زكريا*

شهدت الأدبيات العلمية جدلا كبيرا حول معرفة الإنسان خلال العصر الحجري القديم الأوسط* (حوالي ٣٠٠٠٠٠ - ٣٠٠٠٠ ق م) للفن و العقيدة ، إذ يعد هذا الموضوع ركن الزاوية فيما يتعلق بنشأة و تطور السلوك المعرفي للإنسان. يحاول الباحث هنا من خلال عرض القرائن - الصناعية منها و البيولوجية - الخاصة بإقليمي أوروبا و الشرق الأدنى ، قلب العالم في عصور ما قبل التاريخ ، أن يحدد إلى أي مدى تجاوز إنسان هذا العصر عالم المادة إلى آفاق الرمز.

١ - الفنون

١ : ١ - النحت المجسم :

الشرق الأدنى : عثر في جبل العديد (حار كركوم) - صحراء النقب / كركومي ٤٧٠٠٠ - ٣٨٠٠٠ ق م^١ على تماثيل ظرائف لآدميين (لوحة ١ : ١ : إمراة في وضع الجلوس من Hk.190c) و لحبوانات معروفة في السجل الحفري هناك^٢ . - شكلت التماثيل بفعل الطبيعة مع تشظية تؤكد وجود تدخل آدمي عزز التشكيل.

*مدرس كلية الآداب جامعة المنصورة.

* حطت حضارة هذا العصر اسم الحضارة الموستيرية نسبة إلى كهف Le Moustier الفرنسي تميزا لصناعة الأدوات الحجرية (الفلوازية) التي انتشرت في العالم القديم بتتوعات اقليمية. ظهر في هذا العصر جنسان : Homo sapiens archaicus ، الذي ظهر و تطور في أفريقيا إلى الإنسان الحديث Homo sapiens . تواجد في شرقي المتوسط منذ حوالي ١٠٠ ألف سنة ق م جنسان هما نياندرتال و الإنسان الحديث. أوضحت DNA studies ان نياندرتال Neanderthal الذي اتصل حوالي ٦٩٠ - ٥٥٠ ألف سنة ق م عن خط التطور المؤدى إلى ظهور الإنسان الحديث ، و الذي لم يلبث نورا في ظهوره و لم يتطور إلى إنسان حديث ، قد انقرض حوالي ٢٤ ألف سنة ق م ربما نتيجة التزاوج مع هذا الجنس. ليس أدل على الاختلاط من وجود أدوات موسستيرية لدى إنسان حديث في الشيبونية أقدم ثقافات لبالوليثي الأعلى : على رضوان ، الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ و بداية الأسرات في مصر ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ١٨-١٩ ، ٢٢

M.Lubenow, "Recovery of Neandertal mtDNA, An Evaluation", *CEN Technical Journal* 12/1(1998), pp.87-97 ; D.Roe , "The Paleolithic", in: M.B.Fagan (ed.), *The Oxford Companion to Archeology*, Oxford 1996, p.553; C.Scarre, "Religion", in: Fagan (ed.), *The Oxford Companion*, p.590

^١ E. Anati, *The Mount of God, Har Karkom*, New York 1986, pp.308-310

; Anati at www.harkarkom.com/HKcorpus1-99.php; Anati , at www.harkarkom.com/HKcorpus100-199.php

² W. Wymer, *The Paleolithic Age*, New York 1982, table 5

- ربما مثل الموقع HK.86b حرما باليوليثيا ، فقد عثر فيه على أربعين تمثالا ظرائيا في هينات آدمية و حيوانية (: لوحة ١ : ٢-٣ : البومة و الطائر) داخل تشكيلات دائرية و حلزونية الشكل من كتل حجرية كبيرة نصبت في أرض منخفضة(حوالي ٢٠ × ٤٠ م). يتراوح ارتفاع التماثيل بين ٦٠ - ١١٥ سم. ربما عثرت تماثيل المرأة تجسيدا لسيدة الحيوانات أو روح حارسة بينما اعتبرت تماثيل الحيوانات كأدوات لسحر الصيد في موضع مقدس يجسد - بما تضمنه من ترتيبات حجرية و نبع جاف و نتوين صخريين إلى الغرب منه - هيئة امرأة^٣.

أوروبا: عثر في Hamburg-Wittenbergen LT/2 - ألمانيا على مجموعة من تماثيل الطران المشكلة طبيعيا proto-art ، و منها تماثيل لحيوانات و أفعنة و رؤوس آدمية (لوحة ١ : ٤) مشابهة لتماثيل الأسولى المتأخر هناك^٤.

- عثر في le Roche Cotard - فرنسا / حوالي ٣٥٠٠٠ سنة ق م على قطعة مثلثة الشكل من الطران - مقترنة بأدوات موسثرية - مشكلة بفعل الطبيعة في هيئة وجه أو قناع آدمي (الجبهة و العينين و الأنف و الوجنتين). يؤكد وجود قطعة من العظم - مثبتة بقطع من الحجر - في أحد الشقين الممثلين للعينين وجود تدخل انساني لتعزيز المشابهة لوجه الانسان (لوحة ١ : ٥)^٥.

• اعتبر البعض هذه التماثيل دليلا على فقرة معرفية لانسان نياندرتال و لثقافة العصر الحجري القديم الأوسط ، و دليلا على معرفة الانسان للفن قبل ظهور الانسان الحديث صاحب ثقافة العصر الحجري القديم الأعلى^٦. إلا أن مجموعة من الحقائق تحول - دون شك - دون التسليم المطلق بهذا الرأي :

١- أن العثور على التماثيل في ثلاث مواقع فقط من بين آلاف المواقع التي تتسبب للثقافة الموسثرية يجعل منها استثناءا و ليس مؤشرا على نتاج ثقافي عام.

٢ - أن هذه التماثيل لا تعتبر أعمالا فنية انسانية خالصة ، فهي منحوتات طبيعية التشكيل تدخل الانسان - بادراكه للمشابهة بين الرمز و المرموز له - لتأكيد مشابقتها للهيئة الأدمية أو الحيوانية الممثلة محققا نقلة معرفية ، إلا أنه لم يتجاوزها إلى التجسيد الرمزي الكامل الذي شهده العصر الباليوليثي الأعلى^٧ . من

3 J.Harrold,MP Gallery #4c -HK86b, Har Karkom ,Israel ,Paleolithic Sanctuary,MP-UP Transition, c.47-38,000 BP, at www.originsnet.org.; J.Harrold,Middle Paleolithic Art,Symgols,Mind,at www.originsnet.org

4 W.Matthe,"Die Entdeckung der Kunst des Alteren und Mittleren Palaeolithikums in Norddeutschland",IPEK 21 (1964/1965),pp.1-18

5 D.Palmer,Neanderthal Art alters the Face of Archeology,New Scientist 2424 / 6 (october 2003),2pp.

6 G.Renfrew & P.Bahn,Archeology,New york 2000,p.374

7 Renfrew & Bahn,Archeology,p.395

تأخية أخرى استبعد البعض التدخل الانساني معتبرا التماثيل تشكيلات طبيعية^٨.
 3 - نسبت التماثيل - التي لم تقترن بعظام بشرية- إلى مرحلة شهدت وجود تمازج ثقافي بين الانسان الحديث و انسان نياندرتال في فلسطين^٩ و - منذ ٤٢٠٠٠ ق م - بعض مناطق أوروبا^{١٠} ، كما تقترب زمنيا إلى حد بعيد من أقدم أعمال النحت و التصوير الأوروبي في الباليوليثي الأعلى حوالي ٣٥٠٠٠ ق م ، و هو ما يجعل من اعتبارها أعمال فن لانسان نياندرتال تجاوزا علميا.
 ١ : ٢ - فن الحفر

١ : ٢ : ١ - أداة موسيقية :

أوروبا : عثر في كهف The Divje Babe I - سلوفينيا / ٤٣٠٠٠ ق م - على عظمة فخذ حيواني اسطوانية مفرغة بها أربعة ثقوب محفورة عمدا. انتظمت ثلاثة من هذه الثقوب في ترتيب عمودي واضح. تميزت هذه الثقوب - التي تفصل بينها مسافات متساوية - بالاستدارة التي تناسب الاستخدام بأطراف الأصابع (لوحة ٢ : ١). يعتقد البعض أن هذه القطعة تمثل أقدم فلوت^{١١}.

١ : ٢ : ٢ - العلامات المجردة المحفورة

عثر في مواقع موسيقية في الشرق الأدنى و أوروبا على قطع من العظم أو الحجر حفر عليها علامات مجردة :

الشرق الأدنى : علامات على شكل حرف V : ثلاث جزر على لوح من العظام في كهف كبارة - فلسطين / طابون B حوالي ٦٠٠٠٠ ق م (لوحة ٢ : ٢) .

8 R.White,"The Earliest Images ",Expedition 43/3 (1992),pp.37-38

9 A.Kramer & L.Crummett and H.Wolpoff , "Out of Africa and into the Levant,Replacement or Admixture in Western Asia ?"Quaternary International 75 (2001),pp.51-63

يرجع البعض وجود انسان نياندرتال في فلسطين إلى ٧٥٠٠٠ - ٤٧٠٠٠ ق م ، و توقف ظهوره حوالي ٤٥٠٠٠ - ٣٥٠٠٠ ق م ، و هو ما يضعف احتمال ارتباطه بتماثيل جبل العديد.

J.Shea,"Modern Human Origins and Neandertal Extinction in the Levant ",Athena Review 2/4 (1998),pp.21-32

¹⁰ J.K.Kozłowski,"Cultural context of the Last Neanderthals and Early Modern Humans in Central-Eastern Europe",in:O.Bar-Yosef & L.L.Cavalli-Sforza & R.J.March and M.Piperno (Eds),*The Lower and Middle Paleolithic* (Colloquia of the XIII International Congress of Prehistoric and Protohistoric Sciences, no. 5),Forli 1996,pp. 205-218.

¹¹ B.Lau & B.A.Blackwell & H.B.Schwarz & I.Turk and J.L.Blickstein," Dating a Flautist ?Using ESR (Electron Spin Resonance) in the Mousterian Cave Deposits at Divje Babe I, Slovenia",*Geoarchaeology* 12/6 (1997),pp.507-536; M.Otte,"On the suggested Bone Flute from Slovenia",*Current Anthropology* 39/2 (1998),pp.549-553

12 S.Davis,"Incised Bones from the Mousterian of Kebara Cave (Mount Carmel) and the Aurignacian of Ha-Yonim Cave (Western Gallilee), Israel",*Paléorient* 2 (1974) ,pp.81-182.

- أقواس متحدة المركز : حفر على لوح من الحجر في القنيطرة- الجولان / طابون B ٥٤٠٠٠ ق م (لوحة ٢ : ٣) ربما تعلق بشعائر فصلية^{١٣}.
- خطوط متوازية : حفر على نواة لفلوازية (لوحة ٢ : ٤) في دفنة لانسان حديث في كهف قفصة XVII - فلسطين / طابون C^{١٤}.
- أوروبا : أشكال مروحية : سبعة أشكال محفورة على قطعة من العظم في ProlomII - Cremea / ميكوكية حوالى ١٠٠٠٠٠ ق م^{١٥}.
- صليب داخل دائرة : حفر على حجر النيوموليت في كهف Tata - المجر / حوالى ١٠٠٠٠٠ ق م (لوحة ٢ : ٥) ، و على قطعة من الحجر الجيري في كهف Tsona - جورجيا^{١٦} ربما رمزا للكون و الجهات الأربع^{١٧}.
- خطوط زجاجية : حفر على العظم في Bacho-Kiro / بلغاريا / حوالى ٤٤٠٠٠ ق م (لوحة ٣ : ١)^{١٨}. ربما رمز إلى اتصال العلوى بالسفلى.
- خطوط مائلة متوازية : حفر على قطعة من الحجر في دفنة في La Ferrassie - فرنسا^{١٩} (لوحة ٣ : ٢).
- أشكال مزدوجة : صفان من خطوط محزوزة ضم كل منها ٢١ علامة على قطعة من العظم في Temnata - بلغاريا / حوالى ٥٠٠٠٠ ق م^{٢٠} ، و ثلاث مجموعات مماثلة على قطعة من العظم في Cueva Mourin - أسبانيا^{٢١} ، و على قطع من

13 A.Marshack,"A Middle Paleolithic Symbolic Composition from the Golan Heights,The Earliest Known Depletive Image",Current Anthropology 37 (1996),pp.357-65

14 B.Vandermeersch & O.Bar-Yosef,"A Middle Palaeolithic Engraved Artefact from Qafzeh Cave,Israel",Rock Art Research 14/2 (1997),p.79-87

15 V.N.Stepanchuck,"Prolom II,A Middle Paleolithic Cave Site in Eastern Crimea with non-utilitarian Artifacts",Proceedings of the Prehistoric Society 59(1993),pp.17-37

16 D.Stolyar,The Origins of Art,Moscow 1985,pp.125,127,figs71,91- 93 ;L.Véretes,Tata,Eine Mittel Paläolithische Travertine Siedlung in Ungarn ,Budapest 1964

17 P.Sutton,The Art of Aboriginal Australia,New York 1988, figs 36,39

18 روبرت بدناريك،"الارهاصات الأولى للخليفة"،مجلة اليونيسكو (ابريل ١٩٩٨)،ص٧

19 A.Marshack, The Roots of Civilization ,The cognitive Beginnings of Man's First Art,Symbol and Notation ,New York 1991,p.379,fig.209

20 M.Crémadet et al , "Une Pierre gravée de 50 ans B.P. dans le Balkans" ,Palaeo 7 (1995),pp.201-209

21 L.G.Freeman & J.González Echegaray,"Tally-marked Bone from Mousterian Levels at Cueva Mourin (Stander,Spain)",in:Homage al Prof. M.Almagro Basch,vol. I, Madrid 1983,pp.43-147

العظم من ملوى صخرى Tagliente - إيطاليا و Abri Lartet (لوحة ٣ : ٣) و la Quina و l'abri Suard - فرنسا^{٢٢}.

العلامات الكوبية الشكل : حفر على الحجر في قبر طفل في la Ferrassie - فرنسا (لوحة ٣ : ٤).^{٢٣}

خطوط و سهام : عثر في Oldisleben - ألمانيا / ميكوكية على خطوط محفورة تمثل أسهما على قطعتين من الحجر (لوحة ٣ : ٥ - ٦) ^{٢٤}.

مرجحت مجموعة من المعايير أن الفكر الرمزي الانساني ، وليس عوامل الطبيعة أو حوافر الحيوانات ، هو مبدع هذه العلامات : ا- وجود هذه الأعمال في مواضع أمكن دخول الانسان فيها. ب- اثبات الفحص المجهرى لتشكل هذه العلامات باستخدام أدوات حفر ، لا سيما اذا اقترنت اعمال الحفر بأدوات حفر موسستيرية الصنع. ج- اتجاه أعمال الحفر من اسفل إلى أعلى أو إلى الجانب. د- تميز الخطوط المحفورة بتكرار أو التقاطع.

تكرر ظهور مثل هذه العلامات في عصور ما قبل التاريخ^{٢٥}.

يرجح وفقا للمعايير السابقة ، و في ضوء العثور على بعض هذه العلامات في مواضع نرى ، ممارسة بعض جماعات انسان نياندرتال و الإنسان الحديث لفن حفر العلامات المجردة ، و « الأمر »^{٢٦}

- عثر على العلامات المجردة في الشرق الأدنى في مواقع ارتبطت بالانسان الحديث (قصة) و انسان نياندرتال (كبارة و الجولان) ، بينما ارتبطت في أوروبا بإنسان نياندرتال.

22 P.Leonardi,"Art Paléolithique mobilier et pariétal en Italie", L'Anthropologie 92 (1988),pp.139ff.;M.Crémadès,"L'expression graphique au paléolithique inférieur et moyen,l'exemple de l'Abri Suard ,La Chaise-de-Vouthon, Charente",Bulletin de la Société Préhistorique Française 93/4 (1996),pp.494-501;H.Martin,"Fragments d'omoplate de bovidé avec traits gravés intentionnels, trouvés dans le Moustérien supérieur de la Quina (Charente),Bulletin de la Société préhistorique française 7,fasc.7 (19'0),pp.40-42; A.Debénath & L.Dupart,"Os travaillés et Os utilisés de quelques gisements prhéistoriques Charentais",Mémoires de Societe Archéologique et Historiques de la Charente 1971,pp.189-202

23 بيخنريك،الإرهاصات الأولى للخليفة،ص ٨

;D.Perony,"La Ferrassie",Préhistoire 3 (1934),p.1-92

24 H.Günther,"Paläolithische Funde aus dem Mittleren Unstruttal bei Oldisleben",Archäologie in Deutschland 1994,p.4 ;R.G.Bednarik,"The Middle Paleolithic Engravings from Oldisleben,Germany",(in press),fig.8

25 K.Suarpe,"Line Markings,Human or Animal Origin ?",Rock Art Research 21/i(May 2004),pp.57-84

26 R.G.Bednarik,"Art Origins",Anthropos 89 (1994),pp.169-180

- ربما استخدمت القطع الحجرية التي حفرت عليها هذه العلامات و التي عثر عليها في مواضع دفن كعلامات مقابر ، و إن أرجح كثيرون البدايات الأولى لمثل هذا الاستخدام إلى العصر الحجري القديم الأعلى^{٢٧} .

١ : ٢ : ٣ - الزينة الشخصية و الزخرف

الشرق الأدنى : عثر في كهفي قفصة و السخول - فلسطين/ حوالي ١٠٠٠٠٠ ق م على محارات منقوبة ليس لها استخدام نفعي ، و هو ما اعتبر قرينة سلوك رمزي^{٢٨} .

ثانيا : أوروبا : عثر على عظام و أسنان حيوانية منقوبة أو محفورة (لوحة ٤ : ٣-١) في مواقع La Quina ، Bacho Kiro ، Prolom II^{٢٩} .
- تكشف الأدلة الأثرية عن ارتباط الزينة الشخصية في الشرق الأدنى بمواقع دفنات الانسان الحديث ، بينما اقترنت في أوروبا بانسان نياندرتال .
- يعد ظهور الزينة الشخصية ابتكارا مستقلا في الشرق الأدنى/ الانسان الحديث ، و يصعب قبول فكرة انتشارها من جنوب أفريقيا - مهد ظهور الزينة الشخصية حوالي ٧٥٠٠٠ ق م^{٣٠} - إذ تعد نماذج قفصة و السخول أقدم من مثيلاتها هناك .

الشرق الأدنى : عثر على ٧١ قطعه من المغرة الحمراء في كهف قفصة XXII,XVII - فلسطين. تبين وجود آثار كشط و تسخين بغرض الحصول على اللون الأحمر ، الذي وجدت آثاره على بعض الأدوات اللفوازية^{٣١} .

27- P.B.Pettitt,"The Neandertal Dead,Exploring Mortuary Variability in Middle Paleolithic Eurasia",Before Farming 4/1(2002),p.4

28 E.Hovers & S.Ilanı & O.Bar-Yosef and B.Vandermeersch,"An Early Case of Color Symbolism,Ochre Use by Modern Humans in Qafzeh Cave", Current Anthropolog 44/ 4 (2003) ,pp.491-522.

; M.Vanhaeren & F.D'Enrico & C.Stiner & S.L James & J.A.Todd and H.K.Mienis,"Middle Stone Age Shell Beads in Israel and Algeria", Science 312 /5781 (June 23,2006),pp.1785-1788

²⁹ بدناريك، "الإرهاصات الأولى للخليقة"، ص ٧

30 J.Zilhao,"The Emergence of Ornaments and Art,An Archaeological Perspective on the Origins of Behavioral Modernity",Journal of Archeological Research 15/1 (January 30 ,2007) , 10pp.

رأى البعض أن ما ينسب من أدوات ذات طابع زخرفي و يعود إلى ما قبل ٢٠٠٠٠ ق م في شرقي البحر المتوسط قليل العدد و لايعتمد على تواريخ موثوق بها :

O.Bar-Yosef and D.Pilbeam,"The Geography of Neanderthals and Modern Humans in Europe and the Greater Mediterranean",Peabody Museum Bulletin 8 (2000) ,pp.77-106

³¹ Hovers et al,"An Early Case of Color Symbolism",pp. 491-522.

تقيا : أوروبا : يشير التواجد المتزايد للمغرة الحمراء و الهيماتيت قى مواقع العصر الحجري القديم الأوسط - عما كان عليه الأمر فى الباليوليثى الأسفل - إلى عور بفرز للون الأحمر فيما بين ٨٠ - ٧٠ ألف سنة ق م. استدل على ذلك فى عدة مواقع أوروبية. عثر فى Molodova - اوكرانيا على المغرة الحمراء فى وسط ترتيب يضاوى الشكل من عظام الماموث. اقترنت المغرة الحمراء بأدوات موستيرية فى lion cavern - سويسرا ، و كهف Tata - المجر^{٣٢}

-عثر فى Pech de L'Aze - فرنسا على ١٠٣ قطعة من اكسيد المنجنيز ، و قد استدل على آثار استخدام على ٦٧ قطعة منها للحصول على اللون الأسود^{٣٣}.

• يصعب معرفة الغرض من استخدام المغرة الحمراء ، و ذلك للأسباب التالية :

أ- احتمال وجود استخدامات نفعية للمغرة^{٣٤}. ب- أن أقدم معالجة مؤكدة للجسم بشرى بالمغرة ترجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى^{٣٥}. ج- لا سبيل إلى التأكد من ارتباط اللون الأحمر بالبعث أو الموت^{٣٦} ، على الرغم من وجودها فى بعض الدفنات. د- عدم الاستدلال على وجود المغرة الحمراء فى فلسطين قبل عصر الناطقية - حيث يرجح ارتباطها رمزيا بالدم و الحياة^{٣٧} - و هو ما يعنى عينا طوال الباليوليثى الأعلى حول دون امكانية الاستدلال.

٢ - المعتقدات

٢ : ١ - الدفنات البشرية

الشرق الأدنى : دفنات انسان نياندرتال

- كهف الطابون C. I - جبل الكرمل - فلسطين / موستيرى ١٢٠٠٠٠ ق م ؟ :
هيكل امرأة مقترن بأدوات ظرائية (لوحة ٤ : ١)^{٣٨}.

- كهف العمود - شمال غرب الجليلي/ حوالى ٧٠٠٠٠ - ٥٥٠٠٠ ق م : أربعة هياكل تنتمى لجنس انسان نياندرتال أهمها العمود I ، و هو هيكل كامل تقريبا لرجل

³² A.Marshack,"On Paleolithic Ochre and the Early Uses of Color and Symbol",Current Anthropology 22/2 (1981),pp.188-194
³³ P.C.Mellars,The Neanderthal Legacy,Princeton 1996,p.370
³⁴ P.Chase ,"Symbols and Paleolithic Artifacts Style, Standardization, and the Imposition of Arbitrary Form",Journal of Anthropological Archaeology 10 (1991),pp.193-214
³⁵ Pettitt,"The Neandertal Dead",p.9
³⁶ Pettitt,"The Neanderthal dead",p.18
³⁷ Pettitt,"The Neanderthal dead",p.18
³⁸ J.Jelinek,"The Tabun Cave and Paleolithic Man in the Levant", Science 216 / 4553 (June 25 . 1982),pp.1369-1375;N.Mercier & H.Valladas & G.Valladas and J.-L.Reyss,"TL Dates of Burnt Flints from Jelinek's Excavations at Tabun and their Implications",Journal of Archeological Science 22(1995),pp.495-509.

(٢٠ إلى ٣٠ سنة) سجي - عمدا - في وضع قرفصاء على جانبه الأيسر قرب حائط الكهف (لوحة ٤ : ٢) ، والعمود ٧ ، و هو هيكل غير كامل و مفكك لطفل (عشرة أشهر) دفن على جانبه الأيمن في فجوة طبيعية في الجدار الشمالي للكهف. اقترنت بالهيكل عظام غزال *cervus elephas*^{٣٩}.

- كهف الكبارا - شمال شرق قيصرية / طابون B حوالي ٦٠٠٠٠ الف ق م : بقايا ٢٣ هيكل ، و أهمها : هيكل رجل 2 KMH (٣٥ - ٢٥ سنة) يفقد الرأس و الأطراف السفلى (لوحة ٤ : ٣ - ٤) . سجي الرجل في حفرة تقع بين موقدين و عمقها ٢٠ - ٢٥ سم على ظهره. تضمن القبر عظاما حيوانية^{٤٠}
- نهر ابراهيم - حنوبي لبنان / موستيري : هيكل طفل (عشرة سنوات) و معه عظام غزال *Dama mesopotamica*^{٤١} ربما ذبح قربانا للدفن.

- الديرية - منطقة افارين في شمال غرب سوريا / موستيرية : طابون B-C : هيكل ١ في الديرية ٨ / حوالي ٧٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠ ألف ق م : حفرة ضحلة العمق تتضمن هيكلًا لطفل (سنتان) مسجى على ظهره. وضع لوح مستطيل من الحجر الجيري قرب الرأس و قطعة ظران مثلثة الشكل في موضع القلب^{٤٢}.

هيكل ٢ في الديرية ٣ / حوالي ٥٤٠٠٠ - ٤٨٠٠٠ ألف ق م : هيكل لطفل في (٧٠ x ٥٠ x ٢٥ سم) تتضمن ١٤ أداة موستيرية و ١٠٠ قطعة من العظام الحيوانية و بقايا نباتية (لوحة ٤ : ٥)^{٤٣}.

- كهف شانيدار VI - شمالي العراق / حوالي ٥٠٠٠٠ - ٣٥٠٠٠ ق م : تسعة هياكل (طفل وامرأتان و ستة رجال) ، أهمها هيكل لرجل في وضع قرفصاء على

39 H.Sakura, "A State of the skeletons of the Amud man in situ", in: H.Suzuki and F.Takai (eds.), The Amud Man and His Cave Site, Tokyo 1970, pp.117-122; Y.Rak et al, "A Neandertal Infant from Amud Cave, Israel", Journal of Human Evolution 26 (April 1994), p.314

40 O.Bar-Yosef & B.Vandermeersch, "The Excavations of Kebara Cave, Mount Karmel", Current Anthropology 33/5 (1992), pp.528-529

H.Schwarz & W.M.Buha & R.Grün & H.Valladas & O.Bar-Yosef and B.Vandermeersch, "ESR Dating of the Neandertal Site, Kebara Cave, Israel", Journal of Archaeological Science 16 (1989), pp.653-661

41 R.S.Solecki, "A Ritual Middle Palaeolithic Deer Burial at Nahr Ibrahim Cave, Lebanon", Archeologie au Levant, Recueil R. Saidah, CMO 12. Arch. 9, Lyon 1982, p.56

42 T.Akazawa & Y.Dodo & S.Muhsen & Y.Dodo & Y.Abe & Y.Nishiaki & S.Ohta & T.Oguchi and J.Haydal, "Neandertal Infant Burial from Dederiyeh Cave in Syria", Paléorient 21/2 (1995), pp.79-80

43 P.B.Pettitt, "The Neandertal Dead" p.14, fig.7

الجانب الأيسر (لوحة ٤ : ٦ - ٧). كشف تحليل التربة أسفل الهيكل عن وجود آثار ٢٨ نوع من الزهور والنباتات البرية^{٤٤}.

الشرق الأدنى : دفنات الإنسان الحديث :

- قفصة - الكرمل - فلسطين / حوالى ١٠٠٠٠٠ - ٩٠٠٠٠ ق م : ١٨ هيكلًا تنتمي لجنس الإنسان الحديث معظمها غير كاملة و مفككة ، و أهمها : هيكل ٨ قفصة XVII / طابون C : هيكل غير كامل لرجل يقترن بنواة لفلوازية عليها خطوط محزوزة ذات طابع رمزي و قطعتين من المغرة الحمراء. هيكل ٩ قفصة XVII : هيكل كامل لرجل مسجى على جانبه الأيمن ، فى حفرة فى الصخر ، على ظهره و الساقان منتثيان فى الجانب مع وضع اليدين - اللتين وضع فى كل منهما قرن غزال - على جانبى الرقبة .هيكل ١٠ قفصة XVII : هيكل كامل لطفل. هيكل ١١ قفصة XXII/طابون B : أقدم الدفنات ، و تتضمن هيكلًا غير كامل لطفل.هيكل ١٢ قفصة XVII : جمجمة طفل. هيكل ١٣ قفصة XVa طابون C : جمجمة غير كاملة لطفل. هيكل ١٤ قفصة XVII : جمجمة طفل.

هيكل ١٥ قفصة XVII : جزء علوى من هيكل طفل^{٤٥}.

- السخول - B جبل الكرمل - فلسطين / ١٠٠ - ٨٠ الف سنة ق م : ١٤ هيكل لإنسان حديث منها ثلاثة كاملة فى وضع القرفصاء ، و أهمها بغيا هيكل V (لوحة ٤ : ٨) ، و هو لرجل ناضج ، و قد اقترنت به عظمة فك خنزير برى^{٤٦}.

- تل الترمسا - قنا- مصر/ حوالى ٥٥٠٠٠ ق م : هيكل كامل تقريبل لطفل (٨ - ١٠ سنوات) من جنس الإنسان الحديث دفن بعناية جالسا فى ركن خندق عمقه ١٠٠ سم ، الظهر مائل للخلف و الوجه يتجه لأعلى و إلى الأفق الشرقى^{٤٧}.

44 R.S.Solecki, "Two Neandertal Skeletons from Shanidar Cave", Sumer 13 (1957), pp.59-60; R.S.Solecki, "The Shanidar Cave, 1953 Season with Notes concerning the Discovery of the First Paleolithic Skeleton in Iraq", Sumer 9 (1953), pp.230-231; R.S.Solecki, Shanidar: The First Flower People, New York 1971, p.249

45 R.H.Gargett, "Middle Paleolithic Burial is not a Dead Issue, the View from Qafseh, Saint Césaire, Kebara, Amud and Dederiye", Journal of Human Evolution 37 (1999), pp.47-55; O.Bar Yosef & B.Vandermeersch,

"Premiers hommes modernes et Néandertaliens au Proche-Orient, chronologie et culture", in: J.J.Hublin & A.M.Tillier (eds.), Aux origines d'Homo sapiens, Paris 1991, pp.217-250

46 O.Bar-Yosef, "The Chronology of the Middle Paleolithic of the Levant", in: T.Akazawa & K.Aoki and O. Bar-Yosef, Neandertals and Modern Humans in Western Asia, New York 1998, table 1

47 P.M.Vermeersch & S.Stokes & C.Charlier & P.Van Peer & C.Stringer and W.Lindsay, "A Middle Palaeolithic Burial of A Modern Human at Taramsa Hill, Egypt", Antiquity 72/277 (September 1998), pp.475- 484

أوروبا : دفنات إنسان نياندرتال

Dordogne – la Ferrassie جنوب فرنسا / حوالي ٥٠٠٠٠-٣٥٠٠٠ ق م
: سبعة دفنات لإنسان نياندرتال (لوحة ٥ : ١ رجل و امرأة و طفلين و ثلاثة أطفال صغار) : La Ferrassie 1 : هيكل شبه كامل لرجل (٤٥ سنة) في حفرة في مؤخرة الكهف ، سجي الرجل على ظهره و ابن مال إلى اليسار قليلا و عثر معه على شظايا حجرية و عظام تحمل علامات محزوزة و ثلاث قطع حجرية إلى جوار الجمجمة و الذراعين^{٤٨}. La Ferrassie 2 : هيكل شبه كامل لامرأة (٢٥ - ٣٠ سنة) يجاور الهيكل السابق رأسا لرأس. تضمنت أربع حفرات - ثلاثة منها حفرت عمدا و الرابعة محفورة طبيعيا - يبلغ عمقها من ٤٠ إلى ٥٠ سم و قطرها من ٨٠ إلى ٥٠ سم - الدفنات الخمس الباقية (خمسة أطفال)^{٤٩}.

La Ferrassie 3 : هيكل مفكك غير كامل لطفل (١٠ سنوات) في حفرة قطرها ٧٠ سم و عمقها ٣٠-٤٠ سم. La Ferrassie 4, 4a : بقايا عظمية لطفلين في حفرة واحدة مماثلة للسابقة^{٥٠}. La Ferrassie 5 : حفرة تتضمن هيكل غير كامل لطفل و ثلاث أدوات مoustيرية جميلة و يعلوها أحد تسعة تلال منتظمة في ثلاث صفوف^{٥١}.
Ferrassie 6 : هيكل لطفل فصل رأسه و دفن إلى جواره في حفرة طبيعية تغطيها كتلة من الحجر الجيري ، عليها علامات كويبة الشكل^{٥٢}.

La Chapelle aux Saints - جنوب غرب فرنسا / حوالي ٦٠٠٠٠ ق م : هيكل غير كامل لرجل (٥٠ سنة) مسجي على ظهره. وجه الرأس إلى الغرب و الأقدام إلى الشرق في حفرة مستطيلة (١٤٥ x ١٠٠ سم و العمق ٣٠ سم) مع عظام بقرية و ثديية بعضها محترق و مغرة و أدوات ظرائفية (لوحة ٥ : ٢-٣)^{٥٣}.

48 M.Shackley, Neanderthal Man,Hamden 1980,p.87

49 Pettitt,"The Neandertal Dead",p.7,fig.5

50 L.Capitan & D.Perony,"Trois nouveau squelettes humaines fossiles", Rev. Anth.22 (1912),pp.439-440

51 D.Perony,"La Ferrassie",Préhistoire 3 (1934),pp.31-32

52 E.Trinkaus & P.Shipman,The Neandertals,The Changing Image of Mankind,New York 1993,p.255;Perony,"La Ferrassie",pp.33-36

53 M.Boule,"L'homme fossile de la Chapelle aux Saints (Corrèze)", L'Anthropologie 20 (1909),pp.257-271;A.Bouyssonie, Amédée & J.Bouyssonie and L.Bardon,"Découverte d'un squelette humain moustérien à la bouffia de La Chapelle-aux-Saints (Corrèze)"

L'Anthropologie 19 (1908),pp.513-518

- La Moustier - جنوب فرنسا : هيكل لطفل صغير شبه كامل في حفرة (القطر ٥٠ سم و العمق ٤٠ سم)^{٥٤} ، بقايا هيكل لرجل في وضع قرفصاء إلى جانب عظام حيوانية محترقة و مغرة ، و كومة أدوات ظرائية تحت الرأس^{٥٥} .
- Combe Generale - فرنسا: عظام طفل تحمل آثار علامات محزوزة^{٥٦} .
- Roc de Marsal - فرنسا : هيكل لجنين في حفرة صغيرة (لوحة ٥ : ٤)^{٥٧} .
- La Quina - فرنسا : بقايا عظمية مفككة لحوالي ٢٢ هيكل غير كامل^{٥٨} .
- le Regourdou I - جنوب فرنسا : هيكل غير كامل لرجل في وضع قرفصاء. تضمنت حفرة الدفن عظام دب و شظايا ظرائية (لوحة ٥ : ٥)^{٥٩} .
- Moula-Guercy XV - جنوب شرقي فرنسا / حوالي ١٠٠ ألف سنة ق م : ستة هيكل مفككة إلى ٧٨ قطعة عظمية عليها علامات محزوزة^{٦٠} .
- Krapina - Vindija - شمال كرواتيا / حوالي ١٠٠٠٠٠ ق م : ٢٥ هيكلًا لبالغين و أطفال حملت عظامهم المفككة - و العظام الحيوانية الوفيرة الموجودة بالكهف - آثار حزوز و علامات محفورة (لوحة ٥ : ٦)^{٦١} .
- Guattari - Monte Circeo - إيطاليا : جمجمة في وسط دائرة بيضاوية الشكل من الأحجار (لوحة ٥ : ٧). وضعت الجمجمة مقلوبة و قد كسر جانبها الأيمن ، و عثر بالقرب منها على ثلاثة أكوام من عظام حيوانية^{٦٢} .

54 D.Perony, "Le Moustier, ses industries, ses géologiques", Revue Anthropologique 40(1930), pp.48-76, 155-176

55 J.Shreeve, The Neandertal Enigma, New York 1995, p.53

56 F.Bordes, A Tale of Two Caves, New York 1972, p.135

57 F.Bordes & J.Lafille, "Découverte d'un Squelette d' enfant moustérien dans le gisement de Roc de Marsal, commune du Campagne-du-Bugue (Dordogne)", C.R.Séanc.Acad.Sci.Paris 254 (1962), pp.714-715; A.Turq, " Le squelette de l'enfant néandertalien du Roc de Marsal, les données de fouilles", Paléo 1(1989), pp.47-54

58 Pettitt , "The Neandertal Dead" pp.11,17

59 E.Bonifay, "Un ensemble rituel moustérien la La grotte du Règourdou (Montignac, Dordogne)", Proceedings of the 6th International Congress of Prehistoric and Protohistoric Sciences, Rome 1962, pp.136-140; P.Chase & H.Dibble, "Middle Paleolithic Symbolism", Journal of Anthropological Archaeology 6 (1987), pp. 263-296

60 G.Giacobini, "Hyenas or Cannibals, Fifty years of debate on the Guattari Cave Neandertal cranium", Quaternaria Nova 1(1990-91), pp.593-604

61 E.Trinkaus, "Neandertal Mortality Patterns", Journal of Archaeological Science 22 (1995), pp.121—142 ; R.Gore, "The Dawn of Humans, Neandertals", National Geographic 189 (1996), p.27

62 T.D.White & N.Toth & P.G.Chase & G.A.Clark & N.J.Conrad & F. d'Errico & R.H.Gargett & G.Giacobini & A.Pike-Tay and A.Turner, "The Question of Ritual Cannibalism at Grotta Guattari and Comments and Replies", Current Anthropology 32/ 2 (Apr., 1991), pp.118-138

La Roche à Pierrot- قرب Saint Césaire - فرنسا/ حوالي 36000 ق م :
هيكل لرجل بالغ مفكك إلى ٥٠٠ قطعة عظمية مقترنة بأدوات تشاتلبيريونية الصنع (خليط من أدوات العصرين الحجريين القديمين الأوسط و الأعلى) في دائرة قطرها ٧٠ سم يغطيها ركام من الحجر الجيري^{٦٣}.

• يتبين من الأدلة السابقة أن الجسد البشري كان مركزا للحياة الاجتماعية و السلوك الرمزي سواء بالدفن أو الزينة الشخصية^{٦٤}

- ارتبطت دفنات انسان نياندرتال في أوروبا و الشرق الأدنى بمواقع الكهوف و المأوى الصخرية ، و هو ما ساعد على حفظها و حمايتها^{٦٥} ، بينما كشف عن دفنات الانسان الحديث - في الشرق الأدنى - في كهفي قفصة و السخول و في خندق في تل الترمسا في مصر^{٦٦}.

- أرجع البعض ظهور السلوك الجنزي إلى حدوث تطورات تشريحية في المخ البشري تعد مسئولة عن حالات الوعي المتغير و التفكير الديني و الروحاني^{٦٧}.

- أرجع البعض أقدم الدفنات الأوروبية إلى أواخر البلايستوسين الأوسط حوالي ٣٠٠ ألف سنة ق م ، و ذلك استنادا إلى العثور في Sierra Atapuerca - Sima de los Huesos - اسبانيا على خندق يبلغ عمقه ١٤ مترا ، يحتوى على ١٦٠٠ عظمة تخص ما بين ٥٠ - ٣٢ شخصا ينتمى أغلبهم إلى جنس homo heidelbergensis^{٦٨}.
بدفع اختلاط عظام مفككة تنتمى إلى جنسى الانسان المنتصب و انسان نياندرتال و أدوات تنتمى إلى الأشولية العليا و الموسيرية في موضع الكشف إلى عدم التأكد من العصر الذى تم فيه تجميع هذه العظام.

- تتسب دفنات انسان نياندرتال في الشرق الأدنى و أوروبا - عدا la Quina و الطابون - إلى ما بعد ٦٠ ألف سنة ق م^{٦٩}.

⁶³ N.Mercier & H.Valladas & J.L.Joron & J.L.Reyss & F.Lévêque and B.Vandermeersch,"Thermoluminescence Dating of the Late Neandertal Remains from Saint Césaire",Nature 351 (1991),pp.737-739 ; B.Vandermeersch,"Was the Saint Csaire Discovery A Burial" in F.Lévêque & A.M.Backer M.Guilbaud (eds.),Context of A Late Neandertal ,Implications of Multidisciplinary Research for the Transition to Upper Paleolithic Adaptation at Saint Césaire,Charente - Maritime,France, Madison 1993,p.130

⁶⁴ Pettitt,"The Neanderthal dead",p.18

⁶⁵ Pettitt , "The Neandertal Dead",p.4

⁶⁶ E.Trinkaus,"Near Eastern Late Archaic Humans",Paléorient 21/2 (1995),pp.9-23;Gargett,"Middle Paleolithic Burial is not a Dead Issue p.41

⁶⁷ S.Mithen,The Prehistory of the Mind: The Cognitive Origins of Art and Science,London 1996,pp.143.147;R.Joseph,"The Limbic System and the Soul,Evolution and the Neuroanatomy of Religious Experience",Journal of Religion and Science 36/1 (2001),pp.105-136

⁶⁸ P.G.Bahn,"Treasure of the Sierra Atapuerca",Archeology (January-February 1996),pp.45-48

⁶⁹ Pettitt,"The Neandertal Dead",p.1

- تعد دفنات الانسان الحديث في فلسطين/ ١٠٠ - ٩٠ ألف سنة ق م أقدم من دفنات نياندرتال في مناطق شرقي البحر المتوسط^{٧٠} ، و هو ما دعا إلى افتراض ظهوره هناك قبل انسان نياندرتال^{٧١} ، بينما يدعو الأخذ بتاريخ دفنة الطابون إلى الاعتقاد في تواجد الجنسين معا متصلين^{٧٢} أو منفصلين^{٧٣} حوالي ١٠٠٠٠٠ ق م.

- أدى العثور على هيكل ينتمي إلى جنس الانسان الحديث في تل الترمسا إلى افتراض البعض عبور جنس الانسان الحديث من منشئه في شرق أفريقيا إلى شرقي البحر المتوسط عبر بوابة وادي النيل^{٧٤} ، و هو الأمر الذي يشير إليه دليان : أ- التشابه الواضح بين هيكل الترمسا و هياكل جنوب و شرق أفريقيا و الشرق الأدنى. ب - أن موقع الترمسا لم يكن محلا للاستقرار السكنى النسبى ، و إنما كان محطة توقف لصناعة الأدوات الحجرية^{٧٥}.

- يشير التوزيع الجغرافى لدفنات انسان نياندرتال و التحديد الزمنى الخاص بها إلى أن معرفة شعيرة الدفن ليست حكما مطلقا لكل جماعات نياندرتال و فى كل وقت و مكان. الأمر الأقرب إلى الصواب أن بعض جماعات انسان نياندرتال قد عرفت شعيرة الدفن فى بعض مواقع الشرق الأدنى و أوروبا منذ ٦٠٠٠٠ ق م (تكشف المقارنة بين أعداد الهياكل فى الدفنات و ما يقدره العلماء لعدد سكان هذا الجنس عن طابع استثنائى "شعيرة الدفن المستندة إلى"^{٧٦}) ، و هو ما استمرت فى مماثلته جماعات منعزلة من جنس نياندرتال المتأخر خلال الثقافة الشيبيرزية (Saint Césaire / ٣٥٠٠٠ ق م)^{٧٧}.

- عثر على أعداد كبيرة من الهياكل فى كهوف مثل Crapina (٧٥ هيكل تم دفنها عبر ٤٠٠٠٠ سنة) و La Quina (٢٢ هيكل) و La Ferrassie (٧ هياكل) و شاتيدار (٩ هياكل تم دفنها عبر ١٥٠٠٠ سنة) و قفصة (١٨ هيكل) ، و هو ما ربما

⁷⁰ Pettitt , "The Neandertal Dead", p.1

⁷¹ H.Valladas & N.Mercier & J.-L.Joron and J.-L.Reyss, "GIF Laboratory Dates for Middle Paleolithic Levant ", in: T.Akazawa & O. Bar-Yosef (eds.), Neandertals and Modern Humans in Western Asia, New York 1998

⁷² A.Kramer & L.Andrew & L.Crummett, and H.Wolpoff, "Out of Africa and into the Levant , Replacement or admixture in Western Asia ? " , Quaternary International 75 (2001), pp.51-63

⁷³ C.Stringer, "Chronological and Biogeographic Perspectives on Later Human Evolution" In: T.Akazawa & O.Bar-Yosef (eds.), Neandertals and modern humans in Western Asia , New York 1998, pp.29-37

⁷⁴ E.Trinkaus, "Early Modern Humans", Annual Review of Anthropology 34 (October, 2005), pp.207-230

⁷⁵ "The Ancient Tomb of A Young Child", Discover 19/11 (November 1998), 1pp.

⁷⁶ Lubenow, "Recovery of Neandertal mtDNA, An Evaluation", pp.87-97

⁷⁷ Pettitt , "The Neandertal Dead", p.18

يشير إلى طبيعة جنزية خاصة لهذه الكهوف ، كما يشير إلى وجود تقاليد جنزية متوارثة ، و إلى نشأة علاقة المكان / الجماعة لدى هذه الجماعات^{٧٨} ، و ربما أيضا إلى وجود اعتقاد باستمرار توحيد أعضاء الجماعة بعد الموت^{٧٩} .

- قدم Pettitt أربعة مراحل لعمليات الدفن العمدي خلال هذا العصر :

أ- مرحلة اخفاء الجثمان في حفر معدة طبيعيا (Atpuerca ، Crapina). ب- مرحلة الدفن في حفر قليلة العمق من عمل الانسان ، دون أن يصاحب ذلك وضع هبات في المقبرة (دفنات الانسان الحديث في الشرق الأنتى و دفنات نياندرتال في Roc de Marsal ، Le Moustier ، Le Chapelle aux Saints ، La Quina ، Combe 4a ، 4 ، 3 ، La Ferrassie ، Generale) ج- مرحلة وضع الجسم أو جزء منه عمدا و في وضع مقصود في حفرة أعدها الانسان. د- مرحلة ظهور طقوس ما بعد الدفن (إزالة الجمجمة بعد تحلل الجسم في كبارا)^{٨٠} .

الطقوس الجنزية : أحدث وجود الأدوات الحجرية و العظام الحيوانية في الدفنات و وضع النوم الذى وجدت عليه الهياكل جدلا كبيرا بين الباحثين : أ- رجح البعض تصور انسان نياندرتال و الانسان الحديث خلال العصر الحجري القديم الأوسط لوجود حياة أخرى لا تختلف عن الحياة الأولى^{٨١} . ب- أرجع آخرون ذلك إلى شعور بدئى بوجود حياة بعد الموت لا يرقى إلى مستوى الإدراك أو السلوك الرمزي^{٨٢} . ج- ذهب البعض إلى أن عمليات الدفن ليست وليدة شعيرة أخروية ، و لكنها مجرد محاولة لإبعاد الحيوانات الضارية عن مواضع السكنى و لحماية جثث الموتى^{٨٣} . د- رأى البعض الآخر أن الدفن يتضمن إشارة إلى سلوك اجتماعى نحو اعضاء فى الجماعة و الرغبة فى اقامة علاقة مستقبلية ما معهم بعد الموت ، و أن ذلك يمثل بداية لممارسات فكرية و اجتماعية مركبة^{٨٤} . ه- وافق البعض على وجود دفن عمدي لانسان نياندرتال

⁷⁸ Pettitt, "The Neandertal Dead ", p.17

⁷⁹ R.Leaky & R.Lewin, *Origins*, New York 1977, p.125

⁸⁰ أما وجود العظام الحيوانية و الأدوات الحجرية فى موضع الدفن فرجح Pettitt أن يكون نتيجة تصرفات لاحقة ، مرجعا - و مثله آخرون - ظاهرة قرابين المقبرة إلى العصر الحجري القديم الأعلى ، معللا ذلك بوجود الدفنات فى طبقات غنية بالأدوات و العظام أصلا ، و أن الأخذ بفكرة قرابين المقبرة يعنى أن الجماعة أقرت بملكية المتوفى لهذه القرابين :

Pettitt, "The Neanderthal dead", pp.14-18; F.May, *Les Sepultures Préhistoriques*, Paris 1986, pp.11-35; P.Villa, "Comments on Grave Shortcomings", *Current Anthropology* 30 (1989), pp.325-326

⁸¹ Maringer, *Vorgeschichtliche Religion*, Zürich 1956, p.80

⁸² I. Wunn, "Beginnings of Religion", *Numen* 47/4 (November 12, 2000), p.447

⁸³ S.Rudavsky, "The Secret Life of the Neanderthal", *Omni* 14 (1991), pp.42- 44, 55-56

⁸⁴ B.Dickson , *The Dawn of Belief*, Arizona 1990, pp.49-50

، و إن أنكروا معرفته لشعيرة جنزية ، حيث لم تختلف المحتويات في الدفنات عنها في مواقع السكنى ، كما غابت عنها عناصر جوهرية تميز دفنات الباليوليثى الأعلى^{٨٥} .
 - اتفق كثيرون على وجود دفنات عمدية خلال العصر الباليوليثى الأوسط^{٨٦} ، ورأوا في اقترانها بوجود العظام الحيوانية و المواعد و الأدوات دليل طقس جنزى صاحب عملية الدفن^{٨٧} أو هبات مقبرة^{٨٨}. أشير كذلك إلى وضع الزهور عمدا^{٨٩} - و ليس نتيجة حركة الرياح أو الحيوانات كما زعم البعض^{٩٠} - فى دفنة شانيدار ، و إلى أن أصحاب الدفنة ربما أدركوا ما لهذه الزهور من خصائص علاجية ، و أن المتوفى شامان أو طبيب^{٩١}. رأى آخرون فى العثور على مغرة و أدوات و قرون و محارات فى دفنات قفصة دليل هبات مقبرة و سلوك رمزى ، و أن المغرة الحمراء ربما رمزت للموت و اعتبرت بديلا عن الدم المتدفق عند حدوثه^{٩٢}.

85 P.Chase & H.Dibble,"Middle Paleolithic Symbolism:A Review of Current Evidence and Interpretations",*Journal of Anthropological Archaeology* 6 (1987),pp. 274-76.

86 Pettitt , "The Neanderthal dead",p.17

87 M.Shackley,Neanderthal Man,Hamden 1980,pp.103-104

88 J.Shreeve,The Neandertal Enigma,New york 1995,p.53

89 A.I.eroi-Gouldian,"Comments",*Current Anthropology* 30/2 (1989),p.182

90 D.Johanson & B.Edgar,From Lucy to Language,New York 1996,p.100

91 J.D.Sommer,"The Shanidar IV Flower Burial,A Reevaluation of Neandertal Burial Ritual".*Cambridge Archeological Journal* 9 (1999), pp.127-129 ;R.Leaky &

R.Lewin,*Origins*,New York 1977,p.125

92 Hovers et al,"An Early Case of Color Symbolism"p.491

من ناحية أخرى أنكر كثيرون قيام انسان نياندرتال و الانسان الحديث من جنس / proto cro-magnon الباليوليثى الأوسط بدفن موتاهم ، و ذلك على أساس : أ- ان الدفن شكل من أشكال الفكر و السلوك الرمزي الذى لم يبدأ قبل حوالى ٥٠٠٠٠ ق م ب - أن ما لدينا ليس سوى بقايا مفككة و عظام منفصلة فى مجالات لا تتضمن أدلة مادية على الدفن ، و لا تشير إلى أغراض جنزية. ج - أن ما لدينا من دفنات عمدية مزعومة هو - وفقا لظواهر طباقية و طبيعية تتعلق بمواضع العثور على الهياكل (الكهوف و الماوى الصخرية) و بمكونات التربة داخل و حول حفر الدفن - مجرد عمليات حفظ طبيعية و تشكلات جيولوجية (التلال فى La Ferrassie) .

د- ليس لدينا حفر دفن معدة خصيصا للدفن ، أو وجود أوضاع مقصودة لدفن الموتى ، و إنما مجرد سقوط فجائى للصخور أدى إلى الموت و الدفن و ضغط الجثمان فى مساحة ضيقة و تفكك و ضغط العظام و تكسرها. اعتبر هؤلاء هبات المقبرة مجرد تراكمات و شواهد استخدامات لاحقة

R.H.Gargett,Grave shortcomings,*Current Anthropology* 30/2 (1989), pp.157-

190;Gargett,"Middle Paleolithic Burial is not a Dead Issue",pp.30-40;G.Farizy & C.Masset

,"Comments",*Current Anthropology* 30/2 (1989),p.179-180;C.Gamble,"Comments",*Current*

Anthropology 30/2 (1989),p.181;J.Benditt , "Grave Doubts, The Neandertals may not have

buried their Dead after All",*Scientific American* 260 (1989), p32

، و إن كان القول بدور كامل للطبيعة فى دفنات نياندرتال هو أيضا يحتاج إلى دليل مادي واضح :

E.Trinkaus,"Comments",*Current Anthropology* 30/2 (1989), pp.183-184

- رأى البعض في دفنة جمجمة Monte Circeo المكسورة من الجانب دليلا محتملا على اخراج مخ المتوفى و أكله قبل إتمام عملية الدفن^{٩٣}. رأى كثيرون في دفنات krapina , Moula Guercy , Combe Generale , cannibalism أو على إزالة لحم المتوفى، و ذلك في ضوء الاعتبارات التالية : أ - حالة التفكك التي وجدت عليها العظام. ب - وجود علامات على هذه العظام تشبه مثيلاتها على العظام الحيوانية الموجودة في هذه المواقع (علامات عظام وعول و على عظام نياندرتال Moula Guercy)^{٩٤}.

رأى البعض أن العظام البشرية الموجودة في هذه الكهوف هي بقايا طعام ، حيث سعى إلى انسان نياندرتال إلى صيد البشر بغرض الحصول على الطعام. أعتبر آخرون هذه العظام دليلا على أكل لحم المتوفى قبل الدفن للحصول على صفات المتوفى على غرار بعض قبائل البوشمان^{٩٥}. رأى فريق ثالث أن هذه العظام تحمل آثارا لأدوات حجرية خلصت الجسد من اللحم قبل دفنه ربما لمنعه من العودة إلى الحياة^{٩٦}.

يصعب قبول الآراء التي فسرت البقايا العظمية بما عليها من علامات باعتبارها دليلا على أكل لحم البشر ، و ذلك في ضوء الاعتبارات التالية :

يجب وضع علامات العظام لفحص مجهرى دقيق لتحديد إذا كانت لها اسنان حيوانية أو بشرية أو أدوات حجرية أو نتيجة لعوامل طبيعية^{٩٧}. يجب اعتماد الأخذ بفكرة أكل لحوم البشر جزئيا على مقارنات اثنوجرافية استندت إلى روايات قصت على مغامرين و لم تكن نتيجة مشاهدات ، كما أنها وجدت طريقها إلى عقلية أوروبية مستعدة للتصديق^{٩٨}. ج- لا يبدو القول بأكل لحم البشر باعتبارهم طرائد أمرا مقبولا ، فقد توفرت حيوانات الصيد ، كما أن صيد الحيوان كان أسهل كثيرا على انسان نياندرتال من صيد انسان آخر^{٩٩}.

^{٩٣} B.Bower , " Neandertals to Investigators: Can We Talk? " *Science News* 141(1992),p.230;J.peneditt,"Cave Evidence Chews Up Cannibalism Claims",*Science News* 139 (1991),p.341

^{٩٤} M.K.Roper,"A Survey of the Evidence of the Intrahuman Killing in the Pleistocene",*Current Anthropology* 10/4 (1969),pp.427FF.;Wunn, *Beginnings of Religion*,p.442

^{٩٥} R.Gore,"The Dawn of Humans,Neandertals",*National Geographic* 189 (1996),p.27

^{٩٦} Pettitt,"The Neandertal Dead",pp.10- 12

^{٩٧} Wunn,"Beginnings of Religion" ,p.442

^{٩٨} Wunn,"Beginnings of Religion" ,p.441-442

^{٩٩} Wunn,"Beginnings of Religion" , p.442

- كُشف هيكل كبارا عن معالجة خاصة للرأس ، فقد كشف الرأس عمدا و مال قليلا للأمام ثم تمت ازالته بعد تحلل الجسد ، و في MonteCirceo وضعت الجمجمة وحدها عمدا وسط دائرة من الأحجار ربما لأغراض طقسية¹⁰⁰.

٢ : ٢ - الدفنات الحيوانية

الشرق الأدنى : مأوى صخري نهر ابراهيم جنوبي بيروت/٥٠٠٠٠ ق م : عظام غزال Dama mesopotamia مجمعة في كومة تعلوها الجمجمة. تناثرت حول الكومة قطع من المغرة الحمراء و أدوات موستيرية¹⁰¹.

أوروبا : كهف Drachenlock - السويد : جماجم سبعة دببة داخل تكوين حجري يشبه الصندوق مغطى بلوح حجري ضخم . نظمت الجماجم بحيث تواجه مدخل الكهف حيث سكنت جماعة من جنس نياندرتال. حفرت في جدار الكهف ستة كوات تضمن كل منها جمجمة لدب¹⁰².

le Regordou - جنوب فرنسا : عشرون جمجمة للدببة في حفرة مستطيلة و محددة بالأحجار و يغطيها حجر ضخم ، بجوار دفنة لإنسان نياندرتال¹⁰³.

Furtins - فرنسا : سبعة جماجم مرتبة في هيئة دائرة¹⁰⁴.

Bihor - رومانيا : سبعة جماجم دببة مرتبة في شكل شبه صليبي¹⁰⁵.

• عثر في الأرق الألسي على دفنة حيوانية واحدة في موقع نهر ابراهيم ، ربما ماريا يشير إلى وجود فكر استثنائي يتعلق بالدفنات الحيوانية. ربما يشير ترتيب العظام و وجود المغرة - التي جلبت من موضع آخر- إلى استخدام رمزي و دفن شعائري للغزال في طقس سحري يهدف للسيطرة على مملكة الغزلان¹⁰⁶.

- دفعت دفنات عظام دب الكهوف ursus arctus العديدة في أوروبا - خاصة في كهوف جبال الألب¹⁰⁷ إلى الاعتقاد بوجود شعيرة لعبادة دب الكهوف لدى إنسان

¹⁰⁰ A.Leroi-Gourhan, Die Religionen der Vorgeschichte, Frankfurt 1981, p.53-56; W.Henke & H.Rothe, Stammesgeschichte des Menschen, Berlin 1999, p.277; Maringer, Vorgeschichtliche Religion, p.80

¹⁰¹ Solecki, "A Ritual Middle Palaeolithic Deer Burial ", p. 51

¹⁰² F.C.Howell & F.Clark, Early Man, New York 1965, p.127

¹⁰³ Wunn, "Beginnings of Religion", p.437

¹⁰⁴ Leroi-Gourhan, Die Religionen der Vorgeschichte, p.39

¹⁰⁵ C.Lascau & F.Baciu & M.Gligan and S.Sarbu, "A Mousterian Cave Bear Worship Site in Transylvania, Romania ", Journal of Prehistoric Religion 10 (1996), pp.19-20

¹⁰⁶ A.Marshack, "Early Hominid Symbol and Evolution of the Human Capacity", in: P.Mellars, The Emergence of Modern Humans, Ithica 1990, p.481; G.Constable, The Neanderthals. New York 1973, p.82

¹⁰⁷ Wunn, "Beginnings of Religion", pp.435-436

نياندرتال الأوروبي. افترض البعض -بناء على مقارنات اثولوجرافية- أن الدب، و هو أحد أقوى الحيوانات و أحد طرائد الصيد الرئيسية لدى انسان نياندرتال ، ربما اعتبر "سيدا للحيوانات" و تجسيدا لقوة ما في طقوس الصيد^{١٠٨}.

شكك البعض في وجود شعيرة دينية أو سحرية تتعلق بدب الكهوف لدى انسان نياندرتال و ذلك في ضوء الاعتبارات الثلاث التالية :

أ- أن الأماكن الطبيعية لوجود دلائل هذه الشعيرة هي أماكن سكنى جماعات النياندرتال -حيث يجب أن تتم الطقوس- و ليس هذه الكهوف^{١٠٩}. ب- أن غلبة جماجم الدببة في هذه الدفونات ليست نتيجة عمليات انتخاب بشرى ، و إنما ترجع إلى عوامل طبيعية^{١١٠} و تراكمات لعمليات صيد وتخزين ، أو نتيجة عمليات اختباء طبيعية. للدببة في الكهوف حيث أقامت و ماتت و تراكمت عظامها^{١١١}. ج- أن انسان نياندرتال - رغم قدراته العقلية المتقدمة - عاش حياة مادية صرفة ، و

فقط انسان كرومانون هو الذي بدأ الطقوس الدينية المركبة^{١١٢}.

أغفل هؤلاء ما ذكر عن ترتيبات محددة لجماجم الدببة (الدائرية و شبه الصليبية).

كذلك ربما يشير تنظيم الجماجم في Drachenlock - بحيث تواجه مدخل الكهف إلى سلوك رمزي محتمل^{١١٣}. أغفل هؤلاء أهمية الطابع الخفي للكهوف و هم يفترضون وجوب ارتباط الدفونات بمواضع السكنى. أرجع هؤلاء وجود العظام و الجماجم إلى عوامل بيئية لا شبيهة بها. يحتاج أيضا إلى دليل. أنكر هؤلاء أن يكون لانسان نياندرتال فكرا دينيا يتطلب ادراكا رمزيا مركبا ، و إن لم ينكروا عليه وجود عاطفة بدئية دينية^{١١٤}، و هو ما ربما كان كافيا لدفن عظام حيوان ارتبط وجوده بالبقاء أو الموت (عمليات الصيد).

النتائج :

- ظهرت - على يد انسان نياندرتال أو الانسان الحديث - في طور الانتقالى الباليوليثي الأوسط/الأعلى أعمال نحت مجسم proto-sculpture ربما تعلقت بسحر الصيد - في موقعين أوروبيين و موقع في الشرق الأدنى.

¹⁰⁸ M.Eliade, Geschichte der religiösen Ideen, vol. 1, Freiburg 1978, pp. 15-18 ;

J.Campbell, Primitive Mythology, New York 1987, pp. 364-365

¹⁰⁹ Wunn, "Beginnings of Religion", p. 436

¹¹⁰ P.Chase & H.Dibble, "Middle Paleolithic Symbolism", Journal of Anthropological Archaeology 6 (1987), pp. 263-296

¹¹¹ Wunn, "Beginnings of Religion", pp. 436-437

¹¹² B.Kurten, The Cave Bear Story, New York 1976, p. 65

¹¹³ K.Kennedy, Neanderthal Man, Minneapolis 1975, p. 92

¹¹⁴ Wunn, "Beginnings of Religion", p. 447

- توصلت إحدى جماعات نياندرتال في سلوفينيا (نياندرتال) إلى تشكيل ما يعد أقدم فلوت من العظم. تعددت أشكال العلامات المجردة المجهولة المغزى في أوروبا (نياندرتال) و الشرق الأدنى (نياندرتال والانسان الحديث). تضمنت القائمة خطوطاً متوازية و علامات كويبية و مروحية الشكل و الصليب و الزجراج.

- استدل على نشأة مستقلة لفكرة الزينة الشخصية في مواقع نادرة بالشرق الأدنى (الانسان الحديث) و أوروبا (نياندرتال). تزايدت دلائل استخدام المغرة الحمراء التي عثر عليها في دفنات بالشرق الأدنى (نياندرتال و الانسان الحديث) و أوروبا (نياندرتال). ليس من السهل افتراض استخدامها جنزياً. ظهرت في Arcy sur cure (نياندرتال) دلائل أقدم محاولة للحصول على اللون الأسود.

تشير الدلائل إلى ظهور و تطور شعيرة جنزية لدى بعض جماعات نياندرتال (الشرق الأدنى و أوروبا) و الإنسان الحديث (الشرق الأدنى). ربما قدمت قرابين (عظام حيوانية و أدوات حجرية أو مغرة حمراء أو زهور برية) ، و ربما نشأت طقوس ما بعد الدفن (فصل الجمجمة : دفننا كبارا و Crapina). من المستبعد اقتران الدفنات بطقوس أكل لحم الموتى أو إزالة اللحم البشري. تدل الدفنات الحيوانية في نهر ابراهيم و دفنات الدببة في كهوف جبال الألب على وجود محتمل لطقوس سحرية أو أفكار دينية بدائية تتعلق بهذين الحيوانين.

- لعب التمازج الثقافي بين انسان نياندرتال و الانسان الحديث المبكر - منذ ١٠٠٠٠٠ ق م في شرقي المتوسط و ٤٢٠٠٠ ق م في أوروبا - دوراً كبيراً في ظهور كثير من مظاهر السلوك الرمزي في الباليوليثي الأوسط.



٢



١



٣

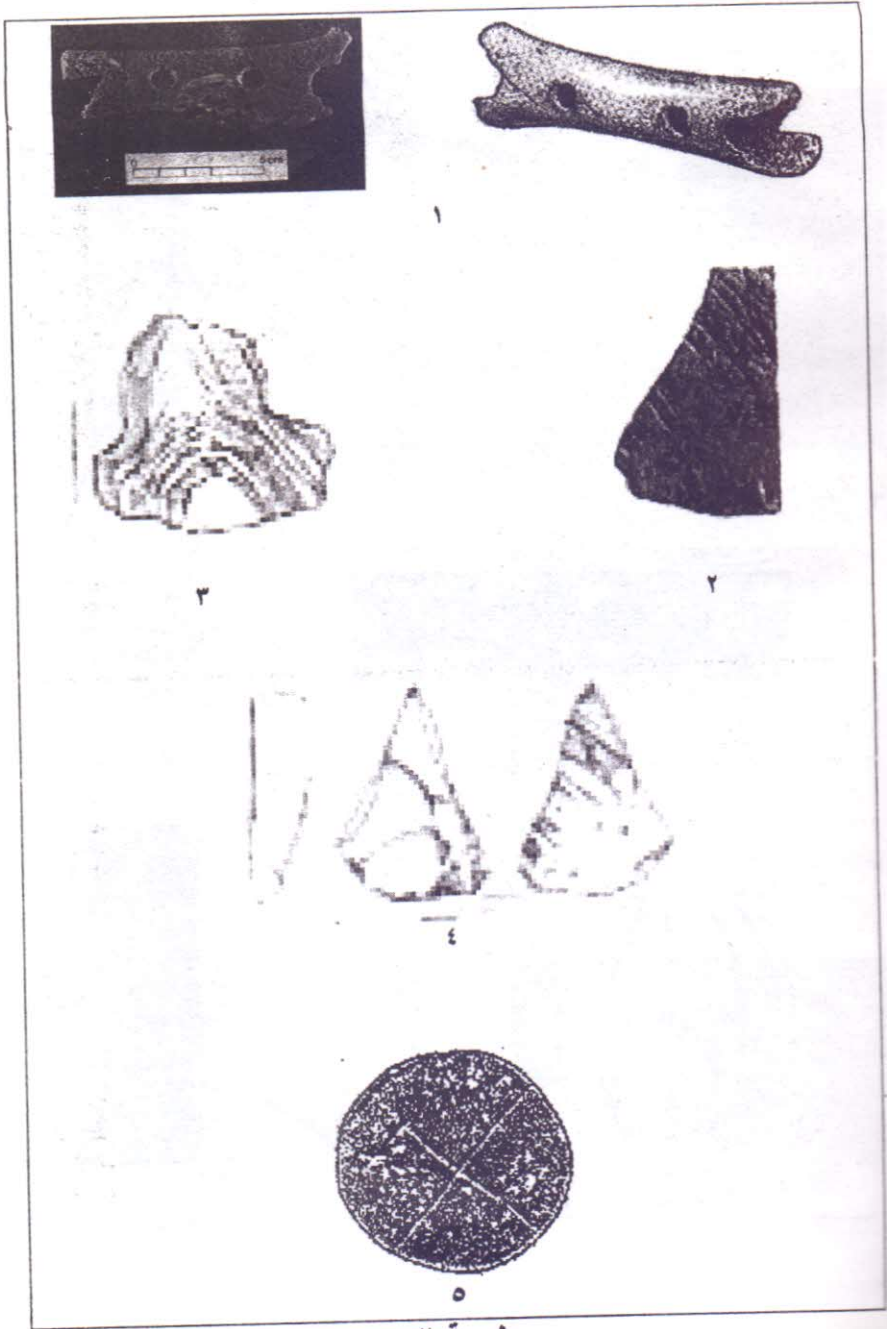


٥

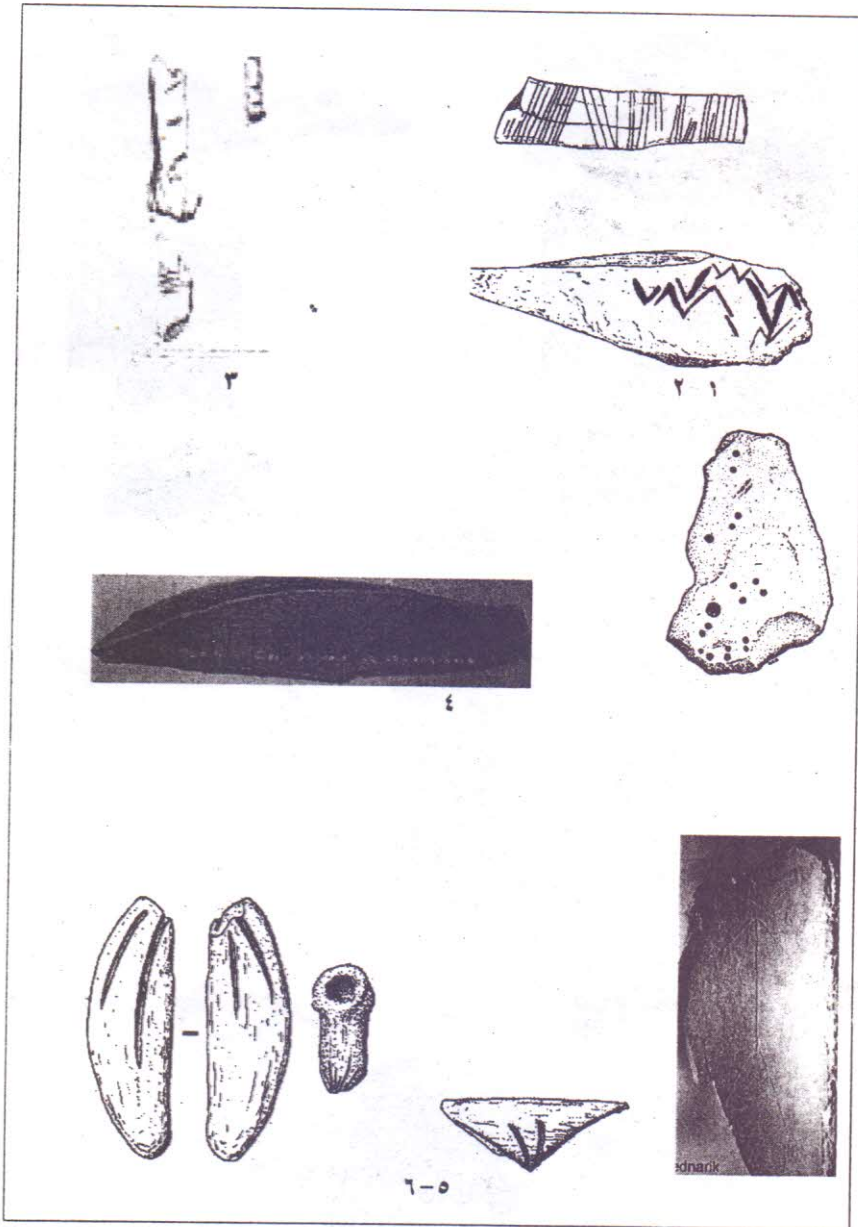


٤

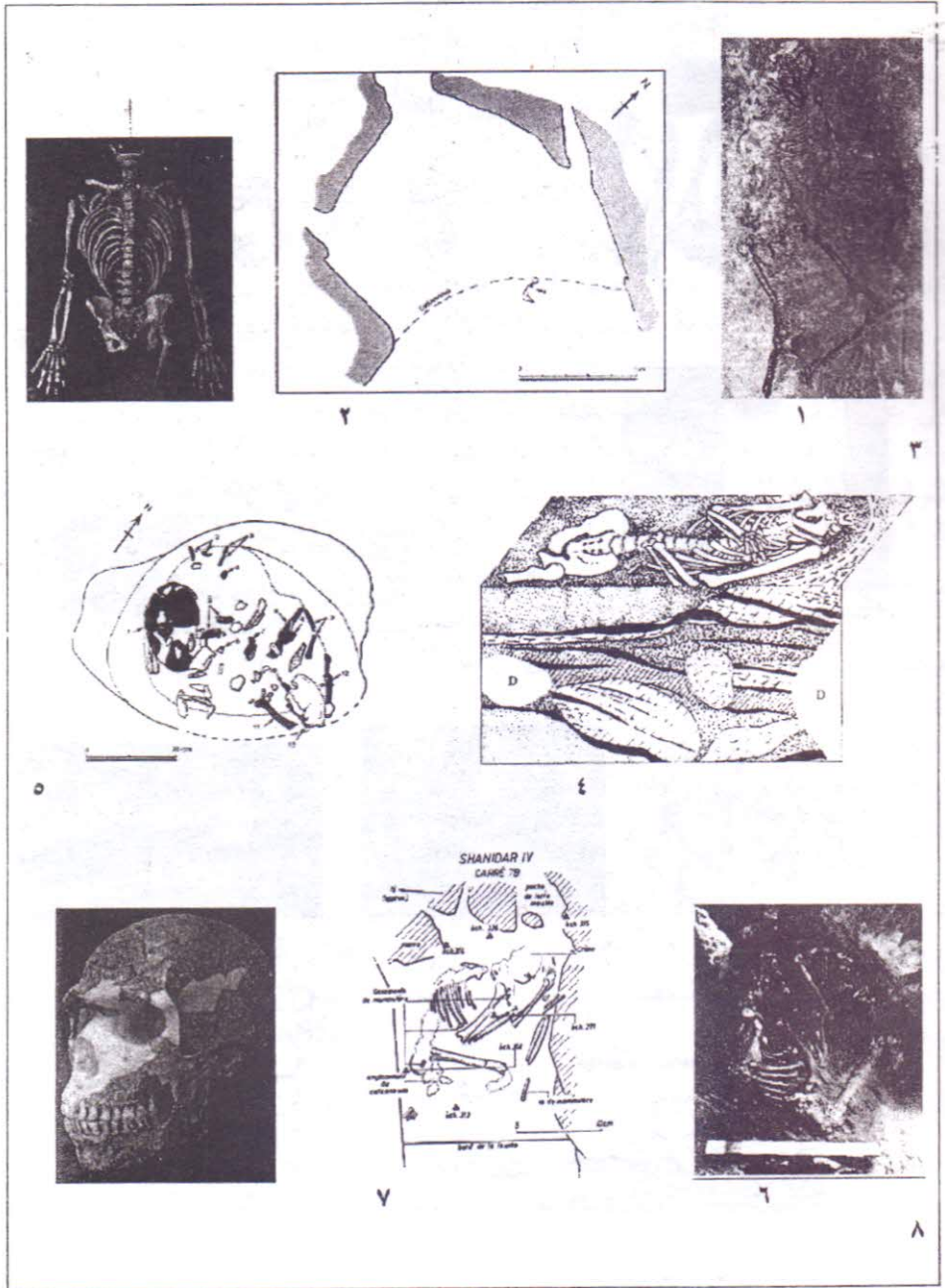
لوحة ١



لوحة ٢



لوحة ٣



لوحة ٤

نماذج عن تطابق الآثار المصرية والرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم. د. أم الخير العقون*

مقدمة

إذا كانت بلاد المغرب القديم خالية مما يمكن اعتباره وثائق حول تاريخها قبل نزول الفينيقيين والإغريق على أرضها، فانه أمام عجز أسلافنا في التوصل إلى وسيلة لكتابة مثل هذه الوثائق*، فقد خفقوا لنا بالمقابل إرثا عظيما، من الفن الجداري أو ما يعرف بالرسوم الصخرية المصاحب أحيانا لبعض الرموز، وهذه الرسومات قليلة بجوار المناطق الساحلية وتكثر بالمناطق الداخلية مثل مرتفعات الأطلس الصحراوي، وهي غزيرة في الجنوب على مرتفعات التاسيلي والهغار...

وقد كانت هذه الرسوم الوسيلة الأولى التي استعملها سكان المنطقة في التخاطب والتواصل طيلة آلاف السنين، فإذا أخذنا على سبيل المثال رسومات مرحلة "رعاة البقر" (وتسبقها مرحلة الصيادين)، وهي أصيلة خالية من كل تأثير يؤرخ لها استنادا إلى عظام الحيوانات المترسبة في مواقع الرسم بحوالي ٥٥٠٠ ق.م يمكننا القول بأنه ابتداء من الألف السادسة قبل الميلاد لم ينقطع عطاء أسلافنا، فرسموا الآلاف من اللوحات، هي مصدر خام فإن لم تكن وثائق تاريخية بذاتها فنحن في "الرائع" وثائق أثرية.

وفي تطور وتسلسل مواضيع هذه الرسومات، نجد أنفسنا أمام حلقات تشهد عن التطور الحضاري لأصحابها، فتمدنا بصور عن التميز الحضاري الذي عرفه المغرب القديم بامتداده الطبيعي للصحراء الوسطى، وتمدنا بصورة مختلفة تتعارض مع تلك التي كثيرا ما يقدمها بعض الكتاب المعاصرين حول التأخر والعجز الحضاري لبلاد المغرب، وبقاءه في غياهب العصور الحجرية لغاية وصول البحارة الفينيقيين إلى المنطقة. ولقد استقى هؤلاء الكتاب معلوماتهم من بعض المصادر الكلاسيكية التي أعطت صورة مشوهة للحقيقة، في حين أن هناك مصدرا أقدم وأقرب من الناحية الجغرافية (إقليميا) والاثنية، وربما اللغوية من أهل المنطقة، هو المصدر المصري.

* كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية تقسم التاريخ و الآثار. جامعة وهران.
* ظهرت محاولات أولى لاستخدام كتابة تصويرية لبيبة في الصحراء الوسطى (و منها تطورت كتابة التيفيناغ) وكانت مصاحبة للرسومات الصخرية في مرحلة العربات والفرسان، ويؤرخ لها في ما بين ١٣٠٠ و ١٢٠٠ ق.م، كما ترى :

-Malika Hachid « la plus ancienne écriture de l'Afrique du Nord, Le Lybique a plus de 3000 ans d'age » in www.agadez.org. Consulté le 12/07/2005.

- المصدر المصري:

إن هناك أكثر من شهادة ودليل على أن سكان المغرب القديم (الأقوام الليبية) كانوا على اتصال دائم ومستمر مع أصحاب أول حضارة تميزت في العالم القديم (الحضارة المصرية)، وقد بدأ ذلك منذ فجر التاريخ أو ما قبله بكثير... فالآثار المصرية وإن تناولت جيرانها في الغرب (المغرب القديم)، لهدف يخصها فإنها بطريقة غير مباشرة تغطي جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ وكيف عاشها أسلافنا الليبيون، وإن تعرضت للأقوام القريبة من النيل ودلتاه، فالحقيقة أن الحياة كانت موجودة في مضارب أخرى عديدة، في قلب الجبال وفي الصحراء، وإلى جانب الأودية الكبرى مثل وادي الساوره، إيغرغر التافاساست، التامنغست.. (وهي أودية جافة في الوقت الحاضر، وكلها موجودة في الصحراء الجزائرية الآن). وكان للحضارة في هذه المضارب فعاليتها وقوتها، وأثبتت الرسوم الصخرية، في الصحراء الوسطى، مقارنة بما ورد على جدران المقابر والمعابد المصرية، أن الأقوام التي جابت ليبيا (المغرب القديم) من النيل شرقا إلى المحيط غربا، وإن اختلفت في الصفات، والملاحم فإنما كانت من سلالة واحدة. وقد لاحظ قدامى المصريين، الوحدة العرقية لهذه القبائل.

غير أنه من المختصين من يعيب هذا المصدر، فهذا الأثري الإنجليزي "أوريك بينس يرى بأن تاريخ الليبيين قبل هيرودوت يجب أن لا يدعى تاريخا.^١ وإن كنا نعتقد بأن الكتابات اليونانية، وخاصة في بدايات اتصالها بالعالم الأفريقي لم تكن إلا بما كان محاذ و قريب من مستعمرتهم في برقة، متجاهلين وغير أبهين بما كان في عمق البلاد المغربية وإن دفع بعضهم الفضول، لم يفلحوا كثيرا لكونهم غرباء عن المنطقة في اللغة والعادات والتقاليد. كما أن لجوءهم للفينيقيين للتحري عن الحقائق لم يأت بنتيجة أمام تكتم هؤلاء.^٢ فأبو التاريخ هيرودوت (٤٨٠-٤٢٠ ق.م) الذي يعد وصفه لسكان المغرب القديم من أقدم المصادر الكلاسيكية من حيث تناولها بشيء من التفصيل، خاصة فيما يتعلق بصفاتهم وبعض أنواع نشاطهم يشير في كتابه الثاني الخاص بمصر، أكثر من مرة لجيرانها في الغرب. أما التفصيل فنجده في كتابه الرابع في ثلاثين ٣٠ فقرة.

و مقارنة بما ألقه غيره فإن هيرودوت يعتبر أوفاهم، لكنه على الرغم من ذلك تبقى معلوماته لا تشفي الغليل، إذ نجد أنفسنا بعد تصفح الكتاب لا نعلم إلا القليل من عادات القبائل الليبية التي أذهلت واستشعرت فضول الكاتب. ويجهل الكثير من الأمور

^١ O.Bates : The eastern libyans.London: Frank Cass & co LTD, 1970..P210.

^٢ العقون أم الخير: الليبيون، وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، جامعة وهران.....ص ٥٧ - ٥٨.

الأساسية عن هذه القبائل. وكثيرا ما يميل إلى المبالغة، والمغالاة، ويربط أحيانا بين ما يراه في البلدان التي زارها من ممارسة للطقوس والمعتقدات الدينية، وبين ما هو موجود في بلاده. فتصل المعلومة مزيفة، وربما عن حسن نية، أما عن الصحراء فهو نفسه يقر بأنه يجهل كل شيء عنها.

أما الآن سوف نعرض نماذج من الرسوم الصخرية تبين لنا مدى تطابق وصنق ما جاء في الآثار المصرية حول سكان المغرب القديم.

أولا: أصل السكان .

في إطار حديثهم عن سكان المغرب القديم (ليبيا) يكاد يتفق الكتاب القدامى من إغريق ورومان حول الأصل الأجنبي للسكان أو على الأقل لجزء منهم . ويلجأ هؤلاء إلى سرد الأساطير لتبرير وجود بعض الملامح و الصفات التي بنت لهم غريبة في قارة إفريقيا، مثل الشعر الأشقر و العيون الزرقاء، فقالوا بأصل شمالي Nordique¹ . و لقد استعلت هذه الادعاءات في التاريخ المعاصر لنشر بنور التفرقة و التجزئة بين أبناء الشعب الواحد.

فهذا هيكتيوس (القرن السادس ق.م) يعتقد بأن أصل سكان ليبيا من الأيونيين الذين نزلوا ناحية سيبوس Cybos (بين بنزرت التونسية، وغاية للجزائرية حاليا). في حين يرى هيرودوت بأن قبيلة الماكسيذ Maxyse (تونس)، تكون قد نزحت من طروادة، و استقرت بالمنطقة² .

أما المؤرخ اللاتيني سالوست Salluste (القرن الأول قبل الميلاد) فيعتقد بأن الميديين و الأرمن اختلطوا مع الليبيين، و كوتوا النوميديين المستقرين، في حين اختلط الفرس بالجيتول و منهم جاء الموريون الرحل، دون أن ينسى التأكيد على أن الليبيين والجيتول (السكان المحليون) متوحشون كالحيوانات³. في حين يرى الجغرافي اللاتيني بطليموس (القرن الثاني ميلادي) بأن قبيلة إنتي Iontii في شمال نوميديا إلى الغرب من طبرقة (تونس) أصلها من الأيونيين الذين أنشأوا مدينة لهم هناك⁴ . و نلاحظ بأن هذه الآراء تنتج جميعها إلى حدوث هجرات و غزوات أجنبية في تاريخ موغل في القدم على شمال إفريقيا، فنتج عن تلك الغزو الشعب الليبي ككل، أو على أقل تقدير جزءا منه. غير أن المصدر المصري و كان أقرب من سكان المغرب القديم، و تربطه بهم صلات حضارية عريقة فيخبرنا عن قبائل ليبية، و إن

¹ G.Camps : les Bérberes « memoires et identités » 2 ed, edition Erance ,1987.P22

² Hérodote :Histoires ,textes etablis et traduits par PH.le Grand, Tome IV,les Belles lettres,1945,para 191, P193

³ Salluste, Guerre de Jugurtha, Para 28,dans historiens romains edit. Gallimard 1968,P 685.

⁴ G.Camps : OPcit , P17 & J.Desanges : les proto-berberes in « Histoires generales de l'Afrique » tome II : Afrique Anciennes,Paris :Unesco,1987P459.

اختلفت في الصفات الجسمانية الظاهرة أو بعض المقومات، إلا أنها من أصل واحد. ويؤكد أصالة البشرة البيضاء و العيون الزرقاء والشعر الأشقر، بين معظم هذه القبائل. لقد كان أول اتصال للمصريين بقبيلة التمحو الليبية التي يحمل أفرادها هذه المواصفات في نصوص الدولة القديمة، إذ ذكرها قائد الجيش المدعو "أوني" في عهد الفرعون بيبي الأول (الأسرة السادسة حوالي ٢٤٠٢-٢٣٧٧ ق.م) ثم تلى ذكرها بعد ذلك على لسان النبيل "حرخوف" حاكم مقاطعة اليفنتين^١، و لم ينقطع ذكرهم بعد ذلك. أما الآثار المصرية فقد احتفظت لنا بصورة هؤلاء التمحو منذ فترة أقدم تعود للأسرة الرابعة (حوالي ٢٦٨٠-٢٥٦٠ ق.م) فقد ظهرت إحدى زوجات الفرعون خوفو على جدران مقبرة ابنها الأمير "خوفوشاف" بنفس مواصفات التمحو^٢. ويخبرنا عالم المصريات الأمريكي جون ويلسون، بأن الأميرة حتب حيرس الثانية ابنة الملك العظيم خوفو كانت شقراء ذات عينين زرقاوين، يتخلل شعرها الأصفر الذهبي خطوطا حمراء دقيقة (على جدران مقبرة إحدى ملكات الأسرة الرابعة). بينما باقي سيدات المقبرة، وفي سائر الجبانة، باللون الأسود المعتاد^٣.

و كذلك ظهرت ابنة حتب حيرس الثانية بلون بشرة بيضاء ناصح، و شعر أشقر، وهي تحلي جبينها بخصلة شعر قصيرة مثل التمحو^٤.

و يعتبر عصر الدولة الحديثة في مصر، من أهم الفترات التي خلفت لنا من المصادر المكتوبة رسومية، التأثير سول الليبيين، فذكرت قبائل غير التمحو ومنها الرنبو و المشواش. و كل أفرادها من ذوي البشرة البيضاء، إلى جانب قبيلة التحنو، ذوي البشرة السمراء.

أما إذا انتقلنا إلى متحف الهواء الطلق تاسلي-إن-أجار و الأهرار، و غيرهما من مواقع الرسومات الصخرية، فينتفح المهتمون بهذا الفن الجداري أن الكثير منها من إنتاج أقوام بيضاء (مرحلة الصيادين). وتمثلهم الرسومات وهم يلبسون سائر العورة، و يضعون الريشة على رؤوسهم، و كان سلاحهم: القوس والرمح، والدرع^٥.

ويجزم "لوت" بأن رسومات وادي جرات (تاسيلي)، وكذلك تلك الموجودة جنوب وهران (الأطلس الصحراوي)، لا يوجد بها أثر للعنصر الزنجي، و كلها للعنصر الأبيض (Europide).^٦ لكن هذا لا يمنع وجود رسومات أخرى ترجع لمرحلة تعرف

^١ E. NewBerry : Ta Tehnu, « Olive land » in anciant Egypt,Cairo, 1915. ..PP 101-102.

^٢ A.Fakhry, The Egyptian Desert Volume I « Bahria Oasis », Cairo:Boulaq Government Press, 1942..P07

^٣ جون ويلسون، الحضارة المصرية: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥، ص ١٧٧

^٤ A.Gardner : Ancient Egyptian anomastica ,Oxford Unv Press, 1945.P 115.

^٥ A.R.Wilcox : The Rock Art of Africa ,H.M.Holmes et Meier publisher inc. New .York 1984, P 44

^٦ H.Lhote : les Gravures rupestres de oued jaret(Tassili-n-ajjer)memoires CRAPE,tome II, Paris1976, P110.

باسم " أصحاب الرؤوس المستديرة" و هي من إنتاج أقوام زنجية . و هذا ما أكدته الأبحاث الميدانية، لشاملا Chamla، حول الهياكل العظمية، التي تبين بأن ٤١ بالمائة* من مجموع عينة الجماجم التي درسها، خال من الصفات الزنجية. وتمثل الإنسان المتوسطي، وهو النموذج الغالب في الصحراء الوسطى، وغير موجود في المناطق المحاذية لها من الجنوب. وأن رجل التوارق الحالي ينحدر من هذا الأصل الذي يتميز بطول القامة، متوسط البنية، مستطيل الرأس، نحيف الوجه. أما الأنف فهو مستقيم، وطويل الأطراف .

وهذا يعني أن سكان المنطقة ليسوا فقط من السود (سمر البشرة)، وإنما أيضا احتوت نسبة عالية من بيض البشرة التي يزعم جمع كبير من الدارسين أنها من تأثير أقوام شمالية غزت شمال إفريقيا. فهذه الرسومات الصخرية التي تعود للآلاف السادسة والخامسة ق.م.، وكذلك الآثار المصرية، التي تعود إلى منتصف الألف الثالثة، كلها تؤكد أصالة البشرة البيضاء في المنطقة قبل ظهور شعوب البحر (الإيجييون) على الساحة بكثير..

ثانيا - الأزياء

من أقدم الآثار المصرية التي وصلت إلينا مرسوم عليها أسلافنا الليبيون هي صلاية الأسد والعقبان، وهو أثر يرجع في تاريخه إلى العصر الثيني في مصر (أي قبل تأسيس الأسرة الأولى). وفي هذا الأثر يظهر الليبيون عراة إلا من جراب العورة (Etui phallique)، ويعتبر هذا الجزء من اللباس من أهم سمات الزي الليبي طوال العصور التاريخية اللاحقة.

وإذا تتبعنا الآثار المصرية عبر مراحل تطورها، نلاحظ بروز مظاهر وأشكال جديدة، منها الشعر الطويل، واللحية المدببة. كما نتبين مدى اهتمام أسلافنا بكيفية وتنوع تسريحات الشعر، والتي في الغالب تميز قبيلة عن أخرى. وكذلك نتبين كيفية تثبيت الريش على الرأس أو تزيين الأذرع والسيقان بالوشم، وأيضا كيفية تثبيت المعطف الخارجي على الكتف، الذي حرص أصحابه على تنسيق ألوانه...

جراب العورة :

كما أسلفت فإن هذه القطعة من اللباس، هي الأساس عند معظم القبائل الليبية (تحنو، تمحو، مشواش) باستثناء قبيلة الريبو. لذلك اختلف الأثريون و المختصون حول مسألة ارتداء هذه القطعة من الثياب وعلاقتها بعملية الختان؛ فاعتبروا أفراد قبيلة الريبو، غير

* كما وجد نسبة ٢٥ بالمائة لنموذج زنجي، و ٣٣ بالمائة لنموذج ثالث مختلط صفات زنجية وأخرى غير زنجية.

¹ M.C.Chamla :les populations anciennes du Sahara et des regions limitrof in Mem.CRAPE IX,Paris,1968...P 200-202.

مختلين لعدم ارتدائهم جراب العورة. غير أنني أعتقد في عدم صحة هذا الرأي، لأن الفرعون رمسيس الثالث عاقب المتحالفين الريبو والمشواش على السواء، بقطع عضو التذكير، و هو عقاب يسلط على النجسين غير المختلين، على الرغم من أن المشواش كانوا يرتدون جراب العورة كما تبين الصورة رقم ١.

لقد أثبتت الرسوم الصخرية في كل المغرب القديم بأن هذه القطعة من اللباس تعود في قدمها إلى العصور الحجرية وأنها كانت من الجلد، و تظهر بجلاء في رسومات على جبال الأطلس الصحراوي مثل لوحة "فجة الخيل" بقسنطينة (شرق الجزائر)، و تمثل رجلا بظفائر منسدلة، وله لحية قصيرة، يرتدي جراب العورة، و يتبعه كيش على رأسه قرص. و أيضا في جنوب وهران، و يبدو الرجل فيها من النوع المتوسطي، كثيف الشعر، يحتفظ بخصلات على الجبهة، له لحية مدبية، و يظهر جزء من جراب العورة في مكان التقاطع بين الذراع و الفخذين و ذيل الحيوان فمرسوم بخط منقطع.

أما لوحة رجل "عين ناقة" بـ"الجلفة" فكان يرتدي جراب العورة، و له شنب و لحية، و يحتفظ بخصلة شعر على الجبهة، و سلاحه القوس، و الرمح. أما تقاسيم وجهه، فتضعه في مجموعة الرجل المتوسطي (انظر الصورة رقم ٨ و ٩).

و مثل هذه الرسومات منتشرة بكثرة في الصحراء الوسطى، فهناك لوحة بوادي جرّات لمحارب ليبي يرتدي جراب العورة و على رأسه ثلاث ريشات. (انظر الصورة رقم ٢) و ألواح أخرى يرتدي أصحابها جراب العورة، ولهم شعر كثيف، و لحية مدبية، و يقربهم الباحثان هوارد و لوكلان بأفراد قبيلة التحنو التي تحمل نفس المواصفات.

الرداء الخارجي (العباءة):

نصادف بوادي الملوك بالأقصر، منظرا يُبين الليبيين ضمن شعوب العالم الأربعة. و يرجع إلى عهد الفرعون سيتي الأول (الأسرة ١٩). وفي هذا النقش، ظهر أربعة أفراد من الشعب الليبي ذوي البشرة البيضاء (القبيلة الوحيدة التي تميز أبنائها بالبشرة السمراء هي التحنو).

وكان الجديد في أزياء الليبيين، هو أن الرجل يطلق لحيته، و يرتي شاربه في أن واحد، بالإضافة إلى الريشتين على الرأس. أما ملابسهم فكانت عبارة عن عباءة فضفاضة تغطي الكتف الأيمن و أعلى الذراع ثم تعقد على الكتف الأيسر بعقدة عريضة. في حين يترك الذراع مكشوفاً، و تحتها يظهر جراب العورة. وبالتالي نخمن

^١.Huard & Leclant : la culture des chasseurs du Nil et du Saharra in Mem.CRAPE,Tome II,Alger,1977..P520. & S.Gzell,Hitoires Anciennes de l'Afrique du nord,Tome VI: "les royaumes indigenes,Reimpression As Nabruck,1972 : Tome VI p 22 p31

أن هؤلاء من المشواش، لأن الرّيبو لا يرتدون جراب العورة. (صورة رقم ٣)، و هي تشبه إلى حد كبير لوحة رسمت في موقع تاهيلاهي Tahilahi (تاسيلي-أن-آجار) تبين جماعة من الرجال بنفس المواصفات: اللحية المدببة، والریشان المثبتان بنفس الطريقة...^١ (الصورة رقم ٤)

و تجدر الإشارة إلى أنه تم العثور في نواحي مدينة بسكرة (الجنوب الشرقي) على رسوم صخرية لأشخاص يرتدون جلود حيوانات مثبتة على كتف واحدة، أي بنفس الطريقة التي كان يتبعها الليبيين في ارتداء عباءاتهم. و يتبادر إلى الذهن بأنهم قد استبدلوا جلود الحيوانات في العصور الحجرية وفجر التاريخ بعباءات من الكتان في العصور التاريخية. (الصورة رقم ٥).

كما استخدم سكان المنطقة في الحروب البونيقية رداء فوق "Pardessus" مصنوع من الصوف عوض الجلد في عصور سابقة^٢. و مازال ليومنا هذا يشترك سكان معظم أقطار المغرب العربي (ليبيا- تونس- الجزائر...) في لباس فوق يشبه عباءة أسلافنا نسميه في الجزائر البرنوس، Burnous و إن اختلفت أطواله و طرق لبسه بين هذه الأقطار...
الريشة:

إن الريشة من العناصر التي حرص فنانو العصور الحجرية، حتى عندما اتبعوا الأسلوب الرمزي، و استغنوا عن الكثير من التفاصيل الأساسية في رسم جسم الإنسان، إلا أن الريشة أو بضع ريشات بقيت شامخة فوق رؤوس سكان المنطقة منذ أقدم المراحل (مرحلة الصيادين) إلى غاية أحدثها (مرحلة العربات و الفرسان)... و الريشة منتشرة بكثرة في رسومات الصحراء الوسطى، وكذلك مرتفعات الأطلس الصحراوي، و لا نجد ضرورة لذكر اسم لوحة معينة أو موقع بعينه، لأن معظم الرسومات متوجة ببضع ريشات مثبتة بطريقة خاصة أو بعضوائية تامة (مثل للصور رقم ٢ و ٤ و ٥ و ٨).

ولذلك اعتقد المشاهد البسيط، و ربما المتخصص نفسه بأن عادة وضع الريش على الرأس كان للزينة لا غير... لكن بالرجوع إلى المصدر المصري و الاستناد إلى صورته و نصوصه، فإنها تفصح لنا عن حقيقة أخرى غير الزينة...
تبين الآثار المصرية بأن الليبيين، اتبعوا طرقا و أساليب مختلفة في تصفيف الشعر، و عليه ريش النعام يثبتونه في الرأس بأساليب ميّزتهم في القبيلة الواحدة. وكذلك ميّزتهم عن غيرهم من الشعوب التي تضع الريش على رؤوسها مثل الزنوج. و الليبيون

¹-K.H Stritter et M.Tauveron : milieu, hommes, et techniques du sahara prehistorique « problemes actuels », Paris, L'harmatton 1994. P65.

²S.Gzell : Op-cit , Tome VI , P 26

الأوائل ثبتوا الريش بشكل منحرف كما توضحه الرسوم الصخرية في العصور الحجرية، وكذلك على الآثار المصرية .

ولقد تنبّه المصري القديم لهذه الخصوصية، لذلك نجد في الكتابة المصرية القديمة أولى العلامات الدالة على الغرب صورة الرأس عليه ريشة كرمز يدل على الكلمة المصرية القديمة "إمنت" أي غرب.

ولقد بقيت هذه التقليدية (وضع الريشة) ملازمة لكل القبائل الليبية باستثناء قبيلة التخنو في الدولة القديمة. ويبدو من النصوص المصرية اللاحقة، أن الريش كان علامة شرف تميّز صاحبها. ولذلك نعتقد بأن عدم وجودها على رؤوس التخنو في الدولة القديمة في أثر الملك العقرب و ختم الملك نعرمر، ثم رسومات معبد الفرعون ساحورع، فهذه كلها تمثل مشاهد انهزام التخنو.

والنصوص المصرية تؤكد في السطر السادس من لوحة اسرائيل في عهد الفرعون مرتبتاح (الأسرة ١٩) الذي انتصر على الأمير الليبي "مري بن دد": "...الرئيس الخسيس لليبو الذي فرّ تحت جناح الليل وحيدا بغير ريشة فوق رأسه".^١ وفي موضع آخر "إن الحظ اختطف من الزعيم مري بن دد ريشته"^٢. والنصان يشيران إلى العلاقة الوطيدة بين الريشة وحالة الشخص، فعدم وضعها يشير إلى إنهزامه، وكذلك كان حال التخنو في الدولة القديمة..

لكن الريشة بقيت واضحة بعد ذلك على رؤوس التمحو، والريبو والمشواش على جدران المعابد والمقابر المصرية القديمة، في حالات السلم، وقلما نجدها في مناظر تمثل معارك .

ولما انهزم المشواش على يد الفرعون رمسيس الثالث، نكسوا الريشة فوق رؤوسهم، فأصبحت أفقية مع رؤوسهم*، عكس الريبو الذين احتضوا بها منتصبه عمودية. ويعلل يويوت ذلك: "بأن الريبو نزلوا متأخرين إلى الدلتا المصرية، بعد إقامة دولة المشواش"^٣.

^١ ألن جاردنرز مصر الفرعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٣٠١

^٢ ألن جاردنرز نفس المرجع، ص ٤٢٧

* كما تبينه لوحة النصر للملك بي عنخ معروضة بالمتحف المصري تحت رقم ٤٨٨٦٢-، الركن الشمالي الغربي من اللوحة، تبين زعماء المشواش وهم ساجدون والريشة منكبة، فتظهر أفقية على الرأس.

^٣ J.Yoyotte, les Principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne, melanges maspero, T 66, le caire : IFAO, 1961. P123.

وبقي الليبيون متمسكين بتقاليدهم و رموزهم، فحافظوا على الريشة فوق رؤوسهم، وقد أشار الملك الكوشي- بي عنخ- " لأمرء الأسرة ٢٣ الليبيين" الأمرء الليبيون الذين على رأسهم ريش".^١

وهكذا فقد بينت لنا الآثار المصرية كنه وسر هذه الريشة، إذ كانت رمز شرف الليبيين في أوقات السلم و الحرب حيث اختص بها علياً القوم، لغاية القرن ٦ ميلادي، فقد وصف كوربيوس *Corripus* الزعماء الليبيين بـ *Pinnatus* بمعنى الأمرء الذين يضعون الريش على رؤوسهم.^٢

إشارة إبعاد الشر *Manu carrnuta*

وهي إشارة معينة باليد ترفع في وجه الأعداء، وتستخدم لإبعاد الشر، يتم فيها لف الأصابع بحيث تعطي اليد إشارة على هيئة قرن أو أكثر، وتظهر مثل الحرف اللاتيني Y، وكانت هذه الإشارة تعمل إما بإبهام اليد والأصابع الأمامية، أو بإبهام والأصبع الصغرى، وتُشهر في وجه العدو. وينسبها عدد من الباحثين إلى شعوب البحر لانتشارها الشائع بينهم.^٣

ولم تصادف هذه الإشارة في الآثار المصرية لغاية الدولة الحديثة لما زالت العلاقة بين المصريين وجيرانهم غرباً، سوءاً بسبب تفاقم الصراع و شنته، فأمسيت الغارات الخاطفة أثناء الدولتين القديمة والوسطى حروباً طويلة منظمة، فظهر العداء سافراً بين الطرفين، مما تطلب الاستعانة بهذه الإشارة في هذا الوقت بالذات، وليس قبل ذلك. مما جعلنا لا نستبعد احتمال معرفة الليبيين، أو بعضهم (المشواش) لها من قبل.

و يبدو أن أول من استخدمها حسب الآثار المصرية رجل ليبيي ضد الفرعون سيتي الأول، كما تصادفها مرتين، استخدمها أصحابها ضد الفرعون رمسيس الثاني، و استخدمها أيضاً زعيم المشواش "مششر" ضد رمسيس الثالث مرات عديدة كما تظهره الرسوم على جدران معبد مدينة هابو (الصورة رقم ٦).

هذا ويشير "وانريت" بأن هذه الإشارة انتشرت بين الفلسطينيين "Philistins"، وكانوا أول شعوب البحر استخدموها، وأن الفلسطينيين لم تكن لهم علاقة بالمشواش، ولم يتحالفوا معهم؛ لذلك فهو يستبعد ضمناً أن يكون الشردين قد نقلوها للمشواش.

و من جانب آخر، أشار الباحث "هوارد" في دراسته المستفيضة لتقافة الصيادين بالصحراء الوسطى، والتي ترجع إلى العصور الحجرية بأن هؤلاء الصيادين عراة

^١ J.H. Bresard :ancient records of Egypt , Historical documents, Part IV,University of Chicago press,London,1906-1907. para 877- 878

^٢ S.Gzell OP-cit.Tome VI P31.

^٣ G.AWain Wright :The Meshwech in J.E.A n48,London,1962.P93.

^٤ Wain Wright,ibid,P97

مزودين بذيل حيوان يُربط بالحزام من خلف. في حين يلتصق به من الأمام جراب العورة متسلحين بالأقواس والهراوات، يستخدمون الإشارة باليد على شكل حرف Y اللاتيني بثلاثة أغصان.^١

ونصادف هذه الإشارة نفسها متجنزة في ثقافة أصحاب الرسوم الصخرية بالصحراء الوسطى، كما تبينه الصورة رقم ٧ .

ثالثا: المعدات الحربية :

منذ العصور الحجرية، و طوال العصور التاريخية استخدم سكان المغرب القديم كبقية الشعوب القديمة السلاح للحصول على غذائه أو للدفاع عن نفسه. ولقد تنوعت هذه الأسلحة تبعا للتطور الحضاري. ومن الأسلحة الأكثر بدائية يمكن ذكر الهراوة و العصا المعقوفة، Boomeran.

عصا الرماية (المعقوفة):

يعود أقدم أثر لها في المصدر المصري إلى النصف الثاني من الألف الرابعة ق.م، و هو أثر للملك العقرب (قبل توحيد مصر). ويحتفظ المتحف المصري بجزء منه تحت رقم J.E 27434. و يسمى لوحة الحصون والغنائم، وتحتوي هذه اللوحة على الكتابة التصويرية التي تعدّ من أقدم الكتابات الدالة على أرض التخنو، واتُخذت فيما بعد رمزا تقليديا يشير إلى ليبيا في النقوش المصرية، ومنها ختم الملك نعرمر (الأسرة ١) معبد الفرعون ساحورة (الأسرة الخامسة) .

و هذه العلامة هي رمز "البومرنغ" أي العصا المعقوفة^٢، وهي الأداة التي استخدمها سكان المنطقة كأداة صيد وبقي استخدامها ساريا. ويظهر على مقبرة "خنوم حتب" ببني حسن فرد من قبيلة التمحو يحمل في يده اليمنى عصا الرماية في عهد أمنمحات الأول الأسرة ١٢ (انظر الصورة رقم ٠٩). ويظهر أحد جنود المرتزقة الليبيين، بجيش إمنتحتب الرابع (إخناتون) مسلحا بواحدة منها أيضا..

أما في مرتفعات الصحراء الوسطى فالعصا المعقوفة منتشرة بكثرة في مواضيع الرسوم الصخرية، و قد بدا صيادو المنطقة مسلحين بها، و تشهد على ذلك الصورة رقم ٠٨ .

الأقواس:

استخدم أهل المغرب القديم الأقواس، وكانت بأشكال مختلفة منها المستديرة والمثلثة. و نصادفها في رسومات على جدران معبد الكرنك ترجع في تاريخها إلى عهد الفرعون سيتي الأول، لما حارب الليبيين. كما غنم بعد ذلك الفرعون مرنبتاح، ثلاثة آلاف

^١ P Huard : Contribution Saharienne a l'etude de questions interesant l'egypte ancienne ,BSFE,N45 ,Dardogne 1966,P15.

^٢ J.Vercoutter : l'Egypte et la vallée du Nil ,Tome I « des origines a la fin de l'ancien empire de 12000 a 2000 A.c) ,Paris ,PUF, 1992, P196.

قوس^١، وتظهر الأقواس أيضا على جدران معبد مدينة هابو في حروب رمسيس الثالث مع المشواش الذين كانوا يحملون جعابا لحفظ السهام. خُلف ظهورهم، و غنم رمسيس الثالث في حربه الثانية، سنة مئة وثلاثة أقواس^٢.

وتبين لنا الرسوم الصخرية بأن استخدام الأقواس بين سكان المغرب القديم يزجع إلى العصور الحجرية، فقد عثر الباحثون على رؤوس سهام في مواقع نيوليتية مختلفة، منها موقع بريزينا (البيض جنوب وهران) وتبليلة (غرب الساورة ورقان).. كما تظهر رسومات الأقواس في مواقع بريزينا، رقان، التاسيلي.. وهي من النوع المستدير. أما النوع المثلث فيشبه الأقواس المصرية (الصورة رقم ٢).

الدرع:

الدرع من الأسلحة الدفاعية التي يدافع بها المحارب عن نفسه، وإن كانت هناك مراجع تقول بأن الليبي كان ينقصه هذا النوع من السلاح^٣ بينما يرى آخرون بأن الليبيين كانوا يحتمون من ضربات أعدائهم بجزء من ثيابهم، وذلك لغياب الأسلحة الدفاعية^٤. غير أن الجغرافي سترابون (٥٨ ق.م - ٢٥م)، يقول بأن الدرع الدائرية المصنوعة من الجلد لم يكن يفارق الليبي أبداً^٥.

وتؤكد الآثار المصرية ما قاله سترابون حيث تبين رسومات معبد الكرنك المحارب الليبي وقد استخدم الدروع والخوذات وقاية له من ضربات السيوف. ويرجع استخدام الليبي الدرع إلى مرحلة العصور الحجرية، كما تثبتته رسومات صخرية بضواحي بسكرة وأخرى جنوب وهران (الأطلس الصحراوي). وتبدو الدروع مصنوعة من جلد حيوان مثبت على إطار من خشب، ودروع وهران نوعان: دائري وبيضاوي.

وتجدر الإشارة في هذا المقام بأن الآلهة الليبية "نيت" كان يُرمز لها بدرع من جلد حيوان مثبت على إطار خشبي يتقاطع فوقه سهمان^٦. ولقد زين أفراد قبيلة الريبو أذرعهم وسيقانهم بمثل هذا الرمز (نيت) كما يظهر على جدران مقبرة الملك سيبي الأول منظر شعوب العالم الأربعة. (انظر الصورة رقم (٥٣)).

^١ J.H Breasted :OP-cit : Part III P 253.

^٢ J.H Breasted Ibid Part IV P 66.

^٣ WainWright : OP-cit, P 95.

^٤ S.Gzell : Op-cit : Tome VI,P50

^٥ Strabon: Geographica trad.Armédée tardieu ,paris :Hachette et c.Dentoie,edit 1986. livre 17,para 4,P473.

^٦ - محمد عبد القادر محمد الديانة في مصر الفرعونية، القاهرة دار المعارف، ١٩٨٤، ص ٢٢٩.

السيوف:

إلى جانب الأسلحة المذكورة سالفا، استخدم سكان المغرب القديم أسلحة أخرى منها السيف، وإن كان الكلاسيكيون، ومنهم ديودور الصقلي (يوناني ٩٠-٢٠ ق.م) الذي يرى بأن الليبيين في الصحراء ما بين مصر والسرت لم يستخدموا السيف .

ويذهب تيت ليف Tite Live (روماني ٦٤ ق.م - ١٧ م) إلى أبعد من ذلك، ويخبرنا بأن الجندي النوميدي في الحروب البونيقية لم يتسلح بالسيف ولم يكن يعرفه.

أما من المتخصصين المعاصرين في تاريخ شمال إفريقيا القديم، و منهم قزال فيجزم بأن الاستخدام الفعلي للسيف في شمال إفريقيا يعود إلى القرن السادس الميلادي فقط^١.

في حين أننا نصادف في آثار مصرية من القرن الثالث عشر ق.م، وأخرى من القرن الثاني عشر ق.م، تشهد بأن الفرعون مرنبتاح استولى على ٩١١١ سيف برونزي من سيوف المشواش^٢. بينما استولى الفرعون رمسيس الثالث فيما بعد من أعدائه المشواش

على نوعين من السيوف: ١٢٩ سيفا طول الواحد منها أربعة أذرع و ١١٦ سيفا طول كل منها ثلاثة أذرع^٣، وقد كانت هذه السيوف الطويلة ذات نصل معدني ومقبض من خشب، و كان استخدامها قاصرا على المشواش دون غيرهم من القبائل الليبية، كما

تبينه نقوش جدران معبد مدينة هابو^٤. (أنظر الصورة رقم ١٠)

ويرى فريق من الباحثين بأن المشواش قوم من البدو الرحل، يسكنون الصحراء، وقد تحصلوا على السيوف الطويلة من خارج بلادهم، ومن أقوام أكثر تحضر منهم كما يذهب إلى ذلك كل من "بييس" و "هولتشر" .

ويفسر "وانرايت" بأن الصلة بين الليبيين و شعوب البحر كانت وثيقة إبان حروبهم مع فراعنة الأسرتين المصريتين ١٩ و ٢٠، وأنهم أخذوا من شعوب البحر مهارة ركوب الخيل و استخدام السيوف الطويلة^٥.

وينفي "بييس" أيضا عن الليبيين إمكانية صنع مثل هذه السيوف، بسبب ندرة المعادن (البرونز) في أوطانهم، و أنهم كانوا عاجزين على إصلاح ما تحصلوا عليه من حلفائهم شعوب البحر. و هذا ما يفسر قلة عدد السيوف التي غنمها رمسيس الثالث مقارنة بما غنمه مرنبتاح قبله^٦.

أما "قزال" فيربط معرفة و استخدام سكان المنطقة لمعدن البرونز بنزول البحارة الفينيقيين على سواحل شمال إفريقيا^٧.

^١ S.Gzell : OP-cit, TomeVI,P66

^٢ J.H.Breasted : OP-cit,Part III,p 253.

^٣ Edgarton & Wilson: Historical records of Ramses III,Chicago 1936, PP 64-65.

^٤ J.H.Breasted : OP-cit,part IV, P66.

^٥ Wainwright :OP-cit,P94-95.

^٦ O.Bates : the eastern libyans,P143.

^٧ S.Gzell,OpCit,Tome I ,p212.

وبعد عرض آراء بعضهم نلاحظ بأن هؤلاء الباحثين قد ربطوا بين الاستخدام المتأخر للقبائل الليبية للسيوف في وقت تزامن و استخدامها من طرف شعوب البحر، و نستشعر أيضا نوعا من التحامل على شمال إفريقيا في تفهيم لوجود عصر برونز واضح المعالم به .

إذا عجزت رسومات المحاربين المشواش المدججين بالسيوف والخناجر، على جدران معبد هابو على إقناعهم - الذين أرجعوا هذا الاستخدام لاستعارة من شعوب البحر- فإن هناك من الدلائل سواء في الآثار المصرية أو الرسوم الصخرية ما يخالف هذا الرأي:

- هناك منظر على مقبرة " بني حسن" في عهد "أمنحات الأول" الأسرة ١٢ (القرن العشرون ق.م)، به قافلة من التمحو الليبيين مهاجرة إلى مصر . و يبدو الرجل يحمل على كتفه الأيسر سيفاً معدنيا غير طويل، وتتبعه زوجته تحمل طفلها على ظهرها.^١ (الصورة رقم ٩)

- كما يوجد نص يعود في تاريخه إلى عهد الفرعون أمنحتب الثالث (الأسرة ١٨ القرن الرابع عشر ق.م)، يذكر قوم المشواش كصناع معدن، ومربي ماشية سميحة لا تتشأ عند الرعاة في بادية و إنما في أرض بها ماء و كلاً كثير .

- أما في الرسوم الصخرية، فهناك لوحات واضحة كل الوضوح، في مرتفعات الأطلس الصحراوي بمراكش، لفؤوس و خناجر و رماح كله من المعدن، يؤرخ لها بفترة ما بين ١٧٠٠ و ١٤٠٠ ق.م^٢ (أنظر الصورة ١١)، بعيدا عن نطاق تحرك شعوب البحر، وقبل ظهوره على شواطئ شمال إفريقيا. كما أسفرت التنقيبات الأثرية على أعداد كثيرة من الأدوات المعدنية في كل أنحاء المغرب القديم ...

نخلص مما سبق ذكره بأن المعادن ومنها البرونز، وان تأخر ظهورها في شمال إفريقيا فإنما كان سابقا لظهور شعوب البحر على الساحة، و كان ظهوره بعيدا عن مجال تأثيرهم، كما تشهد على ذلك الرسوم الصخرية... أما النقطة الثانية في هذا الافتراض، فهو استعارة الليبيين للسيوف الطويلة من حلفائهم شعوب البحر.

- إن الاحتكاك الوحيد بين شعوب البحر و قبائل الريبو و المشواش الليبية، حدث في حربهم مع الفرعون مرنبتاح، فشعوب البحر وبعد أن أخضعوا جزيرة كريت إتجهوا جنوبا. و كان الشاطئ الإفريقي عند برقة أقرب إليهم حوالي ٢٨٠ كم. ومنها نشأت

^١ - P.E.NewBerry : Beni hassan , part I, London 1893, planche 45.

^٢ A.Nibbi : Lapwings and Libyans in Ancient Egypt, Oxford, B.O.Card press, 1986..P77.

^٣ G.Camps, aux origines de la Berberie « monuments et rites runereres » Paris : Arts et metiers Graphiques, 1961 , P446.

علاقات ودية بين هذه الشعوب وبين قبيلة الريبو^١. و انضم خمس قبائل منهم إلى القبائل الليبية و هاجموا مصر في العام الخامس من حكم مرنبتاح تحت قيادة "مري بن دد" زعيم قبيلة الريبو. و لم يدخل بعد ذلك شعوب البحر في أي حلف مع الليبيين، فظهورهم على جدران معبد مدينة هابو إنما كان بصفتهم مرتزقة ضمن الجيش المصري ..

- في الحربين الليبيتين ضد مرنبتاح ثم رمسيس الثالث، تظهر السيوف الطويلة في أيدي المشواش و ليس في أيدي الريبو. علما بأن نزول شعوب البحر كان في موطن الريبو، وانضمامهم إلى حلف القبائل الليبية، إنما كان يتزعمه رئيس الريبو وليس رئيس المشواش.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو، لماذا كانت هذه السيوف الطويلة في أيدي المشواش وهم أبعد القبائل على حدود مصر*، الذين وصفهم بريستد بأنهم قوم متمدنون، ماهرون في الفنون الحربية، مسلحون جيدا.^٢

وفي الختام نستخلص بأن هذه الدلائل تشير في مجموعها إلى أن المشواش كانوا صناع معدن (كما أشارت إلى ذلك النصوص المصرية). و أن موطنهم البعيد يحتوي على المعادن أو على اتصال بأصحاب معادن غير شعوب البحر، و إنما عن طريق شبه جزيرة أيبيريا، حيث أقام الفينيقيون لاحقا مستوطنة قادش، و كذلك بموريطانيا والنيجر، موطن النحاس...

إن الاستعارة عن شعوب البحر كانت محدودة في شكل السيف و طوله فقط. وكانت بطريقة غير مباشرة، بمعنى أن المشواش قد استعاروه عن المصريين الذين أخذوه بدورهم عن شعوب البحر. وهذا في نظري ما يفسر عدم استخدام الريبو للسيوف الطويلة ..

العربة:

أما النوع الآخر من الأسلحة التي عرفها و استخدمها قدامى الليبيين فهي العربة. وتشهد آثار مدينة هابو لأول مرة في تاريخ العلاقات الليبية المصرية بأن الفرعون

^١ J. Wislon : The Libyans and the end of Egyptian empire in AJSL,n47,Chicago,1935.P75.

^٢ J. Wilson :Ibid,P77.

* هناك شبه اجماع بين علماء المصريات بأن موطن المشواش يقع غرب بحيرة تريتوليس (شط الجريد بتونس حاليا)

^٣ ج.هـ. بريستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسن كمال، ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص ٣٨١. و أيضا ألن جاردنر : المرجع السابق، ص ٣١٢.

رسميس الثالث قد غنم في حربه الثانية ضد القبائل الليبية بزعامة المشواش ٩٢ عرية^١ و ١٨٤ من الخيول^٢، بمعنى أن هذه العربات كان يجرها زوج من الخيول. ويشهد هيرودوت في القرن الخامس ق.م، بأن الجرمانيين كانوا يتعقبون الاثيوبيين التروفلوديت على عربات تجرها أربعة من الأحصنة. أما نساء " زواش " Zauces جيران تماكسيين (شط الجريد - تونس) فتقطن العربات الحربية^٣ (الصورة رقم ١٢) وإذا رجعنا إلى متحف الهواء الطلق في كل من مرتفعات الأهاغار والتاسيلي وبعض مرتفعات الأطلس الصحراوي، نجد رسومات العربات بأعداد كثيرة، وخاصة النوع الذي أطلق عليه "هنري لوت" "العربات الطائرة التي تسابق الرياح". (الصورة رقم ١٣) وقد اكتب على دراسة هذه الرسومات عدد من المتخصصين وجمعوها في مرحلة Les cabalins (العربات) و تليها مرحلة الخيالة Equidiens ، ويؤرخ للأولى فيما بين ١٥٠٠-١٢٠٠ ق.م.

تبين رسوم العربات في الصحراء الوسطى نوعان من العربات: واحدة تجرها أربعة أحصنة (كما وصفها هيرودوت الصورة ١٢)، أو أربعة ثيران، وهي ثقيلة الوزن، استخدمها أصحابها لنقل البضائع و يمتطيها أكثر من راكب. و عربات أخرى يجرها زوج من الأحصنة كما ورد في نصوص مدينة هابو، وهذه خفيفة الوزن ذات عجلتين يمتطيها شخص واحد قد تكون استعراضية يمتطيها الحكام ونبلاء القوم أو تكون حربية أو للتدريب...

ويظهر أصحاب هذه العربات في الصحراء الوسطى، ظهرت معهم معالم مقومات حضارة جديدة غيرت من أوضاع المنطقة. لذلك أثارت هذه العربات وأشكالها وأنواعها ومجال استعمالها، وخاصة أصلها ومصدرها جدلا بين الباحثين. فربطها بعضهم بظهور المعادن وظهور شعب جديد في المنطقة، لأن أصحاب هذه العربات كانوا بيض البشرة زرق العينين، مسلحين برماح رؤسها معدنية، وسيوف و خناجر^٤ ويعتقد لوت "بأن أقواما شمالية (كريت) قد نقلوا لسكان شمال إفريقيا الدروع المستديرة و الرماح المعدنية والحصان والعربة". ويشاطره هذا الرأي كثيرون منهم "بيتس" الذي يرى أيضا بأن الليبيين قلدوا الكريتيين حتى في طريقة قيادة العربات الطائرة التي تظهر بوضوح في الرسم المكيني^٥.

^١ Breasted×OP-cit,Part IV,P 66

^٢ Edgerton & Wilson : Op-cit,P65.

^٣ Herodote ,OP-citPart IV,para 189,194

^٤ H.Lhotte : a la decouverte des Fresques du Tassili,Arthaud, Paris 1973,pp 137-138.

^٥ H.Lhotte, les Touaregs du Hoggar,Payot,Paris 1955,P102.

^٦ O.Bates,OP-cit,P143 & Wainwright : Op-cit P94.

- غير أن هناك فريق ثانٍ و على رأسه المتخصص في موضوع العربات في الصحراء J.Spruyte الذي تمكن من إعادة بناء نموذج لعربة من الخشب، استناداً إلى الرسوم الصخرية الكثيرة العدد، المتنوعة الأشكال، دون استخدام قطعة معدنية واحدة، وقد كانت مصطبها مصنوعة بسور جلدية مظفورة.^١

و بالتالي عربات الصحراء الوسطى لا يتطلب صنعها استخدام المعادن (البرونز).
- لقد تبين من خلال الوثائق الإيجابية أن الوثبة الطائرة Le galop Volant كانت وضعية الأحصنة بمفردها دون أن تكون مشدودة إلى العربة، كما هو عليه الحال في عربات الصحراء الوسطى.^٢

- وهذا شيخ المؤرخين هيرودوت يعترف بأن الليبيين في برقة علموا الإغريق كيفية قيادة عربات تجرها أربعة أحصنة.^٣ وبالتالي نتبين مدى ضعف حجج الفريق الأول. وهناك من المختصين من يعتقد بأن العربات الليبية ثمينة ومكلفة، بالنسبة لشعوب بزيرية - حسب رأيهم - وأنها كانت هدايا قدمها لهم المصريون عربون محبة لإسكاتهم وللحفاظ على الأمن.

والحقيقة أن قدماء المصريين قد استخدموا العربة من النوع الذي يجره حصانان ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة، بعد أن أدخلوا تعديلات كثيرة على عربة أعدائهم الهكسوس. وما يفرق العربة المصرية عن عربة الصحراء الوسطى أن العجلة بها ستة محاور (وكانت أقل في وقت سابق)، في حين عجلة عربة الصحراء بها أربعة محاور* فقط. كما أن العربة المصرية يمتطيها شخصان، قائد العربة و إلى جواره جندي، في حين يمتطي عربة الصحراء شخص واحد.

ونتبين من نموذج العربة المصرية الموجودة بالمتحف المصري، وكذلك تلك المرسومة على جدران معابد الكرنك ومدينة هابو، أنه يدخل في تركيبها المعادن، عكس العربة الصحراوية التي صنعت من الخشب فقط.^٤
و ما يمكن استخلاصه هو أن الرسوم الصخرية في الصحراء الوسطى عموماً تبين لنا بأن العربة - على ما يبدو - أصيلة في المنطقة، تختلف عن العربة المصرية و

¹ G.Camps : les Berberes ,p 47 & Strietter , et M.Tauveran,Op-cit,P120.

² Desanges : les proto-berberiens, P 317.

³ Herodote,OP-cit,Tome IV,Para 189.

⁴ WainWright : Op-cit, P 93.

*-تبدو عربة زعيم المشواش "مششر" في حربه مع رمسيس الثالث على جدران معبد مدينة هابو بعجلة بها ست ششوكات و يبدو واضحاً، كما يعتقد إدغارتون، و ويلسون بأنها كانت في الأصل أربعة فقط، و أدخل عليها تعديل فيما بعد.عن

: -Edgarton & Wilson : Op-cit, planche 75,P66. -

⁵ Faulkner :Military organisation in J.E.A ,n39 London,1953..& Michel Guay « l'armée égyptienne du nouvel empire. » www.egypteeternelle.net/ on line.

الإيجية على حد سواء^١؛ فهي خشبية بالكامل، خفيفة الوزن مما يجعلها تبدو طائفة، ومصطبها ضيقة مصنوعة بالجلد ولا تفل إلا شخص واحد. الأمر الذي جعل "سبريت" يعتقد بأنها كانت رياضية ولتدريب الأحصنة* وليست حربية، لأن السائق كما تظهره الرسومات يمسك، بلجام الحصان في يده، ولا يمكنه استخدام أسلحة. كما تتفرد عربة الصحراء الوسطى في تقنيات ربط وشد العربة بالحصان.

هذا وقد أبدع الليبيون تقنية جديدة تتمثل في كدن قضيب الجر، التي لم يثبت استخدامها خارج المغرب القديم، والتي استعملت أيضا لترويض الحيوانات وتدريبها^٢. (الصورة رقم ١٤)

إن احتمال حدوث تأثيرات وارد ولا نستطيع نفيه بالكامل، لأن المنطقة كانت مفتوحة على جيرانها. إلا أننا نرجح التأثيرات المصرية التي لم تنقطع الصلة بينهما، منذ الأسرة ١٨، تاريخ استخدام العربة في مصر والأسرة العشرين تاريخ استخدام المشواش للعربة.

ويمكن تفسير الاختلاف بين العربيين لضرورة اقتضتها تضاريس كل منطقة*. أما الاتصال الحقيقي، بين شعوب البحر بالليبيين، فقد كان بعد تأسيس مدينة برقة منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

أما عن سائقي هذه العربات بيض البشرة ذوو العيون الزرقاء (الشماليون) - كما يسميهم بروي Breuil، ولوت-^٤ فأرى بأن الأمر لا يتعدى توزيعا وانتشارا جديدا للأقوام الليبية القديمة في الصحراء نتيجة ظروف سياسية. فهؤلاء وإن ظهروا على الرسوم الصخرية بأسلوب رمزي*، إلا أنه يبدو واضحا أنهم حافظوا على ميزات مثل الريش على الرأس وسلاحهم الرئيسي المتمثل في الدرع الدائري، والرمح والخنجر، ثم في فترة لاحقة تزودوا بالسيف واستخدموا العربات. وهذه كلها مواصفات المشواش كما تبينهم الآثار المصرية.

وأعتقد بأن إنتشار هذه العربات والفرسان في الصحراء الوسطى، يمثل انحسار و تراجع الليبيين بعد الفشل و الهزيمة التي ألحقها بهم الفرعون مرنبتاح أو رمسيس الثالث بعده..

^١ G. Camps : les Berberes.P 47.

* يعتقد جون سبرايت، بأن سكان التاسيلي، كانوا يدرجون الأحصنة لفائدة الفينيقيين....

^٣ G.Camps « Jean Spruyte , atelages antiques libyens .. »www.remmm.revues.org. le 14/10/06.

* كما هو الحال في عربة " مششر على مدينة هابو

^٤ Wilcox : Op-cit, P44.&G.Camps : Le Berberes ,P 46.

* الأسلوب الطبيعي يهتم الرسام بالموضوع في رسمه بكامل تفاصيله، أما الأسلوب الرمزي فيحتفظ الرسام بالأساسيات و يسقط التفاصيل .

الخاتمة:

الحقيقة أننا نقر بوجود فجوات و ثغرات كثيرة في المصدر المصري، وقد يكون السبب أنه لم يهدف في المقام الأول تسجيل جوانب من تاريخ غيرهم من الشعوب المجاورة، و إنما جاء ذلك متضمناً تسجيلهم لجوانب من الحياة المصرية نفسها و منها علاقاتها بجيرانها في الغرب.

كما أن الوثائق المصرية تتكلم عن الوقائع من جانب واحد، جانب الذين دونوا وسجلوا تلك الوقائع، و معلوم أن هؤلاء ما كانوا ليتحررون في عمليات التدوين و التسجيل طالما أن العملية في حد ذاتها من باب التخليد و التمجيد و ليست من أجل كتابة التاريخ.

و بهذه الصورة، فالمصدر المصري (الآثار) أهم من الوثائق التاريخية التي قد تؤثر فيها ذاتية المؤلف. إذن فنحن أمام وثائق أثرية محايدة إلى حد ما..
إن ما ورد على الآثار المصرية القائمة منها والمنقولة، حول الليبيين، يغطي جزءاً مهماً من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ في المغرب القديم، في غياب وثائق أصيلة.

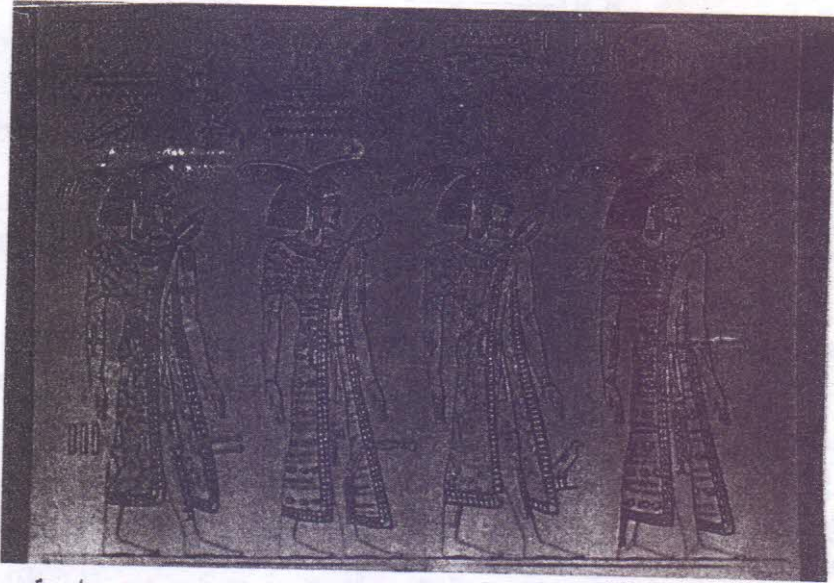
وفي الأخير نأمل أن تساهم الرسوم الصخرية - كمصدر خام خلفه لنا سكان المنطقة - في تسليط بعض الضوء على هذه المرحلة. ولكي تكون أكثر نفعاً وأجدي وجب الانكباب عليها و الاستعانة بها.



الصورة رقم ١: زعيم المشواش "مششر" في الأمام و إثنان من رجاله في الخلف، يرتدون جراب العورة.
(معبد مدينة هابو)



الصورة رقم ٢: لوبي يرتدي جراب العورة وعلى رأسه ريش مسلح بالقوس.
(تاسيلي - أن-أجار)



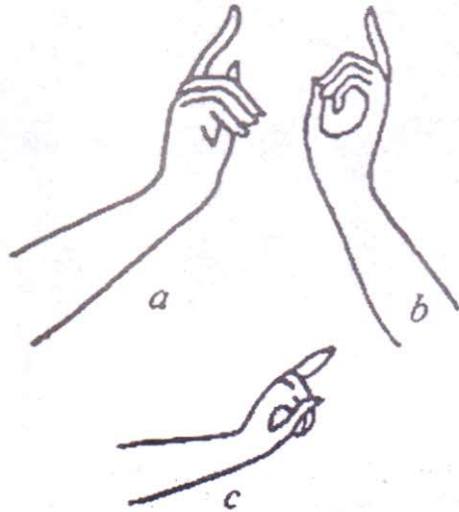
الصورة رقم ٣: أربعة من قبيلة المشواش ظهوروا في منظر شعوب العالم الأربعة
(مقبرة الفرعون سيتي الأول)



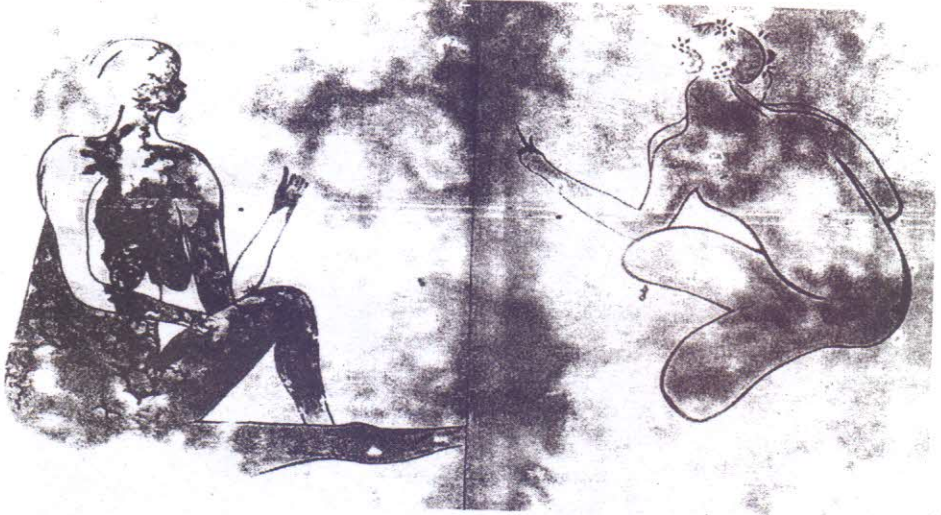
الصورة رقم ٤: أفراد و على رأسهم ريشتان مثبتتان بشكل منحرف، و لهم لحى مدبية، و يشبعون
الصورة أعلاه
(موقع تاهيلاهي تاسيلي أن أجار)



الصورة رقم ٥: رجلان على رأسيهما ريشتين، لأحدهما لحية مدببة، يلبسان عباءتين من جلد حيوان، تشبه عباءة الكتان عند مشواش مقبرة سيتي الأول السابقة ذكرها.



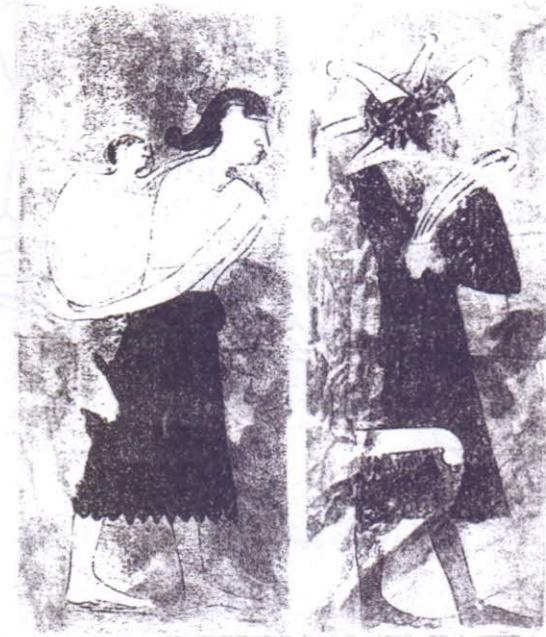
الصورة رقم ٦: إشارة إبعاد الشر، عند المشواش.



الصورة رقم ٧: رجل و امرأة يستخدمان إشارة إبعاد الشر
(تاسيلي أن أجار)



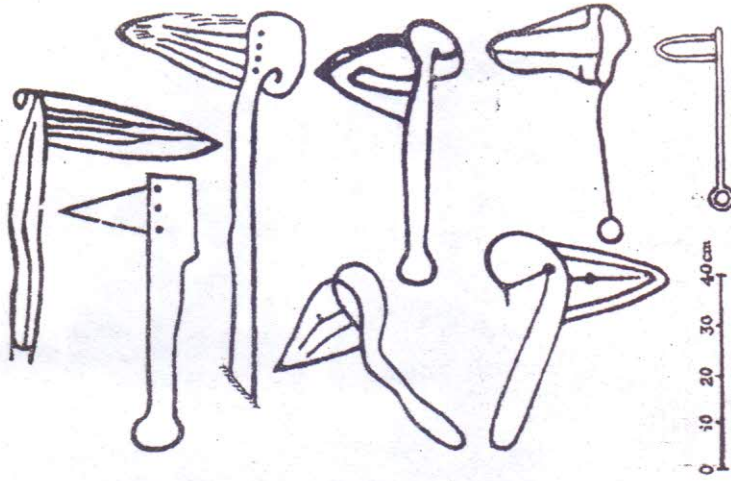
الصورة رقم ٨: رجلان يرتديان جراب العورة، و نيل الحيوان، و على رأسيهما ريش، مسلحين بعضا
الرمائية، بنفس مواصفات الليبيين على الآثار المصرية (تاسيلي أن أجار)



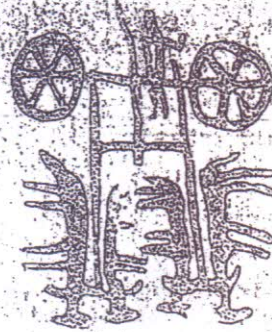
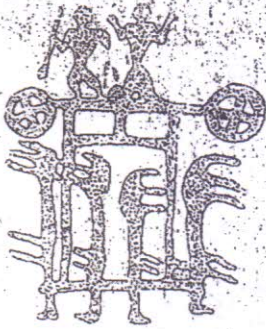
الصورة رقم ٩: أفراد من قبيلة ليبية تدخل مصر، ويبدو الرجل مسلحا بالعصا المعقوفة في يده اليمنى، والسيف على كتفه الأيسر (مقبرة خنوم حتب - بني حسن) الأسرة المصرية الثانية عشر



الصورة رقم ١٠: جنديان من المشواش مسلحين بسيفين طويلين (معبد مدينة هابو)

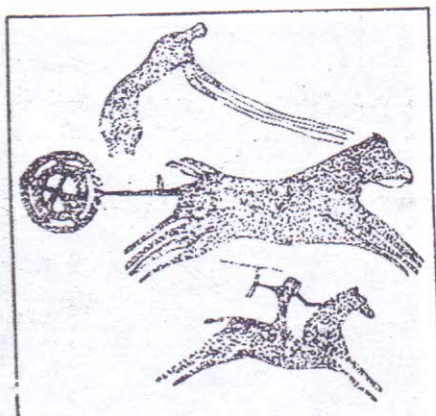


الصورة رقم ١١: أسلحة معدنية جنوب مراكش

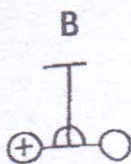


46

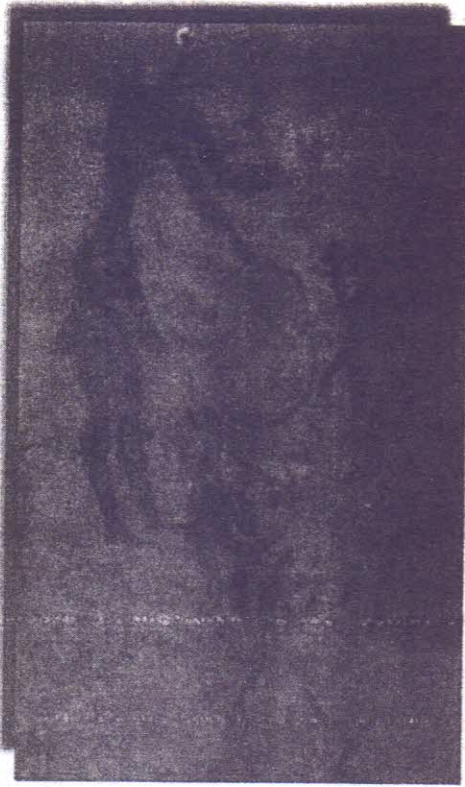
الصورة رقم ١٢: عربات تجرها أربعة أحصنة كما وصفها هيرودوت
(منطقة فزان)



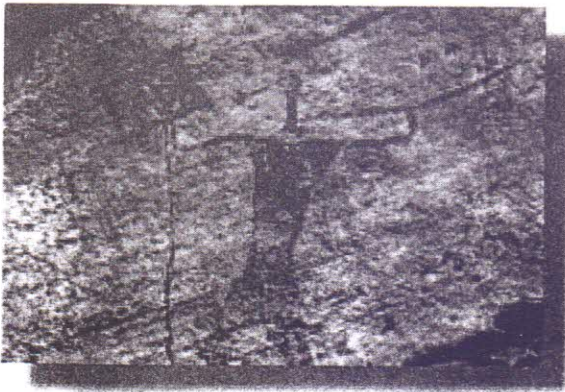
الصورة رقم ١٣: العربات الطائرة
(تاسيلي أن أجار)



شكل رقم ١٤: أشكال متنوعة لطريقة كدن العربات



- أ -



الصورة رقم ١٥: شكل أ و ب
يوضحان درعين أحدهما دائري و
الآخر مستطيل.

- ب -

مصادر اللوحات:

- لوحة رقم ١ عن:
-Wain Wraight,The Meshwech,P90.
- لوحة رقم ٢ عن:
- Lhote & Breuil : L'age de la pierre, P 12.
- لوحة رقم ٣ عن:
A.Nibbi: Lapwings and Libyans PL35
- لوحة رقم ٤ عن:
-Strietter & Tauveran . Mileux, Hommes,et Techniciens, P66 fig 6
- لوحة رقم 5 عن:
- Strietter & Tauveran . Mileux, Hommes,et Techniciens, P66 fig 7
- لوحة رقم ٦ عن:
-Wain Wright :The Meshwech,P 97 .
- لوحة رقم ٧ عن:
-L.Lhote,a la decouverte des fresques du Tassili P135
- لوحة رقم ٨ عن:
-Strietter & Tauveron :Milleux,Hommes et Techniques P 66 ,fig 7.
- لوحة رقم ٩ عن:
-P.E.Newberry :Beni Hassan part I,PL45.
- لوحة رقم ١٠ عن:
-WainWright :The Meshwesh ,P96.
- لوحة رقم ١١ عن:
-G.Camps, Aux origines de la Bèrbérie,P150.
- لوحة رقم ١٢ عن:
-A.R.Wilcox :The Rock art of Africa .P39.
- لوحة رقم ١٣ عن:
-L.Lhote :la découverte des fresques du Tassili,P44.
- لوحة رقم ١٤ و ١٥:
-www.ankhonline.com/histoire2.htm

دراسة في إشكالية لقبى imy-ra SnT و mr Sn

وصلتهما بلقب **Λαϣane**

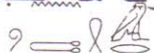
د. خالد أحمد حمزة

من خلال دراسة الألقاب في مصر القديمة لاحظت اتفاق كثير من الباحثين على وجود علاقة بين لقب **Λαϣane** الذي شهد عليه في العصر القبطي ولقبى mr Sn المعروف في وثائق العصر المتأخر و imy-ra SnT الذي ظهر في عصر الانتقال الأول واختفى في نهاية عصر الدولة الوسطى. إلا أنني من خلال الدراسة اللغوية لهذه الألقاب ، وما يتعلق بطبيعة مهام أصحابها وجدت غير ما استقر عليه الرأي لدى هؤلاء الباحثين من حيث عدم وجود الربط بين هذه الألقاب، الأمر الذي دفعني إلى أن أطرح هذه الإشكالية، في محاولة لتقديم إيضاح لها.

imy-ra SnT - I

يُعد A. Moret هو أول من أهتم بدراسة لقب imy-ra SnT عندما قام بنشر لوحة ابيدوسية لموظف من عصر الدولة الوسطى (Louvre C.240) (١) وأشار إلى أن هذا اللقب imy-ra SnT يراد به "رئيس التحقيقات" أو "مفتش سير العدالة" واقترح أن أصل كلمة SnT مشتقة من فعل Sni "يحقق" (٢) وقرب بين كلمة SnT وبين الفعل القبطي

ϣane ، **ϣane** بمعنى "يطلب" أو "يسأل" (٣).

وبعد عدة سنوات قام Spiegelberg (٤) بدراسة اللقب على اللوحة السابقة وقرب هذا اللقب بلقب آخر ظهر على تابوت بمتحف برلين (Berlin 10989) :
imy-ra SnT :  وقد ترجم Spiegelberg هذا اللقب بـ

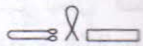
* مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب جامعة المنوفية.

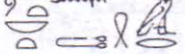
(١) A. Moret , "Une fonction judiciaire de la XII^{ème} dynastie et les chématistes ptolémaïques", in: RT 17 (1895), 44 -49.

(٢) WB IV, 495 , 8 f.



(٣) E. Crum, A Coptic Dictionary, Oxford 1939, 569; J. Cerný, Coptic Etymological Dictionary, Cambridge 1976, 246.




(٤) W. Spiegelberg, "Die Lesung des Zahlwortes >>hundert<<" , in: ZÄS 36 (1898), 138




" رئيس المنازعات" معتمداً على الأصل القبطي $\overline{\text{UJWNT}}$ (٥) المشتق من فعل
 SnT يتنازع" (٦) $\overline{\text{SnT}}$ 

ويفهم من الطرح الذي سبق أن المعنى الذي أعطاه Moret للقب " رئيس
 التحقيقات" وإن كان يبدو لنا هو الأقرب إلى الصواب، إلا أن الأصل القبطي $\overline{\text{UJWNT}}$
 " يتنازع" الذي اقترحه Spiegelberg لكلمة SnT ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار، إذ
 أن كلمة SnT ينبغي أن تعامل كاسم مؤنث، وهو ما أوضحه لنا ظهور اللقب متبوعاً
 بالصفة المؤنثة nbt :  (٧) imy-ra SnTt nbt

رئيس كل المنازعات".

وللوصول إلى معرفة التطور اللغوي لكلمة SnT نعرض الآتي : فالكلمة
 SnT " يتنازع" وجدت بدءاً من نصوص الأهرام حيث أخذت مخصص  و  (٨)

وقد تطورت كتابتها في عصر الانتقال الأول وكانت السمة المميزة لها هي
 علامة T $\overline{\text{Sn}}$ النهائية وعلامة $\overline{\text{Sn}}$  ومخصص الحبل  وأحياناً يضاف
 مخصص  (٩).

أما في عصر الدولة الوسطى وبالتحديد في بداية عصر الأسرة الثانية عشرة
 استبدلت علامة $\overline{\text{Sn}}$ ب $\overline{\text{Sn}}$ وأصبح مخصص الحبل له أهميته كمخصص
 صوتي لـ Sn (١٠) وورد اللقب بالكتابات الآتية :
 (١١)  ،  ،  (١٢).

(٥) Crum, *op. cit.*, 572; Cerný, *op. cit.*, 247.

(٦) *WB* IV, p. 519, 3 f.

(٧) D. Dunham, *Naga ed Der Stelae of the First Intermediate Period*, London 1937, 34-35; H. G. Fischer, *Inscriptions from the Coptite Nome Dynasties VI- XI*, *An Or* 40, 1964, 106-111, Nr. 43, Fig. 15, Pl. 36.

(٨) *Pyr.* 1463 C = K. Stehe, *Die altägyptischen Pyrimidentexte* II, 300.

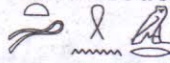
(٩) H. Fischer, "The Cult and Nome of the Goddess Bat", in: *JARCE* I (1962), 17-18, Fig. 3, Pl. II.

(١٠) A.H. Gardiner, *Egyptian Grammar*, Oxford 1973, Sign-List VI.

(١١) P. E. Newberry, *EL Bersheh I. The Tomb of Tehuti-Hetep*, *ASE* 3 1895, 32 f., Pl. 24 and 27; A. Bey Kamal, *Tables d' offrandes*, *CGC*, I, Cairo 1909, 57-58.

(١٢) H. O. Lange-H. Schäfer, *Grab und Denksteine des MR (CGC) I*, Berlin 1902, 191.

ويتضح لنا من خلال العرض السابق أن علامة الحبل كانت تمثل النطق الصوتي للكلمة ، وأما علامة الرجل المسلح بعضها فهي تشير إلى فكرة التنازع أو الشجار الذي يتضمنه معنى كلمة Snt . وبالنسبة لمخصص الرجل الجالس فقد أضيف إلى اللقب في حالات قليلة. (13)

وحيث إن علامة الحبل - وهي العلامة المستخدمة في اللغة المصرية للإشارة إلى رقم مائة - كانت هي الأكثر استخداماً في معظم كتابات اللقب في عصر الدولة الوسطى ، فإنها قد أوقعت بعض الباحثين (14) في خطأ فهم هذا اللقب وترجموه بـ "رئيس المائة" وهو الخطأ نفسه الذي وقع فيه الـ **Wörterbuch** (15) وأورد اسم Snt بمعنى "Hunderschaft" وترجم لقب  imy-ra بـ "رئيس المائة" واعتبره "موظف ذو سلطات قضائية".

والمعنى الأكثر قبولا والذي انتهى إليه اغلب الباحثين هو "رئيس المنازعات". وفي هذا الإطار حدد Gardiner (16) الـ **nTw** الذين ذكروا في قصة القروي الفصيح بأنهم "مشرفو منازعات" كانوا مكلفين بالتحقيق في السرقات. ومع هذا فقد ركز بعض آخر من الباحثين (Dunham (17) و Fischer (18) على الطابع القضائي لهذا اللقب وترجموه بمعنى "قاضي مدني" وبينما آخرون (Clère (19) و Posener (20) رأوا ترجمة اللقب بـ "مفوض أو مندوب شرطة" يقوم على فض المنازعات.

وفي هذا الإطار أيضا سار Faulkner (21) فقد أورد اللقب ضمن الألقاب البوليسية ذات الطابع شبه العسكري : 

(١٣) F. II. Griffith, *Hieratic Papyrus from Kahun and Gurob*, London 1898, 72-73, Pl. 30,77.

(١٤) H. Kees, *Das Priestertum im Altenägyptischen Staat vom Neuen Reich bis zur Spätzeit, Probleme der Ägyptologie I*, Leiden-Köln 1953, 217, Nr. 2; Dunham-Janssen, *Second Cataract Forts I, Semna-Kumma*, Boston 1960, 159; W. Helck, *Zur Verwaltung des Mittleren und Neuen Reichs, Probleme der Ägyptologie 3* Leiden-Köln 1958, 73.

(١٥) *WB* IV, 498.

(١٦) A.H. Gardiner, "The Eloquent Peasant" in: *JEA* 9 (1923), 15.

(١٧) Dunham, *Naga ed Der Stelae*, 34-35.

(١٨) Fischer, in: *JARCE* I (1962), 18, Nr. 84; id., *Inscriptions Coptite Nome*, 108-109.

(١٩) J.J. Clère, "La stèle d' un commissaire de police (mr-Snt) de la Première Période Intermédiaire", in: *RdE* 7 (1950), 19-32, pl. III.

(٢٠) G. Posener, " " et " in: *ZÄS* 83 (1958), 40.

(٢١) R. O. Faulkner, "Egyptian Military Organization", in: *JEA* 39 (1953), 41.

imy-ra SnTt nbt وترجمه بـ "رئيس كل النزاعات"

وإذا كنا قد أدركنا التطور اللغوي لمدلول اللقب imy-ra SnT فإننا

سنعرض من خلال الوثائق الشواهد الأثرية لوجود اللقب على ما يلي:
 نلت الشواهد الأولى من وثائق عصر الانتقال الأول على أن لقب imy-ra SnT قد وجد في جبانة نجع الدير⁽²²⁾. أما الشواهد الأخرى التي تظهر وجود اللقب فقد كانت في مناطق مصر العليا ومصر الوسطى مثل دير البلاص (المقاطعة الخامسة لمصر العليا)⁽²³⁾ وأخميم (المقاطعة التاسعة لمصر العليا)⁽²⁴⁾ و Antinoë (المقاطعة الخامسة عشر لمصر العليا)⁽²⁵⁾. ويستفاد من هذه الشواهد أن أصحاب هذا اللقب كان لهم نشاطات بوليسية في المقاطعات المذكورة آنفاً لاسيما في المقاطعة التاسعة والمقاطعة التاسعة من مصر العليا.

أما في عصر الدولة الوسطى فقد ظهر لقب imy-ra SnT في وثائق عثر عليها في مناطق متفرقة مثل اللشت⁽²⁶⁾ وكاهون⁽²⁷⁾ وبنى حسن⁽²⁸⁾ والبرشا⁽²⁹⁾ ونجع الدير⁽³⁰⁾ وأبيدوس⁽³¹⁾ وأدفو⁽³²⁾ وأسوان⁽³³⁾ ومرجسا⁽³⁴⁾ وسمنة⁽³⁵⁾ وكوما⁽³⁶⁾، مما يشير إلى انتشار اللقب واتساع دائرة نشاطاته خلال هذا العصر.

"نجع الدير" هي اسم لبلدة حديثة تقع على شاطئ النيل في مواجهة جرجا في الإقليم الثامن من إقليم مصر العليا، وعلى بعد كيلو متر ونصف تقريباً إلى الشمال من البلدة توجد جبانة نجع الدير التي اكتشفتها البعثة الأمريكية برئاسة Reisner خلال عام ١٩٠١ إلى ١٩٠٤، وقد استخدمت هذه الحفنة كمقبرة لمدينة "ثني" عاصمة الإقليم، عن آثار جبانة نجع الدير انظر بصفة عامة:

H. Lutz, *Egyptian Statues and Statuettes in the Museum of Anthropology of the University of California*, Leibzig 1930; id., *Egyptian Tomb Steles*, 1927; Dunham, *Naga ed Der Stelae*, 1937.

(٢٣) Fischer, *Inscriptions Coptite Nome*, 106-111, Nr. 43, Fig. 15, P1. 36.

(٢٤) P. Lacau, *Sarcophages antérieurs au Nouvel Empire (CGC) I*, Le Caire 1904. *Passim*.

(٢٥) L. Speleers, *Recueil des inscriptions égyptiennes des Musées Royaux du Cinquantième à Bruxelles*, Brussels 1932, 18, Nr. 82.

(٢٦) Mace, "Excavations at Lisht", *BMA* 16, II (Nov. 1921), 14, Fig. 15.

(٢٧) Griffith, *Hieratic pap. From Kahum and Gurob*, 72-73, P1, 30.

(٢٨) P. E. Newberry, *Beni Hassan I, ASE I*, 1893, 69, P1, 30.

(٢٩) Newberry, *EL Bersheh I*, 1895, 32 f., Pl. 24 & 27.

(٣٠) W. K. Simpson, *Papyrus Reisner II, MFA*, Boston 1965, 32 & 41, P1. 13.

(٣١) *Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae, etc., in the British Museum IV*, 1913, 10, P1. 36.

(32) Alliot, *Rapport sur les fouilles de Tell Edfou 1933, FIFAO*, 10/2, 1935, 28 (B), Pl. III.

(٣٣) W. M. F. Petrie, *A Season in Egypt 1887*, London 1888, Pl. IV, Nr. 141.

وإذا كانت الوثائق قد دلت على وجود اللقب في أماكن متفرقة، فإنها دلت أيضاً على أن أصحاب هذا اللقب قد جمعوا في أيديهم وظائف بوليسية دعمت دورهم في حفظ النظام واحترام العدالة والقوانين. وهذا واضح في جل الوثائق التي عالجت هذا الأمر، ونظراً لتشابه أمر المعالجة في سائر الوثائق فإنه لا توجد ضرورة ملحة في الاستفاضة في سرد هذه الوثائق وإنما سنكتفى بالاستشهاد بوثيقتين فقط :

الوثيقة الأولى : وهي عبارة عن لوحة مؤرخة بعصر الانتقال الأول⁽³⁷⁾ وتخص موظف يدعى $\hat{d}-mwt.f$ ، وقد تُرست هذه اللوحة بدقة بواسطة Clère⁽³⁸⁾ ، وتمثل هذه اللوحة صاحبها وزوجته واقفين وأمامهما نجد ثلاث شخصيات : اثنان منهما يمثلان أبناء $\hat{d}-mwt.f$ أما الثالث فهو ساقى الخمر الذي يقرب كأساً من قم المتوفى.

أما الجزء العلوي للوحة فيشغله نقش مكون من ثلاثة سطور أفقية تتضمن السيرة الذاتية لهذا الموظف، غاية ما هنالك أن السطر الأخير به إشارة هامة متصلة بنشاط $imy-ra SnT$:

$iw nHm mAr m-a wsr n mrwt grg niwt tn$

" [هو يقول :] أنا حميت الضعيف ضد القوي من أجل الإبقاء على هذه المدينة في حالة نظام جيد".

ويتضح من النص السابق أن حماية الضعفاء والحفاظ على النظام داخل المدن كانت هي المهام الرئيسية لـ $imy-ra SnT$ خلال عصر الانتقال الأول.

وأما الوثيقة الثانية : فهي رسالة كاهون رقم ١٥ (تؤرخ بعصر الأسرة الثالثة عشرة)⁽³⁹⁾ و هي موجهة من شخص يدعى Ppw إلى سيدة المنزل Htp - %bk ويبدو فيها بوضوح وظائف مندوب الشرطة $imy-ra SnT$:

$osn irt m Xnw r xt nbt n iw wD sDm iTAY in$
 $rmT nbt wpt [Hr] imy-ra SnT n grt sDm n imy-$
 $ra iTAY n is nDrw m-a.f$

(٣٤) G. T. Martin, *Egyptian Administrative and Private Name-Seals*, Oxford, 1971, 103, Nr. 1329 & 1330, Pl. 4 [11&12].

(٣٥) Smither, "The Semnah Dispatches", in: *JEA* 31 (1945), 7-8, Pl. III, 7.

(٣٦) Dunham-Janssen, *Semna-Kumma*, 156, Pl. 100 G, Nr. 87.

(٣٧) Clère, in: *RdE* 7 (1950), 19-32, Pl. III.

(٣٨) *Ibid.*, 27, Pl. III.

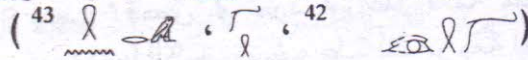
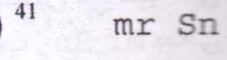



















(٣٩) Griffith, *Hieratic, Pap. from Kahun and Gurob*, 72-73, Pl. 30, 7-13.

" الأفعال المرتكبة في العاصمة هي أسوأ من كل شيء ، لم يُصدر مرسوم يقضي أن يكون السارق محاكماً بواسطة أي شخص إلا إذا كان imy-ra SnT (شرطي المنازعات) لأن الـ imy-ra SnT لا يمكن أن يحاكم سارق إلا إذا كان متلبساً بها" (40).

ومن خلال فهمنا لهذه الوثيقة ندرك أن الـ imy-ra SnT هو مندوب شرطة موكل إليه القبض على اللصوص ومحاكمتهم ربما بصفته معاون قضائي.

II Sn mr :

شهد عصرى الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين بداية ظهور لقب

mr Sn (41)  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ،  ، ،

Mntw ذكر ضمن قائمة أعضاء المعبد في سنة بعينها كأحد الـ Choachytes العاديين، رغم أنه كان قد ترقى إلى وظيفة mr Sn وهو الأمر الذي يفسر لنا السبب الذي من أجله ذكر كاتب الوثيقة هذا الموظف قبل حامل المحفة (glg) حيث كان وضعه يؤهله أن يشغل المكان الأول في المواكب.

وقد ظهر هذا الموظف (NAi-nxt-Mntw) للمرة الأخيرة على ظهر الوثيقة نفسها أثناء استجوابه لمجموعة من الـ Choachytes بخصوص موضوع التعيين: " أن الـ mr Sn يسألهم (Sn) في موضوع ؟ التعيين " (٥٥).
ويظهر لنا من خلال الوثيقة السابقة أن الـ mr Sn يعد أحد الشخصيات الكهنوتية الهامة المنوط بها الإشراف الإداري على تنظيم أمر حرفي المعبد.

ويضاف إلى ما سبق ذكره وجود mr Sn آخر خاص بالنساجين في مدينة "نيمه" (56)، وقد أظهرت ألقاب العصر المتأخر وجود العديد من الـ mr Sn في معابد الآلهة المختلفة كما هو الحال بالنسبة لمعبد أيزيس في قفط (٥٧) وبتاح (٥٨) وسخمت في منف (٥٩) وسوبك وأمون في الكرنك (٦٠) وخونسو (٦١) ومونتو في طيبة (٦٢) وتحوت في هيرموبوليس. (٦٣)

وأما عن المهام الأخرى للـ mr Sn فتحدثنا pap. Dem. Berlin 13539 عن تنظيم توريد القرابين ومراقبة انتظام عمل الطقوس اليومية بالمعبد وهو ما (64)

(٥٥) Loc. cit.

(٥٦) Loc. cit.

(٥٧) Spiegelberg, in: RT 24 (1902), 187.

(٥٨) Loc. cit.

حمل لقب mr Sn في معبد سخمت موظفان: أحدهما يؤرخ بعصر الأسرة ٢٢ بينما يؤرخ الآخر بعصر

(59) الأسرة ٢٦ انظر: Suys, La sagesse d' Ani, 21

(٦٠) Spiegelberg, op. cit., 188.

(٦١) Stele Florence 24 90 = S. Bosticco, Museo archeologico di Fienze Le stèle egiziane dall' Antico al Nouvo Regno III, Rome 1972, 15, Nr. 4.

(٦٢) Suys, op. cit., 22.

كان يشغل وظيفة mr Sn بمعبد تحوت بهيرموبوليس الكاهن "بيتوز يريس" الشهير :

(63)

M. Gustave Lefebvre, "Le tombeau de Petosiris", in: ASAE 20 (1920), 56.

(٦٤) W. Spiegelberg, Drei demotische Schreiben aus der Korrespondanz des Pherendotes, Berl. Ak. 1928, 30, Taf. 5.

عبرت عنه الوثيقة : " هو سوف يُسبب أننا نورد (iw.f r rdit fi.w) ، هو سوف يُسبب أن ننجز الأضاحي أمام خنوم".

وأوضحت وثائق أخرى⁽⁶⁵⁾ أن موظفي الـ mr Sn كان لهم دوراً هاماً في إدارة الحياة الاقتصادية في المعبد ، إذ أنه يعد المسئول عن استلام المنتجات المختلفة ، أو استلام قيمتها من المال : " فليُعطى النبيذ إلى ... الـ mr Sn ، إذن فلنعطيك ثمنها : Kite 2 من المال".

ومن مهامه في وثائق أخرى أيضاً أنه كان يقوم بتوريد المنتجات المختلفة إلى المستحقين، وذلك كتوريده القمح إلى المستحقين في عيد " مونثو"⁽⁶⁶⁾ ، وقيامه بتوريد المؤن المختلفة إلى العديد من الأشخاص المنتمين إلى المعبد⁽⁶⁷⁾ .

وأما عن أسلوب ترشيح الـ mr Sn لهذا المنصب فقد كان يتم بالانتخاب

سنوياً وليس بالتعيين، وهو ما أوضحته لنا 13539 Pap. Dem. Berlim⁽⁶⁸⁾

سألقة الذكر : أن كهنة خنوم في الفنتين وجهوا رسالة إلى الحاكم "Pherenadates"

في العام ٣٠ من حكم الملك الفارسي " داريوس" (Darius) بخصوص انتخاب mr

Sn جديد : " هم عزلوا الـ mr Sn السابق وجعلوا أن يخلفه " (Spn.f)

المدعو "نس - خسو - م - مامى" ويضيف النص أيضاً " نحن متفقون من أجل أن

يكون mr Sn".

ويؤكد هذا الأمر أيضاً ما ورد في وثيقة أخرى هي Pap. Dem. Berlin

13540⁽⁶⁹⁾ (تؤرخ بعهد الملك داريوس أيضاً) حيث ذُكر فيها أن كهنة المعبد انفقوا

على انتخاب mr Sn جديد ويذكر النص : " هذا الذي هم اختاروه" ، وتفيد هذه

العبرة أن الاختيار يدل على ترشيح هذا الموظف بالانتخاب وفيما يبدو أنه بدءاً من

العصر الفارسي كانت وظيفة الـ mr Sn تتغير سنوياً عن طريق الانتخاب.

وفي الوقت الذي تنتهي فيه فترة تكليف الـ mr Sn كان يمكن أن يعاد

انتخابه مرة أخرى ولو لسنوات متعاقبة، وهو ما تفاخر به الكاهن " بيتوزيريس" من

أنه : ir.n (.i) rnpt 7 m mr Sn nw nTr pn

(٦٥) Erichsen, "Ein demotischer Brief über Weinlieferung", in: *MDAIK* 15 (1957), 51.

(٦٦) De Cénival, *op. cit.*, 158.

(٦٧) Pap. Dem. Cairo 50060 = E. Jelinková-Reymond, "Paiement" du président de La nécropole", in: *BIFAO* 55 (1956), 54-55.

(٦٨) Spiegelberg, *Drei demotische Schreiben* ..., 30, Taf. 5; De Cénival, *op. cit.*, 158.

(٦٩) Spiegelberg, *op. cit.*, 30 f.; De Cénival, *op. cit.*, 156.

" أمضيت (عملت) سبع سنوات كـ mr Sn لهذا الإله (أي تحوت) " (70)
 الأمر الذي يُظهر أن مدة قيامه بهذه الوظيفة قد تمت عن طريق الانتخاب عاماً بعد عام.

III إشكالية لقبى $\Lambda\omega\pi\alpha\eta$ mr Sn , imy-ra SnT وصلتهما بلقب $\Lambda\omega\pi\alpha\eta$

لقب $\Lambda\omega\pi\alpha\eta$ شهد عليه في النصوص القبطية (71) وهو لقب مدني يشغل صاحبه منصباً قضائياً في إحدى القرى أو المدن، وكان اسمه في الغالب يرتبط باسم المدينة أو القرية التي يؤدي فيها وظيفته فيقال : NTMG X "مدينة القاضي X" ، ومن ثم فكانت مهمته تماثل مهمة العمدة الذي يحقق في الخصومات ويفصل بين المنازعات (72).

وقد انقسم الباحثون في شأن إشكالية صلة لقب $\Lambda\omega\pi\alpha\eta$ بلقبى mr Sn الذي ظهر في العصر المتأخر و imy-ra SnT الذي شهد عليه خلال عصر الانتقال الأول وعصر الدولة الوسطى إلى فريقين :

ذهب الفريق الأول ويمثله : Griffith (73) و Spiegelberg (74) والـ WB (75) و Steinwenter (76) و Helck (77) و Wagner (78) و Cerný (79) و Zauzich (80) إلى المطابقة بين لقب mr Sn و لقب $\Lambda\omega\pi\alpha\eta$.

(٧٠) Lefebvre, in: *ASAE* 20 (1920), 56.

(٧١) Crum, *Coptic Dictionary*, 148; Cerný, *Coptic Etymological Dictionary*, 75; W.

Westendorf, *Koptisches Handwörterbuch*, Heidelberg, 1965, 81.

(٧٢) عن وظائف $\Lambda\omega\pi\alpha\eta$ في العصر القبطي انظر :

A. Steinwenter, *Studien zu den Koptischen Rechtsurkunden aus Oberägypten*, Leipzig

1920, 38-60; H. E. Winlock-W. E. Crum, *The Monastery of Epiphanius at Thèbes*,

New York 1926, 176; E. Stefanski-M. Lichtheim, *Coptic Ostraca from Medinet Habu*,

University of Chicago Oriental Institute Publications L XXI 1952, 10.

(٧٣) Griffith, in: *PSBA* 21 (1899), 272.

(٧٤) Spiegelberg, in: *RT* 24 (1902), 187 f.

(٧٥) *WB* IV, 496, 13-15.

(٧٦) Steinwenter, *op. cit.*, 38-60.

وقد افترض هذا الفريق في مطابقتهم هذه أن كلمة **Λαϣανε** القبطية قد تطورت لغوياً من **mr Sn** على أساس مساواة كلمة **mr** القديمة بـ **Λα** القبطية ، ومساواة الفعل **Sn** "يحصي" أو "يجرد" بالفعل القبطي **ϣανε** "يستجوب" أو "يسأل".

وقد استشهدوا في إثبات ما افترضوه بثلاثة أمثلة .

mr mSa > Λεμινϣε

mr Sn > Λαϣανε

(81) mr iHw > Λοιϣ

وقد خلصوا إلى استنتاج أن لقب **Λαϣανε** في العصر القبطي هو لقب كهنوتي يعادل وظيفة **mr Sn** الكهنوتية في العصر المتأخر .

وأما الفريق الآخر ويمثله : **Crum** (82) و **Suys** (83) و **Stricker** (84) و **Westendorf** (85) فقد عارض ما انتهى إليه أصحاب الفريق الأول ، وذهبوا في

تصورهم إلى أبعد مما انتهوا إليه بكثير ، إذ طابقوا بين لقب **Λαϣανε** وبين لقب **imy-ra SnT** الخاص بعصر الدولة الوسطى، وقد دللوا على وجهة نظرهم بما يلي :

(٧٧) W. Helck, *Untersuchungen zu den Beamtentiteln des äg. Alten Reiches*, ÄF 18, Glückstadt, Hamburg, New York 1954, 76, Nr. 62.

(٧٨) G. Wagner, "Une dédicace à la grande Cléopâtre de la part du synode snonaïtiaque", in: *BIFAO* 73 ((1973), 108.

(٧٩) Cerný, *Coptic Etymological Dictionary*, 75.

(٨٠) Zauzich, in: *LÄ* III (1980), 1008.

(٨١) G. Fecht, *Wortakzent und Silbenstruktur. Untersuchungen zur Geschichte der ägyptischen Sprache*, *Ägyptologische Forschungen* 21. Glückstadt-Hamburg 1960, 38, § 70, 2.

(٨٢) Crum, *Coptic Dictionary*, 148.

(٨٣) Suys, *La sagesse d' Ani*, 25 f.

(٨٤) B. H. Stricker, "Notices sur le papyrus démotique 30646 du Musée des Antiquités au Caire", in: *Acta Orientalia* 16 (1938), 92-93.

(٨٥) Westendorf, *Koptisches Handwörterbuch*, 81.

فقد افترض Suys (86) أن اللقب **Λασηνε** والذي استُخدم كلقب مدني قد بُني على أساس اللقب البولييسي **imy-rA SnT** والذي يرجع إلى عصر الانتقال الأول، واقترح التطور اللغوي الآتي:

Λα $imy-rA > mr >$

σηνε $SnTw > Sntw > Sn >$

وهو ما يعني أنه اعتبر العنصر **σηνε** هو المقابل القبطي للكلمة المصرية **SnT** "نزاع".

وأما Stricker (87) فقد دلل على دعم رؤية أصحاب الفريق الثاني بفكرة أخرى تتمثل في أنه اعتقد أن المطابقة بين اللقبين محتملة في حالة ما إذا سلمنا أن العنصر **σηνε** يمثل كلمة الجمع **Snt** "مائة" وأن العنصر **Λα** يمكن أن يكون قد تطور عن **mr** وذلك بترجمة اللقب بـ "رئيس المائة".

وبالنظر والتدقيق في وجهة نظر الفريق الأول من الباحثين فإنه من الممكن أن يرد عليها بعض الاعتراضات:

اعتمد الفريق الأول في مطابقة لقب **Λασηνε** بلقب **Sn mr** على ثلاثة أمثلة فقط لإثبات هذه المطابقة إلا أنه لا يمكن قبول هذا على إطلاقه إذ أن المثال الأول **mr mSa** **Λεμινση** > لا يعبر عن المطابقة لأنه في العصر اليوناني لقب **mr mSa** كان يكتب **r-mSa** (88) وهو اللقب الذي تطورت

منه كلمة **Λασηνε** في القبطية:

Λασηνε $r-mSa > lms >$

ومن ثم فإن لقب **Λασηνε** لا يشتق مباشرة من **Sn mr** وبالتالي لا يمكن الاعتماد على هذا المثال.

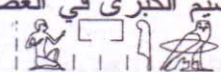
أما من جهة المثال الثاني: **Λασηνε** $mr Sn >$

(٨٦) Suys, *op. cit.*, 27-28.

(٨٧) Stricker, *op. cit.*, 93.

(٨٨) *WB II*, 388, 11.

فنحن في هذا البحث بصدد إظهار أن مطابقة اللقبين يجب أن يُستبعد وبالتالي لا مجال لطرحه ⁽⁸⁹⁾.

ويرد على أصحاب الفريق الأول أيضاً بأن لقب Sn mr ظهر له لقب يعادله في المراسيم الكبرى في العصر المتأخر (مثل كانوب ⁽⁹⁰⁾ ومنف ⁽⁹¹⁾ وفيله ⁽⁹²⁾) وهو لقب :  ⁽⁹³⁾ mr gsw-prw وهو اللقب نفسه الذي تُسخ في النصوص اليونانية بـ $\alpha\rho\xi\iota\epsilon\rho\epsilon\upsilon/\varphi$ ⁽⁹⁴⁾ أو $\lambda\epsilon\sigma\omega\nu\iota\varphi$ ⁽⁹⁵⁾ وهو ما لم يقل به أصحاب الفريق الأول.

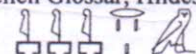
ويرد عليهم كذلك بأن وظائف $\lambda\alpha\upsilon\alpha\nu\epsilon$ في العصر القبطي كانت وظائف ذات طبيعة مختلفة عن تلك الخاصة بـ Sn mr في العصر المتأخر ، إذ كانت

وظائف $\lambda\alpha\upsilon\alpha\nu\epsilon$ - كما سبق الذكر - وظائف مدنية متعلقة بالقضاء من شأنها التحقيق في الخصومات والفصل في المنازعات ، كما توفر لصاحبها صلاحية الجلوس في قاعة المحكمة ، أما وظيفة Sn mr في العصر المتأخر فقد كانت وظيفة كهوتية (انظر أعلى II) وبالتالي فإننا لا يمكننا أن نعتقد بإمكانية أن وظيفة $\lambda\alpha\upsilon\alpha\nu\epsilon$ قد تطورت عن وظيفة Sn mr لأنهما مختلفتان طبيعة وأداءً . ومن ثم لا نستطيع أن نجزم بوجود مطابقة بين اللقبين سواء من الناحية اللغوية أو الوظيفية.

أما بالنسبة لوجهة نظر الفريق الثاني من الباحثين القاضية بمطابقة لقب $\lambda\alpha\upsilon\alpha\nu\epsilon$ بلقب imy-ra SnT فإنه يمكن أن يُرد عليها بما يلي :

وللإنصاف العلمي فإنه يمكن أن يدل المثال الثالث على هذه المطابقة $\lambda\alpha\upsilon\alpha\nu\epsilon$ mr ^(٨٩) iHw >

(٩٠) Canope 36= W. Spiegelberg, Der demotische Text der Priesterdekrete von Kanopus und Memphis (Rosettana) mit den hieroglyphischen griechischen Fassungen und deutscher Übersetzung nebst demotischen Glossar, Hildesheim - Zürich - New York, 37.

(٩١) Memphis N 7 = Ibid, 40.  : وورد اللقب هكذا :

(٩٢) Sethe, *Urk.* II, 216.

(٩٣) F. Daumas, *Les moyens d' expression du Grec et de l' égyptien Comparés dans les decrets de Canope et de Memphis*, SASAE 16, Le Caire 1952, 183. F.

(٩٤) *Loc. cit.*

(٩٥) Spiegelberg, in: *RT* 24 (1902), 271; Crum, *Coptic Dictionary*, 148.

إن ما قاله Suys بشأن العنصر **ϣane** هو المقابل القبطي لـ **SnT** "نزاع" فنحن قد أشرنا في مقدمة البحث عند الحديث عن لقب **imy-ra SnT** "رئيس النزاعات" (انظر أعلى § I) إلى أن الفعل **SnT** مثله مثل الاسم **SnT (t)** يقابله بالقبطية كلمة **ϣONT** "يتنازع". وأياً كانت مترادفات كلمة **ϣONT** **ϣONT** **ϣONT** (96) فإن الـ النهائية لا تسقط أو تحذف. ولعل غياب الـ النهائية في العنصر **ϣane** للقب **Λaϣane** ووجودها الثابت في كلمة **ϣ...ONT** المشتقة من **SnT** - العنصر الأساسي للقب **imy-ra SnT** يجعلنا مرتابين بخصوص مساواة لقب **imy-ra SnT** بـ **Λaϣane**، وأما بالنسبة لافتراض Stricker إن العنصر **ϣane** يمثل كلمة جمع **Snt** "مائة" وترجمته هذا للقب بـ **imy-ra Snt** "رئيس المائة" هو أمر غير مسلم به حيث أن أغلب الباحثين اتفقوا على ترجمة اللقب بـ **imy-ra SnT** "رئيس النزاعات" وليس **imy-ra Snt** "رئيس المائة" وهو ما سبق أن أوضحه البحث أيضاً (انظر أعلى § I) وهو ما يجعل افتراض Stricker بعيد الاحتمال. ومما يوجه أيضاً إلى أصحاب الرأي الثاني بشأن مسألة التشابه التي ذكروها بين وظائف "رئيس النزاعات" **imy-ra SnT** ووظائف "قاضي النزاعات أو التحقيقات" **Λaϣane** في الوثائق القبطية فإننا يمكن أن نقول أن اختفاء لقب **imy-ra SnT** في نهاية عصر الدولة الوسطى ووجود فترة زمنية كبيرة تفصل بين هذا العصر وبين العصر القبطي تجعلنا نستبعد عودة أو تجدد اللقب بعد كل هذه القرون الفاصلة ، هذا فضلا عن عدم وجود دليل قوي يتعلق باشتقاق كلمة **ϣane** من **SnT** يدعم هذه المطابقة. ومن هنا يمكن أن نقول في خلاصة ما طرحناه في هذه الإشكالية أن الترابط والصلة التي قرنها بعض الباحثين بين الألقاب موضوع الدراسة أمر تقف أمامه بعض الاعتراضات حيث إن الاشتقاق اللغوي وطبيعة الوظيفة المدنية للقب **Λaϣane** المشهود عليه في العصر القبطي تستبعد وجود صلة باللقب الكهنوتي **mr Sn** المشهود عليه في العصر المتأخر أو باللقب البولييسي **imy-ra SnT** المعروف فقط حتى نهاية عصر الدولة الوسطى ، وبذلك نكون قد أوضحنا الخلط المطروح في هذه الإشكالية.

(٩٦) Crum, *Coptic Dictionary*, 572; Westendorf, *Koptisches Handwörterbuch*, 319.

الرموز المصورة على فسيفساء الكنائس في الفترة
ما بين القرن الرابع والسابع الميلادي
"دراسة أثرية"
د. سماح محمد الصاوي

تمثلت الموضوعات الشائعة في الفن المسيحي على العديد من الرموز المسيحية والتي صاحبت هذا الفن منذ بداية الفن النوثي الا ان المسيحيين اضافوا عليها اللمحة الوثنية فظهر ذلك في الموضوعات المصورة سواء على اسقف او جدران او حنايا او ارضيات الكنائس كما اختلف اختيار نوع وشكل الرمز الذي يصور على الارضية عنه في الحوائط والسقوف كجانب من جوانب الفن المسيحي.

ولقد حظت اغلب كنائس قورينائية وسانت كاترين وسان فيتالي برافنا وسانت ابولوناري في كلاسي بالاهتمام بالفسيفساء وخاصة في عصر الامبراطور جستينيان لما عرف عن اصلاحاته الفعالة واهتمامه بالفنون في جميع انحاء الامبراطوريه .
يلاحظ أن الفنان اختار موضوعات للأرضيات تختلف لحد كبير عن الموضوعات التي صورت في اللوحات أو المساحات المختلفة التي زين بها فسيفساء الجدران والسقوف ونصف القبة إذ أن الموضوعات المستخدمة في الأرضيات كانت تخلو عادتاً من صور الأنبياء والرسل والقديسين وكذلك الصليب الذي يرمز للسيد للمسيح حتى لا تطأها الأقدام .

لذا كانت الموضوعات المتصلة بالسيد بالمسيح والأنبياء والرسل والقديسين والصلبان مكانها عادتاً على الجدران والسقوف و الحنايا ونصف القبة.
اعتمدت الدراسة على اختيار الرموز المسيحية اولا في فسيفساء ارضيات الكنائس ثم الجدران والسقوف ونصف القبة

اولا فسيفساء ارضيات الكنائس:-

سيتم دراسة فسيفساء ارضيات الكنائس من خلال الكنائس الآتية:-

١- قصر ليبيا

٢- كنيسة رأس الهلال

٣- مبنى التثبيت الـ (Confirmatorium) في توكررا

تصوير انهار الجنة

كان للجنة اربعة انهار وهم جيون Geon و فيسون Phison والفرات Euphrates و دجلة Tiger (صورة رقم ١) ولقد ظهر تصوير هذه الانهار على فسيفساء ارضية

• كلية الآداب - قسم الآثار - جامعة الإسكندرية

صحن الكنيسة الشرقية لقصر ليبيا بقورينة (صورة رقم ٢) ومن المناظر المصورة المصاحبة لهذه الانهار هو تصوير امرأة على شكل حورية -أرية ومضجعة الى جرة ماء وقد كتب عليها نقش بأسمها تعبيراً عن نبع دلفي المعروف بهذا الاسم (صورة رقم ٣)

جيون

ظهر نهر جيون في شكل رجل له لحية يتكأ على جرة ماء^١ الجزء العلوي من جسمه ملتف ناحية اليمين وعباءته ملفوفة بشال فضفاض حول جسمه عبر الخصر و تتدلى على ذراعه الأيسر ولكن تترك معظم جسمه عارياً ويمسك في يده اليمنى دفة سفينة من الزجاج الأخضر، والأصفر وفي يده اليسرى قرن الخيرات ومن شعره تخرج بعض النباتات المائية التي تشبه نبات اللوتس.

فيسون

صور اله النهر فيسون^٢ وهو أحد أنهار الجنة في صورة شاب يجلس على قطعة من عباءته ويلتفت بالجزء العلوي من جسمه ناحية المواجهة تقريباً ورأسه منقذة بوضع ثلاثة ارباع، وذراعه الأيمن ممتد إلى اليسار ويستند بمرفقه على جرة مياه ذات بطن مستديرة تتدفق منها المياه بغزارة، والماء منقذ باللون الرمادي، والرخام الأبيض و يستند بيده اليسرى التي يمسك بها ساق نبات على ركبته اليسرى .

أما فسيفساء الركن الغربي لمبنى التثبيت Confirmatorium^٣ في توكرا^٤ (صورة رقم ٤) فيظهر شخص جالس على جرة ماء، رأسه وصدره في المواجهة أما بالنسبة لنصفه السفلي فهو بوضع جانبي، ويمسك بكلتا يديه جره ماء يقف عليها طائر ويخرج منها نباتان بأوراق عديدة تاكل منها بقرة.

أما بالنسبة للجرتين فيخرج منهما الماء بغزارة وتشرب بقرة أخرى من الجرة الموجودة في يديه، ومن خلفه توجد شجرة سرو كبيرة وتظهر كتابة باللغة اليونانية

¹ Alfoldi-Rosenbaum, E., / Ward-Perkins, J. "Justinianic Mosaic Pavements in Cyrenaican Churches", Monographie di Archeologia Libica, xvi, (Rome, 1980), p. 124, figs, 7, 1-105, 3

² Ibid, op cit., pp. 124, 125, fig.7, 2

³ Confirmatorium خصص فقط لعملية رسم الصليب بالزيت (أي تثبيت الأشخاص الذين تم تعميدهم في حوض التعميد المجاور لمبنى الـ Confirmatorium في الدين المسيحي) أما بالنسبة للصليب الكبير المحفور في أرضية قاعة الاستقبال في قصر الأسقف فمن الملاحظ لكي لا تطأ قدم على هذا الصليب و جود تقوب في الأرضية من حول الصليب تثبت فيها بانديرات أو مظلة (Canopy) لجذب النظر بحيث لا تطأها الأقدام.

⁴ أشار Stucchi لهذا المبنى على أنه Consignatorium كما أشار إلى مناظر الفسيفساء الهامة دون دراستها. انظر

Stucchi, S., "Architettura Cirenaica (Monografi di Archeologica Libica IX), Rome, 1975, p. 427

ترمز للرجل المصور على انه فيسون أحد أنهار الجنة ورأسه وشجرة السرو تقسم الاسم الموجود في أعلى اللوحة إلى نصفين.

أما البقرة التي تأكل فذيلها ورأسها مرغوعان إلى أعلى ونفذت باللون البني الداكن أما البقرة التي تشرب فمنفذة باللون الأصفر ومن خلف البقرتان توجد سيدة تمسك بهما وتحمل فوق كتفها طفل يقطف رمانة من شجرة رمان موجودة خلفها والسيدة ترتدي رداءً طويلاً له أكمام طويلة منفذة بلون فاتح وله ثنيات طويلة تبدأ من عند الخصر، ومن خلفها توجد أشجار وبعد ذلك يوجد جزء مهشم يليه منظر لم يتبق منه إلا النصف الأمامي أطبي حيث يقبض بقمه على رأس ثعبان و جسم الطي منقط بنقط متناثرة.

الثرات

ظهر تصوير نهر الفرات ° Euphrates على هيئة شاب بعشب أو طحالب بحرية تغطي شعره الطويل، وهو جالس على إناء صغير نوعاً، بطن الاناء كروية الشكل وله قاعدة ورقية قصيرة وتتدفق منه المياه، وأحد خصائص هذا الاله هو قرن الخيرات الذي يمسك به في يده اليسرى، بينما يمسك في يده اليمنى ساق زهرة اللوتس، وهي مستقيمة الشكل و لها ثلاث بتلات.

دجلة

شخص نهر دجلة Tigris على صورة إله شاب جالس على جرة ماء يتدفق منها الماء كما أنه يشبه نهر فيسون من حيث الملابس والساق الذي يمسكه في يده اليسرى وكذلك الطحالب الموجودة في شعره والطحالب منفذة من الزجاج الأخضر والأخضر المائل إلى الرمادي.

تصوير الالهة الاسطورية

اهتم الفنان بتصوير الموضوعات الفنية التي تصور الالهة الاسطورية فنجده يصور الإله بان⁶ Pan (صورة رقم ٥) الذي يصور على فسيفساء صحن الكنيسة الشرقية لقصر ليبيا والاله يسير ناحية اليمين ويحمل على كتفه الأيسر عصا مع زوج من الأجنحة مربوطين في طرفها السفلي ويمتد ذراعه الايمن إلى الأمام ويمسك بكأس باللون الأسود والبرتقالي الغامق يشبه الصدف، على كلا جانبي اللوحة توجد أشجار الأرز باللون الأسود والرمادي مع أوراق من الزجاج الأسود والأخضر وتلك الموجودة إلى اليسار تصل تقريباً إلى الحافة العليا، أما الموجودة إلى اليمين فهي موضوعة بشكل مائل تقريباً.

صور الجزء العلوي من جسمه منتصب وفي المواجهة تقريباً، وذيله يتقوس لأعلى وينمو في بطنه مقلبين ويمسك في يده اليسرى دفة سفينة، وفي اليد اليمنى يمسك

⁵ Alföldi-Rosenbaum, op cit., p.126 fig. 7, 3

⁶ Alföldi-Rosenbaum, E., op cit., p. 130, fig. 105, 1

حربة مثلثة يضرب بها سمكة صغيرة، في الركن السفلي الأيسر والمياه تغطي اللوحة بالكامل وهي منفذة بالرخام الرمادي المائل إلى الأزرق الفاتح والرخام الأبيض والحجر الجيري الأبيض.

وكذلك صور الفنان الحيوانات الأسطورية المخلقة مثل التريتون نجده أيضاً في اللوحة رقم (٤٠) في فسيفساء صحن الكنيسة الشرقية لقصر ليبيا (صورة رقم ٦) تصوير انتصار الخير على الشر

نجد هذا الرمز مصوراً على فسيفساء صحن الكنيسة الشرقية لقصر ليبيا وهو تصوير يرمز لانتصار الخير على الشر، والمنظر لغزلة تقتل ثعبان بالقبض عنق رقبته (صورة رقم ٧) حيث المنظر متعدد الألوان والأحجار، فالغزلة من الرخام الأسود مع وجود بقع بيضاء والثعبان ملون باللون الأسود، والأحمر المائل إلى الأرجواني، والأصفر، والأبيض.

تصوير نهر النيل

زخرفت فسيفساء مبنى التثبيت^٧ في توكرا بلبناء^٨ Emblema عبارة عن مستطيل طويل يمتد من الشرق إلى الغرب، في الجزء الغربي منه صور شخص نصفه الأسفل متكرر، ونصفه العلوي عاري وصور في وضع جانبي، والرأس ونصفه العلوي في المواجهة يجلس على جرة مستبيرة من الماء ويستند بيده اليسرى عليها ويمسك نبات بيده اليمنى، بالنسبة لشعر الرجل فهو عبارة عن نباتات، ومن خلفه ناحية الغرب يوجد طائر أبو قردان يقف على نفس جرة الماء وفوق ذراعه الأيمن يوجد منظر لبطة تقف على نباتات وأمامه توجد أسماك كبيرة، ويحيط بكل هذا المنظر نباتات اللوتس (صورة رقم ٨)

الشخص الممثل يرمز للنيل لوجوده في منظر نيلي حيث يوجد أبو قردان ونباتات اللوتس والأسماك والبطة كما أنه يجلس على جرة ماء وهذه سمه لتصوير رمزي للأنهار (مثل فيسون في قصر ليبيا)

يلي هذا المنظر جزء مهشم من الفسيفساء يليه في نفس إطار الـ Emblema تصوير لمركب تسير في نهر النيل متجهة ناحية الشمال ويظهر نصفها الخلفي حيث صور فيه راكبي واقفاً ممسكاً بالدفة وأمامه جزء من ساري المركب وشراعها وأمامه يظهر اثنين من ركاب المركب جلوساً صوراً في المواجهة على هيئة نصفية ويظهر من

^٧ وهذا المبنى خصص فقط لعملية رسم الصليب بالزيت (أي تثبيت الأشخاص الذين تم تعميدهم في حوض التعميد المجاور لمبنى الـ Confirmatorium في الدين المسيحي) تمثلاً بتعميد السيد المسيح في نهر الأردن

^٨ حصل الأستاذ الدكتور فوزي الفخراني الذي كشف عنها في حفائره بتوكرا في الفترة من عام ١٩٧٣-١٩٧٣ بالسماح لي مشكوراً بدراسة هذه الفسيفساء حيث انه لم ينشر عنها من قبل.

أجسامهما النصف العلوي فقط أما بالنسبة لبقية اللوحة فهي مهشمة بالكامل (صورة رقم ٩)

تيخي Tyche

رمزت تيخي في الفن الوثني لمدينة أنطاكيا حينما صورت في النحت كمدينة قائمة على نهر العاصي وكذلك في مدينة Dura Europos^٩ رمزية البناء و التزيين و التجديد

اولا كوزميسس Kosmesis

صور الفنان على احدى ارضيات فسيفساء صحن الكنيسة الشرقية لقتصر لبيبا سيدة تسير ناحية اليمين ووجهها منفذ بالمواجهة تقريبا، و السيدة ترتدي رداءا طويلا وتضع على رأسها بونيه ضيق ومثبت على الجوانب بالألأى والحلي كما ترتدي أقراطا وعقدا صنعت من مكعبات من الزجاج الأصفر والأخضر بالتبادل وتمسك في يدها اليسرى غصن به زهرة واحدة بشكل الجرس وتمسك في يدها مبخرة وهي تسير بين شجرتين (صورة رقم ١٠)

ثانيا كتيسس Ktisis

حمل فسيفساء ارضية صحن الكنيسة الشرقية لقصر لبيبا شكل سيدة واقفة (صورة رقم ١٠) ترتدي ثوبا طويلا ذو اكمام طويلة والرداء منقذ بظلمين من اللون البرتقالي والقرنفل والأحمر المائل الى الأرجواني بمكعبات من التراكوتا كما انها ترتدي بونيه وأقراط متدللة وعقد وتمسك في يدها اليمنى الممتدة أكليل وفي يدها اليسرى تمسك فرع شجرة كما تسحب العباة على صدرها وتمسك بقطعة قماش ابيض مثنية وهي تقف بين شجرتين مزهرتين قد صورتنا باللون الأخضر.

كتيسيس و كوزميسس Ktisis, Kosmesis

وجدت لوحتان بين احدى اللوحات الغربية لفسيفساء كنيسة رأس الهلال بقوربنسة^{١٠} وهما موضوعتان في اطار من الدوائر المتشابهة بالاسود والابيض وتصور اللوحتان تشخيص لكتيسيس وكوزميسس Ktisis Kosmesis في وضع تضرع (صورة رقم ١١-١٢) حيث تقفان داخل حنية تعلوها صدفة تستند على اعمدة ذات تيجان من الأكانثوس وهذا كله موضوع في اطار مستطيل كما ترتدي كلتا السيدتان بيلوس ذو

⁹ Excavation at Dura-Europos, seventh and eighth seasons of work, New Haven, 1939, pp. 258- 262, pl. XXXII-XXXIII; Grabar, op. cit., pp. 268-269, figs. 2, 3

¹⁰ ذكر جرابار في دراسته لفسيفساء قصر لبيبا أن تشخيص العمليات الثلاثة (Ktisis, Kosmesis, Ananew) تعتبر فريدة في المضمون المسيحي ولا يوجد تصوير لهم في أي مكان آخر

بالرغم من نشر دراسته لفسيفساء قصر لبيبا عام ١٩٦٩ Grabar, M. a. C R A I (1969), p. 266 مع أن كنيسة رأس الهلال قد نشر عنها قبل ذلك بسبعة أعوام

أكام طويلة يلقى جزء منه على الرأس كحجاب وتضع كلتا السيدتان بونيه أسفل الحجاب أما الألوان والمواد وهي نفسياً تقريباً في اللوحتين حيث استخدم الفنان الحجر الجيري الأبيض والأصفر والزجاج الأخضر والرخام كما ظهرت نقوش باسم Ktisis, Kosmesis على اللوحتين .

ثالثاً انانيو Ananew

يوجد على فسيفساء صحن الكنيسة الشرقية في قصر ليبيا تشخيص آخر جديد فنجذ تصوير لأمراة داخل محراب (صورة رقم ١٠) وهذا المحراب يتكون من عمودين نوي فنوات لولبية لهما قواعـدـ مدرجة مرتفعة يعلوهما بلاطة Abacus يستند عليها عقد يحمل صدفة تستند على Architrave تتدلى منه ستارتان والمبنى منفذ بالرخام الأسود والأبيض والرمادي المائل الى الأزرق ويوجد سور صغير اعلى قواعـد الأعمدة بقليل يغلق المبنى و تمثال السيدة يظهر نصفه العلوي وهي ترتدي حلي، على صدرها عقد أو قلادة، وتمسك في يدها اليسرى سلة مليئة بالفاكهة وفي يدها اليمنى المنفذة بشكل كبير جدا تمسك شيئاً من الفاكهة الموجودة في السلة والفاكهة باللون الأحمر المائل الى الأرجواني والقرنفلي والحجر الجيري الأبيض .

Ktisis, Kosmesis, Ananew

صورت الثلاث شخصيات سوياً في فسيفساء الجانب الجنوبي نمبني التثبيت في توكراً منقذات على أرضية بيضاء ويقفن بشكل أمامي في رواق من الأعمدة له ثلاثة عقود، وكل سيدة منهن تقف تحت عقد، وهذه العقود مزخرفة على شكل فستون تبدأ من تاج العمود حتى تاج العمود الذي يليه وداخل كل انحناؤه للفستون ثلاث نقاط، أما الأعمدة فهي مزخرفة بزخرفة مائلة و عند تلاقي كل عقد بالآخر يوجد منظر لطائر والسيدات تظهر متدثرات برداء أسود ويرتدين حجاب أسود يغطي الصدر. (صورة رقم ١٣-١٤)

السيدة الموجودة في يسار اللوحة يرمز لها بلفظ Kticic واسمها مكتوب باللغة اليونانية، يدها اليسرى تمسك بشئ لم يستطع تحديده لتهتم الفسيفساء في هذا الجزء كما يوجد على يمينها نبات.

أما السيدة الموجودة في وسط اللوحة يرمز لها بلفظ KocmHcic وعلى يسارها يوجد نبات و تمسك بيدها اليمنى صولجان أما اليد اليسرى فيظهر منها الكف من تحت الحجاب.

أما السيدة الموجودة في يمين اللوحة فيرمز لها برمز ANANEW وعلى يسارها يوجد نبات بالاضافة الى وجود شئ يشبه الفرشاه بعضا طويلة.

كل أسم من هذه الأسماء الثلاثة ينقسم إلى نصفين يتوسطهما رأس كل سيدة و يلاحظ أن قبل أسم كل منهما يوجد تصور لصليب صغير.

ولكن هناك تساؤل لأي فترة زمنية من العصر البيزنطي يمكننا إرجاع هذه الفسيفساء؟ يتضح من وجود السيدات اللاتي تذكرنا بمثلتها في كنيسة قصر ليبيا وفي كنيسة رأس الهلال حيث تمثل اثنين من أرموز وهي **Ktisis** أي عملية البناء وهي مصورة على إحدى اللوحات الموجودة في صحن كنيسة قصر ليبيا (٤) و **Kosmesis** أي عملية التزيين وهي أيضا موجودة على فسيفساء صحن كنيسة قصر ليبيا (٢) كما توجد أيضا في اللوحة الغربية لكنيسة رأس الهلال في وضع تضرع وحيث أن كنيسة قصر ليبيا، وكنيسة رأس الهلال تنسب لعصر جستينيان^{١١} فمن الواضح أن هذه الفسيفساء التي نحن بصدها في توكرا تنتمي لنفس العصر لهذا الإمبراطور ولكن يتضح لنا من الرمز الثالث الموجود في توكرا والذي يعبر عن عملية التجديد **Ananew** تظهر أيضا في (اللوحة رقم ٨ في صحن كنيسة قصر ليبيا) مما يثبت لنا أن الإمبراطور جستينيان قد جدد المبنى وهذا يعني أن المبنى مر بعصور مختلفة^{١٢}، وكانت آخر مرحلة فيه لعصر الإمبراطور جستينيان

١١ الأمبراطور جستينيان (٥٢٨-٥٦٥)

"يعتبر الإمبراطور جستينيان الأول آخر الأباطرة العظم في الإمبراطورية الرومانية فقد كان واسع الطموح و ذو مواهب فذة مكنته من إصلاح الإمبراطورية فعمل على إعادة وحدة الإمبراطورية عن طريق تحقيق الوحدة الدينية وإعادة تنظيم الإدارة و تقوية الجيش كما عمل على تنشيط الصناعة و التجارة و لقد كان الانقسام المذهبي داخل أسرته و ذلك أن ثيودورا من أمهر نساء التاريخ و لقد كانت تدين بالمذهب يعقوبي أي مذهب الطبيعة الواحدة و لقد كان جستينيان حريصا على تحقيق الوحدة السياسية من الوحدة الدينية." انظر

• سعيد عبدالفتاح عاشور، "أوروبا العصور الوسطى" التاريخ السياسي ج ١، ١٩٦٦ ص، ٣٠٧-٣٠٩

• Hussey, J.M., "The Byzantine World", (London, 1957), p. 21, 22; Runciman, S., "Byzantine Civilization", (London, 1948), p. 257, ff.; Ure, P.N., "Justinian and his Age", p. 17, ff.

١٢ و هذا يتضح معمارياً من وجود :-

١- أساسات الحنية التي تنزل بعق متر ونصف في حين الجدران تنزل بعق متر تقريبا بما يشير بأنه حدث ترميم لجزء من الحنية.

٢- نجد فيما تبقى من مداميك جدران الحنية أنها ليست من كتل موحدة في الحجم بل هناك كتل كبيرة مثلا في الحنية وكتل أخرى صغيرة، وكبيرة في الجدران، وإن كانت كلها مقطوعة بشكل منتظم

Opus Quadratum

٣- يلاحظ أن تحت هذه الطبقة من الفسيفساء نجد أرضية جيرية ظاهرة بشكل واضح سطحها العلوي متسخ بما يؤكد استخدامها كأرضية و تحت هذه الأرضية الجيرية نجد طبقة فسيفساء قطعها أكبر حجما ونفذت بشكل هندسي وتظهر فيها صورة سمكة مما يوضح أن هذه الطبقة ترجع لفترة مبكرة من العصر البيزنطي. بمعنى أن المبنى شيد في فترة مبكرة **Ktisis** ثم حاولوا بعد ذلك في

بناءً على هذا كله يمكننا إرجاع المبنى المغطى بالفسيفاء للقرن الرابع الميلادي بعد ذلك و في القرن الخامس وبداية السادس كانت المنطقة مهددة بغارات الوندال فكان عليهم أن يحموا هذه الفسيفاء التي ترجع للقرن الرابع فلذلك غطوها بطبقة من الجص الجيري ويبدو أنهم أصابوا هذا المبنى ببعض التدمير وهذا يفسر اتساع الطبقة الجصية.

وعندما جاء جستينيان أراد أن يحمي المدينة من الوندال و يعيد ما دمر فيها من مباني لذلك بنى متراس امام مدخل المدينة من الناحية الغربية و قام بترميم المبنى Ananew و تزيينه Kosmesis بفسيفاء فوق طبقة الجص الأبيض.

تصوير الصليب على الارضيات

على الرغم أن الصليب لم يصور اطلاقاً على الأرضيات في الأماكن التي تطأها الأقدام الا ان هناك استثناء رأيناه في أرضية فسيفاء مبنى التثبيت في توكرا حيث صور صليب صغير الحجم بجانب الثلاث سيدات وهم (Ktisis, Cosmesis, Ananew) (صورة رقم ١٣-١٤-١٥) بالإضافة الى صليب كبير محفور في الأرضية الحجرية لقاعة الأستقباء في قصر أسقف توكرا و يلاحظ وجود ثقب في

طمس معالمه الذي نتمثله في الأرضية الجيرية إلى أن جاء جستينيان فأعاد تجديد المبنى Ananew و تزيينه Kosmesis.

ومن ثم تتضح لنا ماهية الحوض الكبير المستطيل المحفور في موازاة الجانب الشرقي للمبنى وبطوله و يبعد عنه أقل من متر قد خصص للتعديد الجماعي.

ومثل هذا التعديد الجماعي كان قائماً في القرن الرابع حيث أن ثيودوسيوس الكبير بقراره الصادر في ٣٩٥م الذي فرض الدن المسيحي ديناً رسمياً للإمبراطورية مما حتم على كل فرد اعتناق هذا الدين و لذلك كان عليهم أن يتعمدوا بما يشبه تعمد السيد المسيح في نهر الأردن و لهذا ليس غريباً أن نجد عملية التعديد للناس بمختلف أعمارهم في هذه الفترة كانت تتم في هذا الحوض ليتسع لأكثر عدد من الناس في أقل وقت ممكن. ومما يؤكد ذلك وجود المصطبة المقابلة لسلم النزول في الحوض على الجانب القريب لمدخل المبنى الذي نحن بصددده والمغطى بالفسيفاء.

من ثم نستنتج أن الحوض حفر في أوائل العصر البيزنطي وعلى الأرجح في القرن الرابع الميلادي وكذلك تم بناء المنى في هذه الفترة وفرشت بالفسيفاء (الطبقة السفلية التي ظهرت فيها السمكة) وتدعم ذلك الصلة العضوية بين الحوض والمبنى المزين بالفسيفاء ومجموعة المباني التي كشف عنها الأستاذ الدكتور فوزي الفخراني بما فيها قصر البطريرك الذي مثل توكرا في مجمع نيقية في القرن الرابع الميلادي والكنيسة الخاصة به وبيت القساوسة إلى آخر ذلك من مباني القساوسة كلها ترجع في عمارتها إلى القرن الرابع الميلادي.

El-Fakarani, F., "The Lighthouse", Harvard, Studies in Classical Philology, (Harvard university Press, 1974) p.264 note 58; El-Fakarani, F. "The Library of Philadelphia or the So-Called Temple on the Citadel Hill in Amman", Wissenschaftliche Zeitschrift Der Universität Rostock, (1975), P.553; and Note 111,112,113,114; El-Fakarani, F. "Da", A.A S Theater Von Amman in Jordanien, 3,1975, p.401, fig., 28,100 note 100,104, Kraeling, C.H., NRS.,58,69,100

الأرضية من حول الصليب تثبت فيها بانديرات أو مظلة لجذب النظر بحيث لا تطأها الأقدام.

وكذلك منظر لاشجار وطيور وحيوانات يوجد بها صلبان يونانية ارثونكسية على فسيفساء هيكل الكنيسة الشرقية لقصر ليبيا (صورة رقم ١٦)

النقوش

يتضح من وجود الصلبان الموجودة قبل النقوش المسجلة في الفسيفساء سواء المصاحبة للسيدات المعبر عنها بالنقوش كتييسن و كوزميسس و انانيو (صورة رقم ١٣-١٤-١٥) أو الموجودة قبل نقش فيسون (صورة رقم ١٧) إن هذا الفسيفساء ينتمي للعصر المسيحي بمعنى أن هذا المبنى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالديانة المسيحية ويؤكد ذلك أن فيسون يعتبر من أنهار الجنة كما يظهر في اللوحة رقم (٩) في فسيفساء حنية قصر ليبيا كما أن حروف الكتابة المذكورة في النقوش المسجلة مثل حرف () والسيجما القمرية Lunate Sigma أنها تظهر في النقوش مثل القرن الثاني الميلادي و استمرت في العصر البيزنطي^{١٣}

كبدل للموضوعات المختلفة سابقة الذكر لم يغفل الفنان استخدام النقوش لملى بعض اللوحات مثل نقش ماكريوس وثيودورا التي ساعدتنا كثيراً في تاريخ الفسيفساء. عن طريق أولاً المعنى مثل معرفة أسم مشهور أو شخصية مشهورة مثل كاستاليا (صورة رقم ٣) أو مدينة مشهورة مثل مدينة نيويثودوريا عن طريق شكل حروف الهجاء (الإبيجرافي) مثل () و السيجما القمرية Lunette Sigma (c).
ثانياً فسيفساء الجدران و السقوف و الحنايا

سيتم دراسة فسيفساء الجدران و السقوف و الحنايا من خلال الكنائس الآتية:-

١. بازيليكا سانت كاترين
٢. فسيفساء كنيسة سان فيتالي برفانا
٣. فسيفساء كنيسة سانت ابولوناري في كلاسي
٤. فسيفساء كنيسة سانت ابولوناري في نوفو
٥. فسيفساء كنيسة كوزماس و داميانوس

¹³ El-Fakarani, F., "The Lighthouse", Harvard, Studies in Classical Philology, (Harvard univesty Press, 1974) p.264 note 58; El-Fakarani, F. "The Library of Philodelfia or the So-Called Temple on the Citadel Hill in Amman", Wissenschaftliche Zeitschrift Der Universitat Rostock, (1975), P.553; and Note 111,112,113,114; El-Fakarani, F. "Da", A.A S Theater Von Amman in Jordanien, 3, 1975, p., 401, fig., 28, 100 note, 100, 104, Kraeling, C.H., NRS., 58, 69, 100

بعد ان وجدنا ان استخدام الفسيفساء في الأرضيات أثبت رسوخه الا انه أصبح سجلاً يدعم الدين المسيحي ونشر تعاليمه من خلال اختيار موضوعات دينية توضع عالية على الجدران و السقوف بحيث لا تمسها الأيدي وكما أصبح فن الفسيفساء عنصر جديد في تعليم الدين ونشره بما صورته الفنان من قصص للأنبياء والرسل ومن أعمال السيد المسيح والقديسين.

كان يعين الفنان في هذه الرسالة السماوية القصص والشخصيات التي استمدتها من العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل) وقصص الأنبياء والرسل والقديسين، والرمزية التي استمدتها للتعبير عن الشخصيات المقدسة وعن مظاهر الحياة الدنيوية فجاء ما صورته من هذا التراث الضخم بتبسيطه أوقع من الكلمة المسموعة واستخدم الفنان قدراته وأمكانات المادة المستخدمة في الفسيفساء بألوانها المختلفة لتبسيط منالم هذا الدين حتى أستوعبه الناس على أختلاف قدراتهم (عقولهم) كما ساعدته الجدران والحنايا والسقوف على توصيل المعلومة الدينية بسهولة فائقة لجميع زوار الكنيسة.

لذلك نجد الفنان لم يقف عند هذا الحد بل تعمق أكثر من ذلك حيث شيد دير سانت كاترين في مكان شجرة العليقة وهي الشجرة التي رآها سيدنا موسى تتوهج دوزج أن تحترق وهي ملاصقة للجبل الذي كلم الله عنده سيدنا موسى^٥ مما دعى فيما بعد ومنذ القرن الرابع طائفة من الرهبان المسيحيين ان يقيموا فيه.

فكان التعبير في دير سانت كاترين بالغاً في الذروة حيث لم يكتف الفنان بتصوير الجبل على الفسيفساء ولكن وضع المنظرين (موسى وهو يتلقى الألواح وموسى وهو يخلع نعليه) بين نافذتين يستطيع الناظر أن يرى جبل موسى في الطبيعة حيث يظهر من نافذتين فكان التصوير حياً ينبض بالواقعية (صورة رقم ١٨-١٩)

لذلك نجد الفنان يختار موضوع تجلي السيد المسيح على جبل تابور Tabor في بيزيليا دير سانت كاترين كبؤرة الأنطلاقة في مركز لحنية حيث صور السيد المسيح صور المنظر في مساحة بيضاوية الشكل يظهر في محورها السيد المسيح داخل هالة في صورة تجريدية لطبع عليها الصورة الألهية (صورة رقم ٢٠) ومن حوله اثنان من رسل بالحجم الكبير وقوفاً وثلاثة من التلاميذ جلوس في ورع عند مشاهدتهم لمنظر التجلي الذي حدث على جبل تابور طبقاً لـ (Eastern Tradition)^٤ و من تحتهم شريط مكتوب عليه نقش و يحيط بكل هذا المخطط البيضاوي واحد وثلاثين ميدالية مستتيرة كل ميدالية تحتوى على صورة شخصية نصفية لأحد أتباع السيد المسيح تتوسطها أعلى رأس السيد المسيح ميدالية تحتوى على صليب. لقد دعم الفنان وجهة نظره هذه بأن صورة السيد المسيح داخل منظر بيضاوي باللون الأزرق و(المقصود

¹⁴ "Pharaohs, Miners, pilgrims and Soldiers" Edited by Beno Rothenberg and translated by E. Osers (kummerly and Frey, Berne, 1979), p. 210

بها السماء) على خلفية ذهبية اللون فحقق مراده في تأكيد الصفة الإلهية للسيد المسيح بالمقارنة بالبشر الموجودين حوله سواء أنبياء أو قديسين^{١٥}. (صورة رقم ٢١)

وأتبع الفنان نفس النمط في حنية كنيسة سان فيتالي برافنا إذ صور السيد المسيح في المركز في صورة شاب يجلس على التراب الأرضية ويقدم تاج مزين بحلي الى القديس سان فيتالي الذي يمد يديه المغطاه بعباءة لإستلام التاج^{١٦} والسيد المسيح مرتدياً عباءة بنية اللون ولكي يلفت نظر المشاهد، صورت الكرة الأرضية التي يجلس عليها باللون الأزرق والسماء من فوقه في شكل سحب حمراء وزرقاء تعبيراً عن حكمه وسيطرته على كل ما في الأرض و السماء (صورة رقم ٢٢)

السيدة العذراء و القديس حنا المعمدان

يبرر تصوير السيدة العذراء و القديس حنا المعمدان في فسيفساء سانت كاترين ما يعرف باسم التضرع Dessis حيث تظهر السيدة العذراء و القديس حنا المعمدان كشفعاء للبشرية (صورة رقم ٢٣-٢٤) وتقوم الفكرة على أساس ان الطقوس الإلهية في صلاه التشفع حيث تتضرع السيدة العذراء و من بعدها القديس حنا المعمدان ثم الملائكة الرئيسة ومن بعدهم الحواريين الأثني عشر

الحمل

ظهر السيد المسيح على شكل حمل وخلفه صليب في كل من فسيفساء حنية كنيسة دير سانت كاترين (صورة رقم ٢٥) وفسيفساء سقف كنيسة سان، فيتالي (صورة رقم ٢٦) كما رمز الفنان للحواريون في كنيسة سانت أبولوناري في كلاسي بأثني عشر حملاً (صورة رقم ٢٧)

الاله

ورمز الفنان لتصوير الاله في مواضع العهد القديم بيد تخرج من السماء مثل سيدنا موسى وهو يتلقى الألواح في فسيفساء دير سانت كاترين (صورة رقم ٢٨) بالإضافة الى ما يمكن أن نطلق عليه الموضوعات العقائدية على اسوار التربونا Tribuna لكنيسة سان فيتالي برافنا وهو ، على كلا الجانبين نجد منظر (Abel - Melchizedek) يحضروا قرابينهم ومنظر أبراهام وهو يستعد للتضحية بابنه (صورة رقم ٢٩-٣٠)

فدرى في منظر Abel - Melchizedek يقفان على جانبي مائدة مستطيلة (مذبح) عليها القرابين وتمتد يد الاله من أعلى لكي ترمز إلى قبول القران وهذا الموضوع من المواضيع المفضلة في الفن البيزنطي ، أما بالنسبة ليد الاله فالأصبعين من المنتصف مثنية والثلاثة الآخرين يمتدون وهذا رمز الثالوث المقدس (صورة رقم ٢٩)

¹⁵ Weitzman, K., "The monastery of Saint Catherine at Mount Sinai: the church and fortress of Justinian", (Princeton University & University of Michigan), p. 15

¹⁶ Dalton, O.M., "Byzantine Art and Archaeology", (Oxford, 1911), p. 356

الرسل الإنجيليون

لم يغفل الفنان في وضع الرموز للقديسين والرسل الإنجيليين كما في فسيفساء السلسلة العليا من الصور لفسيفساء كنيسة سان فيتالي فيظهر الرسل الإنجيليون ذوي الشعر الرمادي جالسين في منظر خلوي باللون الأخضر مع أناجيلهم ويظهر صندوق لحفظ المخطوطات على اليسار يوجد (القديس جان و لوقا) وعلى اليمين يوجد (مارك و ماثيو) وتعلوهما الرموز الخاصة بهم (نسر، ثور، أسد، ملاك) الأربعة منفذين بلحية ويرتدون صنادل وتوجد على رؤوسهم هالة.

أما الجزء العلوي فقد زين بشكل صدفة يعلوها قوس يتوسطه صليب والقوس مزين بعناقيد عنب تخرج من أواني ذات أربع أيدي وعلى يمين ويسار كل آنية يوجد أثنين من اليمام و ثلاثة تحني على حافة الإناء ولفات الكروم كما يوجد طيور تمسك عنب في فمها^{١٧} (صورة رقم ٣١)

النقوش على الجدران و الاسقف

لعبت النقوش دورا هاما في ابراز الرموز المسيحية سواء على الارضيات الجدران ومن الملفت للنظر أن النقوش التي صورت في بازيليك دير سانت كاترين بسيناء في منظر التجلي نجدها منقوشة بالحروف اليونانية بينما في فسيفساء حنية كنيسة سان فيتالي في رافنا بايطاليا فكتبت بالحروف اللاتينية، و يتضح من ذلك أن اختلاف البيئتين حيث توجد رافنا في بيئة تتحدث باللغة اللاتينية بينما سيناء حيث شيدت بازيليك دير سانت كاترين كانت البيئة هالينستية تتحدث و تقرأ اليونانية.

بالإضافة الى تصوير الصليب المصور في الفسيفساء والموجود في كنيسة سانت أبولوناري في كلاسي برافنا مرصع بالأحجار الكريمة وصور بداخله عند تلاقي الذراعين ميدالية مزينة بالجواهر وتحتوي على صورة تلسيد المسيح يعلوه نقش باللغة اليونانية () - أي السمكة وهي رمز السيد المسيح وأسفله نقش آخر باللغة اللاتينية.

أما على الطرفان الآخران للصليب فيوجد نقش حرفي ()، () - أي المسيح هو البداية و النهاية

وليس هناك وجه للغرابية في أن هذا الصليب يحوي أيضا اللغتين اليونانية واللاتينية في نقوشه وتفسير ذلك أن كنيسة سانت أبولوناري في كلاسي تقع في بيئة رومانية تتحدث اللغة اللاتينية بينما الدين المسيحي نشأ في بيئة هالينستية في فلسطين وكان في الأوقات التي حرم الأباطرة الرومان اعتناق هذا الدين الجديد كانوا يستعوضون عنها برموز يعبرون بها عن السيد المسيح بحيث يتقوا بطش الحكام الرومان ومن ذلك وجد أن أسم

¹⁷ Van Berchem, Margurite et Clouzot, Etienne "Mosaïques Chrétiennes", (Genève, 1924), p. 184

السيد المسيح يتفق مع الحروف التي تكون أسم السمكة أي (يسوع ابن الله المخلص وكان يرمز للسيد المسيح على أنه هو البداية والنهاية .
بالإضافة الى النقوش الموجودة فوق ملابس الرسل فنجد فوق رداء السيد المسيح في

فسيفساء كنيسة سان فيتالي حرف (Z) (صورة رقم ٢٢)
وكذلك في ملابس الرسل الانجيليون في فسيفساء كنيسة سان فيتالي (صورة رقم ٣١)
بالإضافة الى الاركان التي ظهر فيها أسحق ممسك بلفة ومعطفه مصور عليه حرف (Z) وعلى اليسار يوجد مشهد مزدوج وفي أسفل المنظر يوجد موسى مع الأغنام (مثل الراعي الصالح في موسوليوم بلاسيديا) ومن أعلى موسى يخلع نعليه و في هذين المشهدين موسى منفذ بدون لحية وتوجد هالة فوق رأسه ومعطفه مزين بحرف (G) (صورة رقم ٣١) ^{١٨}

يظهر ابراهيم في منظر التضحية بأسحق على هيئة رجل مسن مرتدياً تونيك قصير بني اللون بحزام أبيض وأقدامه عارية وأمامه توجد شجرة ذات جزع بني اللون وأفرع بنية وأوراق خضراء وساره التي تقف خلفه عند باب الكوخ ويظهر ابراهيم مرة اخرى في المنظر مرتدياً ملابس بيضاء عليها حرف (Z) ويضع يده اليسرى فوق رأس ابنه أما يده اليمنى فيمسك بها سكين وينظر إلى أعلى حيث تمتد يد الله من السحب (صورة رقم ٣٠) ،بالإضافة الى الاسماء التي كتبت فوق رؤوس كل من (Abel -Melchizedek)

الصليب على الجدران وأسقف

بنفس أسلوب آلهة النصر في قوس نصر إمبراطوري والتي تقدم نفس الرموز فأن صلبان صغيرة في نهاية الصولجان، والكرة هي التغيرات الوحيدة التي تمت لكي تتناسب التمثيل الرمزي للتصوير الإمبراطوري في ذلك الجزء من الكنيسة، والذي أعطى له مصطلح "قوس نصر" بسبب الرمزية الإمبراطورية.

الهالة

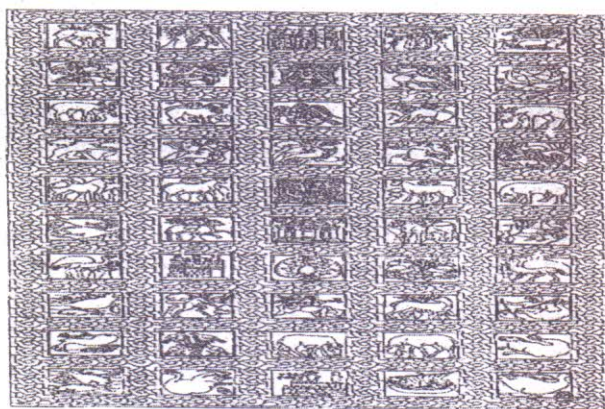
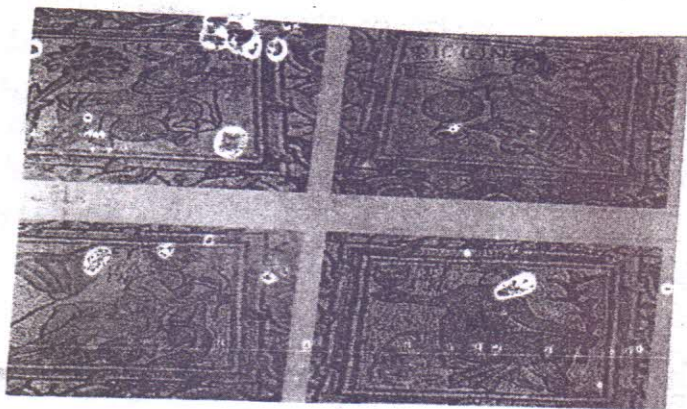
حظت الهالة اهتماما كبيرا من الفنان فصورت فوق رؤوس كل من السيد المسيح مثل فسيفساء حنية دير سانت كاترين (صورة رقم ٢١) وسان فيتالي وسانت ابولوناري وسان كوزموس و داميان والرسل (مثل سيدنا موسى على الجبل و هو يتلقى الألواح و حول رأسه هالة مذهبة و يلف رأسه نحو الشعب اليهودي ^{١٩}) و القديسن (صورة رقم ٣١)

(٣١) في كنيسة سان فيتالي و الملائكة المجنحة في كنيسة سان فيتالي
كما حظى الاباطرة بالتاليه مثل الامبراطور جستينيان (صورة رقم ٣٢) و
الامبراطورة ثيودورا (صورة رقم ٣٣)

¹⁸ Van Berchem, Margurite et Clouzot, Etienne, op cit., pp. 150-151

¹⁹ Van Berchem, Margurite et Clouzot, Etienne, op cit., pp. 151-153

ومن هنا نستنتج ان استخدام الفنان للرموز في الموضوعات المسيحية سواء في الشرق او الغرب قد تتفق احيانا وتختلف في احيان اخرى فبالرغم من اختلاف اللغات والمذاهب في كلا البيئتين بالاضافة الى استعمال هذه الرموز ليعبر بها الفنان عن شئ معين وان كانت الرموز المستخدمة على الارضيات قد اختلفت عن الموجودة على الجدران والسقوف واختيار الموضوعات التي تتناسب مع قدسية المكان مثل زخرفة الصحن وما يحتويه من رموز يختلف عن الحنية التي تميزت بموضوعات السيد المسيح اذن اتفق فناني الشرق والغرب في التعبير عن رمز السيد المسيح في البيئة اليونانية او الرومانية واستخدام الشكل المجرد للدلالة على الالهية كما ان اختلاف اللغة لم تعد عامل فعال بين فناني الشرق والغرب وان كانت كل هذه الرموز اختلفت في الموضوع الا انها اتفقت في المضمون.







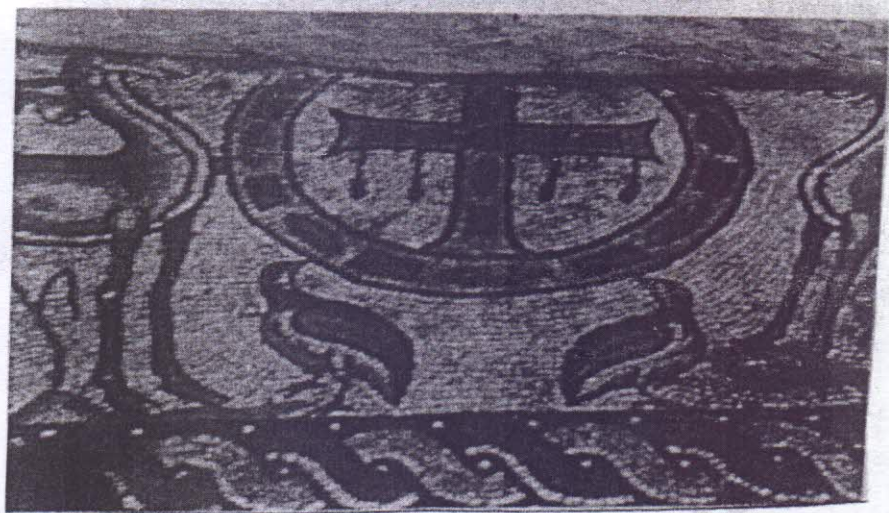
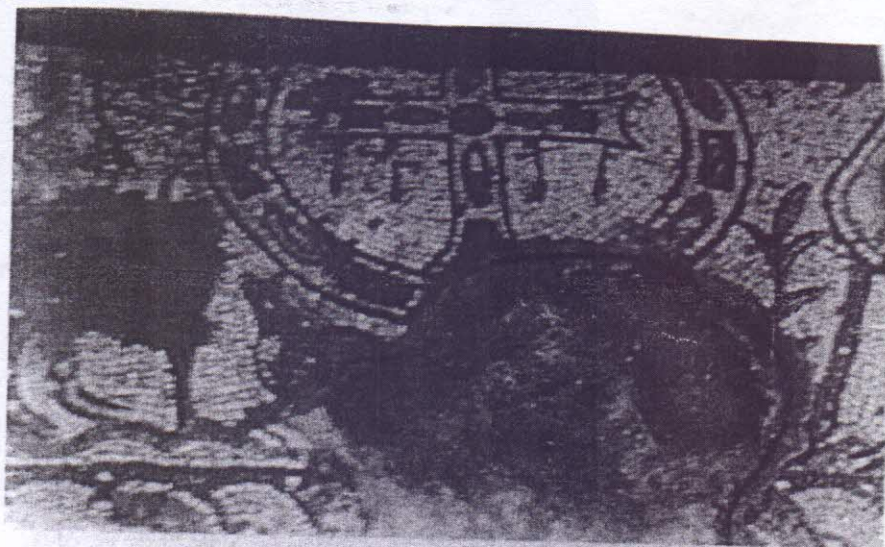


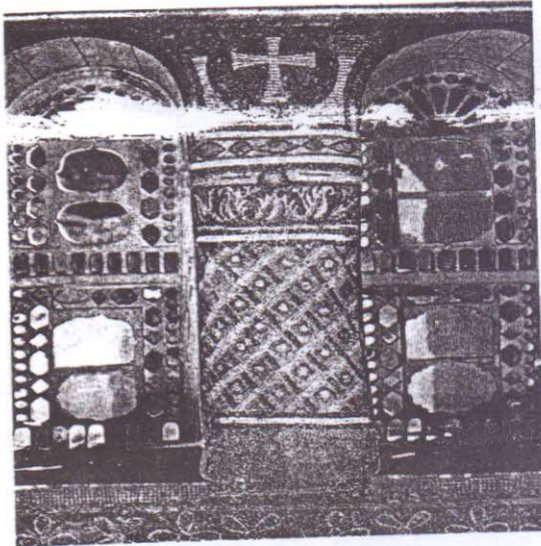










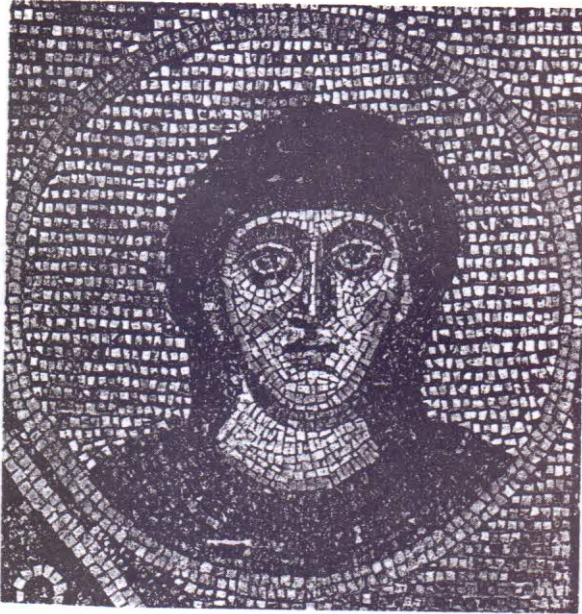


٤. Column above the Triumphal Arch







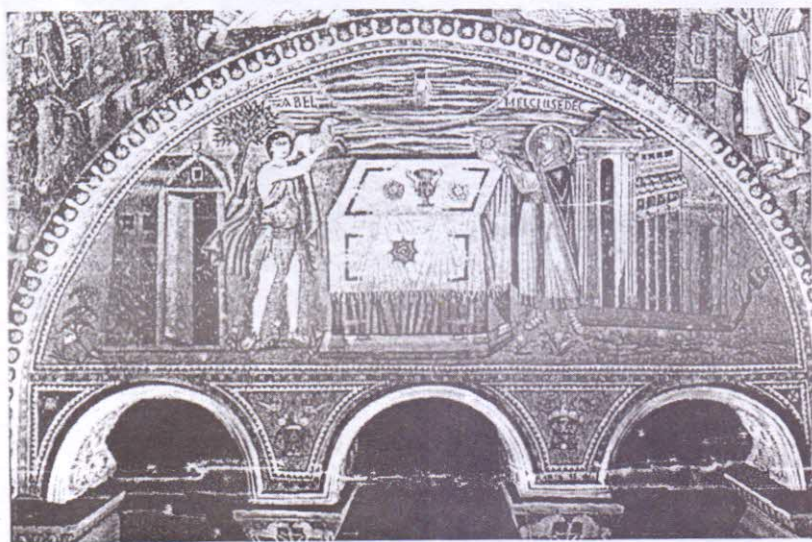


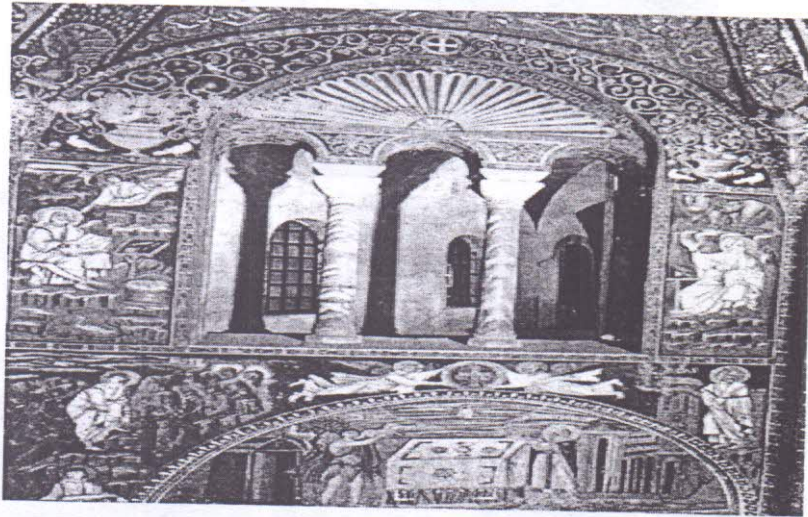


A. The Lamb of God, at summit of Triumphal Arch (Plate CIII)











العلاقات الاقتصادية و الحضارية النوميديّة الليبية

د. شافية شارن

أقامت نوميديا في العصور القديمة، علاقات سياسية وإقتصادية وحضارية مع شعوب متوسطية، وإفريقية كثيرة من بينها ليبيا.

وقد أملت هذه العلاقات، عوامل كثيرة منها الحدود المشتركة، رغم اختلاف التضاريس والمناخ، وكذا المصالح المشتركة طيلة المراحل التاريخية، الممتدة من فترة التواجد الفنيقي والقرطاجي، حتى فترة احتلالهما، إما من قبل الاغريق، و تحديدا البطالمة والرومان، أو الرومان فقط فالوندال ثم البيزنطيين .

يهنأ في هذا المقال دراسة العلاقات النوميديّة الليبية الاقتصادية و الحضارية، لما لها من أهمية على المستويين المحلي والقاري، وفي هذا الشأن يستوجب علينا طرح عدة تساؤلات.، حول طبيعة علاقة البلدين، السياسية ذات الارتباط الوثيق بعلاقتهما الاقتصادية والحضارية.

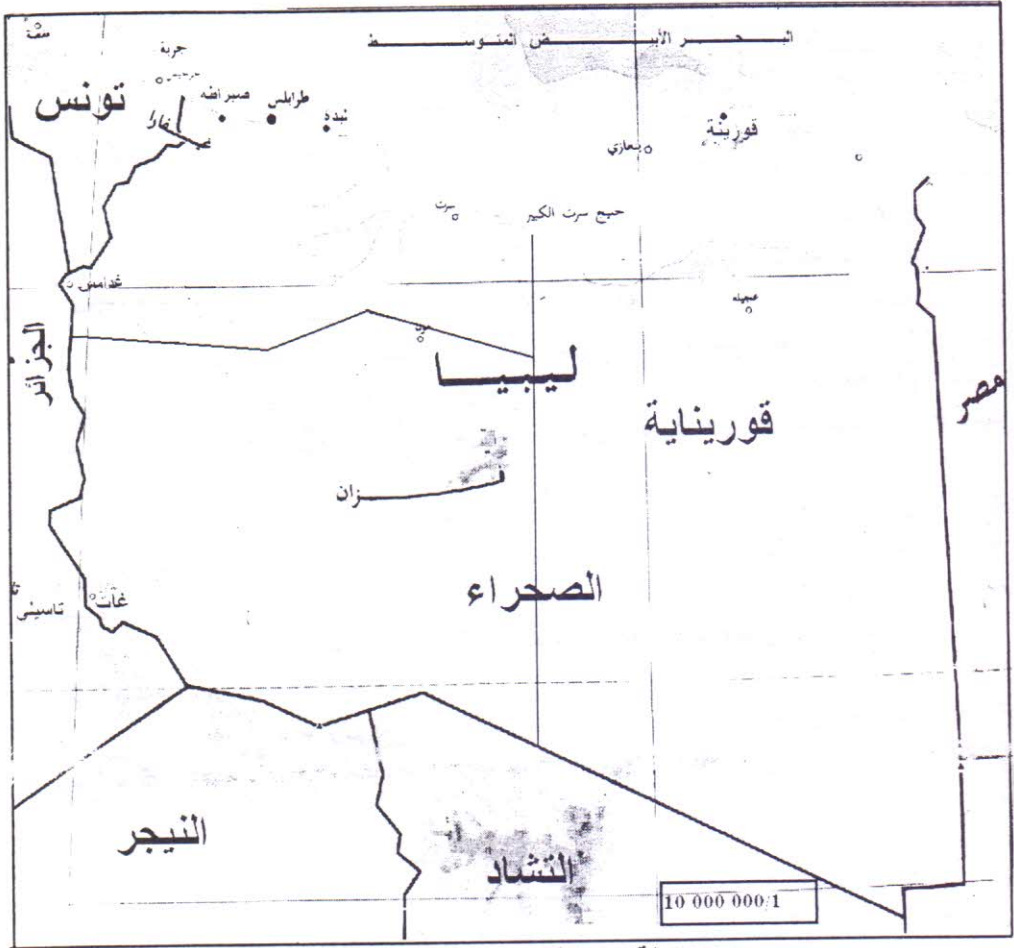
فيما تتمثل صادرات وواردات البلدين، التي تقوم عليها علاقتها الاقتصادية؟ وما هي روابطها الحضارية؟

قبل الحديث عن العلاقات الاقتصادية والحضارية النوميديّة الليبية، يقتضى الأمر منا إعطاء لمحة وجيزة عن علاقة البلدين السياسية، لارتباطها الوثيق بهذين المجالين، والنأثر المباشر والمبني بينهما.

أول مرحلة في تاريخ هذه العلاقات السياسية، تعود في الغالب الى الالف الثاني قبل الميلاد، عن طريق القبائل الليبية الهامة، المعروفة بالتحنو والتّمحو والمشواش المتكونة من عناصر مميزة، تتصف ببشرتها البيضاء، وشعرها الأصفر، وعيونها الزرقاء، وهذه المواصفات في حقيقة الأمر، يكثر تواجدها قديما وحديثا في المناطق الغربية من ليبيا، بمعنى جنوب قرطاجة ونوميديا.

قسم التاريخ جامعة الجزائر

(١) لقد دخلت هذه القبائل في صراعات كثيرة مع مصر منذ القرن ١٣ ق.م. وبعد مد وجزر، تسربت عناصر منها، و استقرت في الدلتا، وتمكن بعض أفرادها من اعتلاء مناصب مرموقة في الجيش المصري، في عصر دبت فيه الفوضى العسكرية، ومن أهم هذه العناصر شيشنق في عام ٩٥٠ ق.م ونمرود.



خريطة ليبيا في العصور القديمة

واكتشاف مثل هذه العناصر المتميزة في ليبيا، قد يعود إما الى علاقات المصاهرة بين جميع الشعوب الافريقية، وإما الى تنقل أو تسلل البعض منها شرقا، بمعنى الى ليبيا لأسباب مجهولة، لا سيما وأن فكرة الحدود بين هذه البلدان، لم تكن واردة آنذاك.

(٢) من بين ابرز نماذج المصاهرة يمكن ذكر:

- زواج أوزلساس عم ماسينيسا باحدى قرينات حنبعل
- زواج سيفاكس مع سوفونسب القرطاجية
- زواج يوغرطا مع ابنة بوخوس ملك موريطانيا
- زواج يوبا الثانى مع كليوبترا سيلينى البطلمية

و بناء على معاهدتي ٥٠٩ ق م و ٣٤٨ ق م المبرمة بين قرطاجة و روما، كان الجزء الغربي من ليبيا، المعروف بطرابلس (Tripolitaine) تابعا الى قرطاجة، و يدفع لها الجزية .

لكن بعد الصراع الذي نشب بين قرطاجة ونوميديا في عام ٢٠١ ق.م، و الذي سببه تتكرر قرطاجة لخدمات الملك النوميدي ماسينيسا، و مساندتها منافسه سيفاكس تمكن ماسينيسا، بعد استرجاع ملك أسلافه بمساعدة روما، وكذا بعض الأراضي النوميديّة التي استحوذت عليها قرطاجة سابقا، من تجريفها من بعض ممتلكاتها، كطرابلس التي تشمل المدن الرئيسية الثلاث، صبراتة طرابلس و لبدّة، التي ضمها لأراضيه في عام ١٤٨ ق م، و ظلت منذ ذلك الحين تابعة الى العرش النوميدي، تدفع له الجزية بدلا من قرطاجة، حتى عشية إنهزام الملك يوغرطا على يد الرومان^٣.

لكن إنضمام ليبيا الى الحضيرة الرومانية، لم يمنع الشعبين الأفريقيين في نوميديا و ليبيا من مواصلة علاقاتهما السياسية، و يكفي أن نشير الى إحدى أروع مظاهر النضال المشترك، المتجسد في إنضمام قبائل الجرامنت الليبية الى الزعيم النوميدي تكفرناس بين سنوات ١٧/٢٤ م لمقاومة الغزاة الرومان.

العلاقات الاقتصادية النوميديّة الليبية

يعد الفنيقيون، أول الشعوب اهتماما باقتصاد ليبيا، و تبلور هذا الاهتمام في ممارستهم للتجارة مع ثلاث مدن ساحلية و هي صبراتة (Oea)، لبدّة (Lentis magna) و طرابلس (Tripoli) التي كانت تصلها سلع كثيرة و متنوعة من السودان، كبيض النعام و ريشها، الذي يزين قبعات الجنود، و يدخل في صناعة المراوح، و كذا الذهب و أنياب الفيلة، و تكمن أهمية هذه المحطات الثلاث، التي سرعان ما تحولت الى مدن في كونها قريبة ومرتبطة ببعضها البعض برا.

وفي هذا المجال يحدثنا هيرودوت بإسهاب عن العلاقات التجارية القائمة بين نوميديا و فزان، عندما يشير إلى عربات الجرامنتيين (Garamantes)^٤ التي تجرها أربعة أحصنة، و الرقابة التي تفرضها هذه القبائل العظيمة على كامل شبكة الطرقات،

(٣) هناك من يعتقد أن طرابلس ظلت تابعة الى نوميديا حتى عام ٤٧ ق. م. بعد فشل الملك يوبا الأول المؤيد لرومي أمام قيصر.

(٤) يحدد هيرودوت موقعهم في شريط رملي يمتد من شرق ليبيا الى غربها و بالتحديد من طيبة بمصر الى مضيق جبل طارق، عاصمتهم الأولى هي وادي العجيل، جنوب الحمادة الحمراء، و تعرف كذلك باسم زنشكرة (Zincheera)، أما العاصمة الثانية فهي جرمة أوسانية جبرائيل، حدودهم مجهولة، و هي حسب سترابون على بعد خمس عشر يوما مشيا من واحة سيوة، غزاها الرومان في 21 ق.م. بقيادة بالبوس (C.Balbus)، و سيطروا على بعض مسالكها فيما بين ٧٠ و ٧٥ م.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

و المسالك المؤدية إلى الأسواق التجارية الكبرى، عبر الصحراء، و التي تربط عاصمتهم جرمة (Garama)، مروراً بسيوة و عجيبة، و منها تتجه غرباً إلى توات و غات و جانت و الهجار، و تتواصل حتى الساحل الغربي لموريطانيا، ثم الساقية الحمراء و وادي الذهب. و يتلخص نشاط قوافل فزان، في جلب المنتوجات المدارية من البلدان الإفريقية التي تخضع لرقابة الجرامنتيين، الذين كانوا يفرضون ضرائب مرتفعة على القوافل المارة بمسالكتهم^٦ و تعتبر واحة غدامس مكان انطلاق العربات نحو وسط الصحراء .

أما في القرن الثاني قبل الميلاد، و كما مر بنا، إستولى ماسنيسا على خليج السيرت الصغرى^٧، الزاخر بمنتجاته الزراعية كالزيتون و التين و نبتة السلفيوم (Sylphium) المشهورة في العالم القديم، و المنتشرة في شمال و جنوب ليبيا و خاصة في قورينايا^٨.

(٥) Camps (G) , Monument et rites funéraires protohistoriques , Paris 1961, P , 39 Gsell (S) H.A.AN,T,IV,P,139

ضعيف في هذا الشأن عدواني (م.ط.) في كتابه الجزائر في إلى وجود إتصالات بين جرمة و الأبالسة بالهجار؛ و بدون شك أن مثل هذه الطريق إنتهجت شعوب عديدة كالمصريين و السودانيين و القرطاجيين، التاريخ منذ نشأة الحضارة، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٢٤٥

(٦) ظلت هذه الضريرة مبقية عند الطوارق المعروفين بتجاريتهم للعبيد، حتى ر الخامس عشر الميلادي Gaudio (A) les civilisations du sahara dix millénaires d'histo ire, de culture et de grand commerce, Paris ,1967,.

(٧) Leptis Magna، لبدة الحالية و هو الإسم البونيقى (LPQY) للمدينة و منه إستق الإسم اللتيني (Leptis)، و بها ميناء خضع لقرطاجة في القرن السادس ق.م. و تحول إلى نوميديا من عهد ماسنيسا إلى حكم يوغرطة، ظل حتى الفتح الإسلامي ميناء محصناً تزوج تجارته في مصر و بلدان المغرب بتبادل الأقمشة مقابل العسل و الجلود و المحاصيل الزراعية، Salluste, LXXVII, 2; Gsell (S), Huile de Leptis, Paris, 1981, P, 42

(٨) Sylphium، يعرفه البعض باسم (Thapia garganica) و البعض الآخر باسم (Asa-fatida) تستغل أوراقه و أغصانه و عصيره و عسقله كخضر، و كلاء و تابل و دواء نافع لأمراض مختلفة. قام الليبيون بزراعته، و لكونه بضاعة نادرة و هامة، إنتكره التجار الليبيون، لبيعه لإغريق قورينايا الذين حاولوا مرات عديدة التعرف على منابعه لكنهم أخفقوا. كان باهض الثمن إلى درجة أنه يساوي وزنه ذهباً، تظهر صورته على عملة قورينا (Cyrène) كما تظهر في إحدى المزهريات الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس. إنتقضت هذه النبتة في القرن الخامس ق.م. بعد قلع جذورها، و حول جبابة الضرائب الرومان فيما بعد أراضيها إلى مراعي مفضلين عنها (Laser) الفارسي أو (Ferula asa foetida) الأقل ثمناً و الأوفر من السلفيوم

الليبي، Pline l'ancien, XII, 100-106, XIX, 39-40, XXVII, 204; Strabon, XVII, 3; 22; Chamoux (F), Cyrène sous la monarchie des battiades, Paris, 1953, PP,126,246; Lecrivain, silphium, D.&Saglio; pp1337-1341; 3,29

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

وحسب المعطيات الأنيبية والمادية، ربطت النوميديين وسكان طرابلس وقوريناية؛ في عصر الممالك؛ علاقات تجارية، حيث كثيرا ما تردد النوميديون على الأراضي الليبية، وقد تم العثور على مسكوكات للملك ماسنيسا في منطقة المزلق من جهة، وبما أن الاغريق قدموا الى شرق ليبيا واستقروا في قوريناية من عا م ٦٣٠ ق م حتى ٣٢٣ ق م، تاريخ وفاة اسكندر الأكبر فان البطالمة ضموا الى مصر بعد أن قاموا بتقسيمها إلى مدن^٩، وأقاموا علاقات مع شعوب غرب المتوسط،

(٩) XVII Strabon

(١٠) Ferron (J.L.), La Byzacène à l'époque punique, C.T., 1983, T,X, P,35

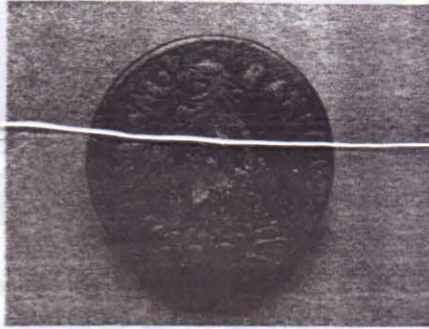
(١١) المدن هي مرسى سوسة (Apollonia) وطلمينة (Ptolémaïs) وتوكرة (Teaucheira- Arsinoé) وبن غازي (Euhesperiðes_bérénice) وقورينة الشحات كعاصمة (Cyrène)

(١٢) لقد اعتلى عرش مصر ١٥ حاكما بطلميا و هم كالتالي .

- بطليموس الأول سوتر (Soter 1) بمعنى المنفذ (٢٢٣_٢٨٥ ق م)
- بطليموس الثاني فلندف (Philadelphé) (٢٨٥_٢٤٦ ق م).
- بطليموس الثالث افرجت الأول الخير (Evergete 1) (٢٤٦_٢٢١ ق م) ضم قوريناية الى مصر بعد زواجه من برينيكي بنت ملك قورينة .
- بطليموس الرابع فيلوباتور (Philopator) (٢٢١_٢٠٥ ق م)
- بطليموس الخامس ابيفان (Epiphane) (٢٠٥_١٨١ ق م) في هذه الفترة انهارت قوة البطالمة و آل حكم مصر و قوريناية الى روما روما .
- بطليموس السادس فلوميتور (Philométor) (١٨١_١٤٥ ق م)
- بطليموس السابع افرجت الثاني (Évergete 2) (١٧٠_١٦٣ ق م) ثم من ١٤٥_١١٦ ق م
- بطليموس الثامن نيوباتور (Neo Eupator) ملك قوريناية تقاسم الحكم مع والده في (١٤٥ ق م)
- بطليموس التاسع سوتر الثاني (Soter 2) بن كليوبتره الثالثة حكم مع والدته من (١١٥_١٠٧ ق م)
- بطليموس العاشر او اسكندر الأول (Alexandre 1) حكم قبرص و عندما طرقت كليوبتره بطليموس التاسع ظل يحكم مصر حتى ٨٩ ق م لكن لما عاد بطليموس التاسع الى الحكم غادر مصر .
- بطليموس الحادي عشر او اسكندر الثاني (Alexandre 2) نصب من قبل القائد الروماني صلا بعد موت بطليموس التاسع في ٨٠ ق م.
- بطليموس الثاني عشر حكم من ٨٠_٥٨ ق م و من ٥٥_٥١ ق م.
- بطليموس الثالث عشر فيلوباتور تزوج مع أخته كليوبتره السابعة و طرد بومبي في ٤٨ ق م وقتل من طرف قيصر . حكم من ٥١_٤٧ ق م .
- بطليموس الرابع عشر فيلوباتور أخو الملك السابق حكم من ٤٧_٤٤ ق م.
- بطليموس الخامس عشرة فيلوباتور
- قيصر المعروف بقيصر بن قيصر الصغير بن قيصر وكليبترة السابعة حكم من ٤٤_٣٠ ق م
- قتل بلمر من لكتاف (اغسطس) راجع:

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

كثوميديا كما يتجلى من فخار قوريناية^٣ والمسكوكات البطلمية الى عثر عليها في قسنطينة شرق نوميديا، من جهة أخرى . و من أهم مسكوكات قوريناية يمكن ذكر خمسة نماذج منها، و هي:



الصورة رقم ١

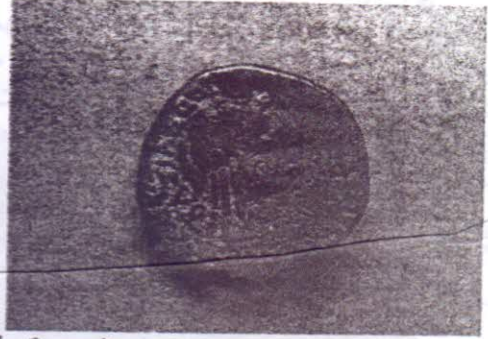
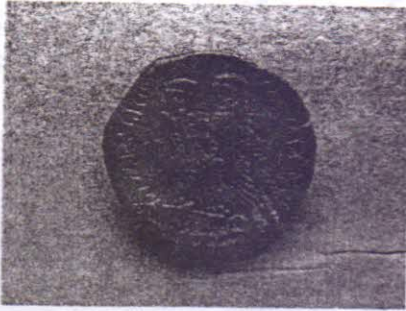
قطعة نقدية برونزية لبطليموس برينيكي قطرها ٣١ مم و وزنها ٣٤,٢ غ، تحمل على الوجه صورة جوبتر أمون، و على الظهر نسرا واقفا على الصاعقة.



الصورة رقم ٢

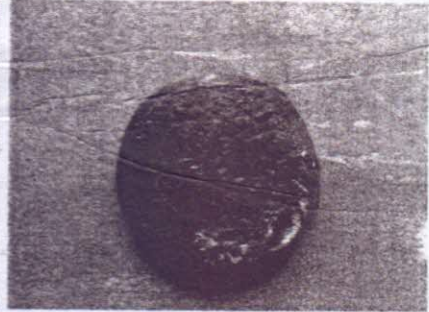
قطعة نقدية برونزية لبطليموس برينيكي قطرها ٢٠ مم و وزنها ٨.٢ غ، تحمل على الوجه رأس بطليموس، و على الظهر نسرين واقفين فوق الصاعقة.

Albert(P),dictionnaire universel des noms propres , Paris, 1968,p1471
Monceau(P), la colonie juive d' Afrique du nord , R.E.J.,1902 , PP,
(13) 346/350/358



الصورة رقم ٣

قطعة نقدية برونزية لبطليموس وبرينكي قطرها ٢١ مم ووزنها ٩٥ غ تحمل على الوجه صورة برينكي، لها ظفاتر وعلى الظهر نسرين واقفين على الصاعقة.



الصورة رقم ٤

قطعة فضية لبطليموس ابغان قطرها ٢٥ مم ووزنها ١٤٤ غ، تحمل على الوجه رأس بطليموس، وعلى الظهر نسرا واقفا على الصاعقة.



الصورة رقم ٥

قطعة برونزية لبطلينوس قطرها ٢١ مم ووزنها ٧,١ غ، تحمل على الوجه رأس بطليموس، وعلى الظهر نسرا.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

و بالإضافة الى الذهب، من المرجح أن تكون نوميديا كغيرها من بلدان العالم القديم، قد تحصلت على العقيق الجمرى (carbuncle: escarboucles) الثمين والنادر الذي مصدره جرمة، عاصمة الجرامنتيين، وبعض الأعشاب الهامة^(١٤).

أ) صادرات نوميديا نحو ليبيا أثناء الاحتلال الروماني

تمثلت صادرات نوميديا نحو قوريناية وطرابلس وفزان، أثناء الفترة الرومانية^(١٥) في رخام شمتو الذي وجه نحو لبدة، في عهد كل من سبت موس سفروس (Septimus Se Verus) و كار كلا (Caracalla)^(١٦)، اللذين بلغت في عهدهما الإمبراطورية الرومانية أوج ازدهارها، و الفخار الفاتح اللون من نوع سيجلي (Sigillée) المعروف في نوميديا، الذي صدر إلى فزان، و في زيت نيكلات الذي نقل إلى قوريناية و طرابلس^(١٧). وفي اعتقادنا شملت صادرات نوميديا، بالإضافة إلى هذه المنتجات، مواد أخرى كما يثبت ذلك بندق سكيكدة الذي يحمل اسم مدينة (Ucicada) الليبية^(١٨) التي تعذر علينا تحديد موقعها، و معرفة اسمها الحالي، و التي تشير إلى تنقل السلع بين المدينتين.

لكننا نرى أنه رغم ذلك، يبقى التبادل التجاري لنوميديا مع قوريناية، و طرابلس وفزان، بالمقارنة مع علاقاتها التجارية مع مختلف الولايات الرومانية الأخرى محددا، و مز المحتمل أن الموانئ الليبية؛ نظراً لقربها من بلدان شرق حوض المتوسط؛ استعملت لتصدير مواد نوميديّة إلى بلاد الإغريق و مصر و آسيا الصغرى، مثلما استعملت موانئ قرطاجة .

ب) واردات نوميديا من ليبيا أثناء الاحتلال الروماني

في مقابل هذه الصادرات، لم تشر المصادر، إلى واردات نوميديا من قوريناية و طرابلس و فزان، أثناء الاحتلال الروماني، لكن هناك قرائن تدل على أن التعامل التجاري بين الولايات كان في الاتجاهين، و من المحتمل جدا، أن أول واردات نوميديا

(١٤) عبد العليم (م ب) تاريخ ليبيا القديم بنغازي ١٩٦٦ صص ٣٧-٣٨ .67; كانت القبائل الليبية تقدم جلود النمر و سن الفيل و الذهب جزية لملوك مصر كحتشبسوت و يبدو أن أهل قرطاجة أرادوا الوصول الى الى منابع السلع و مصادرها فأوقفوا البعثات الكشفية لكشف المسالك المؤدية اليها

(١٥) استمرت العلاقات السياسية لنوميديا و موريطانيا القيصرية مع قوريناية قائمة بعد 46 ق.م. مع قدوم الفرقة العسكرية (Legio III Cyrenaica) ، إلى عين المكان

(١٦) Romanelli (P) , Topographie archéologique , P, 58,

(١٧) Berbrugger(A),plombs antiques , R.Af.,n9,1865,p159

(١٨) Ibid

تمثلت في نبات السلف يوم^{١٩} المشهور عبر مختلف مناطق العالم القديم، والمروج عن طريق سكان غدامس، الذين كانوا ينظمون القوافل التجارية، ويترددون على عدة محطات منها كانا (Kana) بنيجيريا وكاتسام (Katsema) بكوش، وتومبوكتو وغات، وعين صالح^{٢٠}، ومن ثم فهم تردوا على جنوب نوميديا.

إلى جانب السلف يوم، تكون نوميديا قد اقتنت ذهب السودان عن طريق الجرامنتيين كما يرجح أن النوميديين تحصلوا على مواد أخرى ثمينة، كالعاج رغم وجوده في نوميديا لكنه أوفر في ليبيا^{٢١}، بالإضافة إلى الأحجار الكريمة، والدهون الممتازة.

وأمام ندرة المعلومات حول محتوى التجارة القائمة بين نوميديا مع قوريناية وطرابلس، وفزان ينبغي ألا يفوتنا طرح بعض التساؤلات ووضع بعض الفرضيات منها:

- كون المنتجات الزراعية في نوميديا والأراضي الليبية الشرقية والغربية المتمثلة في قوريناية وطرابلس متشابهة، خاصة فيما يخص الزيتون والتين ونتاج البلح، فإننا نستبعد تبادل تجاري من هذا النوع بين البلدين^{٢٢}.

(19) Rougé (J), recherches sur l'organisation du commerce maritime en mediterrannée sous l'empire romain, Paris, 1988 P 126

كان أسطول مينوس (Minos) يتردد على قوريناية، وكانت قرطاجة تقدم الخمر مقابل نبات السلفيوم Strabon, III, 17, Fournel (M) la Tripolitaine et les routes du Soudan. Paris, 1967, P. 98

(20) قامت علاقات بين سس نيجيريا ونيجيريا السوداء عبر طرابلس وفزان، التي ينقل عبرها ذهب مملكة كوش وقصدير نيجيريا راجع:

Leschi (L), Rome et les nomades du sahara central, travaux de recherches, sahariennes, 1942 ; Mauny (R), Les contacts terrestres entre méditerranée et Afrique tropicale occidentale pendant l'antiquité, colloque de Dakkar, 1976, PP, 122-123

(21) أدت كثرة أنياب القبيلة التي تحصل عليه المدن الليبية الساحلية، بنقش صورة هذا الحيوان على أسلحة لينة و صبراطة، و التي صنع تماثيل القبيلة من الرخام، مشا حدث في لينة و ظهرت صورة قيل على الفسيفساء التي تزين مدخل مكتب الأنونة في صبراطة و في أستييا (Ostia) بل وصل الحد بأغنياء مدن طرابلس إلى إهداء أنياب القبيلة إلى آلهتهم . أما ندرة القبيلة في هذه الفترة في نوميديا فهي تعود إلى عملية الصيد المفرط من قبل الرومان.

(22) لما كانت مدينتنا لينة (Leptis Magna) وصبراطة تدفعان لروما ضريبة قيمتها عشرة آلاف هكتولتر من زيت الزيتون، سميت آنذاك بجوهرة التاج الروماني، راجع , Rossi (P) Libye, Lausanne, 1965, P, 92، لقد رفع الامراطور الافريقي من شان لينة، مسقط رأسه، بحيث إلى جانب المعالم الحضارية التي أنشأها بها، وسع ميناءها إلى حد أنه أصبح

- ما دام الساحل الغربي لليبيا مشهورا بأسواقه (Emporia) المتمثلة في لبدة وصبراتة وطرابلس^{٢٣}، فهذا يعني توافد أعداد كبيرة من التجار عليه، من مختلف مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط كتوميديا. ويبدو أن العلاقات بين جميع الولايات الرومانية سالفة الذكر تمت عبر مجموعة من الطرقات والمسالك التي تربطهم، منها طريق صبراتة طرابلس^{٢٤}.
- وطريق قسنطينة لمبار غدامس (Cydamus) عبر ققصة وقابس.
- والطريق الساحلي التي تربط بين لبدة، ووهران عبر بطيوه وشرشال وبجاية وسوسة وقابس.

٢) العلاقات الحضارية النوميديّة الليبية

بالإضافة الى علاقاتها السياسية والاقتصادية، كانت تربط نوميديا وليبيا علاقات حضارية .

وحسب المعطيات التاريخية مرت هذه العلاقات بعدة مراحل، وأولها تتمثل في قرب غدامس التابعة الى طرابلس، وغات (Ghat) التابعة للفران من جنوب نوميديا، فانه من البديهي أن تكون قد قامت علاقات مختلفة بين قبائل هذه المناطق من جهة، وبحكم قرب منطقة التاسيلي والهجار النوميديّة من غات وجرمة الليبية، التي تتواجد فيها قبائل عظيمة واحدة تعرف بقبائل الطوارق^{٢٥} فان الحفريات الابطالية

يضاهى مينائى أستيا وقرطاجة، وزوده بحوض كبير وبمرفء ومنارة وبرج للمراقبة، كما أسس رصيفا ومعبدا الى جوبتر له السماء والنور، بالإضافة الى معابد أخرى كالمسرح وال المدرج والحمامات وغيرها راجع

Blas De Robbes(J.M) Libye grecque ,romaine et byzantine , Aix en Provence,1999 ;
Rachet(G) dictionnaire d' archéologie , Paris, 1683, p 542;

كانت مدن لبدة و صبراتة و طرابلس، عبارة عن أسواق كبيرة و مشهورة، تابعة لقرطاجة (٢٣)
بناء على معاهدتي 509 و 348 ق.م. المبرمة بين قرطاجة و روما. وكان نشاط هذه المدن الثلاثة في بداية الأمر تجليا و بحريا، باعتبارها مناطق ساحلية رئيسية تصل إليها القوافل الصحراوية، و بمثابة نقاط لتقاء تجار مصر و المناطق الغربية لشمال إفريقيا، و سرعان ما عرفت هذه المدن بالإضافة إلى تلك نشاطا زراعيا، بعد أن أدخل بها القرطاجيون زراعة الفواكه كالنخيل و الزيتون و اللوز و المشمش، في سهل الجفارة، و قد عرفت قوريناية بعد استيطان الإغريق البطالمة بها، نشاطا زراعيا و تجاريا مماثلا

Cagnat (R) , Les Romains dans le Sahara , R.S.A.C., 1896 , n° 16 , P,67 ; Petit (P) ,
Crise de l'empire , Paris, 1974 , T, II , P

تعتبر صبراتة مخرج طريق القوافل القادمة من كوش، وتكمن أهمية صبراتة في كونها (٢٤)
ميناء صغيرا، تصل إليه القوافل القادمة من الصحراء، أنشئ بها سوق يومي في القرن الثاني الميلادي وسوق أسبوعي (forum)، في القرن الأول الميلادي،

راجع: R ,Rachet(g)op.cit.,P., 8

نفس القبائل متواجدة في مالي و النيجر و موريطانيا و الجزائر و ليبيا. (٢٥)

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

التي تمت في عام ١٩٣٤ على ٤٥ ألف قبر في مقبرة جرمة، كشفت عن وجود علاقات حضارية وطيدة بين قبائل الجرامنتيين الليبية والطوارق^{٢٦}، التي كانت لها في مجملها مظاهر حضارية متشابهة تتمثل، في اللباس والاسلحة والمعتقدات والعربات وغيرها.

وبالإضافة الى قرب المواقع سالفة الذكر، و ما ترتب عنها من احتكاك و تعاون وتفاعل، هناك موقع آخر لا يقل أهمية عن الأول، يتمثل في واحة سيوة بقوريناية التي أسس فيها معبد الاله آمون^{٢٧} الذي كان رمزه الكباش، كحيوان مقدس، و أضحي مزارا لشعوب كثيرة افريقية، كالشعب النوميدي، و متوسطية كالاغريق، و على رأسهم اسكندر الأكبر.

الى جانب هذين النموذجين من العلاقات الحضارية، هناك روابط فكرية عديدة تربط البلدين، و هذه المرة ليست مع السكان الليبيين الأصليين، و إنما مع الوافدين الاغريق في قوريناية، الذين كانوا يترددون على نوميديا، كما أثبتت المسكوكات سالفة الذكر، علما أن علاقة النوميديين بالاغريق عبر البحر المتوسط كانت قائمة، و مست ميادين كثيرة بعضها عسكرية، بدخول المتطوعين الاغريق كمرتزقة في الجيش النوميدي ومساهماتهم في الحروب الافريقية، مثل انضمامهم الى الجيش القرطاجي، وبعضها الآخر اقتصادية منذ عهد ماسينسا وربما قبله.

وإذا أردنا التطرق الى العلاقات النومية اليونانية يمكن حصره في النقاط التالية :

- مساهمة النوميديين في بعض الألعاب اليونانية، كسباق الخيل وحصدهم للجوائز
- توافد المنقذين الاغريق من شعراء وفلاسفة وخطباء وفنانين ونحاتين وموسيقيين، على قصور الملوك النوميديين، وفي مقدمتهم يوبا الثاني وابنه بطليموس
- تكريس الحضارة اليونانية عن طريق كليبترة سيليني، زوجة يوبا الثاني في القيصرية، عاصمة المملكة، من خلال مختلف المنشآت، ومن خلال طبيعة صورتها كبطلمية الواردة على عملتها، والمصحوبة بالكتابة اليونانية.

26 Cornevin (R.et M), histoire de l'Afrique des origines à la 2° guerre mondiale ,4 ed,Paris, 1964,p71

(٢٧) هناك من يعتقد أنه مصري و هناك من يميل الى فكرة أنه فينيقي بل هناك من يعتبره ليبي الأصل راجع مصطفى كمال صص ٤٥-٤٧.

بعد تناولنا للعلاقات الاقتصادية والحضارية النوميديّة الليبية يمكننا استخلاص النتائج التالية:

- إن العلاقات بين البلدين كانت شاملة سياسية إقتصادية وحضارية .
- قدم هذه العلاقات الممتدة من الألف الثاني قبل الميلاد حتى عشية الفتح الإسلامي
- أن العلاقات السياسية بين البلدين أطلتها أطماع توسعية قرطاجية ونوميديّة
- أن علاقتهما الإقتصادية قامت على استيراد وتصدير مواد ثمينة ونادرة كالسفيوم والذهب والعقيق وغيرها من جهة، وعلى تصدير مواد نوميديّة عبر موانئ ليبيا الإستراتيجية، والقريبة من بلدان متوسطة شرقية من جهة أخرى.
- أن طبيعة علاقتهما الحضارية دينية وثقافية، بالدرجة الأولى.

آليات اقتصاد السوق المحلي في العصور الفرعونية من خلال الوثائق الأدبية واللوحات الفنية د.صبري طه حسين

المقدمة

نظرة إلى آليات السوق المحلي في العصور الفرعونية وهى الوسائل التى ساعدت على نمو اقتصاد السوق، والتى سهلت تنظيم عمليات البيع والشراء بأسواق المدن والقرى حيث أستخدم نهر النيل كوسيلة لتوزيع ونقل السلع، وقد أوضحت مناظر الأسواق وعمليات البيع والشراء باللوحات الفنية للمقابر والبرديات، كيف تطور اقتصاد السوق، عبر فكرة تقدير القيمة أو السعر على أساس التبادل السلعي أو المقايضة بداية، ثم تطور الأمر لانتهاج فكرة تقدير القيمة أو السعر على أساس السلعة الوسيطة وما صاحبه من التبادل العيني للمحاصيل وما يتضمنه من معيار لهذا التبادل السلعي والذي ورد تقييمها أحيانا بالمعادن وإيجاد وسيط تبادلي لتقدير قيمة الأشياء والتي صاحبت ظهور فكرة تثمين السلع الأمر الذي أفضى إلى ظهور مصطلحات رقمية تمثل وحدات قيمية والتي كان لها عيار رسمي معترف به بالأسواق وانتهى الأمر بأن المعادن كان لها دور في تقييم السلع بالأسواق، ولكن ظلت المقايضة والمبادلة هي الأسلوب الاقتصادي الأمثل في أسواق المدن والقرى حتى عهد قريب، وان شملت بعض النظم الاقتصادية مثل النسخ بالأجل، أو الوساطة في البيع أو المساومة. وفى كل مدينة وقرية كان يقوم سوق. وكان المدينون والفلاحون يتقابلون هناك في أوقات معينة، ويتبادلون سلعهم المتنوعة.

ولم تعرف النقود في مصر طوال تاريخها الفرعوني، برغم وجود جدل حول استخدام عملة قياسية نقدية في الأسرة الثامنة عشرة^١، ولكن النقود الحقيقية المتداولة لم تسك في مصر قبل الأسرة الثلاثين (٣٨٠-٣٤٣ ق.م تقريبا)، بعد أن انتشرت في بلاد الإغريق، وهذه العملات الإغريقية الأجنبية لم يقبل المصريون على استخدامها، ولكنها استخدمت كسبائك معدنية يجوز الاتجار فيها بهذه الصفة.

ويجب الإشارة إلى أن ما عثر عليه في العصور الفرعونية بخزائن مصر من كسر لمعدن الفضة أو قشورها، فإنها لم تكن سوى معادن تستخدم في الصناعات وليس في

^١ كلية السياحة والفنادق - جامعه المنوفية

^١ Curtis.J.W., "Coinage of Pharaonic Egypt" JEA, 43, London,1957,p.71 -76
-----, "Media of Exchange in Ancient Egypt" in the
Numismatist,1951,pp.482-91

سك العملة، كصناعة الكؤوس والمصوغات، كالتي عثر عليها في كنز الطود أو خزان نل العمارة² .

المعاملات الاقتصادية في الريف والحضر :

لاشك أنه توافرت بالريف كافة الاحتياجات من طعام وسلع معظمها قد صنعت محليا كالخزف والصناعات المعدنية الصغيرة . أما المناطق الحضرية بما تضم من مدن صغيرة وكبيرة، فقد صعب على المواطنين العاديين الحصول على لوازمهم من المنتجات الريفية مباشرة . وكانت تدفع لهم أجورا عينية محددة، لذا كان لديهم فائض من هذه المنتجات العينية يمكن أن تتم بها المقايضة في السوق المحلية للحصول على أنواع أخرى من الغذاء والملابس، ومبادلة ما يفيض عندهم مع جيرانهم . وبصفة عامة فقد كانت الحياة بسيطة، ومتطلبات المواطنين محدودة وغير متنوعة، واحتياجاتهم متواضعة باستثناء المواسم والأعياد .

تمتع المعابد المصرية بالقوة الاقتصادية :

تمتعت المعابد المصري بالنصيب الأعظم من الأراضي والنتاج الزراعي، فضلا عن الإنتاج الحيواني والطيور التي كانت تقدم كقرابين للمعبودات، وكان معظم القرابين تقع في أيدي الكهنة يتم توزيعها على عائلاتهم وخدم المعابد وأسره³ . وكانت الهبات تكفي لإعانة الفقراء الذين يتسولون أمام المعابد، حيث أن المواطنين المصريين لم تكن لهم دخول سوى دخول حرفهم ومهنتهم التي يتكسبون منها، فكانت الحياة الاقتصادية للسكان العاديين صعبة وبالكاد يمكنهم أن يسدوا رمقهم .

التبادل السلعي في الريف :

وفي الريف المصري حصل المواطن البسيط على ضروراته من السلع عن طريق المقايضة، وتخللت المعاملات المساومة المباشرة بين الطرفين، ولكن في النهاية حكمت آليات السوق المحلية أسلوب التبادل .

التبادل السلعي في المدن الكبرى :

ولكن البيع والشراء في المدن الكبرى كان يحوى في طياته قلة المعروض أحيانا، ولكنه من جهة أخرى ربما كان أكثر ضمانا وانتظاما، وعن التجار يقول الكاتب :
" التجار يجرون مع التيار وعكس التيار " (أي بين مصر العليا والسفلى حاملين السلع من مدينة لأخرى) .

² Shore.A.F. , in Numismatic Chronicle 7th series, 14, London, 1974,5 ff.

Price. and Waggoner .N., Archaic Greek coinage. the Asyut Hoard , London, 1975,117 ff

³ Kees.H.,Ancient Egypt,London,1961, p.89

وهناك التجار الذين يستوردون بضائعهم من الخارج متمتعين بكامل حريتهم، حيث أنهم تابعين للملك (فالتجارة الخارجية احتكار ملكي)، ويتم ذلك تحت إشراف الوزير والمعابد الكبرى وكبار الموظفين⁴

ويوجد بالمتحف المصري⁵ نص بالكتابة الهيروغليفية من عصر الأسرة ١٩، به قائمة لبعض السلع وكمياتها المستوردة، ومعظمها من اللحوم، تسلمها التجار، وسجلت أسماءهم، وقد وزعت بكميات محددة حسب الفصل والشهر - ورد النص يقول:

" الشهر الثاني للفيضان، اليوم ٢٤، سلم إلى التاجر (من نخت) ١ بلاص بسدجت ٠٠ النيذ ثمنه ٣ وحدات من الذهب، وسلم للتاجر (شيري بين)، ١ رأس ثور طويل القرون

Ex. 

ثمنه ٨ وحدات شعتي "

ih I, irw n scty 8

(١ رأس ثور طويل القرون ثمنه ٨ وحدات شعتي)

ويوحى النص بأن كتابة القيم كانت بدقة، باستخدام المعدن كأساس لتحديد القيمة، سواء كانت ذهبية أو فضية، وأن التعامل كان شبه نقدي

التوزيع السلعي للبضائع عبر النقل النهري :

كان التوزيع السلعي الداخلي يتم بواسطة النقل النهري، وقد ساعد على ذلك جريان نهر النيل بطول مصر من الجنوب إلى الشمال بمسافة حوالي ٥٠٠ ميل. وربما كان النقل النهري تحت إشراف حكومي، فهي التي تمد المراكب بطاقم البحارة. استخدام المراكب في التنقل بين الأسواق في الشمال والجنوب :

⁴ Janssen.J.J,Two Ancient , Egyptian ships logs,Leiden,1961.p.101ff

Gillings.R.J.,Mathematics in the time of the Pharaohs, Combridge,Mass,1972,2f.and generally

⁵ Peet.T.E.,The unit of value Scty in papyrus Bulaq II , in Mélanges

Maspero,I,Cairo,1934,pp.185-199

وهناك برديتين من عصر الدولة الحديثة أطلق عليهما (سجل حركة المراكب) ⁶، وتضم قوائم بالبضائع التي تنقل عبر نهر النيل، وكيفية صرف أجور البحارة (وربما كانت على هيئة خبز "جراية" ⁷) وطلبات البضائع، والسرعة اليومية للمراكب، مما يشير إلى تنظيم الملاحة في النيل والرقابة لحركتها، وأن لم نعرف بالدقة من له حق الإشراف على هذه السجلات . وربما جلب البحارة معهم بعض منتجات قراهم، والتي سوف يستبدلون بها سلعا أخرى بالأسواق التي يمرون عليها، وأوضحت مشاهد إحدى مراكب طيبة، صفقات مع نساء بائعات في أكشاك على المرسى (شكل ١-٢) ⁸

الأنشطة الاقتصادية بأسواق مصر القديمة :

المحاصيل الزراعية : القمح - الشعير - الزيتون - التين - الرمان التفاح - المشمش - البندق - الفستق - الثوم - الكرنب - الصنوبر - المر - القرفة - القثاء - العدس - الكروم - السمسم - الكتان - البردي - الخضر وات - البوص - الجميز

الصناعات : الغزل - النسيج - الزيت - الصوف - الجعة - الكتان - الجبن - التماثيل - التمام - القلائد - الأثاث - البردي - الخبز - مصوغات (ذهبية ونحاسية وفضية) - مصنوعات خشبية - النعال - الملابس - العطور

منتجات بالأسواق : اللحوم - الأسماك - الملح - المواشي - الطيور - الجلد - الأخشاب

المعادن والأملاح : الذهب - الفضة - الحديد - النحاس - الشب - الأملاح

الضرائب في مصر القديمة .

كانت الضرائب متنوعة عند المصريين القدماء، فكان يدفعها المزارعون وأصحاب الأملاك على أنواع مختلفة من المحاصيل، وأيضا الصناع والعامه . وهناك ضرائب على التجارة الخارجية للصادرات والواردات والتجارة الداخلية وخاصة عند تبادل السلع بين الوجه القبلي والوجه البحري وعلى استعمال المواني والمراسي والطرق كما تم تحصيل ضرائب معينة على دواب الحمل (الحمير) وهي وسيلة النقل البري، وضرائب خاصة على الناقلين عليها ⁹

لوحات مناظر الأسواق على جدران مقابر العصور الفرعونية

لدينا مقابر عدة صورت على جدرانها مناظر الأسواق في نشاطها، وهي من المصادر التي تعكس مظاهر التسوق عند المصريين ¹⁰

أ- مناظر من مقبرة (أيوى) :

⁶ Janssen.J.J, Two Ancient Egyptian ship's Logs, Leiden,1961

⁷ Ibid.p.8

⁸ Davies.N.G., Two Ramesside Tombs at Thebes , Newyork, 1927,pl.XXX

⁹ Wilcken.U.Griechische Ostraka aus Agypten und Nubien, V.I,1899,pp.199f

¹⁰ Capart.J., Une Rue de Tom beaux a Saqqara,Brussels, 1907,pl.32 pp.

ولوحاتها تضم خمس صفوفات، واحدة مفقودة، والأربعة الباقية تصور كل بحار يساوم على ما معه من حيوب ويصيدها في غرارته أمام المرأة التي يساومها، وأقصى اليمين سيده تساووم أحد البحارة على الخضراوات، وأخرى تساووم على الكعك (الخبز)، وثالثة تساووم على السمك ورابعة على الخبز وخامسة خلفها شادر داخله رف عليه جرتان من الشراب موضع المساومة .
كل هذه المناظر التي صورت على جدران المقبرة توضح كيف كان عامة الناس يتسوقون .

ب- مناظر من مقبرة (قن آمون) (شكل ٣) :

وفى مشهد لسوق الميناء (وهى محطة حاليا)¹¹ يصور منظر وصول مراكب تجار من آسيا، ويتم تفرغها في ميناء طيبة أثناء حكم (أمنحتب الثالث) . ووضحت حركة نشاط الميناء، فالبضائع قد أفرغت من نبيذ وزيت ومواشي وأواني من المعدن، وقد عرضت على (قن - آمون) للتفتيش، ونرى ثلاثة من صغار التجار جلسوا للبيع لحسابهم، وقد عرضوا بضاعتهم على مناضد أو دليت من الأسقف، من صنادل وثياب وأطعمة وخبز، واثنان من الشوارد يديرهما رجلان والثالث صاحبه أمراه، ويجلسون على مقاعد للبيع دون مساند¹²، والبائعان يحملان ميزانين لوزن المعدن عند المقايضة أو وزن العقاقير والتوابل¹³ . والمناظر تمثل التبادل السلعي في مصر القديمة .

مناظر مقبرة (خنوم حنب) و (نى عنخ حنوم) (شكل -٤) :

بالمقبرة¹⁴، وعلى جدار باب الدخول المؤدى إلى البهو هناك ثلاثة صفوف من المناظر التسويقية يعرض البائعون بضائع لحسابهم، وتبين الصورة أربعة شوا در لبيع الخضر والفاكهة وأثنين لبيع السمك .
وفى أحد الأكوشاك يبيع أحدهم الخضر وأمامه رجلا يمد يديه بوعاء وصاحب الكيشك يقول له :

" سلمني ما معك وسأعطيك خضرا طازجة " .

وفى كشك بيع الأواني نشاهد مشتريا يستبدل إناء بمروحة والبائعة تقول له : " أنظر - هذا شئ تستطيع أن تستخدمه في الشراب "

¹¹ Davies.N.G.and Faulkner.R.O., Seven private tombs at Kurnah in Journal of Egyptian Archaeology,33,London,1947,40ff

(قن آمون) هو حاكم طيبة وأمين غلال آمون ومقبرته رقم ٦٢ بالدير الغربي بطيبة.

¹² Baker.H.,Furnitre in the Ancient Egypt,London,1932p.154

¹³ Davies and Faulkner , Op.Cit.40

¹⁴ Moussa.A.and Altenmuller.H.,Das Grab de Niancnchnum und chnumhotep, Mainz,1977,pl.24,fig.10

(خنوم حنب) و (نى عنخ حنوم) من كبار موظفي الأسرة الخامسة ومقابرهما تقع بمنطقة سفارة.

وأيضاً منظر لسيدة شابة وطفلها وهي تعرض أنية بها شئ ما في مقابل ثمار الجميز وتقول له :

" سلمني ما أحضرته معك واحصلي على أطيب جميز زفته " .
 وبينما يقول البائع ذلك تنهر المرأة طفلها وتقول " هل تريد الذهاب للبيت " ونشاهد كذلك مقايضة بلاص بالسّمك، والبائع يقول :

" أعطني ما معك وأنا أعطيك مقابله سمكا " .
 ونرى أيضاً بائع أختام يبيع خاتما أسطوانيا في مقابل سمك خالي من المعى، وهو يقول في سعادة ظاهرة :

" (سأسلم لك الخاتم في مقابل ما أحضرته من سمك، وقلبي مستريح فهذا ثمنه)"
 . والمناظر بها حركة السوق النشطة وأناس يتفرجون .

ونرى رجلا يقود قردا، وهو يجاهد لمنعه عن سرقة إحدى الثمار، وآخر يقبض على أحد اللصوص مستعينا بقرد يعض قدم اللص والمرأة تمزج الشراب وتناول له لرجل في حالة إعياء . والمناظر بصفة عامة بها عروض للبضائع ومساومات ومقايضات وكل علم بقيمة ما لديه من سلع .

ولاشك أن مثل هذه المبادلات لم يكن فيها ما يدعو للأرتباك عندما تكون قيمتها صغيرة، أو أنها قليلة العدد وسهلة التصنيع، وربما وضع المصريون البسطاء بحكم العادة بعض قواعد المبادلة باستثناء بعض السلع التي تحتاج إلى مناقشة ومساومة مثل بيع الأراضي والبيوت . . الخ

التبادل العيني للمحاصيل :

وفى رسالة (حقا نخت) إلى ابن (حيتي و سنى نبوت) بشأن إيجارات مستحقة له، حدد (حقا نخت) نسب التبادل بقوله :

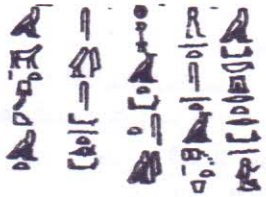
ir grt rdit . f n.i db3 m
 mrht imi di . f n.i nbnt
 hr mh ssr 2 hr bdt mh 3

ir grt rdit . f n.i db3 m
 mrht imi di . f n.i nbnt
 hr mh ssr 2 hr bdt mh 3

" من يرد التسديد بالزيت فليعط مدا من الزيت مقابل كل ٢ بوشل من الشعير أو ٣ بوشل من قمح الايمر ¹⁵ .

وبذا فقد أصبح الزيت أساسا للمقايضة عند تسديد الإيجار، وأيضا فإن النسب التبادلية بين الشعير وقمح الايمر ٣:٢ الصالح الشعير، وبذا تكون المقايضة، فكل ٣ مكابيل قمح تستبدل بعدد ٢ مكيال من الشعير ٠٠ وهكذا.

معيار التبادل السلعي في العصر الفرعوني :
ويلاحظ أن التبادل السلعي في الأسواق المحلية، وهو أمر بعيد عن الرقابة الحكومية، لا بد لأحد الطرفين المتبادلين حق اقتراح المعيار المطلوب الذي قد لا يكون دقيقا .
ففي مقالة (حقا نخت) وهي تتعلق بجمع الحبوب المستحقة له قال :



mk grt rdi n.i ini ntsn
t3 sswr c h3i st im .s iw .s
di nt iri ith zn hat km

" انظر - لقد جعلتهم يحضرون المكيال الذي سيستخدمونه في كيلها ٠٠ وقد زخرفناه بالجلد المدبوغ ٠٠٠ " .

وأورد ملحوظة في قوله : " . . . هذه هي الكميات المطلوب استلامها باستخدام المكيال الكبير الموجود في (نيسيت) ¹⁶ . . . " .
وهكذا أكد (حقا نخت) على استخدام مكياله الخاص عند استلام الحبوب .
ولاشك أن آليات التجارة بنظام المقايضة العينية، كان أسلوبا بدائيا أعتاد

¹⁵ رسائل (حقا نخت) (كاهن الروح)، عثر عليها (وينك) في حفائر طيبة من عهد الأسرة-١١، وهي تصور الحياة الزراعية والأسرية منذ ٤ آلاف عام، وعمل
" حقا نخت) كاهنا للوزير (أبي) في عهد الملك (نب حبت رع - متوتحتب -الثاني) وكان له ضيعتين الأولى بمنف والثانية بطيبة، وأثناء أسفاره كتب عدة رسائل لأبيه (مرسو) ولأسرتها التي سكنت بلدة (نيسيت) على مسافة ١٥ ميل من طيبة، وعثر على الخطاب للثالث لم يتم فتحه أو تسليمه . انظر :

Winlock,H.E., Excavations at the Temple of Deir el Bahri, Philadelphia, 1932, pp.54ff
Kingdom documents James.T.G.H., The Hekanakhte papers and other early Middle
the Metropolitan Museum of Art ,Egyptian

¹⁶ James, Op.Cit.,Papers,63,texteIV,11.12f

عليه المصريون، وربما كان هذا الأسلوب سببا مباشرا في عدم تطور الرياضيات في العصر الفرعوني¹⁷.

نظام المقايضة السلعية ضرورة اقتصادية :

روى لنا الفلاح الفصيح (خونابو) حكايته مع مشرف الاراضي¹⁸ (جحوتى نخت)، والتي أوضحت أنه نشأ خلاف بين الشخصين بسبب شرود حمار الأول وأخذ قسمة من شعير الثاني، بالأرض التي كان مشرفا عليها، ولعل هذا الحمار كان يحمل بضاعة تمثلت في البوص وأثنى عشرة سلعة أخرى من نباتات وجلد مدبوغ وخشب وملح نظرون وطيور ٠٠٠ وكلها سلع مستوردة .

وكان (خونابو) في طريقه إلى مصر، لمبادلتها بمؤن لأطفاله من الحبوب لإعاشتهم . ويبدو أن (جحوتى نخت) قد طمع فيها، وأراد أن يصادر الحمار وما يحمله، مقابل قسمة النذر اليسير من الشعير

وعندئذ تساءل (خونا نبو) (هل ثمنها يساوى ثمن الحمار؟ وهل تصادره من أجل سنبله شعير يلوكها في فمه؟) .

التعويض العيني بالمبادلة السلعية :

وملخص هذه القصة أن الفلاح (خونا نبو) كان على استعداد لحل هذه المشكلة بدفع تعويض مناسب عن الخسائر التي لحقت بمحصول الشعير للمشرف (جحوتى نخت)، وكأنه أراد أن يعقد صفقة تجارية معه، ولكن المشرف على الأراضي اعتبر الموضوع سرقة، وأنه عمل إجرامي جزاؤه مصادرة الحمار، وتجريد الفلاح من كل ممتلكاته التي يحملها، ويمخّر ن نخيل منطق التعويض إذا قبل الطرفان على بغيره، وهي قاعدة كانت شائعة في حياة الفراعنة، وكان يمكن مساواة النذر من الشعير بأية سلعة بديلة كان يحملها (خونا نبو) وينتهي الأمر . ولو قدر للفلاح (خونا نبو) أن يستكمل

¹⁷ Toomer.G.J., in J.R.Harris (ea.),The legacy of Egypt,45

Gillings.R.J., Mathematics in the Time of the Pharaoh Combridge,Mass,1972,2f.,and generally

ترجع القصة إلى عهد الملك (خيتي)، أحد ملوك أناسيا المدينة في الدولة الوسطى، (الأسرة العاشرة)، في نهاية¹⁸ وقد سماها اليونانيون بعد ذلك (هر قليبوبوليس) Ninsu الألف الثالث قبل الميلاد، عندما كانت العاصمة تسمى (نينسو) وحاليا (أناسيا المدينة) - أنظار

Lichtheim.M., Ancient Egyptian Literature university , Clifornia,1980,I,169 ff

والفلاح الفصيح أحد سكان وادي النظرون والذي تضرر من (جحوتى نخت)، ورفع شكواه إلى (رنزى بن مرو) المدير العظيم للبيت، رئيسه في العمل، الذي رفع الأمر إلى جلالة الملك الذي أعجب بفصاحته، وقد أرسل (خونابو) تسع رسائل

رائعة شارحا فيها موضوع الشكوى، وورد بها تشبيه العدالة بالميزان لأول مرة في التاريخ . أنظر : Wente.E.F., " Note on the Eloquent peasant" Journal of near Eastern studies 24, Chicago,1965,pp.105 -109,p. 258ff.

Gardiner,A.,The Eloquent peasant,JEA,IX,London,1923,p.8

رحلته إلى السوق لمبادلة بضائعه العادية وغير العادية التي حملها لمبادلتهما، فربما أورد في قصته أن هناك من الوسطاء (الدالين) الذين سيساعدونه في تصريف سلعه التي يحملها إلى مدينة (تينسو) بالفيوم .
تقييم البضائع بالمعادن :

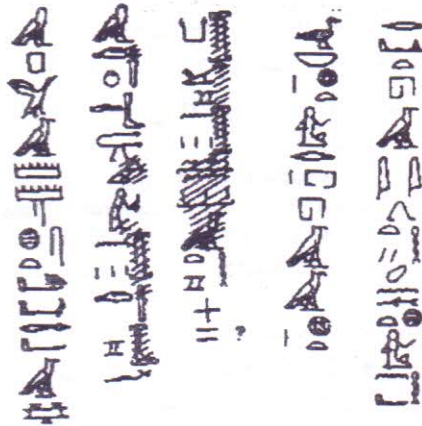
استمرت المقايضة العينية والتبادل السلعي في مصر حتى بعد استخدام النقود، وخاصة في المناطق الريفية . فقبل استخدام العملات المحلية كانت النقود والسبائك دائما مجلوبة من خارج مصر¹⁹، واستخدمت في التبادل لقيمة المعدن ذاته، واشتهر معدن الفضة في هذا الوقت لتسهيل المقايضة .

وبذا كان يتم تقييم البضائع بالمعادن اعتبارا من الدولة القديمة²⁰، ووضح هذا النهج في الدولة الحديثة وذلك بمدونات عمال دير المدينة بالبر الغربي²¹ حيث تم جمع عمال دير المدينة في مدينة واحدة .

استخدام السلع بالأسواق كوسيط تبادلي لتقدير القيمة :

من واقع رسائل وحسابات (حقا نخت) (من الدولة الوسطى)، حيث كان من نوى الأعيان، وسكن بلدة أسمها (نيسيت)، جنوب طيبة، ناحية (أرمنت)، وكان الرجل يزرع أرضه ويؤجرها أحيانا لفترة، ووضح أنه كان يمتلكها، وربما آلت إليه بالشراء أو بالميراث .

وفي رسالة أوضحت كيفية تأجيرها وسداد إيجارها - فورد:



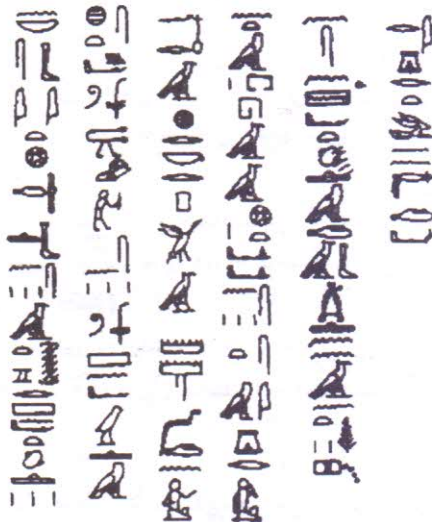
¹⁹ Price and Waggoner , Op.Cit.,p. 125

²⁰ Cerny.J.in Journal of world History,I,Paris,1954,904,n.5

²¹ Janssen.J.,Commodity prices from the Ramessid period,Leiden, 1975,499

rdit h3i (hry s3 nht) hnc
 (s3 nb niwt) r (pr-h33)
 niwt sk3 .sn n .n 3ht 5
 m kdb iti .sn kdb .f m
 p3w mn hbs sht c3

* أجعل (نخت بن حيتي) يذهب مع (سانب نيوت) إلى (البر حا عا) لزراعة ه
 أفدنه بالإيجار، على أن يقبضوا الإيجار من القماش الذي تتسجونه عندكم²².
 ويتضح من الخطاب أن أيجار الخمسة أفدنه (بالبر حا عا) سيدفع عينا، واستكمالا
 للخطاب يذكر :



lr grt wmn sdi n .sn scty
 m db3 n n3 n bdt 2 h3i m
 m (pr-h33) niwt imi di .sn
 st im gr nfr 3h rk r p3w mn
 hbs dd n.i sht sw iti .sn sw
 snw m (nbsyt) niwt kdb
 ,sn 3ht r scty


²² James.T.G.H., The Hekanakhte papers and other early Middle Kingdom documents, 13, letter II.3-6

" فإذا كانت قيمة الإيجار تكفي لتسديدها القيمة التبادلية التي يغلبها قمح الأيمر (بالبر
 حا عا) فليكن، وفي هذه الحالة دع عنك القماش الذي حدثتك عنه (أنسجه) فسوف
 يأخونه بعد تقييمه في (نبيسيت) ويؤجرون لنا في مقابله أرضا " .
 ولذا سيكون الدفع أما قماشاً أو قمحا - بعد تقييم السلعتين، فإذا أعطى ناتج القمح قيمة
 الإيجار، فإن القماش سيستخدم بعد تقييمه في تأجير مزيد من الأرض .
 وفي هذه الحالة فإن احتمال أن تتساوى قيمة الإيجار مع القماش أو تزيد قيمة القمح عن الإيجار، لذا
 فلا بد من وجود وسيط تبادلي على أساس تقدير القيم وقت إجراء الصفقات .
 استخدام المعادن كسلعة وسيطة لتقدير القيمة (السعر) :

لاشك أن المصريين في العصر المنفي لم يجهلوا استخدام المعادن الثمينة مقياساً لتقدير
 قيمة الأشياء، وقد أشير إلى استعمال النحاس والذهب أساساً للمبادلات في ذلك العهد²³
 على أن العالم (بترى) يذكر أن المعيار المشترك من النحاس لم يظهر إلا في عهد
 الدولة الوسطى²⁴ .

وأشار العالم (مسبيرو) إلى أن بعض مناظر السوق تشير إلى أن المتبادلين يحملون
 صناديق صغيرة تحتوي على سلع مجهولة، وربما كان بها قطع من المعدن كانت
 تستخدم عملة للمبادلة²⁵ .

ويلاحظ أن المناظر السابقة تفيدنا في متابعة تقدير القيمة (السعر) على أساس (قيمة
 المعدن)، وهي البدايات التي انبثقت منها فكرة النقد المعدني .
 وضمن مناظر مقبرة (خنوم حنوب) و (ني عنخ خنوب) منظر يمثل البائع وهو يقيس
 طول القماش مفرودا والمشتري يقول :

" هذا في الحقيقة قماش جيد ٠٠٠ وطول محدد ٠٠٠ كوبيت²⁶ منه تساوى ٦ شعت
 . "  Sct

ومنه نفهم أن هناك وحدات متفق عليها للتقييم، وهي (الشعت)، وأن على المشتري
 أن يعطى للبائع أي شيء يساوي ٦ شعت، وهو مفهوم السلعة الوسيطة .

²³ Breasted., History of Egypt, from the Earliest times to the Persian conquest, 2nd
 ed. Brussels, 1927 p.97

²⁴ Petrie. F., Social life in Ancient Egypt, London, 1932, p.154

²⁵ Maspero. G., Gazette Archeologique, 1880, p.97-100

²⁶ Cubit = (كوبيت) هو مقياس للطول، وورد اللفظ على شكل mh

أحد، أحد، واختصاراً للـ، والـ، والكوبيت ٦ و ٢٠ بوصة = ٢٣ ملليمتر

أنظر : Urk. IV, 425, 17, 459, 9 Gr. & 266, 2 BH. I, 26, 200

Couyat. J. and Montet. p. Les inscriptions Hieroglyphiques, et Hieratiques du Ouadi Hammamat,
 L'institut Francais d'Archeologie Orientale du Caire, I vol. Cairo, 1912, p.114

(وكلمة شعت لها مشتقات أحدث ظهورا منها (شينات، وشينا، وسينو)، التي كانت تقرأ في أول الأمر (شعتي) ²⁷ التي محل جدل في مفهوم التجارة .
ظهور فكرة تثمين السلع :

والنص السابق يشير الى وجود وحدة معدنية في الدولة الحديثة، ذات وزن ثابت أطلق عليها (شعت) (سينو) sct لتسهيل المعاملات التجارية ولاشك أن المعادن في الدولة القديمة كانت من السلع التي يقيض عليها وخاصة الذهب والفضة والنحاس، ولكنها لم تتوافر في الأسواق بصفة مستمرة . وكان الأجر في الدولة القديمة يدفع للعامل على صورة عينية من حبوب وزيت وقماش حسب المركز الاجتماعي . ومعظم أجور العمال البسطاء كانت على صورة أغذية له ولأسرته، لذا كانت المقايضة شيئا طبيعيا للحصول على لوازم الحياة الضرورية، ولكن هذا لم يمنع من وجود فكرة (القيمة) كمفهوم لتثمين السلع كما في حالة القماش .

الاقتراب من مفهوم العملات النقدية النحاسية :

وفي رسالة أخرى أوضح (حقا نخت) مفهوما آخر يشمل استخدام العملة في قوله :



²⁷ Janssen.J.J., Commodity prices from the Ramesside period, Leiden, 1961, 102ff

(الشعت) هو وزن = ١٢:١ (دين) وورد SCTY وكذا بشكل أنظر Gr. 7 266,4

Peet.T.E. The Rhind Mathematical papyrus, London, 1923, p.62 A.Z.43,35

mk .tn grt rdi n.i ini tw n tn
 dd dbn bi3 24 r kdb n 3ht in
 (s3 Ht-Hr) imi m rdi grt sk3t
 n .n 3ht 5,m kdb m (pr-h33)
 niwt r gs h3w .i m bi3 m
 hbsw m mh ssr m ht nb

"... أنظر - أرسلت لك مع (سى حتحور) ٢٤ دبنا²⁸ نحاسية، تكفى لإيجار الأرض
 ... أزرع خمسة أفدنه من أرض (البر حا عا)، مقابل النحاس أو القماش أو الشعير
 أو أي سلعة أخرى ..."


ومنه نفهم أن المقايضة على تسديد أيجار الأرض كانت عن طريق سلعة أو أكثر .
 وأن (حقا نخت) ذكر أنه أرسل لتسديد الإيجار ٢٤ دبنا نحاسية (أي ٢٤ قطعة كل
 واحدة تساوي دبنا واحدا) .
 قد ذكروا السلع مقابل بعضها دون ورود كلمة (شعت)، والتي ربما تمثل معيارا لتقدير
 قيمة الأشياء .

وأكد ذلك العالم Chassinat²⁹ الذي ذكر أن كلمة (شعت) معيار قيمي يمثل وزنا
 معيناً من المعدن الثمين

الأختلاف حول دلالة كلمة (شعت) :

أنقسم العلماء حول دلالة كلمة (شعت)، فذخر البعض أنها نقدا حقيقيا،
 أي عملة نقدية تعامل بها المتبادلين في الأسواق، وأشار آخرون أنها معيار من المعدن
 للمعاملات (أي جزء من سبيكة متفق عليها لتقدير الأشياء) .
 فالرأي الأول : أكده العالم Chassinat وأورد أن الكلمة تفيد أنها نقدا ماديا أي شبيهه
 بالعملة المعدنية .

الرأي الثاني : ذكره العالم Weill الذي أشار أن (شعت) تعنى وحدة حسابية بدلالة أن
 مخصص الكلمة عبارة عن ملف البردي (وهو عادة ما يشير إلى المعنويات) . ولكن

²⁸  dbn وهو وزن ٩ جرام .
 وورد الدبن بأشكال مختلفة من الكتابة:



أنظر : Gr. & 266,4

Peas.Bi.,166 .

Urk.IV,338,20

²⁹ Chassinat,E., Un type d'etalon monetaire sous l'ancien Empire dans
 Rec.Trav.t.XXXIX,1920,pp.79-88

الرأي المعارض له أورد أن تحديد الأرقام التي وردت بالنصوص لكلمة (شعت)، تعنى أنه شئ مادي وليس معنوي وأن الكلمة لها قيمة حسابية بدلالة أرقامها .

العيار الرسمي لكلمة (شعت) :

والعيار الرسمي لكلمة (شعت) ربما كان يعد القيمة الحقيقية لوزن خاص من الذهب، ونعرف ذلك من مسألة حسابية في ورقة (رند) من نهاية الدولة الوسطى³⁰ إذ نقول :

" أن (الدين) من الذهب يساوى ١٢ (شعت) " .

ونعلم أن (الدين) يزن ٩٠ جرام ، وعلى ذلك يكون (الشعت) وزنه ٧٥ و٧ جرام ، وأيضا فإن (الدين) من الفضة يساوى ٦ (شعت) ومن الرصاص يساوى ٣ (شعت) . وربما منذ بداية العصور الفرعونية كان نظام معيار الوزن يستعمل حلقة وزنها ١٠ جرام^{٣١} وأصبح الوزن ذو قيمة لتحديد أصناف كثيرة من السلع .

وفي نهاية الدولة القديمة أدخل معيار جديد للوزن يسمى (كيت)^{٣٢} ويزن ٩ جرام وهو ما يساوى ١٠:١ من (الدين) . وفي عصر الأسرة الثامنة عشرة شاع استخدام (الكيت) من الذهب على حين أختفي استعمال (الشعت) . وبذا نستطيع القول أن الفضل يرجع إلى المصري القديم في استخدام وحدة ذات وزن معين لتقدير مختلف السلع في السوق المحلي .


وفي أواخر الدولة الحديثة كانت الكلمة المقابلة لكلمة فضة هي (حج)^{٣٣} hd وكانت تعنى في كثير من البيوع (النقد) أو (العملة) ، وظنّ البعض أنها تعيد أكثر تجريدا هو (المكيس) أو (الرسم المقرر) في صفقات معينة^{٣٤} وربما كان معناها (الدفع) عند إتمام الصفقات في العصور القديمة .

ولاحظ الباحثون أن تراث قرية العمال بطيبة من البرديات وكسر الفخار ، وخاصة في الصفقات كانت قيمة الأشياء تقدر بالمعدن^{٣٥} وربما كان العيار الفضي كان أكثر تحديدا . وفي إحدى الوثائق وردت كلمة (سينو) أو (شعتي) وأن عيار الفضة كان محددًا ، وربما أستنتج بعض الدارسين أنه كانت هناك حقيقة (قطعة مستديرة مسطحة

³⁰ Eisen lohr, Ein Mathematisches, Handbuch der Alten Aegypter Leipzig, 1977, pp. 151-152 , et No.62 .pl.XX

³¹ Peet.T.E., The Rhind Mathematical Papyrus, Liverpool, 1923, p.62

Weill, R., La (Kite) d'or de Byblos dans Rev.Egypt.t.II, fa4, 1924, pp. 21-37

Gr. 266,4 - أنظر : dbn ١٠:١ -  kdt (كيت)³² وهو وزن ١٠:١ - أنظر : Gr. 266,4

 hd³³

³⁴ Peet.T.E., in studies presented to Griffith.F.Li., London, 1932, p.124 Allam.S., in Orientalia 36, Rome, 1967, 416ff

³⁵ Cerny.J., Prices and wages in Egypt in the Ramesside period, in Journal of world History, I, Paris, 1954, 206f Jansen.J.J., Op.Cit., p.545f

... في السنة ٢٩١٥ بعد ٧ سنوات من التحاقى ببيت ملاحظ المنطقة (سيموت) ،
أتانى التاجر (رع يا) ومعه جارية سورية من العبيد هي (جم ني حر أمنتت) وهى
بنت صغيرة ، وقال أشتري هذه البنت وأعطنى ثمنها ، هذا ماقاله لى ، أخذت البنت
وسلمته ثمنها ، أنظر الآن ، هاأنذا أنكر الثمن الذى دفعته أمام القضاء ... عدد ١
قطعة من القماش الخفيف قيمتها ٥ كيت فضة ، وعدد ١ قطعة قماش خفيف ثمنها
٣ كيت فضة ...".

هذا الحساب يوضح أساليب إبرام الصفقات التجارية في الدولة الحديثة ، فالحوار بين
سيدة متروجة وأحد النخاسين ، والسلعة هي بنت صغيرة يبيعها النخاس ، وبعد
المساومة أستقر على السعر والتسديد ، وذلك عن طريق تقييم الصفقات بالفضة ، ولكن
المقايضة كانت أساسا للتبادل ، فالتاجر سيحصل على قماش وكحل وعسل ... الخ
مقابل الجارية .

تداول المعادن الثمينة بين المواطنين على اعتبار أنها سلعة :
نادرا ما كان المصريون البسطاء يمتلكون المعادن الثمينة مثل الذهب ، اللهم إلا
بكميات ضئيلة ، وتأتى إليه أما بالوراثة مثلا أو أنه يعمل في صياغة هذه المعادن
ووجدت بمقابرهم على هيئة حلى بسيطة .

وكانت المعادن الثمينة تشدنا سوقا خاصة لمواجهة الطلب عليها ، حيث كان إقبال
الملوك والأثرياء المصريين عليها منذ أقدم العصور ، لأنه يدخل في المتاع الجنائزي
ويستخدم كحليات في المعابد والقصور .

وقد كشفت لنا برديات مصرية عن اعتياد البعض سرقة الذهب ونقله من المقابر
والمعابد (مثلما حدث في معبد الرامسيوم في عهد الملك رمسيس الحادي عشر بالأسرة
العشرون ١١٣٧-١١١٩ ق م تقريبا) ، وهى حادثة سجلت على بردية حاليا
بالمتحف البريطاني ، وفيها يعترف الكاتب ويستانى المعبد واسمه (قار) ، كيف أنهما
تسللا أكثر من مرة مع شركائهم لاختلاس قشرة الذهب التى وضعت على أكتاف
الأبواب . وكان الذهب أما أن يقايس به على بضائع في الحال ، وأما أن يصهر بعد
توزيعه ويخبأ ليستعمل فيما بعد .

³⁹ Gardiner, A.H., A Lawsuit arising from the purchase of two slaves, JEA. XXI, London, 1935, pp. 140-146

⁴⁰ British Museum Papyrus 10053 Peet, T.E., Great Tomb robberies of the XXth Egyptian Dynasty, Oxford, 1930, p. 118, pl. XX

والفقرة الوحيدة التي أشارت إلى السعر هي الحصول على ثور مقابل ٥ كيت من الذهب ، وهذا يوازي ٦٠ دينا من النحاس حسب النسبة في القيمة بين المعدنين^{٤١} ، ووثائق هذه البردية تدل على تقلب أسعار الماشية في طيبة في ذلك الوقت^{٤٢} لاعتبارات تقلب الجنس والعمر ٠٠٠ الخ .

وتكشف لنا البردية مدى أهمية معدن الذهب ، ذلك المعدن النفيس ، وكيف أنه انتهى به المطاف إلى القطاع الخاص ، وكيف تم تحويله إلى مجوهرات وحلى ، ثم أن هذا المعدن استخدم في تدويره كسلعة ، حيث أنه استخدم في المقايضة مقابل سلع أخرى مصنعة وغير مصنعة .

النقود في مصر القديمة :

كان لاحتكار الفراعنة للتجارة في مصر ، الأمر الذي ترتب عليه أن عاش ملايين الفلاحين من سكان مصر على هامش النظام الاقتصادي إضافة إلى انعدام وحدة البناء الاقتصادي وعدم وجود مشاريع خاصة وقوى منتجة وازداد الأمر سوءا بانعزالية سكان مصر عن باقي العالم نسبيا ، كل ذلك أدى إلى اقتصار التعاملات الاقتصادية على المقايضة والمبادلة .

وفي حقيقة الأمر فإن مصر كان لها نقدا اعتباريا وأن لم يكن مسكوكا أهل للتعامل الاقتصادي منذ الأسرة الرابعة والذي تمثل في وجود (الشعث) الذي ظل يستعمل مع تغيير في اسمه وصفته حتى :مانة العصور الفرعونية إذ أستعمل (الدين) و (الكديت) (الكيت) طوال الدولة الحديثة ، وحتى ظهور العملات المصرية في عصر الأسرة - ٣٠ .

ومن الراجح أن النقود المسكوكة بمعناها وشكلها لم تظهر في منطقة البحر المتوسط حتى عصر الأسرة - ٢٦ ، ولم يكن الاقتصاد المصري في حاجة حتى هذا الوقت إلى وجود عملة نقدية^{٤٣} ، إلا أنه طرأت ظروف جعلت من الأهمية بمكان استخدام عملة نقدية ، والتي تمثلت في النهضة التي عمت البلاد في عصر الأسرة الصاوية وتطور الحياة الاقتصادية بسبب التأثيرات التي أحدثها تجار الإغريق الذين أتوا إلى مصر بأعداد كبيرة وتبادلوا التجارة مع أهلها ، الأمر الذي أوجد حتمية الإسراع بضرب النقود في مصر ، خاصة بعد استخدام جيش في مصر من الجنود المرتزقة الإغريق في عصر هذه الأسرة .

⁴¹ Cerny.J.,op.cit.p.906

⁴² Janssen.J.J., op.cit.p.173

⁴³ Curtis, Coinage of Pharaonic Egypt , JEA.,Vol.43, p.71 Preaux.C., L'economic royale des lagides, Bruxelles,1939,p.267 Restovtzeff.M.,Social and Economic History of the Roman Empire,1926,pp.89,263,264

⁴⁴ Curtis.J.W., Media of exchange in Ancient Egypt in the Numismatist ,Vol.64,Washington, 1951,pp.482-491

وحافظ خلفاء الملك (مكر) - الأسرة-٢٩ على هذا الجيش الإغريقي ، والذين حصلوا على أجورهم نقدا ذهباً أو فضة ٠ ولعل (أثينا) أمدت مصر بعملتها من النقود المعترف بها لدفع هذه الأجور وقد عثر على بعضها في مصر^{٤٥} ، فقد عثر في كنز (تل المسخوطة) على عدد من هذه القطع النقدية^{٤٦} .
ولدينا بعض الدلائل على وجود نقد فرعوني خاص ضرب في مصر في عصر الأسرة-٣٠^{٤٧} .

ويمكننا أن نرجح فكرة ظهور النقود المصرية والتي ضربت باسم مصري في عهد الأسرة-٣٠ وعندما استقر حكم البلاد ، فظهرت أنواع من هذه النقود (شكل-٥) :
الأولى : والتي يمكن نسبتها إلى القرن الرابع ق م حيث ظهر نقش على وجه عملة يمثل الإلهة (أثينا) وعلى الوجه الآخر نقشان (ليومتين) تمثلان الإلهة (أثينا) ٠ وربما ضربت في مصر في عهد الملك (نختنبو الأول) - الأسرة-٣٠ ٠
الثانية: عملتان من الذهب الخالص يحملان أسم الملك (تاخوس) بالحروف الإغريقية نقش على ظهرها والوجه نقش عليه رأس الإلهة (أثينا) و (بومة واقفة) (وهذا الطراز أثيني) ، وربما ضربتا في عهد الملك (تيبوس) - ثاني ملوك الأسرة-٣٠ ٠
الثالثة: قطعة من الفضة طبع على وجهها صورة (أين أوى) (أنوبيس) وعلى الظهر صورة (بومة) وأسم ملك غامض، وربما نقشت علامة (ماعت)، والتي ربما تعنى (لا خسران ولا غش لهذه العملة)، وعثر على عملات أخرى من عصر الملك (تيبوس) عليها حروف إغريقية، وعلى الظهر نقش ديموطيقى يقرأ (تيبوس - فرعون) ٠ وهو ثاني ملوك الأسرة-٣٠ ٠

الرابعة : قطعة عملة ربما ضربت في عهد الملك (نختنبو الثاني) (نخت-حر-حب) - الأسرة-٣٠ ٠ ونقش عليها علامتان (نفر-نب) وعثر على ٢٤ قطعة منها^{٤٨} ، وطبع على ظهر هذا النقد (حصان) ، الأمر الذي يرجح الرأي بأنها كانت نقدا لدفع أجور الجنود الإغريق المرتزقة ، وربما كان النقد الذهبي الذي يحمل نقش (نفر-نب) له علاقة بجنود الجيش حيث يعتبر (نوطا للشجاعة) نظرا لأنه عثر من قبل على هذا النقش على قطع فخارية من الدولة الحديثة وعلى الجهة الأخرى (جواد متوثب) ٠ ولاشك أن النقد المصري الصريح هو الذي نقش عليه علامتان هيروغليفيتان (نفر-نب) ، وأحيانا نقش علامة (نفر) بين (بومتين) متقابلتين في حين أن علامة (نب)

⁴⁵ Vermeule.C.,Some notes on Ancient dies and coining methods. The Numismatic circular, London, 1953,pp.397-401

⁴⁶ Shore.A.F., The Numismatic Chronicle, London,1974, Nos.12-14,p1.5

⁴⁷ Jenkins.G.K., Greek Coins recently acquired by the British Museum in the Numismatic Chronicle, London,1955,pp.144-150

⁴⁸ Curtis,Op.Cit.,I

نقشت في الجزء الأسفل ، وربما يعني هذا النقش (الكل "فضة " خالصة)أو (صالح لكل الأغراض)^{٤٩}

البيع بالأجل :

كما صعب على المواطن العادي أن يشتري بالدين (بالأجل) حيث لا يطمئن البائع إلي سداد الثمن للحصول على حقه . وهناك بردية تروى فثل الكاتب (أمون نخت) في تسوية دينه لصفقة مات عقب إيرامها ، مما اضطر خصمه إلى الكتابة لأرملته قائلاً:^{٥٠}

" زوجه الكاهن (أمون نخت) ، أشتري مني تابوتا ووعدني بإعطائي العجل ثمننا له ، ولأن لم أتسلمه، فذكرت ذلك (لباعاأخت) فقال: اعطني سريرا فوق التابوت وسأعطيك العجل بعد أن يكبر ، وسلمته السرير ، ولكني لأن لم أحصل على شيء ، لاعن التابوت ولا عن السرير ، فإذا أعطيتني العجل كان بها وألا فأعدي إلي السرير والتابوت . . . "

وواضح أن الرسالة من نجار قام بتوريد تابوتا إلى (أمون نخت) ولم يحصل على ثمنه ، ومما زاد الأمر سوءا أن المدين (باعا أخت) أستدرج الدائن و استولى منه على سرير .

والقصة توضح مخاطر نظام المقايضة ، ولكن مما يكبح جماح هذه المخاطرة هو أتصاف كلا من البائع والمشتري المصري القديم بصفات الأمانة والثقة وهي أخلاقيات وسله كيات أتصف بها المواطن المصري القديم ، تلك السمات التي أكدها الحكماء والمربين القدماء ، فذكر الحكيم (أمموبى) في تعاليمه:

⁴⁹ هذه العملات بالمتحف البريطاني

⁵⁰ جزء من خطاب ، يوجد على كسرة فخار بمتحف برلين (رقم ١٢٦٣٠) وترجع إلى فترة حكم الملك رمسيس الثالث - ونشرت بواسطة :

Allam.S., Hieratische Ostraka und Papyri, Tübingen,1973,pls.10-11 Cerny.J.,in A community of workmen at Thebes in the Ramesside period,BdE,50,Kairo,1973,p.351 For "P3-c3-ht see Ranke,I,418,27.

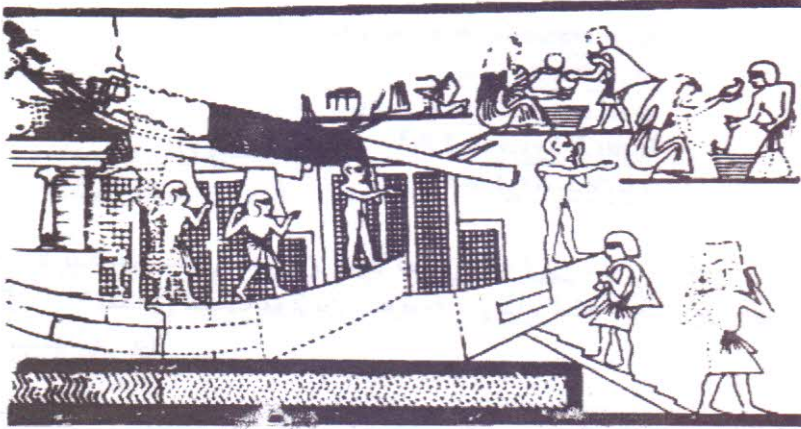
والذي أورد أن هناك بقايا شرطة أو اثنتين في نهاية الاسم ، و التي ربما كانتا بمعنى ht.f

⁵¹ Budge,W., Facsimiles of Egyptian Heratic Papyri in British museum, with description and sammary of content,second serious, London,1923,pp.165,214,215,332,333 Breasted,J.H., The Dawn of Conscience,New-York,1934,pp.371,372

أ - ١٢٣٤٥٦٧٨٩
١٠ - ١١ - ١٢
١٣ - ١٤ - ١٥
١٦ - ١٧ - ١٨
١٩ - ٢٠ - ٢١
٢٢ - ٢٣ - ٢٤

m iri rmnw iws w m tw.k sqd3 dbn
m tw.k hqi rw dbhw
m iri irry n.k dbnw m hqi
ir ptr.k kyy.s iw.f sh3
.i irrw.k ii n.f m w3

"... لا تتلاعبن بكفتي الميزان ، ولا تطففن الموازين ، ولا تنقصن من أجزاء مكايل
الغلال . لاتصنعن لنفسك موازين منقوصة ، وإذا رأيت أنسانا يفتش وجب عليك أن
تصر مبتدأ!..."



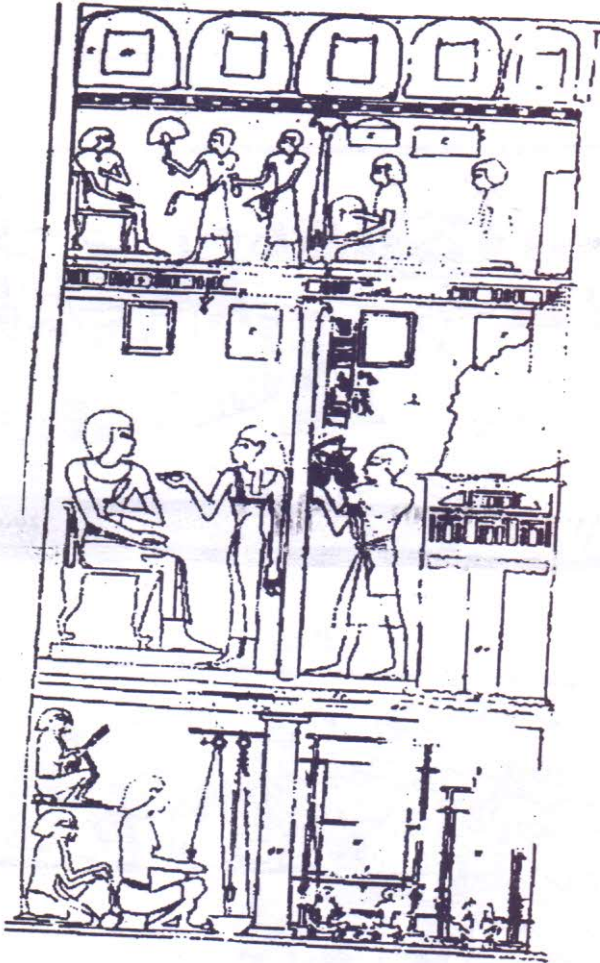
(شكل-١)



(شكل-٢)

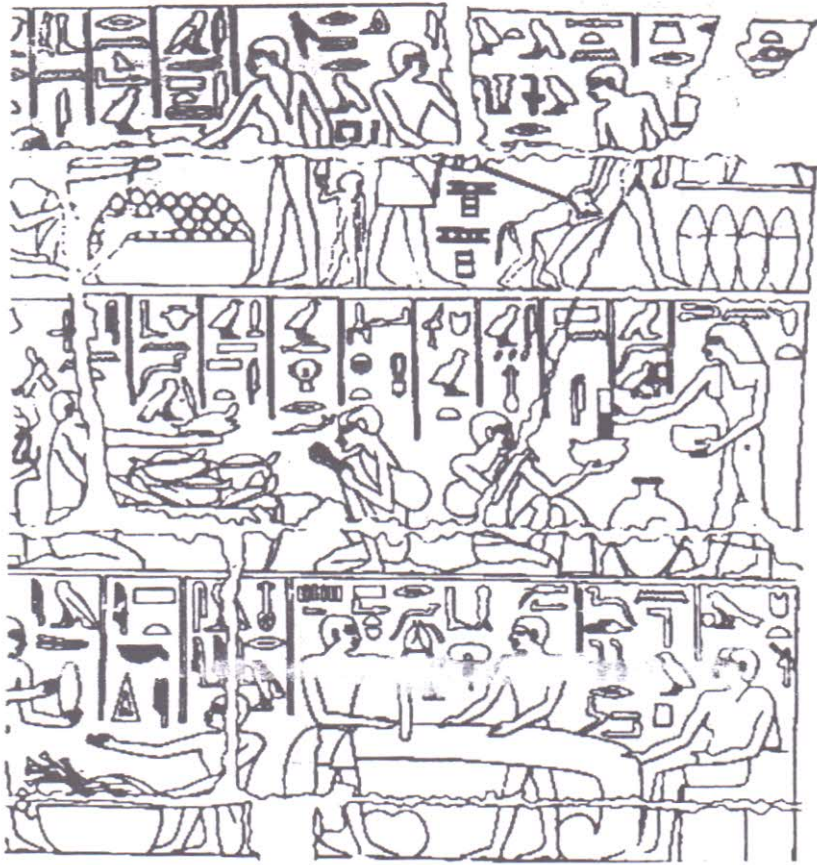
مناظر توضح صفقات البحارة مع نساء بائعات في أكشاك على المراسي من برديتين من عصر الدولة الحديثة والتي سجلنا حركة المراكب بالنيل.





(شكل-٣)

منظر لسوق الميناء بمقبرة (فن -أمون) رقم ٦٢ بالبر الغربي بطيبة.



(شكل-٤)

مناظر تسويقية لبائعون ومشترون من مقبرة (خنوم-حنتب) و (ني-عنخ خنوم) بسقارة.





(شكل-٥)

عملات من عهد الأسرة-٣٠ سكت في عهد الملك (نختنبو الأول) (نخت نب ف)
والملك (نيوس) (جد حر) والملك (نختنبو الثاني)
(نخت حر حب)

دير سانت كاترين بسيناء ملتقى الأديان أ. عبدالرحيم ريحان بركات

١- تاريخ الدير

تاريخ الإنشاء

يوجد فوق باب الدير الحالي نص تأسيسي يوناني وترجمة له باللغة العربية (لوحة ٣) على لوحين من الرخام والنص العربي مكون من ستة أسطر كالاتي :

- ١ - أنشأ دير طور سيناء وكنيسة جبل المناجاة للفقير إلى الله الراجي
- ٢ - عفو مولاه الملك المذهب الرومي المذهب يوستينانوس
- ٣ - تذكر أله ولزوجته ثاوضوبره على مرور للزمان حتى يرث
- ٤ - الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وتم بناؤه بعد
- ٥ - ثلاثين سنة من ملكه ونصب له رئيس اسمه ضولاس جرى ذلك
- ٦ - سنة ٦٠٣١ لآدم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧

ويذكر نعوم شقير (أن هذين الحجرين وضعا فوق الباب في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر أسيرى عند فتح باب سير الجديد على الأرجح وفيهما عسان تاريخيتان، الأولى أن أول رئيس للدير هو الأب لونجينيوس وليس ضولاس، الثانية أن الملك يوستينانوس لا يمكن أن يكون قد أتم بناء الدير سنة ٥٢٧ م لأن هذه السنة هي بدء ملكه، وكان مشغولا بالحروب كما هو ثابت في التاريخ، وإذا صح أنه أتمه بعد ثلاثين سنة من ملكه كما هو في النص التأسيسي فيكون قد تم سنة ٥٥٧م، ولكن مؤرخي الدير يرجحون لاعتبارات شتى أن الدير قد تم بناؤه في السنة الأربعين إلى الخمسين بعد الخمسمائة، لذلك قدرنا بناءه في نحو سنة ٥٤٥م)^(١)

وينقل Clayton عن رهبان دير سانت كاترين قولهم بأن هذا الحجر كان قبل ذلك فوق كنيسة العليقة حيث وضعته القديسة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين ويرى أن هذا خطأ لأن تاريخ النقش يعود للقرن السادس الميلادي ويرى أنه وضع بواسطة جستينان^(٢) وهناك نقش باليونانية على أحد عوارض السقف بكنيسة التجلي وترجمته كالاتي: (لأجل تحية ملكنا النقي جوستينان العظيم لأجل إحياء نكري وراحة ملكتنا

^١ سير منطقة آثار ذهب - جنوب سيناء

^٢ - نعوم شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، دير سانت كاترين، ١٩٩٥، ص ٢٢٦.
2 - Clayton(R.): Journal From Aleppo To Jerusalem , London , 1810, pp.239 - 240.

ثيودورا) ولقد أنشأ جستنيان هذا الدير لإحياء نكري زوجته ثيودورا، وتاريخ وفاة ثيودورا ٥٤٨ م، ووفاة جستنيان ٥٦٥ م^(٣) وكانت ثيودورا الزوجة المحببة لجستنيان وشاركت في كثير من أمور الحكم وكانت مهتمة بالمناطق الشرقية من الإمبراطورية وحرصت على إقامة علاقات سلمية معهم ولقد ماتت قبل وفاة جستنيان^(٤)

لذلك فمن غير المعقول أن يكون بناء الدير عام ٥٤٥ م كما قدره نعوم شقير ولا بد أن يكون قد بنى بين عام ٥٤٨ م وهو تاريخ وفاة ثيودورا وعام ٥٦٥ م تاريخ وفاة جستنيان، ويتضح من نقش رقم ٣ من عوارض سقف البازيليكا أن مهندس بناء الدير هو اسطفانوس من أيلة وهذا نصه (أيها الرب الذي تجليت برويتك في هذا المكان احفظ وارحم عبدك اسطفانوس من أيلة باني هذا الدير)^(٥)

ويوجد وثيقة بمكتبة دير سانت كاترين رقم SCM- 224 (لوحة ١) كتبت بعد عام ٨٨٣م، عن إنشاء دير سانت كاترين باللغة العربية هذا نصها :

(لما كان في ولاية الملك يوستينانوس على مدينة القسطنطينية سمعوا رهبان طور سيناء حسن ديانة الملك ومحبه لبنيان الكنائس والديارات ساروا إليه وشكوا حالهم من أن بنى لهم بيتا بينكموا عليهم فقال لهم المالك فما تريدون فقالوا له نسال انسال انسال عز ملكك أن تبني لنا دير نتحصن فيه لأن قبل ذلك لم يكون في طور سيناء دير يجتمع فيه الرهبان لأنهم كانوا متبدين في الجبال والأودية حول الباطش أعنى العليقة حيث كلم الله تعالى موسى لما ظهر الله له في العليقة وكان قرب العليقة برج كبير مبنى وهو إلى اليوم قايم وكان إذا جاهم الرهبان أمر يخافوا منه اجتمعوا وتحصنوا في ذلك البرج فارسل الملك معهم مرسال وزوده من المال وكتب الى حاكم ووالى مصر ان يدفع الى المرسال (الرسول) بما يسال (يسال) وان يعينه بالرجال ويحمل اليه من مال الميرى بمصر وامر المرسال ان يبني دير بالقلزم ودير راية ويبني دير طور سيناء ويحصنه حتى لا يكون في العالم دير احصن منه ولا يكون على الدير موضع يخاف عليه ويصير منه ضرر على الرهبان فلما وافا (وافى) المرسال بنا (بنى) كنيسة ماري اثناسيوس وبنا دير راية وسار الى طور سينا فاصاب العليقة بين جبلين مضيق والبرج مبنى قرب العليقة والرهبان متفرقين في الجبال والأودية فهم أن يبني الدير فوق الجبل ويترك موضع البرج والباطش ففكره من اجل الماء فان ليس فوق الجبل ماء فبنا الدير على الباطش موضع البرج والبرج داخل الدير والدير بين جبلين خلاف الجبل الشرقى في مضيق لو صعد احدا فوق راس الجبل الشمالى ورما حجر

3 -Tomadakis(N.): Historical Outline, In - Treasures Of The Monastery Of St. Catherine, Athens, 1990, p. 13.

4-Vasiliev(A.A.): History Of The Byzantine Empire(324 – 1453 AD), Madison, 1952, p. 132.

وقع في الدير وان ما (وانما) بنى الدير في ذلك للمضييق من اجل العليقة المقدسة والاثار الشريفة ولأجل الماء وبنا كنيسة في رأس الجبل اعنى جبل المناجاة موضع الذى أخذ موسى التوراه وكان اسم ريس الدير دولاس. ولما رجع المرسل الى الملك يوستينيانوس اخبره بما بنا من الكنائس والديارات ووصف له كيف بنى دير طور..... (سيناء) فقال له الملك اخطأت و... على للرهبان وأمكنت منهم العدو فلم (فلما) لم بنيت الدير فوق رأس الجبل فقال له انما بنيت على الباطش وقرب الماء ولو بنيت الدير..... (على رأس الجبل) لكان بتا (لكان بقى) للرهبان بلا ماء وحاصرهم..... (عدو) ومنعهم عن الماء ماتوا عطشا وكان الباطش ايضا بعيدا منهم فقال له الملك كنت ددكت (نككت) الجبل الشمالى المطل على الدير لئلا يكون على الرهبان منه ضرر فقال المرسل لو انققت لموال ارض الروم والشام ومصر ما يكفى ان يددك ذلك الجبل فغضب الملك وامر بضرب عنقه وترك معه مرسال ووجه معه مائة رجل من عبيد الروم مع نسايمهم (نسايمهم) وصبيانهم وامر ان يؤخذ من مصر مائة رجل ايضا من العبيد مع نسايمهم (نسايمهم) وصبيانهم وبنا لهم خارج دير طور سيناء بيوت يسكنون فيها ليكونوا يخدمون ويحرسون الدير والرهبان ويجرى عليهم الارزاق ويحمل من ديوان بولاق من الميرى من كل للرهبان الدير بما يحتاجونهم فلما اوفى المرسل من الملك الى طور سيناء... (امر) الدير شرقيا منازل كثيرة وحصنها بحصن واسكن فيها العبيد وكانوا يخدمون الدير ويحفظونه يسما (يسمى) الى هذا الوقت دابر العبيد فلما تولدوا وكثروا وطال على الزمان منهم الاسلام في خلافة عبد الملك ابن مروان غار بعضهم على بعض وقتلوا بعضهم بعض وفيهم من قتل ومنهم من هرب ومنهم من اسلم واولادهم الى هذا الوقت مسلمون و..... الدير الى اليوم ومنهم للحميون^(١) وخبروا الرهبان منازل العبيد بعد ان اسلموا وغاروا على بعضهم وافترقوا ليلا يسكن فيها احد وبقي الى اليوم خراب. وقالوا لهم الريس والرهبان رواحوا اسكنوا فين..... ما عزناكم في خدمة الدير عيطنا^(٢) لكم^(٣).

ونستخلص من هذه الوثيقة أن الرهبان كان لهم برج يلجئون إليه قبل بناء الدير، وأن الرهبان في منطقة الجبل المقدس ناشدوا جستينان أن يبنى لهم دير فكلف مبعوث خاص، له سلطات كاملة وتعليمات مكتوبة ببناء دير في القلزم (السويس حاليا) ودير في راية بطور سيناء ودير على جبل سيناء، ولقد بنى هذا المبعوث كنيسة القديس أناناسيوس في القلزم والدير في راية وهو الدير الذى اكتشفته منطقة جنوب سيناء في قرية الوادى وأطلقت عليه دير الوادى وأن هذه المنطقة التى تشمل دير الوادى والآثار المسيحية بوادى الأعوج المجاور للدير هي منطقة رأس راية المقصودة في هذه الوثيقة وليست المنطقة التى تسمى رأس راية حاليا ولتى سميت بهذا الاسم نسبة إلى ضريح الشيخ راية ولا علاقة لها بأى آثار مسيحية، أما عن بناء دير سانت كاترين في الوثيقة

يوضح أنه عندما ذهب مبعوث جستنيان لجبل سيناء وجد أن شجرة العليقة في مكان ضيق بين جبلين ووجد بجوارها برج وعيون ماء، وكان هدفه بناء دير على الجبل ليترك الشجرة المقدسة والبرج كما هما، ولكن عدل عن ذلك لعدم وجود مياه أعلى الجبل وصعوبة توصيل مياه إليه، وبنى الدير قرب العليقة وشمل داخله البرج وكان بذلك قرب مصادر المياه، وعندما عاد مندوب جستنيان إليه وحكى له أين وكيف بنى الدير قال له أنت مخطئ لماذا لم تبنى الدير أعلى الجبل؟ أنت بذلك وضعت الرهبان في يد الأعداء وأجابه المندوب أنه بنى الدير قرب مصادر المياه لأنه لو بناه أعلى الجبل وتم حصار الرهبان سيموتون عطشاً وأنه بنى الدير قرب شجرة العليقة، ويذكر Mayerson أن مندوب جستنيان بنى كنيسة صغيرة أعلى الجبل في المكان الذي تلقى فيه نبي الله موسى عليه السلام ألواح الشريعة^(٩).

وفي الوثيقة رقم ٦٩٢ باللغة العربية المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين تذكر أن إمبراطور الروم أرسل حوالى مائتين من العبيد مع نسائهم وأولادهم من منطقة البحر الأسود ومن مصر للقيام بحماية الدير ورهبانه وما يزال أحفادهم بسيناء حتى اليوم ويقوم الرهبان بإطعامهم من خيرات الوديان المبعثرة هنا وهناك بينما يتولون هم حمايتهم^(١٠)، وينقل Mango عن افتخيوخس Euty chius (وهو بطريرك الإسكندرية الذي عاش في قرن العسر الميلادي وكتب باللغة العربية ويشتهر باسم ابن البصيريق) أن جستنيان لم يعجبه رأى مبعوثه الذي بنى الدير في وادي ضيق يشرف على الجبل من الناحية الشمالية، فأمر بقطع رأسه وحاول إصلاح ضعف الدير من الناحية الدفاعية فأرسل مائتي عبد بعائلاتهم لسيناء كحراس دائمين للدير وبنى لهم أماكن خاصة خارج الدير تقع شرق الدير وعندما جاء الإسلام دخل هؤلاء الحراس في الإسلام فقام الرهبان بتدمير مساكنهم وأن هذه المنازل باقية حتى اليوم وكانت مبنية من كتل من الجرانيت المحلي^(١١) ويذكر Gibson أن جستنيان أرسل مائة عائلة لحراسة الدير وأمر بإرسال مائة أخرى من مصر وعين عليهم ضولاس كحاكم عليهم^(١٢).

وعلى أية حال فإن خدم الدير حالياً من قبيلة الجبالية وهم أحفاد الجنود الرومان والمصريين الذين كانوا يقومون بحراسة الدير في القرن السادس الميلادي^(١٣) وعرفوا بالجبالية نسبة إلى جبل موسى^(١٤).

وقد جعل جستنيان راتباً مستديماً للدير، وهو قدحاً من كل أردب من كل الحبوب قمح وشعير وعدس وغيرها من أجل مؤنة الرهبان وقد أقر هذا الراتب بعد ذلك محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام كما هو مثبت في عهد الأمان^(١٥) ورغم أن الدير أنشأ عام ٥٦٠م كما يذكر بروسوبيوس، إلا أن رهبان الجبل المقدس لم يسكنوه بعد بنائه مباشرة بل ظلوا في المغاور والكهوف حول الدير إلى أن انتقل مركز الأبرشية من

فيران إلى دير طور سيناء (دير سانت كاترين) بعد عام ٦٤٩م، وأصبح رئيس الدير مطراناً للأبرشية، ولقبه مطران دير طور سيناء وفيران وراية^(١٦) وكان الرهبان المقيمين في طور سيناء تابعين لأبرشية فيران منذ القرن الرابع الميلادي وكان لهم رئيس خاص بهم وأول رئيس لهم هو نولاس ٣٧٣م وأشهرهم هو الرئيس لونجينوس (٥٣٠ - ٥٨٠م) وفي أيامه أرسل الرهبان وفداً منهم إلى الملك جستنيان، وبنى الدير في عهده، وصورته موجودة في قبة هيكل الكنيسة الكبرى^(١٧) أسباب البناء

لم ينشأ جستنيان الدير على أساس ديني صرف، ولكنه جزء من خطته الحربية^(١٨) فقد قام ببناء تحصينات على الحدود الشرقية للإمبراطورية من حدود سوريا إلى شمال أفريقيا لتحمي طرق التجارة ضد قبائل الصحراء والجبال الوعرة، ونماذج الحصون هذه أصبحت هي النموذج للأديرة الكبيرة حتى ولو لم تكن هناك ضرورة حماية عسكرية للمكان^(١٩) وإن كان السبب المباشر لبناء دير سانت كاترين هو الإستجابة لمناشدة الرهبان حول الجبل المقدس ولكنه وجدها فرصة لتحقيق أهدافه الأبعد من ذلك وهي:

- ١- تأمين الحدود الشرقية للإمبراطورية^(٢٠) والدفاع عن مصر ضد أخطار الفرس، لذلك حرص على تحصين مداخل سيناء وبنى نقطة للحراسة على روس التلال الهامة بين العريش ونخل بوسط سيناء^(٢١)
 - ٢- تأمين طرق المواصلات بين مصر وفلسطين وإعاقه أو تأخير أي هجوم على فلسطين حيث كانت تنقل البضائع من أثيوبيا إلى فلسطين عن طريق سيناء^(٢٢)
 - ٣- العمل على نشر المسيحية^(٢٣)
- القديسة كاترين

بنى جستنيان الدير وخصص للعدراء مريم^(٢٤) وفي القرن التاسع الميلادي أطلق على الدير دير القديسة كاترين والقديسة كاترين هي ابنة كوستاس^(٢٥) من عائلة نبيلة بالإسكندرية، وعاشت بالإسكندرية أيام حكم الإمبراطور الروماني مكسيمانوس ٣٠٥-٣١١م، وتحولت للمسيحية^(٢٦)

ومن أجل أن ينتزعها الإمبراطور من المسيحية أصدر أوامره إلى خمسين حكيمًا من حكماء عصره أن يناقشوها ويجادلوها في سبيل دحض براهينها عن المسيحية، إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل وجاءت النتائج عكسية لدرجة أن هؤلاء الحكماء ما لبثوا

١٦- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٥٤٨.

19-Krautheimer (A.): Early Christian And Byzantine Architecture , Middlesex -England 1975 ., pp.272-273

.25- Skrobucha(H.): Sinai , Translated By Hunt(G.) , London : Oxford UNIV., 1966, p. 65

أن انضموا إلى صفوف المسيحية وحذا كثيرون حذوهم وكان من بينهم أقرب المقربين للإمبراطور من رجال البلاط، فلجا مكسيمانوس لتعذيبها وأمر أن تصنع عجلات يبرز منها سامير ورؤوس سكاكين مدببة ليضعونها فيها، ولم يؤثر هذا على إيمانها مما دفع أحد الجنود لقطع رأسها^(٢٧) وبعد مضي خمسة قرون على استشهاده، رأى أحد رهبان سيناء رؤيا بأن الملائكة حملوا بقايا جسدها ووضعوها فوق قمة جبل قرب الدير فصعد الرهبان للجبل فوجدوا بقايا الجثة فدفنوها في أعلى ذلك الجبل ثم نقل الرهبان تلك البقايا لكنيسة التجلى بالدير ومن، ذلك العهد سميت الكنيسة والدير باسم القديسة كاترين^(٢٨) وأطلق على الجبل جبل القديسة كاترين، ووضعت بقايا القديسة في صندوق ذهبي بمنبح الكنيسة^(٢٩)

٢ - عمارة الدير

إن البناء الحالي للدير أشبه بحصن، فالسور الخارجي هو سور حصن في حقيقة الأمر لأن أكثر أجزائه السفلى المشيدة بأحجار الجرانيت ترجع إلى أيام الحصن الأول الذي شيده جستنيان والمزود بوسائل دفاعية كافية ضد من تحدته نفسه بمحاولة تحطيم الأبواب، ويرتفع الدير عن سطح البحر ١٤٧٩ م^(٣٠).

١ - سور الدير وأبوابه

بنى السور من أحجار صخرية قائمة الزوايا من الجرانيت الصلد أخذت حجارته من جبل الدير الجنوبي وجوانبه غير متساوية الطول، الجدار الشمالي الغربي طوله ٧٤,٨٠ م، الشمالي الشرقي طوله ٨٨ م، الجنوبي الشرقي طوله ٧٤,٧٠ م الجنوبي الغربي طوله ٨٠,٥٠ م، وارتفاع السور ٨ م جهة الغرب يتدرج حتى ٢٥ م جهة الشمال، وسمك السور ٣ م، وبنى الدير باتجاه شمال شرق وجنوب غرب موازي لمجرى السيل حتى لا يجرفه السيل^(٣١) ولم يخترقه أى أبراج دفاعية وإنما أنشئت أربعة أبراج كتقوية بسيطة لأركان السور من الخارج وأكبرها في الركن الشمالي الغربي، وربما استخدم هذا البرج كبرج مراقبة، والأسوار قوية بدرجة تكفى أن يعيش الرهبان في أمان وسبب ذلك أن مهندس البناء يبداوا أنه كان ضابطاً بالجيش البيزنطي، واشترك عدد كبير من الجنود في البناء مما أوحى للمؤرخ البيزنطي بروسيوس Procopios أن يذكر أن الإنشاء كان لحصن عسكري وليس لدير^(٣٢) وتعرض الدير لزلازل عام ١٣١٢ م أدى لسقوط جدرانه الشرقية والغربية وبقي الركن الجنوبي الغربي سليماً عبر قرون وتم ترميم الجزء الشمالي الشرقي بعد الزلازل، ولكنه سقط مرة أخرى ودغم القائد الفرنسي كليبير الدير بأبراج عام ١٨٠١ م^(٣٣)

الجدار الشمالي الغربي

طول الجدار ٧٤,٨٠م وارتفاع الأجزاء الأصلية ١٠,١٣م والارتفاع الحالي ٤,١٨م وذلك عدا الجزء الشمالي منه الذى أعيد بناؤه، وهو مبنى من كتل مشدبة من الجرانيت وبه نوافذ عديدة ضيقة لها أعتاب بزخارف محفورة وبه ثلاث بوابات من بوابات الدير الأربعة الأصلية، البوابة الرئيسية (شكل ٢ (A) رقم ٤) ويعلوها نفيس وعقد عاتق Relieving arch ونقش يونانى يقرأ:

(هذه بوابة الرب يدخل منها الصالحون) تحته اسم جستينيان، وهذا النص من عصر الإنشاء وتم إغلاق هذه البوابة بكتل الجرانيت فى العصور الوسطى والبوابة عرضها ٢م وارتفاعها متر واحد، وهناك مدخل مقبى (شكل ٢ (A) رقم ٧) استعمل كمدخل ثانى شمال البوابة الرئيسية وسمك السور عند هذه النقطة ١,٦٥م واستمر استعمال هذا المدخل بعد غلق البوابة الرئيسية ثم أغلق فى وقت غير معلوم.

وكان يتم الدخول للدير عن طريق نفق تحت الأرض يؤدى للحديقة وظلت هذه البوابة مدخل سرى حتى القرن التاسع عشر الميلادى وتم خرقها وكسرهما عام ١٨٦٠م أثناء بعض التجديدات فى الجدار الشمالى، وفى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى فتحت البوابة التى مازالت مستعملة حتى الآن عرضها متر واحد وارتفاعها ١,٥م (شكل ٢ (A) رقم ٦) (لوحة ٢) التى تؤدى لمر صيق وثلاث أبواب متتالية من الخشب المصنوع بالحديد ويعلو هذه البوابة نقشين نقش عربى (شكل ١ (A) رقم ٩) (لوحة ٣) يحكى قصة تأسيس الدير والآخر يونانى (شكل ٢ (A) رقم ١٠) ويعلو هذه البوابة مشكولى (شكل ٢ (A) رقم ٨) تؤدى هذه البوابة لمر منكسر يفضى إلى بهو يؤدى إلى منشآت الدير المختلفة.

أما البوابة الثالثة فكانت تسمى بوابة الريس أو بوابة المطران (شكل ٢ (A) رقم ١٢) وكانت تفتح فى فترات خاصة، عرض هذه البوابة ٥م وارتفاعها ٦م، ومن المحتمل أنها تعود للفترة الأولى من بناء الدير القرن السادس الميلادى والغرض منها لإخال مواد البناء للكنيسة الرئيسية أو تسهيل الاقتراب من القوافل التى تأوى للدير وتسكن فى المساحات الفارغة، والجزء العلوى من البوابة بنى بالحجر الرملى، وكان يتم إغلاق هذه البوابة بكتل حجرية ثم تفتح للضرورة، وكان مطران الدير يسكن بالقاهرة وتفتح هذه البوابة حين دخول مطران جديد قادم من القاهرة، ولم تفتح البوابة نهائياً بعد عام ١٧٢٢م وأغلقت بالأحجار والأسمنت^(٣٤).

والركن الجنوبى من الجدار الشمالى الغربى يشمل نزل الضيوف وسكن المطران فى الطابق العلوى، وهو مكسو بالحجارة فى فترة متأخرة (شكل ٢ (A) رقم ١) والجزء الشمالى من الجدار أعيد بناؤه فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى من كتل الجرانيت والحجر الرملى والروابط الخشبية (شكل ٢ (A) رقم ١٣).

الجدار الجنوبي الشرقي

طول الجدار ٧٠،٤م، ارتفاع الجزء الأصلي من ٨ - ١١م وارتفاعه الحالي بين ١٠ - ١٧م وهو الجدار الخلفي للدير ولقد بنى على منحدر لذلك نرى قمته ومستوى النوافذ يتبع زاوية هذا المنحدر، وبوسط هذا الجدار يقع البرج المركزي وبه دورات المياه القديمة في الجزء السفلي Lavatory من القرن السادس الميلادي والتي تم نقلها حديثاً للجزء العلوي (شكل ٢) (C رقم ٣)، ولهذه المراحيض قنوات سفلية للتصريف وجد مثلها في فلسطين في دير Mar saba والجزء العلوي من هذا البرج كان يستخدم حديثاً كسكن لبطاركة القسطنطينية (شكل ٢) (C رقم ٤)، ويلى هذا الجدار من الداخل قلايا الرهبان (شكل ٢) (C رقم ٥) على مستويين كل مستوى من سبع حجرات والركن الجنوبي من الجدار به نزل الضيوف في الجزء السفلي وقاعة الأيقونات والمكتبة في الجزء العلوي (شكل ٢) (C رقم ٦) وقرب الركن الشرقي من الجدار نلاحظ خط التدمير نتيجة سيول عام ١٧٩٨م (لوحة ٤) ولقد أعيد بناؤه بواسطة عمال وبنائين مصريين أرسلهم القائد الفرنسي كليبر وهناك نقش على الرخام يوضح ذلك في الجدار الشمالي الشرقي، ويوضح أن تكملة هذا البناء كان عام ١٨٠١م وبه تكتسية متأخرة (شكل ٢) (C رقم ٢) (٢)، والسور مازال يحتفظ بالمشى الداخلي خلف الدراوى من القرن السادس الميلادي وأضيف ممشى آخر في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي.

الجدار الشمالي الشرقي

طول الجدار ٨٨م، ارتفاعه ١٠م (لوحة ٤) وتوجد بالجزء الغربي منه بوابة المصعد التي تعود للقرن السادس عشر الميلادي ويتم الوصول إليها بسلسلة كانت تعلق في حبل، وكانت هذه هي الطريقة الطبيعية لدخول الزوار للدير حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ثم أصبحت تستخدم في الأحمال الثقيلة فقط وأعيد بناء بوابة المصعد تماماً عام ١٨٦٠م مع تجديد الجدار الشمالي الشرقي، ورممت حديثاً بعد حريق عام ١٩٧١م وبالجدار نوافذ مستطيلة وقمريات، وبه نقش على الرخام يوضح أعمال الترميم التي قام بها كليبر أما الجزء الشرقي منه فقد تم تجديده بالكامل باستثناء الأجزاء السفلية^(٣٥)، ويقع في منتصف هذا الجدار برج القديس جورج وسمى بذلك لوجود كنيسة القديس جورج بداخله، ومن داخل الدير ما يزال البرج يحتفظ بالتخطيط الأصلي منذ القرن السادس الميلادي شاملاً الدراوى العلوية والممر الداخلي (لوحة ٥) وحدث زلزال في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي أدى لتهدم جزء من هذا البرج وفي عام ١٧٩٨م تهدم جزء آخر من البرج نتيجة سيول شديدة وقام كليبر الذي أرسله نابليون عام ١٨٠١م بترميم البرج وفي هذا الترميم تم كساء البرج من الخارج بكسوة خارجية غيرت من شكل البرج الذي كان في الأصل برجاً مربعاً، وفي عام

١٩٧١م تهدم الجزء العلوى من البرج شاملاً كنيسة القديس جورج نتيجة حريق ولم تصل النار للمخطوطات الموجودة بالسكيفوفيلاكيون (المكان المخصص لحفظ الأغراض الدينية من أيقونات، أوانى مقدسة، ثياب مقدسة) وتم عمل ترميمات سريعة عام ١٩٧٧م للجزء الجنوبي من كنيسة القديس جورج بعمل أرضية أسمنتية وأعيد بناء السكيفوفيلاكيون باستخدام الأسمنت، واستعملت لوقت قصير عام ١٩٨٨م كسكن مؤقت لمطران الدير ومنذ عام ١٩٨٨ حتى عام ٢٠٠١م استخدمت كمخزن، وتم ترميم الواجهة عام ٢٠٠١م وإعدادها كقاعة لعرض أيقونات الدير طبقاً لأساليب العرض العالمية وهي الآن متحف لأيقونات ونخائر الدير^(٣٦).

الجدار الجنوبي الغربى

وهو الجدار الأكثر حفظاً بسور الدير (الوحدة ٦)، طوله ٨٠,٥٠م، ارتفاع الجزء الأصلي ما بين ٦ إلى ٨م وارتفاعه الحالى ١١م، السمك عند المنتصف ٢,٧٥م، وتبرز الأبراج فى الأركان ووظيفتها إنشائية لتقوية الجدران وليست دفاعية، وأركان الأبراج ليست بزواوية قائمة، ويواجه هذا الجدار جبل موسى، ويقف على أرضية أكثر ارتفاعاً من الجدران الأخرى لذلك سلم من الدمار الذى حدث بسبب السيول وبه صفيين من النوافذ الباقية تحت عن السباني المضافة للدير وهي الآن مغلقة (شكل ٢ (B)) ووجدت مثل هذه النوافذ الضيقة فى العمارة المنيية فى نجف بفلسطين، ولكنها استخدمت هنا لغرض حربى وذلك لأن السور من هذه الجهة يشرف على منحدرات صخرية فيسهل اقتحامه لذلك أنشئت هذه النوافذ على هيئة مزاغل سهام ليطلق المراقبين من خلالها السهام، والجزء السفلى من النوافذ قريب من مستوى الأرض بسبب المنحدر الشديد فهى على ارتفاع ٤م من مستوى الأرضية من داخل السور ولهذه النوافذ أعتاب مزخرفة بصلبان مختلفة، وبالركن الجنوبي من الجدار تكسية حجرية متأخرة (شكل ٢ (B رقم ٢)) ويوجد برج فى المنتصف يبرز ٨٠سم به نافذة لكنيسة صغيرة من القرن السادس الميلادى (شكل ٢ (B رقم ٣)) وبالركن الغربى نزل الضيوف بالدور الأول وسكن المطران بالدور الثانى (شكل ٢ (B رقم ٤)) وبه تكسية حجرية (شكل ٢ (B رقم ٢))^(٣٧)

المنشآت المقابلة للسور من الداخل

تشمل هذه المنشآت قلايا الرهبان - مخزن القمح - للطاحونة - الفرن القديم - دورات المياه - الرافعة

والقلايا مشيدة فى مقابل الوجه الداخلى للسور، خلف الجدار الشمالى الغربى، وخلف الجدار الشمالى الشرقى، ونماذج من هذه القلايا خلف الجدار الجنوبى الشرقى (شكل ١ رقم ٢٥) وتتكون من مبنى مستطيل يتكون من طابقين، والدور الأرضى عبارة عن ثلاث غرف مقبية لتخزين الخمر والزيت والملح، والطابق الأول به ٧ قلايا، والطابق

الثاني به ٧ قلايا من القرن السادس عشر الميلادي وقد تمت أعمال تجديد لهذا المبنى عام ١٨٧٠م على يد الراهب غريغورس في عهد المطران كاليستراتوس (١٨٦٧-١٨٨٥)^(٣٨)

وتعتبر مزاغل السهام بالسور شبابيك لهذه القلايا، فإن هذه المزاغل تتخلل دورين وهي ضيقة في الوجه الخارجي من السور وعريضة في الوجه الداخلي بانساع ٦٠سم ولانعرف حجم هذه القلايا ولا سمك الجدران الداخلية التي تقسمها فلا يوجد بقايا لهذه الجدران أو أي دعامات ومن المحتمل أن جدران القلايا بنيت من الطوب الغشيم

١ - المنشآت خلف الجدار الشمالي الغربي

ويوجد خلف الجدار الشمالي الشرقي بقايا ندرج يؤدي للقلايا بالدور العلوي، وخلف الركن الجنوبي الغربي من الجدار بقايا محرن قمع وهو بناء ذو شكل مربع بمجموعة سلام في كل جانب ولكنه لم يستكمل.

٢ - المنشآت خلف الجدار الجنوبي الشرقي

يقع في الركن الشمالي منه مبنى من دورين يحوى الطاحونة القديمة وفي جدارها الشرقي نافذتان ويجاور الطاحونة فرن^(٣٩)

٣ - المنشآت خلف الجدار الشمالي الشرقي

توجد الرافعة الخشبية من داخل السور الشمالي الشرقي عن طريق كوة في أعلى الحائط يغطيها صندوق من الخشب تطلق عليه نغوم تقير الباب المعلق وبجانبه بكرة من خشب لف عليها حبل متين ضخم يعرف بالدوار ترفع به الأثقال، وكان قبل ذلك لصعود الأشخاص من خارج الدير في زمن المخاوف فيغنى عن فتح باب الدير، فكان الزوار قديماً يدخلون إلى الدير من هذا الباب ومنه أيضاً يوزع الخبز على فقراء البدو^(٤٠) وكانت المؤن توضع في سلة يسحبها راهبان لأعلى، وأنشأ هذا الونش الخشبي عام ١٧٩١م^(٤١)

منشآت القرن الرابع الميلادي

لم يبق شيء من الكنيسة الصغيرة والتي أخبرنا عنها رحالة القرن الرابع الميلادي التي تقع في وادي العليقة المنتهية والتي كانت تسمى كنيسة العذراء مريم، وربما بنيت كنيسة التجلى في القرن السادس الميلادي في موقعها وذلك لأن المبنى القديم كان لا يفي بحاجة المجتمع الرهباني والذي يزيد في الحجم، وكانت الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين قد أنشأت كنيسة وبرج صغير في القرن الرابع الميلادي لحماية القاطنين من قطاع الطرق وتبقى هذا البرج الصغير بوسط الدير الآن و يتكون من دماميك من كتل الجرانيت الغير مشذب ويربط بينها أحجار مسطحة توضع بين الدماميك، ووجدت هذه الطريقة في كنيسة المدينة بتل المحرض بوادي فيران التي تعود للقرن الرابع أو الخامس الميلادي والتي تمثل أسلوب البناء المحلي، لذلك فبدون

شك أن بناء البرج يعود لتاريخ ما قبل جستيان وسمك جدران البرج ما بين ١٠٠-١٠٠ اسم، قاعدته مربعة، وبدون الإضافات التالية عليه فتخطيطه الداخلي يتكون من جزئين بحجمين مختلفين الأكبر في الشمال و له باب بجانبه الشمالي كمدخل، وفي الجدار الأوسط باب آخر يصل القسمين أضيف في فترة لاحقة، والارتفاع الحقيقي للبرج غير معلوم و يحتمل أنه كان ثلاثة أدوار، الجزء العلوى من البرج نو سقف مسطح محاط بدرأوى Parapets^(٤٢) ويعتبر الحصن داخل سور الدير هو الملاذ الأخير بالنسبة لأمن الرهبان وسلامتهم داخل الدير إذ أن معظم الأديرة تعرضت خلال القرون الثلاثة قبل الفتح الإسلامي لمصر لحظر غارات قطاع الطرق^(٤٣).

كنيسة التجلى

لقد أعاد جستيان بناء كنيسة العليقة الملتهبة التي كانت قد تهدمت، وأدخلها ضمن كنيسة الكبرى التي أنشأها في القرن السادس الميلادي وأطلق عليها اسم كنيسة القيامة، وبعد العثور على رفات القديسة كاترين في القرن التاسع الميلادي، أطلق على هذه الكنيسة اسم كنيسة التجلى وعلى الدير دير القديسة كاترين^(٤٤) وبنيت كنيسة التجلى بحجارة ضخمة من الجرانيت المنحوت، طول الكنيسة ٤٠م وتشمل كنيسة العليقة المقدسة، وعرضها ١٩,٢٠م وتشمل الكنائس الفرعية (شكل ٣) (لوحة ٧، ٨) وأضيفت لها عدة توسيعات بعد ذلك و هي سارية ضرر بار أبيض تنقسم لثلاثة أقسام:

١ - القسم الأول سقيفة مدخل مستعرضة (نارزكس)

يتقدم البازيليكا من الغرب وقد أضيف لها في العصر الفاطمي (شكل ٣ رقم ١٢)، ونصل لمدخل النارزكس^(٤٥) عن طريق درج هابط يؤدي لدخلة معقودة تقع على محور الكنيسة يزخرف الجزء العلوى منها رسوم مسيحية حديثة لها باب خشبي من العصر الفاطمي القرن الحادى عشر الميلادي^(٤٦) مكون من ضلفتين وللنارزكس مدخل آخر في الناحية الشمالية ويغشى النارزكس سقف مسطح أقل ارتفاعاً من سقف الكنيسة وعلى جدرانه مجموعة من الأيقونات القديمة التي نجت من حرب الأيقونات في القرن الثامن الميلادي^(٤٧).

٢ - القسم الثانى (الرواق الأوسط والرواقان الجانبيان)

وبالجدار الشرقى للنارزكس يوجد باب خشبي يعود للقرن السادس الميلادي من خشب الأرز اللبناني يؤدي لصاله البازيليكا (شكل ٣ رقم ١)، والباب مكون من أربع ضلف، في كل ضلفة سبع حشوات تواجه بعضها بشكل متبادل ولقد وضعت بعق داخل إطارات خشبية مزخرفة برسوم نباتات وعناقيد عنب وحيوانات وطيور مثل الطاووس^(٤٨) واستخدم هذا الباب المركزي للرهبان أنفسهم حيث أن الكنيسة الأرثوذكسية تعتبر الرواق الأوسط والرواقان الجانبيان امتداداً غربياً للمساحة التي يقام

فيها القديس^(٤٩) أما الحجاج والزوار للدير فكانوا يدخلون من الباب الشمالي للكنيسة المؤدى للرواق الشمالي، ثم يسيروا في الرواق الشمالي تجاه الشرق إلى كنيسة العليقة الملتهبة ثم يعثرون للرواق الجنوبي^(٥٠) ويرى د. بيتر جروسمان أن التخطيط الأصلي للكنيسة كان عبارة عن رواق أوسط ورواقين جانبيين والشرقية تجاه الشرق ولا يوجد حجرات جانبية، بمعنى أن المبنى الأصلي كان أصغر من المبنى الحالي^(٥١) وصالة الكنيسة ٢٥م طول، ١٢م عرض، مكونة من رواق أوسط ورواقين جانبيين ويفصل الأروقة صفيين من الأعمدة بكل صف ست أعمدة، والعمود مصنوع من حجر واحد من الجرانيت والعمودين الأخيرين ناحية الشرق أكبر حجماً من باقي الأعمدة وطلبت هذه الأعمدة بطلاء غطي على ألوانها الطبيعية^(٥٢) والأعمدة صناعة محلية قطعت من محاجر تبعد ٢٠ كم عن الدير، وكسى الرهبان الأعمدة بالجبس عدا التيجان، والتيجان مختلفة بعضها تيجان كورنثية بأوراق عريضة وهي تشبه تيجان ذلك العصر وبخاصة أعمدة دير باويط بأسبوط^(٥٣) وتحمل هذه الأعمدة عقود نصف دائرية يعلوها صف من النوافذ، وتضاء الأروقة الجانبية بنوافذ مزدوجة، ويسقف الرواق الأوسط جمالون خشب والحزام الخشبي الذي يحمل هذا الجمالون من القرن السادس الميلادي وبه النقش التأسيسي لبناء الدير، وتم تغطية هذا الحزام الخشبي بسقف مسطح في القرن الثامن عشر الميلادي^(٥٤) في عهد كيرلس الثاني رئيس أساقفة كريت^(٥٥) ويغطي الرواقان الجانبيان نصف جمالون مغطى من أعلى بصفائح الرصاص من القرن السادس الميلادي لا تزال بقاياه بالجزء الشرقي من كنيسة الدير، وكان عام ١٩١١م قام الرهبان بتغييره بالصاج المجلفن التي تعرض للصدأ وأحدث تقوياً أدت لتسرب مياه الأمطار داخل الكنيسة^(٥٦) وقامت هيئة الآثار المصرية عام ١٩٨٦م بأعمال ترميم تحت إشراف منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية^(٥٧). حيث أزيل الصاج المجلفن وركبت كسوة رصاص طبقاً لأسلوب تركيب ألواح الرصاص القديمة للحفاظ عليها من تسرب مياه الأمطار^(٥٨)، وأخشاب السقف من خشب السرو المتوفر بالمنطقة. حول الدير^(٥٩) والعوارض الخشبية القديمة مدهونة باللون الأحمر والذهبي ومحفورة برسوم حيوانات ونباتات^(٦٠) والأعمال الخشبية من

49-Forsyth(G.H.): The Monastery Of St. Catherine At Sinai – The Church And Fortress Of Justinian , DOP22, 1968, p. 10.

٥٢ - دير سيناء المقدس، المرجع السابق، ص ١٢.

54-Williams(V.S.): op. cit., p.727

٥٦ - المرجع نفسه، ص ٦ : ٧.

٥٧ - أشرف على أعمال الترميم من منطقة جنوب سيناء مفتش الآثار / طارق النجار.

٥٨ - دير القديسة كاترين، هيئة الآثار المصرية ١٩٨٦، ص ٧ : ٦.

59-Eckenstein(L.): A History Of Sinai , London , 1921,p.120.

أبواب وعوارض محفورة بمستوى عالي من المهارة الفنية نفذها حرفي غير محلي والمناخ الجاف حفظ لنا الأعمال الخشبية، وتتدلى من السقف ثريا مصنوعة في القرن الثامن عشر الميلادي^(٦١) وأرضية الصالة من الرخام من القرن الثامن عشر الميلادي يشبه الموجود بالمساجد بالقاهرة^(٦٢)، والأميون (المنبر) الخاص بالكنيسة يلاصق العمود الثالث شمالاً وأنشأ عام ١٧٨٧م وله درج حلزوني وحشوات خشبية مدهونة، أما كرسي المطران فيقع بجوار العمود الثالث جنوباً ويعود للقرن الثامن عشر الميلادي والذي استبدل بالكرسي الأصلي الموجود بحنية الكنيسة، ويوجد شمعدانات من البرونز بالرواق الأوسط أهديت للدير في القرن الثامن عشر الميلادي^(٦٣).

٣ - الإيكونستاس

ترتفع أرضية الهيكل والمساحة أمامه Bema Or Presbyter ثلاث درجات ولقد أضيفت فيما بعد والإيكونستاس هو الحجاب الذي يفصل الهيكل عن الصالة وهنا جوانبه من الرخام ويتضح ذلك في الدرايزين السفلى^(٦٤) والجزء العلوي منه من الخشب المغطى بصفائح الذهب مكتوب على بابه نص باليونانية ترجمته (تم صنع هذا الحاجز المقدس بجزيرة كريت في أغسطس ٦١٢م في عهد الورنتيوس البطريق، وقد صنعه مكسيموس الراهب) وكان الورنتيوس رئيساً للأساقفة^(٦٥)، ورسمت هذه الإيكونستاس الخشبية في القرن السابع عشر الميلادي بواسطة الرسام جرميا من كريت وأهديت للدير بواسطة البطريرك كوزماس من كريت أيضاً، والإيكونستاس تتكون من أربع حشوات من الخشب، المذهب متوجة بصليب كبير يحمل شكل السيد المسيح مرسوم بألوان فاتحة ومحاط بأيقونتين، وبها أيقونات كبيرة للقديس يوحنا المعمدان، العذراء والسيد المسيح، القديسة كاترين^(٦٦) ويعلمهم صف آخر من الأيقونات الأصغر حجماً وأمام الإيكونستاس ست شمعدانات تعود لأعوام ١٧٠١-١٧١٦م ١٧١٩م ثلاثة في كل جانب من جوانب الباب^(٦٧).

٤ - الهيكل

يدخل له من باب خشبي مطعم بالأحجار الكريمة وعليه أيقونة للقديسة كاترين بالذهب، وهو إهداء من عائلة ملكية روسية، وتتصدر الشرقية جداره الشرقي وهي حنية أعمق من النصف دائرية العادية، وغلفت من الخارج بغلاف مربع قوى^(٦٨) وغطيت الشرقية من الخارج بألواح رصاص في القرن الثامن عشر الميلادي وهي الموجودة حتى الآن^(٦٩). ويوجد بالشرقية الثرونوس أو منصة الخطابة: Tribuna بواسطة كرسي

64-Grossmann(P.): op. cit., p. 35.

٦٥- فتحى رزق : رباعية سيناء، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٨٨.

67-Williams(V.S.): op. cit., p.727

68-Grossmann(P.): op. cit., p. 35

المطران الرخامي الأصلي المنقول من صالة الكنيسة، ولقد تغير في القرن الثامن عشر الميلادي مستعملين سطح رخامي محفور على قاعدة تستند على عمود^(٧٠) ويغطي الشرقية نصف قبة، ويوجد بعقد الشرقية من القرن السادس الميلادي. ويعلوها زوج من النوافذ المعقودة، وتقع منضدة المذبح أمام الشرقية وهي من الرخام المطعم باللؤلؤ محمولة على ست أعمدة صنعها فنان من أثينا في القرن السابع عشر الميلادي^(٧١) تم تغطيتها بمظلة خشبية مطعنة بالصدف من القرن السابع عشر الميلادي، ويحوى الهيكل تابوتان من الفضة رسم على غطاء كلا منهما صورة القديسة كاترين مصنوعة من الذهب الخالص المرصع بالأحجار الكريمة، التابوت الأول إهداء من قيصر روسيا بطرس الأكبر عام ١٧٠٨م، والثاني إهداء من إسكندر الثاني ١٨٦٠م، واستخدمتا التابوتان في حمل الهدايا الثمينة، وهناك تابوت آخر تحت قبة المظلة التي تقع على يمين المذبح، يحوى صندوقين من الفضة أحدهما يضم جمجمة القديسة كاترين يحوطها تاج ذهبي مرصع بالجواهر، والآخر يضم يدها اليسرى^(٧٢) وتزينها الخواتم الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة^(٧٣).

٥ - فسيفساء القرن السادس الميلادي

يغطي الجزء العلوي من نصف قبة الشرقية فسيفساء تمتد إلى الجزء العلوي من الجدار الشرقي تصور تجلي السيد المسيح المخصصة له كنيسة التجلي، وتعتبر من أقدم وأجمل فسيفساء في الشرق، مصنوعة من قطع صغيرة من الزجاج متعددة الألوان يسودها اللونان الأحمر والأزرق على خلفية من الذهب المعتم، وتعود لوقت إنشاء الدير وهي من عمل فنان من مركز حضاري ربما يكون القسطنطينية^(٧٤)، ويقول كروزيمر Krautheimer أن هذه الفسيفساء ربما تكون قد صنعت في ورشة في غزة أو جلبت من غزة أو القسطنطينية^(٧٥).

أما التكوين الفني للوحة فلقد أجاد الفنان في تصميمها بواقعية تتفق مع نص الإنجيل حيث نجد السيد المسيح واقفاً في وسط هالة بيضاوية الشكل عن يمينه النبي إيليا وعن يساره النبي موسى وكلاهما يرفع يده اليمنى إيماءاً لمخاطبة السيد المسيح، وصور الفنان تلاميذ المسيح يوحنا ويعقوب راععان على الجانبين بينما بطرس مستلق عند قدمي المسيح، والزخارف التي تزين الإطار الخارجي للتصوير عبارة عن إطار بداخله دوائر متماسة تتضمن بورتريهات (صور شخصية) لتلاميذ المسيح الإثني عشر الحواريين وستة عشر شخصية من الأنبياء والكاهن (لونجينوس) التي تذكر الكتابة

71-Kamil Jill : op. cit., p.47.

٧٢- رؤوف حبيب: الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٤١.

73-Weitzmann(K.): Studies In The Arts At Sinai , Princeton , 1982 , p.6

74- Krautheimer(R.): Early Christian And Byzantine Architecture , Britain , 1965 , p.195

التذكارية أسفل باطن عقد الحنية أنه رئيس الدير الذي تم تنفيذ زخرفة الفسيفساء في عصره^(٧٥) وتعكس هذه الفسيفساء أسلوب القسطنطينية في القرن السادس الميلادي، متمثلة في الخطوط المتعرجة الصارمة - ملامح الوجوه - الخلفية المتألقة - الغموض^(٧٦)

٦ - الحجرتان على جانبي الشرقية

تتخفف أرضيتهما عن أرضية الكنيسة، ويدخل إليهما عن طريق حجرتين مستطيلتين شمال وجنوب الهيكل ولكل حجرة حنية صغيرة خاصة بها ويسقفها قبة، الحجرة الشمالية (شكل ٣ رقم ٢) لإعداد العشاء الرباني والجنوبية (شكل ٣ رقم ٣) كأرشيف ولتجميع هدايا الكنيسة وكنوز الدير، والآن تستعمل الحجرتان كنائس صغيرة جانبية وتم عمل حنيات عديدة في الجدران تعود لفترة تالية^(٧٧).

٧ - كنيسة العليقة المنتهية

الكنيسة الحالية أنشئت في العصر الإسلامي (شكل ٣ رقم ١٣) لتحل محل كنيسة العليقة القديمة من القرن الرابع الميلادي - والذي أعاد بنائها جستنيان في القرن السادس الميلادي وتهدمت - التي أنشئت عند الشجرة المقدسة والذي يقول عنها ثيتمار Thietmar الرحالة الألماني الذي زار سيناء عام ١٢١٦م أن هذه الشجرة أخذت بعيداً وتم تقسيمها بين المسيحيين ليحتفظوا بها كذخائر ثمينة^(٧٨) وهذا النوع من نبات العليق لم يوجد في أي مكان آخر بسيناء، وهو لا يعطى ثمار، ويوجد في الجدار الجنوبي للحجرة الشمالية - من الحجرات على جانبي الشرقية - باب يؤدي لكنيسة العليقة التي تتخفف أرضيتها ٧٠سم عن أرضية كنيسة التجلي، مساحتها ٥م طولاً ٣م عرضاً وتحوى مذبح دائري صغير مقام على أعمدة رخامية فوق بلاطة رخامية تحدد الموقع الحقيقي للشجرة، ويقال أن جذورها لا تزال باقية في هذا الموقع^(٧٩)، والآن توجد شجرة عليقة بالدير أصلها داخل الكنيسة وأغصانها خارجها، ولا يدخل هذه الكنيسة أحد إلا ويخلع نعليه خارج بابها تأسياً بنبي الله موسى عليه السلام عند اقترابه من العليقة^(٨٠)

ولكنيسة العليقة مذبح من القرن الرابع الميلادي إلى أن كنيسة جستنيان في القرن السادس الميلادي لم تشملها وظل في فناء في النهاية الشرقية، وفي العصر الإسلامي تم عمل سور وأدخل هذا الفناء في مبنى الكنيسة الرئيسية وأعيد بناء كنيسة العليقة وبها شرقية ذو تجويف مغطى بنصف قبة، وغطى الجانب الشرقي من الكنيسة بالكامل

٧٥- فتحى خورشيد: تاريخ الفن الساساني والبيزنطي، كلية الآداب - جامعة عين شمس، ص ٤٠ : ٤١

77-Grossmann(P.): op. cit., p. 35.

.79-Kamil Jill : op. cit., p.50

٨٠- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٠.

ببلاطات القاشانى التركى فى القرن السابع عشر الميلادى^(٨١) المجلوبة من دمشق، كما يزخرف تجويف الحنية الفسيفساء^(٨٢) وبها أميون من الخشب يجلس عليه مطران الدير، وقد كتب على ذراعيه بالصدف المعشق فى الخشب اسم واقف هذا الأميون وتاريخ وقفه له نصه (وقف الفقير إبراهيم مسعد الحلبي لدير طور سيناء المعمور سنة ١٧١٣م)^(٨٣).

٨ - الكنائس الجانبية

هناك ظاهرة غير عادية بكنيسة التجلى تتمثل فى وجود أربع كنائس صغيرة على كل جانب تفتح على الأروقة^(٨٤) ويخالف فورسيز Forsyth رأى د. جروسمان - الذى ورد فى وصف القسم الثانى من كنيسة التجلى - ويرى أن الكنائس الجانبية جزء من التخطيط الأسمى ونظام هذه الكنائس وترتيبها المتوازن يظهرهم وكأنهم أروقة جانبية إضافية وهو شئ استثنائى فى هذه الفترة وهى تشبه كنائس الأديرة المتأخرة فى الغرب حيث كانت توزع الكنائس الصغيرة بشكل منتظم على طول الأروقة، مثل كنيسة St. Gall^(٨٥).

والكنائس الجانبية بدير كاترين تنقسم لمجموعتين، الأولى تفتح على الرواق الشمالى، والثانية تفتح على الرواق الجنوبى، المجموعة الأولى وتتكون من ثلاث كنائس شمال الرواق الشمالى وكنيسة شمال كنيسة العليقة وهى كلاتى من الغرب للشرق، كنيسة القديسة مارينا St. Marina، كنيسة قطنطين وهيلانة Constantine And St. St. Helen، كنيسة القديس انتيباس St. Antipas، كنيسة جيمس الأصغر St. James The Less وتقع شمال كنيسة العليقة وغطيت بقبة وبها بقايا رسومات فى الحنية.

المجموعة الثانية وتتكون من أربع كنائس جنوب الرواق الجنوبى وكنيسة جنوب كنيسة العليقة وهى كلاتى من الغرب إلى الشرق، كنيسة القديسين كوزماس ودميان St. Cosmas And Damian وهى موقع البرج الجنوبى، كنيسة القديس سميون St. Symeon، كنيسة القديس يواكيم وحنة والدى السيدة العذراء St. Joachim Anne And St. The Holy Fathers، كنيسة الكنز القديم Old Treasry كنيسة الآباء المقدسين The Holy Fathers وتقع جنوب كنيسة العليقة وتغطيها قبة وبها باب بالناحية الشمالية الشرقية يؤدى لكنيسة العليقة^(٨٦).

٩ - برج الناقوس

بناه راهب من سيناء يسمى غريغوريوس عام ١٨١٧م (لوحة ٧) ويشمل تسع أجراس معدنية مهداه من الكنيسة الروسية عام ١٨١٧م، وجرس خشبي قديم يستخدم يومياً، أما الأجراس المعدنية فتستخدم في الأعياد^(٨٧).

الكنائس الفرعية داخل الدير

توجد عشر كنائس صغيرة Chapels داخل الدير وهي كالاتي:

- ١ - كنيسة الشهداء الخمسة وتقع جنوب كنيسة التجلي وهي مخصصة للقديسين St. Eustratius , St. Euxemius , St. Eugenius , St. Martharius , St. Orestes
- ٢ - كنيسة العذراء المقدسة وتقع جنوب غرب كنيسة التجلي
- ٣ - كنيسة هجوع السيدة العذراء Dormition وتقع في نفس مبنى كنيسة العذراء ولكن في الدور الأول واستخدمت في وقت ما سكن للمطران، وهي تعرف أيضاً بالمكتبة القديمة.
- ٤ - كنيسة القديس إسطفانوس St. Stephen وهو مبنى أصفر يقف بمفرده جنوب كنيسة هجوع السيدة العذراء وتستخدم للخدمات الجنائزية في الدير
- ٥ - كنيسة القديس أنطوني St. Antony وتقع في مقابل السلم المؤدى لغرف الضيوف، وكانت منذ وقت بعيد جزء من المكتبة
- ٦ - كنيسة يوحنا المعمدان St. John The Baptism وتقع قرب كنيسة القديس أنطوني
- ٧ - كنيسة التلاميذ المقدسين The Holy Apostles وتقع أسفل كنيسة يوحنا المعمدان
- ٨ - كنيسة القديس جورج St. George وتقع عند قمة الجدار الشمالي للدير، شيدها مهندسو نابليون
- ٩ - كنيسة القديس جون اللاهوتي St. John Theologion وتقع غرب كنيسة القديس جورج

١٠ - كنيسة القديس تريفون St. Tryphon. وتقع في فناء الدير فوق حجرة الدفن وخصصت للقديس تريفون عام ١٨٨٨م، وتقدم الخدمات بها كل جمعة أثناء الصوم الكبير^(٨٨).

مباني الخدمات بالدير

تشمل مباني الخدمات، حجرة الطعام - معصرة الزيتون - عمل للخمر - مخازن الغلال والمؤنة - طاجونتان وفرنان - آبار الدير - المكتبة - حديقة الدير - معرض الجماجم.

١ - حجرة الطعام

يطلق على قاعة الطعام في الدير (المطعمة) وتقع حجرة الطعام refectory بدير كاترين جنوب شرق كنيسة التجلي (شكل ١ رقم ٢٦)، ويدخل إليها من فتحة مدخل

.87-Papaioannou Evangelos : The Monastery Of St. Catherine , Athens , p. 26

بجدارها الشمالي يعلوها عتب ونفيس وعقد عائق، وهى حجرة مستطيلة ذو سقف معقود بالأسلوب القوطي (سقف قوطى مدبب) ولها شبك بالجهة الغربية، ولقد بنيت فى العصر الإسلامي^(٨٩) وربما استخدمت هذه القاعة أيضا نزل للحجاج أو كنيسة حيث يوجد بها شرفية بها رسوم جدارية تعود للقرن السادس عشر الميلادى تصور زيارة السيد المسيح للبطيريك إبراهيم، كما يزخرف العقود بعض الرموز للصليبيين ورسوم لأغطية أزرع رسمها حجاج العصور الوسطى^(٩٠) وبوسط الحجرة منضدة طويلة من الخشب صنعت فى كيركيريا فى القرن السابع عشر الميلادى^(٩١) وهى محفورة بصور الملائكة وزهور بأسلوب الركوكو^(٩٢) واستخدمت هذه الحجرة لقرون طويلة حجرة طعام للرهبان وحجاج المنصور الوسطى^(٩٣) والمائدة لها أهمية كبيرة بالأديرة حيث يجلس حولها الرهبان عادة يوم الأحد بعد صلاة القداى يتناولون وجبة الأغابى وتعنى باليونانية وجبة المحبة^(٩٤) وكان يلحق بقاعة المائدة وحدات أخرى كالمطبخ والمخازن و الأفران وغيرها^(٩٥) وهى الموجودة بدير كاترين.

٢ - معصرة الزيتون

تقع أسفل المسجد وتمتد حتى الساحة التى أمامه، لها سقف من عروق خشبية وأحزمة من القصب، يرتكز على عقود من الجرانيت، وبها شخاشيخ لإنارتها تقع فى الجزء أسفل الساحة الممتدة أمام المسجد^(٩٦) وتمت أعمال ترميم لمبنى المعصرة بواسطة هيئة الآثار عام ١٩٨٦. ويقع غرب كنيسة التجلى معمل الخمر ومخازن الغلال، وشرق الكنيسة طاحونتان وفرنان ومطبخ عام.

٣ - آبار الدير

يوجد عدة آبار داخل أسوار الدير منها بئر موسى شمال كنيسة التجلى وهى بئر قديمة مطوية بالحجر، قيل هى أقدم من الدير وأنها البئر التى سقى منها نبى الله موسى غنم بنات الرجل الصالح شعيب المذكور فى التوراة باسم يثرون^(٩٧)، وبئر العليقة بجانب العليقة الملتهبة، وهى بئر عميقة مطوية بالحجر، قيل أيضا أنها أقدم من الدير، وبئر اسطفانوس جنوب غرب كنيسة التجلى وجنوب كنيسة اسطفانوس، وماؤها عذب

89-Skrobucha(H.): op. cit., p. 91

90-Kamil Jill : op. cit., p. 52

٩١- أثناسيوس باليوراس : دير سيناء المقدس، دير سانت كاترين، ١٩٨٦ ص ٣٣.

92-Kamil Jill : op. cit., p.52

93-Meinardus(F.A.): op. cit., p.534.

94-Stavropoulos(D.N.): op. cit., p.3

٩٥ - مصطفى عبد الله شبيحة : المرجع السابق، ص ٧٦.

٩٦ - دير القديسة كاترين، المرجع السابق، ص ١٣.

٩٧- خروج ص ٢ عند ١٧

فهي التي يشرب منها الرهبان، وفي تقاليدهم هي البئر التي حفرها اسطفانوس مهندس الدير وبجانبيها شجرة سرو كما يوجد ثلاثة آبار وثلاثة عيون بالحديقة خارج أسوار الدير^(٩٨).

٤ - مكتبة الدير

المكتبة هي وحدة معمارية داخل الدير، لها أهمية كبيرة لدى الرهبان من الناحية الروحية والعلمية حيث يقضون معظم أوقاتهم في قراءة الكتب الدينية والكهنوتية، وتقع في الدور الثالث من بناء قديم جنوب كنيسة التجلي، مكونة من ثلاث غرف في صف واحد وكانت الحجره الوسطى من قبل مجلساً للرهبان، وتحتوي المكتبة حوالي ستة آلاف مخطوط بالإضافة لألف كتاب حديث^(٩٩) منها ٢٣١٩ مخطوط يوناني ٢٨٤ مخطوط لاتيني، ٦٠٠ مخطوط عربي، ٨٦ مخطوط جورجاني، بالإضافة إلى المخطوطات السوربانية - القبطية - الأثيوبية - السلافية^(١٠٠) - الأمهرية - الأرمنية - الإنجليزية - الفرنسية - البولندية، وهي مخطوطات دينية - تاريخية - جغرافية - فلسفية، وأقدم هذه المخطوطات يعود للقرن الرابع الميلادي^(١٠١) وبعض هذه المخطوطات كتبت في سيناء وبعضها من فلسطين - سوريا - اليونان - إيطاليا وبعضها يحمل أسماء الناسخين دون الإشارة لمكان مثل سليمان الشماس - جورج - نيكولاس في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادي^(١٠٢) وبالمكتبة ألف وثيقة تحمل تطور الخط العربي الديواني بين القرن الثاني عشر والثاسع عشر الميلادي^(١٠٣) وأقدم مخطوط بالمكتبة هي التوراة اليونانية المعروفة باسم كودكس سيناتيكيوس codex Sinaiticus وهي نسخة خطية غير نامة من التوراة اليونانية^(١٠٤) كتبها أسبيوس أسقف قيصرية عام ٣٣١م تنفيذاً لأمر الإمبراطور قسطنطين، ثم أهداها جستنيان لانيير عام ٥٦٠م^(١٠٥) واكتشفها في الدير تشيندروف (الروسي الجنسية) عام ١٨٦٩م في عهد المطران كالستراتس، وحملها إلى بطرسبورج وعرضها على اسكندر الثاني قيصر روسيا فاشتراها من الدير بثمانية آلاف فرنك وطبع منها عدة نسخ وأرسل للدير نسخة وظل الأصل عنده^(١٠٦) حتى عام ١٩٢٣م حين باعها الحكومة الروسية للمتحف البريطاني مقابل مائة ألف جنيه استرليني^(١٠٧) وبالمكتبة الإنجيل

٩٨- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٨ : ٢٣٩.

١٠٠- أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ١٢٢.

١٠١- عبده مباشر : المرجع السابق، ص ١٥٨.

102 Nicolopoulos(P.): The Library And The Archive , In -Treasures Of The Monastery Of St. Catherine , Athens, 1990 , p. 352

١٠٣- أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ١٢٢.

١٠٤- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٦.

١٠٧- منولى نور : المرجع السابق، ص ١٥٨.

السرياني المعروف باسم (بالمست) وهي نسخة خطية غير تامة من الإنجيل باللغة السريانية مكتوبة على ورق غزال، قيل هي أقدم نسخة معروفة للإنجيل باللغة السريانية، ويظن أنها مترجمة عن أصل يوناني في القرن الثاني الميلادي^(١١٠)، وبالمكتبة العهدة النبوية وهو كتاب العهد الذي كتب للدير في عهد نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام وكان الأصل محفوظاً في الدير إلى أن فتح السلطان سليم مصر ١٥١٧م فأخذ الأصل وأعطاهم نسخة معتمدة منه مع ترجمتها بالتركية، وفي المكتبة الآن عدة نسخ منها بعضها على ورق غزال وبعضها على ورق متين وبعضها في دفتر خاص. وهو العهد الذي يؤمن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب على أموالهم وأنفسهم وممتلكاتهم^(١١١) كما تحوى المكتبة عدد من الفرائد من الخلفاء المسلمين لتأمين أهل الكتاب، كما تحوى فهارس للكتب اليونانية والعربية والسريانية^(١١٢).

ولقد بدأت دراسة وثائق دير كاترين عام ١٩٥٠م حين قامت بعثة علمية مشتركة من كلية الآداب بالإسكندرية ومكتبة الكونجرس الأمريكية بتصوير أهم المخطوطات والوثائق، وكان على رأس هذه البعثة د. عبد الحميد العبادي أول عميد لآداب الإسكندرية، د. عزيز سوريال عطية، وقامت البعثة بعمل صور ميكروفيلم لأهم الأيقونات بالدير^(١١٣)، وفي عام ١٩٦٣ قامت بعثة جامعة الإسكندرية وعلى رأسها د. أحمد فكرى واشترك فيها د. جوزيف نسيم يوسف الذى زار سيناء مرتين أواخر عام ١٩٦٣، وأثمرت هذه البعثات عن دراسات وبحوث نشرت بالمجلات العلمية ومن هؤلاء الباحثين كورت فاينترمان Weitzmann Kurt، جورج فورسايث George Forsyth، عزيز سوريال عطية الذى قام بعمل فهارس كاملة مع دراسة تحليلية للمخطوطات العربية بالدير^(١١٤) ولقد تم تصوير مليون ورقة مأخوذة من خمسة آلاف مخطوط ووثيقة مكتوبة بابتنى عشرة لغة، وقد احتفظت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ومكتبة الكونجرس بواشنطن بنسخ من صور الميكروفيلم^(١١٥)، وبخصوص المخطوطات العربية بالدير الذى يبلغ عددها ٦٠٠ مخطوط فإنها تتناول دراسات تمتاز بقيمتها فى النواحي العلمية والتاريخية والفلسفية والفكرية والثقافية، وأهم ما يلفت النظر فى معظم المخطوطات العربية ذات الطابع المسيحى هو وجود التأثيرات العربية الإسلامية فيها وذلك بعد أن أصبحت سيناء تابعة للسيادة العربية الإسلامية حيث نجد

١٠٨- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٥.

١١٠-Nicolopoulos(P.): op. cit., p. 354.

١١١- جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق، ص ١٥٨.

١١٢- المرجع نفسه، ص ١٤٩: ١٥١.

١١٣- المرجع نفسه، ص ١٥٨.

أن كثير من المخطوطات العربية المسيحية تستهل بالبسملة وتختتم بالحمد لله وتؤرخ بالتقويم الهجري، وتبدأ أسفار الكتاب المقدس عند المسيحيين في كثير من المخطوطات كالآتي (بسم الله الرحمن الرحيم نبئدي بعون الله ونكتب أول سفر) كما أطلق على كثير من الرسل والقديسين المسيحيين اسم المصطفى بدلاً من كلمة البشير أو الإنجيلي كما إزدانت كثير من تلك المخطوطات، وأغلقتها بنقوش ورسوم وزخارف على هيئة طيور وأزهار وتوريقات نباتية وإطارات على النسق العربي^(١١٤).

٥ - مبنى الإستراحة

يقع خارج سور الدير قرب المدخل وأقيم هذا المبنى عام ١٨٦٣م في عصر الخديوى إسماعيل^(١١٥) وقامت هيئة الآثار المصرية عام ١٩٨٦م بأعمال ترميم أعادت المبنى لوظيفته الأولى كإستراحة للسيدات من زوار الدير وأضيفت إليه حجرتين ووسائل الخدمة من دورات مياه وحمام ومغاسل مع الاحتفاظ بالصورة العامة للمبنى

٦ - حديقة الدير

للدير حديقة متسعة لها سور، بها أشجار فاكهة مثل التين - العنب - الخوخ - المشمش - الكمثرى - البرتقال، وأشجار الزيتون واللوز وأشجار السرو والصفصاف، بالإضافة إلى الخضروات والبقول والأزهار مثل الورد - القرنفل والريحان^(١١٦)، وبالحديقة ثلاثة آبار وثلاثة ينابيع.

٧ - معرض الجماجم

يطلق على مقبرة الرهبان بالدير اسم الطافوس^(١١٧) ويقع مدفن الرهبان ومعرض الجماجم في وسط حديقة الدير ويدفن الرهبان موتاهم في هذا المدفن ويتركون الجثث حتى تتحلل فينبشونها ويأخذون عظامها ويجعلونها في معرض خاص قرب المدفن يطلق عليه كنيسة الموتى الذى يسمى الآن معرض الجماجم، وفي مدخل معرض الجماجم غرفة صغيرة فيها رفات الموتى من زوار الروس وأهل الطور، والمعرض عبارة عن قبو متسع تعلوه كنيسة في جزء منه، ورصت الجماجم بعضها فوق بعض كأنية الفخار، وفي الجزء الآخر باقى العظام والهيكل العظمية للرهبان معروضة كاملة من الرأس للقدم، أما هيكل المطارنة فقد وضع كل هيكل في صندوق خاص أو في عين في الحائط ومنها رفات المطران حنانيا المتوفى ١٦٦٨م، والمطران أنثاسيوس والمطران كالمستراتس ١٨٨٥م، وعند باب هذه القاعة يساراً هيكل رجل مسن قد أجلسوه على كرسيه وألبسوه ثياباً رثة وجعلوا في يده سبحة حتى تخاله حياً حارساً للباب، قيل أنه هيكل أنديس اسطفانوس أول بواب للدير في أيام يوحنا اقليمقوس^(١١٨)

١١٤ - المرجع نفسه، ص ١٤٦.

١١٦ - نعم شقير : المرجع السابق، ص ٢٣٩.

وهناك يوم عند الرهبان يسمى يوم الأموات، وكذلك في أيام السبت الخاصة بالصيام الكبير يقوم قسيس بأداء القداس في بيت الجماجم^(١١٩).

٥- الدور الحضاري للدير

حياة الرهبان بالدير

ينتمي رهبان الدير للكنيسة اليونانية واكتسب الدير استقلالاً كاملاً داخل الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية منذ عام ١٧٨٢م^(١٢٠) وكانت سيناء وجنوب فلسطين تابعة لبطيركية القدس^(١٢١) وفي أوقات عدم الاستقرار في الشرق الأوسط كانت تنتقل تبعيتها لبطيريك الإسكندرية^(١٢٢)، أما هيئة رجال الدين بالدير فتتألف من المطران وخمس قساوسة وشماس واحد، وعدد من الرهبان الجدد يتراوح بين أربعة وثمانية خلاف الخدم غير المترهبين، ويقوم المطران بالدير وهو التي يتولى إدارته، يساعده في ذلك مجمعاً يتكون من نائب وأمين صندوق وأمين مخازن، وفي حالة غياب المطران حيث كانت تطّره الظروف إلى التواجد بالقاهرة لأعمال تتعلق بطائفته، يحل محله النائب^(١٢٣) والرهبان مجلس خاص يحكم بأكثرية الأصوات وهذا المجلس ينتخب المطران، ويكرسه بطيريك القدس، وإذا وقع بين المجلس والمطران خلاف يقوم بطيريك القدس بالفصل في هذا الخلاف، فإذا لم يرضوا بحكمه رفعوا أمرهم لبطيريك القسطنطينية وحكمه نافذ ولقب مطران الدير الرسمي (مطران جبل طور سيناء وفيران والطور)^(١٢٤).

وكان من بين رهبان الدير مصريين - فلسطينيين - سوريين - أرمنيين - جورجيين، وكانت هناك حركة متبادلة بين سيناء والمناطق المجاورة، حيث أن عديد من الرهبان استقروا في سيناء في وقت معين ثم انتقلوا لأماكن أخرى اشتهروا فيها، أمثال الراهب سلفانوس وجون موسفيوس اللذان عاشا في سيناء ثم اشتهروا بفلسطين^(١٢٥) وكان بالدير كنائس للطوائف المختلفة للسوريين والأرمنيين والقبط واللاتينيين، لكنهم هجروا كنائسهم. وظلت كنيسة اللاتينيين موجودة حتى القرن السابع عشر الميلادي^(١٢٦) وساد الرهبان الأرمن في القرن الثامن والتاسع الميلادي، وبعدهم اللاتينيين، ووقت زيارة نعوم شقير للدير ١٩٠٥م كان جميع رهبان الدير من اليونانيين على مذهب الروم الأرثوذكس ومعظمهم يتكلمون العربية، وكان بينهم راهب

١١٩- جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق، ص ١٣٥.

120- Williams(V.S.): op. cit., p.724

122- Skrobucha(H.): op. cit., p.94.

١٢٣- جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق، ص ٢٤٩ : ٢٥٠.

١٢٤- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٤٩ : ٢٥٠.

125- Finkelstein(I.): op. cit., p.332.

126- Burckhardt(J.L.): Travels In Syria And The Holy land , London , 1822. p. ٢٥٦.

روسى توفى عام ١٨٧٤م^(١٢٧)، والآن معظم الرهبان من اليونانيين والقليل جداً من جنسيات أخرى، أما مطارزة الدير فوصل عددهم ٥٣ مطراناً من عام ٨٦٩م حتى عام ١٩٠٤م أولهم المطران ١٠٠٠٠ وأخزهم الماران يورفيرىوس الثانى، ووقت زيارة نعوم شقير للدير كان هناك عشرون راهباً داخل الدير وأربعون راهباً فى الجهات التابعة للدير خارج سيناء^(١٢٨)، ويعمل الرهبان فى فلاحة الأرض أو أى أعمال أخرى داخل الدير، فمنهم النجار - الخباز - الطباخ - الخياط - البناء، وغداؤهم الرئيسى من الأسماك والزيتون والبصل، ويصنعون خموراً من البلح تسمى عرق البلح، ويقضون أوقاتهم بين الصلاة والمكتبة والأعمال اليومية وخدمة الحجاج والمسافرين ويستيقظون على دقات أجراس بعدد سنين حياة السيد المسيح ٣٣ سنة^(١٢٩).

علاقة الرهبان بالبدو

قامت العلاقة بين الرهبان والبدو على أساس الجيرة الحسنة والتعاون فيما بينهم فيقوم البدو بأعمال الحراسة وإحضار المؤن للرهبان من الطور ويأخذوا أجورهم إما نقداً أو عيناً^(١٣٠) وما يزال التعاون بين الدير والرهبان حتى الآن، فتقوم قبيلة الجبالية بخدمة رهبان الدير داخل الدير، وآخرين يقومون بتأجير الإبل للسياح لصعود جبل موسى، وكان رهبان الدير يدفعون مبلغاً معلوماً لكل قبيلة من قبائل سيناء القوية القاطنة فى جوار الدير أو فى طريقه من مصر أو سوريا لأجل حمايتهم فى السفر والإقامة وحماية القوافل التى تنقل لهم الزاد والمؤنة من الخارج وكانت تسمى هذه القبائل خفراء الدير، ومنهم عرب السواركة، وكان الرهبان يعقنون شروطهم مع القبائل الخفراء فيصدق عليها حاكم مصر ويضمن تنفيذها^(١٣١) وكان للدير مركزاً فى ضواحي غزة يمهده بالحبوب عن طريق التمد بوسط سيناء، ثم أهمل مركز غزة بعد استتباب الأمن فى مصر أيام محمد على باشا واكتفى بالمركز الموجود بالقاهرة، ويدفع الرهبان مرتبات سنوية للمشايخ الذى تمر القوافل فى بلادهم^(١٣٢).

علاقة الرهبان بالقسطنطينية

بالرغم من وجود دير كاترين فى منطقة إسلامية إلا أن الاتصال بالقسطنطينية مركز الأرثوذكسية كان قوياً واتخذ أشكال متعددة، ولقد أظهر كل من مانهئيل كومثينوس وميخائيل باليورجوس وغيرهما من بطاركة كرسى القسطنطينية المسكونى اهتماماً بالغا بكثير من الأمور المتعلقة بالدير وكذلك الشخصيات الهامة مثل يوحنا السينائى

١٢٧- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٢٤٩.

١٢٩-Skrobucha(H.): op. cit., p. 93.

١٣٠- حجاجى إبراهيم محمد : مقدمة فى العمارة القبطية الدفاعية، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٢.

١٣١- نعوم شقير : المرجع السابق، ص ٥٤٣.

وجريجوريوس السينائي، فضلاً عن الاتصالات الفنية من خلال ما قدمه الرسامون المشاهير من روائع الأيقونات^(١٣٣).

علاقة الرهبان بروسيا
اعتبر قياصرة روسيا أنفسهم وريثي الإمبراطورية البيزنطية، فاهتموا بالدير^(١٣٤) وبالدير هدايا كثيرة من روسيا منها تابوت معدني عليه نقوش بارزة تمثل القديسة كاترين قدمته إحدى أميرات روسيا عام ١٨٦٠م لوضع رفات القديسة إلا أن الرهبان رأوا بقاء الرفات في تابوتها القديم، وتابوت معدني آخر به نقوش بارزة من الفن الروسي يرجع للقرن السابع عشر الميلادي والتابوتان بهيكل كنيسة التجلي الآن.

علاقة الرهبان بالصليبيين والغرب
ضعفت العلاقة بالقسطنطينية في فترة الصليبيين ١٠٩٦ - ١٢٧٠م، ولقد حضر الصليبيون في البداية كزوار للدير، وفي القرن الثالث عشر الميلادي سكنت الدير مجموعة من الرهبان الصليبيون أو اللاتينيون، ولقد بنوا كنيسة خاصة بهم سميت سانت كاترين الفرنجة، وكان بينهم فنانون رسموا أيقونات لكنيستهم، وأصبح الدير ضمن البطريركية اللاتينية في القدس ووضع الدير تحت إشراف مطران البتراء، وكان مقره مدينة الكرك بالأردن^(١٣٥) وفي وقت احتلال الصليبيين للقدس عزم بلدوين الأول ملك أورشليم على زيارة الدير عام ١١١٧م وكان يحضر الصليبيون للدير كزوار فقط ولكن الرهبان رفضوا طلبه خوفاً على شعور الدولة الإسلامية حيث كانوا يعيشون في ظل سماحتها^(١٣٦).

دير كاترين ونابليون
عندما استولى نابليون على مصر عام ١٧٩٨م تسلم الدير والمنطقة المحيطة به لتكون تحت حمايته وذلك بطلب من رهبان الدير^(١٣٧) واعترف نابليون في منشور له كتبه للدير عام ١٧٩٩م بجميع الإمتيازات المالية الممنوحة للدير من قبل واعترف بالملكيات الخاصة بالدير في القاهرة وقبرص وأعفاهم من دفع الرسوم الجمركية على البضائع الصادرة والواردة التي تستعمل في الدير^(١٣٨) كما أمر نابليون بإصلاح الجدار القديم بالدير الذي تهدم بفعل زلزال في بداية القرن الرابع عشر الميلادي وهناك نقش على الجدار بذلك.

١٣٣- أثناسيوس باليوراس : المرجع السابق، ص ١٧ : ١٨.

134-Williams(V.S.): op. cit., p. 724

135-Galley:(J.): op. cit., p. 14

136-Kamil Jil : op. cit., p. 30.

١٣٧- أثناسيوس باليوراس : المرجع السابق، ص ١٧ : ١٨.

١٣٨- نعوم شقير : المرجع السابق، نص منشور نابليون ص ٥٣٧ : ٥٣٨.

أملاك الدير ونفقاته

للدير أملاك عديدة في سيناء وداخل وخارج مصر، ففي سيناء له بستان في وادي طلاح قرب الدير وبستان في جبل الفريع غرب الدير، ومركز وكنيسة ومدرسة بالطور، وبستان نخيل ومنزل بحمام موسى بالطور^(١٣٩) ومقر بوادي فيران (دير البنات وهو يتبع دير سانت كاترين). وفي القاهرة له مركز بحى الظاهر في مواجهة جامع الظاهر ببيبرس وبه مقر للمطران يقضى فيه معظم الشتاء ومعه بعض الرهبان لتتسيق علاقات الدير مع حكومة مصر وتبوير المؤن والمعدات للدير، وبه كنيسة وحديقة واسعة، وفي السويس له مركز يقيم فيه راهب لتسهيل السفر للرهبان والزوار، وله أراضى زراعية في سرياقوس وهبها له عباس باشا الأول بدلاً من عين وبستان كانت لهم في الجبل والذى اختاره مصيف له قرب الدير، وله منزلان بالإسكندرية، أما خارج مصر فالدير يملك مركز في طرابلس ودمشق وأربعة مراكز وثلاث كنائس بقبرص وأربع كنائس بكريت ومركز في كلامس باليونان وكنيسة بالأستانة وأخرى في بيتوليا بمقدونيا، وكنيسة في يانينا جنوب ألبانيا ومركز في كيف وكنيسة في تفليس بروسيا^(١٤٠)، وينفق الدير من أملاكه السابقة، وكان متوسط دخله عام ١٩٠٦م حوالى ستة آلاف جنيه مصرى تنفق على الرهبان والبدو وترميم الدير ولوازمه وزوار الدير^(١٤١)، وما يزال الدير يمارس دوره الحضارى حتى اليوم ويحظى برعاية الدولة فهو مسجل كأثر من آثار مصر فى العصر البيزنطى والخاص بطائفة الروم الأرثوذكس، قرار وزير الثقافة رقم ٨٥ لسنة ١٩٩٣ كما تم تسجيله ضمن قائمة التراث العالمى باليونيسكو عام ٢٠٠٢، ويقع الدير فى نطاق منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية وتمت اعمال ترميم به عام ١٩٨٦، كما قامت بعثة يونانية تحت إشراف المنطقة بأعمال ترميم لبرج القديس جورج بالجدار الشمالى الشرقى عام ٢٠٠١م وبه قاعة السكيفوفيلاكيون (وهو المكان المخصص لحفظ الأغراض الدينية من أيقونات، أوانى مقدسة، ثياب مقدسة) وتم إعدادها كقاعة عرض متحفى داخل الدير، ويجرى حالياً ترميم فسيفساء التجلى بواسطة بعثة إيطالية كما تمت أعمال حفائر جنوب شرق الدير كشفت عن مساكن حراس الدير الذى أرسلهم جستنيان فى القرن السادس الميلادى وأسلموا بعد ذلك، وتم السماح بمعارض خارجية لأيقونات ومخطوطات ومقتنيات الدير لعدة دول شملت اليونان، روسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، إيطاليا أسبانيا ويوجد حالياً معرض لأيقونات ومخطوطات ومقتنيات الدير بالولايات المتحدة الأمريكية، وتتواصل أعمال الترميم والصيانة بصفة دائمة، ويزور

١٣٩- المرجع نفسه، ص ٢٤٥.

١٤٠- المرجع نفسه، ص ٢٤٥ : ٢٤٦.

١٤١- المرجع نفسه، ص ٢٤٧.

الدير سياح من كل الجنسيات منهم من يبقى لعدة أيام بفندق الدير ومنهم من يقضى ليلة واحدة يصعد خلالها جبل موسى لرؤية شروق الشمس من أعلى الجبل والتبرك بالمكان المقدس.

الخاتمة

تناول البحث تأريخ الدير على أسس أثرية تاريخية و عمارة الدير من منشآت مختلفة منذ القرن الرابع الميلادي والإضافات وأعمال الترميم عبر العصور ورصد الإضافات الهامة بالدير في العصر الإسلامي وتشمل:

١- إعادة بناء وتجديد كنيسة العليقة الملتهبة التي بنيت في القرن الرابع الميلادي وتغطيتها بالكامل ببلاطات القاشاني التركي في القرن ١٧م

٢- ترميم سور الدير بعد سقوطه في زلزال ١٣١٢م

٢- فتح البوابة الحالية للدير بالجدار الشمالي الغربي في نهاية القرن ١٩م

٣- إعادة بناء الجزء الشمالي من الجدار الشمالي الغربي في منتصف القرن ١٩م من كتل الجرانيت والحجر الرملي والروابط الخشبية

٤- إنشاء بوابة المصعد في القرن ١٦م وإعادة بنائها ١٨٦٠م وترميمها بعد احتراقها عام ١٩٧١م

٥- إنشاء قلايا الرهبان خلف الجدار الجنوبي الشرقي في القرن ١٦م وتجديدها عام ١٨٧٠م

٦- إضافة باب خشبي لسقيفة المدخل المستعرضة(نارزكس) لكنيسة التجلي من العصر الفاطمي القرن ١١م

٧- تغطية السقف الجمالوني لكنيسة التجلي من الداخل بسقف مسطح من القرن ١٨م

٨- تغطية أرضية كنيسة التجلي بالرخام من القرن ١٨م يشبه الموجود بمساجد القاهرة

٩- إضافة الإيكونستاس عام ١٦١٢م وهو الحجاب الذي يفصل الهيكل عن الصالة

١٠- تغطية الشرقية من الخارج بألواح الرصاص في القرن ١٨م وهو الموجود حتى الآن

١١- إضافة منضدة المذبح بهيكل كنيسة التجلي في القرن ١٧م

١٢- وضع ثريا كنيسة التجلي في القرن ١٨م

١٣- إضافة أمبون(منبر) لكنيسة التجلي عام ١٧٨٧م وكرسي للمطران في القرن ١٨م

١٤- إنشاء برج الناقوس عام ١٨١٧م

١٥- إنشاء قاعة الطعام

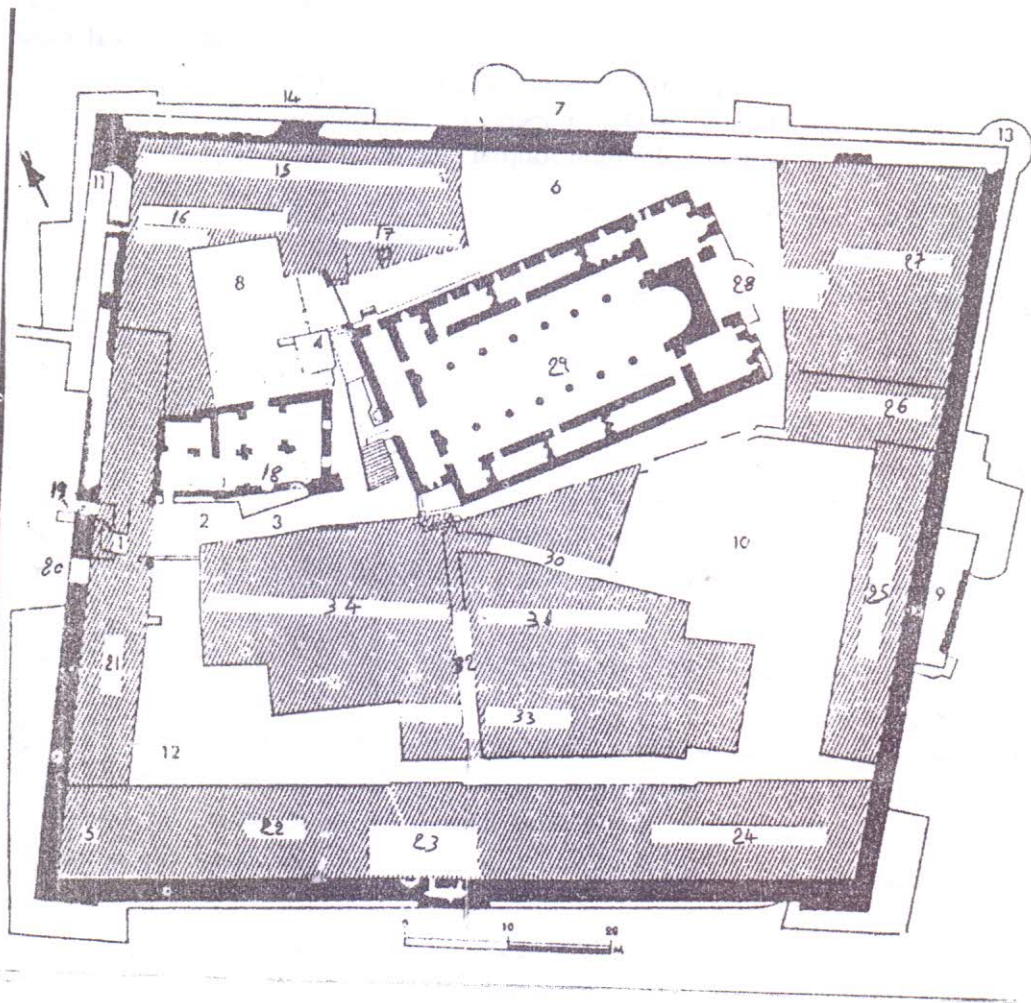
١٦- إنشاء مبنى الإستراحة خارج سور الدير عام ١٨٦٣م في عصر الخديو إسماعيل

١٧- الجامع الذي انشأه الأمير أبي المنصور أنوشكين الأمري في عهد الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله ٥٠٠ هجرية، ١١٠٦م

كما تم إبراز الدور الحضاري للدير وعلاقاته داخليا وخارجيا وازدهاره واتساع أملاكه خصوصا في العصر الإسلامي، ودور مصر حاليا في حماية وازدهار الدير لمواصلة دوره الحضاري عبر العصور.

قائمة الاختصارات

BASOR	Bulletin Of The American Schools Of Oriental Research
DOP	Dumbarton Oaks Papers
IEJ	Israel Exploration Journal



(شكل ١) مسقط أبنى لدير سانت كاترين

(شكل ١) مسقط أفقي لدير سانت كاترين

- ١- الفناء خلف المدرج الجانبي بالجنوب الشمالي شرقي
- ٢- فناء داخلي
- ٣- ممر مقبي
- ٤- مئذنة الجامع
- ٥- الركن الغربي وبه عقود قديمة بالدور الأرضي وسكن المطران بالدور العلوي
- ٦- فناء مفتوح وحديقة
- ٧- برج مشيد بواسطة نابليون والدور العلوي كنيسة القديس جورج
- ٨- المساحة أمام المسجد وأسفلها معصرة الزيتون
- ٩- برج دورات المياه
- ١٠- مساكن رهبان وأسفلها المخبز
- ١١- موقع بوابة المطران
- ١٢- فناء مفتوح وبه بئر اسطفانوس
- ١٣- البرج الدائري من إنشاء نابليون
- ١٤- السور والأبراج الذي أعيد بناؤها في عصر نابليون
- ١٥- حجرات للخدمات
- ١٦- بئر موسى
- ١٨- المسجد الفاطمي
- ١٩- البوابة الحالية من القرن التاسع عشر الميلادي
- ٢٠- البوابة الرئيسية من القرن السادس الميلادي (مغلقة الآن)
- ٢١- نزل الضيوف
- ٢٢- نزل الضيوف
- ٢٣- كنيسة من القرن السادس الميلادي
- ٢٤- قلعة
- ٢٥- قلايا الرهبان
- ٢٦- ناعة الطعام المتدبة
- ٢٧- منطقة خدمات
- ٢٨- كنيسة العليقة المنتهية
- ٢٩- الكنيسة الرئيسية (كنيسة التحلي)
- ٣٠- ممر مقبي
- ٣١- كنائس صغيرة ومخازن

تقلاً عن

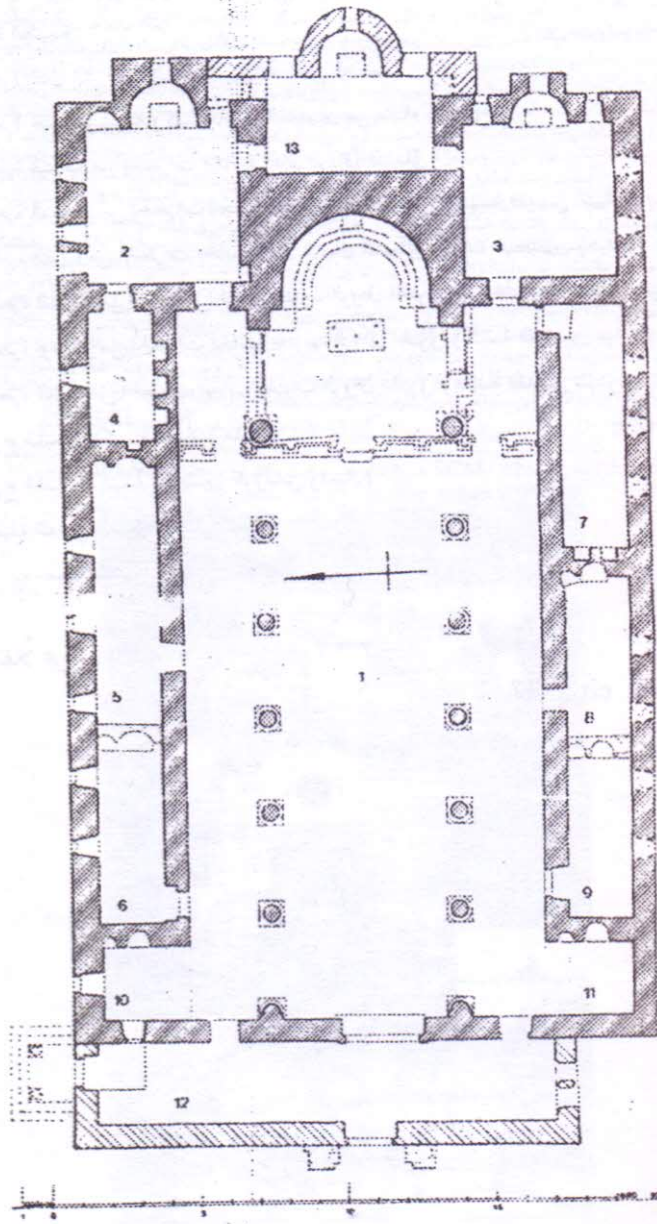


(شكل ٢) مسقط رأسي لجدران دير سانت كاترين

- A. الجدار الشمالي الغربي
- B. الجدار الجنوبي الغربي
- C. الجدار الجنوبي الشرقي

- Tsafirir (Y.):op. cit., figs.4-6.

نقلًا عن



(شكل ٣) مقطع أفقي للكعبة الرئيسية (كعبة التحنن) بدير سانت كاترين

(شكل ٣) مسقط أفقى للكنيسة الرئيسية (كنيسة التحف) بدير سانت كاترين

- ١- صالة الكنيسة
- ٢- الحجره شمال الشرقية (كنيسة القديس جيمس الصغير)
- ٣- الحجره جنوب الشرقية (كنيسة الآباء القديسين من سيناء ورايش)
- ٤- الحجره الشرقية من الحجرات الجانبية شمال الرواق الشمالى
- ٥- الحجره الوسطى من الحجرات الجانبية شمال الرواق الشمالى (كنيسة القديس أنتيما)
- ٦- الحجره العربية من الحجرات الجانبية شمال الرواق الشمالى (كنيسة قسطنطين وهيلانة)
- ٧- الحجره الشرقية من الحجرات الجانبية جنوب الرواق الجنوبى وهى مخصصة لحفظ ذخائر الكنيسة
- ٨- الحجره اوسطى من الحجرات الجانبية جنوب الرواق الجنوبى (كنيسة القديسين يواكيم وحنة)
- ٩- الحجره الغربية من الحجرات الجانبية جنوب الرواق الجنوبى (كنيسة القديس سيمون)
- ١٠- البرج الشمالى (كنيسة القديسة مارينا)
- ١١- البرج الجنوبى (كنيسة القديسين كوزماس ودميان)
- ١٢- سقيفة المدخل المستعرضة (نار: كسى)
- ١٣- كمنه العبيقة المنتهيه

نقلًا عن

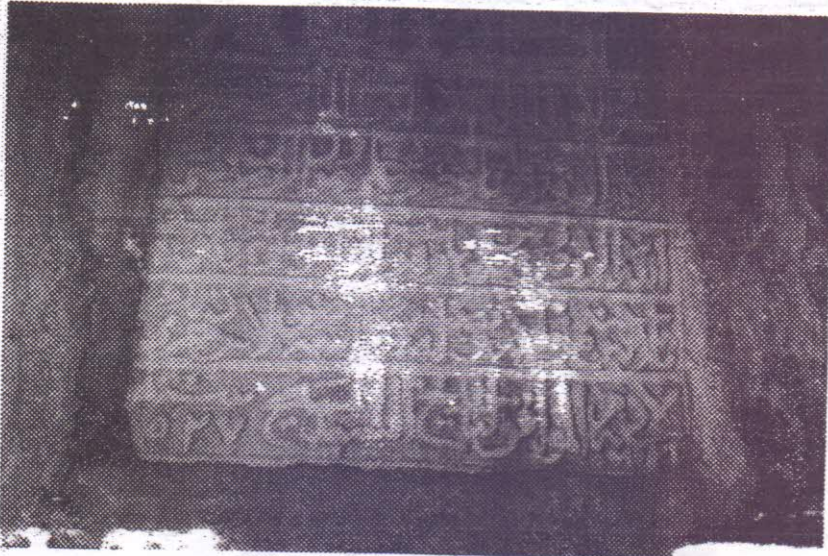
-Grossmann (P.) : op. cit.,p.37.

للمؤمنين في ولاية الكوفة التي كانت تحت حكمه من قبله...
 عالم من الدار بنو أساميل...
 وروى عن عبد الرحمن بن...
 مرجع كبير...
 حاكم...
 طريقتنا...
 وثنا...
 الجبل...
 حقل...
 ١٠...
 الجبل...
 والذين...
 ان...
 ما...
 ان...
 كثير...
 الاشياء...
 سائر...
 وروى...
 في خدمة...

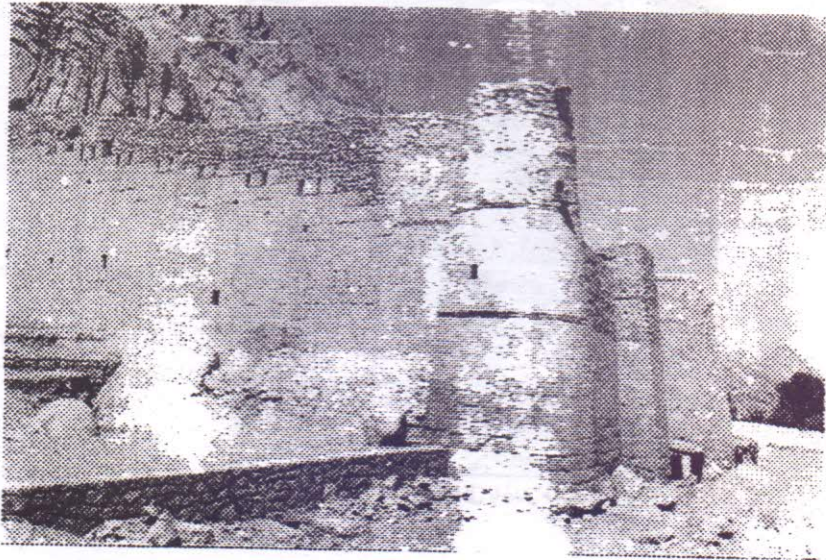
(لوحة ١) الوثيقة رقم SCM- 224 عن إنشاء دير سانت كاترين والحفظة بمسكة الدير



(لوحة ٢) مدخل الدير الخالي باجفار الشمالي الغربي



(لوحة ٣) النقش المنقوش في مدخل تدير الخالي



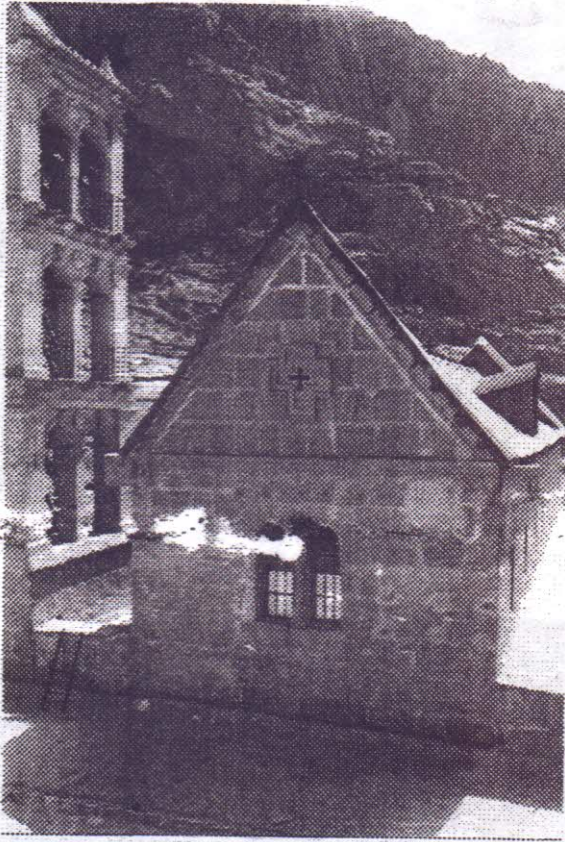
(لوحة ٤) الخنجر شام في واجهته الشرقية لتدير



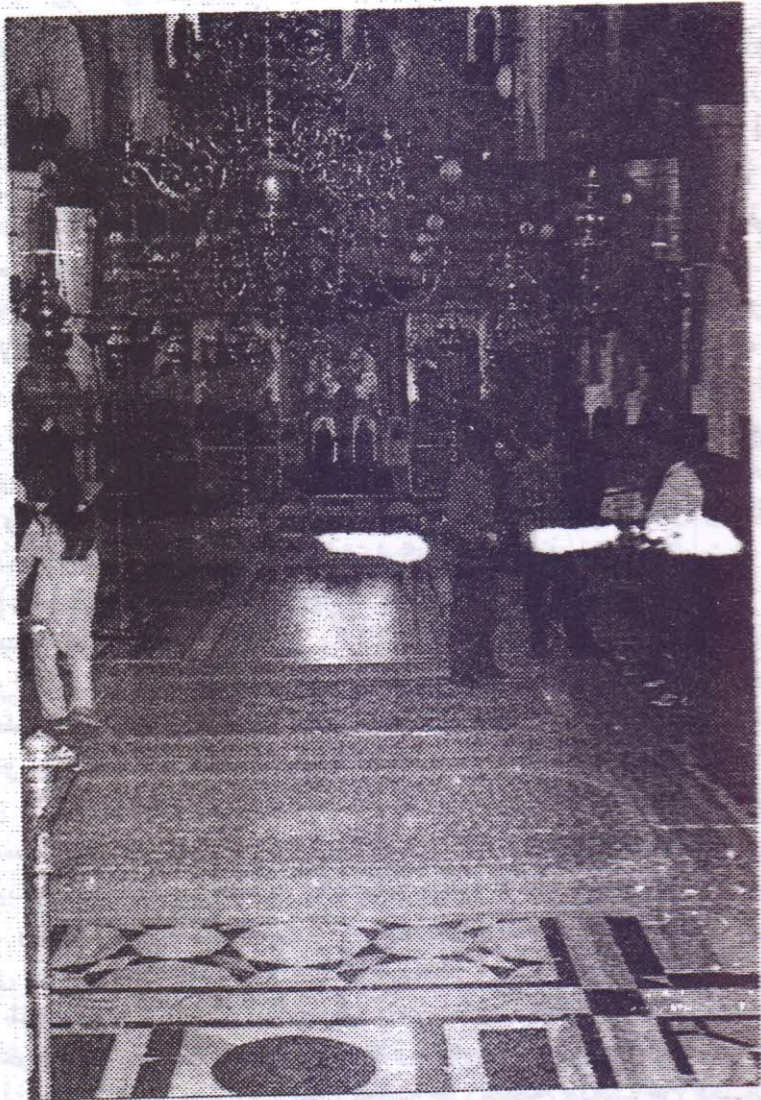
(لوحة ٥) الحداد تلمساني الشرقي من القديس وثمنر المودي لشجرة العنينة المنتب



(لوحة ٦) الحداد تحتوي القري للواحه جبل موسى



(لوحة ٧) الجمالون الخشبي الذي يسقف الرواق الأوسط بكنيسة النجلى



(لوحة ٨) صالة كنيسة التجلي

حول محاولات تشويه تاريخ وحضارة مصر الفرعونية أد/ عبد المنعم عبد الحليم سيد

ترجم هذه المحاولات كاتب روسي يهودي يدعى Immanuel Vleikovsky وسار على نهجه كتاب آخرون نشروا مقالاتهم في مجلة عنوانها KRONOS تصدر عن كلية Glassboro في ولاية نيو جيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية . ثم أصدر فلايكوفسكي كتابا في عام ١٩٥٢ اشتمل على كل ادعاءاته أطلق عليه " Ages in Chaos وقد ترجم الكتاب الى العربية في عام ١٩٩٥ بعنوان " عصر في فوضى " للدكتور رفعت السيد .

ادعى فلايكوفسكي أن الاسرائيليين غادروا مصر أثناء تفجر كارثة طبيعية كبرى وأن المعتقدات الاسرائيلية المتوارثة ربطت بين مغادرتهم مصر وبين أحداث تلك الكارثة عندما كانت الأرض والسماء والبحر على حد قوله في قوة غضبها وتدميرها وأن زمن خروج بني اسرائيل من مصر سبق غزو الهكسوس لمصر بأيام أو أسابيع قليلة (فلايكوفسكي ١٩٩٥ :ص ٧٩) وكل ذلك كان عن طريق تفسيره عبارة وردت في بردية ايبوور (وهذه البردية التي تحدد حكم مصري يدعى ايبوور للفرعون من سوء الأحوال في مصر ويستحثه على تداركها) مؤداها أن مصر تعرضت لغزو الأسيويين (عامو في اللغة المصرية) وبذلك حدد تاريخ الخروج بحوالي عام ١٦٥٠ ق.م. وهو بداية غزو الهكسوس لمصر وفي ذلك تجاهل صريح من فلايكوفسكي لرواية التوراه التي جاء فيها ما يدل على أن خروج بني اسرائيل من مصر حدث في عصر الرعامسة أي حوالي عام ١٢٠٠ ق.م. كما جاء في سفر الخروج من أن فرعون سخر بني اسرائيل في بناء مدينة "رعمسيس" (سفر الخروج ١ : ١١) فالنائب من الآثار والنقوش الفرعونية أن هذه المدينة شيدها الملك رمسيس الثاني باسم "بر - رعمسو" كما أن الاسم "رعمسيس" (أو بالتحديد "رعمسو" لأن "رعمسيس" هي الصيغة اليونانية لهذا الاسم المصري) لم يظهر على الآثار المصرية الا في عصر الرعامسة . وبذلك يكون فلايكوفسكي قد رجع بأحداث الخروج ٤٥٠ سنة الى الوراء أي جعله في حوالي عام ١٦٥٠ بدلا من حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد . وقد دعت احدى مؤيدات فلايكوفسكي رأيه بشأن حدوث الكارثة الطبيعية بادعائها أنه في عصر خروج بني اسرائيل من مصر والذي تزامن مع حدوث هذه الكارثة الطبيعية , أن هذه الكارثة حدثت في نفس الوقت في مناطق متعددة من العالم منها المكسيك وبيرو والصين والهند (Danelius 1975:p.3) .

وقد ادعى فلايكوفسكى أن كل من سفر للخروج وكاتب بردية أيو-ور سجلا هذه الاضطرابات في مصر وذلك من مقارنته بينهما , وقد وضحنا هذه المقارنة ولكن مع الاعتماد على نصوص البردية نفسها المدونة بالخط الهيراطيقى والتي حولها علماء الآثار الى الخط الهيروغلىفى و أبرز فقرات هذه المقارنة فى الجدول التالى :

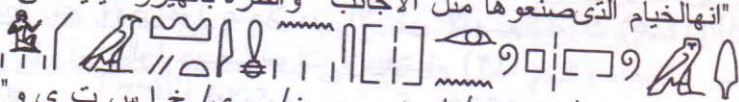
الموضوع	سفر الخروج ورقم الاصحاح والعدد طبقا لما أورده فلايكوفسكى	بردية ايور ورقم الفقرة فيها طبقا لما أورده فلايكوفسكى
الهروب من الكارثة	أخرجوا عاجلا (١٢ : ٣٣) ولم يقدروا أن يتأخروا (١٢ : ٣٩) (١) (فلايكوفسكى ١٩٩٥ :ص ٦٣)	هرب الرجال وأقاموا خياما سكنوها كسكان التلال (١٠ : ١٢) (٢)
تمنى الموت	وأح المصريون على الشعب أن يخرجوا عاجلا من الأرض لأنهم قالوا جميعنا أموات ان بقيتم (١٢ : ٣٣) (٢) (فلايكوفسكى ١٩٩٥ :ص ٦٣)	الكبير والصغير .. يقول ليتنى أموت (٥ : ١٤) (٢)
النار	وجرت نار على الأرض وسنر الرب بردا على أرض مصر فكان برد ونار متواصلة (٩ : ٢٣ - ٢٤) (فلايكوفسكى ١٩٩٥ :ص ٥٥) (٣)	سخر البوابات والأعمدة والحوائط والنار التى أهلكت الأرض لم تنشرها أيد بشرية ولكنها سقطت من السماء (٢ : ١٠) (٣)
هلاك النبات	لم يبق شيء أخضر فى الشجر ولا فى عشب الحقل فى كل أرض مصر (١٠ : ١٥) (٤) (فلايكوفسكى ١٩٩٥ :ص ٥٦)	أحقا اختفت الحبوب من كل مكان (٦ : ٣) (٤)
ظلام	فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام (١٠ : ٢٢) (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ٥٦) (٥)	لم تكن الأرض نوراً (٩ : ١١) (٥)
زلزال	الرب الذى عبر عن بيوت بنى اسرائيل فى مصر لما ضرب المصريين وخلص بيوتنا (١٢ : ٢٧) (٦) (فلايكوفسكى ١٩٩٥ :ص ٥٨)	كل أبناء الأمراء سحقتم أجسادهم فى الحوائط (٥ : ٦)

لقد انتقيت مما أوردته فلايكوفسكى على أنه كوارث طبيعية مايقترّب من هذا الوصف ، حيث أن باقى الكوارث تتعلق باصابات جسدية مثل الأمراض والأوبئة أو انقلاب الأوضاع الاجتماعية ، كاصابة الأمراء والأغنياء بالفقر والعوز ، وحصول الفقراء والدهماء على الثروة مما لايمكن أن يكون نتيجة كارثة طبيعية ، فضلا عن أن بعض العبارات الموضحة أعلاه اما نقلها فلايكوفسكى نقلا خاطئا من كل من سفر الخروج أو من بردية أيبو- ور" أو أنها وردت فى سياق يختلف عن السياق الذى افترضه فلايكوفسكى كما يلى :

(١) وردت هذه الفقرة فى سفر الخروج على لسان بنى اسرائيل وهم يهربون من المصريين وليس من حلول زلزال أو كارثة طبيعية ،والعبارة المقابلة لها التى

دونها فلايكوفسكى على أنها وردت فى بردية أيبو- ور ، خاطئة وصحتها

"انها الخيام التى صنعوها مثل الأجانب " والفقرة بالهيراوغليفية هى



وتقرأ كمايلى ام او/ پ و/ ار.ن. س ن/ م ي/ خ اس ت ي و"

وترجمتها : انها الخيام التى صنعوها مثل الأجانب (رشا فاروق ١٩٩٩ : ص ٢٠٤)

فالعبرة لانتشير الى أى هروب على - حر ما ادعى فلايكوفسكى .

(٢) وردت هذه الفقرة فى سفر الخروج على لسان المصريين عندما هلك كل بكر من

أبناء المصريين بفعل يهوه فطلب المصريون من بنى اسرائيل أن يرحلوا سريعا وقد

أضاف فلايكوفسكى كلمة "ان بقيتم" وهى غير موجودة فى السفر . وان تمنى

المصريين الموت بسبب سوء الأحوال كما جاء فى البردية يتناقض مع ماجاء فى

سفر الخروج بأن المصريين نسبوا هذه الأحوال السيئة بسبب غضب الطبيعة الى

وجود بنى اسرائيل بينهم فطلبوا منهم الرحيل بينما نص البردية يشير الى أن

المصريين تمنوا الموت نتيجة ما انتشر فى البلاد من الأوضاع المقلوبة التى ادت الى

أن يصبح المصريون أجانب غرباء فى بلادهم و الفقرة بالهيراوغليفية هى :



وتقرأ : " ون و / م / ر (م) ث / خ ب ر ت / م / ك او ي "

وترجمتها : ومن كانوا مصريين أصبحوا أجانب (رشا فاروق ١٩٩٩ : ص ١١٩)

ومن الغريب أن فلايكوفسكى اعتبر ورود كلمة الضجيج الواردة فى البردية

هى المرادف لضجيج الزلزال أو الثورة الطبيعية التى يدعى أنها التى حدثت أثناء

خروج بنى اسرائيل من مصر بينما هذه الكلمة وهى فى اللغة المصرية القديمة تنطق "

خ ر و " تأتى بمعنى أى صوت وليس بالضرورة بمعنى ضجيج وليس من بين

معانيها "زلزال " على الاطلاق (Wb.III,324) وواضح من نص البردية أن انتشار

ولكن قبل أن نبدأ في تنفيذ ادعاءاته سنتناول الأسس التي على أساسها حدد العلماء التواريخ المصرية والتي زيفها غلايكوفسكى ، فقد اعتمدوا في ذلك على أسس قوية والتي من أهمها تتبع الظواهر الفلكية التي رصدها المصريون القدماء في عصور بعض ملوكهم كما دونوها في سجلاتهم وبالتحديد رصد نجم الشعرى اليمانية التي كانوا يسجلون شروقها الاحتراقي مع بداية فيضان النيل وقد بدأ تقويمهم الشمسي باحدى هذه المناسبات (عبد المنعم عبد الحليم سيد ٢٠٠٢ : ص ٣٧ - ٤٤) كما سجل المصريون رصدهم لهذا الشروق الاحتراقي لنجم الشعرى اليمانية في أوقات أخرى مختلفة (حيث أنه بعد الشروق الاحتراقي للنجم المعاصر لفيضان النيل يظل النجم يظهر في الأفق الشرقي قبل شروق الشمس متأخرا أربع دقائق ومتحركا نحو الجنوب حتى يتم دورة كاملة حول الأرض في ١٤٦٠ سنة -) في أوقات مختلفة ، كل يوم ومناسبات رصدهم لهذا النجم هي كما يلي (Long 1977: pp.89-100):

التاريخ قبل الميلادى المقابل نوقت رصد الشروق الاحترا قى لنجم الشعرى اليمانية.	التاريخ الذى دونه المصريون لهذا الرصد من سنوات حكم الفرعون				الوثيقة التى دون المصريون القدماء عليها هذا الرصد	لم الفرعون الذى رصدت في عهده ظاهرة الشروق الاحتراقي لنجم شعرى اليمانية والأمرة التى بقي اليها
	السنة	الشهر وما يقابله حاليا من الشهور القبطية	الفصل	اليوم		
١٨٧٢ ق.م.	السادسة	الرابع - برمودة	بورت (الشتاء)	١٦	بردية اللاهون	عسرت الثالث - الأمرة ١٢
١٥٤٠ ق.م.	التاسعة	الثالث - أبيب	شمو (الصيف)	٩	بردية ايبيرس Ebers	مخطب الأول - الأمرة ١٨

١٤٦٤ ق.	٢٨	ثمنو	الثالث أبيب	؟	معبد الأسرة ١٨ في جزيرة الفنتين (جزيرة أسوان الحالية)	٣ تحتس الثالث - الأسرة ١٨
١٣٨٠ أو ١١٩٦ ق.م.	؟	أخت (الفيضا ن)	الأول توت	؟	مدينة هابو	٤ رسميس الثاني - الأسرة ١٩ أو الثالث - الأسرة ٢٠
١٣٨ ق.م.	الأول	ثمنو	الثاني (بؤونة)	التاسعة	مرسوم كتوب	٥ بطلميوس الثالث (قام بالرصد الكهنة المصريون)
١٣١٦ ق.م.	؟	أخت (الفيضا ن)	الأول (توت)	الأولى	(١) الكاتب الروماني Theon الذي نكر هذا الفرعون باسم Menophres وهو قريب من اسم التتويج من معبد رع لهذا الملك وهو سيني الأول الأسرة ١٩	وقد دون اثنان من كتاب الرومان مناسبة الشروق الاحتراقى لتجم الشعري اليمانية مترامنة مع فيضان النيل (ربما نقل عن الكهنة المصريين) وهاتان المناسبتان هما :
١٣٩ ١٤٠ ميلادية	١	_____	توت	-	(٢) الكاتب Censorinus	

هذه التواريخ المؤسسة على ظواهر فلكية التي اعتمد عليها العلماء في تحديد مراحل تاريخ مصر تكشف مزارع فلايكوفسكى التي قامت على افتراضات هشة ورغم ذلك سوف نتناول ادعاءاته بالدراسة على أساس من الأدلة الأثرية .

أما حقيقة محتوى بردية ايبور والعصر الذي يرجع اليه هذا المحتوى فإن أحدث وأشمل دراسة في هذا الموضوع صدرت في عام ١٩٩٩ في رسالة ماجستير تحت اشرافى , عنوانها " دراسة لغوية تحليلية لبردية الحكيم ايبو - ور " للدكتورة رشا فاروق السيد محمد المدرس بقسم التاريخ والآثار بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية . فالعصر الذي يرجع اليه محتوى البردية يقع في فترة الاضطراب الذي أعقب سقوط الدولة القديمة والذي يعرف بالعصر المتوسط الأول (٢١٦٠ - ٢٠٤٠ ق.م.) . ويصف هذا المحتوى حالة الفوضى التي حلت بالبلاد نتيجة تدهور السلطة المركزية والصراع بين حكام الأقاليم وحث الفرعون الحاكم على المبادرة لانقاذ البلاد منها , وقد صيغت هذه التحذيرات على لسان حكيم يدعى ايبور الذي عبر عن معاناة الشعب ونقل صور تلك المعاناة الى الحاكم . والمرجح أن تدوين البردية حدث في عصر الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٣ ق.م.) عندما استتب الأمن في البلاد . هذا وقد أعيد نسخ البردية في العصر المتوسط الثاني (١٧٨٥ - ١٦٦٠ ق.م.) أى في الفترة التي سبقت غزو الهكسوس لمصر , وربما كانت تلك هي الذريعة التي اتخذها فلايكوفسكى وأتباعه لنسبة محتوى البردية الى ذلك العصر , فالواضح أن نسخ البردية وليست الأحداث نفسها هو الذي يرجع الى العصر المتوسط الثاني الذي يمتد الى ما قبل غزو الهكسوس وقد نسخت البردية مرة أخرى بعد ذلك في عصر كل من الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٤ - ١٢٩٦ ق.م.) و التاسعة عشرة (١٢٩٦ - ١١٩٠ ق.م.)

Gardiner 1909 : p.20)

ورغم هذه الحقائق المؤسسة على وثائق أثرية . فقد تجاهلها فلايكوفسكى هو ومؤيدوه واختلقوا معلومات لاسند لها والتي سوف ننفدها بالوثائق التاريخية والأثرية كما يلي :
أولا : ادعاؤه بأن معبد حتشبسوت في الدير البحرى شيد على غرار معبد سليمان فى أورشليم، ومن المعروف فى علم الآثار المصرية القديمة أن معبد حتشبسوت يعد فريدا فى عمارته ويعتبره الباحثون تحفة معمارية لطرزه الفريد بين المعابد المصرية القديمة. فقد تميز هذا المعبد بين المعابد المصرية القديمة بأنه شيد على هيئة مدرجات لكى يحاكي المدرجات الجبلية وراه (شكل ١) . وقد اتخذ فلايكوفسكى من هذا الاختلاف عن طراز المعابد المصرية وبنائه على هيئة مدرجات ذريعة للادعاء بأنه شيد على غرار معبد سليمان فى أورشليم المشيد فوق جبل صهيون (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ١٥٤) وتمادى فى ادعائه بأن قال بأن الملكة حتشبسوت زارت الملك سليمان فى أورشليم وأنها أعجبت بطراز معبد سليمان فقلدته فى معبدها !! وذلك رغم الاختلاف الكبير فى النظام المعمارى وفى الشكل الخارجى بين المعبدتين , فان معبد سليمان مكعب الشكل وتخلو واجهته من الأعمدة (شكل ٢) بينما يتكون معبد حتشبسوت من ثلاثة مدرجات (أو شرفات) يتصدر كل مدرج صف

من الأعمدة المربعة الشكل ، وأبعاد معبد سليمان متواضعة جدا بالمقارنة بمعبد حتشبسوت ، فطبقا لما جاء في سفر الملوك الأول ، (اصحاح ٣: ٦-٤) ، كان طول معبد سليمان ستون ذراعا (حوالى ٣٠ مترا) وعرضه عشرون ذراعا (عشرة أمتار) ويمتد أمامه رواق طوله عشرون ذراعا ، وبذلك فان طول المعبد ورواقه لايزيد على أربعين مترا ، وهو طول أصغر بهو فى معبد حتشبسوت وهو اليهو الذى يصل بين نهاية المدرج الثالث وبين قدس الأقداس وتبلغ أبعاده ٤٠ x ٢٦ مترا ، فضلا عن ذلك فان تصميم معبد سليمان لم يكن من ابتكار الاسرائيليين ، بل أنشئ على غرار المعابد الفينيقية ، فقد استخدم سليمان فى انشائه مهندسا معماريا فينيقيا من مدينة صور كما جاء فى سفر الملوك الأول (اصحاح ٧ : ١٣-١٥) . أما سبب اختلاف معبد حتشبسوت عن معابد الفراعنة الآخرين فى تخطيطه ، فيرجع الى انشائه وسط الجبال لأن حتشبسوت أرادت أن يكون معبدها خلف غرفة الدفن بمقبرتها مباشرة (لأنه كما هو معروف معبد جنازى تقام فيه الطقوس على روح الملكة بعد دفنها) فأنشأت معبدها على هيئة ثلاثة مدرجات ليحاكى المدرجات الجبلية حوله وخلفه ، بينما أنشئت معابد الفراعنة الآخرين فى مدينة طيبة عاصمة مصر فى عصر حتشبسوت وغيرها من ملوك الدولة الحديثة فى شكل مستقيم وعلى مستوى واحد ويقسم المعبد طريق أوسط الى قسمين متساويين ، لكى يحاكى استقامة النيل كطريق أوسط يقسم الأراضى التى على جانبيه الى قسمين شبه متساويين لأن هذه المعابد شيدت على هامش الأراضى الزراعية بالقرب من النيل ، وعلى ذلك لم يكن اختلاف تصميم معبد حتشبسوت عن تصميم معابد الفراعنة الآخرين فى طيبة نتيجة اتخاذه الملكة حتشبسوت من معبد سليمان نموذجا لمعبدها كما ادعى فلايكوفسكى بتأثير تعصبه الأعمى ليهوديته الذى جعله يسحب انجاز حضارى من أروع الانجازات الحضارية المصرية وينسبه لبني اسرائيل .

ثانيا : ادعاؤه بأن الملك تحتمس الثالث نهب كنوز معبد سليمان فى اورشليم ولم يكتف فلايكوفسكى بهذا التزييف والتزوير لحقائق التاريخ فى عصر حتشبسوت ، بل استدار الى خليفته الملك تحتمس الثالث محاولا الحط من أمجاده الحربية التى تميز بها بين سائر الفراعنة وهى حملاته الحربية التى شنها على الشام والتى بلغت سبع عشرة حملة حقق خلالها انتصارات باهرة لدرجة أن المؤرخين الأوروبيين أطلقوا عليه " نابليون مصر الفرعونية " ، فقد حول فلايكوفسكى هذه الأمجاد الى غارات نهب وسلب لكنوز معبد الملك سليمان فى اورشليم (فلايكوفسكى ١٩٩٥: ص ١٦٨) متجاهلا ماورد فى سفر الملوك الأول (اصحاح ١٢ : ٩) بأن الذى قام بهذا العمل هو الملك الليبى الأصل شيشنق الأول الذى عاش بعد عصر تحتمس الثالث يمالاقل عن خمسمائة سنة .

وقد اختلق فلايكوفسكى لتحقيق هدفه الخبيث وقائع تاريخية لم تحدث ولم ترد في أية وثائق سواء في تاريخ مصر أو في تاريخ سليمان ، وهي ادعاؤه بأن الملك تحتمس الثالث بث الفتن والانقسام داخل دولة يهوذا التي كانت تحت حكم الملك رحبعام بن الملك سليمان مستغلا في ذلك الملك يربعام الذي كان قد انشق عن سليمان ولجأ إلى الملك تحتمس الثالث في مصر (طبقا لادعائه) . والمعروف أن سفر الملوك الأول يروى أن يربعام هذا الذي كان من القبائل الشمالية المعادية لقبيلة يهوذا التي حكم ملوكها من أورشليم ،

هرب إلى مصر ولجأ إلى شيشنق ملك مصر وأقام في مصر إلى وفاة سليمان (اصحاح ١١ : ٤) ولم يرد في هذا السفر أي إشارة إلى فتن بثها فرعون مصر في دولة سليمان أو ضد ابنه رحبعام ولكن فلايكوفسكى يتماذى في هذه الأكاذيب فيذكر أن يربعام الذي عاد إلى فلسطين بعد وفاة سليمان وصار حاكماً على دولة إسرائيل الشمالية صار عميلاً لتحتمس الثالث وأخذ يؤدي إليه الجزية عن طيب خاطر (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ١٨٦).

ولعل القارئ الكريم يتساءل لماذا قلب فلايكوفسكى حقائق التاريخ المصري القديم بل وروايات سفر الملوك الأول رأساً على عقب ؟

وانني أجيبه بأنه يستهدف من ذلك التزييف غرضين خبيثين :

أولهما: التقليل من قيمة الانتصارات التي حققها الملك تحتمس الثالث في الشام وهذا واضح في قوله " إن الفتن التي أثارها تحتمس الثالث في دولة رحبعام لا يجعل من انتصاراته في حروب الشام انتصاراً كبيراً" (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ١٧٣)

ثانيهما: تبرير ادعائه بأن رسوم الهدايا وأدوات العبادة التي قدمها تحتمس الثالث للإله آمون وسجل رسوها على جدران معبد الكرنك (شكل ٣) هي رسوم كنوز الملك سليمان التي نهبها الملك تحتمس الثالث من معبده في أورشليم (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ١٧٩) فينتباكي فلايكوفسكى على هذه الكنوز في قوله إن كنوز مئات السنين من العمل الشاق والغائم التي جمعها (الملكان) شاعول وداوود تحولت إلى غنائم لتحتمس الثالث (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ١٧٩)

ويصف فلايكوفسكى بالتفصيل رسوم هذه الكنوز فيقول بأنها أقداس (كووس) داوود الفضية والذهبية سلبت من الهيكل ومذبح النحاس وأواني العطور ولا شك أنه كان هيكلاً غنياً ذلك الذي نهبه تحتمس الثالث (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ١٨٠)

ويتترك فلايكوفسكى لخياله العنان عندما يختلق توزيع هذه الكنوز فيقول أن الملك تحتمس الثالث وزع هذه الكنوز على منازل المقربين إليه مثل الوزير رخميرع الذي ظهرت على جدران مقبرته رسوم لها. (فلايكوفسكى ١٩٩٥ : ص ١٨٠)

وحقيقة أشكال الهدايا وأدوات العبادة التي رسمها الملك تحتمس الثالث على جدران معبد الكرنك أنها قطع أثاث للمعبد وأدوات عبادة وحلي ذهبية وموائد قرابين وصناديق

لأدوات الكتابة وأحواض للماء وحوامل للمشاعل وأدوات خاصة بطقوس المعبد مثل المسطرين والفأس بجانب العديد من العقود والأساور المختلفة الأشكال والأحجام بالإضافة إلى مقاصير لتمائيل الآلهة وبالإضافة لكل ذلك مسلتان صغيرتان كانتا توضعان على جانبي محراب المعبد (شكل ٣) ويتبين من هذه الأوصاف أن كثيراً من هذه الأدوات مصنوعات مصرية بحثة انفردت بها مصر الفرعونية ولم تشاركها فيها شعوب أخرى مثل أدوات الكتابة وأدوات تأسيس المعبد والمسلات وبالتالي لا يمكن أن تكون صناعة اسرائيلية ولكن فلايكوفسكي كي يُسبغ على هذه الأشكال الطابع الاسرائيلي ادعى أن من بينها أشكال اسود وثيران كي يتفق في ذلك مع ما ورد بسفر الملوك الأول (اصحاح ٧ : ٢٩-٣٦) بأن بعض الوحدات الزخرفية في هيكل سليمان كانت على شكل اسود وثيران وقد تجاهل فلايطوفسكي حقيقة تاريخية هي أن الأشكال الزخرفية للاسود والثيران كانت بين أكثر العناصر الزخرفية وروداً في الفن المصري القديم قبل عصر سليمان بمئات السنين كما تدل على ذلك رسوم المعابد والمقابر التي لا تُحصى وقد بلغ من كثرة هذه الأشكال في الفن المصري أن الفينيقيين نقلوها من بين ما نقلوا من الزخارف المصرية وظهرت في فنونهم وعندهم انتقلت إلى معبد سليمان الذي قام المهندسون الفينيقيون بإنشائه كما جاء في سفر الملوك الأول (اصحاح ٧ : ١٣-١٥) وهكذا نقل بنو اسرائيل الأشكال الزخرفية المصرية للثيران والاسود عن طريق الفينيقيين ولكن فلايكوفسكي عكس الحقائق التاريخية بدافع من غرضه الصهيوني الخبيث.

وبالمثل عكس فلايكوفسكس حقيقة تاريخية أخرى عندما ادعى أن رسوم النباتات المشهورة على جدران الكرنك التي أدخل تحتتمس الثالث زراعتها إلى مصر والمصورة على جدران القاعة المعروفة باسم قاعة النباتات في هذا المعبد هي رسوم نباتات كانت مزروعة في حدائق يهوذا وبنيامين قاتلاً في هذا الصدد: "واليوم ونحن نتأمل نقوش الكرنك فإننا نتأمل شعب يهوذا في أيام سليمان والنباتات التي زرعوها والحيوانات التي ربوها والأدوات التي استخدموها" (فلايكوفسكي ١٩٩٥ : ص ١٨٨) وهكذا جعل فلايكوفسكي من بني اسرائيل رواداً في استزراع النباتات التي من المعروف أن المصريين القدماء كان لهم قصب السبق في هذا المجال منذ أن نقلوا زرعة أشجار البخور إلى مصر في عصر حتشبسوت إلى حديقة معبدها في الدير البحري، إلى أن قام تحتتمس الثالث بنقل زراعة النباتات الأسيوية إلى حديقة معبد الكرنك

وفي محاولة فاشلة لمواجهة ما ورد في سفر الملوك الأول (اصحاح ١٤ : ٢٥) بأن الملك الذي استولى على كنوز سليمان كان هو الملك الذي يسميه هذا السفر "شيشق أو شيشاق" والذي وحده علماء الآثار المصرية بالفرعون شيشق الأول الذي دون قائمة بأسماء المدن اليهودية التي غزاها على جدران معبد الكرنك - في محاولة فاشلة

لمواجهة هذه الحقائق المذكورة في كل من العهد القديم والآثار المصرية ادعى فلايكوفسكي أن شيشنق نقل أسماء هذه المدن من قائمة المدن التي غزاها تحتس الثالث ودونها على جدران نفس المعبد ولم يقد شيشنق نفسه بغزو هذه المدن (فلايكوفسكي ١٩٩٥ : ص ١٩٦)

ثم يناقض فلايكوفسكي نفسه عندما يذكر أن شيشنق قد غزا دولة إسرائيل (الدولة الإسرائيلية الشمالية) وليس دولة يهوذا (الدولة الإسرائيلية الجنوبية التي عاصمتها أورشليم) (فلايكوفسكي ١٩٩٥ : ص ٢٢٨) ، وهكذا في موضع من كتابه ينكر غزو شيشنق لفلسطين ويتهمه بالغش عندما نسب إليه النقل الحرفي لاسماء المدن التي غزاها تحتس الثالث ثم في موضع آخر ينسب إليه غزو المدن الإسرائيلية الشمالية وليس مدن دولة يهوذا الجنوبية وبالطبع فإن هذا التخبط نتيجة فبركة المعلومات وتزييف الحقائق التاريخية مدفوعاً باغراضه الصهيونية الخبيثة مما جعله لا يدرك هذا التناقض في معلوماته .

ثالثاً: ادعاؤه بأن الملك أمنحتب الثاني هزم أمام الملك اليهودي " أسا " بعد أن جرد فلايكوفسكي الملك تحتس الثالث من كل مجد حربي أو فضل حضاري استدار إلى ابنه الملك أمنحتب الثاني (١٤٣١-١٤٠٥ ق.م) فجرده هو الآخر من انتصاراته الحربية ، فالمعروف من السجلات التاريخية لهذا الملك المدونة على جدران لوحة في الكرنك وعلى لوحة أخرى له وجدت في مدينة منف محفوظة بالمتحف المصري (شكل ٤) ، أن هذا الملك حقق انتصارات كبيرة في الشام كان من نتائجها أسر أعداد كبيرة من الأسرى من بينهم ٣٦٠٠ أسير من العبرانيين ("عبرو" في نص اللوحة شكل ٤ سطر ١) ، ويبدو أن فلايكوفسكي ساءه أن يكون بني جدته من العبرانيين من بين من أسرهم هذا الملك فزيف شخصية الملك أمنحتب الثاني بأن ادعى أنه هو نفسه "الشخصية المذكورة في سفر أخبار الأيام الثاني من الكتاب المقدس باسم زراح الكوشي" (اصحاح ١٤ : ٦) (أو الأثيوبي" كما دعاه فلايكوفسكي). والسبب الذي دعا فلايكوفسكي إلى توحيد شخصية الفرعون أمنحتب الثاني بشخصية زراح الكوشي هذا أن الأخير انهزم أمام الملك الإسرائيلي المسمى "اسا" ملك يهوذا فهو يهدف من توحيد الشخصيتين إلى اثبات أن فرعون مصر أمنحتب الثاني صاحب الانتصارات العظيمة قد انهزم أمام الملك اليهودي (فلايكوفسكي ١٩٩٥ : ص ٢٢٢) ، وقد بالغ فلايكوفسكي في هذا التزوير لدرجة كبيرة لأنه طبقاً لرواية كتاب العهد القديم (سفر أخبار الأيام الثاني اصحاح ١٤ : ٦) لم يكن زراح هذا مصرياً بل كان نوبياً حليل إطلاق صفة "الكوشي" أي "النوبي" عليه في السفر المذكور فضلاً عن أن اسمه ورد في السفر المذكور أيضاً بدون لقب ملك أو فرعون ولذلك رجح علماء المصريات أنه كان قائداً في جيش الفرعون أوسركون الأول (٩٢٤-٨٨٩ ق.م) أحد فراغنة

الأسرة الثانية والعشرين لأنه الفرعون الذي عاصر الملك اليهودي "اسا" ملك يهوذا. ولتحقيق هدفه الصهيوني الخبيث كرس فلايكوفسكي عدة صفحات من كتابه لتزييف المعلومات الواردة على لوحة الملك أمنحتب الثاني المذكورة فأدعى أن الغنائم التي استولى عليها هذا الملك في حربه لا تزيد على اثنين من الخيول وعجلة حربية واحدة ودرع وقوس وجعبة سهام وأن هذه الغنائم الهزيلة هي كل ما جعل ملك مصر يعتبر ذلك نصراً ثم يسخر فلايكوفسكي من ذلك قائلاً: " أن هذا كان هزيمة لا نصراً" (فلايكوفسكي ١٩٩٥ : ص ٢٢٨) ثم يتمادى فلايكوفسكي في تزوير تاريخ الملك أمنحتب الثاني قائلاً: انه عندما استدار هذا الملك عائداً إلى مصر فإن المدن الفلسطينية التي كانت خاضعة له تمردت وثارَت عندما رأت، الطاغية مولياً الأديبار (فلايكوفسكي ١٩٩٥ : ص ٢٢٨) وأن الأسيويين في إحدى المدن على الطريق إلى مصر وضعوا خطة لطرده مشاة الملك من مدينتهم (فلايكوفسكي ١٩٩٥ : ص ٢٢٨).

وقد ادعى فلايكوفسكي أنه اعتمد في هذه المعلومات على كتاب العالم الأمريكي جيمس برستد "سجلات مصرية قديمة ج ٤ فقرة ٧٨٧" (Breasted: Ancient Records of Egypt) وعندما رجعت إلى هذه الفقرة في هذا الكتاب تبين لي كذب فلايكوفسكي ، فقد وجدت أن حقيقة هذه الفقرة في كتاب برستد أن الملك أمنحتب الثاني قضى على هذه الأمؤامرة وأمن المدينة .

أما رواية فلايكوفسكي عن الغنائم التي خرج بها الملك من حروبه وانها لا تعد انتصاراً في رأيه فان حقيقتها كما جاءت على لوحة هذا الملك أنها الغنائم التي استولى عليها في معركة واحدة حارب فيها الملك بمفرده أي دون اشتراك جنوده عندما فطن الملك إلى خدعة العدو وهو يتسلل إلى مؤخرة جيش الفرعون وهذه المعلومة مذكورة في الفقرة المذكورة من كتاب برستد التي زيفها فلايكوفسكي ويمكن للقارئ الرجوع إلى (سليم حسن ١٩٤٨ ، ص ٦٥٩) فهو يذكر نفس المعلومة مترجمة عن كتاب برستد المذكور.

أما سبب تركيز أمنحتب الثاني على ذكر تصديه بمفرده للعدو فهو الزهو بقوته وشجاعته، وقد تكرر هذا الزهو على آثاره وخاصة على لوحة لهذا الملك كشفها المرحوم سليم حسن في معبد شيدته هذا الملك بجوار تمثال أبي الهول في الجيزة وما زالت هذه اللوحة موجودة في مكانها حتى اليوم وجاء أيضاً على هذه اللوحة تفاخر الملك بأنه كان رامياً ماهراً لا يُخطئ الهدف ولم يكن أحد يستطيع أن يشد قوسه، وقد وجدت صورة لهذا الملك على جدار مقبرة لأحد النبلاء في طيبة تمثله وهو صبي صغير أمام مدربه وهو يشد قوسه ويتدرب على إصابة الهدف الذي أصابه بأربعة سهام، وهكذا كان غرض الملك أمنحتب الثاني من ترديد انتصاراته في معركة بمفرده وأسرهِ الغنائم هو التدليل على قوته وشجاعته ويقظته لخدعة العدو فلم تكن هذه الغنائم

نتاج معركة اشترك فيها جيش الملك، كما حاول فلايكوفسكي أن يزيّف الحقيقة التاريخية بدافع من أغراضه الصهيونية الخبيثة.

أما عن حقيقة الغنائم التي خرج بها الملك أمنحبت الثاني من حروبه في الشام والتي سجلها على لوحته المذكورة (شكل ٤) وتجاهلها فلايكوفسكي فهي أعداد غفيرة من الأسرى وكميات ضخمة من العتاد إذ بلغ مجموع الأسرى ٨٩٦٠٠٠ أسراً من بينهم ٣٦٠٠ أسيراً من العبرانيين (" عبرو " فى اللوحة) وبلغ مجموع العتاد سبتين عجلة حربية موشاة بالذهب والفضة (ربما خاصة بملوك وأمراء الشام) و ١٢٠٠ عجلة حربية أخرى و ١٣٥٠٠ من الخيول هذا غير الأعداد الكبيرة من الماشية (سليم حسن ١٩٤٨: ص ١٦٦).

وهكذا حجب فلايكوفسكي حقيقة المعلومات المدونة على لوحة أمنحبت الثاني بشأن الأعداد الغفيرة من الأسرى والعتاد وغيرها من الغنائم التي عاد بها من حروبه في الشام وسلط الأضواء فقط على الغنيمة القليلة التي استولى عليها الملك بمفرده في معركة واحدة لم يشترك فيها جنوده ودلت على يقظة الملك وشجاعته لأنه أحبط فيها خطة العدو في التسلّل خلف جيش الملك. وغرض فلايكوفسكي من هذا التزييف للحقائق التاريخية كما قلنا هو التصغير من شأن الملك أمنحبت الثاني الذي أسر ٣٦٠٠ من العبرانيين وذلك لكي تتفق شخصيته مع شخصية زارح الكوشي الذي انهزم أمام الملك اليهودي " اسا " كما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ملغياً بذلك خمسمائة عام من الفارق الزمني بين عصر الملك أمنحبت الثاني وعصر الملك اليهودي اسا.

تعقيب

لقد حاول بعض الكتاب المصريين من غير المتخصصين فى الآثار واللغة المصرية القديمة تقليد فلايكوفسكى بنشر مؤلفات تحوى معلومات شاذة عن ملوك وملكات الفراعنة ، ولكنهم بالغوا فى الاختلاق الى درجة " التخريف " فمنهم من ادعى أن الملك اخناتون هو نفسه النبى موسى ومنهم من زوج اخناتون بأمه ، وغير ذلك من الاختلاقات التى لا أساس لها والواضح أن دافعهم من هذه الاختلاقات الشاذة هو اثاره فضول القراء فيقبلوا على شراء مؤلفاتهم أى الكسب المادى ولذلك لن أذكر أسمائهم أو عناوين مؤلفاتهم حتى لا أحقق لهم اغراضهم فى الترويج لمؤلفاتهم . ولن أناقش ما كتبه فهو لا يستحق أى اهتمام من الباحث المتخصص .

المراجع

المراجع العربية والمعرية

سليم حسن ١٩٤٨

= سليم حسن , مصر القديمة , الجزء الرابع , القاهرة .

- عبد المنعم عبد الحليم سيد ٢٠٠٢

= عبد المنعم عبد الحليم سيد , "تراث حضارة مصر الفرعونية في الحضارة الانسانية , التقويم الشمسي والأبجدية , مجلة المؤرخ العربي , اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة , العدد العاشر , المجلد الأول , مارس ٢٠٠٢ (ص ٣٧ - ٩٩) = فلاكوفسكى ١٩٩٥

= فلاكوفسكى , ايمانويل , عصور في فوضى , من الخروج الى الملك اخناتون , ترجمة د. رفعت السيد , القاهرة

- رشا فاروق السيد محمد ١٩٩٩

= رشا فاروق السيد محمد "دراسة لغوية تحليلية لبردية الحكيم ايبو - ور" رسالة ماجستير غير منشورة تحت اشراف أ.د/ عبد المنعم عبد الحليم سيد - قسم التاريخ والآثار - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

المراجع الأجنبية

- Danelius 1975

=Eva Danelius, "The Identification of the Biblical Queen of Sheba with Hstshepsut, Queen of Egypt and Ethiopia", KRONOS, Vol.1, No.3, Fall 1975, pp. 3-19 State College,

-Gardiner 1999 =

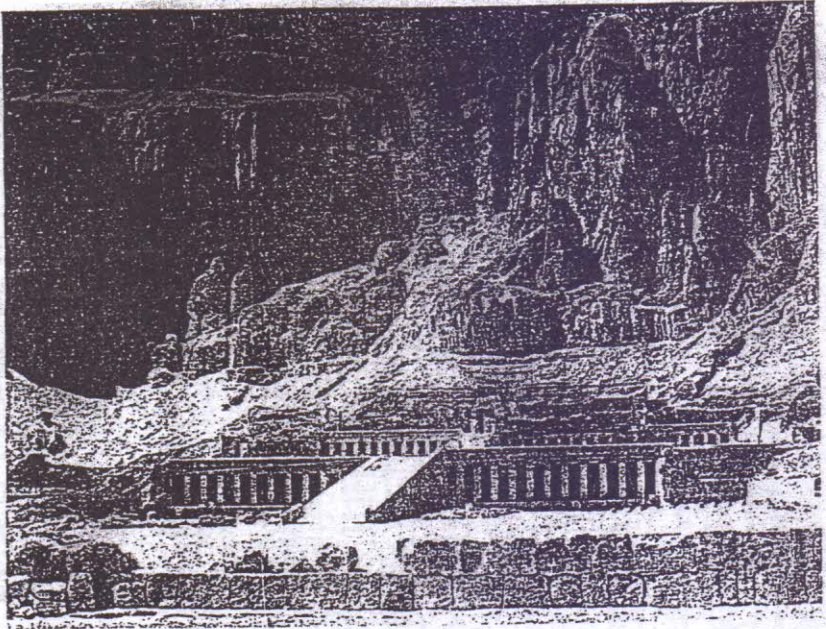
=Gardiner, A. The admonitions of an Egyptian sage from a hieratic papyrus in Leiden , Leiozig, 1909

-Long 1977

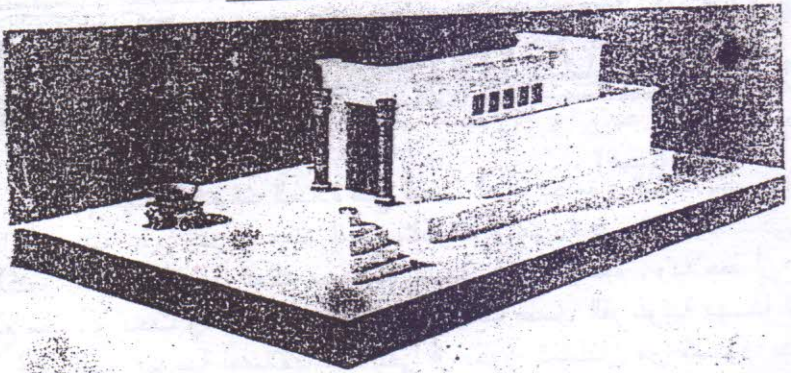
=Long. Ronald D, "A Reexamination of the Sothic Chronology of Egypt", KRONOS, II, pp. 89-100.

-KRONOS, A Journal of Interdisciplinary Synthesis, Glassboro State College, N. J., U.S.A.

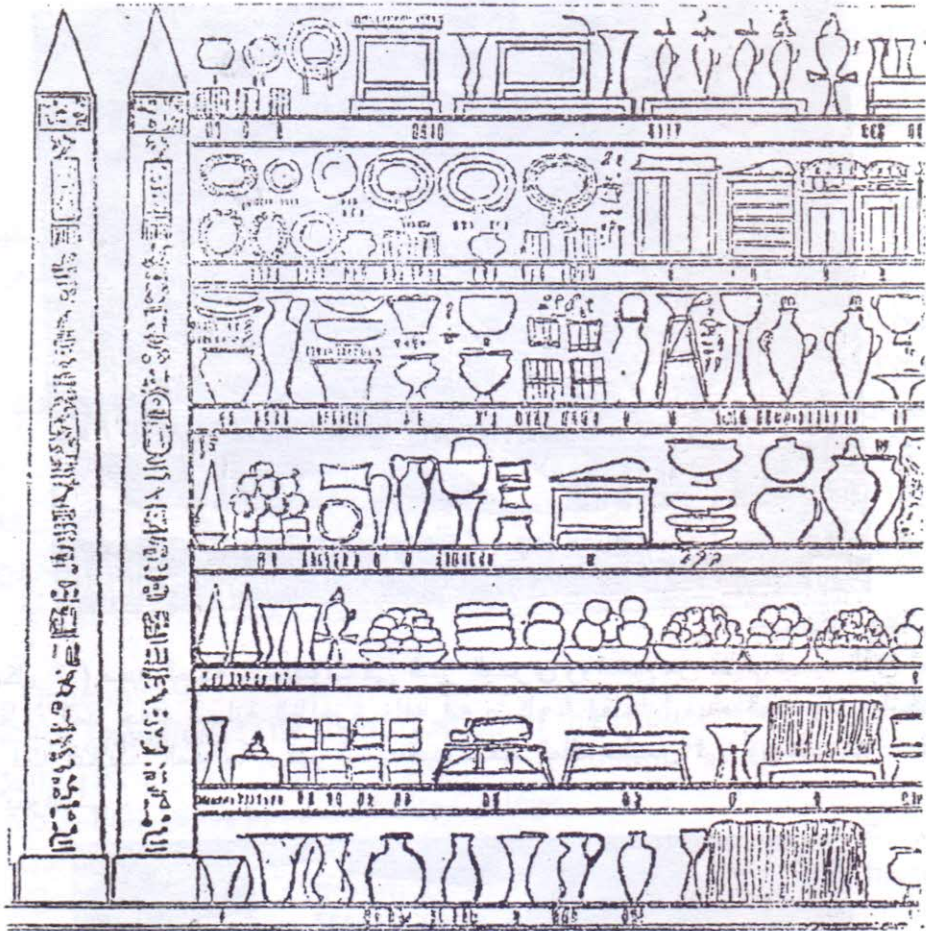
Wb. = Erman, A & Grapow , H; Wörterbuch der Ägyptischen Sprache, Berlin, 1971



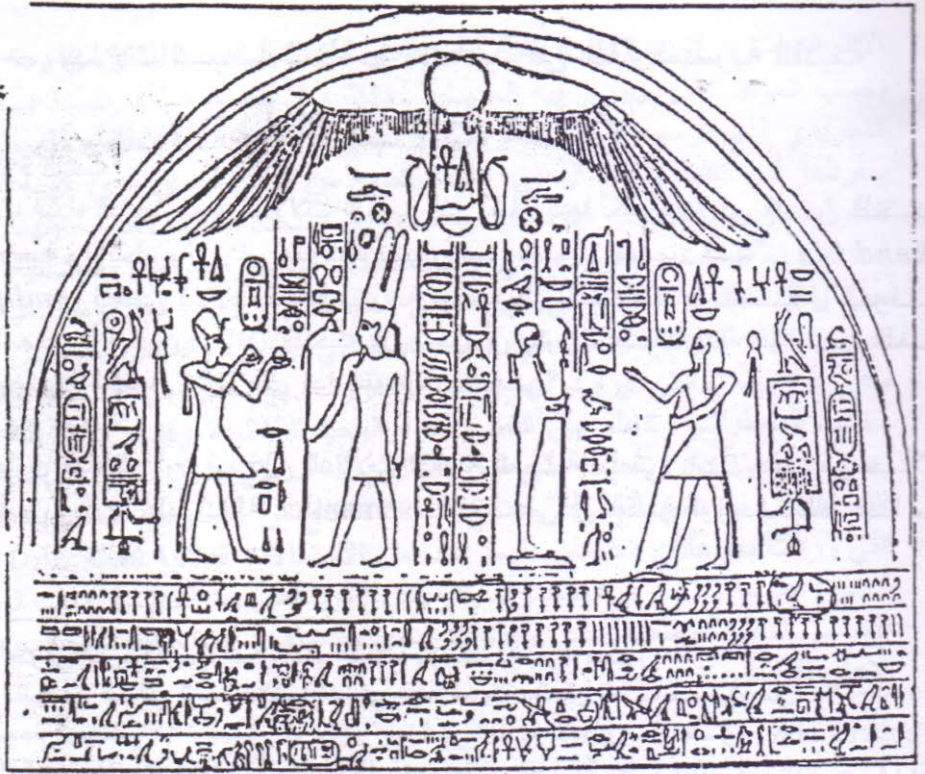
(شكل ١) معبد الملكة حتشبسوت في الدير البحري وواضح من نظام المعبد الذي شيد أسفل المدرجات الجبلية الظاهرة خلفه أنه يشكل " ايقاعا " لهذه المدرجات بأشكال شرفاته الثلاث المدرجة ، فهو ليس تقليدا لمعبد الملك سليمان في أورشليم كما ادعى فلايكوفسكى .



(شكل ٢) معبد الملك سليمان في أورشليم الذي ادعى فلايكوفسكى أنه النموذج الذي شيدت الملكة حتشبسوت معبدها على غرارته مستندا على بناء هذا المعبد فوق تل .
والواضح من شكل المعبد الاختلاف الكبير في نظامه مع نظام معبد حتشبسوت .



(شكل ٣) رسوم الهدايا وأدوات العبادة التي قدمها الملك تحتمس الثالث لمعبد الآلهة آمون كما صورت على جدران معبد آمون بالكرنك والتي ادعى فلايكوفسكي أنها رسوم الكنوز التي نهبها هذا الملك من معبد سليمان في أورشليم ، ويلاحظ أن أشكالها ذات طابع مصري بحت وخاصة المسلتين فقد انفردت مصر الفرعونية بهذا الشكل الانسيابي ذي القمة الهرمية لمسلاتها مما ينفي أن تكون المسلتان من كنوز سايمان وهو دليل دامغ يدحض ادعاء فلايكوفسكي .



(شكل ٤) لوحة الملك أمنحتب الثاني وقد حذفنا تبعة وعشرين سطرا منها لكي تتسع لها الصفحة وأبقينا على الأسطر التي تحتوى على ما أشرنا اليه فى هذا البحث كالاسم "عبرو" (أول كلمة حولها دائرة فى السطر الأول) وأعداد الأسرى والغنائم (السطور الباقية) .

الدلالات السياقية للفظة Drt = "يد" في اللغة المصرية القديمة

د. عبد المنعم محمد عبد المنعم (*)

فكرة البحث:

لفت انتباه الباحث تعدد الدلالات اللغوية التي يُشارُ إليها بكلمة "يد" في كل من اللغتين العربية والإنجليزية، وغيرهما كالفرنسية.^١ فهي تُستخدم بنصها: "يد" *hand / la* "main" لتعطي دلالات لغوية متنوعة تختلف كل الاختلاف عن المدلول الحرفي (المعجمي) لها^٢. ويتساءل الباحث هل يُمكن أن يكون للفظة Drt = "يد" في اللغة المصرية القديمة Drt مثل هذا التنوع في المعاني؟^٣

منهج البحث:

يحاول الباحث الوقوف على الدلالات اللغوية المختلفة لكلمتي Drt = "يد" من خلال تطبيق مبادئ علم الدلالة semantics،^٤ القائم على أن الكلمة الواحدة تمتلك عدداً من

(*) مدرس التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، فرع دمنهور.

^١ انظر عن المعاني المختلفة لكلمة "يد" في اللغة العربية: (لسان العرب جـ ٦: ص ٤٩٥٥-٤٩٥٠؛ المعجم الوسيط ١٩٧٣: ج ٢، ١٠٦٣) و عنها في اللغة الإنجليزية انظر: Webster's new Collegiate Dictionary, 1973: p.519. و عنها في الفرنسية انظر: (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٦٤٤-٧٤٥). وسيشير الباحث -كلما أمكن- في هوامش هذا البحث إلى جوانب الاتفاق الكثيرة بين المعاني الدلالية التي قدمتها اللغة المصرية لكلمة "يد" ومدى تشابهها أو تطابقها مع هذه اللغات المذكورة.

^٢ بالرغم من تعدد الدراسات التي اهتمت بهذا الجزء من الجسد إلا أن أي من هذه الدراسات لم تهتم بتتبع المعاني الدلالية لكلمة Drt = "يد". ومن نماذج هذه الدراسات على سبيل المثال:

Sethe, K., Das Wort Für "Hand" im Ägyptischen und der Laut d, ZÄS 50, 1912, 91-9; Kanauf, E.A., Zur Etymologie der Handieroglyphe, gM 59, 1982, 29-39; Zeidler, J., Nochmals zur Etymologie der Handhieroglyphe, gM 72, 1984, p.39-47; Sourdiv, C., La Main dans L'Égypte Pharaonique, Recherches de morphologie structurale sur les objets Égyptiens comport- ant une une main, New York, 1984.

^٣ Wb, V, 580-581; FCD, 36, 323; Lacau, 1970: p.11-17 (§§ 22-36); Budge, 1978: vol. I, p.105.

^٤ يُعرّف علم الدلالة Sémantique على أنه دراسة المعنى، وقد ظهر هذا المصطلح في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي ميشال بريال Michel Bréal وذلك في سنة ١٨٨٣م، قاصداً به علم المعنى. (كلود جرمان وريمون لوبلان ١٩٩٤: ص ٥). وذلك في مقابلة "علم الصوتيات" الذي يعني بدراسة الأصوات اللغوية. وقد اشتقت هذه الكلمة الاصطلاحية من أصل يوناني مؤنث Sémantiké مُذكرة أي: "يعني، يدل"، ومصدره كلمة Sēma أي: "إشارة"؛ وقد نقلت كتب اللغة هذا الاصطلاح إلى الإنجليزية، وحظي بإجماع جعله مُتداولاً بغير لبس Semantics. (فايز الدايدة ١٩٩٦: ص ٦).

الافتراضات أو التضمينات الدلالية.^٥ أو بمعنى آخر إنها تصلح لأكثر من وجه دلالي بحسب الموقف الذي يجري فيه الحديث.^٦ فالكلمة لا يتضح معناها فقط بالتعريف التجريدي الذي ترسمه المعجمات، لأنها لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة، ولهذا فهي بمفردها غير كافية لإنشاء المعنى، ولكنه يتضح من خلال السياق الذي بدونه لن يكون للكلمة معنى، وبه تكتسب الكلمة قيمتها التعبيرية، وتتحدد دلالتها الحقيقية. لهذا لا بد من استدعاء المُلابسات والظروف التي تم فيها الحدث الكلامي، وفحص وضعية الكلمة حتى يمكن الوقوف على معنى من المعاني المقبولة لها. بل إن هذه الوضعية ذاتها تفرض علينا قبول بعض المعاني، واستبعاد معاني أخرى، والمُتلقِي يُخصص للفظ معنى من بين المعاني الواردة كما تقتضيه الظروف، بناء على حركة ذهنية توازن بين مُختلف المعطيات، وتناظر بين اللفظ وفحواه الوحيد المُلائم للموقف.^٧

وبناء على ما سبق وتأسيساً على قول الدالين أنه ما من معنى مقبول أو حقيقي إلا ذلك المتمثل في نص مُعطى.^٨ سيتتبع الباحث نماذج من النصوص المصرية القديمة التي وردت بها هاتان الكلمتان مُقدماً عدداً من الاحتمالات الدلالية للفظة = Drt = "يد" مُتخيراً أكثرها مُلائمة للملابسات السياقية لكل نص مُعتبراً الجملة هي العنصر الأساسي للدلالة^٩ ومُعتمداً على مُعطيات النص والموقف، بهدف الوصول إلى الحد الأعلى للدلالة.

⁵ كلود جرمان وريمون لوبلان ١٩٩٤: ص ٤٧.

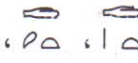
⁶ فايز الداية ١٩٩٦: ص ٥٥-٥٦.

⁷ كلود جرمان وريمون لوبلان ١٩٩٤: ص ٦، ٤٤، ٥١-٥٢؛ فايز الداية ١٩٩٦: ص ٢١٦-٢١٧.

⁸ فايز الداية ١٩٩٦: ص ٢١٦-٢١٧.

⁹ يرى أولمان أن السياق لا يشمل الكلمات والجمل فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله. كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف ومُلابسات والعناصر غير اللغوية المُتعلقة بالمقام الذي تُنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن. (فايز الداية ١٩٩٦: ص ٢١٨)

المدلول الحرفي (المعنى الأساسي/المعجمي) لكلمة Drt¹⁰ عند المصري القديم: يميز الدارسون بين ضربين للدلالة، الأول منهما هو ذلك المعجمي¹¹ الذي يقدمه لنا مصنفوا المعاجم، والآخر هو المعنى أو الدلالات السياقية. ف فيما يتعلق بالمعنى المعجمي لكلمتي Drt نجد أن مدلولها المعجمي عند المصري القديم يشير إليه كتابتها غالباً بالعلامة التصويرية¹² التي تصور الجزء الممتد من أطراف الأصابع إلى الكف، أي اليد. ولقد أكد هذا المدلول أيضاً سياق كثير من النصوص المصرية القديمة التي ترد بها هذه الكلمة- كما سيلي بيانه- كما أكد عليه كذلك كثير من القواميس المختلفة للغة المصرية القديمة.¹³ ويتطابق المدلول السابق لكلمة Drt مع مدلول كلمة "يد" في اللغتين العربية والإنجليزية¹⁴.

¹⁰ كُتِبَتْ هذه الكلمة بأشكال متعددة منها:  Dt وهو الشكل القديم للكلمة - ا ، ه ، ح ،

 Drt ا ، ه ، ح ،

Gardiner, 1973: p.455(D46-47); FCD, 318, 323; Lesko, 1989: vol. IV, p. 163.

¹¹ أطلق على المدلول المعجمي للكلمة أكثر من مُصطلح أو تسمية اختلفت باختلاف المدارس والاجتهادات التعبيرية فهناك: "الفاظ المعاجم، العناصر المعجمية، المعنى المركزي، المعنى الأساسي، المعنى القاعدي، اللغة المنطقية. (فايز الذابية ١٩٩٤: ص ٢١٦)

¹² Gardiner, 1973 : p.455(D46).

¹³ Wb, V, 580-581; FCD, 318, 323; Gardiner, 1973 : p.455(D46); Lesko, 1989: vol. IV, p. 163.

¹⁴ اليَدُ في العربية: الكف، وهي من أطراف الأصابع إلى الكف. (لسان العرب ١٩٨٤، ج ٦: ص ٤٩٥) ويتطابق هذا المفهوم كذلك مع مفهوم كلمة "hand" في اللغة الإنجليزية، فقد ورد بـ قاموس Webster أن "hand" = "يد" هي: الجزء الأخير الفقري من الذراع وهو عضو القبض عند الإنسان. (Webster's new Collegiate Dictionary, 1973: p.519). وقد أورد المعجم الوسيط تعريفاً أكثر اتساعاً من التعريف السابق لكلمة يد. فذكر أن اليد: من المتكبد - وهو مجتمَع رأس العَضُد والكَيْف (المعجم الوسيط ١٩٧٣: ج ٢، ص ٩٥٠) - إلى أطراف الأصابع. (المُعجم الوسيط ١٩٧٣: ج ٢، ص ١٠٦٣). إلا أن الباحث سيقصر هذا البحث على المدلول الأول أي اليد بمعنى كف اليد أو عضو القبض كما هو متعارف عليها في اللغة العربية وغيرها كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما، وهو ما يتطابق مع مدلول لفظة Drt في اللغة المصرية القديمة.

الدلالات السياقية^{١٥} للفظـة Drt = يد

أولاً: الوجوه الدلالية المرتبطة بالعمل وما يتعلق به:


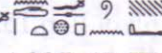
أمن المصري القديم أن اليد هي المسؤولة عن أعمال الإنسان، لذا وجدناه يستخدم اللفظة: Drt للتعبير عن العمل، والقائم به (أي العامل أو الموظف)، والإشراف عليه، فضلاً عن المهارة في إنجاز العمل، أو التقصير والتواني فيه. بالإضافة إلى عدم القدرة على التصرف.

١- العمل^{١٦}: وظّف الكاتب المصري القديم لفظـة Drt "يد" في سياق ما يعني "عمل"، وذلك بلا شك لأن اليد هي الجزء الهام من الجسد المسؤول عن العمل، وهو ما تشير إليه كثير من النصوص المصرية^{١٧}. فقد ورد بتعاليم إمن-إم-إبت^{١٨} خلال نصحه لابنه

قوله له: 

¹⁵ أطلق على المعنى أو الدلالات السياقية أكثر من مُصطلح أو تسمية اختلفت باختلاف المدارس والاجتهادات التعبيرية فهناك: السياق -شكل عام- والدلالة الهامشية، وخارج المركز، وظلال المعنى أو ألوانه، والقيم الانفعالية السلوكية، والظلال والألوان العاطفية والجمالية للمعنى، شعوري فردي، وعاطفة شخصية. (فايز الذاية ١٩٩٤: ص ٢١٦)

¹⁶ توظف كلمة "يد" في بعض اللغات لتعبر عن معاني العمل أو التصرف، فيقال: الأمرُ بيدِ فلان: في تصرفه". (المعجم الوسيط ١٩٧٣: ج٢، ١٠٦٣) كما يُقال في الإنجليزية *at hand/hands* أي بواسطة تصرف" أو بواسطة". (Webster's new Collegiate Dictionary, 1973: p.519). كما يُقال في الفرنسية: *Ne pas y aller de main morte* أي "عمل بقسوة وعنف". ويُقال: *Il a les mains libres* أي "هو حر التصرف". ويُقال: *Mettre la main à l'œuvre* أي "يُباشر عمله" كما وظفت اللغة الفرنسية كذلك كلمة *la main* للتعبير عن الفعل "يعمل"، فيقال: *Avoir la main légère* أي "يعمل على مهل". ويُقال: *Mettre la dernière main à une chose* أي "أنهى الشئ/ أنجزه". (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٧٤٤).

¹⁷ مما يشير إلى مسئولية اليد عن العمل أنه ورد بلوحة كوبان المؤرخة بالعام الثالث من عهد رع ميس الثاني جملة:  kAt nb(t) wn Hr xpr Drt.k m *كل عمل يتم بيديك* (KRI II, p.354; KRIT II, p.190.) وورد أيضاً نص على أحد جدران معبد الرمسيوم يتحدث عن استيلاء رع ميس الثاني على مدينة دابور مما جاء به في مدح الملك:  awn.f sp n Drt.f *استولى على ما أنجزته يده* (LD III, 166; BAR III, §357) وغير ذلك من الأمثلة التي تؤكد أن اليد هي المسئول الأول عن العمل.

¹⁸ دونت تعاليم إمن-إم-إبت على مجموعة من المصادر أهمها وأكملها البردية رقم 10474 بالمتحف البريطاني B. M. 10474 Papyrus التي تُؤرخ بأواخر الأسرة السادسة والعشرين أو

ويرى الباحث أن هذا التعبير هو أحد الأساليب اللغوية التي استخدمها المصري القديم للتعبير عن المهارة في العمل، حتى أن Wilson قد ترجم هذه الجملة "الذي يعرف (كيف) يضع يده"، وهو ما يعني "الذي يستخدم يده جيداً في إنجاز الأعمال"، وما ذلك إلا تعبيراً عن المهارة والحقيقة إن كلمة Drt هنا قد يكون لها افتراض دلالي آخر، وربما المقصود "الذي يعرف هدفه"، ومن ثم فالجملة هنا قد تشير إلى معنى "الثقة بالنفس".

ويؤكد على توظيف كلمة Drt لتعطي مدلول المهارة أنه ورد بالمساجلة الأدبية المدونة ببردية أنسطاسي الأولى، وصف حوري لزميله أمن-إم إيت بـ:

... (٩٠٢٦) ... (١٠٢٧) mhr rx

Drt. f "الماهر الذي يعرف يده"^{٢٦} وقد ترجم Gardiner هذه الجملة "الماهر مكار اليد".^{٢٧} ويرى الباحث أن جملة rx - Drt. f هي جملة تفسيرية تم إردافها للفظة mhr = "ماهر" بغرض تفسيرها، وربما دفع الكاتب إلى ذلك إدراكه للطبيعة الأجنبية لهذه اللفظة.^{٢٨} ومن ثم فالجملة rx - Drt. f مرادفة للفظة mhr = "ماهر"، ومفسرة لها، فالمعنى: "(أنت) الماهر (أي) ذلك الذي يعرف قدرته"، فإذا صح ذلك التفسير فإن Drt هنا يمكن ترجمتها "قدرة"، ومن المعروف أن القدرة^{٢٩} على إنجاز

وقد وصف رعمسيس الثاني بوصف مشابه ترجمه Breasted "الذي يعرف أين يضع يده".

²³ KRI I, p. 12 (l. 5).
²⁴ Wilson, 1969c: p. 253.
²⁵ Gardiner, 1911: p. 76 (26,9-27,1).
²⁶ سليم حسن ٢٠٠٠: ج ١٧، ص ٣٩٤.

²⁷ Gardiner, 1911: p. 28 (26,9-27,1).
²⁸ يرى بعض العلماء أن لفظة mhr كلمة مستعارة من السامية (خاصة الكنعانية)، وأنها تعني "خبير أو ماهر" ويؤكد ذلك أنها كتبت بنظام المجموعات الكتابية group writing وهي الطريقة التي استخدمها المصري القديم في كتابة الكلمات الأجنبية، وأن كاتب هذه البردية أراد أن يظهر معرفته بالمصطلحات السامية. أما كلمة ماهر في اللغة المصرية القديمة فهي: (Rainey, . spd 1967:p.58)

²⁹ القدرة: هي القوة على الشيء والثمكُن منه (المعجم الوسيط ١٩٧٣: ج ٢، ص ٧١٨).

العمل بشكل متقن هي أحد المعايير الدالة على المهارة، ولهذا فإن استخدام الكاتب للفظة Drt هنا للدلالة على القدرة، مناسب للتعبير عن معنى المهارة³².

وعلى أي حال فمما يؤكد رأي الباحث - وهو أن جملة Drt . f rx هي جملة تفسيرية لكلمة mhr = "ماهر" - ما ذكره سليم حسن من أن مدلول هذه الجملة هو "الذي يصيب الهدف جيداً"³³، وما ذلك إلا تفسير لمعنى المهارة. وعلى أي حال فإن استخدام لفظة Drt = "يد" هنا مناسب للتعبير عن فكرة المقدرة على العمل والمهارة فيه؛ لأن الحنكة في العمل والقدرة على إنجازه تعتمد أساساً على اليد.

وقد استخدم الوصف: وقد استخدم الوصف: rxyw m Drwt . sn الذين يعرفون أيديهم" بمفرده للتعبير عن معنى المهارة في سياق وصف بريدية ليدن رقم 348 لبعض الحرفيين، ومن ثم يصبح مدلول هذه الجملة هو: "المهرة". ويلاحظ الباحث أن استخدام هذا الوصف بمفرده للتعبير عن معنى "المهارة" يؤكد على أن جملة Drt . f rx الواردة ببريدية أنسطاسي الأولى هي بالفعل جملة تفسيرية لكلمة mhr = "ماهر" لأنها تقدم بذاتها هذا المعنى دون الحاجة إلى إضافة توضيحية.

وقد استخدم المصري القديم أسلوباً آخر وظف فيه كلمة Drt = "يد" لتعبير عن معنى "المهارة". فقد ورد في سياق النص المؤرخ بالعام الثامن من حكم رمسيس الثالث والمدون على الواجهة الأمامية للبرج الشمالي الخاص بالصرح الثاني لمعبد مدينة هابو، وذلك في سياق الإشارة إلى إعداد العدة لمواجهة شعوب البحر:

Drwt gm nfr nb sennyw ولمعرفة المعنى الدلالي لكلمة Drt هنا، لا بد أن نقف على المعاني التي يمكن أن تقدمها كلمة gm، فهي تعني "يُجد / يُستخدم / يسيطر / يستطيع"³⁴، ومن ثم يصبح المعنى المعجمي هو "يُجدون الأيدي" / "يستخدمون الأيدي" / "يسيطرون (على) الأيدي" / "يستطيعون (استخدام) الأيدي"، وكلها معاني تفيد القدرة على استخدام اليد والتحكم فيها لتحقيق أكبر قدر ممكن من إصابة الهدف، أو بمعنى آخر مهارة الأداء. ولهذا يرى الباحث أن المعنى الدلالي للعبارة Drwt gm هو "المهرة". ومن ثم يصبح معنى

³⁰ المهارة: الجدقُ في الشيء. والماهر: الحائقُ بكلِّ عمل. (لسان العرب، ج٦، ص ٤٢٨٦). كما ورد بالمعجم الوسيط أن مهَرَ الشيء، وفيه، أي أحكَمه وصار به حاذقاً، فهو ماهر. ويقال: مهَرَ في العلم وفي الصناعة وغيرهما. (المعجم الوسيط ١٩٧٣: ج٢، ص ٨٨٩).

³¹ سليم حسن ٢٠٠٠: ج١٧، ص ٣٩٤ هامش ٤.

³² Pap.Leyden 348, vs. 10, 2 = Gardiner, 1937: p. 136.

³³ KRI V, p. 40 line 21.

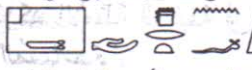
³⁴ FCD, 289.

وقد ذكر Caminos في تعقيبه على هذه الفقرة: "إن خلاصة هذه الفقرة أن الكاتب شارّد الذهن بخصوص ما يجري على الطريق ويجهل واجبه كقائد".^{٤٧} إلا أن الباحث يرى أن هذا الكاتب لا يجهل واجبه كقائد، ولكنه لا يعرف ما يجب عليه أن يفعله نتيجة لجهله في القيادة، وهو ما أشارت إليه الفقرة ذاتها: **تَبِعْتُ فِي مَهْمَةٍ مُسَلِحاً بِجَهْلِكَ فِي الْقِيَادَةِ**، ومن ثم فإن الوصف **تَضَع يَدَكَ عَلَى صَدْرِكَ** لا يشير إلى شروء الذهن ولكن إلى عدم القدرة على التصرف، ومن ثم فإن المعنى الدلالي لهذا الوصف هو: **إنك لا تعرف ماذا تفعل**.

ثانياً: المعاني المرتبطة بمنح العون.

١- **المُساعدة**^{٤٨}: وظف المصري القديم الكلمتين: Drt = **يد** للتعبير عن فكرة المساعدة - وذلك نظراً للدور الرئيسي الذي تلعبه اليد في تقديم المساعدة للآخرين - مستخدماً مجموعة من الأساليب، منها ما يلي:

الأسلوب الأول: تقديم مقدم العون يده Drt لصاحب الحاجة: عبر المصري القديم في كثير من نصوصه عن فكرة تقديم المساعدة للآخرين باستخدام أسلوب يذكر فيه تقديم اليد Drt لصاحب الحاجة، وتأسيساً على ذلك فإن النص على تقديم اليد Drt لصاحب الحاجة يحمل أحد أمرين: إما إنه كناية أكيدة عن معنى المساعدة، وإما أن المصري القديم قد استخدم كلمة Drt كمرادف لمعنى المساعدة. ومن الأمثلة على ذلك أنه ورد بأحد تعاويذ نصوص الأهرام ابتهاج موجه لحوث نبت يرجوها تقديم المساعدة للملك، فما جاء بهذا الابتهاج:

Nbt -  Hwt di n.f Drt.T **أي نبت- حوت أعطيه (أي الملك) يدك**^{٤٩} والمقصود **مُساعدتك**

⁴⁷ Caminos, 1954:p.228.

⁴⁸ وُظِّفَتْ لفظة **hand** في اللغة الإنجليزية للتعبير كذلك عن نفس فكرة المساعدة assistance or aid: فيقال: **lend a hand** أي قدم المساعدة. كما استخدمت **hand** كفعل في اللغة الإنجليزية كفعل بمعنى **"يساعد"**.

(Webster's new Collegiate Dictionary, 1973:p.519)

أما في الفرنسية فيقال: Trouver une **main** secourable أي **توجد عوناً**. ويُقال كذلك: **Tendre la main** أي **أعان**. (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٧٤٤-٧٤٥).

⁴⁹ Pyr.II, p.456, spruch 661, § 1873 (c); Faulkner, 1969:p.272, utterance no.661, § 187.

كما استخدم نفس الأسلوب في سياق الإشارة إلى دور بعض الآلهة في مساعدة بعض الفراعنة في إنجاح نشاطهم الحربي. ومن الأمثلة على ذلك أنه ورد خلال النص^{٥٠} الذي يتحدث عن تصدي مرنبتاح في عام حكمه الخامس لتحالف من قبائل التحنو مع بعض أقوام من شعوب البحر، ما يلي:



(1.32) . . . pr pw ir.n pA mSa n Hm.f
Hna nt Htri.f , Imn-Ra Hna.sn Nbwtj ꜥwtx
Hr rdit n.sn Drt

(سطر ٣٢) ... وقد تقدمت مشاة جلالته مع عرباته سوياً وكان أمون رع معهم ،
وست رب Nwbtj مقدماً لهم اليد (أي المساعدة).^{٥١}

كما ورد خلال نص قصيدة معركة قادش من عهد رمسيس الثاني - المدونة
ببردية ساليبة الثالثة - الإشارة إلى مساعدة رع للملك فيما جاء بها^{٥٢}:



... sDm (.n.i) pA Ra , iw m Dr aS.f
n.f di.f (n.i) Drt.f

"... (وبمجرد أن سمع(ني) رع^{٥٣}، أتى على إثر ندائ(ي) لـ[ه]، ومدّ إليّ يده
(أي مساعدته)."

وهكذا تؤكد الأمثلة السابقة أن Drt = "يد"، لا بد من ترجمتها في كافة هذه الأمثلة
بمعنى "المساعدة".

الأسلوب الثاني: مُصاحبة يد مُقدم العون لصاحب الحاجة: عبر المصري القديم عن
تقديم المساعدة لغيره باستخدام أسلوب يذكر فيه مُصاحبة يد Drt مُقدم العون لصاحب
الحاجة مُستخدماً التركيب التالي: لفظة اليد Drt + مُقدم العون (اسم أو ضمير
متصل) + أحد حروف الجر مثل: Hna/m-a + مُتلقى العون.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد بالنص الذي يتحدث عن محاربة مرنبتاح لتحالف من
قبائل التحنو مع بعض أقوام من شعوب البحر للهجوم على حدود مصر الشمالية

⁵⁰ كتب هذا النص على الجانب الغربي للحائط الشرقي الداخلي الذي يربط بين معبد الكرنك الرئيسي
والصرح السابع.

⁵¹ BAR III, p.245§583; KRI IV, p.6 (L.32)

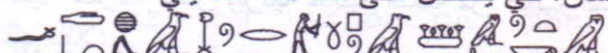
⁵² Pap.Sallier III, lines 35-36 = KRI II,43:KRIT p.7.

⁵³ ورد في النسخ الأخرى للقصيدة أن الابتهاال كان موجهاً لأمون وليس رع. انظر:

KRI II, p.43

وقد افترض Černy وجود العبارة الظرفية Hr Drt.i "على يدي" بعد جملة
pA wAH nb لتصبح الجملة: pA wAH nb Drt.f im.w

Hr Drt.i وقد ترجمها كل من ساعدني".^{٥٨}
الأسلوب الرابع: قد تُذكر كلمة Drt مُطلقة دون تحديد أسلوب تقديمها لصاحب
الحاجة بحيث يفرض سياق النص امتلاكها للمعنى الدلالي "مُساعدة". وخير مثال على
ذلك أنه ورد بنص تعاليم إمن-إم-إيت لابنه، في سياق نصحه له بالتمسك بعزة النفس،
فلا يُزل نفسه لإنسان؛ كي يحصل على مُساعدته، ما يلي:


mtw.k m *Sp r wxA Drt.f

"لا تُجهد (نفسك) بالبحث عن يده"^{٥٩} والمقصود لا تستجدي مُساعدته"، فلا تنتظر أن
يُقدم لك يده أو أن يمسك بيدك أو ما شابه ذلك.

٢- العطاء^{٦٠}: -عبر المصري القديم عن فكرة العطاء بتوظيف كلمة Drt للتعبير عن
هذا المعنى، وليس أدل على ذلك من أنها دخلت في تركيب التعبير Drt Aw أي
"كريم"^{٦١}، وتعني حرفياً "طويل اليد".^{٦٢} كما تُعد الإشارة إلى حيازة اليد لما يبتغيه طالب
العطاء أحد الأساليب التي تعبر عن هذه الفكرة، وبمعنى آخر يرى الباحث أن إشارة
بعض النصوص إلى حيازة اليد لما يبتغيه طالب العطاء، يُعد تضميناً دلالياً بصفة

⁵⁸ Černy, 1945:pl. VII (a), col.2; p.37.

⁵⁹ Brit.Mus.Pap.10474,16,17 = Lange, 1925; Lichtheim, 1976:vol.II, p.156,
(chapter 14).

⁶⁰ استخدمت لفظة اليد في اللغة العربية لتعبر عن العطاء فيقال: "اليدُ العُلْيَا خير من اليدِ السُّفلى".
أي المَعْطِيَةُ خير من الأَخَذَةِ. (المعجم الوسيط، ١٩٧٣:ج٢، ١٠٦٣) كما ورد بلسان العرب أن
اليد: المَيْتَةُ وَالصَّنِيْعَةُ، وإنما سُميت يداً لأنها إنما تكون بالإعطاء، والإعطاء إنالة باليد. ويُقال: أَيْدَيْتُ
عنده يداً في الإحسان أي أنعمت عليه. ويُقال: إن فلاناً لذو مالٍ يَيْدِي به ويَبْوَعُ به، أي يَبْسُطُ يده
وباعَةً. وَيَدَيْتُ فلاناً: جازيئُهُ يداً بيدٍ، وأعطيتُهُ مَيْلادَةً، أي من يدي إلى يده. وقال الأصمعي: أعطيته
مالاً عن ظهر يدي، يعني تفضلاً ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة. (لسان العرب، ج٦، ص
٤٩٥٢) وقد تُستخدم كلمة hand في اللغة الإنجليزية كفعل بمعنى "يُعطي".

Webster's new Collegiate Dictionary, 1973:p.519.

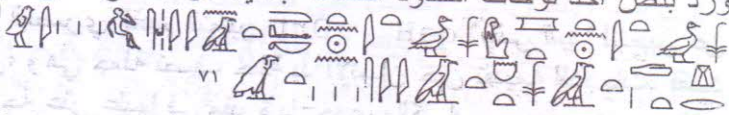
⁶¹ FCD, 1.

⁶² يُطابق هذا الاستخدام ما ورد في اللغة العربية، فيقال: طويلُ اليدِ: سَخِيٌّ؛ كطويلُ الباعِ. ويُقال: هو
أطولُ يداً منه: أَكْرَمُ وَأَجْوَدُ. (المعجم الوسيط، ١٩٧٣:ج٢، ١٠٦٣) وقد ورد بلسان العرب أن
طويلُ اليدِ: وصف لمن كان سمحاً جواداً، وأنه يكنى بطولُ اليدِ عن العطاء. (لسان العرب، ج٦:
ص ٤٩٥٢). كما استخدمت اللغة الفرنسية لفظة la main = "يد" للتعبير كذلك عن معنى العطاء
بسخاء، فيقال: À pleines à mains أي "بغزارة، بسخاء". (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٧٤٤).

أن هذه الجملة كفيلا بمفردها بتوضيح المعنى، فثني اليد في هذه الجملة كناية عن تقديم التقدّمات للمتوفى، وهي الحالة التي يكون عليها مُقَدِّم التقدّمات حين تقديمه لها كما ذكرت.^{6٨}

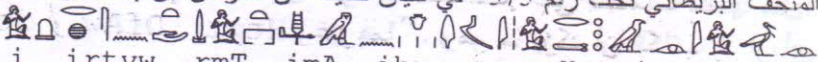
ثالثاً: المعاني المرتبطة بالرعاية:^{٦٩}

١- العناية:^{٧٠} عبر المصري القديم عن معنى العناية باستخدام العبارة الظرفية Xr/m Drt **تحت في يد** لتقديم الوجه الدلالي **تحت في عناية**. يؤكد ذلك أنه ورد بنص أحد لوحات الحدود الخاصة بمدينة تل العمارنة من عهد إخناتون:



sAt nsw Myt-Itr sAt nsw Mkt-Itr nAy.s
Xrdw iw.w Xr Drt tA Hmt nsw tAy.sn
mwt

⁶⁸ وُظِّفَت كلمة DAat التي تعني "يد" في سياق ما يشير إلى تقديم التقدّمات للمتوفى كذلك، فقد ورد بنص لوحة $\epsilon nt-msty$ من عهد أمنمحات الثاني، وقد عثر عليها في أبيدوس، وتوجد الآن في المتحف البريطاني تحت رقم 575- في سياق حديثه عن الغرض من إقامته لهذه اللوحة في أبيدوس:



ir bA.i irtyw rmt imA ibw n maHat.i Dt n
srx.i

«(سطر ١٧) ... لعل روجي تتمتع (سطر ١٨) بطقوس الناس، طيبى القلب تجاه قبوري، (وطيبى) اليد (سطر ١٩) تجاه لوحتي» (BAR I, p.277, §613; Sethe, *Lesestücke*, p.75.) فعبارة «(طيبى) اليد» كناية عن تقديم الناس بأيديهم التقدّمات له أمام لوحته. ومن ثم فالمعنى المراد: «الذين يقدمون التقدّمات لي أمام لوحتي». ويؤكد أن المقصود هو تقديم التقدّمات أنه ورد بنص ذات اللوحة أن الغرض الأساسي من إقامته لها في أبيدوس، هو: «(سطر ١٧) لأجل أن أكل خبزها (أي أوزير)» (BAR I, p.277, §613.)

⁶⁹ استخدم الباحث كلمة «الرعاية»، لتكون عنوان لكل من العناية والحماية؛ وذلك لأن مدلول الرعاية يشمل كل من العناية والحماية. فالرعاية تعني الحفظ، كما أن الراعي: هو كل من ولى أمراً بالحفظ. (المعجم الوسيط ١٩٧٣: ١، ص ٣٥٦). وهذا الأسلوب في تتبع المعاني الدلالية للكلمة يُطَبَّقُ عليه الداليون الـ L'hyponymie الـ «إيبونيمي» بمعنى: «التضمن أو الاشتمال» وهو الذي يدرس علاقة تضمّن معنى جزئي محدد ضمن معنى عام. (كلود جرمان وريمون لوبلان ١٩٩٤: ص ٦٨)

⁷⁰ تُستخدم كلمة **hand** = "يد" في الإنجليزية لتعني "عناية" كذلك فيقال: **off one's hands** أي "تأخر عناية أو اهتمام". كما أن أحد المعاني التي تقدمها العبارة: **on one's hand** المعنى: **في عناية**. (Webster's new Collegiate Dictionary, 1973: p.519.) كما وظفت كلمة **la main** = "يد" في الفرنسية لتقدم نفس المعنى تقريباً، فيقال: **Être en bonnes mains** أي «هُوَ فِي أيد أمينة». (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٧٤٤).

⁷¹ *Urk IV*, p.1983 (line 12-13)

رابعاً الإشراف والمسئولية:^{٧٧}

استخدم المصري القديم العبارة الظرفية: *m - Drt* "في اليد" للتعبير عن الإشراف على العمل أو من يقوم به. يؤكد ذلك أن رخ-مي-رع - وزير تحوتمس الثالث - قد وصف نفسه بنص سيرته الذاتية المدون على أحد جدران مقبرته، بما يلي: | سطر

٣٤... [] ٧٨

Drt.i m nswt [wd] n (كان) أمر الملك بيدي".^{٧٩} أي تحت إشرافي، والمعنى كنت مُشرفاً على تنفيذ أمر الملك، أي موكل إليّ الإشراف على تنفيذه. ويبدو أن الإشراف هنا كان إشرافاً على من يقومون بالعمل، وليس إشرافاً على العمل بشكل مباشر، وهو ما يتناسب مع مكانة الوزير الذي يُباشِر مجموعة من الموظفين، يهتم كل منهم بإنجاز عمله مباشرة، أو يكلفون من يقوم بذلك.

كما ورد بأحد النصوص المدونة على بردية من عهد سيتي الأول، يوجه فيها حامل العلم *MAY-swtX* تعليماته لأحد موظفي الضرائب المدعو *@At* الذي كان يُشرف على مجموعة من السجناء قائلاً: لا تسمح لشخص ما أن يسأل

وا // ٣٥ *wa nty m Drt.k* "فرداً ممن في يدك". ويرى

الباحث أن المعنى الذي يفرضه سياق النص للعبارة الظرفية *m Drt.k* هو "في مسئوليتك". وإن ترجمها *Kitchen* في عناية^{٨٠} وعلى أي حال فالسياق يسمح بكلا الوجهين الدالين. وإن كان الحد الأعلى للدلالة يوافق الوجه الأول؛ فالمسئولية عن السجناء تتضمن العناية بهم.

خامساً: التدريب/التعليم

وُظِفَتْ لفظة *Drt* لتشير إلى يد التدريب والتعليم، يؤكد ذلك أنها دخلت في تركيب أحد النعوت التي تُطلق على التلميذ مثل: *Xry Drt* وتعني حرفياً "من

⁷⁷ يُطابق هذا الاستخدام مثيله في اللغة الإنجليزية فقد ورد بقاموس Webster أن *hand* - تُستخدم لتعطي مدلولات لغوية متنوعة منها التعبير عن الإشراف *supervision*. فيقال: *on one's hand* أي "تحت إدارة شخص ما" / في يد شخص ما" ومن معانيها الدالية: "تحت إدارته". (Webster's new Collegiate Dictionary, 1973: p.519) وقد وظفت كلمة *la main* = "يد" في الفرنسية لتعطي نفس المعنى أي مسئولية، فيقال: *Prendre en main qqc.* أي "تحمل مسئولية شيء". (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٧٤٥).

⁷⁸ *Urk IV, 1081.*



⁷⁹ سليم حسن ١٩٩٢: ج٤، ص ٥٦٧.

⁸⁰ *KRI I, 325.*

⁸¹ *KRIT I, 263.*

تحت اليد".^{٨٢} ويرى الباحث أن المقصود باليد هنا يد المُدرِّب أو المُعلِّم. وقد ذُكرت اليد لدورها في التدريب والتعليم. ومن ثم فإن لفظة Drt بهذا اللقب تحمل المعنى: **تدريب/تعليم**، وأن اللقب إجمالاً يمتلك المعنى الدلالي: **مِن تحت التدريب/التعليم**، أو بمعنى أكثر تحديداً: **المُتدرِّب/المُتعلِّم**.^{٨٣}

ومما يؤكد استخدام لفظة Drt للإشارة إلى معنى التعليم وصف حوري بن ونفر لنفسه - وهو أحد القائمين بالتعليم في الإدارات العسكرية- في سياق المُساجلة الأدبية التي دارت بينه وبين إمن-إم-إيت والواردة ببريدية أنسطاسي الأولى بما يلي: (

٣٠١) ...  (٤٠١)  iHnw ... (1,3)

nb pr Hr drt (1,4) **كل الصبية تخرج على يد(ه)**^{٨٥} " فسياق النص يفرض أن يكون المعنى: " كل الصبية التي تربها/علمها".

سادساً: الاحترام والتأدب


وظَّفَ المصري القديم لفظة Drt للتعبير عن تأدبه واحترامه لغيره، وذلك من خلال وصف انثناء يده احتراماً أمام من هم أهلاً لذلك. ويلاحظ أن الإشارة إلى هذه الإيماء أعفت الكاتب من استخدام ألفاظ مباشرة تعبر عن معنى الاحترام والتأدب، فلا بد أن الكاتب كان على قناعة تامة بأن وصف حال يد المتأدب كفيلاً بنقل المعنى المقصود للمتلقي. وليس أدل على ذلك مما ورد في سياق نص اللوحة التي أقامها أحسن الأول بالعرابة المدفونة، تخليداً لذكرى إقامته قبراً لجده تتي شيري بهذه

⁸² عبد العزيز صالح، ١٩٦٦: ص ١٤٣ هامش ١.

⁸³ يساوي هذا اللقب لقب آخر هو:  Xry-a الذي يُترجم بتصريف إلى **صبي** "أو مُساعد".

Ward, 1982:p.139 (no.1194); Jones, 1988:p. 57 (no.210); AL-Ayedi, 2006: p.458.

وقد دخل كذلك في تركيب أحد المُسميات التي يقصد بها التلميذ في مصر القديمة وهو:

 Xry a nb.f (من تحت يد (إشراف) سيده". (عبد العزيز صالح، ١٩٦٦: ص ١٤٣، ٤٠٨، ٣٤٢). ويرى الباحث أن المقصود: باليد a أيضاً في هذا اللقب هو "يد التدريب والتعليم"، والوجه الدلالي له: **المُتدرِّب/المُتعلِّم**.

⁸⁴ Anastasi I (1,3-1,4) = Gardiner, 1911.p.4.,

⁸⁵ يرى Gardiner أن جملة: Drt Hr pr قد لا ترتبط بـ iHwnw ولهذا فربما

تُترجم: **تصعد يده** على أساس أن حرف الجر Hr لا بد أن يُحذف. (Gardiner, 1911:p.6,)

(note 6). أما سليم حسن فقد فصل بين nb iHwnw وبين Drt Hr pr ولهذا فقد ترجم جملة: Drt Hr pr إلى: **تشيط اليد**. (سليم حسن ٢٠٠٠: ج١٧، ص ٣٧٨).

المنطقة. فقد ذكر النص أنه بعد أن أتم بناء قبرها قام بزيارته ووقف أمامه خاشعاً، فيقول النص في ذلك:

(سطر ١٥) ... 

ist Hm.f DAi.f a.f qiH.f Drt.f ir.f
n.s Htp di nswt

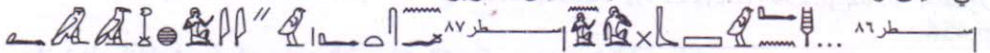
"(سطر ١٥) ... مد جلالتة نراعه، وثني يده (ربما راحة اليد) (احتراماً)، وأنجز لها (طقس) ^{٨٧} الـ Htp di (w) nswt . فمد اليد وثنيها إيماءة تقليدية الغرض منها إظهار الاحترام لشخص جدته القاطنة بالقبر الذي يقف أمامه. ومن ثم فالمعنى أن الملك أظهر احترامه وتأدبه" أثناء مثوله أمام قبر جدته. ^{٨٨}
سابعاً: التحية:

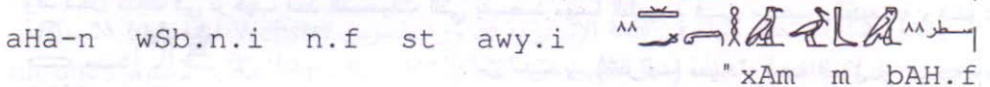
وظّف المصري القديم لفظة Drt للتعبير عن تحيته لغيره، وذلك عن طريق وصف الإيماءة التي تقوم بها يد الإنسان أثناء ذلك. فقد ورد بأحد تعاويذ نصوص الأهرام مخاطبة الابن لوالده الملك يوم جنازته قائلاً: السلام لك والدي...

⁸⁶ Urk IV, p.28-29, (line 15).

⁸⁷ BAR II, 16 § 37.

تذكر Barta إن صيغة الـ Htp di (w) nswt يمكن أن تحل محل اسم مقدمة بعينها ، أو أن تكون تعبيراً عاماً للتقدمات ، أو تكون إرشاداً خاصاً لطقس ما . (Barta, 1968: p.34).
⁸⁸ عبر المصري القديم كذلك وبشكل شائع عن إظهار شخص ما احترامه وتأدبه لغيره باستخدام التعبير "ثني شخص ما الذراع". ومن الأمثلة عليه ما ورد بقصة الملاح الذي نجا من الغرق، وذلك في سياق وصفه لحال ذاته أثناء مخاطبته لثعبان الجزيرة قائلاً:


(سطر ٨٦) ... 

(سطر ٨٨)  aHa-n wSb.n.i n.f st awy.i "xAm m bAH.f

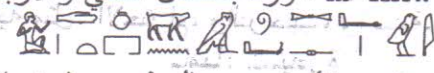
وقد أجبته ونراعي مثنيان أمامه" (Blackman, 1932 : p.44; Lichtheim,) (1973: vol.I, p.213). والمعنى أجبته بتأدب/باحترام" فثني الذراعين هنا دلالة على التأدب وإظهار الاحترام أمام شخص هذا الكائن الأسطوري. ولم يقتصر استخدام هذا الأسلوب -أي الإشارة إلى ثني اليدين للتعبير عن الاحترام والتأدب- على كلمتي Drt/a فقط، فقد استخدمت أيضاً كلمة rmn = "ذراع" في إطار نفس الأسلوب.

Clère Et Vandier, 1948: 15, §20; Gardiner-peat-Černy, 1952: part I, p.153; Part II, 1955: pl.LVII, no. 181.

"...جَمَعَ الَّذِينَ يُهَاجِمُونَ تَخْوَمَهُ وَوَضَعُوا فِي يَدِهِ"^{٩٤} أي أصبحوا تحت سيطرته".
 واستخدمت نفس العبارة الظرفية للتعبير عن نفس الفكرة بالنص الوارد بلوحة مرنبتاح
 التي عُنِّرَ عليها بمعبده الجنائزي^{٩٥} -وهي مؤرخة بالسنة الخامسة من حكمه وتحدث
 عن التأييد الإلهي للملك في حربه ضد الليبيين - فمما ورد بها:^{٩٦}


 (1.19) Dd PtH r xrw Rbw sHw
 btAw.f (1.20) nb wDbw Hr tp.f , imi
 sw m Drt mry-n-PtH-Htp-Hr-mAat

" (سطر ١٩) ..قال بتاح بخصوص العدو الليبيو: إن كل جرائمه سوف تجمع (سطر ٢)،
 وستعود على رأسه، ضعه في يد مرنبتاح حتب-حر-ماعت"^{٩٧} والمعنى: اجعله تحت
 سيطرة" مرنبتاح.

* العبارة الظرفية Drt m-Xnw : ورد بالفصل الثاني والأربعين من كتاب
 الموتى على لسان المتوفى: 
 iw a Ts m-Xnw Drt.i "إن عنصر الأمر بيدي (أي في سيطرتي)". أي "إنني شخص
 مُسيطر" أصدر الأمر فأطاع."^{٩٨}

* العبارة الظرفية Drt Xr : ورد بنص تتويج حور-محب^{٩٩} مدح هذا الملك
 بـ:

(سطر ٦) ...  (سطر ٧)  [tAwy Xr ... sXrw
 Drt.f]

أقدار الأرضين تحت يده"^{١٠١} والمعنى "تحت سيطرته".^{١٠٢}

^{٩٤} BAR III, p.42 §82

^{٩٥} وهي اللوحة المعروفة بلوحة إسرائيل وعنها أنظر: Petrie, 1896: Pls. XI-XIII.

^{٩٦} KRI IV, p.17 (C line 20).

^{٩٧} Wilson, 1969d : p.377.

^{٩٨} Budge, 1898:p.115;Allen, 1974: p.42.

^{٩٩} ورد نص التتويج هذا على الدعامة الرأسية لظهر تمثال مزدوج يمثل الملك حور-إم-حب والملكة موت-نجمت وهو محفوظ حالياً بمتحف تورينو بإيطاليا.

Lalouette, 1984:vol.I,p.287(note 117).

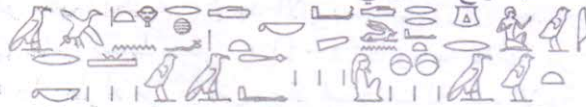
^{١٠٠} Urk IV, p.2114 no.825, (lines 6-7).

^{١٠١} Lalouette, 1984:vol.I,p.45.

^{١٠٢} وظف المصري القديم بعض أجزاء اليد الأخرى مثل قبضة اليد" xfa / Amm/ وأصابع اليد"
 Dbaw للتعبير عن نفس الفكرة فقد ورد في سياق السيرة الذاتية لأحمس بن إبانا الواردة على أحد

تاسعاً: النفوذ:

استخدمت الجملة dwn N Drt "تيسط فلان اليد" للتعبير عن فرض النفوذ. فقد ورد في سياق سرد أسطورة هلاك البشرية¹⁰³ لقصة صعود القمر إلى مكانه في السماء مخاطبة رع لجحوتي قائلاً:



iw gr rdit dwn .k Drt r xft pA twA
psDt. aAw r.k

"سوف أمكنك من أن تيسط يدك في حضرة الآلهة الأترلين الذين هم أعظم منك..."¹⁰⁴ يفرض سياق النص هنا الوجه الدلالي "نفوذ/وجود" وليس القوة أو السيطرة لأنه ليس بمقبول أن نتصور فرض جحوتي لسيطرته أو قوته على الآلهة الأعظم منه شأنًا، ولكن المقبول أن الإله رع سيمكنه من أن يصبح له تواجد ونفوذ

جدران قبره بالكاب قوله عن الملك أحمس الأول: إسطر³⁰ ...

Urk IV, p.9. xAswt nb(w)t m Ammt.f

(line35) كما وصف تحوتمس الثالث كذلك بـ: إسطر³ ...

wrw xAswt nb(w)t dmD m xfa.k
في قبضتك".

Urk IV, 612; Wilson, 1969d: p.374; Lalouette, 1984: vol. I, p.101.

وعن أمثلة إضافية للتعبير عن نفس المعنى باستخدام المفردات الدالة على قبضة اليد من عهد نفس

الملك انظر: Urk IV, 1102, 1234; Cumming, 1982: p.3.

كما ورد بأحد الأناشيد الموجهة للنيل: Hw Dbaw.fy // إن الطعام فوق أصابعه". (KRI I, p.85؛ لالويت، ١٩٩٦: ج٢، ص ١٩٥). والمعنى تحت سيطرته". وقد استخدمت Dbaw لتعبير عن معنى السيطرة كذلك بالفصل رقم ١٥٤ من فصول كتاب الموتى، ففيه يتהל المتوفى لأحد آلهته بالألا يجعله تحت سيطرة أحد الكائنات التي تلتهم الموتى قائلاً:

n di.k wi n Dbaw.f
"أصابعه" (Budge, 1898, p.401, line 14; Allen, 1974: p.154, spell 154) والمعنى تحت سيطرته"


¹⁰³ كتب هذا النص في العديد من المقابر الملكية في وادي الملوك، بطيبة. وهو موجود جزئياً في مقبرة توت-عنخ-أمون، وبشكل أوفى في مقابر سيتي الأول، ورعمسيس الثاني، ورعمسيس الثالث. (لالويت ١٩٩٦: ج٢، ص ٧١ هامش ١)

¹⁰⁴ Piankoff, 1977: p.32.

قوي بينهم. ومن ثم يرى الباحث أن الحد الأعلى للدلالة الذي يُناسب الجملة: *dwn N Drt* هو: **تفرض وجودك تفوقك** فهو الأقرب لمقتضيات السياق.
عاشراً: القدرة:

قد تُستخدم كلمة *Drt* ليد "لتعبر عن معنى **القدرة**".^{١٠٥} يؤكد ذلك نص ورد على لوحة عُثِرَ عليها بطيبة - توجد الآن بمتحف تورين تحت رقم 102 - عبارة عن: يتها من قبل عامل بسيط يدعى *Nfr-ibt* وجهه للإلهة مر-س سجر يبتهل إليها في تزييل عنه ما اعتراه من مرض، وقد استجابت له هذه الإلهة - كما نفهم من النص - إذ يقول: **"... عندما ابتهلت لسيدتي... جعلتني أرى يدها *Drt.s* (أي: قدرتها) لقد استدارت إلى في رحمة وجعلتني أنسى المرض الذي اعترائني..."**^{١٠٦} فسياق النص يفرض أكثر من وجه دلالي منها **قوة/قدرة** ويرى الباحث أن الحد الأعلى للدلالة بوافق المعنى **قدرة** لأن المقصود برويته ليد الإلهة هو إدراكه لقدرتها على الشفاء من خلال إبرائها له من علته.

حادي عشر: الوجوه الدلالية المرتبطة بالضعف

١- **القوة**: وظف المصري القديم كلمة *Drt* في سياق ما يُمكن ترجمتهما **بـ"قوة"**^{١٠٧} مُستخدماً أسلوبين للحصول على هذا المعنى.
الأسلوب الأول: **نعت اليد *Drt* بالضعف**: فقد نُعِيتَ اليد = *Drt* بالضعف في سياق التعبير عن فتور القوة، فقد ورد بقصة سنو هي في سياق وصف سنو هي لأمنمحات الأول ما يلي:  *sgnn Dr.wt*^{١٠٨} **الذي يُضعف** **الأيدي**^{١٠٩} والمعنى **الذي يُضعف القوى**^{١١٠}.

^{١٠٥} يُشابه هذا المعنى مثيله في اللغة العربية، **فاليَدُ: القدرة**، تقول: **لي عليه يد أي قدرة**. (لسان العرب ج٦: ص ٤٩٥٣).

^{١٠٦} Wilson, 1969d: p.381.

أنظر عن هذه اللوحة:

Gunn.B., *JEA*, III (1916), p.86-87; Erman, *Denksteine aus der thebanischen Graberstadt (SBAW, 1911, 1086-1110)*

^{١٠٧} يُشابه هذا الاستخدام مثيله في اللغة العربية، **فاليَدُ: القوة**. **وأيدُه الله، أي قوَاهُ**. والعرب تقول: **ما لي بفلان يد أو يدان، أي قوة وطاقة**، وما لهم بذلك **أيده**، أي **قوة**. لأن المباشرة والدفاع إنما يكونان باليد، فكان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه. (لسان العرب، ج٦: ص ٤٩٥٢-٤٩٥٣).

^{١٠٨} Blackman, 1932: Part I, P.19.

^{١٠٩} Lichtheim, 1973: vol.I, p.225.

^{١١٠} وظفت كلمة يد في اللغة العربية كذلك لتعبر عن معنى **الضعف**، فيقال: **يَدِي الرجلُ، فهو يَلِي: ضَعْفٌ**. (لسان العرب ج٦: ص ٤٩٥٤).

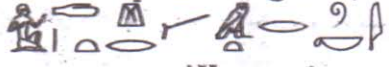
٣- القتل: استخدمت كلمة Drt في سياق ما يعبر عن القتل، فقد ورد خلال النص الذي يتحدث عن قتال سبتي الأول لبدو شناسو في العام الأول من حكمه والمدون على الحائط الشمالي الخارجي لقاعة الأساطين الكبيرة بمعبد الكرنك:




(1:15) smAwt Hm.f m sp wa b(n) wAH.f
iwawt m im.sn sp Hr Drt.f m sqr-anx in
(.tw) r !A-mri

«(سطر ١٥) ... لقد نبههم جلالتهم في الحال، فلم يترك وارثين بينهم، (ومن) تركت يده^{١٢٤} (أي من نجا من القتل)، أحضر سجيناً إلى أرض النيل»

فقد عبر الكاتب بجملة sp Hr Drt.f عن النجاة من القتل، فالمقصود "من لم يُقتل". والتعبير عن النجاة من القتل بالإفلات من اليد مناسباً لمقتضيات المنطق؛ لأن اليد هي الأداة الأولية التي تُستخدم في القتل.^{١٢٥} وليس أدل على ذلك مما ورد بأحد النصوص المدونة على بردية من عهد سبتي الأول، إذ يهدد فيها حامل العلم MAY-swtX ماي-سوتخ أحد موظفي الضرائب المدعو @At حاب

بأنه إن لم يُنفذ أوامره فسوف:  بأنه إن لم يُنفذ أوامره فسوف: mt Xr Drt.i ثموت بواسطة يدي.^{١٢٦}

di.i dpt tA-mHw dpt ... (سطر ٢٦) Dbaw.i
"جعلت الوجه البحري يتذوق طعم أصليي"

Urk III, p.15 (line 26); Lalouette, 1984:vol.I, p.128.

¹²³ KRI, p.9.

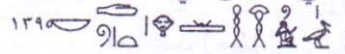
¹²⁴ ترجم كل من Breasted و Kitchen جملة sp Hr Drt.f إلى "من هرب" BAR III, p.52, § 101; KRIT I, p.8. ويرى الباحث أن الجملة يُمكن أن تُترجم مع ما قبضه الكاتب، فالفاعل sp يعني "يترك" (FCD,222) كما أن معنى الهروب هنا لا يستقيم مع ما قبضه الكاتب، فالمقصود أن من ترقّع الملك عن قتله بتركه حياً، أحضر سجيناً إلى مصر. وقد استخدم زعميس الثاني نفس الأسلوب كذلك أنظر: (244:1) KRIT II, p.93; KRIT II, p.244.

¹²⁵ وقد وظفت كلمة main في الفرنسية للتعبير عن نفس المعنى، فيقال: En venir aux mains أي "بلغ الأمر حد القتال". (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٧٤٥).

¹²⁶ KRI, 325; KRIT I, p.263.

توجد هذه البردية بالمتحف المصري بالقاهرة وتعرف بـ Papyrus Cairo CGC 5805.

كما استخدمت عبارة Drt-Hr-wAH "وضع اليد على" للتعبير عن السرقة كذلك، وليس أدل على ذلك مما ورد ببردية أبوت، وذلك في سياق الحديث عن سرقة قبر الملك ꞥbk-m-sA.f من الأسرة الثالثة عشرة، إذ ورد بالبردية عن ذلك: "وُجِدَ مكان دفن الزوجة الملكية العظيمة Nb-xa.s ، ... زوجته الملكية، وقد وضع اللصوص أيديهم عليها Hr Drt.sn wAH "أي سرقوها" ١٣٧. ثالث عشر: الخطر

استخدم المصري القديم كلمة Drt="يد" في نسيج بعض العبارات للتدليل على معنى الخطر، يُدلل على ذلك أنه ورد في سياق المساجلة الأدبية بين كل من حوري وإمن-إم-إيت والواردة ببردية أنسطاسي الأولى في خلال وصف حوري للخطر الذي يتعرض له إمن-إم-إيت قوله:  bA wAH Hr Drt.k "إن) روحك توضع في يدك" ١٤٠ وهنا يذكر سليم حسن أن المعنى: أنت أشبهه بالأموال أو نصف ميت" ١٤١ ويبدو أن المقصود هو إنك نتيجة للأخطار التي تواجهها تُصبح مُعرضاً للهلاك حتى أن روحك تصبح قريبة من الموت فهي خرجت من جسدك إلى يدك. ويضاهي هذا التعبير ما يستخدمه العامة في وقتنا الحالي حين يعبرون عن تعرض شخص ما للهلاك قائلين: فلان روحه على كفه" أي إنه مُخاطر جرى.

¹³⁶ وظفت اللغة الفرنسية لفظة *main*="يد" للتعبير عن الفعل "تُهيب" أو "يسرق"، فيقال: Faire main basse أي "تُهيب". (سهيل إدريس ٢٠٠٤: ص ٧٤٤).

¹³⁷Pap.Abott, p.5, line 6,8 = BAR IV p.255 § 517; Peet, 1930: vol.2, pl.3.

¹³⁸ ورد تعبير "وضع اليد" بمعنى السرقة في أكثر من موضع بهذه البردية. انظر عن ذلك:

BAR IV, p.259, § 524; p.266, § 540.

كما ورد نفس التعبير ببردية ماير في سياق الحديث عن سرقة مقبرتي رعسيس الأول والثاني، فقد ورد بها: "(سطر ٤) اللصوص وضعوا أيديهم على Hr Drwt.sn wAH المقبرتين".

BAR IV, p. 268, § 545.

¹³⁹ Gardiner, 1911: p.70 (24,2).

¹⁴⁰ Gardiner, 1911: p.26. (24,2).

¹⁴¹ سليم حسن ٢٠٠٠: ج ١٧، ص ٣٩٣، هامش ١.

رابع عشر: الملكية: ١٤٢

وظف المصري القديم لفظة Drt = "يد" للتعبير عن الملكية باستخدام العبارة الظرفية Drt m/Xr. فقد وردت العبارة الظرفية Drt m أكثر من مرة في قصة ون-أمون بما يعني في حوزة أو في ملكية. وذلك خلال الحوار الذي دار بين ون-أمون وحاكم جبيل إذ يسأل الأخير ون-أمون قائلاً:



sw tnw tA Sa(t) n pA tpy Hm-nTr pn
Imn nty m Drt tw.k

أين خطاب كبير كهنة أمون الذي كان في يدك؟^{١٤٤} أي: في حوزتك".

كما استخدمت العبارة الظرفية Drt Xr تحت اليد" في سياق ما يُمكن أن يعني في ملكية"، فقد ورد بنص أحد لوحات الحدود الخاصة بتل العمارنة من عهد

إخناتون في سياق الحديث عن نفرتيتي زوجة الملك: ١٤٥

iw.s Xr Drt pr awy anx.w wDA.w snb.w
إنها تحت يد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة^{١٤٦}. ويرى الباحث أن العبارة الظرفية Drt Xr تمتلك هنا-وبشكل متساوي- فرضيتين دلالتين هما في ملكية/في عناية".

¹⁴² يُضاهي هذا الاستخدام مثيله في اللغتين العربية والإنجليزية. فالنيد في اللغة العربية هي الملك". يقال هو في يدي: أي ملكي وهويتي. (المعجم الوسيط، ١٩٧٣: ج٢، ١٠٦٣؛ لسان العرب، ج٦: ص ٤٩٥٢). كما ورد بقاموس Webster أن hand تُستخدم لتعبير عن personal possession الملكية الشخصية. كما تعني العبارتان in hand / on one's hand ضمن ما تعنيان: في ملكية شخص". أما hand فقد تعني كذلك في ملكية".

Webster's new Collegiate Dictionary, 1973:p.519.

¹⁴³ Gardiner, 1932: p.66.

¹⁴⁴ BAR IV, p. 281, § 574.

¹⁴⁵ Urk IV, p.1983 (line 12).

¹⁴⁶ BAR II, p.397 § 964.

خامس عشر: الشخصية^{١٤٧}

استخدم المصري القديم كلمة Drt للإشارة إلى أحد الشخصيات، وذلك من باب ذكر الجزء للتعبير عن الكل، وهو ما يُطلق عليه علماء الدلالة الاتساع في المعنى.^{١٤٨} ومن الشخصيات التي أشير إليها بلفظة Drt على سبيل المثال لا الحصر:

١- زوجة الإله: استخدم المصري القديم كلمة Drt "يد" للإشارة إلى كاهنات الإله أمون اللاتي تقلدن لقب "زوجة الإله" فكان من أشهر ألقابهن اللقب: \overline{a} drt- nTr "يد الإله".^{١٤٩} وتعد الملكة أممس نفرتاري أول من اتخذت هذا اللقب الذي ظل ملازماً للقب "زوجة الإله" طوال عصر الدولة الحديثة.^{١٥٠} ويرتبط منشأ لقب "يد الإله" بدور اليد في الخلق والإنجاب كما نصت عليه أحد أساطير خلق الآلهة فقد ورد على لسان الإله الخالق في أسطورة هرموبوليس "اتحدت بجسدي ذاته، بحيث خرجا مني بعد أن أوجدت الإثارة بقبضتي المضمومة، فنبتت الشهوة من يدي وسالت النطفة من فمي..."^{١٥١} كما نقرأ كثيراً في متون الأهرام أن "يد أتوم التي أنجبت شو وتقنوت" أو "يد الإله التي ولدت التاسوع". ثم اتخذت الإلهة حتحور زوجة الإله أتوم هذا اللقب،^{١٥٢} كما كان أيضاً من بين ألقاب الإلهة إيزيس، ولذلك فعندما ربط الكهنة بين الإله أمون وإله الشمس انتقل لقب "يد الإله" من الإلهة حتحور إلى الإلهة موت زوجة أمون، ثم انتقل اللقب بالتالي إلى زوجة الإله (الملكة).^{١٥٣} باعتبارها تجسيدا لحتحور.^{١٥٤}

يتضح من هذا النص أن الإله الخالق -في عقيدة المصري القديم- استخدم يده في استمناؤه^{١٥٥} وتوجد فقرة في نصوص الأهرام تؤكد صراحة أن هذا الحدث تم في

^{١٤٧} وقد استخدمت لفظة a = "راع" كنعنت لبعض موظفي الدولة الوسطى، فمنهم من لقب بـ a nsw "راع نخن" (Ward 1982:p.71 (no.584)) ومنهم من حمل اللقب a nsw "ملك". Ward 1982:p.71 (no.585).
^{١٤٨} فايز الذاتية ١٩٩٦: ص ٣٧٩.

^{١٤٩} Wb.V, p.585.

^{١٥٠} Wb.V, p.585 (1-4); Gitton & Le Clant 1977: pp.792f.

^{١٥١} لالويت، ١٩٩٦: ج٢، ص ٣٤.
^{١٥٢} أطلق على حتحور لقب "يد أتوم" في سياق الأسطورة التي تروي تغلب الإله رع على الشعبان فيس الذي يعترض مسيرته. (لالويت، ١٩٩٦: ج٢، ص ٨٨).
^{١٥٣} عبد الحلیم نور الدين ١٩٩٥: ص ٧٠٧.

^{١٥٤} Blackman 1921:p.16

إليم حسن ١٩٩٢: ج٦، ص ٥٠٥ هامش ٤.

وقد ناسب استخدام اليد هنا للإشارة إلى شخصية المُعتدي؛ لأن اليد هي التي تُستخدم في الاعتداء.^{١٦٣}

سادس عشر: التوثق والتيقن:

عبر المصري القديم عن التيقن والتأكد من شيء ما باستخدام التعبير mH Drt وتعني حرفياً: "تملاً فلان يده (بكذا)" والوجه الدلالي الذي يُقدمه هذا التعبير هو "تملك منه" أو "تأكد من" أو "وثق بـ" ويتطابق هذا التعبير مع مثيله في العامية، فيقال: "ملأت يدي من فلان" أي "تأكدت منه ووثقت به"، وملأت يدي من شيء أي تأكدت منه واستوعبته. فقد ورد في بردية تورين على سبيل المثال ما يلي: r mH
Drt. (k) n nA Hmwt im.w
والمقصود "تتأكد من العمال هناك". كما نقرأ في تعاليم أني: mwt.k mH
Drt.k "تأمل! فإني أقدم لك بعض النصائح..." فيجب عليك أن تملأ يدك بها" والمقصود "التمسك بها/ التأكيد منها".^{١٦٤}

سابع عشر: الصمت

عبر المصري القديم عن الصمت بالإشارة إلى وضع اليد Drt على الفم. فقد ورد بالفقرة الرابعة والعشرين من تعاليم خيتي في سياق الإشارة إلى آداب زيارة المنازل ما يحث على التزام الصمت. فينصح خيتي ابنه قائلاً: " (٨,٩) (وعندما تدخل وسيد البيت في بيته، ويده (ممدودة) لأخبر أمامك،
١٦٥
Hms.k Drt.k ... (9,8) m rA.k
فنتجلس، ويدك على فمك"، والمعنى "لصمت".

ثامن عشر: التعبير Drt stA

ورد هذا التعبير ببردية Lansing في سياق مدح المعلم: فقد ورد بها: (15,1) "إنك تجلس بعظمة عند بوابتك، وخدمك يجيبونك بسرعة (15,2) وتصب
الذعة القوية، ه ه ه ه ه | Drt stA Drt stA
واليد فوق اليد؟"^{١٦٦} وقد ذكر Caminos في تعقيبه على هذه الفقرة إن Drt stA معناها

^{١٦٣} أشارت التعاليم الموجهة لـ "مري-كارع" إلى المعتدين من الآسيويين باستخدام نفس الأسلوب فقد ورد بها: "إن الحدود من حبنو حتى طريق حور عمت بالمدن وملكت بالناس من خيرة كل الأرض لكي تردع الأيدي (أي الآسيويين)". (Simpson, 1977:p.80.)
^{١٦٤} حية شهاب ٢٠٠٥: ص ٧٣.
^{١٦٥} رشا فاروق، ٢٠٠٥: ص ٢٥٣، ٤٨٢.

^{١٦٦} Pap.Lansing, 15, 2 = Gardiner, 1937:p.115; Caminos 1954:p.421.

وقراءتها غامضة.^{١٦٧} ويرى الباحث أنه يُمكن أن نستنتج من سياق النص أن هذا التعبير يحمل أحد وجهين دلاليين:

الأول: إما أنه يصف حال هذا المُعلم أثناء جلوسه واضعاً يداً فوق أخرى، كناية عن الطمأنينة والثقة بالنفس أثناء مُتابعة ما يدور حوله.

الثاني: الإشارة إلى استخدام اليد في النداء على الآخرين، وذلك بإحداث تصدية تتج عن إلقاء اليد على اليد Drt stA Drt ، فإذا صح ذلك فالمعنى أنه يُنادي فيلبي نداءه من حوله.

النتائج

يتضح من خلال العرض السابق للدلالات السياقية للفظة Drt = "يد" أنها امتلكت عدداً من التضمنيات الدلالية التي يزكي إحداها سياق النص. ومن هذه الوجوه الدلالية:

أولاً: الوجوه الدلالية المُرتبطة بالعمل:

- ١- يفرض سياق النص أحياناً ترجمتها: "عمل"، "تدبير/تقدير".
- ٢- استخدمت للإشارة إلى مهارة الإنسان وقدرته على إنجاز عمل ما، وذلك بتوظيفها داخل بعض التعبيرات الاصطلاحية التي يفرض سياق النص ترجمتها "ماهر" مثل:

أ- Drt.f st rx(w) rx Drt.f -ب- gm ج- Drt/Drwt

٣- وُظِّفت للتعبير عن التصغير والتواني في العمل. وذلك بتوظيفها في بعض التعبيرات الاصطلاحية مثل:

أ- HA Drt : "خلف اليد" وهي تُستخدم في سياق ما يعني "يهمل/يُقصّر" في العمل.

ب- m ir xAa Drt.k : "لا تتواني عن العمل".

٤- عبر المصري القديم عن عدم القدرة على التصرف (قلة الحيلة): باستخدام التعبير: Drt.k Hr wAH mAa.k "يك على صدغك" ربما بمعنى: "إنك لا تعرف ماذا تفعل".

ثانياً: الوجوه الدلالية المُرتبطة بمنح العون:

- ١- وُظِّفت Drt للتعبير عن فكرة المُساعدة باستخدام مجموعة من الأساليب منها:

أ- تقديم مُقدم العون يده Drt = "مُساعدته" لصاحب الحاجة.

ب- مُصاحبة يد Drt مُقدم العون لصاحب الحاجة.

ج- وضع يد Drt مُقدم العون على يد Drt صاحب الحاجة.

¹⁶⁷ Caminos 1954:p.425 (note 15, 2).

د- استخدام لفظة Drt مُطلقة دون تحديد أسلوب تقديمها لصاحب الحاجة في سياق ما يُقدّم الوجه الدلالي "مُساعدة".

٢- استخدمت لفظة Drt في سياق ما يعبر عن معنى العطاء، وليس أدل على ذلك من أنها دخلت في تركيب التعبير Drt Aw "كريم". ومن الأساليب التي وظفت خلالها هذه اللفظة للتعبير عن فكرة العطاء: الإشارة إلى حيازة اليد Drt لما يبتغيه طالب العطاء.

٣- يُكنى عن تقديم القرابين باستخدام التعبير، Drt qah "يُثني اليد".
ثالثاً: الوجوه الدلالية المرتبطة بالرعاية:

١- استخدمت العبارة الظرفية Drt Xr/m للتعبير عن معنى "تحت/في عناية"

٢- استخدمت العبارة الظرفية Drt m للتعبير عن معنى "في حماية".

رابعاً: استخدمت العبارة الظرفية: Drt m "في اليد" لتقديم الوجه الدلالي "في مسئولية، تحت إشراف، بإشراف".

خامساً: وُظِّفت كلمة Drt في سياق ما يعبر عن التعليم والتدريب كما يلي:

أ- أُطلق على التلميذ أو الصبي في مصر القديمة Drt Xry أي "مَنْ تَحْتَ التَّدرِيبِ/التَّعْلِيمِ"، أو بمعنى أكثر تحديداً: "المُتدرِّب/المُتعلِّم".

ب- استخدمت العبارة الظرفية Drt Hr في سياق ما يعني "يُدرَّب/يُعلِّم".

سادساً: وُظِّفت لفظة Drt للتعبير عن التأدب والاحترام أمام من هو أهل لذلك، وذلك بوصف إحدى الإيماءات التي تقوم بها اليد للتعبير عن هذا المعنى، مثل: "ثني اليد Drt".

سابعاً: وُظِّفت لفظة Drt للتعبير عن الترحيب، وذلك بوصف إحدى الإيماءات التي تقوم بها يد الإنسان أثناء تحيته لغيره مثل: التلويح باليد Drt. كما أن بعض النصوص التي أهملت الإشارة إلى طبيعة الإيماءة التي تقوم بها اليد Drt للتعبير عن إظهار الامتنان لشخصية ما، قد تصلح لأكثر من وجه دلالي، في وقت واحد فمنها ما يمكن أن يعبر عن "الترحيب/التحية/الاحترام" في آن واحد.

ثامناً: استخدمت لفظة Drt للتعبير عن معنى السيطرة مسبقة بأحد حروف الجر مثل: Xr/m/m-Xnw. لتقديم الوجه الدلالي: "تحت/في سيطرة"

تاسعاً: استخدمت الجملة Drt dwn N "تيسط فلان اليد" للتعبير عن فرض النفوذ".

عاشرأ: استخدمت كلمة Drt "يد" في سياق ما يعني "القدرة (على الشفاء)".

حادي عشر: الوجوه الدلالية المرتبطة بالعنف

١- وُظِّفَ المصري القديم لفظة Drt في سياق ما يُمكن ترجمتهما بقوة "مُستخدماً أسلوبين للحصول على هذا المعنى.

- أ- نعت اليد Drt بالضعف.
- ب- استخدام لفظة Drt "يد" مجردة دون نعت ما، بحيث يفرض سياق النص ترجمتها قوة".
- ٢- استخدمت لفظة Drt للتعبير عن معنى "الضرب/الاعتداء" باستخدام أسلوبين هما:
- أ- استخدام العبارة Drt...m = "اليد...ضد/على" للكناية عن معنى الاعتداء عامة والضرب خاصة.
- ب- استخدام جملة: Drt N dpt = "يَتَدَوَّقُ فُلَانُ الْيَدِ" للكناية عن معنى الضرب.
- ٣- استخدم التعبير Drt.f Hr sp "ثركت يده (أي الملك)" للتعبير عن النجاة من القتل، فالمعنى "مِنَ لَمْ يُقْتَلْ".
- ٤- استُخِمْ التعبير Drt.f TAY tw f iw.f Drt.i "يدي تَخْطَفُ يَدَهُ" للتعبير عن الهزيمة، فالمعنى "سَاهَزَمَهُ".
- ٥- استخدم التعبير Drt Hr WAH "وضع اليد على" للتعبير عن الاغتصاب والاحتلال. فالمعنى: "احتل/اغتصب...".
- ثاني عشر: وُظِّفَتْ لفظة Drt في سياق ما يعبر عن الوجه الدلالي "يسرق" وذلك باستخدام أحد التعبيرين:
- أ- Drt N ...m N "يد فُلَانٍ...على/ضد فُلَانٍ" أي "يسرق فُلَانُ فُلَانًا"
- ب- Drt N Hr N WAH "وضع يد فُلَانٍ على (شخص ما/شئ ما)" أي "سرق فُلَانُ فُلَانًا"
- ثالث عشر: استخدمت لفظة Drt = "يد" بالتعبير: Drt.k Hr WAH bA "إن روحك توضع في يدك"، للإشارة إلى معنى الخطر. وهو ما يُضاهي التعبير العامي "فُلَانُ رُوحَهُ عَلَى كَفِهِ" أي إنه مُخَاطَرٌ جَرِيءٌ.
- رابع عشر: وُظِّفَتْ لفظة Drt = "يد" للتعبير عن الملكية باستخدام العبارة الظرفية: Drt m بمعنى "في ملكية/حوزة".
- خامس عشر: استخدمت لفظة Drt للإشارة إلى أحد الشخصيات، وذلك من باب ذكر الجزء للتعبير عن الكل، وهو ما يُطلق عليه علماء الدلالة الاتساع في المعنى. فقد أشير بهذه اللفظة إلى كاهنات الإله آمون اللاتي تقلدن لقب "رُوحَةَ الإله"، فكان من أشهر ألقابهن اللقب: Drt-nTr "يد الإله"، وهو نفس اللقب الذي حملته كل من الإلهات حتحور وإيزيس وموت. كما أشير بلفظة Drt كذلك إلى الموظف المسئول عن إنجاز عمل ما وكذلك الإنسان المعتدي.
- سادس عشر: عبر المصري القديم عن التيقن والتأكد من شئ ما باستخدام التعبير Drt و تعني حرفياً: "يملأ فُلَانُ يَدَهُ (بكذا)" والوجه الدلالي لهذا التعبير هو: "تملك

من" / تأكد من" / وثق بـ". ويتطابق مع مثيله في العامية، فيقال: "مألت يدي من فلان" أي تأكدت منه ووثقت به".

سابع عشر أشير إلى معنى الصمت بوضع اليد Drt على الفم. ثامن عشر: ربما يشير التعبير Drt stA Drt اليد على اليد" إلى الطمأنينة والثقة بالنفس، أو إلى استخدام اليد في النداء على الآخرين، وذلك بإحداث تصدية تنتج عن إلقاء اليد على اليد.

وأخيراً يشير الباحث إلى أن معظم الوجوه الدلالية التي قدمتها لفظة Drt هي وجوه ترتبط بوظيفة اليد، بمعنى أنها دلالات مُشتقة من وظيفتها في الأساس. ولا يدعي الباحث في النهاية أنه قدم حصراً لكل الوجوه الدلالية لهذه اللفظة، ولكنه تناول ما أتيج له، وهو على يقين أن الباب مفتوحاً لأكثر من ذلك.

قائمة المراجع

أولاً: قائمة المختصرات:

1. ANET= *Ancient Near Eastern Texts*, Relating the-Old Testament, New Jersey.
2. BAR =Breasted,J. *Ancient Records of Egypt*, Vols.I-IV,
3. FCD = Faulkner,R.,O. *A Concise Dictionary of Middle Egyptian*. Oxford,1962.
4. gM= *göttinger Miszellen*, Beiträge zur ägyptologischen-Diskussion, Göttingen.
5. JEA= *Journal of Egyptian Archaeology*.
6. JNES= *Journal of Near East Studies*.
7. KRI = Kitchen, K. A.,*Ramesside Inscriptions*, Vols.I-V, Oxford,1968-83.
8. KRIT=Kitchen, K.A. *Ramesside Inscriptions Translated & Annotated : Translations*, Vols. I-II, "Ramesses II, Royal Inscriptions". Oxford, 1993-1995.
9. LÄ= *Lexikon der Ägyptologie*, (Wiesbaden).
10. LD.= Lepsius, R. *Denkmäler aus Ägypten und Äthiopien*,vols. II-III, Berlin, 1849-52.
11. pyr=Seth,K. *Die Altägyptischen Pyramidentexte*, 2 Bände. Hildesheim, 1960.
12. Sethe, *Lesestücke= Sethe,K...Ägyptische Lesestücke, Texte des Mittleren Reiches*.Leipzig, 1928.
13. Urk = Sethe,K. *Urkunden des Alten Reichs*, I, Leipzig, 1903. IV,1-16: Kurt Sethe, *Urkunden der 18. Dynastie*, Leipzig 1914. IV,17-22: Wolfgang Helck, *Urkunden der 18. Dynastie*,Berlin, 1955-61.

14. Wb= Erman,A. & Grapow,H. 1926-1950. *Wörterbuch der Ägyptischen Sprache*, 6Vols. Leipzig.
15. ZAS= *Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Aliertum- skunde*, Berlin.

ثانياً: المراجع العربية:

١. ابن منظور: ١٩٨٤. *لسان العرب*، الجزء السادس، القاهرة.
٢. تحية شهاب، ٢٠٠٥. الجذر mh وبعض مدلولاته في اللغة المصرية القديمة، مجلة حوليات الآثار المصرية، المجلد الثاني.
٣. رشا فاروق السيد محمد، ١٩٩٩. دراسة لغوية تحليلية لبردية الحكيم إيبو-وز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
٤. رشا فاروق السيد محمد، ٢٠٠٥. "تصائح دوا-خيتي" دراسة لغوية تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
٥. سهيل إدريس، ٢٠٠٤. *المنهل قاموس فرنسي عربي*، الطبعة الثانية والثلاثون، بيروت.
٦. سليم حسن، ١٩٩٢. *مصر القديمة*، ج ٤-٧، القاهرة.
٧. سليم حسن ٢٠٠٠. *مصر القديمة*، الأدب المصري القديم، ج ١٧، القاهرة.
٨. عبد الحلیم نور الدين، ١٩٩٥. *دور المرأة في المجتمع المصري القديم*، القاهرة.
٩. عبد العزيز صالح، ١٩٦٦. *للتربية والتعليم في مصر القديمة*، القاهرة.
١٠. فايز الداية، ١٩٩٤. *علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق*، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، بيروت.
١١. مجمع اللغة العربية ١٩٧٣. *المعجم الوسيط*، الجزء الأول والثاني.

ثالثاً: المراجع المعربة:

١٢. كلود جرمان وريمون لوبلان، ١٩٩٤. *علم الدلالة*، ترجمة نور الهدى لوشن، دمشق.
١٣. كلير لالويت، ١٩٩٦. *نصوص مقدسة ونصوص ننيوية من مصر القديمة*، المجلد الثاني، الأساطير والقصص والشعر، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة، داهر عبد الحكيم، القاهرة.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

14. Al-Ayedi,A. 2006. *Index of Egyptian Administrative, Religious and Military Titles of the New Kingdom*, Ismailia.

15. Allen, T.G. 1974. *The Book of the Dead or Going Forth by Day. Ideas of the Ancient Egyptians concerning the Hereafter as Expressed in their own Terms.* Chicago.
16. Barta, W. 1968. *Aufbau und Bedeutung der Altägyptischen Opferformel, Heft 24,* Berlin.
17. Black, J., R. 2002. *The Instruction of Amenemope: A Critical Edition and Commentary Prolegomenon and Prologue,* A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy (Ancient Religions of the Eastern Mediterranean) at the University of Wisconsin-Madison.
18. Blackman, A.M. 1932. Middle-Egyptian Stories, Part I, *Bibliotheca Aegyptiaca* II, Bruxelles.
19. Budge, E. 1898: *The Book of the Dead "The Chapters of Coming forth by day"*. London.
20. Budge, E. 1978. *An Egyptian Hieroglyphic Dictionary,* vol. I, London.
21. Caminos, R. 1954. *Late-Egyptian Miscellanies,* Oxford.
22. Černý, J. 1945. The Will of Nounakhte and the Related Documents ", *JEA* , 31.
23. Clère, J. J. Et Vandier, J. 1948. Textes de la Première Période Intermédiaire et de la XI^{ème} Dynastie, 1^{er} Fascicule, *Bibliotheca Aegyptiaca* X, Bruxelles.
24. Cumming, B. 1982. *Egyptian Historical Records of the Later Eighteenth Dynasty,* Fasc. I, Warminster.
25. Erichsen, W. 1933. The Papyrus Harris I, Hieroglyphische Transkription, *Bibliotheca Aegyptiaca* V, Bruxelles Vol. III, Brussels.
26. Faulkner, R.O. 1969. *The Ancient Egyptian Pyramid Texts,* Oxford.
27. Gardiner, A.H. 1911. *Egyptian Hieratic Texts, Transcribed, Translated and Annotated, Series I: Literary Texts of the New Kingdom, Part I, The Papyrus Anastasi I and The Papyrus Koller, together with the Parallel Texts.* Leipzig.
28. Gardiner, A. H., & Gunn, B. 1917. "New Rendering of Egyptian Texts," *JEA* IV, London.
29. Gardiner, A.H. 1932. Late-Egyptian Stories, *Bibliotheca Aegyptiaca*, I, Bruxelles.
30. Gardiner, A. 1937. Late-Egyptian Miscellanies, *Bibliotheca Aegyptiaca* VII, Bruxelles.
31. Gardiner, A., H. & Peet, T., E. & Černý, J. 1952 : *The Inscriptions of Sinai, Part I,* London.

32. Gardiner, A.H., & Peet, T.E., & Černy, J. 1955. *The Inscriptions of Sinai*, Part II, London.
33. Gardiner, A. H. 1973. *Egyptian Grammar*, 3rd edit., Oxford.
34. Gitton, M. & Le Clant, J. 1977. *Gottesgen*, LA, II, Wiesbaden.
35. Jones, D. 1988. *A Glossary of Ancient Egyptian Nautical Titles and Terms*, London.
36. Lacau, P. 1970. *Les noms des parties du corps en Égyptien et en Sémitique*. Paris.
37. Lalouette, C. 1984. *Textes Sacrés et Textes Profanes de L'Ancienne Égypte, I, Des Pharaons et des hommes*, Connaissance de l'Orient collection UNESCO d'œuvres représentatives.
38. Lange, H., O. 1925. *Das Weisheitsbuch des Amenemope Danke Videnskaberne's Selskab, Historiske-Filologiske Meddelelser* -XI, 2, Copenhagen.
39. Lichtheim, M. 1973. *Ancient Egyptian Literature. A book of Reading. Vol. I: The Old and Middle Kingdoms*. Berkeley, Los Angeles, London.
40. Lichtheim, M. 1976. *Ancient Egyptian Literature. A book of Reading. Vol. II: New Kingdom*. Berkeley, Los Angeles, London.
41. Newberry, P., E., 1893. *Beni Hassan*, Par II, London,
42. Peet, T., E. 1933. *The great tomb-robberies of the twentieth Egyptian dynasty*, vol. 2, Oxford.
43. Petrie, F. 1896. *Six temples at Thebes* London.
44. Piankoff, A. 1977. *The Shrines of Tut-Ankh-Amon*, New York.
45. Rainey, A.F. 1967. *The Soldier-Scribe in Papyrus Anastasi I*, JNES, Vol. 26, No. 1.
46. Sethe, K. 1935. *Historisch-biographische Urkunden des Mittleren Reiches*, I. Leipzig.
47. Simpson, W.K. 1977. *The Literature of Ancient Egypt*. Yale.
48. Théodorides, A. 1977. "Frau", LA, 2.
49. Ward, A., W. 1982. *Index of Egyptian Administrative Religious Titles of the Middle Kingdom*, Berit.
50. Webster's New Collegiate Dictionary, 1973. G.&C. Merriam Company, Springfield, Massachusetts, U.S.A.
51. Wilson, J. 1969a. *Egyptian Historical Texts, ANET*.
52. Wilson, J. 1969b. *Proverbs and Precepts, ANET*.
53. Wilson, J. 1969c. *Egyptian Historical Texts, ANET*.
54. Wilson, J. 1969d. *Egyptian Hymns and Prayers, ANET*.
55. Wilson, J. 1969e. *Egyptian Myths, Tales, and Mortuary, ANET*.


أسماء المحفة في اللغة المصرية القديمة

د. عبد الواحد عبد السلام إبراهيم*

تعددت الأسماء التي تشير إلى كلمة "محفة"، في اللغات الحية بنفس تعدده بالنسبة للغة المصرية القديمة. فقد عرفت لها كلمات أخرى في اللغة العربية إلى جانب كلمة "محفة" مثل كلمة "هودج" وكلمة "تختروان"؛ أما في اللغة الألمانية فقد عرفت الكلمة نفسها بأسماء مختلفة مثل *Tragsessel*، *Sänfte*؛ وعرفت في اللغة الفرنسية بكلمات كثيرة منها *Palanquin*، *Litière Chaise à porteurs*؛ وفي اللغة الإنجليزية فإننا نجد كلمات متعددة لنفس هذه الكلمة مثل *Litter*، *Palanquin*، *Sedan-chair*، *Sedan*، *Carrying-chair*.

أما أسماء المحفة في اللغة المصرية القديمة -وهي الموضوع مناط البحث- فقد تعددت بتعدد العصور ومن ثم اختلفت صور كُتبتِها، وهو ما سوف يتتبعه الباحث طبقاً لترتيبها التاريخي منذ بداية مراحل الكتابة المصرية القديمة على النحو التالي:
أولاً: أسماء المحفة في العصر المبكر:

١-  rpwt^(١)

ظهرت المحفة على الآثار المصرية منذ عصر بداية الأسرات، إذ نراها مصورة على رأس مقمعة الملك نعر-مر^(٢) (حوالي ٣١٥٠-٣١٢٥ ق.م)^(٣) (انظر شكلاً رقم ١، ٢)، وكانت بداية ظهورها على شكل  والذي يمكن اعتبار شكلها التصويري يدل على معناها وهو "محفة"، ومما يدل على ذلك أنه قد وجد بداخلها شخص جالس^(٤)، كما أن لها ذراعان لحملها من الأمام والخلف^(٥). وهذا الشكل يمكن قراءته *rpwt*، وقد تأكدت هذه القراءة فيما بعد حيث جاء هذا الشكل التصويري ذاته في كلمات من الفترة نفسها سواء كمخصص أو علامة تصويرية ومسبوقة بحروف

* مدرس بكلية الآداب -جامعة الإسكندرية.

Wb II, 414, 12.

J.E. Quibell, *Hierakonpolis I*, London, 1900, pl. 26B.


(٣) اعتمد الباحث في تأريخ سنوات حكم الملوك على قائمة الملوك التي وردت في موسوعة:

D.B.Redford (ed.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, vol.3, 2001, after p.620.

(٤) توجد عدة نماذج حقيقية للمحفة *rpwt* عُثِرَ عليها في منف وأبيدوس، انظر بهذا الخصوص:

W.M.F. Petrie, *Abydos II*, London 1903, pp. 26, 28, pls. VII, 132, XI, 243;

Idem, *The Palace of Apries (Memphis II)*, London 1909, pp. 9-11, pl. II, 6.

(٥) W. Kaiser, "Zu den  des älteren Bilddarstellungen und der Bedeutung von *rpwt*, *MDAIK* 39 (1983), pp. 261-296, Abb. I,1.

صوتية معها $\overline{\text{p}} \text{ } \overline{\text{w}} \text{ } \overline{\text{t}}$ ^(٦)، وقد استخدمت هذه الكتابة في عصر الدولة القديمة وما بعدها، وهذا الشكل السابق والذي يعد أقدم الأشكال التي صورت على شكلها المحفة يتكون من مقعد بأسفله أرجل خشبية ويعلوه مظلة ^(٧).

وقد صور شكل المحفة rpwt في الأسرة الخامسة في مناظر احتفالات عيد سد Hb-sd الخاصة بالملك ني-وسر-رع في معبده في أبو غراب (انظر أشكال ٣-٥) ^(٨).

وقد قدم كايزر W. Kaiser حصراً شاملاً للأشكال المختلفة للمحفة rpwt من العصر المبكر والدولة القديمة والتي وردت سواء في أسماء الأشخاص أو في الكلمات التي تعني المحفة حيث بلغت عشرون عدداً (انظر شكل ٦) ^(٩).

٢ - a (١٠)

يبدو أن هذا النوع من المحفات قد ظهر مع بداية الأسرات، إذ ظهر مقترناً بعدد من الألقاب منها $\overline{\text{r}} \text{ } \overline{\text{a}} \text{ } \overline{\text{m}} \text{ } \overline{\text{n}}$ ، وقد ترجم بعض الباحثين بالمعنى الظاهري للكلمة وهو "نراع" ليصبح معنى اللقب "نراع حور" و"نراع ست" ^(١٠)؛ وظل هذا المعنى قائماً حتى تناول كابلوني Kaplony دراستها مع غيرها من نصوص العصر المبكر ورجح احتمالية نطقها $\text{rmn/a} @ \text{r}$ ، $\text{rmn/a} * \text{t}$ ، ليصبح المعنى "من يحمل حور" و"من يحمل ست"، وأكد على أن كلمة a مرادفة

A. Radwan, Die Kupfer-und Bronzegefäße Ägyptens (Von den Anfängen bis zum Beginn der Spätzeit), Prähistorische Bronzefunde, Abt. II, 2, München, 1983. p. 147. (٦)

W. Kaiser, *op. cit.*, p. 277, Abb. 3, Modells 2-6, 9-14; P. Kaplony, *Die Inschriften der ägyptischen Frühzeit*, Band I, ÄA 8, Wiesbaden 1963, p. 339. (٧)

F. W. von Bissing, *Das Re-Heiligtum des Königs Ne-woser-re (Rathures)* / hrsg. von Friedrich Wilhelm von Bissing, Berlin 1905-1928, Band 2, Taf. 18. (٨)


W. Kaiser, *op. cit.*, p. 277, Abb. 3. (٩)

W. Seipel, *Untersuchungen zu den ägyptischen Königinnen der Frühzeit und des Alten Reiches. Quellen und historische Einordnung*, Dissertation, Hamburg 1980, p. 311 ff, 318 ff, 321 ff. (١٠)

W. M. F. Petrie, *The Royal Tombs of the First Dynasty*, Part II, London 1901, pl. 27 (95-96, 128-129); P. Kaplony, *op. cit.*, Bd. I, p. 373 ff; R. Weill, "Notes sur l'histoire primitive des grandes religions égyptiennes", *BIFAO* 47 (1948), p. 85. (١١)

R. Weill, *Loc. cit.*; Idem, *Recherches sur la I^{re} Dynastie et les Temps Prépharaoniques*, (BdE 38, 1), Le Caire 1961, p. 317, nn. 1-3. (١٢)

لمعنى كلمة rpwt وجعلها تعني المحفة.^(١٣) كما يتفق Faulkner مع رأ؛
Kaplony في ترجمته^(١٤) وأخيراً أكد Seipel على أنها دون شك تعني كلم
محفة^(١٥).

ظهر اسم هذه المحفة في نصوص الأهرام بكثرة ملحوظة، وكُتِبَتْ بأشكال
ومُخصّصات مختلفة منها: . كما في بعض
الأمثلة التالية:

Pyr § 56^c: 

Sspt ir tw Hmwt (?) sSrt wr-a .

"يا من يستقبل المربيات، يا من تزين العظيم على المحفة"^(١٦)

-yr § 810^c - 811^a



wn n.f TpHt wrt Iwnw wr Htst wr-a ni #nti-
imntiw

"يُفتح له الكهف العظيم في أون، وعظيم المحفة، وعظيم محفة إمام الغربيين"^(١٧)

Pyr § 892^c: 

Nn ir.n N ihAbw m wr-a

"ولم أقم بدور الراقص كعظيم المحفة"^(١٨)

P.Kaplony, *op.cit.*, Bd. I, p. 373; Bd. II, p. 1062 f (1835-1841). (١٣)




R.O.Faulkner, *The Ancient Egyptian Pyramid Texts*, Translated into English, Oxford (١٤)
1969, p.146, note 2.

W. Seipel, *op.cit.*, p. 311 ff, 318 ff, 321 ff. (١٥)




S.A.B. Mercer, *The Pyramid Texts in Translation and Commentary*, New (١٦)
York, London & Toronto 1952, *Utterance 81*; R.O. Faulkner, *The Ancient Egyptian Pyramid
Texts*, Translated into English, Oxford 1969, p. 19.

S.A.B. Mercer, *op.cit.*, *Utterance 438*; R.O. Faulkner, *op.cit.*, p. 145. (١٧)

S.A.B. Mercer, *op.cit.*, *Utterance 467*; R.O. Faulkner, *op.cit.*, p. 156. (١٨)

وقد دخلت هذه الكلمة ضمن التركيب:  ،  ،  wr-a^(١٩)، الذي يرى فيه البعض أحد الأسماء التي ظنفت على المحفة ذاتها.^(٢٠) بينما يرى آخرون أنه لقب يُطلق على حامل المحفة، لذا فهناك من ترجمه "كبير المحفة".^(٢١) (انظر شكل ٧) وقد قدم Hannig المعنيين معاً إذ قرأها wra بمعنى "محفة" كما قرأها wr-a / wrai وذكر أنه لقب يعني: "الشخص المحمول في المحفة"^(٢٢) ويتفق Junker مع Hannig في ترجمته الأخيرة لهذا اللقب فقد قرأه (i) wr-a وترجمه: "الشخص المحمول في المحفة"^(٢٣) ولسنا ندري ما إذا كان هذا اللقب يشير إلى الشخص المحمول في المحفة أم هو لقب لحامل المحفة أو المشرف عليها. ويلاحظ أن هذه الكلمة لم تعد تستخدم بعد عصر الدولة القديمة.

٣- Hts

يُلاحظ أن هناك خلط واضح بين العلامة الهيروغليفية  التي تُنطق imAt وبين العلامة  التي تُنطق Hts حسبما أوضح قاموس برلين^(٢٤) وقد أكد القاموس نفسه أن العلامة  تُقرأ imAt وأنه نادراً ما تُقرأ Hts^(٢٥) وقد ناقض القاموس نفسه حينما ذكر أن القراءة الصحيحة ربما تكون Hts.^(٢٦) وعلى أية حال فقد وردت هذه الكلمة - أي Hts - ضمن اللقب wrt- Hts وهو أحد ألقاب الملكات الهامة في الدولة القديمة، حيث ورد ضمن ألقاب كل من الملكة Ni-mAat-Hp - آخر ملكات الأسرة الثانية وذلك على مقصورة تخص ابنها الملك نثرر-خت (حوالي ٢٦٦٨-٢٦٨٧ ق.م) عُثِرَ عليها في

B. Grdseloff, "Notes sur deux Monuments inédits de l'Ancien Empire", in: *ASAE* 42 (١٩) (1943), p. 116 ff; H. Junker, *Giza III*, p. 211; V, p. 13.

Wb I,332,17; P.Kaplony, *op.cit.*, Bd. II, p. 1063, n. 1841. (٢٠)

P.Kaplony, *op.cit.*, II, p.1062, n.1840; R.O.Faulkner, *The Ancient Egyptian Pyramid* (٢١)

Texts, p.146, note 2; B.Grdseloff, *Loc.cit.*

R.Hannig, *Grosses Handwörterbuch. Ägyptisch-Deutsch Die Sprache der Pharaonen* (2800-950 v.Chr.), Mainz 1995, p.205 (٢٢)

H.Junker, *Giza, III*, p.211f; V, p.13, 22, 35, 58, 84, 102, 130. (٢٣)

Wb I,80,6: *Die Belegstellen*, 14. (٢٤)

Ibidem. (٢٥)

Wb III, 202. (٢٦)

هليوبوليس^(٢٧) كما ذكر كل من Weill^(٢٨) و Grdseloff^(٢٩) أن هـ اللقب ورد كذلك ضمن ألقاب الملكة ttp-Hr-nbty (من بداية الأسرة الثالثة). ومن المعاني التي تُترجم إليها كلمة Hts "محفة"^(٣٠) لذا يرى بعض العلماء من أمثال Seipel أن كلمة Hts عندما ترد ضمن اللقب wrt-Hts فهي تعني "محفة" ومن ثم فهو يُترجم هذا اللقب إلى "عظيمة المحفة"^(٣١)، ولذلك فقد ربط بين هذا اللقب واللقب wr-a الذي ترجمه كذلك "عظيم المحفة". وهناك من يقرأ هذا اللقب wrt-imAt ويتّرجمه "عظيمة الحسن"^(٣٢) وذلك نتيجة للخلط بين العلامة 𓆎 والعلامة 𓆏 . وقد قرأ كل من Grdseloff و Jones هذا اللقب wrt-Hts واتفقا على ترجمته "عظيمة الصولجان" على اعتبار أن Hts تعني "صولجان". وقد تبني Hannig نفس القراءة وترجمته:

"عظيمة الحظوة"^(٣٣) بالرغم من أن Hannig قد قرأ هذا اللقب wrt-Hts إلا أنه ترجمه: "عظيمة الحظوة وليس
عظيمة المحفة"^(٣٤).

W.S.Smith, *A history of Egyptian sculpture and painting in the Old Kingdom*. (٢٧)
London, 1946, p.133, Fig. 49; idem, *C.H.*, I, p.152

R.Weill, "Monuments nouveaux des premières dynasties", in: *Sphinx*, 15, 1911, p.17, (٢٨)
no.11; W.S.Smith, *op.cit.*, p.134, 136, Fig. 52; P.Kaplony, *op.cit.*, I, p. 423, 596.

B.Grdseloff, *loc.cit.* (٢٩)

W.Helck, *Untersuchungen zu den Beamtentiteln des ägyptischen Alten Reiches*, (٣٠)
Glückstadt, 1954, p.39-40; W.Seipel, *op.cit.*, p.327-328.

تأخذ كلمة Hts معاني متعددة منها: "ينهي، أو يكمل فترة من الزمن" كما تعني كذلك "يحتفل". انظر:

R.O.Faulkner, *op.cit.*, p.181

ومن المعاني الأخرى لها: "زينة". انظر:

R.Hannig, *Grosses Handwörterbuch: Ägyptisch-Deutsch: Die Sprache der Pharaonen* (2800-950 v.Chr.), Mainz, 1995, p.571.

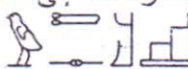
W.Seipel, *loc.cit.*, (٣١)

Wb, I, p.80, 6. (٣٢)



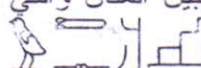
R.Hannig, *op.cit.*, p.203; B.Grdseloff, "Notes sur deux monuments inédits de l'Ancien Empire", *ASAE*, 42, 1943, p.112f; D.Jones, *An Index of Ancie Egyptian Titles, epithets and phrases of the Old Kingdom*, vol.I, Oxford, 2000, n.148

R.Hannig, *op.cit.*, p.571. (٣٣)

٤ - $\overline{\text{Tst}}$ (٣٥)

يختلف هذا النوع من المحفات في شكله عن شكل المحفة rpwt حيث أن مخصصها على شكل مقعد في أبسط صورته^(٣٦)، ويرى الباحث أن اختلاف المخصصات المصاحبة لأسماء المحفات إنما يدل ويبرهن على تعدد أنواع المحفات منذ عصر بداية الأسرات، وينبغي الإشارة هنا إلى أنه من المحتمل أن شكل المحفة Tst قد تطور إلى شكل آخر وهو  WTS بمعنى "محفة" منذ عصر الدولة القديمة^(٣٧).

٥ - $\overline{\text{SAD}}$ (٣٨)

ظهر هذا النوع من المحفات في عصر بداية الأسرات، ويوضح شكل مخصصه وهو ، وجود نوع جديد ومختلف من المحفات الخشبية و د. د. اعتمد P. Kaplony في تحديده لمعنى هذه الكلمة كمحفة على شكل مخصص هذه الكلمة وهو  الذي يُستخدم غالباً في نهاية بعض الكلمات التي تعني "محفة" مثل كلمة wtst على سبيل المثال والتي كُتبت بنفس المخصص في مثال من عصر الدولة القديمة هكذا:  (٣٩).

ثانياً: أسماء المحفة في عصر الدولة القديمة:

ظهرت في بداية عصر الدولة القديمة كلمات جديدة يُعبر بها عن المحفة وهي:

١ - $\overline{\text{WTS}}$ (٤٠)

Kaplony, P., *op.cit.*, Bd. II, p. 1034, n. 1719bis. (٣٥)

يذكر سليم حسن أن Tst تعني "صندوق خشبي"، بينما ترى Murray أنها تعني "وسادة"

M.A.Murray, *Saqqara Mastabas*, Part I, London, 1905, p.35;

S.Hassan, *Excavations at Giza*, vol.V, Cairo, 1945, p.122.



P.Kaplony, *loc.cit.* (٣٦)

Ibidem. (٣٧)








WbIV, 28,4; Z.Y. SAAD, *Ceiling Stelae in Second Dynasty Tombs from the Excavations at* (٣٨)




Helwan, Cairo, 1957, p.48, t.27; P.Kaplony, *op.cit.*, Bd. I, p.339 f.

WbI, 384, 5, 7; P.Kaplony, *op.cit.*, Bd. I, p. 339. (٣٩)




(٤٠) جاء اسم هذا النوع من المحفات أيضاً بالشكلين التاليين:  ،  ، انظر:

b I, 384, 5; LD II, 28; W.M.F. Petrie, *Medum*, London 1892, p. 13;

يرى Kaplony أن المخصص  الوارد بكلمة **wTs** يدل على أنه تطور طبيعي للمخصص الوارد بكلمة **Tst**  التي تعني كذلك "محفة" والذي ظهر في بداية الأسرات^(٤١). ويبدو أن هذا الاسم اشتقاق من الفعل **wTs** أو الفعل **Tsi** بمعنى "يحمل"^(٤٢)، كما هو واضح من المخصص  والذي يمثل عمود الميزان^(٤٣)، وقد كتبت هذه الكلمة بمخصصات متنوعة منها: ، ،  ^(٤٤)،  ^(٤٥).

وقد اقترنت هذه المحفة بملوك الوجه البحري تمييزاً لهم عن محفة ملوك الوجه القبلي والمعروفة باسم  **spa**  والتي كان مخصصها يمثل تاج الوجه القبلي في محفة على شكل العلامة  ^(٤٦).

وقد ظلت عملية الازدواجية هذه عند المصري القديم مسيطرة على كل تفكيره، إذ حرص على تنفيذ الشيء مرتين، الأول لمملكة الجنوب، والثاني لمملكة الشمال^(٤٧).

وقد كان هذا النوع من المحفات يطلق عليه لقب ، ،  **wTs nfrw** بمعنى "مَحْمَلُ الْجَمَال"^(٤٨).

M.A. Murray, *Sakkara Mastaba*, I, London, 1905, p. 2; F.W.von Bissing, *op.cit.*, vol. I, pp. 92ff.

P.Kaplony, *op.cit.*, Bd. II, p. 1034, n. 1719 bis. ^(٤١)

P.Kaplony, *op.cit.*, Bd. I, p. 339. ^(٤٢)

وعن اشتقاق هذا الاسم وعلاقته بالإله أوزيريس انظر:

W.Westendorf, Zur Etymologie des Namens Osiris: *wAs.t-jr.t "Die das Auge trägt," in: *Form und Mass*, Festschrift für Gerhard Fecht zum 65, p. 459.

Gardiner, A., *Egyptian Grammar Being an Introduction to the Study of Hieroglyphs*. 3rd Edition, Revised, Oxford 1957, Sig. List U39, p.521. ^(٤٣)

Wb I, 384, 5; *LD* II, 28; W.M.F. Petrie, *op.cit.*, p. 13; M.Murray, *op.cit.*, p. 2 ^(٤٤)

Bissing, F.W.von, *op.cit.*, vol. I, pp. 92ff.

Wb I, 384, 5, 7; P.Kaplony, *op.cit.*, Bd. I, p. 339. ^(٤٥)

Wb III, 441, 7-8; W.Westendorf, *Loc.cit.* ^(٤٦)

انظر شكل رقم (٣) بخصوص المحفة التي على شكل العلامة . وانظر أيضاً:

P.Kuhlmann, *Der Thron im alten Ägypten. Untersuchungen zu Semantik, Ikonographie und Symbolik eines Herrschaftszeichens*, ADAIK 10, Wiesbaden, 1977, p.14.

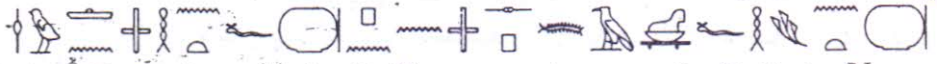
^(٤٧) عن هذه الازدواجية والتناحية في مصر الفرعونية انظر:

E.Otto. "Dualismus", in: *LÄ* I, 1975, sp. 1148-1150.

Wb I, 383, 6-11; R.Hannig, *op.cit.*, p. 225. ^(٤٨)

٢ -  spA (٤٩)

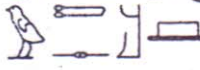
ظهرت هذه الكلمة أول ما ظهرت في متون الأهرام^(٥٠) للتعبير عن المحفة فوربت الجملة التالية:



wD.n imy Hnt.f N pn n imy spA.f Hnt N

" لقد مدحني هذا الملك الذي في عمله عند ذلك الذي في محفته"^(٥١)





وقد كتبت هذه الكلمة بمخصص خشرة أم أربعة وأربعين^(٥٢) ربما للدلالة على كثرة الأشخاص الذين يحملون هذا النوع من المحفات؛ وإلى جانب المخصص السابق نجد مخصص آخر يصور لنا شكل المحفة وهو عبارة عن العلامة nb وبها تاج الجنوب، وقد حملت العلامة nb على قضيبين من الخشب^(٥٣)، ويميز هذا المخصص هذا النوع من المحفات إذ أنها خاصة بملوك الوجه القبلي تمييزاً لها عن محفة ملوك

الشمال  wTs^(٥٤). وعلى أية حال فقد استمر استخدام هذه الكلمة للتعبير عن المحفة جنباً إلى جنب مع غيرها من المسميات الأخرى في الدولة القديمة ثم في الدولة الحديثة^(٥٥).

٣ -  xndw

ظهر اسمها في نصوص الأهرام كغيرها من المسميات^(٥٦)، ويرى بعض الباحثين أن الاسم يعني "عرش" أو "درج"، وفي هذا المعنى إشارة ضمنية إلى أنه لم

أحمد بدوي وهيرمن كيس: المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة، القاهرة ١٩٥٨، ص ٦٥.

(٤٩) كتبت أسماء هذا النوع من المحفات بأشكال مختلفة أهمها: ، ، ، انظر: 

Pyr. 1452: 1470; Wb III, 441, 7-8; W.Westendorf, loc.cit.

Pyr. 1452: 1470.

R.O.Faulkner, *The Ancient Egyptian Pyramid Texts*, Oxford 1969, p. 224. (٥٠)

A.H.Gardiner, *op.cit.*, Sig. list L5, p.478. (٥٢)

R.Hannig, *op.cit.*, p. 1157 (Q13). (٥٣)

D.Meeks, *Année Lexicographique*, Tome III (1979), Paris 1982, Nr. (٥٤)

79.2519; R.Hannig, *op.cit.*, p. 692.

A.Mariette, *Abydos: description des fouilles exécutées sur l'emplacement de cette ville*; (٥٥)

Tome I, Paris 1869, 51a, 45.

.Pyr.1016 & 1906. (٥٦)

يستخدم للدلالة على المحفة إلا في عصر الدولة القديمة، وظل استخدامه قائماً فيما بعد، فورد ذكره على جدران المقبرة رقم ١١٠ بطيبة الغربية من عصر الأسرة الثامنة عشرة بمعنى "محفة"^(٥٧)، ويتضح من شكل مخصص الكلمة أنه يمثل كرسي يُحمل من الأمام والخلف^(٥٨)، وكان يستخدم هذا المخصص في بادئ الأمر للإشارة إلى قطع الأثاث^(٥٩).


ويبدو أن كلمة xndw هي اشتقاق من الفعل xnd بمعنى "يقوس" مضاف إليها النهاية -w للإشارة إلى اسم المفعول بمعنى "مقوس"^(٦٠)، وينبغي الإشارة هنا إلى أن كلمة xndw قد أضيفت إلى الاسم mdH للتعبير عن لقب mdH-xndw بمعنى "صانع المحفة"^(٦١).

٤-  / xwdw / xwdt^(٦٢)

كان يشار أيضاً في الدولة القديمة إلى المحفة بكلمة xwdt أو xwdw، وكان شكل المخصص المشار به إلى هاتين الكلمتين يدل على أن الواحدة منهما كانت خصصة للملك بصفته ملكاً للوجه القبلي، وأما الثانية فكانت مخصصة للملك بصفته ملكاً للوجه البحري، وتأكيداً لهذه الثنائية في التعبير فقد أضيفت نهاية مختلفة لكل اسم عن الآخر، وبالنسبة للكلمة المستخدمة للتعبير عن الوجه القبلي فقد أضيف لها النهاية

(٥٧) Wb III,317,7.

أنظر أيضاً: D.Meeks, *op. cit.*, II, 1978, no.78.3090; R.Hannig, *op. cit.*, p.610.


(٥٨) انظر شكل المخصص  حيث يظهر به مكان الحمل من الأمام ومن الخلف.

A.H.Gardiner, *Egyptian Grammar*, Oxford, 1957, p.546 (Q2).



Ibid. ; P.Klaus, Kuhlmann, *op. cit.*, p.9. (٥٩)

Loc. cit (٦٠)

R.Hannig, *op. cit.*, p.610. (٦١)


(٦٢) كتبت هذه الكلمة بأشكال أخرى متنوعة منها: 

Norman de Garis Davies, *The Rock Tombs of Deir el Gebráwi*, Part I, London, 1902, pl.14; Part II, pl.10; Wb III,250,3; Urk., I, p.43; D.Meeks, *op. cit.*, II, 1978, no.78.2971; CT, VI, 328c =R.O.Faulkner, *The Ancient Egyptian Coffin Texts*, vol.II, Warminster, 1978, 260; R.Hannig, *op. cit.*, p.589.


w والمخصص  (٦٣). وأما بالنسبة للكلمة المستخدمة للتعبير عن محفة الوجه البحري فقد أضيفت لها النهاية t والمخصص  (٦٤).

ويرى الباحث أن كلمة المحفة الدالة على الوجه القبلي اشتقاق من الفعل xwd بمعنى "يكون غني" مضاف إليه النهاية w لبناء الاسم (المصدر)؛ كما أن كلمة المحفة الخاصة بالوجه البحري اشتقاق من الفعل نفسه مضاف إليه النهاية t وذلك لبناء الاسم، وعادة ما تستخدم كلتا النهايتين لبناء المصدر من الفعل (٦٥)، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن لماذا استخدم المصري القديم النهايتين بدلاً من نهاية واحدة؟.

يرى الباحث أن المصري القديم قد أراد من وراء ذلك الإمعان في التوكيد وذلك للتفريق بين محفة الجنوب ومحفة الشمال من خلال النهاية المستخدمة لبناء الاسم وليس فقط من خلال المخصص، أيضاً يرى الباحث أن هذا الاشتقاق ربما يكون له معنى يدل على أن أصحاب هذا النوع من المحفات كانوا من علية القوم وأغنيائهم.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن حاملي المحفة كان يشار إليهم بالتعبير  xryw-xwdt (٦٦)، ويبدو أن هذه الكلمة لم تعد شائعة الاستخدام بعد عصر الدولة القديمة.

ثالثاً: أسماء المحفة في عصر الدولة الوسطى:

 qniw (٦٧)


W.Schenkel, *Tübinger Einführung in die klassisch-ägyptische Sprache und Schrift*, (٦٣) Tübingen, 1997,p.44.



Wb III,250,3.

بخصوص شكل المحفة xwdt انظر شكل رقم (٨).

W. Schenkel, *Loc. cit.*,

Percy Edward, Newberry, *The tombs of Beni Hasan*, vol.II, London, 1891, pl.16;32;Davies, (٦٦) *op. cit.*,pl.8 ;Wb III,389,8;Urk.,I,105.

قارن أيضاً التعبير:  Tbwty Xr (y) بمعنى "حامل الصنادل". انظر: Newberry, *op. cit.*,Part II,pl.16;Davies, *op. cit.*,pl.8;Wb III,389,8;Urk.,I,105;

(٦٧) كتبت هذه الكلمة بأشكال متنوعة منها:  ،  كما أخذت مخصصات مختلفة

منها:  ،  ،  Wb V,51,12-14.

ظهر هذا النوع من المحفات مع بداية الدولة الوسطى حتى العصر المتأخر^(٦٨). فقد وردت إشارة واضحة إلى هذا النوع من المحفات في بردية وستكار^(٦٩):



snDm.n.f m qniwn hbni nbAw m ssnDm gnX rf m
nbw

"جلس في محفة من خشب الأبنوس، قضبانها من خشب السنجم المكسو بالذهب"^(٧٠) ويرى Westendorf^(٧١) أن اسم المحفة qniw مشتق من الفعل qni بمعنى "يحتضن"^(٧٢). وقد استمر اسم هذا النوع من المحفات مستخدماً في عصر الدولة

الحديثة وكذلك خلال العصر المتأخر مضافاً إليه أداة التعريف . pA^(٧٣) وقد كتب اسم هذه المحفة في العصر اليوناني الروماني حداد^(٧٤) qnyt

مرتبطة باللقب ، wab-qnyt أي "الكاهن مطهر للمحفة"^(٧٤) مما يدل على أن هذا النوع من المحفات كانت له أهمية خاصة وهو ما لم يتوافر لغيره من المحفات الأخرى. وقد لاحظ الباحث أنه لم تظهر أسيما لأنواع أخرى من المحفات في عصر الدولة الوسطى.

Auguste, Mariette, *Dendérah: description générale du grand temple de cette ville*, vol. I, (٦٨) 1870.p.54; Marquis de Rochemonteix, and Émile Chassinat, *Le temple d'Edfou I*, MMAF 10, Le Caire, 1897, 365.

Westcar 7, 12, 14; William Kelly Simpson (ed.), *The Literature of Ancient Egypt, An* (٦٩) Miriam Lichtheim, *Ancient Anthology of Stories, Instructions and Poetry*, London, 1972, p.23; *Egyptian Literature, A Book of Readings*, Vol. I: The Old and Middle Kingdom, London, 1973, p.218; E. Brunner-Traut, *Altägyptische Märchen*, München, 1991, p.48.

William Kelly Simpson (ed.), *Loc. cit.*; Miriam Lichtheim, *Loc. cit.*; E. Brunner- (٧٠) Traut, *Loc. cit.*

W. Westendorf, "Zur Etymologie des Namens Osiris: *wAs. t-jr. t "Die das Auge trägt," (٧١) in: *Form und Mass, Beiträge zur Literatur, Sprache und Kunst des alten Ägypten*, Wiesbaden, 1987, p.459.


Ibidem. (٧٢)

Wb V, 51, 13. (٧٣)


Wb V.52, 1-3; D. Meeks, *op. cit.*, I, 1977, no. 77.4415; G.A. Gaballa, *The Mep- hite Tomb- (٧٤) Chapel of Mose*, Warminster, 1977, p.26 no.3, pl. LVIII (N 3), LIX (N 8), LX (N17); R. Hannig, *op. cit.*, p.860.


رابعاً: أسماء المحفة في عصر الدولة الحديثة:

استمر استخدام أسماء بعض المحفات التي ظهرت من قبل سواء تلك التي ظهرت في الدولة القديمة أو تلك التي ظهرت في الدولة الوسطى مثل: qniw ، wTs ، spa ، وإلى جانب تلك المحفات ظهرت بعض الأسماء الأخرى مثل: qAy / qtAyt و wTst و TnTat . وسوف يستعرض الباحث تلك الأسماء الجديدة على النحو التالي:

١-  qtAyt^(٧٥) (انظر شكل ٩)


لم تظهر هذه المحفة سوى في عهد الملك أمنحتب الرابع (إخناتون) (١٣٧٢-١٣٥٥ ق.م) ولم يُقدر لها الاستمرار بعد فترة العمارنة. وقد أورد قاموس برلين هذه

الكلمة هكذا:  ، بينما أوردها R.Hannig

هكذا:  وقرأها qAy^(٧٦)

٢-  wTst^(٧٧)

عُرف اسم هذه المحفة في عصر الأسرة التاسعة عشرة، وربما هو تغيير في اسم المحفة wTs التي ظهرت في عصر الدولة القديمة وذلك بإضافة حرف t إلى آخر مُسمى هذه المحفة^(٧٨) وعلى أي حال فقد استمر وجود هذه المحفة wTst حتى العصر اليوناني الروماني.^(٧٩) وقد دخل اسم هذه المحفة ضمن تركيب اسم الإقليم

ثلاثي من أقاليم مصر العليا (إقليم أنفو)^(٨٠) وهو  @r و wTst ومعناه "عرش/محفة حور"^(٨١)

Wb V, 72,4; Norman de Garis, Davies, *The Rock Tombs of El Amarna*, Part III, London (٧٥) 1905, pl.13.

R.Hannig, *op. cit.*, p.848,867. (٧٦)

(٧٧) كُتب اسم هذه المحفة بأشكال أخرى مثل:  ، 

Wb I, 384,7; D.Meeks, *op. cit.*, I, 1977, no.77.1101 "litière"; R.Hannig, *op. cit.*, p.226

(٧٨) انظر المحفة wTs .

Wb I, 384,7; A.Mariette, *Abydos*, I, Paris, 1869, 28 d; D.Meeks, *op. cit.*, I, 1977, (٧٩) no.77.1101.

W. Helck, *Die altägyptischen Gaue*, Wiesbaden 1974, pp.71-73. (٨٠)

Wb I, 384,8; P.Montet, *Géographie de l'Égypte Ancienne*, II, Paris, 1961, p.30. (٨١)

٣-  TnTAt (٨٢):

وردت هذه الكلمة في عصر الدولة الوسطى بمعنى "منصة أو مصطبة" dais/sédia ولم تُستخدم بمعنى "محفة" إلا ابتداءً من عصر الدولة الحديثة. وقد أكد كل من قاموس برلين (٨٣) و R.Hannig (٨٤) على أن معنى هذه الكلمة هو "محفة Tragsessel"، بينما ترجمها Faulkner (٨٥) و Meeks (٨٦) بمعنى "منصة" أو "مصطبة".

وقد استمر استخدام بعض أسماء المحفات السابقة خلال العصر المتأخر مثل: qniw, spA, wTst، في حين لم يُقدم لنا العصر المتأخر أسماء جديدة تختلف عن تلك التي سبق دراستها.

يُعتبر إقليم إدفو هو الإقليم الثاني من أقاليم مصر العليا، وأطلق عليه اليونانيون "أبولونوبوليس ماجنا" Appollinopolis magna.

Wb V, 385,3. (٨٢)

Wb V, 385,3. (٨٣)

R.Hannig, *op. cit.*, p.958. (٨٤)

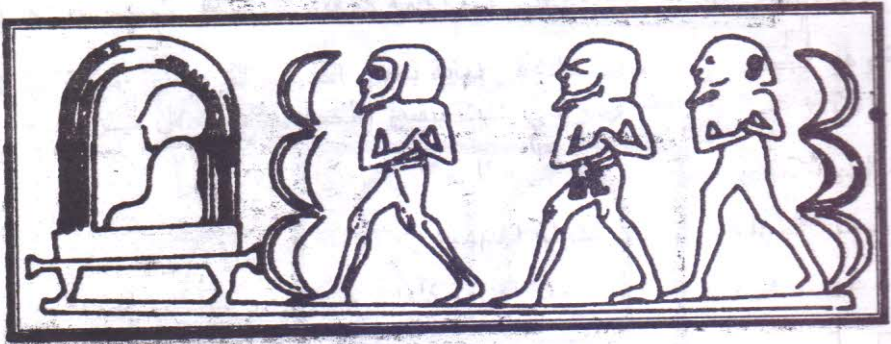
R.O.Faulkner, *op. cit.*, p.306; *Urk.*, IV, 140, 15. (٨٥)

D.Meeks, *op. cit.*, I, 1977, no.77.4947; III, 1979, no.79.3492. (٨٦)



(شكل ١)

شكل المحفة rpwt على مقمعة الملك نعر-مر

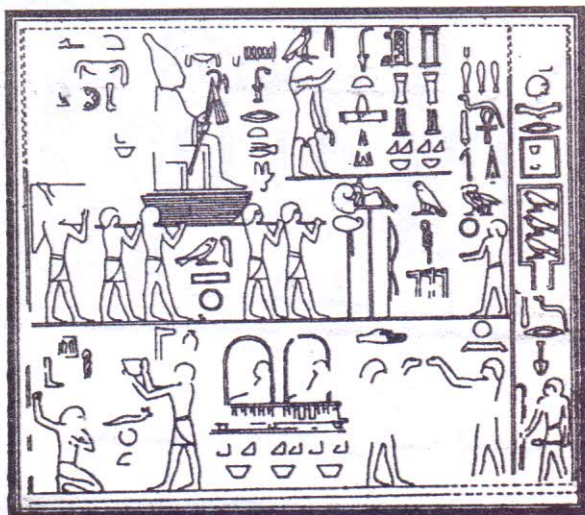


(شكل ٢)

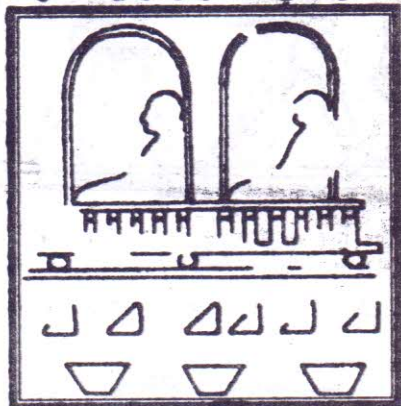
تفصيل من الشكل السابق

(شكلا ١-٢) نقلا عن:

J. E. Quibell, *Hierakonpolis I*, London 1900, pl. XXVI B.

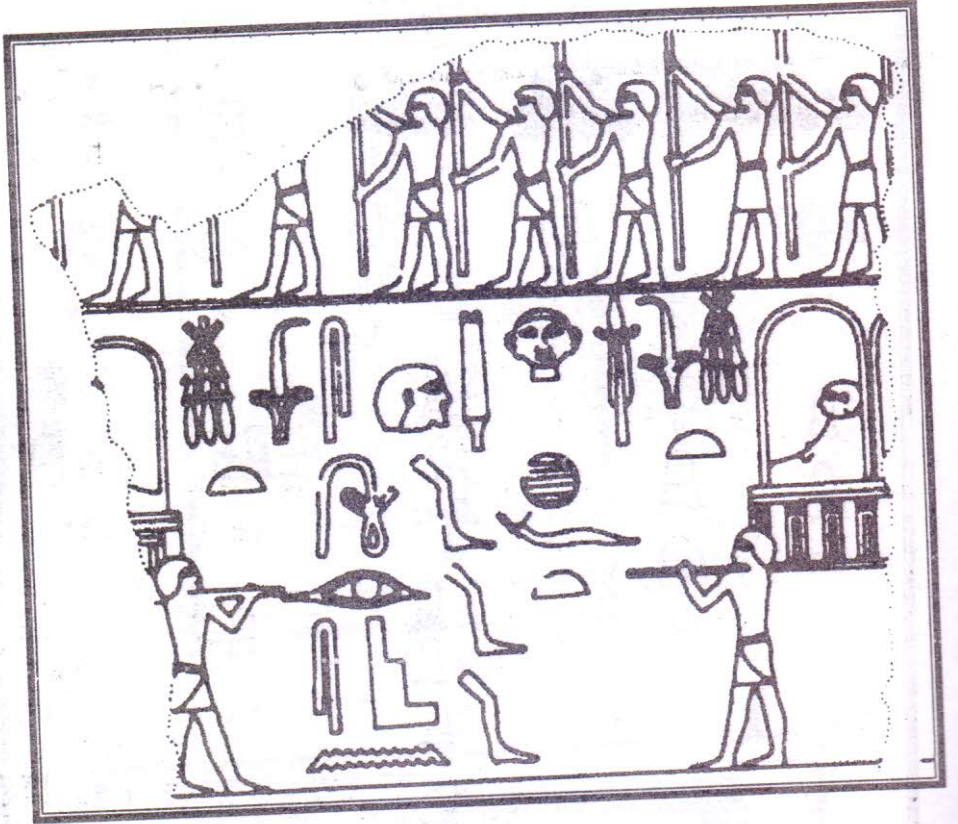


(شكل ٣)
المحفة rpwt في مناظر ونقوش الأسرة الخامسة



(شكل ٤)
تفصيل من الشكل السابق
(شكلا ٣-٤) نقلا عن:

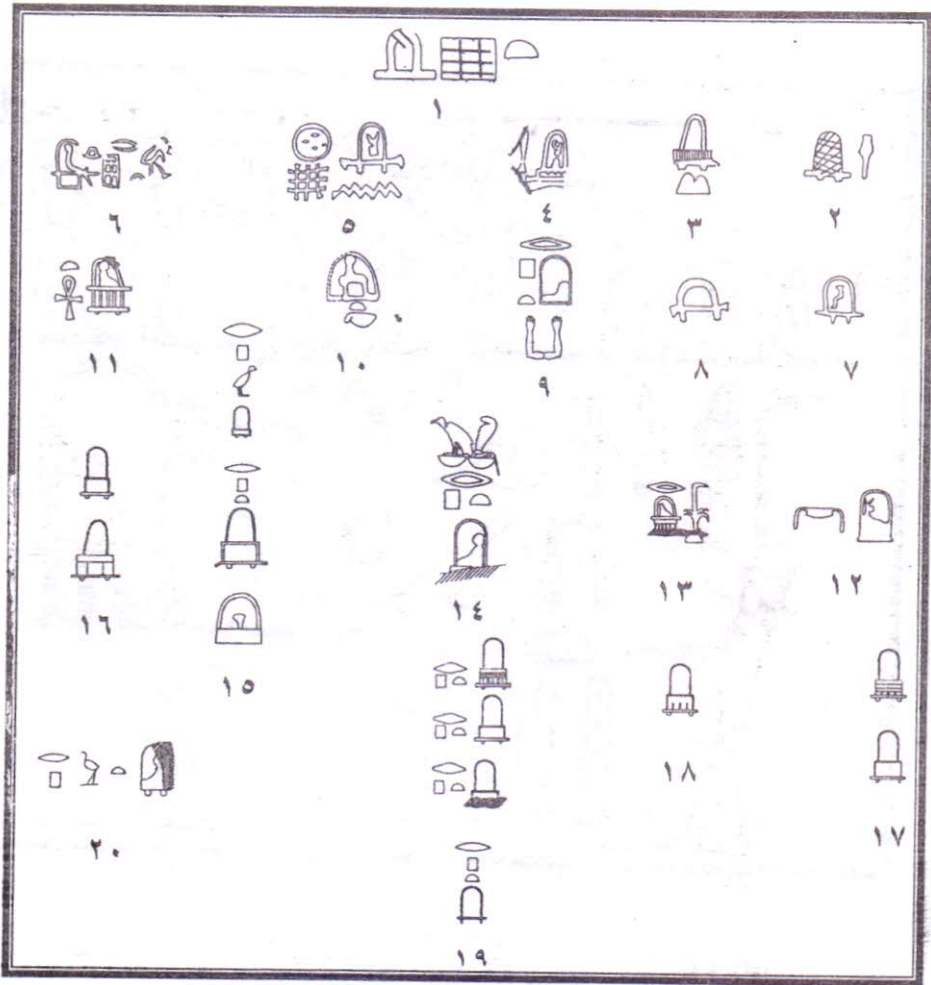
F.W. von Bissing, und H. Kees, *Das Re-Heiligtum des Königs Ne-Woser-Re (Rathures)*, Band II, Die Kleine Festdarstellung, Leipzig 1923, Blatt 18 (44d).



(شكل ٥)

المحفة rpwt وطريقة حملها في مناظر ونقوش الأسرة الخامسة

W. Kaiser, *op.cit*, Abb. I, 2.



(شكل ٦)

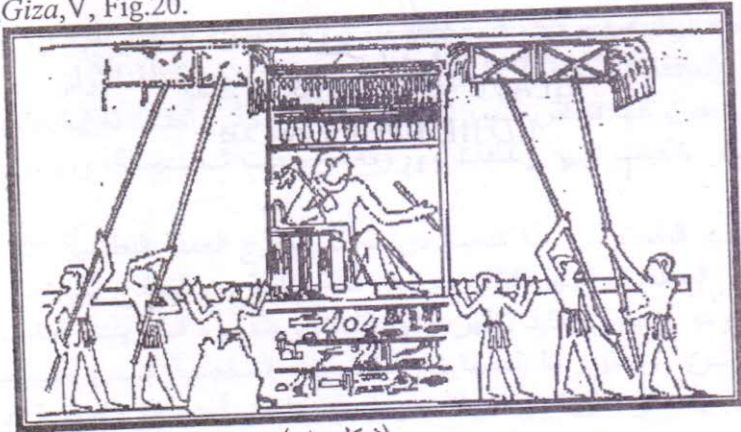
الأشكال المختلفة للمحفة rpwt في العصر المبكر والدولة القديمة
W. Kaiser, *op.cit*, Abb. 3.



(شكل ٧)

القزم سنب في محفته

H.Junker, *Giza*, V, Fig.20.

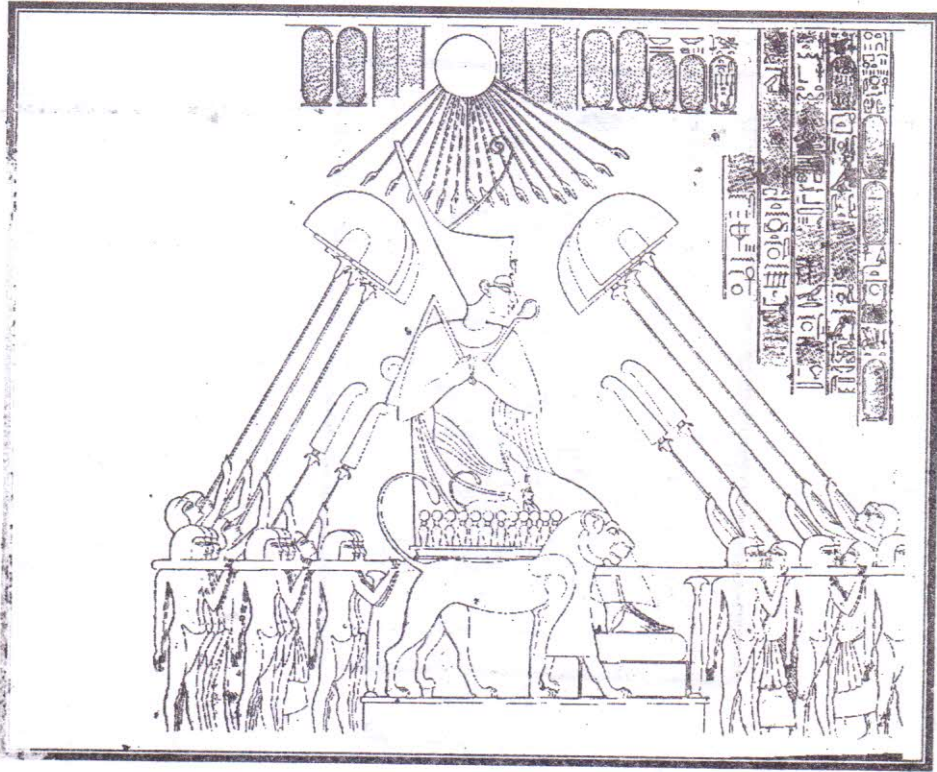


(شكل ٨)

المحفة xwdt

نقلا عن :

J.Vandier, *Manuel d'Archeologie Egyptienne*, Tome IV, Paris, 1964, Fig. 168.



شكل (٩)

الملك إخناتون في المحفة qtAyt

نقلا عن : LD III, 100 b.

مصر وسوريا ورواج العملة البطلمية

د. عزيزة حسن السيد سليمان محبوب*

مقدمة

مما لا شك فيه أنه في عصرنا الحالي ليس أمام الفرد منا سوى أحد مصيرين أما الجهل والتخلف ومستقبل مظلم أما العلم ومستقبل مشرق ولكن لا يكون لأى إنسان مستقبلا مشرقا دون أن يكون له ماضيا حضاريا مشرفا، والفن هو أهم وسيلة لمعرفة حضارة أى أمة، فالفن دائما هو مرآة عصره يعكس كل ما للمجتمع وما عليه، ويعكس كل الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والعقائدية التى مرت بها البلاد التى خرج منها.

دراسة العملة هي دراسة لواحد من أهم مجالات الفنون، إذا أن العملة تعطى صورة واضحة عن الملامح الشخصية لملوك البطالمة وهو الأمر الذى لا يتوافر فى الكثير من الفنون الأخرى، كما أنها تعكس بعض الأحداث السياسية الهامة فى تاريخ البلاد.

بلغ نشاط البطالمة فى إصدار عملاتهم سواء فى دار السك السكندرية أو فى الولايات الأخرى التابعة لهم، مدى كبيرا وتلك العملات كانت تلقى رواجا كبيرا فى أنحاء كثيرة من أسواق المال بالعالم آنذاك، و كانت أيضا من الدعائم الأساسية لتدعيم نفوذ البطالمة فى مملكتهم.

أختارت الباحثة دراسة العملات التى تتعلق بصورة مباشرة أو غير مباشرة أو حتى رمزية بإطار العلاقات المصرية-السورية، وأن كانت تبدو للوهلة الأولى أنها مرتبطة بالحروب، فى حين أنها تعكس صورا وطرز فنية، وتحكى أحداثا تاريخية ومؤامرات سيلية، وتظهر خلفيات دينية وثقافات موروثية، وصفات شخصية، وميول عامة وخاصة.

لا تقصد الباحثة من هذا البحث دراسة كل نماذج العملة البطلمية على طوال مراحل العصر البطلمى ولكنها أكتفت بدراسة القلة القليلة من النماذج التى تضح الهدف من الدراسة، وهو أظهار وتأكيد تظهر مدى الثبات والقوة الحيوية الكامنة فى الشخصية المصرية وأعتزازها بنفسها وكرامتها، تلك الشخصية التى أستطاعت أن تصمد بتحدى مهما مر عليها من غزاة ومهما مر بها من أحداث وخاصة الأحداث الأليمة التى عانى منها المصريون فى العصر البطلمى وهى من العملات البطلمية

* مدرس الآثار - كلية الآداب - جامعة المنصورة - تخصص آثار يونانية ورومانية

المحفوظة حاليا في المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية لكنها للأسف لم تسجل بعد،^٥

إختارت الباحثة مصر وسوريا تحديدا نظرا لما جاء في العديد من المصادر والمراجع والكتب والنصوص الأدبية العربية والإجنبية عن النزاع الطويل بين مصر وسوريا حول إقليم جوف سوريا (فلسطين) منذ بداية عصر بطلميوس الأول حتى عصر كليوباترا السابعة، وكان المصريون يعتزون أشد الاعتزاز بهذا الإقليم ويعتبرونه جزءا لا يتجزأ من الأراضي المصرية، وكان يزيد من حماسهم أن ملوك البطالمة هم أيضا كانوا غيورين جدا على هذا الإقليم العزيز، وكانوا يحاولون بشتى الطرق الحفاظ عليه سواء بطرق سلمية أو حربية، وستحاول الباحثة الربط بين العملة والحدث التاريخي دون الاستفاضة في سرد الأحداث التاريخية، لأنه ليس من سبيل لتوضيح الهدف من البحث دون شرح الأحداث التاريخية ولو بشكل مختصر.

أثبتت الأبحاث الأثرية أن مصر قد سكت عملات فضية وذهبية وبرونزية قبل الفتح المقدوني بعدة قرون، وربما أن وفرة العملات اليونانية-التي كان التجار اليونانيون يحضرونها معهم لشراء بضائعهم من مصر، ورغبة ملوك الفراعنة في دفع أجور الجنود المرتزقة اليونانيين بالطريقة التي اعتادوا عليها-كانا من أهم الأسباب التي جعلت المصريين يقدمون على إصدار عملات بدلا من نظام المقايضة الذي كان سائدا في المعاملات التجارية والمالية المصرية^(١)، وربما كان سك العملات بمصر تطورا للنظام الذي كان سائدا في المعابد المصرية^(٢) حيث كانت المعابد تصدر قطعاً معدنية من معادن مختلفة تحمل رموزا للآلهة.

أشهر العملات المصرية في العصر الفرعوني هي العملات التي سكت في عهد الأسرة السادسة والعشرون^(٣) والتي كانت تحمل على أحد وجوها رسم حصان راقص، وعلى الوجه الآخر كتابة هيروغليفية Nbw nfr ترجمتها ذهب خالص، وكانت قيمة العملات الفضية المصرية مرتفعة بالقياس لقيمة العملات الذهبية والبرونزية وكانت نسبة العملات الفضية أقل بكثير من العملات الذهبية وذلك لندرة الفضة في مصر وباهظة تكاليف استردادها من الخارج، ولكن المؤكد أن الفضة والعملات الفضية قد توافرت في مصر بعد غزو الإسكندر لها. وأزدهرت العملة

١- احمد أمين سليم، "محاضرات في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور وحتى الدولة الحديثة"، (الإسكندرية ١٩٩٥) ص ١٦٢

٢- سليم حسن "موسوعة مصر القديمة"، (الجزء السادس) (عصر رمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية)، (القاهرة ٢٠٠٠) ص ٢٠٥

3-Bianchi,R.S., "Munze eines der letzten einheimischen Pharaonen), in (A.Z.), (Mainz, 1889), P.184.

بمصر في عصر البطالمة، وكانت أهم أماكن دور السك الرئيسية في مصر آنذاك^(١) هي قبرص وفينيقيا ومصر وكورنثة وعدد قليل من المناطق الآسيوية. كانت العملات البطلمية تصنع من مختلف المعادن وأن كانت الأغلبية العظمى تصنع من الفضة أو الذهب أو البرونز أو النحاس^(٢)، وكانت الدراخمة اليونانية هي أهم فئات تلك العملات، وكانت مقسمة إلى فئات منها ديكا دراخمة Dekadrachmen وهي عشر درخمات أو ككتا دراخمة Oktadrachmen وهي ثمان درخمات، تترادراخمة Tetradrachmen وهي أربعة درخمات، و الديرادخمة Didrachm وهي درخمتان، بالإضافة إلى الستاتير Stater الذي يعادل درخمتان، والأوبول Obol بفئاته التي تعادل التقسيمات الصغيرة من الدراخمة وكانت العملات البطلمية في البداية تسك على المعيار الأتيكي وينسب إلى أتيكا، ثم أصبحت تسك على المعيار الرودسي وينسب إلى رودس ثم أصبحت تسك على المعيار الفينيقي وينسب إلى فينيقيا. كانت قيمة الذهب بالنسبة لقيمة الفضة تقدر بنسبة ١:٣، ١٣، وكانت قيمة النحاس بالنسبة لقيمة الفضة تقدر بنسبة ١:٣٠، وكان جرام الفضة القديم يعادل ٥,٤٤ من وحدة الأوزان الحالية، والجدول الآتي يعطينا خلفية بسيطة عن أوزان العملات البطلمية الفضية بكل تلك المعايير:

المعيار الفينيقي		المعيار الرودسي		المعيار الأتيكي		فئة العملة
المتوسط	العادي	المتوسط	العادي	المتوسط	العادي	معدلات الوزن
٥٤	٥٦	٥٣	٦٠		٦٧,٥	الدراخمة
١٠٩	١١٢		١٢٠		١٣٥	الديرادخمة
٢٢٨	٢٢٤	٢٤٣	٢٤٠	٢٦٥	٢٧٠	التترادراخمة
٤٢٩	٤٤٨					الأوكاتادراخمة
٥٤٦	٥٦٠					الديكاتادراخمة

(١)- الشكل العام لعملات البطالمة

كانت أغلب العملات البطلمية تظهر في شكل بورتريه portrait لبطلميوس الأول، أو بورتريه لأحد ملوك البطالمة على نفس طراز بورتريهات عملة بطلميوس الأول الذي كان في أغلب العملات يظهر في صورة جانبية موجهة ناحية اليسار، ويبدو بشكل رجل كبير مكللا رأسه بالعصبة الملكية المربوطة من الخلف ربطة بسيطة جميلة أقرب ما تكون إلى شكل الوردية، ويوجد شريط بأعلى الرأس ينسدل من هذه

4-Pool,R.S., "Catalogue of Greek Coins)in(The British Museum),(The Ptolemies Kings of Egypt), (London, 1883), PP. XIV-XV.
5-Ibid., P.XC.

العصبة على الجبهة ويصل حتى بداية العين اليسرى، كما أن هناك شريط في وسط الجبهة ملتف خلف الأذن ومربوط تحت الشعر حيث تظهر نهايته فوق الكتلة اللحمية الموجودة فوق الكتف الأيمن للملك، ويظهر الشعر الناعم حول العصبة متموجا كثيفا، بينما فوق الجبهة مباشرة يأخذ الشعر شكل كتلة صغيرة تنتشر فوقها وبجانبيها الخصلات المموجة، وهناك كتلة شعر غريبة الشكل فوق الأذن مباشرة، وأمام الأذن خصلات رفيعة مموجة جميلة، وعموما فخصلات الشعر تبدو كثيرة الحركة وكأن الهواء يطيرها، وخلف الرأس يوجد حرف Δ ، أما وجه بطلميوس فيميل ميلا خفيفة إلى الأمام، ويبدو حزينا منهكا معبرا عن هول ما لقيه صاحبه من صراعات ومناقسات، ونرى في هذا الوجه الجبهة المتورمة، والواجب الطويلة الطبيعية، والعيون الواسعة المرهقة ذات الجفون العلوية الواسعة، والأنف الطويل الكبير، والفم المفتوح بالشفاف الغليظة، والذقن الكبيرة البارزة وأيضا نرى في هذا الوجه علامات الزمن حيث التجاعيد الشديدة بالجبهة وتحت العين وبالأنف وحول الفم وبالرقبة التي تظهر بها العروق، وبنهاية الرقبة آثار لبداية الرداء التي تأخذ شكل حافة رفيعة مربوطة في وسط الرقبة بشريط يتطاير إلى أعلى، أما النسرين فيصور بطريقة الثلاثة أبعاد موجهها بجسمه ووجهه ناحية اليمين ضامما جناحه الأيسر وفاردا جناحه الأيمن فردة خفيفة وقدمه متشبسة بالصاعقة للتعبير عن تمسك الملك بمملكته بكل قوته، ويوجد أمام النسرين حرف M، وخوله يوجد النقش ΒΑΣΙΛΕΩΣ ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ الذي أعتقد أنه يعنى (أنا عملة) الملك بطلميوس أو الملك بطلميوس.



وجه العملة



ظهر العملة

عملات فضية فئة الديرارخمة سكت على المعيار الفينيقي تحمل على الوجه صورة بطلميوس الأول، وعلى الظهر النسرين على الصاعقة^(١) مع نقش بطلميوس

ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ ΣΙΛΕΩΣ ؛ ΒΑ

محافظة حاليا في المتحف اليوناني بالإسكندرية

1-Mackay, J., "The Beginner's Guide to Coin Collecting Cooyright", (London, 1991), P.72.

(٢)- عملات مرتبطة بالحرب السورية الثالثة^(١)

كان سبب نشوب الحرب السورية الثالثة بين مصر وسوريا هو احتدام الصراع بين "لاوديكي" الزوجة الأولى "لأنطيوخوس الثاني" ملك سوريا، وزوجته الثانية "برنيكي" ابنة "بطلميوس الثاني"^(٢) ملك مصر، إذ كان طبيعياً أن تكافح كلا منهما من أجل ارتقاء ابنها عرش أبيه في سوريا عقب وفاة "أنطيوخوس الثاني"، خاصة وأن كلا منهما كانت لها من مراكز القوة ما يدعم موقفها، فمن ناحية كان مركز "لاوديكي" قوياً في سوريا^(٣) إذ أنها في عام ٢٤٦ ق.م كانت قد أفلحت في اغراء زوجها "أنطيوخوس الثاني" على زيارتها في أفيسوس بعد أن هجرها وأبعدها مع أولادها إلى آسيا الصغرى-أثر زواجه من "برنيكي"-، وأثناء تواجد "أنطيوخوس الثاني" في أفيسوس مرض فجأة وتوفي، ونودي بابنه الأكبر من "لاوديكي" ملكاً باسم "سلوقس الثاني" نسبة إلى جده "سلوقس الأول"^(٤) مؤسس الدولة السلوقية في سوريا، ومن الطبيعي أن يكون "أنطيوخوس الثاني" نفسه قد نادى-قبل وفاته-بأن يكون ابنه "سلوقس" خليفة له، فعلى الرغم من أن المصادر القديمة^(٥) تذكر أن "لاوديكي" دست السم لزوجها وبعد وفاته أحضرت شبيهاً له مثل دور الملك وهو في سكرات الموت وأوصى أتباعه بالولاء لسلوقس ابن "لاوديكي" إلا أنه ليس من المستبعد أن هذه السيدة كانت قد بادرت إلى إنتهاز فرصة أستعادة حظوظها لدى زوجها الملك^(٦) وظفرت منه بالاعتراف بولاية العرش لابنها الأكبر، بل لا يستبعد أن يكون "أنطيوخوس الثاني" عندما أتاه نبأ وفاة صديقه "بطلميوس الثاني" قرر مصالحة "لاوديكي" وإعادة أواصر المحبة والصفاء معها بقصد إعادة ولاية العرش لأبنائها، لأنه كسياسي محنك لا بد أنه كان يعرف كم المخاطر التي تهدد دولته من وصاية طويلة الأمد إذا خلفه على العرش ابنه الطفل من "برنيكي"-طبقاً لما أتفاق عليه مع "بطلميوس الثاني"^(٧)-، في حين أنه لم يكن هناك مجال لأية وصاية إذا خلفه ابنه الأكبر من

١- إبراهيم نصحي، "تاريخ مصر في عصر البطالمة" (الطبعة السادسة)، (القاهرة ١٩٧٩) صفحات ١٣٧-١٣٢

2-Préaux,C., "L'economie royal des Lagides", (Bruxdelles, 1939), P. 142.

3-Ibid., p. 142f.

4-Louguet, P., "Alexandwr the Great and Hellenstic Civilization", (Chicago, 1978), P. 193.

5-Polybius, "Histories", (Trans by Jones, L.C.L., 1966), P. 98.

٦- إبراهيم نصحي، "المرجع السابق" ص ١٣٣

٧- كان "بطلميوس الثاني" قد أفلح في كسب صداقة "أنطيوخوس الثاني" وأغراه بالزواج من ابنته "برنيكي"، وأتفق معه على أن تبقى "برنيكي" معه في أنطاكيا عاصمة الدولة السلوقية، وأن يكون بينهما-إذا أنجبت ولداً-وريثاً لعرش السلوقيين، وأنجبت "برنيكي" ولداً بالفعل، وأصبح وريثاً لملك السلوقيين، ومما لا شك فيه أن الصداق الكبير الذي حملته "برنيكي" لأنطيوخوس الثاني هو السبب وراء موافقته على هذا الأمر رغم علمه بما قد يعود عليه وعلى دولته من مخاطر- راجع؛

"لاوديكي" الذي كان عندئذ يناهز التاسعة عشرة من عمره، ولايستبعد أيضا أن تكون "لاوديكي" بعد فوزها بأمنيتها قضت على زوجها خوفا من أن يقع تحت تأثير "برنيكي" ويغير رأيه، كما أن مركز "لاوديكي" كان قويا في آسيا الصغرى، حيث أن أخيها الإسكندر كان حاكما لولاية ليديا وكان يدعم موقفها^(١)، إلى جانب أن بعض المدن السورية اعتبرت ابنها هو الوريث الشرعي لعرش سوريا، ومن ناحية أخرى كان مركز "برنيكي" قويا في أنطاكية^(٢) وكان يؤيدها بعض القادة على الرغم من وجود فئة قوية في أنطاكية كانت تؤيد "لاوديكي"^(٣)، كما كانت باقي المدن السورية تؤيد "برنيكي"^(٤) خاصة بعدما بادرت إلى الرد على مناورة "لاوديكي" ببيانها هاجمت فيه الحق الذي أدعاه "سلوقس الثاني" لنفسه في العرش وأتهمت "لاوديكي" بدس السم لزوجها وتزيف أعرافه بسلوقس خليفة له، هذا فضلا عن أن "برنيكي" كانت على مقربة يسيرة من مصر، وناشدت مساعدة أخيها "بطلميوس الثالث" الذي تولى العرش بعد وفاة والده "بطلميوس الثاني" وأصبح ملك مصر، ولقد أسرع "بطلميوس الثالث" بجيشه إلى آسيا^(٥) لدعم حقوق أخته وإبناها في سوريا ولينتقم من السلوقيين والمؤيدين للوديكي وإبناها، فلا شك أن اعتلاء "سلوقس الثاني" عرش سوريا كان يعد تحديا صارخا لمصر وترك "بطلميوس الثالث" زوج "برنيكي الثانية" في مصر لتحكم البلاد إلى حين عودته من آسيا، ولذا سكت إحدى العملات البطلمية بشأن هذا الحدث تحمل صورة وأسم "برنيكي الثانية"^(٦).

- = سليم حسن "موسوعة مصر القديمة"، (الجزء الخامس عشر)، (من أواخر عهد بطلميوس الثاني إلى آخر عهد بطلميوس الرابع)، (القاهرة ٢٠٠٠)، ص ١٢٩
- ٨- عنايات محمد أحمد، "تاريخ مصر في العصريين اليوناني والروماني"، (الإسكندرية ٢٠٠٥)، ص ٧٦
- ٩- إبراهيم نصحي، "المرجع السابق" ص ١٣٣
- ١٠- سليم حسن، "المرجع السابق" ص ١٣٠
- ١١- عنايات محمد أحمد، "المرجع السابق" ص ٧٦

1-Chauveau,M., "L'Egypte au temps de Cleopatre 190-30-av.J-C", (Gifts of 1998), P.13.

2-Seltman, Ch, (Greek Coins. A Histore of metallic currency and coinage down to the fall of Hellenistic Kingdoms), (London, 1960), P.242.



وجه العملة



ظهر العملة

عملة فضية فئة التترادراخمة، سكت على المعيار الفينيقي، تحمل على الوجه صورة "برنيكي الثانية"، وعلى الظهر قرن الخيرات، مع نقش

ΒΕΡΕΝΙΚΗΣ ΒΑΣΙΛΙΣΣΗΣ "برنيكي بازيلويسيس" [الملكة برنيكي]

محفوظة حالياً في المتحف اليوناني الروماني

في الصورة بورترية portrait لبرنيكي الثانية زوجة "بطلميوس الثالث" في صورة جانبية موجهة نحو اليسار مرتدية التاج stephane، وهو تاج دائري ذو حافة عالية بارزة بأعلى الرأس مزخرفة بزخارف نباتية فتبدو وكأنها زهرة لوتس، ينسدل منه وشاح طويل نو طيات وثنايات عديدة يصل إلى ماتحت الأكتاف، وتزين هذا التاج على كل جانب من جوانبه نجمة، وعلى الجبهة أسفل التاج نرى خصلات الشعر المموجة التي تأخذ شكل بوكلات، ثم يأخذ الشعر في نهاية الرأس شكل كعكعتين مجعدتين متداخلتين تنسدل منهما خصلات طويلة ناعمة مسترسلة تصل حتى الرقبة وتظهر بجانب طيات وشاح التاج، ويلتف خلف الأذن قرن صغير للكيش أمون، ونرى بالوجه الحواجب المقوسة والعيون الجريئة الياقظة، وهناك بروز بعظام الخدود الملساء حول تلك العيون يفصلها عن الخدود، والأنف الطويل المحذب، والفم المعتاد المغلق، والذقن البارزة، وخلف رأس الملكة بالقرب من مؤخرة الرأس توجد بعض الرموز، وعلى ظهر العملة يوجد قرن خيرات منفرد كبير مصور بطريقة الثلاثة أبعاد باتجاه اليمين، ومزخرف بزخارف جميلة، وتملئه الفواكهة ويتساقط على جانبه الأيمن عنقود عنب، ومربوط من الوسط بشرائط تتدلى فروعها إلى أسفل، وحول قرن الخيرات يوجد نقش **ΒΕΡΕΝΙΚΗΣ ΒΑΣΙΛΙΣΣΗΣ** "الملكة برنيكي".

نلاحظ في النقش الموجود على ظهر تلك العملة تغير عن ما كان معتاداً ويتمثل هذا التغير في إضافة أحرف التانيث لكلمة ملك **ΒΑΣΙΛΕΩΣ** لتصبح ملكة **ΒΑΣΙΛΙΣΣΗΣ**^(١)، وفي رأى أن الفنان قد تعمد كتابة هذا النقش بقصد التأكيد على

1-Donaldson, W.L., "A First Greek Course", (London, 1966), PP. 5ff.

ملكة "برنيكي الثانية" قد أثبتت كفاءة في حكم مصر وحدها أثناء غياب زوجها عن بسبب حروبه في آسيا، ولا يستبعد أن يكون ذلك كان بأمر من الملكة نفسها عد للمعارضين من القورنيين لفكرة زواجها من "بطلميوس الثالث"^(١) أنها بهذا الزواج لم تصبح ملكة على عرش قورينة فحسب بل عرش مصر أيضا، وبخاصة أنه على الرغم من أنه بمقتضى هذا الزواج قد تم ضم بلاد قورينة من جديد إلى الدولة المصرية^(٢)، غير أن قورينة مع ذلك ظلت محافظة على سيادتها الداخلية، وأن لم يكن الأمر كذلك لكن من الأولى أن يكتب الفنان النقش المعتاد **ΒΑΣΙΛΕΩΣ ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ ΒΑΣΙΛΕΩΣ ΒΕΡΕΝΙΚΗΣ** الذى يتضمن الإشارة إلى برنيكى زوجة الملك، أو النقش **ΒΕΡΕΝΙΚΗΣ ΕΥΕΡΓΕΤΕΣ** "برنيكى يورجيتيس" الذى يتضمن الإشارة إلى برنيكى زوجة الخير-المحسن (الملك بطلميوس الثالث) مثل النقش **ΑΡΣΙΝΟΥΣ ΦΙΛΑΔΕΛΦΟΥ** "أرسينوى فيلادلفوس"^(٣) الذى ظهر على العملات التى تحمل صورة "أرسينوى الثانية"، والذى يتضمن الإشارة إلى أرسينوى المحبة لزوجها وأخيها فيلادلفوس [الملك بطلميوس الثانى].

صورة "برنيكى الثانية" على تلك العملة تكاد تكون مطابقة لصورة "أرسينوى الثانية"^(٤) على العملات التى أصدرها "بطلميوس الثالث" لأرسينوى الثانية^(٥)،

٢-"برنيكى الثانية" هى ابنة عم "بطلميوس الثالث" الذى كان يسمى "ماجاس" وكان حاكما لقورينة، وأستطاع أن يستقل بها عن مصر بعد أن كانت تابعة للدولة المصرية، وقبل وفاته خطب وريثته "برنيكى الثانية" لولى عهد مصر "بطلميوس الثالث" لأنه كان يدرك استحالة وقوف قورينة فى وجه مصر بعد وفاته، لكن الزواج لم يتم إلا بعد وفاة "ماجاس" حيث أن "أباما" أرملة "ماجاس" رأت بعد وفاة زوجها أنها إذا حالت دون أتمام هذا الزواج، يمكنها الاحتفاظ بأستقلال قورينة، فزوجت ابنتها من "يميتريوس" الأخ غير الشقيق لجوناتاس حاكم مقدونيا والعدو للدود لبطلميوس الثانى، إلا أن "برنيكى الثانية" سرعان ما دبرت مؤامرة لقتل "ديميتريوس" - راجع ؛

-Csaba, A., "Prosopographia Ptolemaica" (V-X, Foreign Ethnic in Hellenistic Egypt", (Peeters, 2002), P.351.

3-Justin.,XXVI,3,2.

4-Davis,N. & Kroay,C.M.,(The Hellenistic Kingdoms, Portrait Coins and History),(London,1973),

3-Justin.,XXVI,3,2.

4-Davis,N. & Kroay,C.M.,(The Hellenistic Kingdoms, Portrait Coins and History),(London,1973), PP.154f.

1-Hölbl,G., "History of The Ptolemaic Empire',(London and New York),Fig.2.

والفرق الوحيد أن ملامح "برنيكى الثانية" تبدو ملامح امرأة واثقة من نفسها و متمكنة من العرش، بينما وجه "أرسينوى الثانية" تظهر فيه ملامح تجمع بين أنطباعات الذكاء والمكر والمقدرة السياسية وحب السلطة والقلب الجريء المعروفين عنها، وأنطباعات الرعب والخوف من ضياع عرشها أو فقدها للسلطة كما حدث لها في مقدونيا قبل أن تتزوج بطلميوس الثانى .

ظهور قرن الكبش أمون-الذى كان يظهر أساسا على رعوس الملوك-خلف أن "أرسينوى الثانية" و"برنيكى الثانية"، من المحتمل أن يكون أيضا بقصد الإشارة إلى أن كلا منهما كانت تحكم البلاد وكان هي الملك نفسه، ويذكرنا ذلك بالملكة الفرعونية "حتشبوت" التى حكمت بمفردها، والتى كانت تحب أن تظهر فى صورة الرجال^(١) .



وجه العملة



ظهر العملة

عملات فضية فئة الدينارخمة سكت على المعيار الفينيقى تحمل على الوجه صورة أرسينوى الثانية، وعلى الظهر قرن الخيرات^(٢)، مع نقش

"ΑΡΣΙΝΟΥΣ ΦΙΛΑΔΕΛΦΟΥ" - فيلادلفوس - أرسينوى

[أرسينوى المحبة لأخيها]

محفوظة حاليا فى المتحف اليونانى الروماتى

٢- كانت "أرسينوى الثانية" زوجة "بطلميوس الثانى" والد "بطلميوس الثالث"، ولم تكن أما لبطلميوس الثالث، وإنما تبنته وريته، وكانت هى الحاكمة الفعلية للبلاد فى عهد "بطلميوس الثانى" لذا أصدرت لها العديد من العملات-راجع

Flamarion,E., "Cléopâtre vie et mort d' un Pharaon", (Gallimard, 1993), PL. I. 54. -

٣- أحمد سليم، "المرجع السابق" ص

4- Overbeck, B., "Munzen der Ptolemaer und ihre Zeitenwener", in (Agypten um die Zeitenwende), (Mainz, 1989), P. 188. No. 57Bb.

هناك أيضا منظر قرن الخيرات الخاص بالإلهة "إيزيس"، والذي كان يشير إلى الرخاء والأزدهار في مصر^(١)، وظهرت الملكة "أرسينوى الثانية" كثيرا وهي تحمله في إحدى يديها لدرجة أنه أصبح علامة مميزة لها، ووقد تكرر ظهور قرن الخيرات مع الكثيرات من الملكات البطلميات-التي حكمن بعد الملكة "أرسينوى الثانية"^(٢)- كتقليد لها و للإلهة "إيزيس".



تمثال من البرونز، يصور "كليوباترا السابعة"^(٣) قرن الخيرات، محفوظ حاليا في متحف San Pietroburgo, Ermitage



نحت غائر بجدران معبد دندرة، يصور "كليوباترا السابعة"^(٤) في هيئة "إيزيس" التاج من أسفل يشبه تاج stephane

١- عزت قادوس، "فنون الإسكندرية القديمة" (الإسكندرية ٢٠٠٠)، ص ٢٩٣

2-Car, M. "History of Rome", (London, 1988), PP. 245-247.

3-Walker, S., Higgs, P., "Cleopatra Regina d'Egitto", (Roma, 2000-2001) P. 103, Fig. 1.

4-Ibid., P. 119, Fig. 11.4.

(٣)- عملات مرتبطة بانتصارات "بظلميوس الثالث" في الحرب السورية الثالثة^(١)
 أرسل بظلميوس الثالث أسطولا إلى مقاطعة سولى فى ولاية قيليقيا فاستولى عليها وعلى الأموال التى كان حاكم تلك المقاطعة قد أعدها لمساعدة "لاوديكي"، كما استولى على ممرات الطوروس، ودخل سلوقية بيرية قرب مصب نهر العاصى ثم أنطاكية. وتقدم حتى نهر دجلة وقلب أسيا فى عام ٢٤٦-٢٤٥ ق م، وكان بأمكانه الإستيلاء على سوريا كلها والقضاء على الدولة السلوقية^(٢)، إلا أنه لم يفعل ذلك وأنفذ الرسل بأسم أختيه إلى حكام الولايات الشرقية يطلب منهم الطاعة فأذعنوا، ثم عين حاكما عاما على هذه الولايات، وبعد ذلك عاد إلى مصر .

هناك أراء تقول أن سبب عودة "بظلميوس الثالث" سريعا إلى مصر هو علمه بمقتل أختيه "برنيكى" وإينها^(٣)، بعدما قاومت عدوتها "لاوديكي" بشجاعة لا مثيل لها وبذلك لم يعد هناك سبب لأستكمال حروبه فى أسيا، لكن الأاحتمال الأرجح هو أن السبب الرئيسى وراء عودته "بظلميوس الثالث" سريعا إلى مصر، هو قيام الثورة فيها لحدوث مجاعة^(٤)، ولذلك نعتقد أن برنيكى وإينها لم يقتلا إلا فى عام ٢٤٥ ق م، عندما وقعت فتنة فى أنطاكية ذهب ضحيتها، ولو كان قد علم بخبر موت أختيه وإينها وهو لا يزال فى أسيا لكان الأولى به أن يواصل حروبه بها أنتقاما من القتلة وأعاونهم .

عندما عاد "بظلميوس الثالث" إلى مصر ترك حاميات فى قيليقيا وسوريا، لكن "سلوقس الثانى" بادر إلى دعم مركزه فأكتسب بزواج اخته محالفة "ميثريداتيس" ملك يونتوس و"ارياراثيس" ملك قبادوقيا، وأستطاع بلباقته السياسية أن يستميل أغلب المدن الإغريقية فى أسيا الصغرى فضلا عن مساندة العديد من المدن الإغريقية له أعتزافا بالجميل لوالده "أنطيوخوس الثانى" الذى وهبهم الحرية^(٥)، وفى عام ٢٤٥-٢٤٤ ق م أستعاد الولايات الوسطى والشرقية وجانبا من قيليقيا وكل سوريا السلوقية فيما عدا سلوقية بيرية^(٦)، وفى عام ٣٤٣ ق م حاول أسترداد شواطئ قيليقيا وسلوقية وغزو جوف سوريا، لكن العواصف حطمت أسطوله، وأنزل به الجيش البطلمى هزيمة فادحة فأرند إلى أنطاكية، وفى عام ٢٤٣ ق م حاصرت قوة مصرية دمشق ولم يستطع "سلوقس الثانى" إنقاذها إلا فى العام التالى عندما جاء أخوه "أنطيوخوس هيراكس" لنجدته، لكن كل الشاطئ السورى حتى سلوقية بيرية بقى فى قبضة "بظلميوس الثالث"^(٧)

1-Chauveau,,op.cit.,P.13.

2-Hölbl,,op.cit.,P.48.

٣-محمود إبراهيم السعدنى،"تاريخ مصر فى عصر البطالمة الأوائل"،(القاهرة-بدون تاريخ)ص ٥٦

٤-مصطفى العبادى،"مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى"،(القاهرة ١٩٨٥)،ص ٦٩

٥-سليم حسن،"المرجع السابق"ص ١٣٩

٦-محمود إبراهيم السعدنى،"المرجع السابق"ص ٥٧

7-Préaux,C., "Le Monde Hellénistique, la Grèce et l'Orient 323-146 J.C.", (Paris, 1989), P. 141.

عاد "بطلميوس الثالث" إلى مصر حاملا معه الكثير من ممتلكات المعابد المصرية التي كان الفرس قد أستولوا عليها ونقلوها إلى بابل^(١)، وعمل هو وزوجته على أنقاذ البلاد من المجاعة فخفض الضرائب ووزع الغلال بدون مقابل على الشعب المصري والكهنة وأصدر بذلك مرسوم سمي بقرار "كانوب"^(٢)، كما سكنت العملات من تخليد كل تلك الانتصارات والأعمال الخيرة التي قام بها الملك.

- في الصورة عملة ذهبية عليها تمثال نصفي لبطلميوس الثالث في صورة جانبية موجها نحو اليسار في شكل رجل ضخم مفتول العضلات متوجا بتاج عالي كبير ذو شعب مشعة تتساقط أربطته على مؤخرة الرأس، ويظهر الشعر من بين هذا التاج ومن تحته ومن خلفه بشكل خصلات مموجة قصيرة، ويرتدي الملك رداءاً سميكاً ذي زخارف عديدة وليس له أكمام، وبالجانب الأيمن من رقبة الملك توجد حلقة تشبك الرداء مع جلد الأسد المتساقط خلف الكتف الأيمن وملتقا عبر الظهر لنراه على الكتف الأيسر، ويعلق الملك صولجانا في رقبته ويظهر أحد أطراف هذا الصولجان على الجانب الأيمن من الرقبة في حين يظهر الطرف الثاني مرتفعا نحو حلق الرقبة، وفوق الكتف الأيمن توجد الشوكة أو الحربة ذات الثلاث شعب، وترتفع تلك الحربة إلى أعلى فتنقارب من الشعر عند نهاية الرأس، وفوق الثدي الأيسر يوجد تاج زيوس المزين بنبات الغار المرتفع لأعلى، أما وجه الملك فهو وجه كبير نرى فيه الحواجب المقوسة تقوس بسيط وتكاد تقترب من الشكل المستقيم، والعيون الواسعة، والأنف الطويل المحدب والفم المغلق، والشفة العليا تأخذ شكل القلب، والذقن العالية، والخدود الملساء، ويضع الملك في رقبته الممثلة قلادة، أما قرن الخيرات الرائع فمصور بطريقة الثلاثة أبعاد في إتجاه اليمين، وهو قرن منفرد مربوط بأشرطة تتدلى على جوانبه، وتوجد حروف ΔΙ بين الشريط الأيسر وقرن الخيرات، ويوجد حول قرن الخيرات النقش ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ ΒΑΣΙΛΕΩΣ "الملك بطلميوس"

٨- إحصار تماثيل الآلهة المصرية من فارس هي صيغة أعتاد الكتبة المصريون كقاعدة لكتابتها في اللوحات، حتى وأن لم يذهب البطالمة إلى آسيا، لكن "بطلميوس الثالث بالفعل أحضر بعض تماثيل الآلهة المصرية ووضعها في مكانها بالمعابد المصرية - راجع: - عنايات محمد أحمد، "المرجع السابق" ص ٧٠-٧١

٩- مصطفى العبادي "المرجع السابق" ص ٦٩



وجه العملة



ظهر العملة

عملات ذهبية فئة الدراخمة، سكّت على المعيار الفينيقي، وكانت تحمل على الوجه صورة بطلميوس الثالث، وعلى الظهر قرن خيرات مشع، مع النقش
ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ ΒΑΣΙΛΕΥΣ ^(١) "بطلميوس بازيلبوز" [الملك بطلميوس]
 محفوظة حاليا في المتحف اليوناني الروماني

تصوير الملك "بطلميوس الثالث" بالتاج المشع الخاص بالإله اليوناني "هيليوس" إلى الشمس ^(٢) لدى اليونانيين، فيه تمجيد للملك وتعبير عن أشراقه أرض مصر بالفرحة بعدما أرجع الملك الكثير من ممتلكات المعابد المصرية من فارس، كما أن شكل الحربة ذات الثلاث شعب الخاصة بالإله اليوناني "بوسيدون" إله البحار والمحيطات التي كان بها يزلزل الأرض ويشق الصخور، هو أيضا إشارة إلى أن الملك عبر البحار و وصل إلى سوريا وتمكن من زلزلة أرض أعدائه، وهذا ليس بغريب فقد أتبع البطالمة فقد وضع ملوك البطالمة أنفسهم في مصاف الآلهة أتباعا لسياسة الفراعنة ^(٣).
 مثلما أشار الفنان إلى فرحة البلاد بما حققه "بطلميوس الثالث" من إنتصارات في آسيا، على العملات الخاص أشار أيضا إلى نفس الشيء على عملات "برنيكي الثانية"، بوضع نجمتين على جانب من جوانب قرن الخيرات وهي عملات مماثلة لعملة "برنيكي الثانية" (السابقة الذكر).

1- Svoronos, J.N., "TA NOMISMATA TOY KRATOUS TON ΠΤΟΛΕΜΑΙΩΝ I-IV", Athen, 1904-1908), (Trans by Regling, K.), No. 1117, PL. 36. Figs 1-2.)

٢- عزت قادوس "العملات اليونانية والهليلستية". الإسكندرية ١٩٩٩ صفحات ٤٢-٤٣

3- Ellis, W.M., "Ptolemy of Egypt", (London, 1994), P. 105-108.



وجه العملة



ظهر العملة

عملة فضية فئة التترادراخمة، سكنت على المعيار الفينيقي، تحمل على الوجه صورة "برنيكى الثانية"، وعلى الظهر قرن الخيرات وبكل جانب من جانبيه نجمة^(١)، مع نقش ΒΕΡΕΝΙΚΗΣ ΒΑΣΙΛΙΣΣΗΣ "برنيكى بازيلويسيس" [الملكة برنيكى] محفوظة حاليا في المتحف اليونانى الروماني

(٤) - عملات مرتبطة بالحرب السورية الرابعة ومعركة رفح^(٢)

توفى "سلوقس الثانى" ملك سوريا وتولى من بعده أنطيوخوس الثالث الذى أنتهز فرصة وفاة "بطلميوس الثالث" ووقفه على سيرة "بطلميوس الرابع" وعلمه بضعف شخصيته، وقام فى عام ٢٢١ ق م بغزو جوف سوريا ليسلبها من مصر، لكن "بطلميوس الرابع" كان منصرفا عن مهام الدولة بحياة اللهو والمجون، وكان وزيره "سوسيبوس" منهمكا فى مؤامراته لدعم مركزه بالقضاء على كل من يفكر فى إصلاح حال الملك لدرجة أنه كان وراء مقتل "برنيكى الثانية" والده الملك، ولذلك فإنه فى عام ٢٢٠ ق م قامت الحرب السورية الرابعة، وأستولى "أنطيوخوس الثالث" على سلوقية بيرية عام ٢١٩ ق م، ثم أستولى على صور (ptolemais)، وبعد ذلك تابع زحفه للأستيلاء على جوف سوريا، ثم زحف على بلوزيون (سيناء حاليا) وأصبحت مصر عند موطن قدميه^(٣)، لكنه خدع بدعاية سوسيبوس أن الجيش المصرى بكامل قوته كان متجمعا عند بلوزيون، وخدع بدعاية أنه يستطيع الحصول على جوف سوريا بمفاوضات سلمية إذا وافق على عقد هدنة مع مصر لمدة أربعة شهور، وبالفعل قبل الهدنة لأنه كان يخشى التغيب طويلا عن دولته لقلقه من نشاط خصومه، وعاد إلى سلوقية بيرية فى أنتظار المفاوضات المصرية المزعومة لتسليم جوف سوريا • حقيقة الأمر أنه عندما بدأ أنطيوخوس حملته لم يكن فى مصر جيشا مستعدا للاقائه، ولذلك كان الموقف خطير ولأن أقدام "أنطيوخوس الثالث" على هذه الحملة يدل على أنه كان مصمما على الوصول إلى نتيجة حاسمة، فخف فيلوباتور إلى منف ثم إلى بلوزيون، على رأس كل ما أمكن حشده من القوات، وفى الوقت نفسه عنى

1-Walker,Higgs.,op.cit.,P.93,Fig.102.

٢-إبراهيم نصحي،"المرجع السابق"صفحات، ١٥١-١٥٤

٣-عنايات محمد أحمد،"المرجع السابق"ص ٨٠

الوزراء بتكوين جيش جديد لمصر وتدريبه بالإسكندرية^(١) في الخفاء على يد القواد أمهر أنقادة الإغريق، فأحضروا من بلاد الإغريق أفضل الضباط المرتزقين، وكذلك أحضروا عدد من الجنود المرتزقة، وأخطر من ذلك وأهم هو أن "سوسيبوس" بإيحاء من "بظلميوس الرابع" جند نحو ٢٠٠٠٠ مصري وسلاحهم ودرهمهم على نهج المقدونيين، وكون منهم فيلق المشاة الكامل العدد، وأسندعى الفرسان من قورينائية، ولأستكمال التدريب لجأ "سوسيبوس" إلى حيلة المفاوضات وإطالتها، وعندما أدرك "أنطيوخوس الثالث" أخيرا عبث الأستمرار في المفاوضات قطعها، وفي عام ٢١٨ ق م أسندعى قواته لأستكمال أخضاع جوف سوريا بغزوه برا وبحرا، وفي عام ٢١٧ ق م زحف "أنطيوخوس الثالث" حتى تخطى رفح، حيث التقى بالجيش البطلمي الجديد الذي كان معسكرا على بعد تسعة كيلومترات جنوبي هذه المدينة، وقد كان الجيش السوري كبيرا إذا ما قورن بالجيش البطلمي، كما كان به العديد من الفيلة الهندية^(٢) التي هي أقوى وأضخم من الفيلة الأفريقية التي كان يعرفها الجيش البطلمي، وفي هذه الأزمة الخطيرة نهض "بظلميوس الرابع" العابث كي يقوم بواجبه كأي ملك شجاع، فقد تولي القيادة الفعلية بنفسه وصحبته إلى ميدان القتال شقيقته الصغيرة "أرسينوى الثالثة"^(٣) - التي أصبحت زوجته فيما بعد-، وأسطاق جنود الجيش البطلمي بقضل الثقة في نفوس قوادهم أن يعبروا الصحراء لملاقاة الجيش السوري في جنوبي رفح حيث التقى الجيشان المصري والسوري وجها لوجه، وقد تولي "بظلميوس الرابع" وإلى جانب "أرسينوى الثالثة" قيادة الجناح الأيسر في مواجهة أنطيوخوس، وكانت فرق حملة الدروع في الجيشين تحت قيادة الملك الشخصية، وقد أشتركت "أرسينوى الثالثة" مع أخيها في أستنهاض همة الجنود وأعطت لهم الإشارة ببدا القتال وعندما التقى قلبا الجيشين وجناحهما مكشوفين لتقرير مصير المعركة لم يستطيع قلب جيش "أنطيوخوس الثالث" الصمود أمام قلب جيش "بظلميوس الرابع" وكان جله من المصريين الذين أبي البطالمة عليهم من قبل شرف الأستراك في حروبهم ضد المقدونيين والإغريق، ساد فنون القتال، وأستردت مصر جوف سوريا، وصانف "أنطيوخوس الثالث" هزيمة فادحة في رفح، فر بعدها هاربا إلى أنطاكية وإزاء المخاطر التي كانت تتهدده في بلاده، أضطر إلى طلب عقد الصلح مع "بظلميوس الرابع"، وبدلا من أن يدخل ملك مصر في حسابه المتاعب المحيطة بخصمه ويستثمر إنتصاره الباهر، رحب بالصلح حتى أنه اكتفى بأسترداد جوف سوريا، دون الأصرار على أسترداد سلوكية بيرية التي كان أنطيوخوس قد أسترجعها في عام ٢١٩ ق م، وعاد "بظلميوس الرابع" إلى مصر بعد أن عين حاكما عاما على جوف سوريا وبعد أن قضى أكثر من ثلاثة أشهر في

1-Bernand,A., "Alexandrie des Ptoleemes", (Paris,1995),P.59.

2-Yoyotte,J.,Charvet,P.,and Compertz,S., "Strabo,le voyage en Egypte", (Paris,1997),P.85.

3-Lewis,N,M., "Ptolemaic Egypt", (Press,1986),P.56.

دعم سلطانه هناك وزيارة مدن ذلك الأقليم التي رحبت به أيما ترحيب، وكذلك في زيارة المعابد وتقديم القرابين .
ولم يكن إنتصار رفح انتصار باهرا لبطلميوس الرابع ووزيره سوسيبويوس فحسب، بل كان أيضا إنتصارا رائعا بنتائج بعيدة المدى بالنسبة للمصريين، الذين كان البطالمة يعاملونهم حتى الآن معاملة المغلوبين على أمرهم^(١).



وجه العملة

ظهر العملة

عملة فضية فئة-التترادراخمة سكت على المعيار الفينيقي وتحمل على الوجه صور
لبطلميوس الرابع وأرسينوى الثالثة بأشكال سيرابيس وإيزيس^(٢)، وعلى الظهر
النسر على الصاعقة، وقرن الخيرات، مع النقش

ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ ΒΑΣΙΛΕΥΣΩΣ

محفوذة حاليا في المتحف اليوناني الروماني

في الصورة تمثالين نصفين لبطلميوس الرابع وزوجته أرسينوى الثالثة^(٣) في صورة
جانبية موجهين نحو اليسار حيث نرى على اليمين الملك في شكل الإله سيرابيس
يرتدى الخلاميس وهو رداء يجمع شكله ما بين شكل العباءة وشكل القميص إذا أنه
غير مفتوح وإنما فضفاضاً بغض الشيء وقصير، ويميل الملك برأسه ميلاً بسيطة إلى
الأمام، ومكلاً بالعصبة الملكية، وفوق رأسه تاج بشكل قرني قرن الخيرات فوقهما
نافذة^(٤)، والتاج مزين بشريط تتسدل نهايته قرب الحاجب الأيمن، وللملك شعر أشعث
مفلوق من الوسط بأعلى الجبهة، وهو شعر طويل مجعد ذو خصلات مموجة متداخلة
موضوعة فوق بعضها على الرأس ومتجاوزة من الأمام وعلى موخرة الرأس، وللملك
جبهة كبيرة غائرة، وحه الملك ذو حواجب كثيفة مقوسة بارزة، وعيون واسعة مفتوحة
عن آخرها في حالة أنتباه وحذر، وأنف طويل محدب ومتضخم من أسفل، وشارب

١-محمود السعدني"المرجع السابق"صفحات ٦٣-٦٩

2-Carradice,L., "Greek Coins", (Press, 1995), P.6, Fig.59b.

3-Overbeck, op. cit., P. 189, PL.57g.

4-Heckel, W. and Sullivan, R., 'Ancient Coins of the Graeco-Roman world', (Press, 1984), Fig.43

تتسدل أطرافه الطويلة العريضة بأركان الفم ذو الشفتين السميكتين، والشفافة السفلى تميل إلى الخلف، وذقن عالية بارزة، وتجاويز تملأ الوجه وخاصة حول العيون وبنهايتي الوجنتين، وشعر كثيف يغطي اللحية وأجزاء كبيرة من الذقن والرقبة، بالإضافة إلى الشعر الذي يملأ الخدود، ونرى الملكة على الجانب الأيسر للملك في شكل الإلهة إيزيس^(١) رافعة رأسها في وضع أستقامة، وترتدى تاج stephane، وفوقه تاج إيزيس (بشكل كرسى العرش، ويتجمع الشعر من تحت التاج في وسط الجبهة بشكل كتلة صغيرة ناعمة، ويظهر على جانبي الجبهة القليل من خصلات الشعر بشكل نصف دائرة، بينما الشعر بأعلى الرأس لا تظهر منه سوى بعض الخصل المتطايرة، أما وجه الملكة فله نفس ملامح وجه زوجها فيما عدا أن نظرات عيونها نظرات حزينة تعكس مدى الألم الذي كانت تعانيه من قسوة زوجها، والجروح الكثيرة تظهر بنهاية خدها الأيمن بالقرب من الذقن وتحتها، وفي رقبته قلادة عادية، وترتدى رداءً جميلاً، وتضع على كتفها الأيسر الصولجان وعلى كتفها الأيمن سيفاً، أما النسرة الكبيرة نو الريش الرائع والرقبة والرأس والوجه الطبيعيين والفم المفتوح واللسان الكبير فمصور بطريقة الثلاثة أبعاد باتجاه اليمين ناظراً إلى الخلف وضامماً الجناح الأيسر مع محاولة فردته، ويفرد الجناح الأيمن فردة بسيطة، وأمام المنقار يوجد قرن خيرات مزدوج ملتصق بالجناح الأيسر للنسر وهو مربوط من الخلف بشريط صغير لا تظهر منه سوى أطرافه، وفوق رأس النسرة يوجد ما يشبه النجمة الصغيرة، والصاعقة عادية، وعلى الجناح الأيمن للنسر يوجد حرف L الذي كان يعتقد أنه رمزاً لتاريخ سنوات حكم الملك ولكن الأرجح أنه أحد رموز قبرص، وبين أقدام النسرة توجد حروف ΔI، وحول النسرة يوجد النقش.

ليس بغريب أن نرى "بطلميوس الرابع في هيئة سيرابيس، لأنه ليس من شك أن الملك كان يعلم علم اليقين مدى المكانة والشعبية كافة الشعوب التي كانت تقطن مصر وبخاصة المصريين^(٢) ولها شعبية خاصة أدت إلى أنتشارها في العديد من شعوب العالم القديم، كما أن "بطلميوس الرابع" كان يسير على سياسة خلفائه التي تعدف إلى بناء وتنظيم وتحسين المعابد المصرية وعلى رأسهم معبد السيرابيوم بالإسكندرية، لكن الغريب في الأمر هو رواج تلك العملة رغم أنه من المعروف أن هذا الملك كان متحمساً بشدة لعبادة الإله "ديونيسوس" رغم عدم محاولته أقران أسم "ديونيسوس" بأسمه إذ أن لقب "ديونيسوس" هو لقب أطلقه عليه الشعب لشدة إخلاصه وولائه لهذه العبادة، هذا الولاء بالدرجة التي جعلت منه مصلحاً دينياً وراهباً في محراب "ديونيسوس"، ولكني أعتقد أن ذلك الحماس لم يكن بالدرجة بدافع الوازع

١- عزت فادوس. فنون الإسكندرية القديمة" ص ٢٠٤

2-Fraser,P.M., "Ptolemaic Alexandria"1(Oxford,1972),PP.32.

الدينى بقدر ماهى كانت عبادة تتفق مع ميله هو سخصيا إلى المجون وحببه الشديد للخمير بصرف النظر عن العبادة الديونيسية . فالاحتفالات الدينية الخاصة بهذة العبادة كانت تجمع بين احتفالات الخمر والاحتفالات الشعرية الأدبية المسرحية، هذا بالإضافة إلى أنه كان أيضا مهتما بتقوية عبادة أسرته وأقام مباني عظيمة في أنحاء القطر كما أصلح عدة معابد أو زاد عليها .

(٥)- عملات ترتبط بالحرب السورية الخامسة^(١)

بعد وفاة بطلميوس الرابع تولى حكم مصر ابنه "بطلميوس الخامس" الذى كان صغيرا فى السن، وكان ضعيف الشخصية، والتفت حوله بطانة السوء فى البلاط الملكى وقتلت أمه "أرسينوى الثالثة"، لذا أستغل الملك السورى "أنطيوخوس الثالث" الظروف للإستيلاء على جوف سوريا، وبدأ الحرب ضد مصر فى عام ٢٠١-٢٠٢ ق م وأستولى على غزة، فى حين كان الملك المصر منشغلا عن مهامها دولته بالمبارزة والشراب، فاثارت تصرفاته السيئة سخط الإسكندرانيين، وأسندت قيادة الجيوش إلى القائد "سكوباس"، الذى تمكن بفضل قوة أستيسال أهل غزة من أستردادها وطرد "أنطيوخوس الثالث" من فلسطين حتى منابع نهر الأردن، لكن أنطيوخوس لم يلبث أن أنزل بسكوباس هزيمة فادحة فى موقعة بانينيون "panion" بوادى الأردن، فانسحب "سكوباس" مع من تبقى من رجاله إلى صيدا، فحاصرها "أنطيوخوس الثالث" برا وبحرا عام ٢٠٠ ق م و أرغمه على التسليم عام ١٩٩ ق م، ثم أسترد "أنطيوخوس الثالث" بيت المقدس ويسط نفوذه على كل فلسطين حتى صحراء سيناء، ولم يأتى عام ١٩٨ ق م حتى كانت مصر قد فقدت كل جوف سوريا إلى غير رجعة، وكان الملك السورى فى مركز يسمح له بغزو مصر لكنه وجه نشاطه ناحية أخرى حيث استدعته مهام عاجلة، وأراد الأوصياء على الملك المصرى أن يستردوا جوف سوريا بنفس أسلوب "بطلميوس الثانى" فسعوا حتى تم الزواج بين الأميرة السورية "كليوباترا الاولى" والملك المصرى "بطلميوس الخامس" على أن تقدم العروس جوف سوريا مهرا لزوجها^(٢)، وبعد ذلك صدرت العملات لهما .

١- إبراهيم نصحي "المرجع السابق" ص ١٨٠-١٨٥

٢- يبدو أن المهر كان دخل جوف سوريا فقط إذ لم يكتب فى عقد الزواج نصا صريحا بخصوص

الملكية-راجع و Bowman



ظهر العملة



وجه العملة

عملات فضية فئة الأوكاتادراخمة ، سكت على المعيار الفينيقي تحمل على الوجهه صور "بظلميوس الخامس" و"كليوباترا الأولى" بأشكال زيوس-سيرابيس وإيزيس^(١)، بطراز عملات "بظلميوس الرابع" و"أرسينوى الثالثة" وعلى الظهر

النسر على الصاعقة، مع نقش ΒΑΣΙΛΕΩΣ ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ

صدرت أيضا العملات التي تحمل صورة وأسم "كليوباترا"، بالإضافة إلى العملات التي تحمل صورة "كليوباترا الأولى"، وذلك تكريما لها لكونها أعادت جوف سوريا إلى مصر^(٢)

- في الصورة بورتريه للملكة "كليوباترا الأولى" في صورة جانبية موجهة نحو اليسار، وتظهر الملكة بملامح قريبة الشبه من ملامح إيزيس، وتضع على رأسها باروكة بخصلات مكنتة فوق الجبهة، وخصلات ناعمة مقوسة متداخلة على الرأس ومنتهية بخصلات كبيرة طويلة ومجعدة تصل حتى الرقبة وتضع فوق الباروكة تاج جميل بسيط أشبه بتاج العروس في عصرنا الحالي، ولها وجه جميل هاديء، وجبهة متوسطة الأنساع، وعيون واسعة، وأنف محدب، وفم صغير وذقن بارزة بعض الشيء، وخدود ليس بها أي تجاعيد ولكن توجد تنقيرات بسيطة وأثار لجرح على الخد الأيمن، وترتدي الملكة في رقبتها الكبيرة الطويلة قلادة أشبه بالميدالية الدائرية وتظهر الأشرطة التي تربط الرداء قرب الثدي الأيمن، أما النسر فمصور بطريقة الثلاثة أبعاد باتجاه اليمين واقفا على صاعقة مجنحة فاردا جناحه الأيسر عن أخره، ومخرجا من فمه لسانه الطويل جدا الذي يتدلى أسفل الفم، وجناحه الأيسر مزخرف بزخرفة تجعله أشبه بورقة شجر عريضة، وفوق هذا الجناح توجد سنابل قمح، وفوق الجناح الأيمن نجمة، وأسفل القدم اليمنى للنسر توجد سنابل القمح وخلفها توجد حروف ΣΑ التي تشير إلى سوريا، وحول النسر يوجد النقش •

١- عزت قانوس، (فنون الإسكندرية للقدمية) ص ٣٠٧

2- Andrews, C., "The Rosetta stone", (London, 1991), P.45.



وجه العملة

ظهر العملة

عملات نحاسية فئة التترادراخمة سكت على المعيار الفينيقي تحمل على الوجه صورة كليوباترا الأولى^(١) وعلى الظهر النسر على الصاعقة، ونجمة وسنابل قمح مع

النقش ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥΣ ΒΑΣΙΛΕΥΣ

المراجع العربية

١. إبراهيم تصحى تاريخ مصر في عصر البطالمة" (الطبعة السادسة)، (القاهرة ١٩٧٩).
٢. احمد أمين سليم، "محاضرات في تاريخ مصر الفرعونى منذ أقدم العصور وحتى النولة الحديثة"، (الإسكندرية ١٩٩٥).
٣. سليم حسن "موسوعة مصر القديمة"، (الجزء السادس) (عصر رمسيس الثانى وقيام الإمبراطورية الثانية)، (القاهرة ٢٠٠٠).
٤. سليم حسن "موسوعة مصر القديمة"، (الجزء الخامس عشر)، (من أواخر عهد بطلميوس الثانى إلى آخر عهد بطلميوس الرابع)، (القاهرة ٢٠٠٠).
٥. عزت قادوس "العملات اليونانية والهلينستية" (الإسكندرية ١٩٩٩).
٦. عزت قادوس، "فنون الإسكندرية القديمة" (الإسكندرية ٢٠٠٠).
٧. عنايات محمد أحمد، "تاريخ مصر فى العصرين اليونانى والرومانى"، (الإسكندرية ٢٠٠٥).
٨. محمود إبراهيم السعدنى، "تاريخ مصر فى عصر البطالمة الأوائل"، (القاهرة - بدون تاريخ).
٩. مصطفى العبادى، "مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى"، (القاهرة ١٩٨٥).

1- Poole, op. cit., p.78.

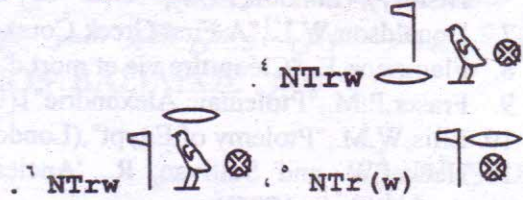
المراجع الأجنبية

1. Bernard, A., "Alexandrie des Ptoleemes", (Paris,1995).
2. Bianchi, R.S., "Munze eines der letzten einheimischen Pharaonen), in (A.Z.), (Mainz,1889).
3. Car,M., "History of Rome", (London,1988).
4. Csaba,A., "Prosopographia Ptolemaica "(V X,Foreign Ethnic in Hellenistic Egypt", (Peeters,2002).
5. Chauveau,M., "L'Égypte au temps de Cleopatre 190-30-av.J-C", (Gifts of 1998).
6. Davis,N. & Kroay,C.M., (The Hellenistic Kingdoms, Portrait Coins and History), (London,1973),
7. Donaldson,W.L., "A First Greek Course", (London,1966).
8. Flamarion,E., "Cléopâtre vie et mort d' un Pharaon", (Gallimard,1993).
9. Fraser,P.M., "Ptolemaic Alexandria"1(Oxford,1972).
10. Ellis,W.M., "Ptolemy of Egypt", (London,1994),P.105-108.
11. Heckel,W. and Sullivan, R., 'Ancient Coins of the Graeco-Roman world", (Press,1984).
12. Hölbl,G., " History of The Ptolemaic Empire", (London and New York).
13. Lewis, N.M., "Ptolemaic Egypt", (Press,1986). Louguet, P., "Alexander the Great and Hellenistic Civilization", (Chicago, 1978).
14. Overbck, B., "Munzen der Ptolemaer und ihre Zeitenwener", in (Agypten um die Zeitenwende), (Mainz, 1989).
15. Mackay,J., "The Beginners Guide to Coin Collecting Cooyright", (London,1991).
16. Polybius, "Histories", (Trans by Jones,L.C.L.,1966).
17. Pool, R.S., "Catalogue of Greek Coins) in (The British Museum), (The Ptolemies Kings of Egypt), (London, 1883).
18. Preáux, C., "L'economie royal des Lagides", (Bruxdelles, 1939).
19. Preáux,C., "Le Hellenistique, la Crece et l'Orient 323-146 J.C.", (Paris,1989).
20. Seltman, Ch, (Greek Coins. A Histore of metallic currency and coinage down to the fall of Hellenistic Kingdoms), (London,1960)
21. Svoronos,J.N., "TA NOMISMATA TOY KPA TOYΣ TΩN ΠITOLEMAIΩN I-IV", Athen,1904-1908), (Trans by Regling,K.).
22. Walker, S., Higgs, P., "Cleopatra Regino d'Egitto", (Roma,2000-2001).
23. Yoyotte, J., Charvet, P., and Compertz, S., "Strabo, le voyage en Egypte" (Paris,1997).

مدينة نثرو الشمالية في النصوص المصرية القديمة د. عصام السعيد *

ورد اسم مدينة NTrw الشمالية^١ في النصوص المصرية القديمة بأشكال مختلفة منذ عصر الدولة القديمة وحتى العصر البطلمي ، و لقد جاء ذكرها أول مرة في نصوص الأهرام^٢ وذلك في عصر الملك نتي أول ملوك الأسرة السادسة على هذا النحو

كما وردت بأشكال مختلفة أيضا في نصوص الأهرام بتغيير مكان حرف r في الكلمة كتسبيق للعلامة و ما تتطلبه طبيعة المكان على النحو التالي :



* كلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

^١ سميت مدينة نثرو NTrw بالشمالية تميزا لها عن مدينة ققط Gbttyw التي

وصفت بأنها NTr(w) Smayt . أنظر :-

Sethe, K., "Die namen von ober und unter Ägypten und die Bezeichnungen für Nord und Sud ", ZÄS 44 , p. 17

^٢ Pyr. § 1268 (c) .

Wb , Belegstellen II , p. 365 , no 12

Weill, R., " L' incantation Anti - Osirienne " , BIFAO 46 , p. 192 ;

Gauthier, H., Dictionnaire des Nomes Geographiques Contenus dans le Hieroglyphiques , Le Caire (1925) , Tome III , p. 107 .

^٣ Favard - Meeks , Ch., Le Temple de Bahbeit el - Hagara , Hamburg (1991) , pp. 375 - 378 ;

Pyr 544 (b) .

^٤ Pyr. § 1140 (d) ; Budge, Osiris , vol. II , p. 320 , no. 4 .

^٥ Gauthier , Op. Cit. , p. 107

Zibelius, K., Ägyptische Siedlungen nach Texten des Alten Reiches, Wiesbaden (1978) , p. 132 .


^٦ Pyr. § 2188 (b) ;


Brugsch, H., Dictionnaire Geographiques de L' ancienne Egypte , Leipzig, (1979) , tof. 53 , no. 1578 ;


ووردت على جدران مقبرة ختي رقم ٦٥ بالدير البحري الذي كان يشغل منصب حامل الختم الملكي في عهد منتوحتب نب حبت رع من عصر الأسرة الحادية عشرة على

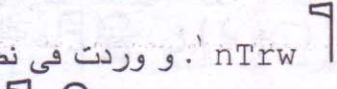
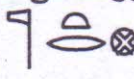
هذا النحو :  NT (r)w^١.

وجاء ذكرها على جدران مقبرة حر - حتب رقم ٣١٤ بالدير البحري الذي كان يحمل لقب حامل الختم الملكي و السمير الوحيد من عصر الأسرة الحادية عشرة على هذا النحو :

كما وردت بهذا الشكل  nTrw^٢ في لوحة تم العثور عليها في دهشور بالقرب من هرم سنفرو و ترجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة^٣.

و جاء ذكرها على لوحة لشخص يدعى سنب snb من عصر الأسرة الثانية عشرة موجودة الآن بالمتحف المصري على النحو التالي :  nTrw^٤.

و وردت في متون التوابيت التعويذة رقم ٣٩٧ بهذا الشكل : 

و وردت في نصوص طقسية للملك أمنحتب الأول على معبد الكرنك  nTrw^١ على هذا النحو :  nTrw^٢.

Gauthier , Op. Cit., p. 107 .

^١ Zubelius , K., Op. Cit., p. 132 .

Gomaa , F., " Die Besiadlung Agyptyens Wahrend des A. R. " TAVO , Beih. B 66/2 , p. 162

^٢ Maspero , G., Mem. Mission I (1889) , p. 156 no. 458 f. ;

Gomaa , F., Op. Cit., p. 162 ;

Engelbach , R., A Supplement of The Topographical Catalogue of The Private Tombs of Thebes , Cairo (1924) , p. 24 .


^٣ Fakhry , A., The Monuments of Sneferu , vol.II , 2 , Cairo (1961) , p. 84 , fig. 401;
Münster , M., " Untersuchungen Zur Gottin Isis " , MÄS 11 , Berlin (1968) ,
no. 1693 ;


Gomaa , F., Op. Cit., p. 163 ;

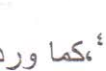
F. Meeks , Op. Cit., p. 382 , F. N. no. 608 .

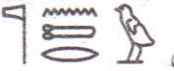
^٤ CG 26328 ;


Gomaa , Op. Cit., p. 163

كما وردت بهذا الشكل  ntrw على جدران مقبرة Htp - nfr


رقم ٥٠ بالشيخ عبد القرنة من عصر الملك حور محب^٢، كما جاءت بهذا الشكل  ⊗

ntrt في بعض النصوص الطقسية لمعبد الملك سي تي الأول بأبيدوس 

كما وردت بهذا الشكل  nTrw في نصوص شعائر تأسيس المعبد في

معبد الكرنك من عصر الدولة الحديثة^٥، كذلك وردت بهذا الشكل  nTry في طقس اضاءة الشعلة بمعبد الكرنك^٦.

هذه الأشكال سالف الذكر لمدينة نثرو الشمالية على الآثار المصرية حتى نهاية

عصر الدولة الحديثة ثم ظهرت كلمة نثرو مرة أخرى بهذا الشكل  ⊗

nTr(w) من عصر الأسرة الخامسة والعشرين على لوحة الملك بعنخي بالمتحف المصري^٧.

واستمر هذا الشكل سالف الذكر لمدينة نثرو حيث ورد في ألقاب الأمير "نشور" الذي من ضمن ألقابه الأمير العظيم في نثرو وذلك من عهد الملك واح أيب رع (إبريس) من عصر الأسرة السادسة والعشرين^٨.

¹ CT V, 100 c;

Wb II, 365;

Gomaa, F., Op. Cit., p. 163.

² Nelson, H., "Certain Reliefs at Karnak and Medinet Habu and the Ritual of Amenophis I" JNES 8 (1949), p. 324, fig. 32 col. 12.

³ Hari, R., La Tomb Thebaine de pere divin Nefer-hotep, Geneva (1985), pl. 41, col. 263.

⁴ David, A. R., Religious Ritual at Abydos, Warminster (1973), p. 276

⁵ Alliot, M., "Le Rits de la Chasse au Filet aux Temples de Karnak, d'Edfou, d'Esneh", RdE 5, pp. 57 - 118;

Barguet, P., "Le Ritual Archaïque de Fondation de Temples", RdE 9, pp. 1 - 22.

⁶ Daressy, M. G., "Notes et Remarques", Rec. Trav. 16 (1894), p. 52;

Brugsch, Op. Cit., taf. 53, no. 1581;

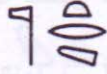
Budge, The Book of the Dead, London (1951), p. 1008.

⁷ Urk III, 1 - 2;


⁸ De Meulenaere, H., "Trois Prsonnages Siites", CdE 31, p. 252, no. 4.

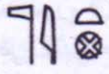
كذلك وردت بنفس الشكل في قائمة الأقاليم على أحد جدران معبد الإله آمون بواحة الخارجة^١، ووردت كذلك بنفس الشكل على تابوت حر سا آست و في مقبرة ون نفر من الأسرة الثلاثين^٢.

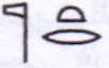
كما وردت نثرو بنفس الشكل على تمثالين لحر سا آست سالف الذكر يوجد أحدهما في موسكو و الآخر في برلين^٣، كما وردت بنفس الشكل في نص على تمثال للابن الأكبر لنخت نب إف من الأسرة الثلاثين^٤، ثم جاء نكر نثرو بشكل آخر على هذا


النحو  nTr(w) على تمثال أوشابتي لشخص يدعى جد حر من الأسرة الثلاثين يوجد حاليا في متحف فيينا^٥.

واللافت للنظر ان مدينة نثرو الشمالية بداية من عصر الأسرة الثلاثين إلى نهاية العصر البطلمي كتبت على الآثار بشكل مختلف قليلا مما حدا ببعض العلماء المختصين بالعصر المتأخر أن يطلقون على اسم مدينة نثرو " نترت ". فلقد وردت

بهذا الشكل الغريب  nTryt على تابوت حر سا آست من الأسرة الثلاثين^٦.

كما وردت على هذا النحو  nTrit على تمثال لنخت نب إف بالمتحف

المصرى^٧. كما وردت على معبد أدفو على النحو التالي  nTrt، و

ظهرت بهذا الشكل  nTrt في معبد دندره^٨، كما وردت بشكل غريب و

¹ Davies, The Temple of Hibis, III, The decoration, pl. 25.

² F. Meeks, Op. Cit., p. 392.

³ De Meulenaere, H., " Le Vizir Harsiesis de la 30 Dynastie ", MDAIK 16, pp. 230 - 233.

⁴ Clére, J. J., " Une Statuette du fils Aine du Roi Nectenabo ", RdE 6, p. 144, pl. I, A.

⁵ Yoyotte, J., in Mel. Masp., Tome I, MIFAO, 66, p. 155, no. 7;

Ranke, H., " Statue eines Hohen Beamten Untr Psammeitch I ", ZÄS 44, p. 47.

⁶ Spielberg, W., " Der Vezeir Horsise Zur Zeit des Nektanbis ", ZÄS 64, p. 88;


De Meulenaere, in MDAIK 16, pp. 230, 234;

Labib, P., " Das Wesirat ", ASAE 50, (2), pp. 363 - 364

⁷ Daressy, G., Statue de Kom-Ebcham, (in ASAE 12), pp. 281 - 28

⁸ Ducimichen, J., Geographische Inschriften Altgyptischen Denkmaler, Band I, Leipzig (1865), pl. 62, no. 18.

مختلف إلى حد ما مختلف في بيت الولادة (الماميزى) في معبد دندرة على النحو

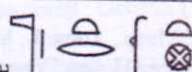
التالى :  ntrtr

و بذكر اسم مدينة nTrw في بيت الولادة في معبد دندرة نكون قد أوردنا كافة صور و أشكال مدينة نثرو الشمالية في النصوص المصرية القديمة منذ عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمي .

ولكن مدينة نثرو الشمالية شأنها شأن بعض المدن المصرية القديمة يصعب أحيانا تحديدها و معرفة مكانها ، و نحن هنا نحاول أن نتطرق إلى آراء علماء المصريين و النصوص التى تساعدنا على تحديد مكان مدينة نثرو الشمالية إذ ان هناك آراء تربطها بمدينة حبيت Hbyt التى تقع فى الأقليم الثانى عشر من أقاليم مصر السفلى .

أما الرأى الثانى فيرى أن مدينة nTrw و مدينة Hbyt مدينتان مختلفتان و منفصلتان تماما^١ ، فأصحاب الرأى الأول الذين يعتقدون أن مدينة نثرو ما هى إلا مدينة حبيت فكان اعتمادهم على ارتباط الاسمين معا فى كثير من النصوص فى العصر المتأخر و العصر البطلمي حتى أن البعض يرى أن نثرو ما هو إلا الاسم القديم لحبيت و أن هذا المسمى " نثرو " الذى يعنى المقدسة قد أخذ هذا النعت الدينى لارتباط هذه المدينة بالإلهة ايزيس و الإله حور منذ بداية العصور التاريخية^٢ ، كما أن هناك تمثال من عصر الملك بسماتيك الأول^٣ ، و تمثال آخر من عصر الملك نخت نسب إف^٤ ، يدلان على مطابقة و مساواة نثرو بحبيت .

أما أصحاب الرأى الثانى الذين يعتقدون أن مدينة نثرو و مدينة حبيت مختلفتان و ليسا مدينة واحدة اعتمادا على بعض النصوص المصرية القديمة منها ما ورد على جدران مقبرة خيتى رقم ٦٥ بالدير البحرى من عصر الأسرة الحادية عشرة من ذكر

^١ شكل هذه العلامة  يبدو للوهلة الأولى ان يقرأ ntr rnpt و لكن العلامة التى تعنى السنة ما هى إلا مخصص يعطى دلالة بالتجديد و النشأة . انظر :-

Daumas , F., Le Mamisis de Dendera , Le Caire (1959) , p. 127 , 4

^٢ Gauthier , H., Op. Cit., p. 14 ;

Montet , P., Geographie de L'Égypte Ancienne , Tome I Basse Egypte , Paris (1957) , pp. 104 - 110 .

^٣ Kees , H., Das Priestertum in Agyptischen Staat , (PÄ 1 , 1953) , pp. 264 ff.


^٤ Daressy , M., Op. Cit., p. 282 .

^٥ Ranke , H., Op. Cit., p. 47


^٦ Clere , J., Op. Cit., pp. 139 , 145 - 146 .

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

مدينة نثرو قبل مدينة بوتو بضاحيتها دب و ب ، مما حدا بالبعض بأن قريبا من بوتو يجعلها بعيدة كل البعد من حبيبت^١ .
كذلك ما ورد في متون التوابيت من ذكر مدينة ب ثم مدينة نثرو مثلما جاء في النص التالي :


mAA . n wi Hnwt p n Hnwt nTrw

قدمتني سيدة ب إلى سيدة نثرو^٢ .
كذلك هناك نص على أحد الجدران الشمالية في معبد الكرنك يرجع إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة ذكرت فيه مدينة نثرو بجانب مدينة دب و مدينة ب و مدينة ساو^٣ .
كما أن ذكر مدينة نثرو و مدينة حبيبت في لوحة بعنخي و لكل منهما حاكم يعضد الرأي بأنهما مدينتان منفصلتان حيث يتم ذكر نثرو في لوحة بعنخي على النحو التالي :


iw wn wr n imntt HAty - a wr m
NTrw tAf - nxt

يوجد عظيم الغرب الأمير الكبير في نثرو تف نخت^٤ .
أما في مكان آخر على لوحة بعنخي يتم ذكر الأمير أوكانش كامير على كل من مدينة ثب نثرو و بر حبيبت على النحو التالي :


HAty - a Iw - kA n - S m Tb - nTrw m
pr Hpyt

¹ Gardiner, A. H., Op. Cit., p. 33

² Faulkner, R. O., The Egyptian Coffin Text, Warminter (1977), §. 397, p. 26 .

³ Brugsch, Op. Cit., taf. 53, no. 1581 ;

⁴ Urk. III, 4, 2 .

الأمير أوكانش في ثب نثرو بر حبيت^١.
من خلال النص السابق و الذي يليه نجد أن كلا المدينتين منفصلتان و من الصعب ان يكونا مدينة واحدة^٢. كما أن المدينتين كانا تحت إمرة أميرين مختلفين و من ثم فإن نثرو ليست هي حبيت (بر حبيت)^٣، كما أن مدينة حبيت لم يأت ذكرها قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة كمدينة مع أن مدينة نثرو تم ذكرها منذ عصر الدولة القديمة .

وهناك رأى ثالث يرى أن هناك مدينتان تحملان اسم نثرو الأولى غرب الدلتا و الثانية في شرق الدلتا اعتمادا على فقرة من نصوص الأهرام ربطت مدينة نثرو بإقليم الكا الذي كان بالقرب من إقليم صا الحجر^٤.
و رأى رابع يرى أن مدينة نثرو التي في غرب الدلتا قد تم انشاؤها حديثا اعتمادا على نص موجود على قاعدة تمثال لصقر من عهد نخت حر حبيت من العصر الصاوى ، و كان النص على النحو التالي^٥:



grg NTrw m ir(w) . s mAa

تأسيس نثرو بصورتها^٦ ، محددًا^٧، كما يمكن أن تترجم أيضا " تأسيس نثرو . بعملها الصحيح .

ولكن الأخذ بأن مدينة نثرو هذه قد أقيمت حديثا في العصر الصاوى يصطدم أيضا بأن المدينة قد ذكرت من عصر الدولة القديمة كما ذكرت من قبل . كما أن كلمة grg في النص السابق وردت بدون مخصص ، و في هذه الحالة يمكن أن تترجم بتأسيس أو أن

grg بمخصص المدينة على هذا النحو يعنى تترجم بـ " ضيعة نثرو "^٨.

¹ Ibid., 46 .

² Kees, H., Op. Cit., pp. 246 ff.

³ Montet, P., Op. Cit., pp. 108 ff.

⁴ Gardiner, A. H., AEO II, 155 .

Yoyotte, J., Op. Cit., pp. 155 ff. ;

⁵ Favard - Meeks, Op. Cit., pp. 374 ff.

⁶ Cf. Faulkner, R. O., A Concise Dictionary of Middle Egyptian , Oxford (1962) , p. 27 .

⁷ أحمد بدوى و هرمان كيس : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٩٢

⁸ المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

الآثار الغارقة بين المصطلح والمفهوم د. عماد خليل

مقدمة:

في خلال الأعوام العشرة الماضية أصبح الحديث عن آثار مصر الغارقة من الموضوعات التي يتردد ذكرها كثيرا، ليس في مجال البحث الأثري أو بين المتخصصين في علم الآثار فحسب، بل وعلى المستوي الثقافي والإعلامي بوجه عام. فقد اكتسبت الآثار الغارقة في مصر شهرة واسعة منذ أن بدأت مشروعات البحث والتقيب الأثري عن بقايا فنار الإسكندرية القديم وعن الأرصفة البحرية الغارقة بميناء الإسكندرية الشرقي، وكذلك عن السفن الغارقة على ساحل البحر الأحمر، وذلك بدءا من عام ١٩٩٤. ثم ازدادت هذه الشهرة اتساعا وازداد الاهتمام العلمي والإعلامي بالآثار الغارقة على سواحل الإسكندرية مع الاكتشافات الحديثة للمواقع الغارقة بمنطقة خليج أبي قير^٢.

ومن ثم فقد تم تناول العديد من الموضوعات المرتبطة بالآثار الغارقة في مصر في كثير من الندوات والمؤتمرات العلمية والثقافية وكذلك في وسائل الإعلام المختلفة. ولكن نظرا لكون هذا التخصص، على المستويين الأكاديمي والبحثي، في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية العربية، يعد من التخصصات الجديدة التي يهتم بها عدد قليل من الباحثين العرب، لذلك فإن مفهوم الآثار الغارقة كأحد مجالات البحث الأثري، وانعكاسة ما بين أسس وبنادى علم الآثار وبين البحث الأثري تحت سطح الماء يعد من الموضوعات غير المطروقة في مكتبتنا الأثرية العربية. ومن ثم، فإن هذا البحث يهدف إلى طرح بعض المفاهيم الأساسية المرتبطة بدراسة الآثار الغارقة وبطبيعة المواقع الأثرية المغمورة بالمياه، كما يهدف إلى تناول العلاقة بين هذا المجال الجديد وبين بعض الفروع والمجالات الأخرى لعلم الآثار.

* مدرس الآثار البحرية - كلية الآداب جامعة الإسكندرية قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية

¹ Empereur, J. Y. *Alexandria Rediscovered*. George Braziller Publisher. New York. 1998.
Mostafa, M. H., et al. (eds.). *Underwater Archaeology and Coastal Management - Focus on Alexandria*. Paris: UNESCO Publishing. Paris. 2000.

Ward, C. *Red Sea Treasure Ship*. In G.F. Bass, (ed.). *Beneath the Seven Seas*. Thames & Hudson. London. 2005. pp. 186-191.

² Goddio, F. et al. (eds.). *Alexandria: The Submerged Royal Quarters*. Periplus. London. 1998.

Goddio, F. & Clauss, M. *Egypt's Sunken Treasures*. Prestel Verlag. Munich. 2006.

Khalil, E. & Mustafa, M. *Underwater Archaeology in Egypt*. In C. Ruppé & J. Barstad, *International Handbook of Underwater Archaeology*. Kluwer Academic / Plenum Publisher. New York. 2002. pp 519-34.

ما هي الآثار الغارقة؟

يجدر بي أولاً أن أشير إلي ملاحظة هامة قد تساعد في تحقيق الغرض من هذا البحث، ألا وهي أهمية إدراك الفرق بين مصطلح "الآثار" حينما يستخدم لخصصاراً بمعنى "علم الآثار"، وبين المصطلح ذاته حينما يستخدم ليشير إلي القطع أو المواقع الأثرية. فحينما نتحدث عن "الآثار المصرية" علي سبيل المثال فنحن نعني بذلك المواقع والقطع الأثرية التي ترجع إلي الحقبة الفرعونية. أما حينما نتحدث عن "علم الآثار المصرية" أو "علم مصريات"، فنحن هنا نتحدث عن أحد فروع علم الآثار الذي له منهجه وأصوله المرتبطة بطبيعة الموضوعات التي يتناولها بالبحث. وبالتالي فإننا حينما نتحدث عن "الآثار الغارقة"، فنحن نقصد بذلك التراث الثقافي المغمور بالمياه *Underwater Cultural Heritage*، أي تلك المواقع أو القطع الأثرية الواقعة تحت سطح الماء. وقد عرفت منظمة اليونسكو هذا التراث بأنه "جميع آثار الوجود الإنساني التي تتسم بطابع ثقافي أو تاريخي أو أثري والتي ظلت مغمورة بالمياه، جزئياً أو كلياً، بصورة متقطعة أو متواصلة لمدة مائة عام علي الأقل".³ ومن ثم فإننا نجد أن هذا التعريف يرتبط بالدرجة الأولى بالمكان الذي يوجد به الأثر، بغض النظر عن نوعه أو تاريخه أو الإقليم الذي يوجد فيه أو الحضارة التي ينتمي إليها. أي أن المعيار في وصف الأثر بكونه أثراً غارقاً هو معيار مكاني في المقام الأول.

ومن ثم فإن وصف الآثار الغارقة لا يعتبر وصفاً علمياً للموقع أو للقطعة الأثرية فمن المتفق عليه علمياً أن المواقع أو القطع الأثرية يمكن أن تصنف أو توصف وصفاً زمنياً، كأثار ما قبل التاريخ، أو الآثار المصرية القديمة أو الآثار الإسلامية وغيرها. كما أنها يمكن أن تصنف تصنيفاً إقليمياً مثل آثار بلاد اليونان أو آثار شبه الجزيرة العربية وغيرها. وكذلك يمكن أن توصف الآثار وصفاً نوعياً، مثل العمارة والنحت والتصوير وما إلي ذلك. أما وصف الأثر بكونه أثراً غارقاً فلا يقع ضمن أي من هذه التصنيفات العلمية المعترف بها. فنحن لا نصف مثلاً الآثار التي يعثر عليها في الصحاري علي أنها آثار صحراوية، أو تلك التي يعثر عليها في الجبال بأنها آثار جبلية، ارتباطاً بمكان وجودها. ليس هذا فحسب، بل إن موقع وجود الأثر نفسه قد يتغير من فترة إلي أخرى نتيجة للعديد من العوامل الطبيعية والبشرية، الأمر الذي يجعل وصف الموقع أو تصنيفه ارتباطاً بمكان وجوده وصفاً غير علمي وغير ثابت. فنحن نجد -علي سبيل المثال- أن آثار النوبة القديمة كانت تعتبر آثاراً غارقة جزئياً قبل نقلها إلي مكانها الحالي، إلا أن تغيير مكان وجودها لم يغير من مضمونها العلمي

³ اتفاقية اليونسكو بشأن حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه. باريس ٢٠٠١. المادة ١، فقرة ١ ص. ١١.

⁴ Bass, G. *Archaeology Underwater*. Frederick A. Praeger. New York. 1966, pp. 15-22.

والتاريخي. وبالمثل، ففي أواخر القرن التاسع عشر عُثر علي سفينتين خاصتين بالإمبراطور الروماني كاليجولا غارقتين في بحيرة نيمي إلي الجنوب من روما. ثم في أوائل القرن العشرين تم اقتطاع الجزء الموجود به السفينتان في البحيرة، ثم تم تجفيف هذا الجزء حتي أصبحت السفينتان في بيئة جافة حتي يمكن دراستهما. ومن ثم نري أن تلك المواقع السابق ذكرها، والتي كانت في الأصل مواقع غارقة قد أصبحت مواقع أرضية بسبب عوامل بشرية، إلا أن هذا لم يغير من المحتوي الأثري، ومن ثم المضمون العلمي لتلك المواقع.

من ناحية أخرى، قد تتسبب العوامل الطبيعية مثل تغير مستوى سطح البحر أو الترسيب أو النحر في تغيير طبيعة المكان الذي يوجد به الموقع الأثري. فنحن نجد -علي سبيل المثال- أن أرضفة بعض الموانئ الموجودة علي سواحل بحيرة مريوط كانت منذ بضع سنوات جافة تماما، ولكن نتيجة لارتفاع منسوب المياه في البحيرة بسبب الصرف الزراعي أصبحت تلك المواقع تغمر بالمياه بشكل كلي في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف ونتيجة لارتفاع درجات الحرارة، فإن البحر يؤدي إلي انخفاض منسوب المياه، فتصبح تلك الأرضفة جافة مرة أخرى.^٦

وهناك مثال آخر من منطقة أخرى من العالم، نجده علي السواحل الجنوبية الشرقية ل إنجلترا حيث توجد السفينة أمستردام، والتي يرجع تاريخها إلي القرن الثامن عشر الميلادي، وهي من مجموعة سفن شركة الهند الشرقية الهولندية.^٧ وتقع هذه السفينة في نطاق المد والجزر في بحر المانش، وبناء علي ذلك فإنه أثناء المد تكون السفينة غارقة بالكامل علي عمق يزيد علي عشرة أمتار، أما أثناء الجزر، فإن المياه تتحسر تماما عن السفينة حتى تصبح ظاهرة للعيان.

وخلاصة القول، أن تصنيف المواقع الأثرية وفقا لمكان وجودها لا يعد تصنيفا علميا، خاصة وأن المكان قد يتغير نتيجة لظروف عدة. وعلي الرغم من أن مكان وجود الموقع الأثري يُعد مؤشرا أو دليلا علي التغيرات التي طرأت علي هذا الموقع والمراحل التي مر بها، وبالتالي فهو مصدر للمعلومات حول كيفية تكون الموقع الأثري، إلا أنه في الوقت ذاته لا يؤثر في المحتوي أو المضمون العلمي أو التاريخي

⁵ Blot, J-Y. Underwater Archaeology: Exploring the World Beneath the Sea. Thames & Hudson Ltd. London. 1996, pp. 39-41.

⁶ Blue, L. & Ramses, S. *Lake Mareotis Research Project*. Unpublished Survey Report. University of Southampton. 2005.

El-Fakharani, F. The Kibotos of Alexandria. In S. Stucchi & M. Aravantinos (eds.) *Studi Miscellanei 28, Giornate di Studio in Onore di Achille Adriani*. Roma. 1984, pp. 23-28.

Rodziewicz, M. Mareotic Harbours. In C. Décobert (ed.) *Alexandrie Médiévale 2, Etudes Alexandrines 8*. IFAO. Cairo. 2002, pp: 1-22.

⁷ Marsden, P. *The Wreck of the Amsterdam*. London: Hutchinson. 1985.

أو الفني للأثر.

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن مكان وجود الموقع الأثري يعد أحد العوامل الأساسية المؤثرة في تحديد التقنية والأسلوب المتبع في التعامل مع هذا الموقع، سواء أثناء البحث والاستكشاف أو المسح والتسجيل أو التنقيب والترميم^٨. فالتقنيات المستخدمة في كل مرحلة من هذه المراحل يجب أن تتلائم مع طبيعة الموقع الأثري. بمعنى أن دراسة المواقع الأثرية الغارقة تتطلب بطبيعة الحال استخدام أدوات وتقنيات تختلف عن تلك المستخدمة في أعمال المسح أو التنقيب الأثري في المواقع البرية^٩. ومن هنا ظهر في مجال الدراسات الأثرية منذ الستينيات من القرن الماضي مصطلح *Underwater Archaeology*، والذي حل محله في السنوات الأخيرة مصطلح آخر هو *Archaeology Underwater*^{١٠}. وكلا المصطلحين يقصد به ممارسة العمل الأثري تحت الماء، أي دراسة المواقع الأثرية الغارقة، باستخدام التقنيات والأساليب الخاصة التي تتماشى مع طبيعة تلك المواقع. ومن ثم، فقد يتصور البعض أن العمل الأثري تحت الماء *Underwater Archaeology* هو أحد فروع علم الآثار الذي يختص بدراسة الآثار الغارقة. ولكن بالرغم مما يتميز به العمل الأثري تحت الماء من خصوصية في التقنيات والأساليب، إلا أنه في واقع الأمر يتم في نفس الإطار المنهجي وتحكم نفس الأسس والقواعد العلمية التي تحكم العمل الأثري في المواقع البرية. أي أن الأسس والمبادئ العلمية التي يجب أن يتبناها ويلتزم بها المشتغلون بالعمل الأثري عند التعامل مع أي موقع من المواقع أو أي أثر من الآثار لا تختلف باختلاف البيئة أو المكان الذي يوجد به هذا الموقع. فالاختلاف بين العمل الأثري في المواقع الغارقة والعمل الأثري في المواقع الأرضية ليس بأي حال من الأحوال اختلاف علميا أو منهجيا، وإنما هو اختلاف تقني فقط^{١١}. ومن ثم فإن مصطلح "الآثار الغارقة" لا يشير إلي فرع من فروع علم الآثار أو إلي أحد تخصصاته، وإنما هو مصطلح تقني بالدرجة الأولى، يشير إلي طبيعة تلك المواقع وإلي مجموعة الأدوات والأساليب المستخدمة في التعامل معها، وذلك وفقا لنفس المقاييس وتبعاً لنفس المنهج

⁸ Barker, P. *Techniques of Archeological Excavation*. Routledge. London. 1993.

⁹ Delgado, J. *Encyclopaedia of Underwater and Maritime Archaeology*: Yale University Press. 1997, pp. 436.

Green, J. *Maritime Archaeology: A Technical Handbook*. Elsevier Academic Press. San Diego: 2004.

¹⁰ Bass, J. *op. cit.*

Blot, J-Y. *op. cit.*

Dean, M. et al. (eds). *Archaeology Underwater, The NAS Guide to Principles and Practice*. Nautical Archaeology Society & Archetype. London. 1992.

¹¹ Dean, M. et al. *op. cit.*, pp. 20

Green, J. *op. cit.*

المتبع في العمل الأثري في أي موقع آخر^{١٢}، فالعمل الأثري تحت الماء يمر بجميع المراحل التي يمر بها أي مشروع أثري آخر. وقد أثبتت الكثير من مشروعات المسح والتنقيب الأثري التي تمت في عدد من المواقع الغارقة في أنحاء العالم أن العمل الأثري تحت الماء يمكن أن يتم بنفس مستوي الدقة وبنفس المنهجية التي يتم بها العمل في أي من المواقع علي الأرض^{١٣}.

الآثار الغارقة والآثار البحرية

علي مدي الخمسين عام الماضية والتي ظهرت وتطورت فيها أساليب وتقنيات البحث والعمل الأثري في المواقع المغمورة، ارتبط مصطلح "الآثار الغارقة"، بمفهوميه المكاني والتقني، ارتباطا وثيقا بمصطلح آخر يحمل مدلولاً علمياً خالصاً ألا وهو مصطلح "الآثار البحرية" Maritime Archaeology^{١٤}. فوصف البقايا الأثرية بأنها بحرية هو في واقع الأمر وصف نوعي، أي أن تلك البقايا الأثرية، - سواء كانت موقعا أثريا أو قطعا أثرية- هي نتاج لعلاقة الإنسان علي مر العصور بالمسطحات والمجاري المائية المختلفة^{١٥}.

وهكذا ظهر علم الآثار البحرية كأحد فروع أو مجالات علم الآثار، حيث يختص بدراسة كل ما يتعلق بتلك البقايا الأثرية ذات الطبيعة البحرية. هذا وتتنوع صور الآثار البحرية تنوعا كبيرا لتشمل القوارب والسفن وكل ما يطبق بها من تصميمات وتجهيزات وبناء واستخدام وملاحة. وكذلك المنشآت البحرية والساحلية المختلفة كالمراسي والموانئ وترسانات السفن^{١٦}. ويمتد أيضا البحث في مجال الآثار البحرية ليشمل كل ما يمكن أن يكون مصدرا للمعلومات حول صناعة واستخدام السفن، كدراسة الأدوات والمواد والتقنيات التي كانت تستخدم في تلك الصناعة في العصور

¹² Gibbins, D. Maritime Archaeology. In I. Shaw & R. Jameson (eds.) *A Dictionary of Archaeology*. Blackwell Publishing, Oxford. 2002. pp. 380-2.

¹³ Bass, G. (ed.). *Beneath the Seven Seas*. Thames & Hudson. London. 2005.

Ruppe, C. & Barstad, J. *International Handbook of Underwater Archaeology*. Plenum Publishers. New York. 2002.

¹⁴ Babits, L. E. & Tilburg, H. V. (eds.) *Maritime Archaeology: A Reader of Substantive and Theoretical Contributions*. Kluwer Academic / Plenum Publishers. New York. 1998.

Cederlund, C. Marine archaeology in society and science. *The International Journal of Nautical Archaeology*. 1995. 24.1. pp. 9-13.

Muckleroy, K. *Maritime Archaeology*. Cambridge University Press. Cambridge. 1978.

Muckleroy, K. *Archaeology Underwater: An Atlas of the World's Submerged Sites*.

McGraw-Hill. New York. 1980.

¹⁵ Muckleroy, K. 1978. pp. 22.

¹⁶ McGrail, S. *Aspects of Maritime Archaeology and Ethnology*. Greenwich. London. 1984.

McGrail, S. *Studies in Maritime Archaeology*. British Archaeological Reports 256.

Archaeopress. Oxford. 1997. pp. 20.

Gibbins, D. *op. cit.*

المختلفة، وكذلك دراسة النصوص والكتابات التي تناولت الملاحة والأنشطة البحرية علي مر العصور^{١٧}. بل دراسة الموضوعات البحرية المصورة علي أشكال الفن المختلفة، خاصة تلك المتعلقة بالسفن والموانئ، فإنها تدخل أيضا في نطاق علم الآثار البحرية. هذا ويرى بعض علماء الآثار البحرية أن مجال الاهتمام بهذا الفرع من فروع علم الآثار يمتد ليشمل دراسة المجتمعات الساحلية في العصور المختلفة وما يتعلق بها من ثقافات وعادات وتراث مرتبط بالأنشطة البحرية^{١٨}.

بل إن بعض الباحثين يرون أن أحد التخصصات الهامة في هذا المجال هو ما يعرف بالإثنوجرافيا البحرية *Maritime Ethnography* وهو دراسة التراث البحري الذي لازال يمارس في الكثير من المجتمعات الحالية بصورة قريبة جدا من تلك التي كان يمارس بها في العصور القديمة^{١٩}، حيث تساهم دراسة التراث البحري في أحيان كثيرة في تفسير العديد من البقايا الأثرية، بل والنصوص التاريخية ذات المضمون البحري. إضافة إلى ذلك وجود اتجاه عالمي نحو اعتبار الموضوعات الخاصة بإدارة وحماية النطاق الساحلي *Coastal Zone Management* بهدف الحفاظ علي التراث المادي من الموضوعات المتعلقة والمرتبطة بعلم الآثار البحرية^{٢٠}. من ناحية أخرى، ومن أجل أن يتحقق لدارسي الآثار البحرية الهدف من تلك الدراسة، ألا وهو محاولة فهم أكثر وضوحا لطبيعة ولتطور العلاقة بين الإنسان والبيئة المائية في مختلف العصور والمناطق، فإن علماء الآثار البحرية كثيرا ما يستعينون في دراساتهم بعدد من التخصصات المساعدة مثل هندسة السفن وعلم النبات وعلم الآثار التجريبي وتاريخ الفن وعلم الإنسان وأيضا علوم اللغة وغيرها^{٢١}.

وبطبيعة الحال فإن هناك العديد من الموضوعات التي يمكن أن تمثل نطاق بحث واهتمام مشترك، ما بين علم الآثار البحرية، ومجالات أخرى لعلم الآثار، ومثال ذلك دراسة الاقتصاد والتجارة البحرية في مختلف العصور، والبضائع المختلفة التي كان

¹⁷ Steffy, J. R. *Wooden Ship Building and the Interpretation of Shipwrecks*. College Texas A&M University Press. Texas. 1994.

Delgado, J. *op. cit.* pp. 259.

¹⁸ Gould, R. (ed.). *Shipwreck Anthropology*. University of New Mexico Press. Albuquerque: New Mexico. 1983.

¹⁹ Hasslöf, O. *Maritime Ethnology and its Associated Disciplines*. in - Hasslöf, O. et al. (eds.). *Ships & Shipyards - Sailors and Fishermen*. Rosenkilde & Bagger Copenhagen. 1972. pp. 9-19.

²⁰ Grenier, R., Nutley, D. & Cochran, I. *Underwater Cultural Heritage at Risk: Managing Natural and Human Impacts*. International Council on Monuments and Sites: Paris. 2006. Morcos, S. et al. (eds.). *Towards integrated management of Alexandria's coastal heritage*. Coastal region and small island papers 14. UNESCO. Paris. 2003.

²¹ McGrail, S. 1984. pp. 13.

يتم تداولها بواسطة السفن والقوارب، خاصة وأن النقل البحري بصورة المختلفة كان هو وسيلة النقل الرئيسية لدى العديد من الحضارات القديمة^{٢٢}. ونظرا لتلك الأهمية التي كانت تمثلها السفن والقوارب بالنسبة لحياة الكثير من الشعوب، فقد ظهر فرع من فروع علم الآثار البحرية يختص تحديدا بدراسة الموضوعات المتعلقة بتقنيات وأساليب الملاحة وبناء القوارب والسفن بأنواعها في العصور المختلفة، وتطور هذه التقنيات واختلافها من منطقة إلي أخرى ومن فترة زمنية إلي أخرى، وهو التخصص الذي يعرف باسم Nautical Archaeology أو "علم الآثار الملاحية"^{٢٣}.

ومن الجدير بالذكر أن الارتباط القائم بين علم الآثار البحرية وبين العمل الأثري تحت الماء يعود بالدرجة الأولى إلي أن الكثير من المواقع ذات الطبيعة البحرية هي في الوقت ذاته مواقع غارقة جزئيا أو كليا^{٢٤}. ومع ذلك فإننا نجد أن العديد من المواقع الأثرية البحرية توجد في مناطق جافة أو بعيدة كليا عن البيئة الساحلية. فالسفن مثلا أو القوارب التي يعثر عليها مدفونة في بيئة صحراوية، مثل سفينة خوفو الجنائزية، وقوارب دهشور وأبيدوس^{٢٥}، فإنها جميعا تدخل في نطاق الآثار البحرية. مثل هذه السفن والقوارب -حتى وإن كانت ذات طبيعة جنائزية أو دينية أو طقسية- إلا أنها قد تم بناؤها بنفس الأسلوب والتقنية ووفقا لنفس الأسس التي سبعت في بناء السفن عامة في تلك العصور، ومن ثم فإنها تعتبر آثارا بحرية وملاحية وإن لم تكن غارقة. كما يمكننا أن نري صورا أخرى للآثار البحرية، غير الغارقة، في عدد من الموانئ، مثل مينائي ميوس هورموس (القصر القديم حاليا)، وبرنيس، اللذان كانا من أهم الموانئ المصرية علي ساحل البحر الأحمر خلال العصر الروماني. وقد أصحبا الآن علي بعد مئات الأمتار من ساحل البحر نتيجة لعمليات الترسيب التي حدثت علي مدي القرون السابقة. فضلا عن ذلك، فقد غطتهما تماما الرواسب والرمال التي كانت تحملها مياه الأمطار المندفعة خلال الوديان والسهول في الصحراء الشرقية^{٢٦}.

²² Casson, L. *Sips and Seafaring in Ancient Times*. University of Texas Press. Texas. 1996.

²³ Delgado, J. *op. cit.* pp. 260.

Gibbins, D. *op. cit.* pp. 380.

McGrail, S. 1984. pp.12.

²⁴ Muckleroy, K. 1980.

²⁵ Ward, C. *Sacred and secular: ancient Egyptian ships and boats*. Archaeological Institute of America Monographs, No. 5. University of Pennsylvania Museum. Philadelphia. 2000.

²⁶ Blue, L. Myos Hormos / Quseir al-Qadim: A Roman and Islamic Port on the Red Sea Coast of Egypt - A Maritime Perspective. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 32. 2002. pp.139-150.

وكما أن هناك آثارا بحرية غير غارقة، فإن هناك أيضا آثارا مغمورة بالمياه سواء كليا أو جزئيا ولكنها ليست ذات طبيعة بحرية. فعشرات التماثيل والأعمدة والأجزاء المعمارية والعملات وغيرها من الآثار التي عثر عليها غارقة علي سواحل الإسكندرية -سواء في الميناء الشرقي أو في خليج أبي قير^{٢٧} -هي بلا شك ليست آثارا بحرية. ومن ثم، فعلي الرغم من أن إجراء أعمال المسح أو التنقيب عن تلك الآثار الغارقة يتطلب استخدام التقنيات الخاصة بالعمل الأثري تحت الماء، إلا أن الدراسة العلمية لتلك الآثار تؤول إلي الأثريين المختصين بدراسة أنواع الفن المختلفة كالنحت والعمارة وغيرها، وليس للمختصين في علم الآثار البحرية.

وكما ذكرنا من قبل، فإن هناك العديد من المواقع الأثرية التي توصف بأنها مواقع بحرية وغارقة في الوقت ذاته، مثال ذلك الموانئ الغارقة في الإسكندرية وصور وصيدا وقيصرية وغيرها، وكذلك مئات السفن الغارقة من مختلف العصور، والتي أصبحت أكثر الموضوعات انتشارا في مجال دراسة الآثار الغارقة في مختلف أنحاء العالم^{٢٨}. فتلك جميعها آثار بحرية غارقة، يقوم المتخصصون في علم الآثار البحرية بدراستها باستخدام تقنيات العمل الأثري تحت الماء، ولكن وفقا لنفس المنهج ولنفس الأسس العلمية المتبعة في دراسة المواقع الأثرية بوجه عام.

من الأمثلة السابقة يتضح لنا أن علاقة الآثار البحرية بالآثار العارفة ليست عرصة متلازمة، أي أننا نخلص إلي نتيجة مؤداها أنه ليست كل الآثار الغارقة بالضرورة آثارا بحرية وليست كل الآثار البحرية بالضرورة غارقة. إلا أن هناك قدر كبير من التداخل بين المجالين يتمثل في الآثار الغارقة التي تكون في الوقت ذاته ذات طبيعة بحرية (شكل ١).

ولعل الفضل الأكبر في إتاحة الفرصة لممارسة العمل الأثري تحت الماء يرجع إلي اختراع أجهزة الغوص الذاتي بالهواء المضغوط والمعروفة اختصارا باسم SCUBA، ذلك في الأربعينات من القرن الماضي. فانتشار تلك الأجهزة وسهولة التدريب علي

Sidebotham, S. & Wendrich, W. (eds.) *Berenike 1998: Preliminary Report of the 1998 Excavations at Berenike (Egyptian Red Sea Coast) and the Survey of the Eastern Desert*. Leiden University Research School CNWS. Leiden. 2000.

²⁷ Khalil, E. & Mustafa, M. *op. cit.* pp. 522-8

Goddio, F. & Clauss, M. *op. cit.*

²⁸ Blackman, D. J. Ancient Harbours in the Mediterranean II. *International Journal of Nautical Archaeology*. 1982. 11.3. pp.185-211.

Flemming, N. Cities under the Mediterranean. In K. Muckelroy (ed.) *Archaeology Underwater: An Atlas of the World's Submerged Sites*. McGraw-Hill Book Company. London. 1980. pp. 162-177.

Parker, A. J. *Ancient Shipwrecks of the Mediterranean and the Roman Provinces*. British Archaeological Reports International Series 580. Tempus Reparatum. Oxford. 1992

استخدامها كانا من أهم العوامل التي ساعدت علي ظهور وتطور تقنيات ووسائل دراسة الآثار الغارقة، حتي أصبح للعمل الأثري تحت الماء أساليبه المعروفة والتي يستخدمها المشتغلون بهذا المجال.

لقد ساهم العمل الأثري تحت الماء إسهاما كبيرا في إثراء معلوماتنا عن العديد من أوجه الحياة في المجتمعات القديمة. فمن خلال البحث الأثري تحت الماء أمكن دراسة العديد من المواقع والبقايا الأثرية الهامة والتي أصبحت مصدرا أساسيا وهاما للمعرفة الأثرية في الكثير من الموضوعات، خاصة تلك المتعلقة بالنقل والتجارة والمعارك البحرية والتطور التكنولوجي في العالم القديم^{٢٩}.

خصائص المواقع الأثرية الغارقة

من المعروف أن قيمة أي أثر من الآثار تقاس بمقدار المعلومات التي يمكننا أن نستقيها منه عن حياة الأفراد والمجتمعات التي صنعت هذا الأثر واستخدمته. لذا، فمع اتساع نطاق البحث والدراسة في العديد من المواقع الأثرية الغارقة المنتشرة في مناطق متفرقة من العالم، والتي ترجع إلي حقبة زمنية مختلفة، سرعان ما اكتشف الأثريون المشتغلون في هذا المجال أن للمواقع الغارقة بوجه عام والسفن الغارقة علي وجه الخصوص خصائص تجعلها تتميز -كمصدر للمعرفة الأثرية- عن العديد من المواقع الأرضية التقليدية. ولعل أولى هذه الميزات يرتبط بقدرة البيئة المائية علي الحفاظ علي القطع الأثرية في حالة جيدة جدا، خاصة تلك القطع المصنوعة من مواد عضوية كأجسام السفن المصنوعة من الأخشاب، أو القطع المصنوعة من العظام وبقايا النباتات وغيرها (شكل ٢). فالبيئة المائية تبقي القطع الأثرية بمعزل عن الأكسوجين، والذي يتسبب في حالة وجوده في تأكسد المواد وتاكلها، مثلما يحدث للمواد العضوية في كثير من المواقع الأرضية. أما تحت الماء، وخاصة في حالة وجود القطع الأثرية مدفونة تحت قيعان البحار أو الأنهار، فإن تلك البيئة تحفظ القطع في حالة جيدة، بحيث تصبح بعد انتشالها وترميمها ودراستها مصدرا ثريا للمعلومات عن صانعيها ومستخدميها^{٣٠}.

وهناك ميزة أخرى - ليست أقل أهمية - تتميز بها المواقع الغارقة عن الكثير من المواقع البرية وهي تلك التي تتعلق بعملية تكون الموقع الأثري ذاته، والتي تؤثر في قيمته الأثرية ومن ثم العلمية. فمعظم المواقع الغارقة تتكون بشكل عفوي وغير مقصود، الأمر الذي يجعلها أكثر وأصدق تعبيراً عن الحياة العادية للأفراد والمجتمعات. فالسفن عادة ما تتعرض للغرق بشكل مفاجئ وسريع إما نتيجة لعوامل

²⁹ Bass, G. (ed.). A History of Seafaring based on Underwater Archaeology. Thames & Hudson. London. 1972.

³⁰ Robinson, W. First Aid for Underwater Finds. Archetype. London. 1998. pp. 25-51.

جوية غير ملائمة أو بسبب تعرضها للإصابة إما أثناء معركة حربية أو من جراء اصطدامها بالصخور أو ما إلي ذلك. وكذلك المواقع والمنشآت الساحلية كالموانئ مثلا، كثيرا ما تتعرض للغرق بفعل الزلازل التي تتسبب في هبوط السواحل بشكل مفاجئ. لذا فإن تلك المواقع وما تحتويه من قطع أثرية تعكس بصورة أكثر واقعية بعض أوجه الحياة التي كان يعيشها المجتمع لحظة تعرض المنطقة أو الموقع للغرق. فنحن نجد أن المواقع التي تمثل حطام السفن الغارقة، عادة ما تحتوي علي بقايا لما كانت تحمله السفن من بضائع ومنقولات. فضلا عن ذلك فإنها تحتوي أيضا علي مجموعات متنوعة من القطع الأثرية التي تمثل الأدوات والأمتعة الشخصية لركاب تلك السفن وبحارتها. وعلي ذلك، فعندما تكتشف هذه المواقع ويتم دراسة تلك المجموعات المتنوعة من القطع الأثرية فإنها تساهم في رسم صورة دقيقة إلي حد كبير للأنشطة التي كانت تستخدم فيها السفينة بالإضافة إلي للحياة اليومية لبحارتها وركابها إبان تعرضها للغرق، الأمر الذي يمثل مصدرا هاما للمعلومات حول المجتمع الذي صنع واستخدم تلك السفينة في تلك الفترة^{٣١}.

وميزة ثالثة تتميز بها المواقع الغارقة، وبخاصة السفن الغارقة، عن الكثير من المواقع الأخرى هي التوافق الزمني بين الموقع ومحتوياته. فالسفينة ذاتها، بالإضافة إلي كل ما تحمله من أدوات وأمتعة وبضائع ومتعلقات شخصية لركابها وغير ذلك، ترجع جميعها إلي فترة زمنية واحدة ومحددة، الأمر الذي ينتج عنه في النهاية موقع أثري ذو خصائص مميزة جدا. فعلي سبيل المثال، إذا تعرضت سفينة للغرق في السنوات الأولى من القرن الأول الميلادي فإن أغلب، إن لم يكن كل ما تحمله هذه السفينة علي متنها يعود إلي نفس الفترة. ومن ثم فعند غرق السفينة وتحولها إلي موقع أثري تكون عناصر هذا الموقع مرتبطة ومتوافقة زمنيا، الأمر الذي يتيح للأثريين فرصة فريدة لدراسة مجموعات كبيرة ومتنوعة من القطع الأثرية المختلفة المواد والاستخدام والتي تعود كلها إلي نفس الفترة الزمنية^{٣٢}.

وفي المقابل نجد أن الكثير من المواقع الأثرية الأرضية تتكون بسبب ترك سكانها أو مستخدميها لها، ومن ثم تصبح تلك المواقع غير مأهولة، أو يعاد استخدامها مرة أخرى من قبل سكان جدد، ثم تترك من جديد، ويعاد استخدامها مرة أخرى وهكذا. لذا فإن كثيرا من القطع الأثرية التي يعثر عليها أثناء إجراء الحفائر في المواقع الأرضية غالبا ما تكون نتيجة استخدام متكرر وممتد للمواقع علي مدي فترات زمنية طويلة قد تصل أحيانا إلي آلاف السنين، تتعرض خلالها المواقع للعديد من التغيرات بسبب العوامل البشرية والطبيعية. وفي أحيان كثيرة يكون قد تم التخلص من القطع بشكل

³¹ Muckelroy, K. 1978. pp. 215.

Gibbins, D. *op. cit.* pp. 380.

³² Green, G. *op. cit.* pp. 4-5.

مقصود من قبل مستخدميها الأوائل، فإما أن تتعرض للدفن وتبقي مدفونة حتى يكشف عنها علماء الآثار، أو تتراكم علي مدي زمني طويل في صورة تلال أثرية مثل التلال التي يعثر عليها في كثير من المواقع.

لعل أحد الاستثناءات البارزة بالنسبة للمواقع الأرضية التي تكون فيها الآثار متوافقة زمنيا يكمن في حالة المقابر التي يتم الكشف عنها وهي تحتوي علي مجموعات من القطع الأثرية التي تعود كلها إلي تاريخ المقبرة ذاتها، وفي هذه الحالة تكون القطع قد تم اختيارها بشكل متعمد لتوضع في المقبرة، ومن ثم فهي وإن كانت متوافقة زمنيا، إلا أنها لا ينطبق عليها فكرة غياب الدافع أو العفوية التي تميز المواقع الغارقة.

ولعل أحد أبرز الأمثلة علي تلك الخصائص المميزة للسفن الغارقة نجدها في أقدم السفن التي عثر عليها تحت الماء حتى الآن وهي تلك السفينة الغارقة في منطقة Uluburun في جنوب تركيا، وترجع إلي أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والتي غرقت وهي تحمل علي متنها ما يزيد علي عشرة أطنان من البضائع والمنتجات المختلفة. ولقد بدأ التنقيب عن تلك السفينة عام ١٩٨٤ واستمر قرابة العشر سنوات، حيث أسفرت أعمال الحفائر خلال تلك الفترة عن مئات القطع الأثرية القادمة من مناطق متفرقة من شرق البحر الأبيض المتوسط مثل قبرص والساحل الفينيقي وآسيا الصغرى وبلاد اليونان، والتي تنوعت ما بين مواد خام معدة للتصنيع مثل كتل الزجاج وسوائل البرونز وقطع العاج والأبوس وكذلك قطع مصنعة مثل الحلبي والأواني الفخارية والأسلحة وأدوات النجارة التي كانت تستخدم في إصلاح السفن، وغيرها بالإضافة إلي بعض أجزاء من جسم السفينة ذاته، وعدد من المرساوات الحجرية. وبالرغم من أنه قد عثر من قبل علي نماذج من هذه القطع والمواد في مناطق متفرقة من البحر المتوسط، إلا أن العثور عليها مجتمعة في سفينة واحدة يمثل دليلا علي ارتباطها زمنيا رغم اختلاف مصدرها. ومن ثم فإن دراسة مثل هذا الموقع يعتبر بمثابة دراسة مقارنة لكل هذه الصناعات والمنتجات، الأمر الذي يعد مصدرا غاية في الثراء للمعلومات حول الصناعة والتجارة في عصر البرونز في شرق البحر المتوسط³³.

مثال آخر علي قيمة الآثار البحرية الغارقة كمصدر للمعرفة الأثرية، نجده في السفينة الحربية الإنجليزية الشهيرة Mary Rose والتي غرقت أمام سواحل مدينة Portsmouth في جنوب إنجلترا عام ١٥٤٥م وعلي متنها ٦٠٠ شخص من البحارة

³³ Pulak, C. *The Uluburun Shipwreck: An Overview*. International Journal of Nautical Archaeology 27. 1998. pp. 188-224.

Pulak, C. *The Late Bronze Age Shipwreck at Uluburun, Turkey*. In G.F. Bass, (ed.) *Beneath the Seven Seas*. Thames & Hudson. London. 2005, pp. 186-191.

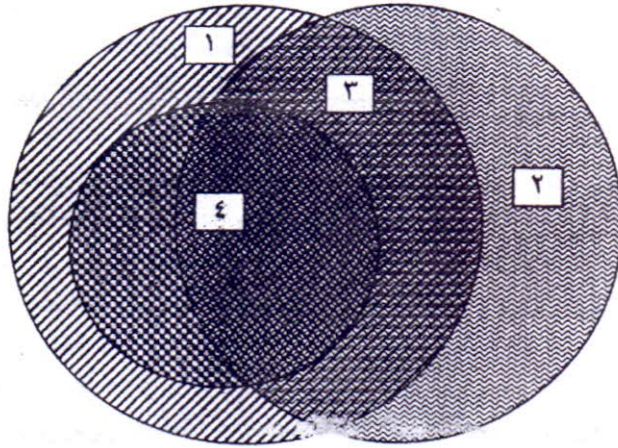
والجنود^{٣٤}. فقد كشف التنقيب عن هذه السفينة عن آلاف القطع الأثرية التي كانت تستخدم علي متنها مثل أنواع مختلفة من الأسلحة، والأدوات الملاحية، والمتعلقات الشخصية الخاصة بالجنود والبحارة، وأدوات لحرف مختلفة كانت تمارس علي متن السفينة كالنجارة والحدادة وأدوات جراحية وطبية وأدوات موسيقية وترفيهية، وحتى بقايا الأطعمة التي كان يتم تناولها علي السفينة. هذا الكم وهذا التنوع الكبير في البقايا الأثرية المتوافقة زمنيا ومكانيا هو بمثابة توثيق مادي لما كانت عليه أوجه الحياة اليومية والأنشطة المختلفة للبحارة والجنود علي متن السفن الحربية في بريطانيا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي.

الخلاصة

بناء علي ما سبق، يتضح لنا أن علم الآثار البحرية لا يتعلق بالضرورة بدراسة المواقع الغارقة أو تلك الموجودة في بيئة بحرية وإنما يرتبط بالدرجة الأولى بدراسة المواقع المرتبطة بالنشاط البحري بصوره المختلفة بغض النظر عن مكان وجودها الفعلي، والذي لا يغير بوجه عام من طبيعة المواقع أو من محتواها الأثري. في الوقت ذاته نجد أن المواقع الأثرية الغارقة، وخاصة السفن، تتميز بعدد من الخصائص التي تجعلها مصدرا ثريا ومميزا للمعرفة الأثرية.

لقد لعب النشاط البحري دورا أساسيا في حياة الكثير من الشعوب علي مر التاريخ. ومن ثم فإن دراسة هذا النشاط بصوره المختلفة يساهم بشكل فعال في فهم تاريخ تلك الشعوب، ويعد علم الآثار البحرية أحد الأدوات التي يمكننا من خلالها إلقاء مزيد من الضوء علي أوجه مختلفة من حياة الشعوب وتطور الحضارات. ومن ثم، فعلي جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية العربية المعنية بالدراسات الأثرية أن تسعى نحو إدخال هذا التخصص الهام ضمن برامجها الدراسية والبحثية حتي يكون لدينا جيل جديد من الأثريين والباحثين المعنيين بدراسة آثارنا البحرية وتوثيقها والحفاظ عليها من الاندثار.

³⁴ Marsden, P. *Sealed by Time: The Loss and Recovery of the Mary Rose*. The Mary Rose Trust. Portsmouth. 2003.

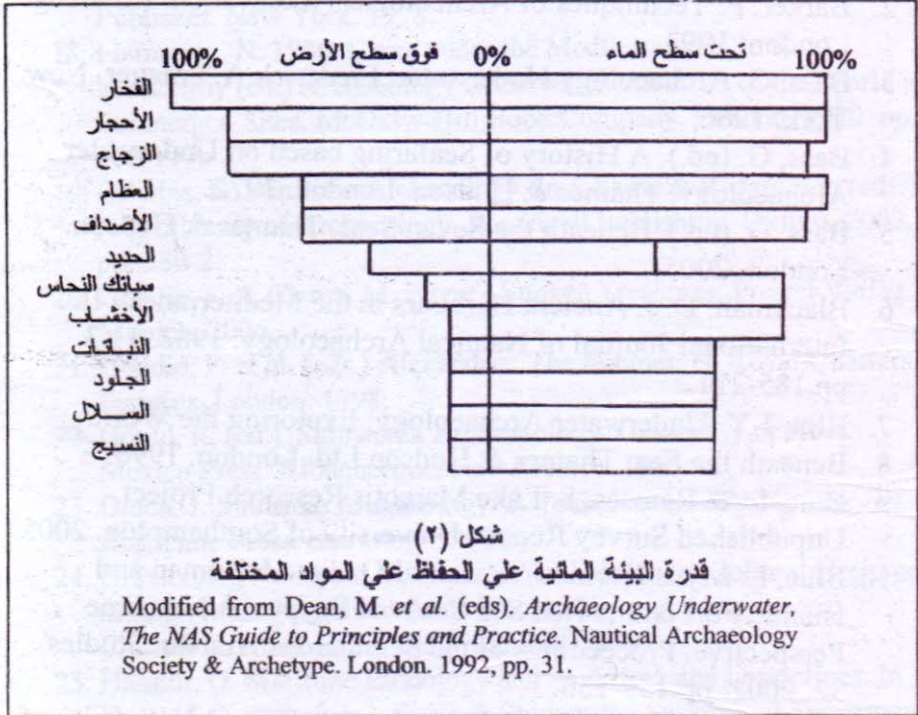


(شكل ١)

العلاقة ما بين المواقع الأثرية البحرية والملاحية والغارقة

- ١- المواقع الأثرية ذات الطبيعة البحرية (الآثار البحرية).
- ٢- المواقع الأثرية الغارقة (الآثار الغارقة).
- ٣- الآثار البحرية الغارقة.
- ٤- الآثار الملاحية.

نلاحظ أن وجود نطاق مشترك بين الآثار البحرية والغارقة، ألا وهو الآثار ذات الطبيعة البحرية الموجودة بالفعل تحت الماء، مثل السفن الغارقة. كما نلاحظ أن الآثار الملاحية تقع بالكامل داخل نطاق الآثار البحرية، إلا أنها ليست بالضرورة أن تكون غارقة، وذلك مثل السفن التي يعثر عليها في مواقع برية، فهي آثار بحرية وملاحية ولكنها ليست غارقة.



قائمة المراجع

- اتفاقية اليونسكو بشأن حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه. باريس ٢٠٠١.
1. Babits, L. E. & Tilburg, H. V. (eds.) *Maritime Archaeology: A Reader of Substantive and Theoretical Contributions*. Kluwer Academic / Plenum Publishers. New York. 1998.
 2. Barker, P. *Techniques of Archeological Excavation*. Routledge. London. 1993.
 3. Bass, G. *Archaeology Underwater*. Frederick A. Praeger. New York. 1966.
 4. Bass, G. (ed.). *A History of Seafaring based on Underwater Archaeology*. Thames & Hudson. London. 1972.
 5. Bass, G. (ed.). *Beneath the Seven Seas*. Thames & Hudson. London. 2005.
 6. Blackman, D. J. *Ancient Harbours in the Mediterranean II*. *International Journal of Nautical Archaeology*. 1982. 11.3. pp.185-211.
 7. Blot, J-Y. *Underwater Archaeology: Exploring the World*
 8. *Beneath the Sea*. Thames & Hudson Ltd. London. 1996.
 9. Blue, L. & Ramses, S. *Lake Mareotis Research Project*. Unpublished Survey Report. University of Southampton. 2005.
 10. Blue, L. *Myos Hormos / Quseir al-Qadim: A Roman and Islamic Port on the Red Sea Coast of Egypt – A Maritime Perspective*. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 32. 2002. pp.139-150.
 11. Casson, L. *Sips and Seafaring in Ancient Times*. University of Texas Press. Texas .1996.
 - 12.
 13. Cederlund, C. *Marine archaeology in society and science*. *The International Journal of Nautical Archaeology*. 1995. 24.1. pp. 9-13.
 14. Dean, M. et al. (eds). *Archaeology Underwater, The NAS Guide to Principles and Practice*. Nautical Archaeology Society & Archetype. London. 1992.
 15. Delgado, J. *Encyclopaedia of Underwater and Maritime Archaeology*: Yale University Press. 1997.

16. El-Fakharani, F. The Kibotos of Alexandria. In S. Stucchi & M. Aravantinos (eds.) *Studi Miscellanei* 28, *Giornate di Studio in Onore di Achille Adriani*. Roma. 1984, pp. 23-28.
17. Empereur, J. Y. *Alexandria Rediscovered*. George Braziller Publisher. New York. 1998.
18. Flemming, N. 1980. Cities under the Mediterranean. In K. Muckelroy (ed.) *Archaeology Underwater: An Atlas of the World's Submerged Sites*. McGraw-Hill Book Company. London. 1980. pp. 162-177.
19. Gibbins, D. *Maritime Archaeology*. In I. Shaw & R. Jameson (eds.) *A Dictionary of Archaeology*. Blackwell Publishing. Oxford. 2002. pp. 380-2.
20. Goddio, F. & Clauss, M. *Egypt's Sunken Treasures*. Prestel Verlag. Munich. 2006.
21. Goddio, F. et al. (eds.) *Alexandria: The Submerged Royal Quarters*. Periplus. London. 1998.
22. Gould, R. (ed.). *Shipwreck Anthropology*. University of New Mexico Press. Albuquerque: New Mexico. 1983.
23. Green, J. *Maritime Archaeology: A Technical Handbook*. Elsevier Academic Press. San Diego: 2004.
24. Grenier, R., Nutley, D. & Cochran, I. *Underwater Cultural Heritage at Risk: Managing Natural and Human Impacts*. International Council on Monuments and Sites: Paris. 2006.
25. Hasslöf, O. *Maritime Ethnology and its Associated Disciplines*. In Hasslöf, O. et al. (eds.). *Ships & Shipyards - Sailors and Fishermen*. Rosenkilde & Bagger Copenhagen. 1972. pp. 9-19.
26. Khalil, E. & Mustafa, M. *Underwater Archaeology in Egypt*. In C. Ruppé & J. Barstad, *International Handbook of Underwater Archaeology*. Kluwer Academic / Plenum Publisher. New York. 2002, pp. 519-34.
27. Marsden, P. *Sealed by Time: The Loss and Recovery of the Mary Rose*. The Mary Rose Trust. Portsmouth. 2003.
28. McGrail, S. *Aspects of Maritime Archaeology and Ethnology*. Greenwich. London. 1984.
29. McGrail, S. *Studies in Maritime Archaeology*. British Archaeological Reports 256. Archaeopress. Oxford. 1997.

30. Morcos, S. et al. (eds.). Towards integrated management of Alexandria's coastal heritage. Coastal region and small island papers 14. UNESCO. Paris. 2003.
31. Mostafa, M. H., et al. (eds.). Underwater Archaeology and Coastal Management – Focus on Alexandria. Paris: UNESCO Publishing. Paris. 2000.
32. Muckleroy, K. Archaeology Underwater: An Atlas of the World's Submerged Sites. McGraw-Hill. New York. 1980.
33. Muckleroy, K. Maritime Archaeology. Cambridge University Press. Cambridge. 1978.
34. Parker, A. J. Ancient Shipwrecks of the Mediterranean and the Roman Provinces. British Archaeological Reports International Series 580. Tempus Reparatum. Oxford. 1992.
35. Pulak, C. The Late Bronze Age Shipwreck at Uluburun, Turkey. In G.F. Bass, (ed.) Beneath the Seven Seas. Thames & Hudson. London. 2005, pp. 186-191.
36. Pulak, C. The Uluburun Shipwreck: An Overview. International Journal of Nautical Archaeology 27. 1998 pp. 188-224.
37. Robinson, W. First Aid for Underwater Finds. Archetype. London. 1998.
38. Rodziewicz, M. Mareotic Harbours. In C. Décobert (ed.) Alexandrie Médiévale 2, Etudes Alexandrines 8. IFAO. Cairo. 2002, pp. 1-22.
39. Ruppe, C. & Barstad, J. International Handbook of Underwater Archaeology. Plenum Publishers. New York. 2002.
40. Sidebotham, S. & Wendrich, W. (eds.) Berenike 1998: Preliminary Report of the 1998 Excavations at Berenike (Egyptian Red Sea Coast) and the Survey of the Eastern Desert. Leiden University Research School. Leiden. 2000.
41. Steffy, J. R. Wooden Ship Building and the Interpretation of Shipwrecks. College Texas A&M University Press. Texas. 1994.
42. Ward, C. Red Sea Treasure Ship. In G.F. Bass, (ed.) Beneath the Seven Seas. Thames & Hudson. London. 2005, pp. 186-191.
43. Ward, C. Sacred and secular: ancient Egyptian ships and boats. Archaeological Institute of America Monographs, No. 5. University of Pennsylvania Museum. Philadelphia. 2000.

قصة الخليفة (أسطورة بابلية) فضيلة عبد الرحيم حسين

المقدمة

تعد الأسطورة اول محاولة نوضع مفاهيم تهدف إلى إنقاذ الإنسان من مآهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها , ولكل أمة وشعب قصص وأساطير قصص الأبطال , مولدهم وموتهم عنهم وبغضهم أحقادهم ومآثراتهم انتصاراتهم وهزائمهم فضلا عن أعمال الخير والشر , الخلق والتدمير ونظام الكون وشكل الانسان وأقامة الحضارة , وبالرغم من أوجه الشبه الموضوعي في الأساطير القديمة إلا إنها تختلف من حيث الدوافع الفردية بما يتفق وتاريخ الحضارة. تتكون الدراسة من ثلاث مباحث هي :

المبحث الأول: تحديد مفهوم الأسطورة

المبحث الثاني: أنواع الأساطير

المبحث الثالث: قصة الخليفة - أسطورة بابلية

هناك عدد كبير من الأساطير تختلف باختلاف الأمم والشعوب والمجتمعات , والمجتمع العربي بشكل خاص على إتصال دائم وقديم بمن حولهم من شعوب وأمم وان هذه الصلة تفهم من خلال أعماق التاريخ على امتداد عصوره وتبدل اطواره ولا بد لنا من استيعاب هذا الماضي من خلال الإرث الأسطوري.

المبحث الأول: تحديد مفهوم الاسطورة

الأساطير السومرية هي أقدم النماذج الادبية, ومن المدونات التاريخية التي تعتمد عليها أساطير الشرق الأدنى القديم ولتحديد مفهوم الاسطورة علينا أن نوضح الجوانب المجهولة في تاريخ الانسان والتي تساعد على نمو المعرفة كما إن نتائج التنقيب الحفلي للحصول على المادة المكتشفة لها دلالات وحقائق تاريخية وكانت الاساطير الدينية والنصوص الادبية من المواضيع التي ساهم علماء الآثار في وضع مختلف البحوث والدراسات عنها.

مفهوم الأسطورة في اللغات الاجنبية كلمتان myth أو mythos يرجع هذا الاصطلاح الى الاغريق إذ كانت كلمة mythos تعني حكايات الالهة كما إنها معلومات قصصية منظمة تدور حول المعتقدات الدينية أو أصول الكون وأنها تسجل

* كلية الاداب / جامعة بغداد

١ E.leach., The structural study of myth & Totemism , 1967 , p 75.

للنظام الاخلاقي الذي ينظم ويشرع المواقف والاحداث وأن جذورها ترجع الى ستة آلاف سنة أي منذ عصر السومريين^١.

أما الموسوعة البريطانية : تحدد مفهوم الأسطورة على إنها (؛ حدث في تاريخ المجتمعات البشرية والتي فيها تنوع في الافكار والخصائص والاسلوب الذي يتضح من خلال الاسطورة في الخيال النفسي لحضارات الناس وإن مصطلح علم الاساطير (mythology) يستعمل لدراسة وتجسيم الاسطورة التي تعني خاصية للمعتقدات السحيقة)^٢.

والأسطورة ترجمة لملاحظات واقعية ورصد لحوادث جارية وعبرها إنتقلت الينا تجارب الاولين وخبراتهم المباشرة حيث كانت ذاكرة الانسان على قدر كبير من النشاط والحيوية وقد أستخدمها لنقل الأحداث عبر الأجيال منها قصة ((قصة الخليفة)) (اسطورة بابلية)) وأسطورة الطوفان والتي ذكرت في القرآن الكريم والانبيا والقرآن.

وفي ضوء الميثولوجيا نرى إن الاساطير هي مفتاح التحدي والاستجابة وهي التي أدت الى تكوين ونشوء الحضارت البشرية والتي نشأت في مجتمعات بدائية بسبب التحدي البشري الناشئ عن علاقتها بالمجتمعات السومرية والمصرية والصينية والمايا والاندية والمينية^٣.

والاسطورة (كقصة تخليفة - اسطورة بابلية) تبحث في أصول الكون وكلمة القصة تشترك مع كلمة التاريخ في اصل واحد (story - history) وهذا يدل على إنها عصب التاريخ والحد الفاصل بين الاحداث الواقعية والخيالية وتطور الكتابة التاريخية^٤.

وهناك ((مكتبة سبار)) تضم انبيات الماضي ومعاجم وقوانين واساطير وهي مقسمة الى رفوف أفقية وعمودية وعمق كل رف ٧٠ سم ومجموعها ٥٦ رفاً وتضم كتباً في إنفلك والاساطير والتاريخ والجغرافية والرياضيات تعود الى القرن السادس قبل الميلاد^٥.

^١ علي ، الدكتور فاضل عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩ ، ص ١٤٨.

^٢ William Benton & Helen Hemingway Benton , the new Encyclopaedia Britannica , printed in U.S.A . V 01 -12 , new jersey , 1768 p 793 (Myth & Mythology).

^٣ توييني ، ارنولد ، ج ، بحث في التاريخ، ترجمة : طه باقر، مطبعة النقيض الاهلية ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ١٧ - ١١٧.

^٤ راوس . أ . ل . التاريخ اثره وفائنته ، ترجمة : مجد الدين حنفي ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٤٥.

^٥ الجادر، وليد، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، العدد الثالث، ١٩٨٧، ص ٩٣.

المبحث الثاني : أنواع الاساطير

Creative myth

Ritual myth

Civilized myth

Symbolic myth

Gad – brave myth

١- الأسطورة الكونية

٢- الأسطورة الطقوسية

٣- الأسطورة الحضارية

٤- الأسطورة الرمزية

٥- الأسطورة (البطل المؤله)

١- الأسطورة الكونية Creative myth

الأسطورة الكونية : وسيلة للتعبير عن النوازع والمشاعر الداخلية عند الانسان القديم والصور التي تتألف من عملية إخراج هذه الدوافع الداخلية سببها بالصور التي تشكل في الاحلام حيث تتحول الى حكايات من تلقاء نفسها^١ ومن هذا النوع قصة الخليفة (أسطورة التكوين البابلية) التي تصور لنا كيف خلق الانسان والكون واصله وتنظيمه^٢.

٢- الأسطورة الطقوسية Ritual myth

هي أسطورة ترتبط بالعبادة وعنيت برصد الجزء الكلامي من الطقوس قبل أن تصبح حكاية ويمتاز هذا الجزء بقوى سحرية خفية ليتمكن منشده من أسترجاع الموقف الذي يصفه^٣.

مثال (أسطورة اوزيريس المصرية) التي تصف الكون والخلق وحياة الانسان وهي أيضا تتشابه مع أسطورة الخليفة (الاكدية)^٤.

إن الاساطير والطقوس تتبادل المواقع حيث تقف الاسطورة على المستوى الفكري بينما تقف الطقوس على المستوى العملي.

إن القصص الطقوسية في حقيقتها اشلاء احداث تاريخية ومناسبات أريد بها الحفظ والتذكير فهذه القصص ينظر اليها كمدونات تاريخية يستخدمها علم الاساطير بعد توضيحها وإعادة ضبطها وتحريكها من أقدم مواقعها ومن هنا أصبحت العلاقة وثيقة بين التاريخ القديم والاسطورة تارة أو بين الاثنوغرافيا والانثروبولوجيا الاجتماعية تارة أخرى^٥.

^١ - إبراهيم ، نبيلة ، الاسطورة ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٩ .

^٢ حسنين ، فؤاد ، قصصنا الشعبي ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ ، ص ٢٧ .

^٣ زكي ، أحمد كمال ، الاسطورة دراسة حضارية مقارنة ، مكتبة الشبلى ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٦

^٤ S. H. Hook , Middle Eastern Mythology , London , 1968 , pp. 11 - 12 .

^٥ عبد الحكيم ، شوقي ، مدخل لدراسة الفلكلور والاساطير العربية ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ط ١ ، ص ١٩ .

٣- الاسطورة الرمزية Symbolic Myth

انها أساطير تختص بعالم الانسان وليس بعالم الالهة وان رموزها صادقة تحتل اكر من تفكير وقد الفت في مرحلة فكرية متطورة وان الاساطير السومرية في بلاد وادي الرافدين هي اساطير رمزية لانها لم تكون في تلك الفترات وظل امتدادها الفكري منتقلا طرقة عصور طويلة نظير صدق تعبيرها والترابط الوثيق بين فكر الانسان وواقعه الاجتماعي وان اختراع الالهة هو رمز للتعبير عن مكونات النفس البشرية الذي كان بفعل التقديس^١.

الاسطورة الرمزية اكثر تعديدا من الطقوسية والتخليلية لانها تعبر عن فكرة دينية او كونية مثل اسطورة (ابا) حيث يكون للرمز قيمة شمولية ومدلول عام ففي اسطورة (ابا) يظهر الرمز في اقدم نموذج لبني في العراق القديم وان الرمز تجسد في الريح للدلالة عن القوة والبطش^٢.

٤- الاسطورة الحضارية Civilized / myth

والتي تكشف عن صراع الانسان مع الحياة لأصراره على الانتقال من المرحلة الطبيعية الى المرحلة الحضارية كما انها تصور موقف الانسان البطل من الكون ومن الحياة التي يعيشها^٣.

إن الاسطورة الحضارية سجال للنظم الايدولوجية البنائية وتركيزها على التقسيم الثلاثي لظواهر الوجود فالميتولوجيا الحضارية تتمتع بسيادة ايدولوجية تتطوي على ثلاثة أبعاد متداخلة هي :

١- الوظيفة المتضمنة للابعد السحرية والقضائية

٢- الوظيفة المرتبطة بالتنظيم الحربي والدفاعي

٣- الانتاجية الاقتصادية^٤

٥- اسطورة لبطل المؤله God Brave myth

إن هذه الأسطورة هي مزيج من الانسان والالهة تهتم بتنظيم الكون والمحافظة على الظواهر الطبيعية التي تعود على الانسان بالخير وله صفات يحاول من خلالها الوصول الى مصاف الالهة.

^١ بريشارد جيمس، اساطير بابلية، مصدر سابق، ص ٤٩.

^٢ هوك، صموئيل هنري، مصدر سابق، ص ٥٠.

^٣ شتراوس، كلود ليفي، الاسطورة والمعنى، ترجمة: شلكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، ط ١ بغداد، ١٩٨٦، ص ٣٣.

^٤ النوري، قيس، الاساطير وعلم الاجناس، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ١٩٨١، ص ٢٤.

أن هذه الأسطورة تجسيم للعناصر الكونية Personification وهي بدايات تفكير الديني حيث كان الملك في الشرق القديم ممثلاً للالهة وأنه كان محور العبادة وأصبح مسؤولاً عن مصير الكون مثال على ذلك : -

أسطورة البطل جلجامش - والتي تعد أسطورة تاريخية فالبطل له قوة خارقة ترسله إلى مصاف الآلهة إلا أن الصفات الانسانية تعيقه وتحاول شدة إلى الأرض^١.
أن مفهوم هذه الأسطورة تطور فيما بعد إلى فكرة المخلص عند الإيرانيين والمسببا* (المسيح الحقيقي) عند اليهود والمهدي المنتظر عند المسلمين^٢.

إن تفكير الأسطوري القائم على أساس غيبي - لا عقلاني صريح له منطقته المختلف تماماً عن الفكر الموضوعي وإن لهذه الأسطورة صفة قدسية غامضة على مواضيعها وأشياءها وأشخاصها وإن لهذه الأسطورة مستلزمات غيبية تستند إليها في الواقع وتنعكس بواسطتها على المجتمع وعلى السلوك السياسي الطبقي حيث كان العرب قبل الإسلام يجمعون بين الرمز الأسطوري والرمز السياسي أو الاجتماعي وكانوا أيضاً يستعينون بالبداوة على الحضارة والدين أو الأسطورة على السياسة ونلاحظ ذلك في التراث اليماني إذ نقشوا نقوداً عليها صور الملوك وأسمائهم بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية وبذلك يكون مفهوم التاريخ اتخذ اتجاهها يمثل البطل فية صانع التاريخ^٣.

المبحث الثالث : ((قصة الخليفة - أسطورة بابلية))

بعد الجهد الذي كرسه علماء السومريات تم الحصول على ثلاث أنواع من الأساطير السومرية الأصل والتي تعد الأساس في الأساطير التي ظهرت في وادي الرافدين منها ((قصة الخليفة - أسطورة بابلية)) وأسطورة الطوفان وأسطورة دموزي^٤.

^١ إبراهيم ، مجدي محمد شمس الدين ، الأسطورة ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٩ ، ايلول ١٩٧٨ ، ص ٧١.

* للمسيا مفهومين الأول : روجي المعروف عند اليهود مسيا بن داوود.

الثاني : المحارب البطل العسكري الذي سيفهر ببابه الشديد أعداء اليهود.

^٢ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥١ - ٣٥٣.

^٣ خليل ، خليل أحمد ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٧٥.

^٤ الملاح ، هاشم يحيى وآخرون ، دراسات في فلسفة التاريخ ، دار الكتب والنشر ، العراق ، دت ، ص ٢٤٢.

^٥ هوك ، صموئيل هنري ، الأساطير في بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : يوسف داوود عبد القادر ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد ١٩٦٨ ، ص (٦)

إن الحديث عن التأليف الأدبية ذات الطابع القصصي narrative عند السومريين والبابليين يميز المختصون بدراسة الأدب القديم بين نتاجات أدبية رئيسية ثلاث هي الاسطورة myth والملحمة Epic والخبر Legend لقد ميزوا بين الالهة والانسان واقاموا حدودا بين عالم الالهة وعالم الانسان واضفوا على الهتهم في كل ما نسجوا من أساطير لجميع صفات البشر وطباعهم , لقد السومريون والبابليون طريقة تتسم بالبساطة فنجدهم يسمون : (اسطورة الخليفة البابلية — عندما في العلى)) وهو البيت الاول من تلك الاسطورة الشعرية^١.

أن قصة الخليفة كأسطورة بابلية تعتبر من أهم المؤلفات الشعرية التي عرضت لمسألة خلق الكون حسب المعتقدات لدينية لسكان وادي الرافدين وقد أصطلح المعنيون بالدراسات المسمارية على تسميتها ((قصة الخليفة — ملحمة الخليفة))^٢.

إن اسطورة الخليفة بأعتبارها اسطورة سومرية تبحث في فكرة الخلق من العدم (Ex - nihilo) لأن فكرة الخلق هي عملية استخلاص النظام من حالة فوضي واسطورة خلق العالم قد وجدت بصيغة رئيسية واحدة هي اسطورة (إينما - إيليش)^٣ أو ملحمة الخليفة كما هي باسلوبها العام , إن نظرية أصل الكون السومرية قد اكتملت عن اصول اسطورية مختلفة ولغرض تنسيق ((اساطير الخليفة)) السومرية يمكننا تنظيمها في ثلاث اصول رئيسية هي (اصل الكون وتنظيم الكون وخلق الانسان)^٤.

إن مشكلة الخليفة عاصرت حياة الانسان ولاسيما في القرن الماضي وبعد تقدم الافكار العلمية والمعرفة الانسانية. إن مفهوم الخلق قد فقد شيئا من قدرته على إثارة الخيال، والتعمق لدى الكثير من المعاصرين، كما إن النصوص السومرية التي تبحث في الخليفة تبين أهتمام السومريين بالاصول، وقد عبروا عن ذلك بأدبيات بدیعة التكوين كرسد أيضا لتعليل الظواهر وتطورت اساليبهم بعد ذلك الى الاهتمام بمصير الانسان والكون*

^١ علي , الدكتور فاضل عبد الواحد , سومر اسطورة وملحمة , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ٢٠٠٠ , ص ٨٥.

^٢ يراجع

-A. Heidel , The Babylonian genesis , Phoemix Books , Chicago , 1963.

-S. Dalley , Myths from Mesopotamia , Oxford , 1989 , pp : 228.

^٣ يراجع ملحمة جلجامش للأستاذ الدكتور طه باقر

^٤ هوك, صونيل هنري, الاساطير في بلاد ما بين النهرين, ترجمة: يوسف داوود عبد القادر, المؤسسة العامة للطباعة, دار الجمهورية, بغداد ١٩٦٨, ص ١٠-١٨

* إن هذا المفهوم لن يظهر في الغرب الا في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد عند الاغريق اولا ولكن بواسطة الميثولوجي وهذا المفهوم طوره الاغريق قبل ان يتجسم في نظرية متكاملة ومدروسة إن الساميين في وادي الرافدين وقبلهم السومريين , لم يتخطوا مرحلة التحليلات بواسطة التشبيهات

إن قصة الخليقة كانت تمثل الصراع بين النظام الكوني Chous كان بالنسبة لما بين النهرين القديم رواية تتجدد في بداية كل عام حيث تروي هذه الاحداث فهي تعبير ذو مغزى في الادب الديني لما بين النهرين أما هذا الاثر فيشتمل على سبعة الواح كانت معروفة في الادب الاكدي (أنوما إيليش) (حينما في العلى) - وكان، تروى في خشوع في الأيام الأربعة من أحتفال السنة الجديدة. إن أغلبية العلماء يؤكدون على إنها تعود الى الفترة البابلية المتقدمة أي الجزء الأول من الألف الثاني قبل الميلاد وهي التي أصبحت فيها بابل أعظم مدينة بين مدن الدول الاكديّة، إن التقنيات الألمانية في منطقة آشور العاصمة القديمة للإمبراطورية الآشورية القبت ضوءاً على النص الأشوري، (حينما في العلى) حيث أستعيض عن أسم الالهه البابلى (مردوك) بأسم (آشور) رئيس الالهة الآشورية.

إن الخطوط لعريضة للأسطورة بشكلها البابلي كما هي:

- اللوح الاول : يبدأ بذكر السموات.

- اللوح الثاني : يصف كيفية وصول أخبار الهجوم المرتقب الى مجلس الالهه.

- اللوح الثالث : يتضمن ملخص قرار مجلس الالهة وينتهي بذكر المهرجان الذي يقام بمناسبة فتح (مردوك) السلطات التي طالب بها.

- اللوح الرابع : يذكر أخبار تتويج (مردوك) كملك.

- اللوح الخامس : إنه مكسور وبصعب الحصول منه على معلومات ولكنه يحكي عن تنظيم الكون ثم العناية بالتقويم وهو من المهمات الكبيرة التي أضطلع اقيام بها ملك بابلي ، ويعتبر (مردوك) كمؤسس للدورة السنوية ونظام الأشهر عن طريق تبدلات القمر وقام بتأسيس الطرق الفلكية الثلاث ، طريق (أنليل) في السموات الشمانية وطريق (أنو) وطريق (أبا) في الجنوب ووضع كوكب المشتري حارسا على نظام الكون.

- اللوح السادس : فيه وصفا لخلق الانسان ٢

إن قصة الخليقة كأسطورة بابلية أي حسب النظرية البابلية تفسر لنا موضوع (تكوين العالم) أي أنه في الاصل كانت كل الاقاليم والارض بحراً ولم يكن في الوجود مسكن مقدس ولا اشجار ولا بناء ولا مدن حيث كان كل شيء مغطى بالماء وحتى المدن

= حيث إن الساميين طوروا هذه التشبيهات في ترسانة اساطيرهم المكونة غالبيتها في ميراث سومري حيث تعبر عن افكار عميقة الاق.

يراجع : جان بوتيرو ، الديانة عند البابليين ، ترجمة وليد الجادر ، جامعة بغداد ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠

¹ ريتشارد ، ب ، جيمس ، أساطير بابلية ، ترجمة : سلمان التكريتي ، مراجعة : زكي الجابر ، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ، ١٩٧٢ ، ص ٥٧

² هوك ، صموئيل ، مصدر سابق ، ص ٣١ - ٣٦ .

الشهيرة مثل تيبور والوركاء وايدو بمعابدها والخليقة كانت من عمل مزدوخ وبدأت
أبتداء من مدينة ايدو ثم بابل ومعبدها (الايزاكيل) وكانت الاسطورة في سطور.
(مردوخ ! على سطح المياه ظفر حصيرا.....)

وضع شيئاً من التراب وخلطه مع الحصير.....

هذه كون لوحا صلبا فوق المياه وهي الارض ثم

((لأجل تمكين الالهة من الاستقرار في أماكن محببة الى قلوبهم))

إن هذه النظرية ممكن أن تلحق بأمر الهي كما نجده من أسطورة الخليقة
الشهيرة (اينوما ايليش) تبدأ (عندما في العلى) وكذلك في الالواح ائسنة التي ألفها
علماء الدين في بابل , ثم أضيف لوح سابع اليها لتعظيم الاله مردوخ , إن هذه
الاسطورة تكوين شعري مؤلف من أكثر من ألف بيت*^١

إن الالواح من ١ - ٣ تروي ميلاد الالهة الذين ولدوا من أصل
((أبسو)) و ((تيامان)) واختيار ((مردوخ)) رئيسا للالهة الشباب في الحرب
ضد ((تيامان)) .

إن هذه الحركة من التوالد في أسطورة الخليقة تذكرنا بقصة أخرى عن خلق
حواء من ضلع آدم سواء في القمص الشعبية أم في القمص الديني خاصة ما جاء
في التوراة وما شابقتها لما ورد في الاساطير السومرية أو البابلية. حيث أن
القصة السومرية تتلخص :-

عن كيفية هذا الخلق وهو إن الاله ((انكي)) -ايا- مرض يوما في ضلعه
ولضلع بالسومرية هي - تي - وهذه الكلمة تعني أيضا (احيا) فدعيت له الالهة
لتشفي مرضه فسميت هذه الالهة (نن - تي) أي (سيدة الضلع) وهذا ما يوحي بأن
القصة الواردة في التوراة التي تروي عملية خلق حواء من ضلع آدم لها صلة بهذه
الاسطورة السومرية.^٢

إن الباحثين وكبار المفكرين الاغريق أنتبهوا الى تكلمة مذهب عقلي ومنطقي
للمفاهيم الاسطورية بينما ظل البابليون في فلك الخيال والاسطورة الصرفة فيما يخص
بحوثهم للمسببات والعلل.
الخلاصة :

من الحقائق الواضحة إن الاسطورة تبقى حياً لأنها ترمز الى قيم إنسانية خالدة
فهي تمثل ثقافتنا الراسخة في وجداننا وكلما أشند وعي الفكر أشند تعلقة بأثارة وبتراثنا
وثقافتنا وقصة الخليقة كأسطورة بابلية بديبايتها المشرفة ومضمونها الانساني الحي

* أن آخر ترجمة ظهرت لهذه الاسطورة هي للبروفسور : رينه لابات.

^١ اجان بوتيرو , مصدر سابق , ص ٩٥ - ٩٩ .

^٢ ريتشارد , ب جيمس , مصدر سابق , ص ٥٧ - ٥٨ .

وبما تحملة من تجارب أنسانية معطاء معين لاينضب للعلماء والباحثين كما إنها تمثل اولى مراحل التفكير البشري نشأت نتيجة التأمل في ظواهر الكون وعلاقة هذه الظواهر بحياته على الارض.

والاساطير السومرية والبابلية هي أقدم النماذج الاسبية وأقدم المدونات التاريخية التي تعتمد عليها أساطير الشرق القديم. إن مفهوم الاسطورة يحدد الجوانب المجهولة في تاريخ الانسان وهي تساعد على نمو المعرفة حيث نتائج تتنقيب الحقل توصلنا الى دلالات وحقائق تاريخية حيث الاساطير الدينية والنصوص الادبية والطقوسية كانت من المواضيع التي ساهم علماء الآثار في وضع مختلف البحوث والدراسات عنها.

إن مفهوم الاسطورة في اللغات الاجنبية كلمتان Myth أو Methods يرجع هذا الاصطلاح الى الاغريق إذ كانت كلمة Mythos تعني حكايات الالهة.

كما إنها معلومات قصصية منظمة تدور حول المعتقدات الدينية أو أصول الكون كما إنها تسجيل للنظام الاخلاقي الذي ينظم ويشرع المواقف والاحداث وإن جذورها ترجع الى ستة آلاف سنة أي منذ عصر السومريين.

إن قصة الخليقة كأسطورة بابلية وإسطورة الطوفان ذكرت في الكتب الدينية المقدسة في التوراة والانجيل والقرآن الكريم. إنها مفتاح التحدي والاستجابة وأدت الى تكوين ونشوء الحضارات إذ نشأت في مجتمعات بدائية بسبب التحدي البشري الناشئ عن علاقة الاساطير بالمجتمعات السومرية والبابلية والمصرية والصينية والمايا والانية والمينية.

إن قصة الخليقة كأسطورة بابلية تبحث في أصل الكون وكلمة القصة تشترك مع كلمة التاريخ في أصل واحد (Story - History) وهذا يدل على إن قصة الخليقة هي أسطورة تدل على إنها عصب التاريخ والحد الفاصل بين الاحداث الواقعية والخيالية وتطور الكتابة التاريخية.

إن الكثير من الادبيات البابلية والسومرية والمعاجم والقوانين وجدت في مكتبة سبار هذه المكتبة التي تعود الى القرن السادس قبل الميلاد إنها مقسمة الى رفوف أفقية وعمودية وعمق كل رف ٧٠ سم ومجموعها ٥٦ رفاً تضم كتباً في الفلك والاساطير والتاريخ والاجتماع والرياضيات.

تناولت في البحث الثاني من هذه الدراسة أنواع الاساطير الكونية Creative Myth والطقوسية Ritual Myth والحضارية Civilized Myth والرمزية Symbolic Myth وأسطورة البطل المؤله God - Brave myth.

أن قصة الخليقة - كأسطورة بابلية تبحث في خلق الإنسان والكون واصله وتنظيمه وهي الاساس في الاساطير التي ظهرت في وادي الرافدين ويؤكد معظم علماء الآثار على إنها تعود الى الفترة البابلية المتقدمة أي الجزء الاول من الالف الثاني قبل الميلاد وهي الفترة التي أصبحت فيها بابل أعظم مدينة بين مدن دوله

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

الأكدية وأن التقنيات الألمانية في منطقة آشور العاصمة القديمة للإمبراطورية الآشورية القت الضوء على النص الآشوري الذي تبدأ فيه قصة الخليقة (حينما في العلى) حيث أستعويض عن أسم الاله البابلي (مردوك) بأسم (آشور) رئيس الالهة الآشورية.

إن قصة الخليقة كأسطورة بابلية تمثل الصراع بين النظام الكوني Chaus كان بالنسبة لما بين النهرين القديم رواية تجدد في بداية كل عام حيث تروي أحداث هذه الاسطورة فهي تعبير نو مغزى في الادب الديني.

إن هذه الاسطورة وجدت في سبعة الواح كانت معروفة في الادب الاكدي (انوما ايليش) - (حينما في العلى) كانت تروى في خشوع في الايام الاربعة من احتفال السنة الجديدة.

" أنا أعرفك أنا أعرف أسماؤك " (١)

" التعويذة رقم ٤٠٧ من نصوص التوابيت "

" دراسة أدبية في اللغة والدين بمصر القديمة "

د. مجدى إسماعيل عبد العال

المقدمة:

يعتبر الأدب الدينى من أغنى فروع الأدب المصرى القديم ، حيث تعتبر الديانة القاعدة الأساسية التى بنيت عليها جميع المظاهر الحضارية وعلى رأسها الأدب ولعل تكمن أهميته فى أنه يتناول العديد من نواحي الحياة وموضوعاتها فهو يتكلم عن الحياة والآخرة وعقيدة البعث والحساب وخلق الكون وما يدور حول معبوداتهم من أساطير وقصص مختلفة بالإضافة إلى عدد كبير من الطقوس والصلوات والأناشيد والشعائر الدينية والتعاويذ السحرية .

هدف البحث :-

ويتناول البحث من خلال مضمون إحدى فقرات التعويذة رقم ٤٠٧ من متون التوابيت التى تقرأ :- أنا أعرفك ، أنا أعرف أسماؤك موضوعين أساسيين الأول :- هو حقيقة معرفة اسم المتوفى والآلهة ، والأماكن فى الحياة الثانية . والثانى :- كيف برع المصرى القديم فى تقديم نصوص الشعائر الدينية باستخدام اللغة المصرية القديمة لأغراض دينية ولغوية وذلك لخدمة المتوفى .

المتن :-

وللبحث من تفاصيل هذه الدراسة نجد أن متون التوابيت (٢) كانت إحدى أنواع الأدب الدينى فى مصر القديمة وهى التى حلت محل متون الأهرام فى أواخر عصر الدولة القديمة بالرغم من أن بعض من متون الأهرام استمر استخدامها على توابيت الدولة

(1) De Buck , Adrian :- The Egyptian coffin Texts II , oriental Institute Publications 49 , Chicago . 1938 . spell 407 .

(2) Ibid 209-26 (spell 148) , 389-405 (spell 162) ; Van Vost , M.H. :- " Sargtexte " LA,V. 183 . 648-71 : Barguet . paul :- Les Textes des sarcophage Egyptians du Moyen Empire , Paris . 1986 , 436 , 434 -36 (spell 148) , 268-69 (spell 162; Faulkner . R.O.:-The Ancient Egyptian coffin Texts , Vol. I , Spells 1-354 , Warminster , 1973 , 125-27 (Spell 148) , 140-41 (Spells 162) . Foster , J.L. :- Echoes of Egyptian voices Anthology of Ancient Egyptian poetry , Norman 1992 33-35 (spell 162) . Gilula Mordechai :- " Coffin texts spell 148 , JEA 57 . 1971 - 14-19 ; Lalouette , Claire :- textes sacrés et texts profanes Je L'ancienne Egypte : Mythe contes et poésie . Traductions et commentaires . Paris . 1987 . 90-92 (Spell 148) . 147-84 (Spell 162) ; O'connell .robert H. " the emergence of Horus : an Analysis of coffin text (Spell 148) , JEA 69 , 1983 .p. 66-87 .

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

الوسطى (٣) وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي ما الذي يعنيه الوقوف على معرفة اسم المتوفى؟ وللإجابة على ذلك نجد أن الحياة في العالم الآخر كانت إمتياز من حق الملك خلال عصر الدولة القديمة عن طريق إتحاده بالإله أو زير بعد موته وتحوله إلى إله من أجل ذلك كانت حاشية الملك تحرص على أن تدفن بجواره وذلك إمتيازاً في الإنضمام إلى عبادته الجنائزية والتي تستطيع من خلالها الحصول على الخير منه بعد الحياة - ومع إنهييار الدولة القديمة أصبح هناك الإعتماد على النفس في دخول كل فرد للعالم الآخر دون الإعتماد المباشر على العهدة الملكية وهذا الإتجاه الجديد بدأ يظهر عند ظهور تلك التعاويذ التي نقشت بالهيروغليفية على التوابيت للمتوفى والتي عرفت بمتون التوابيت والتي تهدف إلى ضمان البقاء بعد الموت وحماية المتوفى ضد مخاطر العالم الآخر ومن ثم ضمان حياة أخرى كذلك التي يعيشها الملك المؤله وتحقيق الغرض من الوصول إلى السماء للإنضمام إلى الألهة (٤) وكانت هذه النصوص ذات تأثير سحري في كتاباتها هذه فضلاً على التأثير السحري للصور والأشكال المرسومة المصاحبة لهذه التعاويذ (٥) حيث ارتبط السحر بالعقيدة الدينية في مصر القديمة منذ بداية التاريخ (٦) ولتحقيق هذه الأهداف كان لابد من تحديد أسماء الأشخاص حيث يؤدي تحديد الإسم الوقوف على جوهر صاحبة وكيونته عن طريق إستخدام بعض الطقوس الدينية المكتوبة باللغة المصرية القديمة وهي التي يمكن وصفها بأنها مجموعة من التعاويذ السحرية (٧) التي تبعه حماية المتوفى وعلى العكس من ذلك فإن إزالة إسم الشخص ومحوه من على آثاره يمكن أن تزيل وجوده حتى في العالم الآخر وسوف نتعرف من خلال هذه الدراسة على أهمية تحديد أسماء الأشخاص وكذلك أسماء الألهة سواء في الحياة الأولى أو الحياة الأخرى من أجل الحصول على الحماية والنجاة من العذاب في العالم الآخر وذلك أثناء رحلة الحساب ويتجلى هذا بوضوح فيما أورده لنا كتاب الموتى (٨) في إحدى فصوله المعروفة بالحاكمة في

(3) Thomeson , S.:- " The origine of the Pyramid Texts found on Middle Kingdon saqqara JEA , 76 , 1990 . P. 17-25.

(4) Lichtheim ,M.:- Ancient Egyptian Literature I , California , 1975 , p. 76 , p. 131 ; Shaw , I . and Nicholson , P.:- Brithish Museum Dictionry of Ancient Egypt , Cairo , 1996 , p.69 .

(5) LA , V , 470 , رسالة ماجستير ، دراسة تحليلية ، دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير ، ٢٨١ كلية الآثار - جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ ، غير منشورة ، ص ٢٨١

(6) Borghouts , J. F.:- Witchcraft :L Magic and Divination in Ancient Egypt : in civilization of the Ancient Near East III , New - York , 1995 , p 1776 .

(7) Hornung , E.:- The Ancient Egyptian Books of the Afterlife , Translated from the German by David Lorton , New york , 1999 , p. 17-22. fig 4-8 ; السحر والسحرة ؛ عن الفرعنة ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٣١١-٣١٠ .

(8) LÁ , VI , 641 : J. Assmann :- Maat , Gerechlichkeit und unsterblichkeit im alten Agypten Munchen , 1995 , p. 128 .

دراسات في آثار الوطن العربي ١

الفصل رقم ١٢٥ ، ٣٠ (٩) المكونين لهذه المحاكمة في قاعة المحكمة حيث يتحتم عليه أن يخاطب كل منهم بإسمه ومن ثم بدون معرفة أسماؤهم قد يؤدي به إلى إدانته في حياته الأخرية (١٠) حيث أكد المتوفى ذلك فيقول : لن أتعرض لأى لذى فى هذه الأرض في قاعة المحكمة لأنى أعرف أسماء الآلهة الموجودين بها ... أتبيع الإله العظيم (١١) وهذا يعنى أن مجرد معرفة أسماء الأرباب سوف يعفيه من وقوع أى عقاب عليه وفضلا على ذلك لم يكن مجرد الوقوف على معرفة أسماء هذه الأرباب يؤدي إلى نجاة المتوفى من المحاكمة ولكن كذلك لابد من معرفة أسماء جميع البوابات والقاعات المختلفة التى كان عليه أن يمر فيها والتي دونت أسماؤها جميعاً فى كتاب المتوفى من ثم مجرد معرفة أسماؤها جيداً بإخضاعها لرغبته حيث تقول مثلاً كل عضادة باب أو مزلاج يمر به : لن أسمح لك بالمرور عبرى إذا لم تقل لى اسمى " ولذا كان المتوفى يذكر لكل منها إسمه يمر به (١٢) ، هذا وقد برع الكهنة فى أن يطوعوا الكلمات الهيروغليفية من أجل تحقيق هدف هذه التعاويذ فى حماية المتوفى حيث نجد على سبيل المثال أن كهنة هليوبوليس خلال صياغتهم لنصوص عبادة آله الشمس شكلوا مجموعة من التعاويذ كان الهدف منها حماية المتوفى عن طريق تحديد إسمه (١٣) كما أن الكهنة قد حرصوا أحياناً على الغموض فى صياغة بعض الفقرات النصية التى تدور حول حماية المتوفى من أخطار العالم الآخر (١٤) وفى حالات أخرى لجأ الكهنة إلى استخدام النصوص السرية لإخفاء أسماء الأرباب عن طريق تغيير فى أشكال كتاباتها (١٥) أو حماية الأسماء التى كتبت بها (١٦) أو حتى تفتت أمينات معونة لصاحبها (١٧).

(٩) جيمس هنرى برستد :- تطور الفكر والدين فى مصر القديمة - ترجمة نكى سوس ، دار الكرنك ، ١٩٦١ . ص ص ١٧١ ، ٣٩٥ .

(10) Budge , E.A.W.:- The Egyptian Book of the , New york , 1967 , pp. 189 ff. :- 344 - 6 :
Faulkner , R.O.:- The Ancient Egyptian Book of the Dead , London , 1985 ,
pp. 29-34 .

(11) Pap. Brit Mus . 9800 .

(12) Faulkner , R.O.:- Op.Cit .:- P.33 ; Budge E. A.W.:- Opcit . P .345 .

(13) Shaw . L. And . Nicholason :- Op.cit ., p . 236 .

(14) Simpson , W.K.:- The Literature of Ancient Egypt , Cairo , 2003 , p. 248

(15) Drioton E.:- " Trigrammes d' Amon WZKM ,54 ,1957 ,p. 11-33 .

(16) Silverman , D.P.:- " Cryptography " . In D.B. redford " ed " . The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt , III , 2001 , 205 ;

نجوى محمد متولى عبد العال :- نشأة وتطور الكتابات المعماه فى الحضارة حتى

أواخر العصر المتأخر ، رسالة ماجستير ، كلية آثار ،

جامعة القاهرة ، غير منشولة ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٣ .

(17) Magdy . M. Fekri :- Les khekerout Nesout dan L' egypt ancienne , Ph . D. diss University of Pairs - Sorbounne , 1996 - p.159 -Plcxv. Doc , t86 : Hari , R.:- "Un cryptographique de seti 1er "SAK. 8 , 1980. p. 115 F.; E. Drioton :-" Une

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

ونجد كذلك في قصة أوزير التي سجلت على مجموعة من أوراق البردي من الأسرة ١٨ وهي محفوظة الآن في متحف اللوفر بالإضافة إلى لوحة من أحد مقابر طيبة التي تؤرخ بنفس العصر^(١٨) أشارت أن أزيس كانت تملك قدرات سحرية منها القدرة على إحياء الجسد المحنط لزوجها لكي يمكنها أن تحمل أبنتهم حور كمنتمق لوالده وحور هنا هو الذي جسد شخص ملك مصر وقصة إزيس هنا تعطي إنطباع أسطوري لكيفية وجودها لتكسب بذلك قوة سحرية ، وبعيداً عن الدخول في تفاصيل القصة المعروفة لهذه الأسطورة^(١٩) فهي مثل معظم الأساطير المصرية^(٢٠) تؤسس على مبدأ رئيسي وهو أن اسم الشخص يحتوى على جوهره علاوة على ذلك فإن معرفته يمكن أن نستشهد كينونته بمعنى إما أن يكون صالح أو غير ذلك ، وفي حالات أخرى عندما يتعرض بعض الأشخاص إلى أمراض معينة ، كان المصري القديم يقوم بكتابة أسمائهم باللغة الهيروغليفية ثم تجرى طقوس سحرية معينة يتم من خلالها شفاء المريض^(٢١) .

كذلك فإن نحت التماثيل أو رسم الأشخاص يمكن أن يكون تصوير حقيقي لشخص ما وبمعرفة الإسم المكتوب باللغة الهيروغليفية فإنه يعطي الهوية لهذا التمثال أو هذه الصورة، وفي مناظر الآلهة على جدران المعابد كانت تدون أسماءهم معهم وفي ذلك إشارة إلى التأكيد أنهم أى الآلهة كانوا يشاركون في الطقوس التي تتم داخل

figuration "cyptogrphique sur une stele du moyen Empire " RDE I , 1933
p. 214 ;

نجوى محمد متولى عبد العال :- المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(18) Translation from A.G.Mc Dowell :- Village life in Ancient Egypt . Oxford : Oxford university press 1999 , P.118-20 ; Jungc .Friedrich :- Mythos und Literarizitat : Die Geschichte vom . Streit der Gotter Horus und seth in Heike Behlmer ed , Quaerentes scientiam : Festgabe fur wolkhart westendorf zu seinem 70 Gebutstag . Gottingen , 1994 , p. 83 -101 .

(١٩) ليلى عزام :- التعويذة السحرية ضد الأمراض في عصر الدولة الحديثة ، رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، بكلية الآداب ، جامعة حلوان ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٣ ؛

(20) Beinlich , H.:- Das Buch vom Fayum : Zum religiosen Eigenverständnis einer egyptinshen Landschaft AgAbh 51 , Wiesbaden , 1991 , cols , 110- 112 of the text ; Eranco , I . :- Rites et croyances d' Eterrite Paris , 1993 , p. 124 -126 ; Hornung , E.:- The Ancient Egyptian Books of the Aferlives , p. 148 ;

كلير لالويت :- نصوص مقدسة ونصوص نثوية في مصر القديمة : ١ ، ٢ ، ترجمة : ماهر جوجاتي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٢١٠- ٢١٦ ؛

إيزابيل فرانكو :- معجم الأساطير المصرية ، ترجمة ماهر جوجاتي / دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٤٧ .

(٢١) ليلى عزام :- المرجع السابق ، ص ٢١ ، ٦٨ - ٦٩ .

المعبد وإلى جد ما فإن تسمية صور الآلهة كانت تحضرهم إلى الحياة وتجعل جوهر حركة الآلهة داخل المعبد متاصل في صورهم كما هو الحال في معبد إدفو^(٢٢) ومعبد نندره^(٢٣) ، ولقد أخذت الفكرة السابقة أبعد من ذلك حيث إعتقد المصري القديم أن إزالة اسم الشخص تستطيع أن تزيل وجوده ومن هنا إذا تم خدش اسم صاحب المقبرة أو أزيل فإن كا المتوفى لن تميز صورة أو تماثله ولذا فإن المتوفى لن يستطيع أن يحيا حياته الثانية بعد الموت من خلال أسمائه أو ذكراه ومن ثم فإن هذه الطقوس المختلفة ستتلاشى وكذلك ستكون كينونة المتوفى غير حية وهناك أمثلة عديدة توضح لنا العلاقة بين الإسم وكينونته وردت في التاريخ المصري القديم ومنها أن الملكة حتشبسوت قد حكمت مصر في حقيقة الأمر بالإنبابة عن إبن زوجها تحوتمس الثالث وأخذت حقوق الملك وكذلك لقبه ، ولكن في فترة ما بعد وفاتها أزيلت أسمائها وصورها من الآثار والمعابد والتي أقامتها لها ، والأسباب الحقيقة لذلك يمكن تخمينها ولكن التأثير لا يمكن إنكاره ومن ثم فإن شخص ما كان يحاول أن يمحو ذكراها وذلك فإن نكرى الإدانة (اللعنة) كان السلاح المفضل لإمحوذت الرابع نفسه خلال فترة حكمه عندما تحول إلى عبادة أتون بعيدا عن آله الدولة الرسمي (أمون) فلقطد أمر بإزالة إسم أمون من تركيبة أسماء كثيرة من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وأزال إسم أمون من العديد من الآثار سواء في المقابر أو المعابد أو التماثيل وقد أشارت العديد

(22) Pascal vernus :- Tell Edfu in LA VI , 1986 , p. 323 -331 ; Wb , V. 562 , lff ; J. cerny :- Coptic Etymological Dictionary , London , 1976 p. 353 '

ذكية طبو زادة :- مواضع من الآثار والحضارة المصرية ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، دبت :- (١٩٩٦ - ١٩٩٧) ، ١٦١ - ١٧٢ ، عبد الحليم نور الدين :- اللغة المصرية القديمة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢٨ ، ٢٧٠ ؛ مواقع الآثار اليونانية والرومانية في مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٧١ - ١٧٣ ؛ عزت قادوس :- آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني ، مطبعة الحضري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ ، ص ٤٠٧ ، ٤٣٨ .

(23) A.Mariette :- Denderah , 4 Vols , Pairs , 1870 -3 ; W.M. F. Peterie :- Denderah , London , 1900 ; E. Chassinat and Francios Daumes :- Le Temple de Denderah , 6 vols , Cairo , 1934 - 52 ; H.G. fischer :- Dendera in the 3rd millenmum BC , New-york , 1968 ; F. Dawmes :- Denderah et le temple d' Hathor , Cairo , 1969 ; Dendera in LA , I , 1975 , 1060 - 1063 ; Mamdouh Mohamed El damaty :- Soker - osiris - kapelle im temple von Denderah , Hamburg , 1995 ; I. shaw and P. Nicholson :- The British Museum Dictionary , Dendera , 84-85 ;

حنان على محرم طه :- قاعة حت وعبت - حت ايمي (k) وقاعتا السرداب الجنوبي - (١) حت وعبت (d) وحت ايمي (E) بمعبد نندره ، دراسة لغوية وحضارية ، رسالة دكتوراة في الآثار المصرية ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ج ١ ، ٢ ، غير منشورة .

من النصوص إلى هذه الأحداث^(٢٤) ومن أمثلة حفاظ المصري القديم على الأسم ما ورد في عصر الأسرة الثانية عشرة بمقبرة خنوم حوتب الثاني ببنى حسن الذى عاش في عهد الملك سنوسرت الثاني ... ذكر فى نصوصه على لسان صاحب المقبرة ... أوضحت أسماء أبائى التى وجدتها مطموسة عند الأبواب ... وفى نص آخر بنفس المقبرة ذكر خنوم حوتب .. شيدت صالة الأعمدة التى وجدتها مخربة وأقمت أعمدتها من جديد مقرونة بأسمى شخصياً وأعدت إحياء إسم والدى^(٢٥) ومن ثم فإزالة أسماء أصحاب هذه المقابر من النصوص المدونة داخلها تكون حياتهم الأخروية قد إنتهت كينونتها أيضاً وهكذا نجد أن إنكار الوجود كان يعتبر من أشد الأشياء ضرراً يمكن إن يحدث لأى شخص وقد أشارت العديد من النصوص إلى الأمل حتى إخناتون نفسه علم بهذه الحقيقة وأشار إليها أى الخوف من فقدان الإسم وبقاء الأسماء وخلودها وإستمراريتها فى الوجود حيث ذكر فى نصوصه الأتونية^(٢٦) أنه يجب أن لا تقطع أو تهدم الآثار ويجب أن لا يفقد الأثر أو يتعرض لسوء وإذا حدث ذلك يجب أن يرمم ويصبح كشئ جديد فى نفس المكان .

قوة الكلمة المكتوبة فى الحفاظ على الأسماء :-

لقد جرت الطقوس السحرية فى مصر القديمة فى شكل إيماءات وحركات راقصة وتعاويذ تتلى حيث أعتقد البعض أن الأثر السحرى لقوة الكلمة المكتوبة فى هذه النصوص كانت لها اليد العليا حيث مثلت معيناً إضافياً للمتوفى خلال رحلته الأخروية وفى حالة تهديده لوجوده الأدمى فى عملية محاكمته لأنه قد يكون هذا الحكم الفناء النهائى له من الحياة^(٢٧) هذا فضلاً أن الكتابة التصويرية للغة الهيروغليفية قد أعطت

(24) For a parallel version of the text see W.Murnane and C.C. Van siclen III , The Boundary stelae of Akhenaten , New york and London : kegan paul International , 1993 , Text VII : B, 95-6 .

(٢٥) د. عبد الحلیم نور الدين :- آثار وحاضرة مصر القديمة ، ج ١ ، ط ٤ ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٩٠ .

(26) Assmann , Jan . In " Agyptische Hymnen und Gebete Zurich 1975 . 1975 , 215-21 , 557 - 58 ; Assmann . Jan :- " Zwei Sonnenhymnen der spaten XVIII Dynastie in The banischen Grabenn der Saitenzeit " MDAIK . 27.1971.1-33 ; Simpson , W.K.:- Op.Cit , p. 278 ; Murnane , W. J . :- Texts from the Amarna period in Egypt , Atlanta , 1995 , p. 112-16 .

(27) Hornung. E. :- Valley of the Kinge , Trenslated by : D. Warburton , New York, 1990 . p 150 .

قيمة للنصوص السرية (٢٨) ثم استخدمت كعنصر زخرفي بشكل واضح في معابد العصر اليوناني الروماني (٢٩).

وكانت التعاويذ المكتوبة يمكن أن تمد السلطة بالقوة والنشاط و مما لاشك فيه كان هناك بعض التعاويذ الخاصة التي أعدت لأغراض معينة (٣٠) منها ما إنتشر استخدامه في مصر القديمة فيما يعرف بنصوص اللعنة التي سجلت على تماثيل مصنوعة من الطين أو الحجر وتمت في الغالب على شكل أسرى الأعداء حيث أيديهم موثوقة خلف ظهورهم (٣١) وهى طريقة سحرية تم تنفيذها ضد أعداء البلاد حيث يتم تحطيمها إلى أجزاء صغيرة وهى فى ذلك تحطيم للعدو والقضاء عليه ومن الممكن أيضا أن هذه التماثيل حماية عامة للمصريين وخير دليل على ذلك ما ورد فى التعاويذ رقم ٢٢٤ من متون الأهرام والتي تناولت طقوس تحطيم الأواني الحمراء وهى التى تهدف إلى إيادة كل الأعداء (٣٢) وتلك كانت أنماط مختلفة لإبعاد الخوف والشعائر غالبا تشمل مجموعة من الإشارات الموصوفة بالكلمات المنطوقة وتقرأ من ورق البردى أو تتلى من الذاكرة وليس من الصدفة أنه فى العصور اليونانية والرومانية نجد ان معبود الكتابة " تحوت " كان مرتبط بالطقوس السحرية ، هذا وقد لوحظ ان القوة الموروثة من اللغة الهيروغليفية التى تساعد الإنسان على إعادته إلى الحياة مرة ثانية أو إمداد الجسم بالحيوية والنشاط بعد الممات ، قد إستمدت فكرتها من قصة الخلق بمنف (٣٣) حيث إعتقد إن الإله بتاح يستطيع إعادة خلق كل شئ عن طريق التكبير فى أسماء الأشياء ثم بعد ذلك التحدث بأسمائهم وفى بداية النطق بأسماء الأشياء والكائنات تظهر هذه الأشياء فى الوجود ومن ثم فى خلق الكون بنباتاته وجميع أنواع البشر علاوة على ذلك هناك بعض القصص الهيروغليفية من عصر الملك " خع أم واس " من الأسرة

(28) Silverman D.p.: " Cryptographic writing in the Tomb of Tutankhaman " SAK . 8 . 1980 , p. 234; . ٢٦ . المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(29) Gutbub , A.:- Les inscriptions dé dicatoires du tres or dans Le Temple d' Edfou " BIFAO , 50 . 1952 . p. 33 ;

نجوى محمد متولى :- المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(30) Originally published by J.E.: Quibell , The Ramesseum , London :- Egypt Exploration fund , 1896 , Contents Listed by R.B. Parkinson The tale of the Eloquent peasant . Oxford : Grifffith Insitute and Ashmolean Museum , 1991 , XI . XIII .

(31) Maisler , B.:- Palestine at the time of the M.K. In Egypt . In Revue D'Histoire Juive En Egypt . Tome I .:- 1947 . pp. 40-42; Ward , W.:- Egypt and the East Mediterranean in the Early second Millennium B.C. Orientalia 30 Roma , 1961 , pp. 28, 29 ;

د. عبد القادر خليل عبد المنعم :- علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ١٦١-١٧٢ .

(32) Shaw , land Nocholson , P.:- Op.Cit ., p. 236 ; Hornung , E.:- Op.Cit ., p.6 .

(٣٣) إلسبديج : ألهاة المصريين ، ترجمة محمد حسين يونس ، الناشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ،

١٩٩٨ ص ٦٠٩ - ٦٤٥ ؛ ياروسلاف تشرني :- الديانة المصرية ، ترجمة د. أحمد قنري ،

مراجعة د. محمود طه ، الناشر دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص ٤٩ - ٥٩ .

الثامنة عشرة تناولت البحث في كتابات تعاليم تحوت والتي حوت تعاويذ قوية طبقاً لهذه الكلمات فإن قارئها يستطيع عند قراءتها أن يكون قادراً على ممارسة الطقوس السحرية ومن ثم يستطيع القدرة على فهم الكتابة الهيروغليفية بعلاماتها المختلفة^(٣٤) "الأساليب التي استخدمها رجال الدين في كتابة النصوص السرية لخدمة

المتوفى "

لقد أصبح رجال الدين في مصر القديمة هم الذين يحافظون على الكيان الديني والأسطوري للعقيدة المصرية^(٣٥) لذا لجؤوا إلى استخدام النصوص السرية على نطاق واسع في العصور المتأخرة حتى العصور اليونانية الرومانية وذلك في محاولة منهم الإبقاء على إرثهم الحضاري والديني وذلك نتيجة خوفهم من إندثاره لإنتشار وجود الأجانب في مصر القديمة خلال بعض الفترات التي سقطت فيها الدولة تحت حكم أجنبي ، كما حدث ذلك في الفترات المتأخرة من تاريخ مصر القديم فيما بعد^(٣٦) ومن بين الأساليب التي استخدمها رجال الدين في كتابة النصوص السرية في بداية عصر الأسرات ما يعرف

شكل (١)

لوحة ناعمر عثر عليها في " معبد نخن" وتوض
إستخدام نظام التمثيل التصويري
كأحد الطرق في كتابة النصوص السرية



بالتمثيل التصويري عن طريق إستخدام مجموعة من الصور لا لتعبر عن نفسها ولكن لتعبر عن معنى آخر ومن أمثلة ذلك ما ورد على لوحة ناعمرم والتي عثر عليها في معبد نخن وقد إستخدم الصقر كتمثيل تصويري ليعبر عن الملك وهنا

(34) Trans . M.Lictheim – Ancient Egyptian Literature volum III :- The late Period , Berkeley : University of california press , 1980 ., p. 125-38.

(٣٥) باسم سمير الشرقاوى :- كهنوت منف حتى بدايات العصر البطلمي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، الجزء الأول ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٣٢ .

(36) Darnell , J.C.:- The Enigmatic Nethrworld Book of the Solar – Osirion unity , 2 not 9 OBO , 198 , Fibourg , 2004 ;

تجوى محمد متولى : المرجع السابق ، ٦٠ .

يمسك بقبضته اليمنى رأساً كبيرة تخرج من أرض تنمو فيها سيقان البردى رمزاً لسيادته على الدلتا^(٣٧)

واستمر استخدام هذا الأسلوب في كتابة النصوص السرية في عصر الدولة القديمة ومن أمثلة ذلك ما ورد في نص مسجل على عتب باب مقبرة من الحجر الجيري محفوظ بالمتحف المصري تحت رقم CG 1696^(٣٨) وصاحبها غير معروف عثر عليها في أبو صير^(٣٩) ونجد هنا استخدام علامة مركبة عبارة عن ثوراً يجزى على حيز من الماء نحو اليمين وعلى يساره رجل صور عارياً يمسك قرني الثور في حركة بهلوانية^(٤٠) وقد نفذت هذه العلامة ضمن سطر من الكتابة الهيروغليفية العادية أخذت حيز صغير وكانت قدم الرجل معلقة في الهواء وقد صور الثور في حجم كبير وهو يعبر هنا عن القيمة الصوتية k wr والجمع بين الثور والرجل يقرأ : مع الثور العظيم m k wr ولعل حركة الرجل والثور تمثل رقصة يعبر عنها الفعل المصري ib بمعنى يرقص... وذكر النص :-

ويقرأ :- الذي دفن في الجبانة ، وعبر البحيرة راضي القلب ، سنعيدا مع الثور العظيم > إلى < الحقول النضرة الطيبة ، الجنة الجميلة الهائلة بجوار الإله العظيم القوي^(٤١)

وفي الدولة الوسطى استمر استخدام التمثيل التصويري في النصوص السرية ومن أمثلة ذلك ما ورد في المقبرة رقم ١٧ ببني حسن والمؤرخة بالأسرة الحادية عشر في أحد المناظر التي تعرف بمشهد الحب^(٤٢) جاء فيه .

(37) Goldwasser, O.:- From Icon to Metaphor , studies in the semiotics of the Hieroglyphs , in OBO 142 , 1995 , 4-5 ;

تجوى محمد متولى : المرجع السابق ، ٦٥ .

(38) L. Borchardt :- Catalogue General das antiquites egyptiennes du musée du caire , nos 1295-1808 ; ٧٢ : المرجع السابق ، ص ٧٢

(39) PM III, 754, 1000 ; ٧٢ : المرجع السابق ، ص ٧٢

(40) E. Drioten :- un rébus de L' Ancien Empire " MIFAO , LXVI , Melanges Maspero , Vol . 1 , Le Caire , 1935 , p. 698 ;

تجوى محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(41) Wb, 1 , 62 , (8-13) ; . ٧٣ - ٧٢ : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

ويقرأ النص :- محبوب أهل مدينته ، ممدوح أهل إقليمه ،
المحبيب من أهل مدينته ، والممدوح من أهل إقليمه (٤٣).

وقد ورد النص في كتابة رأسية على الجدار الشرقي
بالمقبرة ويظهر به استخدام العلامة المركبة التي تجمع بين
الرجل وزوجته وصورت هنا على هيئة رجل يداعب ذقن
زوجته وهي علاقة تدل على الحب وعبرت عنها القيمة الصوتية
mrw والتي جاء منها اللقب mry وجاء هنا بعلاقة السرير
لتدعم المعنى ولذا فإنهم قدموا كثير من الكتابات الهيروغليفية في
نظم الكتابة حيث أظهرت النصوص السرية عدم استخدام
المخصصات بها وكذلك حدث تغيير في ترتيب العلامات وايضاً
تم استخدام القيمة الصوتية الكاملة للعلامات الهيروغليفية في
الكتابة ومن ثم زادت عدد العلامات عما كانت عليه قبل ذلك خلال العصور الفرعونية
وظهر ذلك بشكل واضح في النصوص السرية بالعصور اليونانية الرومانية (٤٤) وكذلك
استخدم الكهنة في كتابة النصوص السرية العلامات الصوتية التي تعبر عن نفسها كما
هي في الطبيعة (٤٥) وأستمر ذلك في العصور اليونانية الرومانية (٤٦) ومن أهم أمثلة
التلاعب في العلامات والكلمات ما ورد في النصوص المسجلة على الجدار الخارجي
لناووس من معبد إدفو يؤرخ بالعصر البطلمي (٤٧) جاء فيه



(42) E. Drioton :-Op.Cit :- RDE , 1 , 1933 , p. 205 . ; P.E . Newberry , Beni
Hasen II , London , 1893 , 58 - 59 , Pl . 14 ;

نجوى محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(43) E. Drioton :- " La cryptographie Egyptienne " CDE , 9 , 1934 , 199 , fig . a . ;

نجوى محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(44) Fairman , H.W. :- " An Introduction To the study of ptolemaic sings and
their " BIFAO " , 43 , 1945 , p. 56-57

(45) Vernus , P. :- The scripts of ancient Egypt in Ann- Marie christin (ed)
Histoire de L' Ecriture de L' ideagramme an Multimedia , Paris , 2001 , O. 51 ;

نجوى محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(46) Daumes , F. :- Valeurs Phonetique des signes Hieroglyphiques d' epoque
Greco - Romaina , 4 Tome , " Montpellier , 1988 - 1995 , I , 48 , no . 829 , 49 ,
no . 831 ;

نجوى محمد متولى : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(47) Chassinat , E. :- Le Templ D'Edfou , VI , Paris , 1982 , 2 , 4-5 .

إستخدامها (٥٣) مثل العلامة h^{cc} (٥٤) وهو رجل ذو ذراعين مرفوعة في الهواء ، وهي تستطيع أن تكون مخصص يكتب في نهاية كلمة h^{cc} وتعنى " يبتهج " لذا فالعلامة في العصر البطلمي نالت قيمة الصوت h

ثانياً :- العلامات القابلة لحمل أو إرتداء شئ معين نفذت في الكتابة مضاف إليها ما تحمله أو ترتيبه وبمرور الأيام تطورت ونالت قيمة صوتية أخرى وكانت أحياناً تقرأ معها أو منفصلة عنها (٥٥) وأحياناً تؤدي معنى أفعال أو ضمائر مذكورة وهي عبارة عن رجل جالس يمسك أفعى ذات قرون فوق رأسه وتقرأ f y وتعنى يحمل (٥٦) والأفعى لها القيمة الصوتية f وهو ضمير المتصل للغائب المفرد المذكر (٥٧) ومن أمثلة التلاعب بالألفاظ أيضاً من خلال علامات الكتابة الصوتية علامة الرجل الذي يمسك فرس النهر hsdb التي استخدمت في كتابة كلمة حجر اللازورد (٥٨) وأيضاً كانت لها قراءة hsdb على الرغم أنها هي نفسها كانت كتابة متأخرة للكلمة hsbd بمعنى حجر اللازورد في الأسرة الثامنة عشرة ، وكان goodwin (٥٩) هو أول من قام بدراسة كتابة التلاعب بالألفاظ عام ١٨٧٦ حيث أقترح أن الرجل هنا يمثل الفعل hs . f بمعنى يهرب والمقصود من وقوفه منتصباً هي كلمة db بمعنى فرس النهر لذلك الجملة db (f.) hs تعنى الهروب من فرس النهر أو يضرب فرس النهر وتقرأ بنفس صوت يشبه كلمة حجر اللازورد ومن الممكن أيضاً أن تكون القوة الحامية أو الواقية لحجر اللازورد هنا تعتبر تصرع رمزي لذلك تم استخدام تماثم حجر اللازورد للهروب من الخطر والشر وقد صورت هنا بفرس النهر ، هذا ويلاحظ أن النصوص السرية إلى حد ما ظهرت غالباً في النصوص الدينية الجنائزية في فترة مبكرة منذ عصر الدولة القديمة ثم استخدمت على نطاق واسع في العصور اليونانية الرومانية ، ويرجح أن رجال الدين في ذلك الوقت أروا كتابة نصوص مصرية أكثر تعقيداً وذلك حتى يتعذر قراءتها وذلك في محاولة لإخفاء الحقائق التي تحتويها وفي

(52) Rouge , E.de :- Chrestomathie egyptienne: ou choix de Textes egyptiens I , Pairs , 1867 , p. 144 . O 122 .

(53) Iversen , E.:- The Myth of Egypt and Its Hieroglyphis in European tradition princeton , 1993 , p. 36 f .

(54) Gradiner , A.:- Op.Cit ., p. 445 (28) .

(55) Junker , H.:- Uber das schrift system im Temple der Hathor in Dandara , Berlin , 1903 .

(56) Gardiner , A.:- Op .Cit ., p. 566 (lg) .

(57) Wb . I., 572 .

(58) Ibid , p. 461 , E.25 .

(59) Ibid .p . 586 (Aa I) .

(60) Ibid .:- p. 520 (u34) ; PYR . 255 .

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

نفس الوقت جعل الناس يلجؤون إليهم ولتعاونهم وكتبهم لمساعدتهم عند الحاجة (٦١) ومع ذلك استطاعت مجموعة صغيرة من المصريين قراءة هذه النصوص فيما بعد . هذا وقد كانت نصوص الشعائر الدينية وبصفة خاصة ذات الطابع السرى أو ما يعرف بالنصوص السرية تدون بكثرة في الأماكن البارزة أو الشهيرة بالمباني الدينية مثل إطار وعوارض النوافذ العليا والأقاريز التي تحملها الأعمدة مثل ما ورد في نص رمسيس الثاني بمعبد الأقصر حيث كتبت النصوص بالكتابة السرية (٦٢) وكذلك في السرايب (٦٣) كما ورد في معبد أسنا بالعصر اليوناني الروماني (٦٤) ، هذا ويلاحظ أن نصوص الطقوس السرية كانت تعتمد في الأساس على معنى العلامات الزوجية أو على علامات تمثل ما يرمزون إليه وكانت هذه الطريقة المثلى لكتابة النص بالرموز أو ما يعرف في العصر الحديث بالشفرة وذلك لإعتقاد المصري القديم في القوى الخفية التي كانت تتمتع بها خفايا ومدلولات الكتابة باللغة الهيروغليفية منذ إكتشافهم لها وإستخدامها حيث أن إلغاء أو إبطال الصور والأشكال الكاملة للحيوانات والإنسان كانت لافتة للنظر كأنه متعمد التشوية أو الأفساد وربما يرجع السبب في ذلك إلى الخوف من كل علامة يمكن أن تتبثق منها الحياة وتمثل خطراً يمكن أن يلعب دوراً سيئاً هنا بالإضافة إلى الرغبة في حماية قرابين المتوفى من أى كائنات حية (٦٥) ومن أشهر الأمثلة للكتابة بالشفرة أو الرموز والتي استخدمت هنا لأغراض دينية (٦٦) ما ورد في نصين بمعبد أسنا (لوحة ١ "أ ب") وهى عبارة عن ترتيله للمعبود

(61) Dorese J.: "Cryptography" in copt Enc . 8, New York , 1991 , p.67-68 ; جمس هنرى ; برستد :- نفس المرجع ، ص ٣٨١ .

(62) نجوى محمد متولى :- المرجع السابق ، ص ١١١ - ١٣٥ .

(63) Sauneron , S.:- Le Temple D' Esna BIFAO , Esna 2 , Cairo , 1963 , p. 204-205 .

(64) Sauneron, S. :- Esana in LA II , 1997 , p. 30 -33 ; J.Cerny :- Coptic Etymological dictionary , cambridge university press , cambridge , First pulished , London , 1976 , p. 352 ;

جمس بيكى :- الآثار المصرية فى وادى النيل ، ج ٤ ، (من طيبة إلى أسوان ، ترجمة :- نور الدين الرازى ، مراجعة : جمال الدين مختار ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٢٠-٢٨ ؛ تكيه ظبو زادة :- المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٦٠ ؛ د. عبد الحليم نور الدين:- اللغة المصرية القديمة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢٩ ؛ مواقع الآثار اليونانية والرومانية فى مصر ، ط ١ - ١٩٩٩ ، ص ١٦٧ وما ماعدها ؛ عزت قادوس :- المرجع السابق ، ص ٣٨٥ - ٤٠٦ .

(65) Hornung , E.:- Op. Cit , p. 61 . 5 ; إيفان كونج :- نفس المرجع السابق ص ٣١٠-٣١١ ;

(66) Sauneron , S.:- L'écriture figurative dan les textes d' Esna Avec une note d' Jt . clere , BIFAO , Esna 8 , Caire , 1982 , p. 47-80 .

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

سوبك رع^(٦٧) والآلة خنوم كتبت بالكامل باستخدام علامة التمساح وهذا المنظر يمكن مشاهدته في الجزء الأمامي من المعبد الروماني في إسنا على جانب المدخل عند سقوط الضوء عليه وقد عثر على مثل له سجل على لوحة من الكوارتز نُشِفت بمعبد سوبك بقرية دهامشة غرب الأقصر وتؤرخ بالأسرة التاسعة عشرة^(٦٨).

وقد بدأت أسطورة سوبك بالمدح لسوبك بجانب إظهار صفات الإله وألقابه وتمجيد صفاته، ويلاحظ هنا أن المصري القديم قد استخدم علامة التمساح في كتابة الترتيلة لأنها تشير الى معانى عديدة في اللغة المصرية القديمة ومن القراءات الممكنة لها على سبيل المثال تعنى كلمة السيد وقوة الهجوم وكاهن والتمساح سوبك والظهور في عظمة والوقت^(٦٩) والشئ الملفت للنظر في هذا الأساطير أن الكهنة الذين قاموا بكتابتها قد استخدموا كل الأسطورة كأنها رسالة رمزية ولذلك فهذه الأساطير تعبر عن فكرة وجود الآله في كل شئ من خلال الوسطية في المعنى والصوت والقيمة والكتابة والتمثيل وكذلك لجأ الكهنة إلى طريقة أخرى في كتابة أساطير الآلهة عن طريق كتابة كل حرف أو كلمة في الأسطورة في لوحة مربعة تأخذ نفس طريقة الكتابة المعروفة حديثاً cross- word أى الكلمات المتقاطعة ومن ثم يمكن قراءة هذه النصوص أفقياً ورأسياً وذلك في محاولة لتضليل كل من يحاول قراءتها ومعرفة ما تحتويه ومن أمثلة ذلك ما ورد في أسطورة "موت" على لوحة بازر من حكم رمسيس السادس^(٧٠) (لوحة رقم ٢ أ - ب - ج).

وكان " إينين نريوتون "^(٧١) المتخصص في الكتابة البطلمية قد رأى في هذا الخط من الأشكال بأنه نمط من النصوص السرية ينشر باستخدامه في مصر القديمة

(67) Mofida, El - Weshahy :- " Sobekosiris " Journal of Association of Arab Universities for Toursim and Hospitality, JAAUTH, Vol. I, December, 2004, p. 82

(68) Bakry, H.S.:- " The discovery of Temple of Sobk in upper Egypt " MDAIK 27 . 1971 , pp. 137 f, pl XXV .

(69) Sauneron, S.:- Le Temple d'Esna, Cairo : IFAO, 1963 , 126 . Crocodile readings : J.C. Goyon, Valeurs phonétiques des signes Hiéroglyphiques d'époque Gréco - romaine, Montpellier :- Service des publications de la Recherche de L' Université de Montpellier, 1988, II, 350 - I .

(70) Zandee .:- An Ancient Egpitian crossword puzzle, Leiden, Ex Oriente Lux, 1966 ; H.M. Stewart :- ' Acrossword Hymn to Mut ", JEA, 57, 1971 ., p. 87 - 104 ; R.B. Parkinson, Cracking Codes : The Rosetta stone and Decipherment, London : British Museum, 1999, p. 84-5 .

(71) Louvre C12, E. Drioton, " Recueil De cryptedographie monumentale ", ASAE, 40, 1940, p. 306 -424 ; Cryptogrammes de la Reine Nefertari " in ASAE, 39, 1939, p. 133- 144, pls XIII, LXIV ; " Not sur un Cryptogramme Récentment Découvert, A Athribis " in ASAE, 38, 1938, p. 109-16, pls XIX, XX.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

(٧٢) حيث يرجح إستخدامها منذ عصور ما قبل التاريخ (٧٣) ثم عرفت في عصر الدولة القديمة (٧٤) وفي عصر الإنتقال الأول (٧٥) والدولة الوسطى (٧٦) والدولة الحديثة (٧٧) ومن ثم ذاع إنتشارها في العصور المتأخرة واليونانية الرومانية (٧٨) وفضلاً على ذلك إستخدمت نصوص طقوس المعابد اليونانية والرومانية في مصر القديمة طريقة جديدة في كتابة النصوص السرية وهي ما تعرف بالجناس الإستهلاكي وتظهر بوضوح في معظم أشكال الكلمات المتكررة والتي تشترك في القراءة الصوتية وهذا النظام يعتبر نوع من تطور التلاعب بالألفاظ عندما يكون النطق الصوتي لكلمتين متشابهتين لكن المعنى مختلف (٧٩) وفي الحقيقة معظم التلاعب بالألفاظ يعتبر كنمط متقدم في التعبير للإتصال بالآلهة
المثال

Wd^(٨٠) r wd t^(٨١) nb wd w^(٨٢) m^c

وتعنى حرفياً منتوجات إلى كل الغرف ، تَمائم في أيدينا ونجد أن المفهوم ضمناً هو روح الحماية والوقاية ، والأصوات المتكررة هنا تقوى المعنى وتؤكد الرسالة الضمنية وكلمة wd وردت في نصوص معبد أسنا بالقيمة الصوتية W وذلك لتعبر عن كل ما ينبت من الأرض (٨٣) وهذا يعتبر نوع مهم في تدمير قوى العدو لذا إنتشر الجناس الإستهلاكي في هذا النوع من الطقوس مثل ما نقول

hftw^(٨٤) hbhb^(٨٥) m hmt .

(72) E. Drioton:- "La Cryptographie Egyptienne , " CDE , 9 , 1934 , p. 199 , fig a , fig . c .

(73) Dreyer , G.:- The royal Tombs of Abydos , in s . Kener (ed) . The Near East in Antiquity . German contribution to the archaeology of Jordan , Palestine , syris - Lebanon and Egypt , III , Cairo , 1992 , p. 55-67 .

(74) Silverman , D.P.:- Cryptographic " in the Oxford Encyclopaedia of Ancient Egypt , III , 2001 , p. 205 .

(75) Fischer , :- Two Neograms of the elventh Dynasty in Egyptain studies I , Varia , New - york , 1976 , p. 55-58 ;

نجوى محمد متولى :- نفس المرجع ، ص ٦٣ .

(76) Drioton , E.:- "Op.Cit . , RDE , I . , 1933 , p. 1932-229 .

(77) T.G.H. James :- Rameses the Great , Caire , 2002 , P. 180 -181 ; Drioton , E.:- Op.Cit . , ASAE , 40 , 1940 , P. 305 -429 .

(78) Derchain , M. Th .:- Esna , Schrift und spiel " GM , 27 , 1978 , p.11 ; - : - نجوى محمد متولى :- نفس المرجع ، ص ٦٩

(79) Kenneth witlliams as Julius caesar , in carry on cleo , Scripted by talbot . Rothwell and directed by gerald thomas , 1965 .

(80) URK , IV , 9 , 8 , ; 308 , 6 ; 561 , 6 ; 425 , 9 ; V , 13 ; Gardiner , A.:- Op cIt . , P. 563 .

(81) URK , V , 37 , 13 . .

(82) URK . IV , 425 , 9 . .

(83) Sauneron , S.:- Esna , 8 , 65 M 15 , M28 , 159 , No . 220 , 241 , No . 9 (N . 59) .

(84) URK , IV , 1166 , 12 ; 697 , 8 , Gardiner , A.:- Op cIt . , P. 584 .

(85) URK , IV 697 , 8 .

أى الأعداء يدمروا بالرمح .

وكذلك يمكن استخدام هذا النمط من الجنس الاستهلاكي في أعمال الخير أو الأشياء الطيبة كما نقول $m^c m^t$ أى قرابين الماعت^(٨٦) ونجد هنا أن مفهوم الماعت هو النظام الذى يشكل أساس العالم وهى الحالة المثالية للأشياء والتي يجب أن يكافح المرء من أجلها والتي تتسجم مع مقاصد الإله الخالق وتعرض هذه الحالة دائماً للإضطراب ويلزم بذلك جهد لا ينقطع لكي يعاد خلقها فى نقائها الأصيل لذلك ترمز الماعت إلى حالة العالم هذه ، الأصلية ، المتحفظة بنقائها مثل عين حورس المصابة والتي تعالج بصفة متكررة وهكذا ينظر المصريون إلى الماعت بصفاتها جوهرأ وعنصراً مادياً يعيش عليها العالم كله وقوتاً للأحياء والأموات^(٨٧) من الآلهة والبشر ومنذ نصوص التوابيت تعيش الآلهة على الماعت^(٨٨) ولكن طبقاً لنصوص هذه الفترة نفسها خلقت الآلهة الماعت وتستطيع أن تتحلل منها ، وطبقاً لنصوص العصر اليونانى الرومانى^(٨٩) نزلت الماعت إلى الخليفة من السماء إلى الأرض وهكذا جاءت فى يد البشر ، فمنذ فترة بعيدة كان الملك فى مصر مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالماعت وهو أيضاً يعيش على الماعت ، ونادراً ما نجد معبداً مصرياً تخلو صورة العديده التى تمثل مناظر التعب من قربان الماعت فالملك الذى يمثل العالم الكامل للبشر فى حضرة الآلهة يمسك تمثال الماعت ليقدمه على يده وتظهر الماعت كإلهة جالسة القرفصاء وعلى رأسها العلامة الهيروغليفية لريشه النعام . وتثبت لنا شعائر المعبد اليومية أن كل شئ مادى يقدم فى المعبد مثل الخبز والجعة والبخور ويمكن أن يتطابق مع الماعت^(٩٠) ولذلك نجد أن قربان الماعت يمثل فى صورة شديدة الرمزية لكل ما تعنيه العبادة والقرابين والاستجابة لسلوك الآلهة . وتشكل إيماءة الكاهن القائم بالصلاة يرفع الماعت بيده فى صورة واضحة إلى الآلهة علامة على أن عالم البشر وكل العلاقات والروابط الضعيفة والمعرضة للخطر منظمة تماماً كما كانت منذ بداية الخلق . وهذه هى الاستجابة التى تحتاجها الآلهة، إن الماعت التى جاءت من الآلهة عند الخلق تعود إليهم من أيدى البشر ويرمز ذلك إلى العلاقة بين الإله والإنسان التى أعيد فهمها فى الديانة المصرية ، وهذه المشاركة وهذا الفعل ورد الفعل هما مفتاح هذا الإمتزاج المتعذر تفسيره بين حرية الإرادة والقضاء والقدر^(٩١) .

(٨٦) يان أسمان :- ماعات مصر الفرعونية ، مترجم - دار الفكر - القاهرة / ١٩٩٦ ، ص ص ١١٤ -

(87) CTIII, 35 g. VII, 238 ;

أريك هورنونج :- ديانة مصر الفرعونية ، الوجدانية والتعدد ، ترجمة د/ محمود ماهر طه ، مصطفى أبو الخير ، الناشر ، مكتبة مبدولى ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٢١٢ - ٢٢٣ .

أريك هورنونج :- المرجع السابق ، ص ٢٢١ ; CTVII, 468e ; URK , IV , 384 , 16 ; (88)

أريك هورنونج : المرجع السابق ، ص ٢٢١ ; URK . VIII , 76 ; (89)

(٩٠) أريك هورنونج :- المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

ويعتبر هذا المثال الأخير $m^{\circ} m^{\circ} t$ بمثابة القاعدة التي بنيت عليها كتابة النصوص السرية فيما بعد في العصر اليوناني الروماني كما ورد ذلك في معبد انفو^(٩٢) وفضلاً على ذلك لم يكن الغرض من الكتابة سرية للنص بل كان تعبير عن مهارة رجال الدين في إظهار مدى قدرتهم في صياغة هذه النصوص عن طريق التلاعب بالألفاظ^(٩٣) وكان هذا النوع له غرض حيوي ليحافظ على قوى الأشياء التي يسموها وعموماً فنصوص الطقوس المصرية كانت تخاطب العقل والسمع لأنها كانت متعلقة بالجسم والشم والإبصار والبخور والرؤية بالإيماء وسماع الأصوات ومن ثم فطريقة اللعب بالكلمات والأفكار كانت تثير كل الحواس في أن واحد .

الخلاصة :-

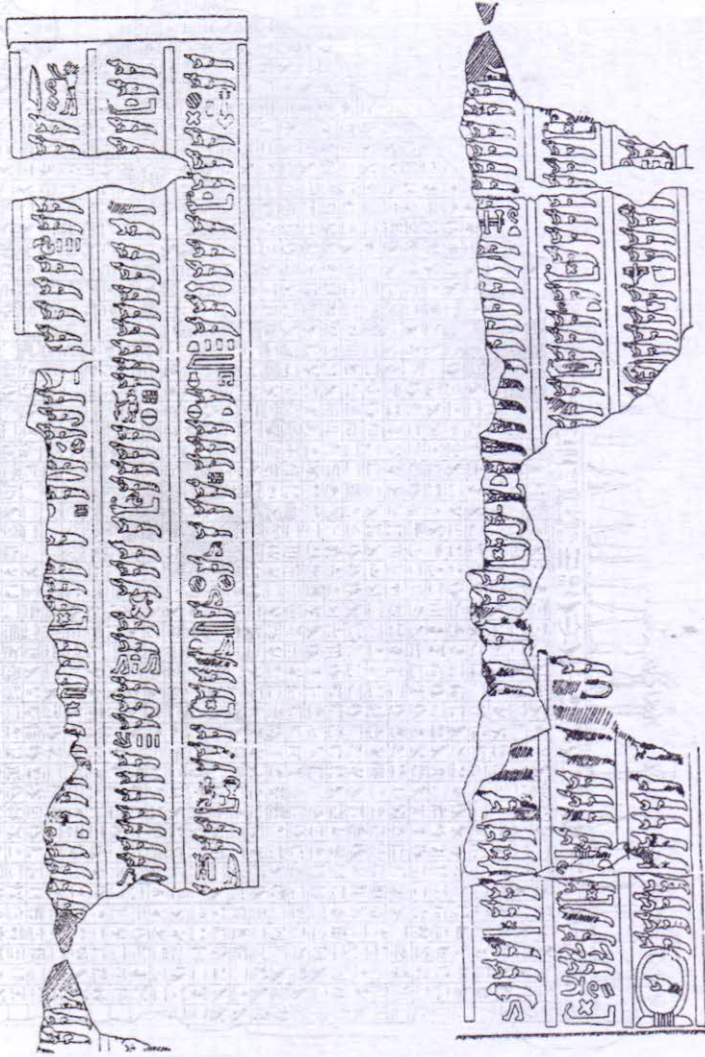
أولاً : كان تحديد اسم المتوفى والآلهة والأماكن في الحياة الثانية شرط أساسى للنجاة من صعاب هذه الحياة ومن هنا جاءت أهمية للوقوف على تحديد الاسم وكيثونته

ثانياً : برع رجال الدين في تحرير تعاويذ دينية عن طريق التلاعب بالألفاظ والعلامات الهيروغليفية وذلك لما تحويه من قوة سحرية عن طريق إستحضار القوى الروحية بها وذلك بهدف حماية المتوفى في العالم الآخر وذلك بعد التعرف على اسمه لذا إستخدموا أسلوب الكتابة بالرموز أو ما يعرف حديثاً بالشفرة عن طريق إستخدام علامات متعددة المعانى في كتابة النصوص وذلك للتمويه كما ورد ذلك في ترثيلة سوبك رع في معبد أسنا على أساس أن علامة التمساح متعددة المعانى وكذلك إستخدموا كتابة نصوص سرية في مربعات أفقية ورأسية وهى طريقة الكتابة بالكلمات المتقاطعة ومن ثم يمكن قراءة النصوص المكتوبة أما أفقياً أو رأسياً وهى أيضاً طريقة قصد بها إخفاء حقيقة هذه النصوص وعدم إفساد مفعولها السحرى كما ورد ذلك فى أسطورة موت من عصر رمسيس السادس ، كما أنهم استخدموا فى كتابة النصوص السرية ما يعرف بالجناس الإستهلاكى عن طريق استخدام الكلمات المتشابهة فى الشكل ولكن المعنى مختلف وذلك كنوع من التلاعب بالألفاظ .

(٩١) نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٣

(٩٢) Chassinat , E.- OP.Cit ., VI(2, 4-5)

(٩٣) Cauville , S.- " Entre Exigence decorative et significations multiples les graphies suggestives du temple d' Hathor . a Dendera " BIFAO , 102 , 2002 , p . 91
نجوى محمد متولى : نفس المرجع السابق ، ص ٧٤ ;

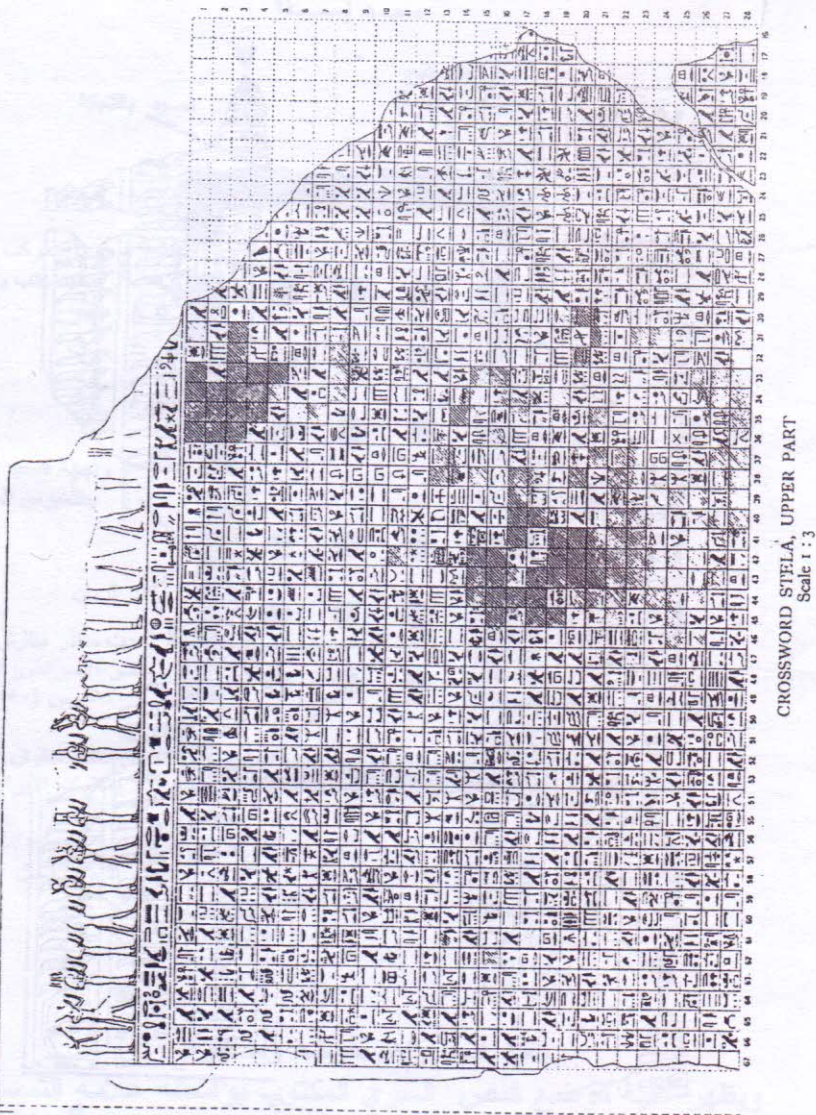


32

نموذج يمثل كتابة النصوص السرية عن طريق الشفرة أو الرموز ورد
في ترتيلة المعبود سوبك رع على جانب مدخل المعبد الروماني في أسنا
عن

Sauneron , S.:- Le Temple d' Esna , Cairo , 1963 , No .

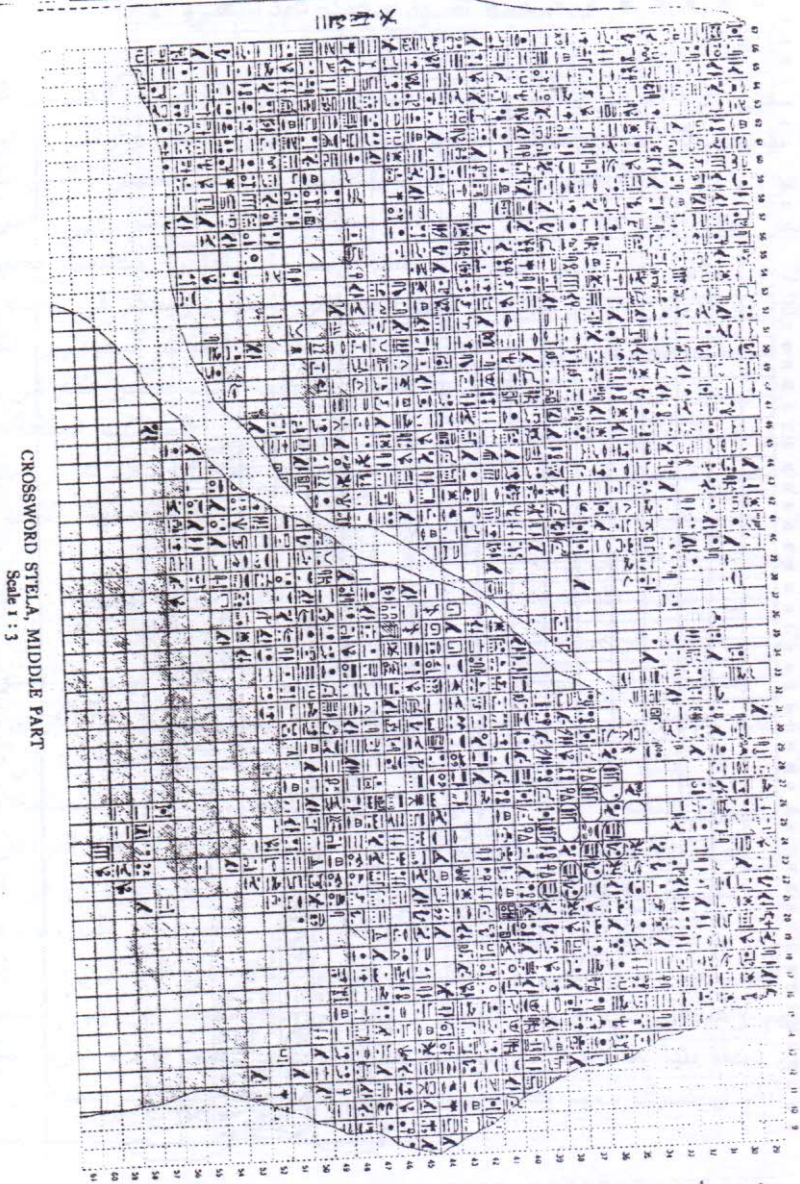
لوحة (٢-أ)



نص أسطورة المعبودة موت كتب بطريقة الكلمات المتقاطعة على لوحة
بازر يمثل الجزء الأعلى منها كنموذج لكتابة النصوص السرية
عن

H.M. Stewart :- JEA , 57 , 1971 , p. 87 - 104 , pls
XXIV XXVI

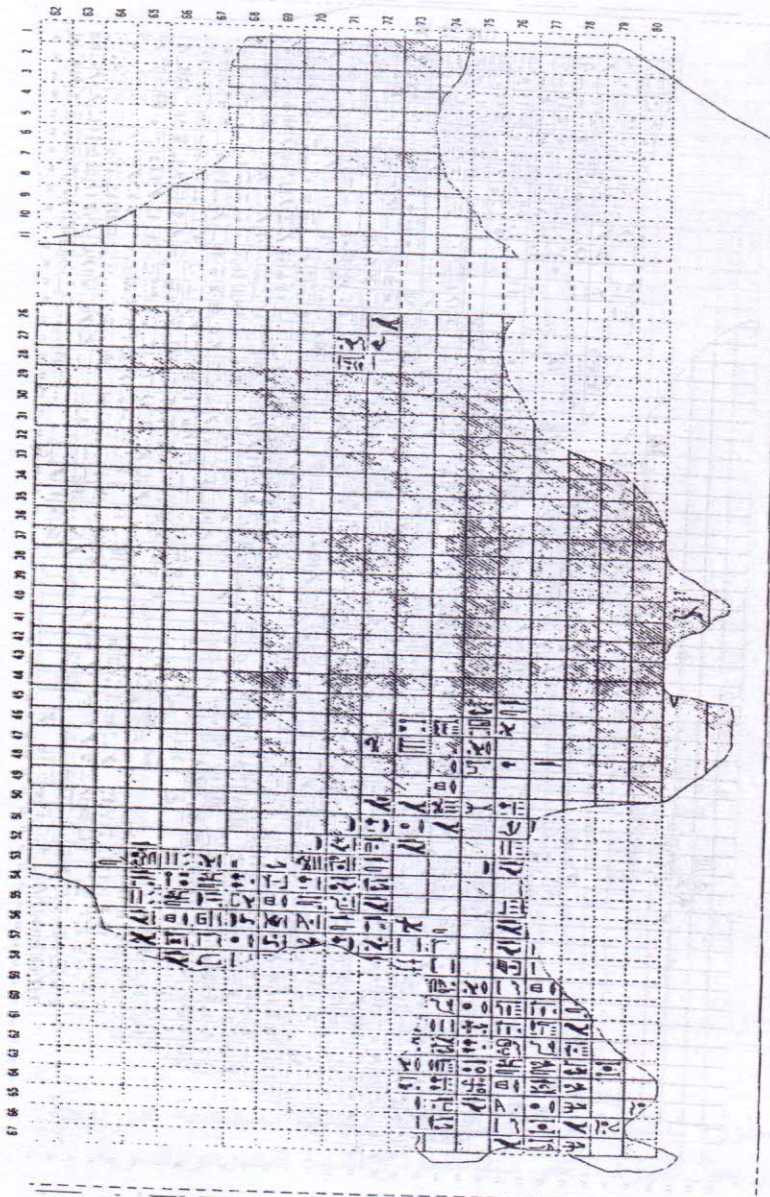
لوحة (٢ - ب)



CROSSWORD STELA, MIDDLE PART
Scale 1 : 3

نص أسطورة المعبودة موت على الجزء الأوسط من لوحة بازر
عن H.M. Stewart :- Ibid .

لوحة (٢-ج)



CROSSWORD STELA, LOWER PART
Scale 1 : 3

نص أسطورة المعبودة موت على الجزء الأسفل من لوحة بازر
عن H.M. Stewart :- Ibid .

"أبريس وأمازيس عند هيرودوت - رؤية نقدية"

أ. د. محمد السيد محمد عبد الغني*

حين غزا النوبيون مصر وحكموها خلال الأسرة الخامسة والعشرين التي أقام دعائمها ببيعنخي ثم أخوه وخليفته شاباكا في أواخر القرن الثامن وأوائل السابع ق.م. تسامح هؤلاء مع سلالة الملوك ذوي الأصول الليبية في شمال مصر والذين سبق لهم حكم مصر عبر الأسرات من ٢٢ إلى ٢٤ (منتصف القرن العاشر إلى أواخر القرن الثامن ق.م.) وفي أثناء حكم الأسرة الخامسة والعشرين النوبية خضعت مصر لحكم الإمبراطورية الآشورية ؛ ولكن لما كان ملك آشور يعيش ويحكم في بلاده (خارج مصر) ولم يُبدِ رغبة في أن يصبح فرعوناً فإن قوائم الملوك المصريين تخلو من الحكام الآشوريين ومن الفترة الآشورية القصيرة. ولما كانت مصر تقع في أطراف الإمبراطورية الآشورية فلم يكن بوسع ملوك آشور تمويل الحملات المكلفة اللازمة لإخضاع مصر ؛ ومن ثم اتخذ آشور بانيبال الإجراءات الملائمة لنقل عرش مصر إلى ملوك جدد مصريين من ذوي الأصول الليبية هم نيخو ثم ابنه ابسماتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين وعاصمتها سايس في الدلتا.

ولكن اعتلاء ملوك هذه الأسرة العرش لم يكن أمراً هيناً ميسوراً إذ اغتال الملك النوبي شاباكا أول ملوك الأسرة الجديدة نيخو وفرّ ابنه ابسماتيك إلى سوريا. ولكن أهل مقاطعة سايس في الدلتا من المصريين أعادوه إلى مصر ونصبوه ملكاً، ولكنه ما لبث أن دخل في صراع مع حكام (ملوك) المناطق المصرية الأخرى وعددهم أحد عشر. وقد تكتل هؤلاء ضده وجرده من معظم سلطانه وطرده إلى أحرش الدلتا مما أشعره بالظلم والإهانة وولد لديه نزعة الانتقام. وفي أثناء اعتصامه بأحرش الدلتا وانتبه نبوءة بأن ثاره من خصومه سيتحقق عندما يرى رجالاً من البرونز قادمين من البحر. وبعد فترة وجيزة من تلك النبوءة كانت جماعات من الإغريق من الأيونيين والكاريين (من إغريق آسيا الصغرى) ممن يطوفون أرجاء البحر المتوسط من أجل السلب والنهب قد أُجبروا على أن يحطوا رحالهم على الساحل المصري، ونزل هؤلاء من سفنهم وهم في دروع من البرونز. وقد أتى أحد المصريين إلى ابسماتيك في الأحرش لينبأه نبأ هؤلاء فتذكر النبوءة من فوره ورأى في هؤلاء القوم تحقيقاً لها. من هنا أقام ابسماتيك معهم علاقة صداقة ومودة ووعدهم بمكافآت سخية إن انضموا

* أستاذ التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

(1) Günther Hölbl, A History of the Ptolemaic Empire, (translated by Tina Saavedra), Routledge, London and New York, 2001, pp. 2 - 3.

إليه، فكسبهم إلى جانبه، وتمكن بمساعدتهم وبمؤازرة من وقف إلى جانبه من المصريين أن يطيح بالحكام الأحد عشر المناوئين له ، وأن يصبح الحاكم والملك الأوحد على مصر كلها.^٢

هكذا بدأت الأسرة السادسة والعشرين بدايتها القوية مع حكم ايسماتيك الأول بالاستعانة بهؤلاء القراصنة والمرتزة الإغريق من الأيونيين والكاريين ، وظل ايسماتيك يحكم فترة طويلة (٦٤٤ - ٦١٠ ق.م.) مستعيناً بهم. وقد وقى ايسماتيك بوعده الذي قطع لهؤلاء الإغريق في بداية علاقته بهم ، فممنهم أماكن يقيمون بها على ضفتي الفرع النيلوزي قرب بوباسطس (تل بسطة قرب الزقازيق) وأجزل لهم العطاء والمكافآت السخية ، وجعل تحت أيديهم عدداً من الصبية المصريين ليتعلموا اللغة اليونانية وبترجموا عن هؤلاء الإغريق ويكونوا همزة الوصل لهم مع الإدارة المصرية.^٣ ويبدو أن الملك ايسماتيك قد توسع في الاعتماد على هؤلاء الجند من الإغريق في حماية المناطق الحيوية في مصر ووزعهم على حاميات حدودية للدفاع عن تخوم مصر. إذ كانت هناك حامية عند إلفانتين في الجنوب على حدود إثيوبيا ، وأخرى في دافني على الفرع النيلوزي شرقاً جهة العرب والأشوريين ، وثالثة في ماريا في الغرب جهة الصحراء الليبية.

صحيح أن هيرودوت لم يذكر صراحة أن هذه الحاميات كانت تتألف من الجند المرتزة الإغريق ولكن سياق حديثه ربما ينحو هذا النحو ، فهو يشير إلى تمرد مائتين وأربعين ألفاً من الجند المصريين من ميسرة الجيش (على يسار الملك) على الملك ايسماتيك وفرارهم من مصر وانضمامهم إلى الإثيوبيين.^٤

إذ يشير إلى أن السبب في ذلك هو وجود تلك الحاميات على المناطق الحدودية والشرقية والغربية في إلفانتين ودافني وماريا ، والتي يبدو أن العنصر الإغريقي فيها كان مميزاً عن المصريين من أهل البلاد ويحظى بامتيازات وتسهيلات أكثر. وإلا ماعسى أن يكون الدافع وراء هجر ذلك العدد الضخم من المحاربين المصريين Αιγυπτιοί μαχιμοί لوطنهم وانضمامهم للإثيوبيين غير أن يكونوا مضطهدين أو

² Herodotus II. 152 - 53

³ Ibid. 154.

⁴ Ibid. II. 30:

τους ων δη Αιγυπτίους τρία ετεα φρουρήσαντες απέλυε ουδεις της φρουρης. Οι δε βουλευσάμενοι και κοινω λόγω χρησάμενοι πάντες απο του Ψαμμητιχου αποστάντες ησαν ες Αιθιοπίην. Ψαμμήτιχος δε πυθόμενος εδιωκε. ως δε κατέλαβε, εδέετο πολλα λέγων και σφεας θεους πατριούς απολυειν ουκ εα και τέκνα και γυναικας. των δε τινα λέγεται δέξαντα το αιδοιον ειπειν, ενθα αν τουτο η, εσεσθαι αυτοισι ενταυθα και τέκνα και γυναικας.

مهمشين في وطنهم لحساب طرف آخر؟! وهو ما تؤكد رواية ديورور الصقلي عند سرده لتلك الحادثة (انظر حاشية ٥).

ولعل ما يؤكد صواب هذا الحدس والاستنتاج ما ورد في بقية هذه الفقرة عند هيرودوت. إذ يذكر أن المصريين (على الجبهة الجنوبية المتاخمة للإثيوبيين) ظلوا في حالة تأهب واستعداد لمدة ثلاثة أعوام دون أن يأتي أحد ليريحهم من عناء الحراسة. من يكون هذا الأحد غير المرتزقة الإغريق المرفهين أو المميزين؟ ويستطرد هيرودوت فيذكر أن هؤلاء المصريين تشاوروا وانفقوا جميعاً على التمرد على الملك ابسماتيك وذهبوا إلى إثيوبيا. ولما علم الملك بالأمر تعقبهم إلى أن لحق بهم وناشدهم بصورة مطولة ألا يهجروا آلهة أسلافهم ولا أطفالهم ولا نساءهم. لكن واحداً من هؤلاء المصريين الفارين أشار إلى عضوه التناسلي قائلاً أينما وجد هذا وجدت الأبناء ووجدت الزوجات. ويذكر هيرودوت أن هؤلاء وصلوا إلى إثيوبيا وسلموا أنفسهم لملك البلاد الذي كافاهم وجعلهم يستوطنون أراضي خصومه من الإثيوبيين بعد

⁵ Ibid. :

τους ων δη Αιγυπτίους τρία ετεα φρουρήσαντες απέλυε ουδεις της φρουρης. Οι δε βουλευσάμενοι και κοινω λόγω χρησάμενοι πάντες απο του Ψαμμητίχου αποστάντες ησαν ες Αιθιοπίην. Ψαμμητίχος δε πυθόμενος ειδικε. ως δε κατέλαβε, εδέετο πολλα λέγων και σφεας θεους πατρώιους απολιτειν ουκ εα και τέκνα και γυναικας. των δε τινα λέγεται δέξαντα το αιδοιον ειπειν, ενθα αν τουτο η, εσεσθαι αυτοισι ενταυθα και τέκνα και γυναικας.

أنظر ديودور الصقلي الذي يصف هذا الحدث بقدر أكبر من التفصيل أو بسرد أكثر وضوحاً :

Diodorus Siculus I. 67. 2 - 6:

"لما كان ابسماتيك قد أقام دعائم ملكه بمساعدة المرتزقة فقد عهد إليهم قبل أي شخص آخر منذ ذلك الحين فصاعداً - بتصريف أمور مملكته واحتفظ بقوات كبيرة من المرتزقة. وذات مرة قام بحملة على سوريا بنفسه وفيها منح المرتزقة مقام الصدارة في التكريم في ترتيب صفوف المعركة حين وضعهم في المينة وجعل أهل البلاد في مكان أقل سمواً حين أسند إليهم موضع الميسرة في فيلقه وقد انتاب الغضب المصريين من هذه الإهانة وكان عددهم يتجاوز مائتي ألف فتمردوا وتوجهوا إلى إثيوبيا مصممين على أن يقيموا لأنفسهم وطناً خاصاً بهم. وقد أرسل إليهم الملك في بادئ الأمر بعضاً من قواده حتى يقدموا لهم الاعتذار، عما لحقهم من إهانة، ولكن لم يكثرثوا بهم انطلق بنفسه ورائهم في قارب ومعه حاشية من أصدقائه. ولما كانوا لا يزالون (الجند المصريون المتمردون) مستمريين في مسيرتهم بمحاذاة النيل وكانوا على وشك عبور حدود مصر توسل (الملك) إليهم أن يعدلوا عن غرضهم مذكراً إياهم بمعابدهم ووطنهم وزوجاتهم وأطفالهم. لكنهم صاحوا بأعلى صوتهم وصكوا دروعهم بحرايهم قائلين بأنهم طالما كانت أسلحتهم بأيديهم فمن السهل عليهم أن يجدوا لهم أوطاناً، ورفعوا ملابسهم وأشاروا إلى أعضائهم التناسلية وذكروا أنهم طالما كانت هذه لديهم فلن يعوزهم الحصول على زوجات وأبناء"

الاستيلاء عليها عنوة ، وأنهم تزوجوا مع الإثيوبيين الذين أصبحوا أرق طبعاً بعد أن اكتسبوا عادات المصريين .

بالطبع لا يمكن أن يهجر هؤلاء المصريون وطنهم الأم - مع ما هو معروف من حنين المصريين لوطنهم في الأدب المصري القديم - ويصدوا رغبة مليكهم بهذه الصورة القاسية إلا إذا استشعروا إهانة أو تمييزاً يمارس ضدهم لصالح أناس غرباء كالإغريق . ومن المنطقي ألا يصرح هيرودوت - كأغريقي - بهذا الأمر ، ولكننا نقرأه بجلاء بين السطور .

بعد وفاة ابسماتيك الأول استمر الوجود الإغريقي بمصر (خصوصاً كجنود مرتزقة) ولم ينقطع وإن تفاوتت درجة الاستفادة من خدماتهم حسب ظروف وميول كل حاكم من ملوك العصر الصاوي في الأسرة السادسة والعشرين ؛ بل

وحتى في ظل الاحتلال الفارسي لمصر بعد غزو قمبيز لها عام ٥٢٥ ق.م. إذ يخبرنا هيرودوت أن الإغريق أصبحوا على دراية تامة ودقيقة بما يحدث في مصر (بالأحوال المصرية) اعتباراً من عهد الملك ابسماتيك فصاعداً من خلال الاتصال بأولئك الذين استقروا في مصر من الإغريق ، والذين كانوا أول أجانب يستقرون في ذلك البلد .^٦

عقب وفاة ابسماتيك حكم ابنه نيكوس مصر لمدة ستة عشر عاماً (٦١٠ - ٥٩٥ ق.م.) . وقد اهتم منذ بداية حكمه بمشروع شق قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر وتمتد من الفرع البيلوزي للنيل قرب بوباسطس (تل بسطة) إلى خليج السويس الحالي . وبعد أن هلك في شق هذه القناة نحو مائة وعشرون ألفاً من المصريين توقف الملك عن إتمام حفراها حين أخبرته نبوءة بأنه إنما يبذل هذا

الجهد لمصلحة الأجنبي (البربري).^٧ وحين صرف الملك نيكوس النظر عن مشروع القناة اهتم ببناء أسطول حربي في مياه البحرين المتوسط والأحمر (البحر الشمالي والخليج العربي حسب النص).^٨

وبالاستعانة بهذا الأسطول وبقوات المشاة انتصر الملك على السوريين في موقعة المجدل واستولى بعد المعركة على مدينة كاديثيس (غزة) السورية العظيمة.^٩

⁶ Ibid. II. 154:

τούτων δε οικισθέντων ἐν Αἰγύπτῳ , οἱ Ἕλληνες οὕτω ἐπιμισγόμενοι τούτοις τα περὶ Αἰγύπτου γινόμενα ἀπὸ Ψαμμήτιχου βασιλέως ἀρξάμενοι πάντα καὶ τὰ ὕστερον ἐπιστάμεθα ἀτρεκέως . Πρωτοὶ γὰρ οὗτοι ἐν Αἰγύπτῳ ἀλλόγλωσσοι κατοίκησθησαν .

⁷ Ibid. II. 158

⁸ Ibid. 159 :

καὶ τριήρεις αἰ μὲν ἐπὶ τῆ βορρῆθι θαλάσῃ ἐποιθῆσαν , αἰ δ' ἐν τῷ Αραβίῳ κόλπῳ ἐπὶ τῆ Ερυθρῆ θαλάσῃ.....

لابد أن المرتزقة الإغريق المقيمين بمصر قد لعبوا دوراً في بناء سفن الأسطول الحربي وفي معركة المجدل والاستيلاء على غزة ، في حين ترك الملك للمصريين أعمال السخرة التي هلك فيها آلاف المصريين في مشروع لم يكتمل بسبب هواجس الملك.

خلف نيكوس في الحكم بعد وفاته ولده بساميس (إسماتيك الثاني) الذي استمر يحكم لمدة ستة أعوام (٥٩٥ - ٥٨٩ ق.م.). ويروي هيرودوت عن حكم إسماتيك الثاني أنه التقى وفداً من إغريق منطقة إيليس (في البيلوبونيز) ، وهي المنطقة التي كانت تشرف على تنظيم وإقامة الألعاب الأولمبية في مدينة "أوليمبيا" الواقعة داخل حدودها حيث يوجد أكبر معبد لزيوس في بلاد اليونان. ويروي هيرودوت النقاش الذي دار بين وفد إيليس من جهة وبين الملك إسماتيك ومجموعة من أكبر حكماء المصريين استدعاهم الملك لهذه المناسبة من جهة أخرى. وكان محور النقاش هو تفاخر الإيليين بتنظيمهم وإشرافهم العادل النزاهة للغاية لتلك الألعاب الأولمبية الكبرى ، وأنه ليس بوسع المصريين - رغم ما اشتهروا به من حكمة - أن يضيفوا جديداً يُذكر يضيفي على هذه الألعاب عدالة ونزاهة أكبر. ولكن حكماء المصريين ردوا عليهم بأن مثل هذا التنظيم للألعاب من جانب الإيليين يفتقر إلى النزاهة المطلقة طالما كان هناك لاعبون من إيليس يتنافسون في هذه الألعاب ، إذ سينحاز لهم الحكام بصورة أو بأخرى؛ ولكي تتسم هذه المنافسات بالعدالة المطلقة ينبغي استبعاد الإيليين من المشاركة فيها.^٩

هذا النقاش دليل على التواصل الحضاري بين الإغريق والمصريين واستمراره في عهد إسماتيك الثاني، ولا شك أن وجود المرتزقة الإغريق في مصر - وغيره من أوجه الوجود الإغريقي - قد أسهم في مجيء مثل هذه الوفود مثل وفد إيليس في زيارات لأغراض متعددة.

ثم يشير هيرودوت بعد ذلك إلى قيام إسماتيك الثاني في أواخر عهده بغزو إثيوبيا ووفاته بعد ذلك مباشرة.^{١٠} دون أن يقدم (هيرودوت) مزيداً من التفاصيل. لكن هل قام إسماتيك بهذه الحملة عن طريق جنده من المرتزقة الإغريق؟ أم أن عناصر الجيش ضمت المصريين والإغريق جنباً إلى جنب؟، وهل كانت وفاة الملك طبيعية إثر

⁹ Ibid. : και ταύτησι τε εχρατο εν τω δέοντι και Σύριοισι πεζη ο Νεκωσ συμβαλων εν Μαγδάλω ενίκησε, μετα δε την μάχην Κάδυτιν πολιν της Συρίας εουσαν μεγαλην ειλε.

¹⁰ Ibid. II. 160.

¹¹ Ibid. 161:

Ψάμμιος δε εξ ετεα μονον βασιλεύσαντος Αιγύπτιου και στρατεύσαμένου ες Αιθιοπίην και μεταυτικά τελευτήσαντος.....

هذه الحملة أم كانت نتيجة لها بمعنى أنه ربما هُزم وتأثر نفسياً أو شارك في الحملة وأصيب؟ كل هذه أسئلة لا نجد أجوبة لها عند هيرودوت. ولكن لحسن الحظ هناك نقش يوناني¹² مدون على أحد قدمي التمثال الضخيم لرمسيس الثاني الموجود أمام معبد أبو سمبل في النوبة يجيب عن بعض هذه التساؤلات. إذ يتحدث النقش عن وصول الملك ابسماتيك (الثاني) إلى إلفانتين مع جيشه، وقيام بعض جنود الجيش (من الإغريق) بكتابة هذا النقش اليوناني على قدم التمثال. ويرد في النقش أن هؤلاء الجنود قد أبحروا تحت قيادة ابسماتيك بن ثيوكليس حتى وصلوا إلى أقصى مكان من النهر يتيسر في الإبحار جنوباً. كما يرد في النقش أن الجنود الأجانب (المرتزقة) كانوا تحت قيادة بوتاسيمتوس بينما كان المصريون تحت قيادة أمازيس (أحمس).¹³

واضح أن هذه الحملة التي أبحرت في نهر النيل جنوباً كانت بقيادة ضابط كبير من المرتزقة الإغريق كما يتبين من اسم أبيه ثيوكليس الذي ربما كان على الأرجح أحد المرتزقة الإغريق من عهد أبسماتيك الأول وسمى ابنه هذا ابسماتيك تقريبا وزلفى للملك. كما تشير الوثيقة إلى أن هذه الحملة ربما وصلت في النيل حتى الشلال الثاني وهو أبعد مكان تكون الملاحة فيه آمنة بلا عوائق¹⁴، وأن الجيش كان ينقسم إلى أجناب¹⁵ αλλόγλωσσοι (أي : ناطقين بلغة أخرى غير المصرية) ومقصود بهم المرتزقة الإغريق تحت قيادة بوتاسيمتو - وهو إغريقي بغير شك - والمصريين الذين كانوا تحت قيادة أحمس (أمازيس). هذه المعلومات في النقش واضحة الدلالة على أن المرتزقة الإغريق كانت لهم الكلمة الأولى في الجيش المصري

¹² Corpus Inscriptionum Graecarum (CIG) 5126 = S. B. 8. 10018 , 593

B.C.

¹³ نشر هذا النقش كذلك في عدد من الكتب المعنية بنشر الوثائق النقشية والبردية استعنت منها بكتابين هما :

E. L. Hicks and G. F. Hill , A Manual of Greek Historical Inscriptions, Oxford , 1901 , No. 3 [3] , pp. 4 - 5 ; P.W. Pestman , the New Papyrological Primer , Brill, Leiden, New York, Copenhagen, Köln, 1990, Introduction, p. 7 (published in part):

βασιλέος ελθόντος ες Ελεφαντίαν Ψαματίχου ταυτα
εγραψαν τοι συν Ψαμματίχοι τοι Θεοκ(έ)ος επλεον, ηλθον δε
Κέρκιος κατύπερθε, υις ο ποταμος ανή. αλογλόσο(υ)ς δ' ηχε
Ποτασιμτο, Αιγυπτίους δε Αμασις.

راجع - حول هذه الحملة - مقالة :

S. Sauneron - J. Yoyotte , La campagne nubienne de Psammetique II et sa signification histotique, BIFAO 50, 1952, pp. 157 - 207.

¹⁴ E. L. Hicks and G. F. Hill, loc. cit. , p. 7

¹⁵ ورد نفس هذا التعبير αλλόγλωσσοι عند هيرودوت للإشارة إلى المرتزقة الإغريق الأيونيين والكاريين الذين كانوا أول أجناب يستقرون في مصر.. أنظر حاشية (٦) أعلاه.

أنداك بدليل هذا القائد الإغريقي للحملة وهو من الجيل الثاني من هؤلاء المرتزقة. أنه يأتي ذكر المرتزقة الأجانب وقائدهم قبل المصريين وقائدهم المصري في ترتيب ليعزز هذا الاعتقاد. وأخيراً يأتي النص نفسه المكتوب باليونانية في بيئة مصرية خالصة - أو يفترض كذلك - ليعزز مدى تغلغل هؤلاء المرتزقة في الحياة المصرية. هكذا كان الوضع إذا مع نهاية حكم إسماتيك الثاني وبداية حكم ولده أبريس (٥٨٩ - ٥٧٠). ويروي هيرودوت عن أبريس أنه كان الأكثر حظاً وسعة بين الملوك السابقين الذين تقلدوا الحكم بعد جده الأكبر إسماتيك (الأول)، ويضيف أنه أرسل جيشاً ضد صيدا وخاض معركة بحرية ضد ملك صور. ويعطي ديودور الصقلي مزيداً من التفاصيل حول هذه الحملات فيذكر أنه قام بحملة بقوات بحرية وبحرية كبيرة ضد قبرص وفينيقيا واجتاح صيدا وروّع المدن الفينيقية الأخرى وضرب خضوعها، كما انتصر على الفينيقيين والقبارصة في معركة بحرية كبرى وعاد مصر بغنائم وفيرة. ولكن كلا من هيرودوت وديودور لم يوضحا لنا جنسية القوات التي أحرز بها أبريس تلك الانتصارات المدوية في فينيقيا وقبرص: هل كانوا - كما جرت عادة ملوك تلك الأسرة من قبله - مزيجاً من المرتزقة الإغريق والجنود المصريين مع أفضلية لصالح الإغريق، أم هل بدأ اعتماده على المصريين يتزايد على حساب المرتزقة الإغريق؟ سؤال سنعود إليه فيما بعد.

ثم ننتقل إلى الفصل المأساوي في تاريخ أبريس وهو حملته المشؤمة على قورينة؛ لنأخذ رواية هيرودوت عن هذا الحدث ثم نعلق عليها ونحللها. يتحدث هيرودوت عن قصة قيام إغريق من جزيرة ثيرا بتأسيس مستوطنة يونانية في قورينة على الساحل الليبي عام ٦٣٠، وكان على رأس هؤلاء المؤسسين قائدهم باطوس الذي أسس أسرة حاكمة هناك. ما يخص موضوعنا في رواية هيرودوت هنا هو قوله بأنه في عهد ثالث ملوك هذه الأسرة المدعو "باطوس سعيد الحظ" صدرت نبوة عن كاهنة أبوللو في وحي ديلفي تدعو كافة الإغريق إلى عبور البحر والاستيطان في ليبيا مع

¹⁶ Herodotus II. 161:

ἐξεδέξατο Ἀπρίης ὁ Φάμμιος, ὁ μετὰ Φαμίητιχον τοῦ
ἰσθμοῦ προπάτορα, ἐγένετο εὐδαιμονέστατος τῶν πρότερον
βασιλέων, ἐπεὶ πέντε καὶ εἰκοσι ἀρξας, ἐν τοῖσι ἐπὶ τὴ
ἰσθμῷ στρατὸν ἤλασε καὶ ἐναυμαχῆσε τῷ Τυρίῳ.¹⁷

¹⁷ Diodorus Siculus I. 68. 1:

Ἀπρίης ἐβασίλευσεν ἐπὶ δυοὶ πλείω τῶν εἰκοσι. Στρατεύσας
ὅτι δυνάμεσιν ἀδραῖς πεζαῖς τε καὶ ναυτικαῖς ἐπὶ Κύπρον καὶ
Φοινίκην, Σιδῶνα μὲν κατὰ κράτος εἰλε, τὰς δ' ἄλλας τὰς ἐν τῇ
Φοινικῇ πόλεις καταπληξάμενος προσηγάγετο, ἐνίκησε δὲ καὶ
ναυμαχία μεγάλη Φοινίκας τε καὶ Κυπρίους, καὶ λαφύρων
ὑβρίσας πλῆθος ἐπανήθην εἰς Αἴγυπτον.

القورينائيين الذين وجهوا إليهم الدعوة ووعدهم بتقسيم الأرض معهم. وبناءً على ذلك توجهت أعداد كبيرة من الإغريق إلى قورينة واقتطعوا مساحات كبيرة من أراضي أهل البلاد من الليبيين المحليين واستولوا عليها وعاملوا أهل البلاد بعنف وغلظة. فما كان من الأخيرين إلا أن بعثوا يطلبون العون والنجدة من مصر وملكها أبريس.^{١٨} وقد لبى أبريس النداء لإغاثة الليبيين وأعد جيشاً كبيراً من المصريين لمواجهة القورينائيين الذين خرجوا إليه ودارت رحى معركة مع المصريين انتصر فيها القورينائيون.^{١٩} ويستطرد هيرودوت فيوضح - من وجهة نظره - أسباب هزيمة المصريين فيقول "لأن المصريين لم تكن لهم دراية سابقة بالإغريق وأنهم استخفوا بعدوهم ، لذا هلك معظمهم ولم يعد منهم إلى مصر إلا أقلهم".^{٢٠}

إذا تتبعنا هذه الرواية فيما يخص إبريس يمكن أن نلاحظ ما يلي:

أ - من الواضح أن السكان الليبيين المحليين قد طلبوا العون والنجدة من أبريس ضد الغزاة الإغريق الذين سلبوا أرضهم بالتواطؤ مع رفاقهم القورينائيين الذين استوطنوا بقاعاً من أرضهم - من قبل - بعد أن تجلت مقدرة أبريس وذاع صيته بعد انتصاراته السابقة على الفينيقيين والقبارصة.

ب - رأينا من حملة أسبماتيك الثاني على النوبة في نقش أبو سمبل أن الجيوش المصرية حتى عهده كانت تتألف من مرتزقة إغريق وجند مصريين من أهل البلاد ؛ وكانت الأفضلية والأولوية - فيما يبدو - لقادة المرتزقة وضباطهم في قيادة الحملات. ولكن يبدو أن أبريس بدأ يغير تلك السياسة ويعطي دوراً أكبر للمصريين في معاركه - على حساب المرتزقة الإغريق بالطبع. ويبدو أن المصريين كانوا عند حسن ظن مليكهم وأحرزوا انتصارات مظفرة في قبرص وفينيقيا ، رغم صمت هيرودوت ومن

¹⁸ Herodotus IV. 159.

¹⁹ Ibid. :

πέμψαντες ες Αιγυπτον εδοσαν σφέας αυτούς Απρίη τω Αιγύπτου βασιλεί. ο δε συλλέξας στρατον Αιγυπτίων πολλον επεμπε επι την Κυρήνην. οι δε Κυρηναιοι εκστρατευσάμενοι ες..... συνεβαλόν τε τοισι Αιγυπτίοισι και ενίκησαν τη συμβολη.

Cf. also Diodorus Siculus, loc. cit. :

μετα δε τουτα δύναμιν πέμψας αδραν των ομοεθνων επι Κυρήνην και Βάρκην, και το πλειστον αυτής αποβαλών,

وبعد ذلك (بعد انتصاره على الفينيقيين والقبارصة في معركة بحرية كبرى) أرسل (أبريس) قوة كبيرة من مواطنيه (المصريين) إلى قورينة وبرقة هلك معظمها.....

²⁰ Herodotus, loc. cit. :

ατε γαρ ου πεπειρημένοι πρότερον οι Αιγύπτιοι Ελλήνων και παραχρөөμένοι διεφθάρησαν ουτω ωστε ολίγοι τινες αυτων απενόστησαν ες Αιγυπτον.

بعده ديودور - الذي نقل عنه على الأرجح - عن تحديد هوية من أحرز هذه الانتصارات ؛ وهو صمّت مفهوم دوافعه انحيازاً لبني جلدتهم الإغريق على الأرجح الذين ربما لعبوا دوراً أقل من المصريين في هذه الإنجازات.

ج - حين تلقى الملك أبريس دعوة من الليبيين لمؤازرتهم ضد عدوان الإغريق من المستوطنين الجدد والقورينائيين لبني الملك النداء. ولكن من الواضح أن الملك تدبر أمره وقرر أن تقتصر قوات جيشه - في هذه الحملة - على المصريين دون سواهم ، أي دون المرتزقة الإغريق في جيشه. ولعل أبرز دوافع هذا القرار الظاهرية هو أن الملك يريد أن يجنب المرتزقة الإغريق في جيشه حرج المواجهة مع بني جلدتهم الإغريق في قورينة ، وغير بعيد القول بأنه ربما كان لا يثق في ولائهم في هذا الموقف. وربما كان الملك - في ضوء سياسته الجديدة المفترضة - كان بصدد إعطاء جرة أكبر من الثقة لجنده الوطنيين من المصريين.

د - من المؤكد أن هذا القرار أثار حفيظة المرتزقة الإغريق في جيش أبريس : فها هو الملك يهاجم إغريقياً هذه المرة، وها هو يبدأ في تهميش دورهم هم والشك في ولائهم له مما ينذر بقرب التخلي عنهم وتسريحهم أو ربما إبعادهم. ثم تأتي الهزيمة المفاجئة لجيش أبريس في قورينة على يد القورينائيين وحلفائهم من المستوطنين الجدد. وهنا - عند الهزيمة - ينبري هيروdot - ومن بعده ديودور - للتأكيد على أن من انهزم هم المصريون من بني جلدة الملك ομοεθνοί ولا أحد سواهم، ويتم التأكيد على ذلك في أكثر من موضع كما رأينا رغم صمّت المؤرخين عن تحديد هوية المنتصر في انتصارات أبريس السابقة! كما تم التأكيد على ضخامة حجم القوات المصرية المهزومة. ثم يتطوع هيروdot بتفسير أسباب هزيمة القوات المصرية في تلك المعركة بالقول بعدم درايتهم السابقة بقتال الإغريق واستخفافهم بعودهم.

هـ - ربما كان استخفاف المصريين بعودهم في هذا الموقف صحيحاً لاسيما بعد الانتصارات القريبة التي أحرزوها على الفينيقيين والقبارصة براً وبحراً، وربما أخذتهم نشوة تلك الانتصارات بحيث صورت لهم أن مهمتهم جد يسيرة.. أكرر ربما! أما القول بعدم دراية المصريين بالإغريق فهو قول مردود عليه ويكفي التذكير بأن المرتزقة الإغريق كانوا يخدمون في الجيش المصري ولعبوا دوراً هاماً طيلة فترة حكم الأسرة السادسة والعشرين وحتى وقت تلك المعركة، ويحفظ المصريون أساليب القتالية، حتى وإن لم يشترك المصريون في معارك مع إغريق. إن الأسباب الموضوعية لتلك الهزيمة - في تقديري - هو عدم ألفة المصريين بأرض المعركة التي ربما كانوا يحاربون عليها لأول مرة في حين كان ميدان المعركة معروفاً ومألوفاً تماماً لأعدائهم القورينائيين وهو عنصر هام في المعارك. كما أنني لا أستبعد وجود تواطؤ بدرجة ما - وفي الخفاء - بين المرتزقة الإغريق في الجيش المصري وبنيتي

جلدتهم من إغريق قورينة ربما بإمدادهم بمعلومات دقيقة عن تلك القوات المصرية ونقاط قوتها وضعفها. وربما كان من دوافع ذلك ما ألمحت إليه من هواجس ربما راودت المرتزقة الإغريق من جراء هذه الحملة.

ويبدو أن هذه الهزيمة المفاجئة والكبيرة لجيش أبريس من المصريين قد لاقت هوى وارتياحاً لدى المرتزقة الإغريق في جيشه الذين اطمأنوا إلى بقائهم وحاجة الملك إليهم بعد أن صار الآن في وضع حرج للغاية. فهذه الهزيمة غير المتوقعة أثارت وأهاجت مشاعر المصريين على مليكهم أبريس وجعلتهم يظنون - حسب قول هيرودوت - أنه قام بهذه الحملة الفاشلة وأرسل رجاله إلى مصيرهم المحتوم ليطمئن إلى إحكام قبضته على بقية المصريين وهو آمن ومطمئن، ومن هنا تمرد عليه جنوده الذين نجوا من تلك المعركة وأقارب القتلى الذين لقوا حتفهم في المعركة.²¹

ورغم الغضب والمرارة لدى الملك أبريس من هذا الموقف إلا أنه رغب في أن يحتوي الموقف ويخفف من غضبة الثائرين عليه، فأرسل لهذا الغرض أحد كبار قادته وهو أمازيس (أحمس) - *ανηρ εμφανης Αιγυπτιος* - حسب وصف ديودور²² - لكي يفتن هؤلاء المتمردين بموقف الملك ويصل إلى صلح معهم. ولكن بدلاً من أن يفعل أمازيس ذلك عمق الهوة بينهم وبين الملك وانضم إلى صفوف المتمردين الذين اختاروه ملكاً بدل الملك الشرعي أبريس الذي كان لا يزال على رأس الحكم. هكذا أوتي الحذر من مكمنه وأنت الطعنة الغادرة من حيث لا يتوقع الملك الشرعي، من أحد رجاله المقربين! وفي رواية هيرودوت عن هذا الحدث قدر من التفاصيل التي تُجلى بعضها من غموض الموقف:

"حين سمع الملك بذلك (أنباء التمرد عليه) بعث إليهم بأمازيس لكي يثنيهم عن غرضهم. وحين وصل أمازيس إلى المصريين (المتمردين) أخذ يحثهم على الإقلاع عما يفعلون ولكن - وبينما هو يتحدث - أتى أحد هؤلاء المصريين من خلفه ووضع على رأسه خوذة قائلاً إنها رمز الملكية. ولم يُبدِ أمازيس استياءً مما حدث، إذ أنه حين نُصّب ملكاً من قبيل هؤلاء الثائرين من المصريين أخذ يتأهب لملاقاة أبريس. وحين تناهى الأمر إلى مسامح أبريس أرسل إلى أمازيس أحد رجالات حاشيته المرموقين من المصريين ويُدعى بتاربيميس وكلفه بأن يلقي القبض على أمازيس حياً ويأتي به إليه. وحين وصل (بتاربيميس) استدعى أمازيس، لكن الأخير رفع قدمه - وكان ممتطياً صهوة جواده - وأتى بحركة شائنة وأمر الرسول بأن ينقلها إلى أبريس. ولكن

²¹ Herodotus II. 161.

²² Diodorus, loc. cit.

وربما كان أمازيس (أحمس) هذا هو نفس القائد المصري الذي ورد اسمه في نقش أبو سمبل كقائد للقوات المصرية في الحملة على النوبة أيام أبسماتييك الثاني والد أبريس.

بتاربيميس كان مصراً على أن يُدْعن أمازيس لأمر الملك وأن يذهب إليه، فما كان من أمازيس إلا أن ردّ بأنه كان يتأهب لهذا الأمر منذ فترة طويلة وأن أبريس لن يلومه على ذلك "فلسوف أذهب إليه بنفسي وأتي بأخرين معي". ولم يفت بتاربيميس - من خلال هذا القول - إدراك غرض أمازيس من ورائه، وحين شاهد الاستعداداته أسرع بالرحيل (رحل على جناح السرعة) حتى يتسنى له أن يحيط الملك علماً بما يجري بأسرع ما يمكن. وحين وصل إلى أبريس دون أن يُحضر معه أمازيس لم يمنحه الملك فرصة للحديث بل أمر - في سورة غضبه - بأن تقطع أذنا بتاربيميس وأن تجدع أنفه. وحين رأى بقية المصريين الذين كانوا لا يزالون على إخلاصهم لقضيته (أبريس) ما حلّ بذلك الرجل الذي كان يحظى بمنزلة كبيرة في نفوسهم من ازدراء شنيع لم يضيعوا وقتاً بل انضموا للآخرين وسلموا قيادهم لأمازيس^{٢٣}

"و حين بلغت هذه الأنباء مسامع أبريس قام بتسليح حراسه الشخصيين وانطلق بهم ضد المصريين، وكان لديه ثلاثين ألفاً من الحراس الشخصيين من الكاريين والأيونيين، وكان مقره الملكي في مدينة سايس وهو قصر منيف بديع. وقد اتجه رجال أبريس ضد المصريين وكذلك فعل رجال أمازيس ضد الأجانب"^{٢٤}

"و حين وصل أبريس وحراسه وأمازيس وكافة قواته من المصريين إلى مدينة موميفيس اشتبكوا في معركة ؛ ورغم أن الأجانب أبلوا بلاءً حسناً في القتال فقد كانوا في مجموعهم أقل بكثير ولذا انهزموا. ويُقال أن أبريس كان يفترض أنه ليس بوسع حتى أحد الأرباب أن يطيح به من على عرشه ، وكان يعتقد اعتقاداً جازماً أنه ثابتٌ وياق. ولكن الآن وبعد أن هُزم ووقع في الأسر أُوتِي به إلى مدينة سايس إلى القصر الذي كان ملكه ذات يوم ولكنه الآن ملكٌ لأمازيس. وهناك ظل يحيا في القصر لبعض الوقت ويحظى بمعاملة طيبة من أمازيس. ولكن في نهاية المطاف اشتكى المصريون وتذمروا من أنه ليس من العدل الإبقاء على حياة شخص يعد من ألد خصومهم هم ومليكهم، ومن ثمّ قام (أمازيس) بتسليم أبريس إلى المصريين الذين قاموا بخنقه ودفنه في مدافن عائلته..."^{٢٥}

هذه الرواية من جانب هيرودوت عن كيفية الإطاحة بأبريس من قِبَل أمازيس

تستدعي الملاحظات الآتية :

(أ) أن أمازيس كان يعترّم ويُضمر الغدر بمليكه أبريس حتى وإن تصرف وتظاهر في أول الأمر ببحث المتمردين على الكف عن تمردهم، ويبدو أن خطابه للمتمردين في هذا الاتجاه كان ليناً وفتح الباب لهم وأعطاهم الضوء الأخضر لدعوتهم إياه لقيادتهم. هذا الترجيح يستند إلى قيام أحد المتمردين بوضع الخوذة على رأس أمازيس كرمز

²³ Herodotus II. 162.

²⁴ Ibid. 163.

²⁵ Ibid. 163.

للملكية أثناء خطابه إليهم، والأهم عدم ممانعة أمازيس لهذا التصرف بل وقبوله الأمر دون تردد والتأهب لمجابهة سيده أبريس.

ومما يؤكد ذلك ما أتى به أمازيس في رده على رسول الملك الذي كان مكلفاً بالقبض عليه، إذ تصرف في وقاحة بالغة وأتى بفعل شائن استخفافاً بالملك وطلب من الرسول إبلاغ الملك بذلك. بل والأهم قوله بأنه يتأهب لفعل ذلك (لتحدي الملك والغدر والإطاحة به) منذ فترة طويلة، وأنه قادم ومعه آخرون لمجابهة الملك. كل هذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على تعمد وتخطيط وترتيب طويل من جانب أمازيس للإطاحة بسيده أبريس.

(ب) إن المصائب لا تأتي فرادى! لقد صادف أبريس حظ عاثر في تلك الفترة على كافة المستويات : فمن هزيمته في قورينة بملاساتها وظروفها التي أشرنا إليها إلى غدر وخيانة غير متوقعة من جانب أحد قادته المقربين أشعل اللهب عند المتمردين بدلاً من محاولة إطفائه أو تهدئته وذلك لأغراض انتهازية واضحة للسطو على العرش، ثم تأتي ثالثة الأثافي... والمقصود بها هنا أن الملك أبريس أمام هذه الكوارث المتلاحقة بدأ يفقد ضبط النفس وتتسم أفعاله وردود أفعاله بالعصبية والعنف مما أصاب خلصائه ومحبيه بأضرار فادحة أفقده ما بقي له من إخلاص وتعاطف عند بقية رعيته مما جعلهم ينصرفون عنه و ينضون تحت لواء خصمه أمازيس، كما رأينا في قصة رسوله المخلص الأمين بتاربيميس الذي نال جزاء سنمار ، ورد فعل ذلك التصرف لدى بقية المصريين.

(ج) بذلك انصرف جميع المصريين تقريباً عن أبريس وتكالبت عليه كل الظروف السيئة ولم يجد ملاذاً في نهاية المطاف إلا في حماية حراسه الشخصيين من المرتزقة الإغريق من الأيونيين والكاريين، وبئس الملاذ ! لقد سبق لأبريس كما رأينا أن حاول أن يقلل من نفوذ هؤلاء وأن يعطي دوراً متزايداً لمواطنيه من المصريين ولم يشرك هؤلاء المرتزقة الإغريق في حملته القورينائية، وهو الأمر الذي لا بد أنه أثار هواجسهم نحوه. ولكن ظروف الحملة الفاشلة (ضد إغريق قورينة) ثم خذلان المصريين لمليكمهم وغدر قائده به سيضاف إليه عدم تمكن - أو بالأحرى عدم رغبة - هؤلاء المرتزقة من حماية الملك من أمازيس وأنصاره من المصريين. إن هيرودوت يدافع عن هؤلاء المرتزقة الإغريق بأنهم أبلوا بلاءً حسناً في القتال مع أبريس ولكن سبب هزيمتهم يتمثل في قلة عددهم بالمقارنة بجموع المصريين.

ربما كانت قلة عددهم النسبية مبرراً مقبولاً إلى حد ما ولكن الأهم في تقديري هو عدم حماسهم للدفاع عن الملك نتيجة لشكوكهم السابقة في نواياه، ورؤيتهم الواقعية الانتهازية لاتجاه الريح السياسية التي كانت مواتية آنذاك بشدة مع أمازيس الذي كان الجواد الرباح بغير شك الذي لا يريدون أن يخسرونه وربما عقدوا صفقة معه للخلاص من شجرة الخريف الذابلة التي تؤذن بالرحيل... أبريس !

والآن لنعود مرة أخرى إلى حكم أمازيس بعد اعتلائه العرش على جثة سيده ومليكه السابق لنتتبع كيفية حكمه وأهم سمات شخصيته، حين يروي هيرودوت سيرة حياة أمازيس منذ بداياته الأولى وقبل أن يصبح في دائرة الضوء ونستطيع أن نستشف الكثير من سمات شخصيته والتي تتسق مع سير الأحداث - أو بالأحرى تدبير الحوادث - لغير صالح سيده ومليكه أبريس. إذ يقول عنه هيرودوت أنه كان ينتمي إلى مدينة سيوف في مقاطعة سايس وأنه في مبتدأ أمره لم يكن يحظى بمنزلة رفيعة بين المصريين بل كان محتقراً بينهم إذ كان رجلاً من عامة الشعب ولم يكن ينتمي إلى عائلة مرموقة، ولكنه استمالهم إليه بعد ذلك بحيلته وكياسته $\sigma\phi\acute{\iota}\eta... \sigma\upsilon\kappa$ ويدلل على ذلك بمثل ذي مغزى ودلالة فيذكر أنه كان لدى أمازيس ضمن كنوزه الكثيرة (بعد أن صار ملكاً كما هو واضح) حوض ماء من الذهب لغسيل الأقدام ، وكان هو وكافة ضيوفه يغسلون أقدامهم فيه. وقام أمازيس بتحطيم ذلك الحوض الذهبي وصنع من ذهبه تمثالاً لأحد الآلهة أقامه في مكان لائق جداً من المدينة وأصبح المصريون يترددون دوماً على هذا التمثال يقدمون له أسمى آيات التقديس. وحين علم أمازيس بذلك جمع المصريين من أهل المدينة وأخبرهم بحقيقة التمثال المصنوع من حوض غسيل الأقدام الذي كان يستقبل أدران الأقدام ثم ها هو قد أصبح موضع تقديس. ثم قال لهم "إن حاله (حال أمازيس) أشبه بحال حوض غسيل الأقدام هذا ، إذ كان من قبل رجلاً من عامة الناس ، والآن صار ملكاً عليهم وأن عليهم توقيره وإنزاله المنزلة اللائقة " ²⁶

ويستطرد هيرودوت بعد ذلك فيشير إلى أن أمازيس استطاع بهذه الطريقة أن يستميل المصريين لصفه حتى جعلهم يرتضون أن يكونوا عبيده. ²⁷ ويتحدث عن طريقته في الحكم فيذكر أنه كان يقضي فترة الصباح في عمل جاد دؤوب لإنجاز كل ما يُعرض عليه حتى يحين وقت ازدحام الأسواق بروادها ، ثم يقضي بقية اليوم في الشراب وممازحة رفاقه المرحين في مجلس الأنس واللهو. ولما عاب عليه بعض أصدقائه هذا الأسلوب في الحكم وأنه بذلك يجعل وضعه متدنياً بما لا يليق بملك ينبغي أن يعتلي عرشه بكل كبرياء طيلة اليوم ويصرف أمور المملكة ليلقي في روع المصريين مدى عظمة ومهابة حاكمهم فيكون موضع تقديرهم وإجلالهم ، أجاب منتقديه

²⁶ Ibid. 172 :

ἤδη ὡν εἶη λέγων ὁμοίως αὐτὸς τῷ ποδανιτηρὶ περηγένας. εἰ γὰρ πρότερον εἶναι δημότης, ἀλλ' ἐν τῷ παρεόντι εἶναι αὐτῶν βασιλεύς. καὶ τιμὰν τε καὶ προμηθέσθαι εἰωθὸς ἐκέλευε.

²⁷ Ibid. 173:

τοιοῦτω μὲν τρόπῳ προσηγάγετο τοὺς Αἰγυπτίους ὥστε δίκαιον δουλεύειν,

بإجابة لم يألفوها. إذ قال لهم " أن رماة السهام يشدون أوتار أقواسهم وقت اللزوم فقط ، أما إن ظلوا يشدون طيلة الوقت فلسوف تنكسر الأقواس وتصبح بلا جدوى وقت الحاجة. كذلك هي الطبيعة البشرية : فإذا أخذ الناس أنفسهم مأخذ الجد على الدوام منكبين على العمل دون أن يسمحوا لأنفسهم بقسط معقول من التريض لأوردهم ذلك موارد الجنون أو الحماسة لو يدرون ، وإني أعلم ذلك علم اليقين وأقسم وقتي بين هذا وذلك " .^{٢٨}

ويعود هيرودوت إلى سيرة أمازيس حين كان رجلاً من عامة الناس قبل أن يصير ملكاً فيذكر أنه لم يكن شخصاً جاداً منصرفاً إلى العمل بل كان مُحباً للشراب واللهو والمزاح. وحين كانت مثل هذه السبل تؤدي به إلى العوز والفاقة كان يتسكع هنا وهناك يمارس اللصوصية. وحين كان ينكر أمام ضحاياه تهمة الاستيلاء على أملاكهم كانوا يصطحبونه إلى أقرب مكان للعرافة وكانت كثير من معابد الوحي تدينه بالجرم كما كان كثير منها يبرئه. ويذكر هيرودوت أن أمازيس حين اعتلى العرش لم يُبد أي اهتمام أو عناية بمعابد الوحي التي سبق أن برأته من جرائم السرقة لأنه أدرك زيف وحيها وعدم قيمتها، وأنه أولى كل اهتمامه بالمعابد والآله التي سبق أن أدانتها بجرمه واعتبرها صادقة منزهة !.^{٢٩}

بالطبع لا يمكن أن نأخذ رواية هيرودوت عن أمازيس قبل اعتلائه العرش عنى أنها مُسلم بها في كل تفاصيلها، إذ لا تخلو من مبالغة واضحة في بعض التفاصيل ومن تجن عليه أحياناً.. لكن ما يمكن أن نستشفه بوضوح من روايات هيرودوت أن أمازيس - رغم كونه من عامة المصريين - كان ذكياً واسع الحيلة وكان داهية دبلوماسياً يأخذ لكل أمر عدته، ولكن الأهم من ذلك كله أنه كان طموحاً يتسم بالانتهازية الشديدة وسخر كل أدواته السالفة الذكر للوصول إلى أهدافه على حساب ملكه السابق وتمسك حتى تمكن، واستطاع بدهائه أن يمسك بزمام رعيته من المصريين. ولكي يمكن لنفسه أكثر ويمسك بكل خيوط اللعبة السياسية في عصره كان هناك عنصر لا يمكن تجاهله أو إنكاره بالنسبة لأمازيس وهو المرتزقة الإغريق في مصر، بل وكافة الإغريق القادمين لمصر وكذلك إقامة علاقات طيبة مع كافة الإغريق في أوطانهم الأصلية. لعل هذا الجانب من حكم أمازيس - وهو علاقته الوثيقة بالإغريق - يُعد أشهر ما يميز حكمه بين فراعنة الأسرة السادسة والعشرين الذين اعتمدوا بصورة كبيرة على المرتزقة الإغريق. وإذا كنا قد لاحظنا خلال البحث اتجاه الملك الوطني السابق أبريس إلى تقليص نفوذ هؤلاء المرتزقة والاعتماد على العنصر الوطني المصري، فإن أمازيس - الذي وصل إلى العرش بمؤازرة المصريين - قد

²⁸ Ibid.

²⁹ Ibid. 174.

أطلق يد الإغريق في مصر بصورة غير مسبوقة وجعل من المرتزقة الإغريق حراساً شخصيين له في متف ضد المصريين!³⁰ وقد بلغ من علاقته الوثيقة بالإغريق أن صورته هيرودوت بالمحب للإغريق

Φιλέλλην δε γενόμενος ο Αμασις (II. 178) وأسهب - في مواضع عديدة من مؤلفه - في بيان الأوجه العديدة لهذه العلاقة المتشعبة التي لم يكن دافعها - في تقديره - الحب ، بل المصالح المشتركة لنظرين.

على مستوى الداخل في مصر - بالإضافة للوضع المتميز للمرتزقة الإغريق - منح أمازيس امتيازات هائلة للتجار والمستوطنين الإغريق من المدن والجزر اليونانية في بحر إيجه والساحل الغربي لآسيا الصغرى في مدينة نقرطيس في شمال غرب اثنتاً على الفرع الكانوبي للنيل، والتي كانت آنذاك الميناء التجاري الوحيد في مصر.³¹ أما خارج مصر فقد ارتبط بعلاقات وتحالفات مع بعض الحكام (الملوك والطغاة) من اليونانيين والمتأخرين : فقد أقام تحالفاً مع كرويسوس ملك ليديا الشهير،³² كما زاره في مصر سولون حكيم أثينا الشهير.³³ كما أنه ساهم مساهمة سخية للغاية في ترميم معبد وحي ديلفي في بلاد اليونان،³⁴ كما قدم هدايا للمعابد اليونانية في قورينة وليندوس وساموس.³⁵ هل كان أمازيس يفعل كل ذلك حياً في الإغريق وحضارتهم أم ليتقي شرهم ويتحالف معهم ضد أي أعداء محتملين ؟ أم ليبيد هواجس جنده وحرسه الشخصي من المرتزقة الإغريق الذين ربما توجهوا بن تصرفات سلفه أبريس فأراد أن يؤكد لهم ويطمئن كل الإغريق في كل مكان أن صفحة أبريس قد طويت وأن سياساته من آثار الماضي البائد ؟

أعتقد أن هذه العناصر مجتمعة - وعلى رأسها العنصر الأخير - قد ساهمت في هذه السياسة الممائلة بل والمتواطئة مع الإغريق. ولا أدل على ذلك من زواج أمازيس من أميرة قورينية تُدعى لاديكي من عائلة باطوس الحاكمة³⁶ ربما ليدل عملياً على طي صفحة العداة والخصومة من أيام أبريس الذي هاجم قورينة في حملته الفاشلة.

³⁰ Ibid. II. 154:

τούτους (المقصود المرتزقة الإغريق) μεν δη χρόνω υστερον βασιλευς Αμασις εξααστήσας ενθευτεν κατοίκισε εις Μέμφιν , φυλακην εωτου ποιούμενος προς Αιγύπτωιν.

³¹ Ibid. II. 178 - 179.

³² Ibid. I. 77.

³³ Ibid. I. 30.

³⁴ Ibid. II. 180.

³⁵ Ibid. II. 182.

³⁶ Ibid. II. 181.

ولعل أبرز تحالف أقامه أمازييس كان مع بوليكراتيس طاغية ساموس الشهير وصاحب الإمبراطورية البحرية في بحر إيجه، وهو تحالف شهير أسهب هيرودوت في الحديث عنه.^{٣٧} ولكن هذا الحليف القوي تخلى عن أمازييس في أول منعطف صعب حين اعتزم قمبيز مهاجمة مصر للاستيلاء عليها وضمها للإمبراطورية الفارسية؛ إذ أرسل بوليكراتيس لقمبيز أسطولاً من سفنه ورجاله ليعينه على غزو مصر.^{٣٨} وهكذا تجرع أمازييس كأس الغدر من أوثق حلفائه تماماً كما قام هو بالغدر والخيانة مع مليكه أبريس!

والآن لنختتم هذا المبحث بنقطة مثيرة للتساؤل والعجب وهي: كيف يتسنى لهيرودوت - وهو الإغريقي - أن ينسب إلى أمازييس كل تلك النقائص في نشأته المبكرة من إفراط في الشراب والمجون ومن أصل وضع ولصوصية ودهاء وانتهازية رغم كل ما قدمه أمازييس للإغريق - وما أكثره - من أفضال ومميزات وعلاقات خاصة على مدى حكمه الطويل !!؟

لقد زار هيرودوت مصر حوالي منتصف القرن الخامس ق.م. أي في ظل الحكم الفارسي وثورات المصريين عليه. هل يقترن ذلك الموقف بأن المصريين - الذين ذاقوا الأمرين على يد الفرس الذين اضطهروا آلهة وعقائد المصريين - قد أدركوا أو تصوروا أن أمازييس ربما تسبب - بصورة أو بأخرى - في الدفع بهم في براثن الفرس رغم أن الغزو الفارسي لمصر قد وقع في العام التالي لوفاة أمازييس عام ٥٢٥ ق.م. وربما لهذا السبب فإن صورة أمازييس عند المصريين - رغم رفاهية مصر في عهده كما يصورها هيرودوت^{٣٩} - كانت قد تشوهت كثيراً بعد وفاته باعتباره مسئولاً - بسياساته وتصرفاته - عن تعرضهم لمحنة الإحتلال الفارسي، ومن هنا صاروا يركزون على سلبياته أكثر من إيجابياته وسيئاته أكثر من حسناته. وتفصيل ذلك أن أمازييس - كما أسلفنا - لم يجد العون من أقرب حلفائه وهو بوليكراتيس طاغية ساموس بل وجد الغدر والخديعة في عرض الأخير على قمبيز لتقديم العون العسكري التطوعي له في حملته لغزو مصر. وفضلاً عن ذلك يحدثنا هيرودوت عن خيانة أخرى حاسمة من جانب الإغريق لأمازييس؛ وتتمثل هذه الخيانة

³⁷ Ibid. III. 39 - 45.

³⁸ Ibid. III. 44.

³⁹ Ibid. II. 177:

Επ' Αμάσιος δε βασιλέος λεγεται Αιγυπτος μάλιστα δη τότε ευδαιμονησαι και τα απο του ποταμου τη χώρα γινόμενα και τα απο της χώρας τοισι ανθρώποισι, και πόλις εν αυτη γενέσθαι τας απάσας τότε δισυμρίας τας οικουμένας.
"يقال أن مصر قد بلغت - خلال حكم أمازييس - قمة رفاهيتها من حيث عطاء النهر للأرض وعطاء الأرض للبشر، وأن إجمالي المدن المأهولة فيها قد بلغ عشرين ألف مدينة.... وبقيّة الفقرة.

في قيام أحد كبار قادة المرتزقة الإغريق في الجيش المصري - ويدعى فانيس - بالهرب من مصر واللجوء إلى الملك الفارسي قمبيز. ويروي هيرودوت أن فانيس هذا " كان هليكارناسي الأصل (من نفس المدينة التي ينتمي إليها هيرودوت على ساحل آسيا الصغرى) وأنه كان يتسم بالبصيرة النافذة والشجاعة في ساحة الوعى ، وأنه كان يُضمر ضغينة لأمازيس وفرّاً من مصر على متن سفينة بغية لقاء قمبيز والحديث إليه. ولما كان أمازيس يعلم قدر هذا الرجل وشأنه بين قوات المرتزقة ومعرفته الدقيقة للغاية بالشئون المصرية فقد بعث وراءه بسفينة ثلاثية المجاديف عليها أخلص خصيانه لكي تتعبه ، وتمكن هذا الخصي من القبض عليه في ليكيا لكنه لم يستطع أن يعود به إلى مصر بسبب نفوق فانيس عليه في المكر والدهاء ، إذ جعل الحراس يفرطون في الشراب حتى الثمالة وفرّاً إلى بلاد فارس. وهناك وجد قمبيز متأهباً للانطلاق نحو مصر ، ولكنه لم يكن على يقين من خط سيره وكيفية عبوره الصحراء القاحلة فأطلعه فانيس على أحوال أمازيس وكيفية السير (إلى مصر) ، وأشار على قمبيز أن يبعث إلى ملك العرب ليسأله عن ممر آمن (للقوات الفارسية) "٤٠

وأعود بعد ذلك لأتساءل من جديد :

هل شعر المصريون - بعد تعرضهم لحكم الفرس بكل قسوته واحتلالهم البغيض - أن الاحتلال الفارسي لبلادهم كان الثمرة المرة والنتيجة القاسية لارتداء أمازيس في أيدي حلفاء غادرين من المرتزقة والحكام الإغريق؟ إن صح ذلك الافتراض فربما جعل المصريين يتذكرون مليكهم الوطني الأسبق أبريس الذي حاول الفكاك من ربة المرتزقة الإغريق والعودة إلى عرين الوطنية المصرية وأوشك أن يفلح في ذلك لولا الخيانة. كما جعلهم يتذكرون ما فعله أمازيس بسيدة أبريس وكيف دبر ذلك بدهاء ومكر بالغ ، ومن ثم أخذوا يفتشون عن أصله الوضيع وشيمه غير الكريمة بما يتسق وخيائته بسيدة.. وربما دفعهم الحنق عليه إلى المبالغة في تصوير هذه الصفات المرذولة ؛ وهي الروايات التي ربما كانت رائجة وقت زيارة هيرودوت لمصر فروج لها عن عمد ! كيف !؟

ربما أراد هيرودوت القول بأن بني جلدته من الإغريق - سواء قائد المرتزقة فانيس أو الطاغية بوليكراتيس طاغية ساموس - حين تخلوا عن أمازيس فإنهم لم ينكصوا عن وعودهم تجاه ملك شهيم كريم بل تجاه انتهازي لص سرق عرش سيده من قبل وتكرر له وأن الجزاء من جنس العمل ! مما يعزز هذا الاعتقاد عندي أن هيرودوت يحاول - من طرفٍ خفي - تبرير تصرف الإغريق في الحاليتين والقول بأنه لم يكن تصرفاً وسلوكاً عاماً وإنما هي حوادث فردية لها دوافعها الخاصة. ففي

⁴⁰ Ibid. III. 4; See also J. M. Cook, the Persian Empire, 1993, Barnes & Noble Books, New York, pp. 46 - 47.

حالة تقديم بوليكراتيس العون لقمبيز في غزوه لمصر يردد هيرودوت أن من أرسلهم بوليكراتيس واختارهم لهذه المهمة هم من مواطنيه الذين كان يشك في ولائهم له ويعتقد أنهم يخططون للثورة عليه فأراد الخلاص منهم وأرسلهم في أربعين سفينة وطلب من قمبيز ألا يعيدهم ثانية إلى وطنهم.^{٤١} وفي حالة خيانة قائد المرتزقة الإغريق فانيس يورد هيرودوت في فقرة أخرى أنه حين قدم قمبيز بجيشه الفارسي إلى مصر بعد عبور الصحراء القاحلة - في عهد بسامينيتوس (ايسماتيك الثالث) ابن أمازيس بعد وفاة الأخير أثناء الإعداد للحملة من جانب قمبيز، عام ٥٢٦ ق.م. - عسكر الطرفان (الفرس في مواجهة المصريين) تاهبا للمعركة عام ٥٢٥ ق.م. وهنا يذكر هيرودوت أن المرتزقة الأجانب في الجيش المصري من إغريق وكاريين وضعوا خطة لمعاقبة فانيس على ما اقترفه ولحقهم عليه لقيادته جيشاً أجنبياً ضد مصر. وكان فانيس قد ترك أبناءه في مصر حين فرّ إلى بلاد فارس فأحضرهم المرتزقة إلى المعسكر - على مرأى من أبيهم - ووضعوا إناءً كبيراً بين الجيش وأحضروا أبناء فانيس الواحد تلو الآخر وذبحوهم فوق هذا الإناء. وحين قُتل الأبناء صبوا في الإناء نبيذاً وماءً وشرب منه المرتزقة الأجانب ثم ذهبوا إلى المعركة وحمى وطيس القتال وسقط الكثيرون من الجانبين، وفي نهاية المطاف أيّد المصريون.^{٤٢}

واضح أن هيرودوت هنا يريد أن يحسن صورة بني وطنه من الإغريق قدر المستطاع وليوحي بأنهم كانوا يرفضون الخيانة ويعاقبون من يُقدم عليها، وأنها حالات فردية لها ظروفها ودوافعها الخاصة وأنها تمت ضد ملك خائن في الأساس اغتصب عرشاً لا حق له فيه ! أياً كان الحال فإن خيانة الإغريق لأمازيس في هذا الموقف العصيب لا بد أنها أثرت في معنوياته - بعد حكمه الطويل الذي ارتقى خلاله في أحضان هؤلاء الإغريق - مما عجل بوفاته أثناء تجهيز الفرس لحملتهم فيما يبدو.. وهو الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى هزيمة ابنه ايسماتيك الثالث في العام التالي ٥٢٥ ق.م. لاحتلال الفرس لمصر.

إن من يزرع الخيانة في البداية يجني ثمارها المرة في النهاية.. وإن الأوطان لا يدافع عنها ويزود عنها سوى أهلها ، أما المرتزقة والأجانب فلا أمان لهم ولا يعينهم سوى مصالحهم الخاصة..
هذه هي أبلغ دروس هذا الفصل من فصول التاريخ المصري القديم.

⁴¹ Herodotus III. 44.

⁴² Ibid. III. 11.

اشكالية التفسير الأثرى للعناصر الروحانية
في الفن المسيحي المبكر في مصر
(رؤية في العصر الروماني المتأخر والمسيحي المبكر)
محمد عبد الفتاح السيد*

مدخل

مما لا شك فيه أن البحث عن مدخل لتوضيح أهمية العناصر الروحانية في الفن المسيحي في مصر قد يحتاج إلى محاولة لأدراك البعد اللاهوتي في العقيدة المسيحية وتاريخ تطورها إدراكاً متعمقاً. فالعناصر الروحانية والفكر الغيبي يعدان من أهم مقومات ووسائل انتشار المسيحية في مصر، فمن خلال تفسير الكيان اللاهوتي والناسوتي في شخصية السيد المسيح يمكن تحديد البداية التي انطلقت منها ثقافة التفسير الروحاني للأحداث التاريخية المرتبطة بسيرة السيد المسيح ثم سيرة الرسل ومن تابعهم من معلمي المسيحية الأوائل في العصر الروماني المتأخر، هذا المفهوم طرح قواعد التعاليم الروحانية في مصر خلال الفترة من بداية القرن الثاني وحتى بداية القرن الثالث الميلادي وهي الفترة التي اعتبرت كافية لوضع القواعد الروحانية في كيان العقيدة المسيحية ربما حتى الآن^١. وعقب تلك الفترة جاءت كنسية الإسكندرية في محاولة لفرض سيطرتها على المسيحية بصفة عامة في مصر ولكن بعد أن تأسست للممارسات المسيحية قاعدة روحانية في تفسير ظواهرها الأساسية وأصبح لها مكانة على المستوي الاجتماعي في مصر.

في البداية يجب توضيح مفهوم الإشكالية المعنونة في المقال، فهي تذهب نحو الوصول إلى رؤية تفسيرية لما وراء العمل الفني من قيم روحانية أساسية في جوهره.

* جامعة الإسكندرية

^١ يقصد بالتاريخ المقترح هنا بداية انتشار الفكر الغنوسي المبكر Gnosticism في مصر، والذي مارس لأول مرة التفسير الروحاني للأحداث المسيحية التي ارتبطت بتاريخ المسيح (السيرة الذاتية، حياته على الأرض، معجزاته، قيامته، صورته اللاهوتية) كوسيلة مبررة لدخولها وانتشارها في مصر، وهي الفترة التي سجلتها المصادر الكنسية الغربية برؤية رافضة للتعاليم الروحانية التي مورست في مصر على أيدي الغنوسيين أمثال أتباع الزعماء (كرينثوس وكرابوكراتيس وباسيليديس، والمعلم الكبير فالنتينوس). كما أنها الفترة التي انتشرت فيها التعاليم الغنوسية التي جاءت لتفسر الغموض المحيط بولادة المسيح الإلهية وصعوده وقيامته بمفاهيم روحانية ميتافيزيقية. حول تلك الفترة راجع:

Lash, John Lamb. Not in His Image: Gnostic Vision, Sacred Ecology, and the Future of Belief. Chelsea Green (2006) 10ff, 123ff; Layton, Bentley. Gnostic Scriptures. Doubleday. (1987) 5, 18; Dictionary of Early Christian Literature, (New York: The Crossroad Publishing, 2000) = DECL, 590-591.

ولكن الحديث عن العناصر الروحانية في علم الآثار المادي قد يكون مشكلة في حد ذاته لأنه لكي نبحث عن عنصر روحاني في القطعة الأثرية فإننا نجردها من زمانها ومكانها ووصفها المادي الملموس، بل أيضا من جماليات أسلوبها الفني الذي قد لا يعيننا بصورة كبيرة بقدر ما يعيننا المحتوي الجوهري الذي نحاول من خلاله الوصول للعناصر الروحانية التي تتفق وثقافة المتلقي في تلك الفترة.

من هنا أصبح هناك إشكالية في التعامل مع آثار تلك الفترة، فعلى الرغم من ثبوت انتشار الثقافة الروحانية في المجتمع المصري منذ بداية القرن الثاني الميلادي طبقا للمصادر التاريخية والدينية^٢، إلا أن تلك الثقافة الجديدة لاقت جبهة أعداء كبيرة من خارج مصر في نطاق مفهوم الكنيسة العالمية^٣، ثم من داخل مصر في نطاق سلطة كنيسة الإسكندرية، وبالتالي تكونت جبهات رفض معلنه ضد الطابع الروحاني في الممارسات المسيحية حتى على نطاق حركة الرهبنة المصرية، ولكن على الرغم من ذلك فإننا نلاحظ أن السلطة الروحانية ومفاهيمها كانت عنصرا فعلا في انتشار المسيحية منذ دخولها وربما حتى الآن، وهو الأمر الذي يتفق مع الطابع النفسي-التدني للمواطن المصري الذي تعود على التوظيف الديني المغلف بالأسرار والغموض المستتر الذي يصل في أغلب الأحيان إلى الأبعاد الأسطورية الخيالية، فتلك المنطقة تعطي نوعا من الحدود التي لا يستطيع أن يتخطاها، فعمل على أن يتركها لمن يدرکها ادراكا كاملة، واكتفي هو بالتصديق والانبهار والتطبيق والاتباع دون وعي في أغلب الأحيان.

ولكن لكي نقيم إشكالية العناصر الروحية في الفن والثقافة المصرية في العصر القديم المتأخر، يجب أدراك مقومات الثقافة الروحانية المسيحية في مصر وسرد تطورها التاريخي ومصادرها، ثم نحاول بعد ذلك تطبيق دراستها على الجانب الفني الممارس في تلك الفترة، على أن يكون الهدف الأساسي للدراسة وضع تصور منهجي لتفسير تلك العناصر الروحانية في اللوحة الأثرية دون مبالغة عن واقع استخدامها وتوظيفها الطقسي.

أولا: البعد التاريخي للثقافة الروحانية في مصر

مما لا شك فيه أن هناك حالة من الغموض المنهجي شكلت جانبا كبيرا في تفسير بعض القواعد المسيحية اللاهوتية في مصر منذ بداية انتشارها في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، فمن الملاحظ إن تلاميذ المسيح كانوا يدرکون معني التعاليم الجديدة التي نادي بها المسيح مثلما ادراكها اليهود، فقد كانوا علي يقين تام بناسوت

² راجع لاحقا (المصادر الروحانية التي عثر عليها في مصر)

³ Lash, J. L. Not in His Image: Gnostic Vision, Sacred Ecology, and the Future of Belief. Chelsea Green (2006) 10-12; Dictionary of Early Christian Literature, (New York: The Crossroad Publishing, 2000) =DECL, 590-591.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

المسيح من خلال قصة حياته معهم بما فيها قصة مولده، والكيان الغيبي فيه، وهم كذلك الذين رأوا المسيح يحاكم ويضرب ويهان ويصلب حتى الموت ويوضع في قبره الجديد. هذا الوصف الدقيق أجمعت عليه الأنجيل الثلاثة (متى ٢٨: ١-٢٠)، (مرقس ١٦: ١-٨)، (لوقا: ٢٤: ١١-١١)، وإن كانوا في تسجيلهم لهذه الأحداث قد اختلفوا إلي حد ما، كل حسب فهمه وإدراكه للحدث وثقافته. ولكن هؤلاء التلاميذ أنفسهم هم الذين رأوا قيامة المسيح بعد موته، يظهر لهم أكثر من مرة في مناسبات عديدة، لذلك فالنظرية اللاهوتية هنا تعتقد بأن الإيمان المسيحي بنشر الديانة الجديدة قد ولد في قلوب هؤلاء التلاميذ بعد حادث القيامة، وأن كافة الأوامر التي صدرت إليهم بنشر المسيحية والتبشير بها في الأرض جاءت بعد هذا الحادث مباشرة.⁴

ويعد مفهوم القيامة بكل ما يشمله من رؤي ومناقشات تؤمن به أو ترفضه أو تعتبره نوعاً من الدعاية الأسطورية، إلا أنه بات حقيقة مؤثرة في تطور العقيدة فيما بعد، فقد أضاف مفهوم القيامة البعد الروحاني في العقيدة دون أن يدرك تلاميذ السيد المسيح في تلك الفترة خطورة هذا المفهوم الجديد، حيث كانوا لا يدركون أبعاده الثقافية بصورة كاملة بالمقارنة مثلاً بتطور حركة الفكر الفلسفي (اليوناني- التوراتي) في مدرسة الإسكندرية في نهاية العصر البطلمي وبداية العصر الروماني. ولكن بعيداً عن مفهوم

⁴ Brown, R. E. The Death of the Messiah: From Gethsemane to the Grave (New York: Doubleday, Anchor Bible Reference Library, 1994) 964ff; Grant, M. Jesus, An Historian's View of the Gospels (New York: Scribner's 1977) 34-35, 78, 166, 200; Fredriksen, P. Jesus of Nazareth, King of the Jews (Alfred A. Knopf, 1999) 6-7, 105-110, 232-234, 266.

⁵ راجع محاولات فيلون الفلسفية في تقريب وجهات النظر بين الفكر الأفلاطوني القديمة والنصوص التوراتية، وتقديمه بصورة تتكيف مع متغيرات العصر الجديد، وترتبط بالقدرة التفسيرية للفكر التوراتي. وبالتالي أصبحت الفلسفة الروحانية المستوحاة من الفلسفة الأفلاطونية رؤية جديدة في كتابات فيلون الباحث عن نموذج روحاني في الكتاب المقدس من خلال أشخاص يمكن لهم تقديم تلك الصورة للبشر مثل الأنبياء (إبراهيم ويعقوب وإسحاق وموسى) كما أن كتابات فيلون كانت تبتعد عن مفهوم العنصرية اليهودية بل كانت تمزج في أبداع غير منتشر آنذاك بين الإيمان الغيبي، والفلسفة الروحانية التخيلية، وبين القدرة على تعميق الفكر الأخلاقي الإنساني في النفس البشرية، هذا التصور كان من أهم سمات الفكر الثقافي المتداول في الإسكندرية في القرن الأول الميلادي، وهى الأرض الخصبة التي جاءت عليها أخبار المسيح وقيامته وتكوينه الروحاني الأسطوري، وبالتالي صارت القوالب (الأفلاطونية- الفيلونية) قاعدة لتفسير المسيحية في القرن الرابع والخامس بعيداً عن الفكر الغنوسي الذي حكم عليه بالهرطقة. راجع: محمد عبد الفتاح، المنهجية التاريخية في رصد دخول وانتشار المسيحية المبكرة في مصر، مجلة المجلس الأعلى للثقافة (لجنة الآثار) ٢٠٠٦. كذلك يمكن الرجوع إلى:

Van Gorcum & Comp B. Philo in Early Christian Liter, (Augsburg Fortress Publishers, 2006), 8-12, 34-44; David T. Runia, "Philo, Alexandrian and Jew," Exegesis and Philosophy: Studies on Philo of Alexandria (Variorum, Aldershot, 1990) 1-18; Peder Borgen, "Moses, Jesus, and the Roman Emperor Observations in Philo's Writings and the Revelation of John," (Novum Testamentum 38. 2. 1996) 145-159.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

القيامة، وهل هي حقيقة أم أسطورة؟ فإن هناك صدمة فكرية حدثت لهؤلاء التلاميذ أو اليهود المعاصرين لهذا الحادث، تلك الصدمة الفكرية، حتى لو فرض أنهم صدقوها، وأنها حدثت بالفعل، فستبقى (إشكالية عرضها) بتلك الصورة على العامة وإقناعهم بها، فقد كانت تفوق قدرة الإدراك البشري أو الفلسفي المعاصر في أورشليم. فاليهود كانوا يعلمون بالناموس، وتمسكوا بالموجودات المحسوسة، لذلك تقبلوا المسيح كإنسان، كبشر، مثله مثل بقية رسلهم السابقين. ولكن حادث الانقلاب في شخصية السيد المسيح الذي يعرفونه كبشر وتحوله الي كينونة إلهية كبرى في حادث القيامة، جعلت الأمور أكثر اختلاطاً من ذي قبل، فعلى الرغم من محاولات الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) تحديد تلك الأمور وصياغتها برؤية شخصية ودينية محددة، إلا أنها لم تكن قادرة على إشباع رغبات الشعوب التي تمارس الفكر الفلسفي الهيلينيستي في تصديق هذا الحدث، لذلك عمل (بولس) و(يوحنا) علي توضيحها في حدود معينة حتى لا يخرجوا عن الكيان المسيحي، كذلك كانت رؤيتهما في حدود علمهما وإدراكهما الفلسفي والثقافي^٦. كما سيطرت علي كتاباتهما الأمور اللاهوتية وتوضيح إجابات متعددة لتساؤلات كثيرة حول حقيقة وجود المسيح، وهل تقبله بشراً أم إلهاً؟. إلا أنهما أيضاً لم تكن لديهما القدرة علي تعويض الأناجيل الثلاثة، وربما يرجع ذلك لخلفيتهما التعليمية عندما نقارنها بخلفية الطبقة المثقفة في بعض الولايات الرومانية ولا سيما في آسيا الصغرى وإنطاكية والإسكندرية وروما. كذلك يمكن إضافة أن الإرث الديني والعقائدي والحضاري عند تلك الشعوب ومدى ارتباطه بهم لم يكن في حساب واضعي الأناجيل. ومن هنا تركوا الباب مفتوحاً لكل من يجد في نفسه القدرة علي تفسير الحدث وتفسير كينونة المسيح وتحديد العقيدة والممارسات الطقسية التي لم تتون في الأناجيل. هذا الباب المفتوح علي مصراعيه ساهم بصورة إيجابية في التطور الطبيعي للعقيدة الجديدة، فخرجت الغنوسية في مصر، سلوكاً غريباً، مختلطاً، مرناً، غامضاً ومقبولاً شعبياً ولكنه متميز بالتطور والابتكار والتكيف مع الظروف المحيطة به، وهو يعد أول فكر ديني عقائدي يظهر في مصر قائم على قواعد الفكر الروحاني فألبس المسيحية ثوباً روحانياً محلياً مصرياً يتفق مع الإرث الديني والعقائدي والحضاري ولا سيما في مرحلة الإعداد والانتشار للمسيحية كعقيدة جديدة في مصر.

⁶ يعتبر إنجيل يوحنا المصدر الأول غير المباشر في تحديد نوعية الفكر المغاير الجديد (المضاد) لفكر الأناجيل، فقد كتب إنجيله في نهاية القرن الأول الميلادي، وهو مختص بالإجابة عن السؤال المهم والمحير آنذاك (من هو المسيح؟) ولعل بداية الإنجيل تحدد الإجابة: "في البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله وكان الكلمة الله" (يوحنا ١: ١-٥) هذه المقدمة الدسمة والعميقة في مفهومها لا تزال غامضة حول معنى (الكلمة $\lambda\omicron\gamma\omega\varsigma$)، وهي دائماً في حاجة إلى تفسير. في حين نجد يوحنا بتفسيره لها يقترب ويتمعم في النظرية الفلسفية، وهو ما شجع العارفين بأمر الفلسفة من التدخل لتفسير هذه الآيات المذكورة في إنجيله بما يلائم أفكارهم وميولهم الفلسفية وتفسيرات روحانية.

الفكر الروحاني في الثقافة الغنوسية في مصر

تعرف الغنوسية *Gnosis - γνῶσις* بالمعرفة^٧، وهي لا تعني عموم المعرفة بل يختص مفهومها فيما يعرف بالمعرفة الباطنية والتي يمكن تبسيط معناها بالتعليم الروحانية التي عالجت قصور تفسيرية وثقافية في تعاليم الرسل أثناء الفترة المعروفة بفترة (تعاليم ما بعد القيامة). وتعد تعاليم ما بعد القيامة من أخطر مراحل التطور الديني للمسيحية عبر تاريخها الطويل وإلى الآن، فهي المنطفة الحذرة الصعبة والغامضة عند العديد من العلماء^٨. فبعيداً عن مشكلة القيامة وتفسيرها فإن خروج العقيدة بكل ما تحمله من غموض تفسيري إلي المجتمعات انخارجية - في نطاق الولايات الرومانية الوارثة للثقافة الهلينستية- كانت من المشكلات الكبرى التي واجهت المسيحية في تلك الفترة المبكرة، بل أن محاور الخلاف بين العديد من المذاهب بعد ذلك كانت خاضعة دون شك لتفسير تلك التعاليم التي خرجت بصورة شخصية ضد تعاليم التلاميذ ولم تقاوم كما ينبغي إلا في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، وتركت، فأثرت بصورة قوية في مفهوم المسيحية ولا سيما في مصر^٩. ولكن لا يمكن الجزم بأن تعاليم ما بعد القيامة قد تبدو منذ البداية عناصر مشابهة للتعاليم الغنوسية الذي تبلور مفهومه في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، أو هي تتفق مع ما عثر عليه في أناجيل نجع حمادي ١٩٤٥. وذلك لأن تلك التعاليم لم تظل كما هي، بل خضعت لتطوير وتغيير طوال الفترة منذ بداية ظهورها في منتصف القرن الأول وحتى بداية القرن الثالث الميلادي، وذلك من أجل تحديدها وتقوية أركانها وتثبيت أوتادها في المجتمع المصري. ولكننا (مجازاً) يمكن أن نعتبرها مرحلة من المراحل

^٧ تمثل دراسة الفلسفة الدينية المعروفة بالغنوسية عقبة رئيسية شائكة في تتبع تطور العقيدة المسيحية في مصر، وعلي الرغم من وضوح الأدلة والبراهين والمعطيات التي تؤكد مساهمتها الكبرى في تقبل المصريين للمسيحية، إلا أن هناك تستراً خفياً وراء الاعتراف بها ومناقشتها بصورة إيجابية كأحد مظاهر الفكر الديني والاجتماعي في حقبة مهمة من التاريخ المصري. عنها راجع:

Foerster, W. *Gnosis*, (Oxford, 1972) I.34-36, 59; Foerster, W. *Gnosis. A Selection of Gnostic Texts*, 2 vols. (Oxford 1974); Layton, B. *The Gnostic Scriptures*, New York, Doubleday, (1987)5-15; Quispel, G. *Origen and The Valentinian Gnosis*, (V. Ch. 1974)29-42; Girggs, C.W., *Early Egyptian Christianity from its Origins to 451.C.E.*, (Leiden, 1993) 13-14.

^٨ حول تعاليم ما بعد القيامة: راجع:

Eusebius. (HE) 11. 1, 2. 10-13; Irenaeus. (Adv. Haer.) 1, 20-25; Bonifas. F. *Histoire des Dogmes de l'eglise Chretienne*, 1, (Paris. 1958)13 ff; Bauer. W. *Orthodoxy and Heresy in Earliest Christianity*, (Philadelphia, 1971) XX1-XX11.

^٩ محمد عبد الفتاح، المنهجية التاريخية في رصد دخول وانتشار المسيحية المبكرة في مصر، مجلة المجلس الأعلى للثقافة (لجنة الآثار) ٢٠٠٦

Girggs. *Early Egyptian Christianity from its Origins to 451.C.E.*, (Leiden, 1993) 48-49.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

التاريخية لتطور العقيدة المصرية عبر عصورها، تلك المرحلة عرفت باسم (الغنوسية -- المسيحية في مصر).

وتعد الغنوسية من المذاهب العقلانية التي تسعى للوصول إلى المذهب الروحاني عن طريق المعرفة، فهي تهتم بالأفعال الإنسانية وإحاطتها بالأسئلة الأساسية عن الوجود وهدفه ومصيره - وما هو المصير النهائي للكائن البشري؟، وهل قياس المصير بشري أم روحى؟- وبالتالي فإن تلك الأسئلة قد تتدرج بدون شك في محاولة اقتحام الفكر الفلسفي للإطار الديني المنتشر آنذاك، كما أن الأجوبة كانت تحتاج دون شك لدرجة معرفية على أعلى مستوى يميل أصحابها إلى التخمين والتحليل والإيحاء، وهو النموذج المثالي في الفكر الغنوسي الذي أسهم كثيرا في انتشار العقيدة المسيحية في مصر خلال القرن الثاني الميلادي في إطار عالم من التقاليد الروحانية الدينية والغموض الأسطوري والأفكار السرية التي غلفت أمر القضية بأكملها بغلاف من التشويق والمعرفة والاقتناع النابع من استغلال أمية المصريين وشغفهم بالأمور الغامضة والفكر الأسطوري.

على أية حال، فقد يبدو الاعتقاد السائد والذي أويده بصورة محدودة أنه لكي نفهم الأطر الغنوسية وأهدافها وضرورتها وجودها في هذا العصر فلا بد من العبور إليها عن طريق الرؤية الفلسفية أولا، فإن البعد الفلسفي في إدراك الوجود والبحث فيه بصفة عامة قد يستلزم قدرة على المعرفة والتحصيل ثم الاقتناع الذاتي والإيمان بالفكرة، ثم التدرج في التفكير لمستوي الأبداع النصي وتحويل الفكرة إلى نص ورؤية تحمل عناصر أساسية من التدرج الافتراضي للتخيل ثم الإيحاء ثم إسقاطه على الواقع حتى يدركه العامة، وهي مرحلة الافتراضات التفسيرية التي تتعامل مع ثقافة العصر المحيط بصاحب الرؤية والمؤثرة فيه، وفي نفس الوقت يجب ان يكون مسيطرا على أبعادها تماما. من هنا خرجت الأفكار الغنوسية التي تجسدها لنا مجموعة كبيرة من المصادر المسيحية المبكرة التي تؤيدها أو ترفضها أو تقف موقفا محايدا منها، فضلا عن الأصول التي عثر عليها في نجع حمادي عام ١٩٤٥م والتي أسهمت كثيرا في إعادة البحث عن تاريخ تطور العقيدة المسيحية في مصر مرة أخرى.

المصادر الروحانية في الثقافة المسيحية المبكرة في مصر
توفرت لدينا مجموعة متنوعة من المصادر التاريخية والدينية التي تؤكد على وجود الممارسة الروحانية في مصر تقريبا منذ بداية القرن الثاني الميلادي، وهي مقسمة إلى:

أولا: كتابات المؤرخين والمدافعين عن المسيحية المبكرة

١. من خلال مناقشة المنهج الأسطوري والروحاني في كتابات المدافعين عن المسيحية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين من خلال وصف سيرة السيد المسيح وتقديهما لمنقفي الإمبراطورية الرومانية وللثقافة الوثنية. ومن أهم تلك الكتابات: الأوصاف الروحانية في كتاب الرسول برنابا Barnabas^{١٠}، وصف المسيح عند بيباس Papias، كتابات الأسقف الروماني كليمنت، كتابات المؤرخ تاتيان Tatian، اشارات عن وصف المسيح عند اريانوس Irenaeus، وصف المسيح في أعمال الرسل، كتابات الشهيد جستين Justin Martyr، وغيرهم.

٢. أيضا توفرت لدينا المصادر الكنسية التي تحدثت عن بصور سلبية رافضة للممارسات الروحانية للطوائف الغنوسية في عصر خلال الفترة ما بين منتصف القرن الثاني الميلادي حتى منتصف القرن الخامس منهم: كليمنت السكندري Clement، وإريانوس Irenaeus. تراثيانوس Tertullian، يوسابيوس القيصري Eusebius، إيغناس Eusebius، جيروم Jerome^{١١}.

الكاتب	المادة العلمية	التاريخ
'Barnabas'	"Epistle of Barnabas"	95 - 125
Clement of Rome	"To the Corinthians"	96
Ignatius of Antioch	Various letters	108
Polycarp of Smyrna	"Epistle of Polycarp to the Philippians"	110 - 140
Papias	Fragments in Irenaeus and Eusebius	110 - 130
Justin Martyr	Various letters	150s
Lucian	"On the death of Peregrinus"	160s
Theophilus of Antioch	"To Autolycus"	180

¹⁰ Doherty, Earl. The Jesus Puzzle: Did Christianity begin with a mythical Christ, (Canadian Humanist Publications, 1999).208-210

¹¹ راجع، محمد عبد الفتاح، المصريون والمسيحية حتى الفتح العربي، الإسكندرية (طبعة ٢٠٠١) ٥٤-٤٥

Minucius Felix	"Octavius"	160 - 250
Irenaeus	Adversus Haereses Against Heresies	130 -202
Clement of Alexandria	Protrepticus - Paedagogus - Stromata	155 - 216
Tertullianus,	Apologeticus Apologeticum	155 -230
Hippolytus	Refutation of All Heresies	235
Eusebius of Caesarea	Ecclesiastical History	314 -340
Jerome	Vita Pauli monachi, Martyrologium Hieronymianum, De viris illustribus	347 - 420

ثانيا: المحتوي الروحاني في نصوص الأيحاء المقدس

بعد هذا المحتوي من أهم المصادر النصية التي تعاملت مباشرة مع المفاهيم الروحانية دون مزادة أو تمهيد، وهو ما يعرف بنصوص الأيحاء (ابوكاليسيس The Apokalypsis، Apocalypse)¹² وهي مجموعة من النصوص الإيحائية والتي

¹² كلمة إيحاء من أصل يوناني ποκαλυψις تعني كشف، أول من استخدم تلك الكلمة هو فريدريك لوكا G. C. Friedrich Lücke وهو عالم لاهوتي مسيحي استخدم الكلمة في تفسير رؤيا يوحنا عام ١٨٣٢ من الكلمات الافتتاحية للرؤيا والتي تشير إلى apocalypse (نبوءة) السيد المسيح التي أعطاها ليوحنا والتي تقول: Ἰησοῦ Χριστοῦ 'Αποκάλυψις'، وقد أطلق علي العمل ككل لقب Ἀποκαλυψις Ἰωαννου. ولكن بعد ذلك استخدم المصطلح للتعبير عن بعض الكتابات الدينية النبوية أو التي تتحدث بإيحاء لاهوتي عن مستقبل البشرية ونهاية العالم مثل إيحاء باروخ واسدارس ودانيال وحزقيال ورؤية يوحنا، وغيرها من النصوص التي ترتبط بمفاهيم الاتصال الإنساني-الإلهي. في نفس الوقت صار المصطلح مصنفا باسم الأدب الإيحائي (الأدب اليهودي والمسيحي المبكر) الذي يعبر عن مضمون الأشياء الخفية والأسرار التي أعطاها الرب لبعض الأنبياء والرجال الصالحين. حول أطر التعريف باستفاضة راجع: محمد عبد الفتاح، نصوص الأيحاء اللاهوتية في الثقافة المسيحية المبكرة في مصر (مدخل للتعريف)، مجلة المجمع العلمي المصري، (٢٠٠٦)

Collins, John J., 'The Place of Apocalypticism in the Religion of Israel', (in, Patrick D. Miller, Ancient Israelite Religion, Essays in Honor of Frank Moore Cross, Fortress, Philadelphia 1987) 539-558; Collins, John J., 'The Genre Apocalypse in Hellenistic Judaism', (in, D. Hellholm, Apocalypticism in the Mediterranean World and the Near East, Tuebingen 1989)

يمكن تعريفها بأنها أحدي الوسائل الخاصة للتعامل مع الأمور السماوية الغيبية عن الفكر الإنساني، كما يعد النص الإيحائي وسيلة روحانية لتبسيط الأمور المعقدة في الفكر اللاهوتي على العامة، فيمكن من خلال الأيحاء استخدام أمثلة سهلة للوصول لفكر العامة للإيحاء عن موضوع ديني أو فكرة فلسفية معقدة. وفي ذات الوقت يمكن للإيحاء ان يسير نحو العكس تماما، فممكن له أضفاء كم من الغموض أو الأسرار الكونية غير المعلومة إلا للعارفين ببواطن الأمور والمعلمين ودرجة الكهنوت وهم بدورهم لا يستغنون عن استخدام هذه المنهجية الإيحائية للحفاظ على درجة خصوصيتهم الدينية على المستوي الشعبي.

هناك عدد غير قليل من تلك النصوص الإيحائية عثر على نماذج لها في مصر، كما أنه حديثا توصلوا إلى أن بعضها النصوص كتبت خصيصا للتداول الروحاني في مصر خلال الفترة ما بين منتصف القرن الأول وحتى بداية القرن الرابع الميلادي¹³، فضلا عن النصوص الإيحائية التي عثر عليها في نجع حمادي وتنتمي مباشرة للفكر الغنوسي. وتنقسم تلك النصوص إلى نصوص من العهد القديم ونصوص من العهد الجديد:

ايحاء اينوخ النص يرجح أصوله إلى القرن الثاني الميلادي. هناك بردي يونانية عثر عليه في أخميم ترجع إلى القرن الرابع الميلادي
ايحاء ليفي (من نص وصايا الآباء الإثنا عشر) عثر على أجزاء منها في الجزيرة وترجع إلى نهاية القرن الرابع.
ايحاء إليجه من الكتب المزورة اليهودية - المسيحية، وقد عثر عليه في صورتين بالقبطية من أخميم ومؤرخ بنهاية القرن الرابع الميلادي، باليونانية ترجع إلى القرن الثالث الميلادي، ويعتقد أنها أجزاء من أصول النص القبطي.
ايحاء آدم الغنوسي جزء من مخطوطات مكتبة نجع حمادي الغنوسية، الانجيل الخامس ومؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع الميلادي.

531-548; DeSilva, D.A., "Honor Discourse and the Rhetorical Strategy of the Apocalypse of John", (JSNT= Journal for the Study of the New Testament 71 1998) 79-110; Lawrence, D. H., Apocalypse (Penguin Books, 1976)103; Massyngberde Ford, J., "The Christological Function of the Hymns in the Apocalypse of John", (Andrews University Seminary Studies 36 1998) 207-229.

¹³ محمد عبد الفتاح، نصوص الإيحاء اللاهوتية في الثقافة المسيحية المبكرة في مصر (مدخل للتعريف)، مجلة المجمع العلمي المصري، (٢٠٠٦)

ايحاء ابراهيم. لدينا ترجمة قبطية متأخرة (من القرن الثامن تقريبا) ايحاء صنفيا أحد أنبياء اليهود باللغة القبطية من أخميم ويرجع إلى القرن الرابع الميلادي.
ايحاء يوحنا (رؤية يوحنا - سفر الرؤيا)
رؤية يوحنا الغنوسية وهي نسخة قبطية معدلة عن النص الأصلي باليونانية والذي أشار إليه اريانوس في القرن الثاني الميلادي. المخطوطات مؤرخة بنهاية القرن الرابع الميلادي ويعرف (بأبوكرافيا يوحنا)
ايحاء بطرس الذي يصنف ضمن الكتب المسيحية المزورة عثر عليه في مخطوط أخميم مؤرخ تقريبا بالنصف الثاني من القرن الرابع ، وآخر عثر عليه ضمن الأناجيل الغنوسية NH (Nag Hammadi) مؤرخ بنهاية القرن الرابع الميلادي
ايحاء يعقوب الأول والثاني الغنوسي باللغة القبطية NH ومؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع.
ايحاء بولس الغنوسي NH باللغة القبطية ويرجع إلى نهاية القرن الرابع الميلادي.

وتبدو طبيعة تلك النصوص أنها حاولت تعميق الفكر الروحاني في مصر وهو جانب مهم في تفسير غموض العقيدة المسيحية الجديدة ولا سيما في تفسير حالة الاتصال الإنساني - الإلهي المرتبطة بحالة ولادة المسيح أو صعوده أو قيامته، وبالتالي كان يجب وجود فكر يواكب هذا ويروج له، لذلك جاءت النصوص الإيحائية تحمّل انطبعا أدبيا ودينيا مهما في العهدين القديم والجديد، فهي نصوص يحدد طبيعتها النصية مفهوم الوحي الإلهي، أو طبقا للمفهوم السائد في نصوص العهد الجديد (موحى من يسوع الرب) Ἀποκάλυψις Ἰησοῦ Χριστοῦ¹⁴ وبالتالي جاءت مفردات النص الإيحائي غير قابله لأدراك الفكر الإنساني مباشرة، ولا تحمّل رؤي واقعية، بل اعتمدت على الفكر الرمزي والعناصر الروحانية والفكر الأسطوري لتحقيق مستوي إلهي متميز وغير مدرك إلا من خلال العارفين به والمؤمنين بأفكاره. تلك كانت السمة الأدبية المتميزة في تلك الفترة المحصورة ما بين منتصف القرن الثاني الميلادي وحتى نهاية القرن الرابع الميلادي مصر، وقد لاقت النصوص الإيحائية قبولا كبيرا في ظل

¹⁴ Ehrman, Bart D. "Jesus, the Apocalyptic Prophet," (in The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings. New York: Oxford University Press, 1997) 203-232

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

انتشار الأمية وانتشار وسائل المعرفة الروحانية المحلية التقليدية المرتبطة بها آنذاك مثل السحر والشعوذة والنبوءة وغيرها من الأعمال التي تتدرج تحت مسمى الثقافات الشعبية المحلية. ولكن من خلال متابعة التطور التاريخي والأدبي للنص الإيحاءى نلاحظ أنه استخدم في تحديد مجموعة من التفسيرات والوظائف اللاهوتية المرتبطة بأمور تفسير العقيدة التوراتية أو الأنجيلية.

من خلال ما سبق نجد أن الفكر الروحاني في مصر خلال العصر الروماني المتأخر أو فيما يعرف بالعصر القديم المتأخر في مصر، قد خضع لقواعد فكرية منتظمة ومتطورة عبر فترة زمنية محدد منذ بداية انتشار المسيحية في مصر داخل عبادة الفكر الفلسفي الذي عرف فيما بعد بالغنوسية، مرورا بالتطور الحادث من الرؤية التنظيرية عند الرسل والقادة الغنوسيين والمعلمين الأوائل إلى الرؤية التطبيقية وممارسة الأعمال الروحانية والنقش والزهد وتقنين الرهبنة الحرة ثم الرهبنة الجماعية، وغلف كل هذا إطار نصي مبتكر من نصوص الإيحاء التوراتية أو الإنجيلية أو الغنوسية تدعم قبول العناصر الروحانية والتفكير فيها ومناقشة أبعادها وتفسيرتها حتى على نطاق مستوى ثقافة العامة.

ثالثا: الكتابات الغنوسية الروحانية (نجم حمادي)

يبدو أن الهدف الأساسي من مناقشة الأفكار الغنوسية في هذه الدراسة هو اعتمادها الأساسي وصلب تكوينها على مفهوم العنصر الروحاني (أسرار التعيين الإلهي للمعلم). كما يبدو أن فكر الإيحاء الروحاني أصل ثابت في الهيكل الأساسي للفكر الغنوسي من خلال البحث عن الوجود وأسرار الخلق والهبوط إلى الأرض، والتحول من الحالة الروحية إلى الإنسانية البشرية، ثم دور هذا المخلوق المتحول في الأرض حتى يسعى للعودة إلى أصل تحوله إلى روح مرة أخرى. هذا السيناريو جسده لهم رحلة السيد المسيح إلى الأرض من الكلمة أو الأمر الإلهي في صياغة الروح القدس الذي تحول إلى بشر بجسد أثير (تضحية من الروح - المسيح - أن يأخذ جسد الذنوب والعقاب حتى يأتي إلى البشر كمنقذ ومعلم) من رحم العذراء ويعيش بشرا بين البشر، ثم يصعد كروح أصيلة بعد أن ترك جسده معلقا في مصيره المحتوم فوق الصليب معذب ومهان كنتيجة طبيعية للأجساد بعد الموت، وهو الفناء الجسدي الذي تطور لدي الفكر الغنوسي لمرحلة احتقار الجسد والسمو والرفعة عليه والزهد في الأهتمام به.¹⁵ وبالتالي فإن تلك القصة تحتاج لمساحة كبيرة من التصور والتخيل

15 حول العناصر السرية في العقيدة الغنوسية نجد بالنسبة للممارسات السرية والطقسية روحانية الطابع، فقد كانت من أهم عناصر الشق التطبيقي للعقيدة الغنوسية والقائمة على الغموض والخفاء، ليس خوفا من الاضطهاد أو من الحكومية الرومانية، بل نجد تعريف لها عند (ايريانوس) نقلا عنهم: "وحيث أن الابن غير معروف للجميع، فكذلك هم (الغنوسيون) لا يجب أن يعرفهم أحد، وحيث أنهم يعرفون كل شيء وتخطوا كل شيء فإنهم يتقون غير مرتبين وغير معروفين للجميع، ويجب عليهم ألا

والرمزية والتمثيل، وهي عناصر أساسية في تعيين عناصر روحانية في النص الإيحاءى. وبالتالي ظهرت هنا الممارسات الروحانية التي تعتمد على قواعد الفكر مثل الزهد والعزوف الدينيوي والرهبة الفردية، والالتزام بقاعدة المعرفة وأتباع المعلمين الذين حملوا الراية من المسيح بمجموعة الإيحاءات التي أنفردوا بها. لذلك فإذا بحثت في نصوص الأنجيل الغنوسية المتعددة واقوالهم تجد سمة روحانية تنبعث من فحوي النص تحتاج دائماً إلي تفسير غير مألوف يبحث فيما وراء النص من قيم وفضائل ومقاصد غير مباشرة، وهو المنطق الذي يجعلنا نصنف أغلب أعمال الفكر الغنوسي تصنيفاً روحانياً بجانب النصوص الغنوسية التي عنونت أصلاً بإيحاء، مثل، إيحاء يوحنا، وإيحاء آدم وحواء، إيحاء يعقوب الأول والثاني، إيحاء بطرس، وإيحاء بولس.^{١٦} ولكن هناك أعمالاً قد نجدتها تحمل إيحاءات تجسد لنا الثقافة الروحانية الغنوسية في تلك الفترة المبكرة من تطور أمر العقيدة المسيحية في مصر. من أهم المصادر الغنوسية الإيحاءية:

المصادر الغنوسية الروحانية

(إطروحة على الإيحاء)^{١٧} Treatise on the Resurrection

وهو من النصوص التعليمية للفكر الغنوسي والمنتسبة لأقوال المعلم الغنوسي فالنتينيوس، والنص عبارة عن مجموعة من النصائح لتلميذه ريجينوس مما دعي لتسمية المخطوط (برسالة لريجينيوس). عثر على المخطوط في ثمانية ورقات، النص مكتوب باللغة القبطية مؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع، ربما عن أصل يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

يعلنوا عن غموضهم (إسراهم) إعلاناً، ولكن يجب أن يحفظوها في هدوء". هذا الشق التطبيقي ومفهوم الهدوء المطلوب في ممارسة العقيدة للحفاظ على أسرارها واكمه خروج وانعزال مطلوب فردي أو جماعي في الصحراء أو على أطراف المدن بحثاً عن الروحانيات التي مثلت جزءاً مهماً من عقيدتهم خلال الفترة ما بين منتصف القرن الثاني وحتى منتصف القرن الثالث الميلادي. راجع: Irenaeus. (Ad. Haer.) 1.24.6; Scott. M.P.D., Paganism and Christianity in Egypt. (Cambridge. 1913) 149ff; Stead. G. C., In Search of Valentinus, Rediscovery of Gnosticism, vol. I. The School of Valentinus. (Leiden. 1980) 75-102.

¹⁶ محمد عبد الفتاح السيد، نصوص الإيحاء اللاهوتية في الثقافة المسيحية المبكرة في مصر (مدخل للتعريف)، (مجلة المجمع العلمي المصري، ٢٠٠٦)

¹⁷ NHS XXII Treat. Res. 45.30-33, 45.36-39; Irenaeus, (Against Heresies, Adv. Haer.) 3.19.1; Elaine H. Pagels, "The Mystery of the Resurrection: A Gnostic Reading of 1 Corinthians 15," (Journal of Biblical Literature 93, no. June 1974) 287; Thomassen, Einar. "The Valentinianism of the Valentinian Exposition NHC XI, 2." (Le Muséon 102 1989) 225-36.

انجيل الحقيقة¹⁸ The Gospel of Truth الذي يعد أحد أفضل النصوص الغنوسية الروحانية التي تجسد قواعد الممارسة الروحانية في مجموعة نجع حمّادي.

The Sophia of Jesus Christ¹⁹ (مخطوط صوفيا يسوع المسيح) هو أحد النصوص الغنوسية التي تحمل سمة إيحائية متميزة، تبرز وتفسر مولد وقيامه المسيح وحالة التجسد الإلهي على الأرض، النص كان معروفا من قبل في صورته اليونانية من خلال بردية (P. Oxy.) 1081 التي ترجع إلى القرن الرابع الميلادي.

انجيل توماس²⁰ The Gospel of Thomas الغنوسي ويحتوي على وصف لطبيعة انتقال الريادة والإيحاء الروحاني من المسيح للتلاميذ ثم المعلمين الغنوسيين.

انجيل يهوذا²¹ The Gospel of Judas يتعامل مع تقبل الشر لأنه جزء من النفس البشرية، ثم بواسطة المعرفة الحق يمكن ترويضه والتغلب عليه، من خلال وصف روحاني لقصة الشر عند قابيل، ويهوذا وكيف مارس الشيطان معهم أمورا جعلتهما يندما عليها.

(نص التراكتات الثلاثة)²² The Tripartite Tractate وهو من الأعمال الغامضة في النصوص الغنوسية والتي تعتمد على التعاملات الروحانية والتي كانت تفسر من قبل على أنها من أعمال السحر والشعوذة الخاصة بهؤلاء الغنوسيين الأوائل. والعمل في الحقيقة كان بدون عنوان، ولكن حدود تقسيمه ثلاثة أقسام مما أدى إلى تسميته (تراكتاتوس

¹⁸ Michel Desjardins, The Sources for Valentinian Gnosticism: A Question of Methodology, (Vigiliae Christianae, Vol. 40, No. 4 Dec., 1986) 342-347.

¹⁹ P. Oxy. 08 1081; Schlarb, E. Lührmann D., Fragmente apokryph gewordener Evangelien, (Marburg 2000) 96-101; Edwards, M. J., "Neglected Texts in the Study of Gnosticism." (JTS 41 1990) 26-50; Fallon, Francis T. "The Gnostics: The Undominated Race." (Novum Testamentum 21 1979) 271-88.

²⁰ Johnson, Luke Timothy. The Writings of the New Testament: An Interpretation. (Philadelphia: Fortress, 1986). 530-548

²¹ The Gospel of Judas. Trans. and Eds. Rodolphe Kasser, Marvin Meyer, and Gregor Wurst. (Washington, D.C.: National Geographic Society, 2006) 8 ff.

²² Green, H. A. "Ritual in Valentinian Gnosticism: A Sociological Interpretation." (Journal of Religious History 12 1982)109-24; Robinson, M., "The Jung Codex: The Rise and fall of a Monopoly" (RelSRev= Religious Studies Review 3 1977)17-30; Attridge, Harold W., ed. Nag Hammadi Codex I The Jung Codex. (Nag Hammadi Studies, 2 vols. Leiden: Brill, 1985) 22-23.

تريباريتوس) وهو مدون باللغة القبطية ومؤرخ تقريبا بنهاية القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي.

(هيبوستاسيس الأرخوني)^{٢٣} The Hypostasis of the Archons وهو أيضا من النصوص الغنوسية التي عثر عليها في نجع حمادي وهي تجسد مراحل تطوير الفكر الغنوسي المسيحي في مصر على النمط الإيحائي برؤية تخيلية لمفهوم الخلق والعوالم الكونية في العالم السماوي، وعلاقة الخالق بالمخلوق وسقوط المخلوق وعذابه.

رابعاً: مصادر النقد الفني للعناصر الروحانية

إذا كانت القاعدة الأدبية النصية في تفسير أعمال السيد المسيح وسيرته الذاتية قد غاصت في رؤي ميتافيزيقية لأثبات أفراده في الحالة الناسوتية وكذلك في الحالة اللاهوتية، فإن المناخ العام لتلك القاعدة التفسيرية الروحانية قد انتشر في العالم الروماني، بل، وأصبح ثقافة مجتمع آنذاك يتخللها حالة من الغموض الذي يعتمد على قراءة ما وراء الفكر المباشر، وهو ما نجده في الفن بصفة عامة آنذاك^{٢٤}، فإن العمل الفني يمكن تجريده من أبعاده الأصلية ليتحول إلى فكرة ثم تفسير ثم هدف مقصود توصيله والتأكيد علي وصوله للعامة. لذلك ظهرت في مطلع القرن الثاني الأفكار الغنوسية لتؤكد هذا المعنى في البحث عن ما وراء الجسد البشري الشهواني، وهي رؤية واكب الفكر ت ظهور الفكر الأفلاطوني الحديث والمعاصر لتلك الأفكار والذي شارك في تكوين قاعدة روحانية لثقافة العصر المتأخر في مصر.

يمكن القول بأن آراء أفلوطين Plotinus (٢٠٥-٢٧٥م) من ناحية النقد الفني عموماً أو رؤيته للنحية الجمالية في العمل الفني^{٢٥} كانت تميل نحو اعتبار أن

²³ The Hypostasis of the Archons. (Nag Hammadi Codex II, 1989; Bentley Layton trans.), II 86,20-97,23; Goehring, James E. "A Classical Influence on the Gnostic Sophia Myth." (Vigiliae Christianae 35 1981)16-23; Layton, Bentley. "The Hypostasis of the Archons" (Harvard Theological Review 69 1976) 31-101.

²⁴ Pollitt, J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983)213-216; Elsner, J., Imperial Rome and Christen Triumph, (Oxford History of Art, Oxford, 1998) 1- 8; Elsner, J., Art and the Roman Viewer, The Transformation of Art from the Pagan World to Christianity, (Cambridge, 1995) 30-58; Veyne. P., (ed.), A History of Life: From Pagan Rome To Byzantium, (Cambridge, 1987), 353-382.

²⁵ يعد أفلوطين من مثقفي العصر الروماني المتأخر وفلسفته قائمة على استغلال العناصر الروحانية ونمو وتنقية الروح والاقبال من التعبير الجسدي الذي كان يمثل ثقافة الامبراطورية العسكرية المادية في العصر الروماني المتأخر.

Pollitt, J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983), 215-216;

اللوحة تتم عن خيال جامد غير متحرك، وغير متغير، وهي سمة مرفوضة في الفكر الفلسفي، وبالتالي فإن الصورة مهما كانت حرفية صانعها أو ردايته فإنها صامتة لا تعبر عن الجمال الأنتقالي المتغير الذي يدركه العقل ويتجول به ليصل إلى ما يسمى بالبصيرة الروحانية التي تعد أفضل من الرؤية الجمالية في الصورة. وبالتالي فإن أفلوطين أدرك أهمية الرؤية التبصيرية الروحية في الأعمال الفنية وهي قاعدة هامة في معالجة التفسير الروحاني في العمل الفني، وعندما حاول الرسام الروماني أميلوس أن يرسم صورة شخصية لأفلوطين الذي رفض وعبر عن رفضه بقوله (أنه من العار أن يكون جسده مادة لأي رسام أو نحاس، يمكن من خلاله أن يخلد هذا الجسد للأبد دون روحه التي يعتبرها هي الأصل) (بل من الكافي فقط حمل تلك الصورة التي وجدنا عليها في الطبيعة دون صنع نسخ أخرى منها تجعل هذه الصورة تدووم من صورة إلى صورة، فهل هناك واحدة من تلك الصورة تستحق أن يراها الناس)^{٢٦} وبالتالي فإن الإقلال من التعبير الجسدي والاهتمام بالغرناز الروحانية والعقلية مفهوم عام ومتفق عليه في الفكرين الغنوسية والافلاطونية، بل وأصبح مقبول لدي متقفي العالم الروماني مع نهاية القرن الثاني الميلادي تقريبا وبصفة خاصة متقفي الفلسفة الدينية أو القائمون على الدفاع عن المسيحية^{٢٧}.

من بين هؤلاء المتقفين الذين تعاملوا مع تحويل التفسير الفني أو الأثري (لتعاملهم مع الفنون القديمة عليهم) كان الفيلسوف (أبولونيوس) من تيانا Apollonios of Tyana الذي عاش تقريبا في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي^{٢٨}. وكذلك الفيلسوف والمؤرخ الفني (فيلوستراتوس) Philostratos، وهو من مفكري روما في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث^{٢٩}، بينما كان تلميذه (كالليستراتوس) Callistratos من فلاسفة ومتقفي روما في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي^{٣٠}. وتعتمد رؤيتهم على قدرة التفسير الروحاني أو رؤية ما وراء العمل من سمة روحية أسطورية تجذب عقول العامة وتوجههم وبصفة خاصة من خلال كافة الأعمال الفنية الكلاسيكية ذات الطابع المثالي وإعادة تحليلها وتقييمها من جديد، وذلك من خلال طابع روحاني يخدم متغيرات الفكر الاجتماعي والديني الجديد، والمعني

26 Porphyry: On the Life of Plotinus, 1; Pollitt, J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983), 215-216.

27 حول التأثيرات الغنوسية الافلاطونية Neoplatonism and Gnosticism راجع Filoramo, A History of Gnosticism. (Blackwell. Giovanni 1990). 142-7

28 Philostratus, the Life of Apollonius of Tyana, the Epistles of Apollonius, (2 vols. LCL. Cambridge, 1912) I-XI

29 Pollitt, J. J., The Art of Rome c.753 BC-AD 337 Sources and Documents, (Cambridge, 1983), 218-219

30 Pollitt, J. J., The Art of Rome 226-227.

المقصود هنا أن رواد هذه الحركة النقدية في القرنين الثالث والرابع قد وضعوا قاعدة مهمة في تفسير الأعمال الأثرية القديمة، تعتمد على قدرة المشاهد والمتدوق المؤمن بالعمل الفني بحيث تتلاشى أمامه الناحية الجمالية وقوة المادة المصنوع منها العمل، ويفقد العمل الفني حواسه الخارجية، وينظر إليه برؤية موضوعية متعمقة ويقدر من الفلسفة الإيمانية، ومن هنا يتحول العمل الفني إلى عمل مجرد من الزمان والمكان، خاص بالمشاهد وحده، والذي بقدرته الثقافية والإيمانية يصبح قادرا على تقييمه وتحليله مهما كانت عناصره أسطورية أو وثنية الطابع^{٣١}.

ثانياً: إشكالية العناصر الروحانية في الفن المسيحي

وقد يبدو أن التقييم المنهجي لأدراك العناصر الروحانية في الفن المصري المرتبط بانتشار المسيحية، قد يعتمد على ادراك شامل للمتغيرات المحيطة بهذا الفن وليد عصره، وهي أمور تعتمد على وجود حيادية في تفسير الأبعاد الحضارية التي لازمت دخول وانتشار واستقرار المسيحية في مصر. لذلك يجب علينا في سبيل محاولتنا لادراك القيم الروحانية في الفن أن نتجرد من سطحية التفسير، وأن ندرك الأبعاد المختلفة حول العمل الفني بتعمق وشمولية متخصصة في أغلب الأحيان، وبالتالي فإن قراءت القيم الروحانية قد تحتاج لقاعدة تدرك أن الفن المصري في تلك الفترة فنا مرتبطا بمتغيرات العصر وثقافته، فهو مرتبط بالتطور التاريخي للعقيدة المسيحية في مصر، وهو التطور الذي أسهم في صنع المادة الخام التي خرجت منها موضوعات الفن المسيحي في مصر المعقدة في بعض الأحيان، والتي تحمل بين جوانبها العديد من الأسرار والألغاز الروحانية، والتي كانت دائماً في حاجة إلى تفسيرات شفوية من قبل المعلمين.

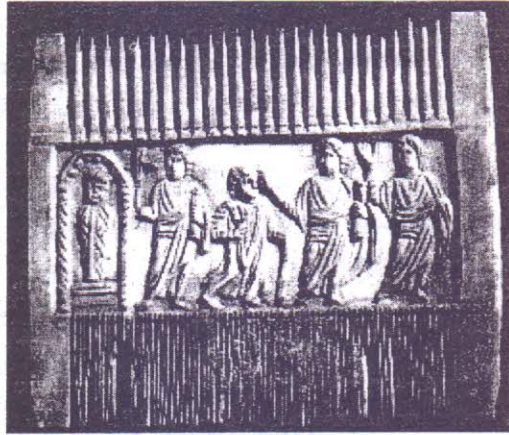
١. القاعدة في أعمال السيد المسيح

إذا اعتبرنا أن أعمال السيد المسيح المدونة في الإنجيل والتي تتسم بالطابع الروحاني أو ما يعرف بمعجزات المسيح المعترف بها هي القاعدة الأولى في محاولة فهم حدود الانتقال والتفسير الروحاني في الموضوعات المسيحية المستخدمة فنياً، فإننا يجب مناقشة بعض تلك المعجزات التي صورت في مصر خلال العصر القديم المتأخر، ونحاول تقييم القاعدة التفسيرية التي أسهمت في الانتقال بالموضوع الفني من الحالة الواقعية التي ترسمها اللوحة إلى حالة تفقد فيها اللوحة والموضوع زمنه ومكانه الأصلي.

³¹ محمد عبد الفتاح السيد، الرؤية الموضوعية في نقد الفن الكلاسيكي في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، (مجلة الأثارين العرب، العدد الرابع، القاهرة، ٢٠٠١) ٤٤٧-٤٥٥

صنف أغلب المفسرين معجزات المسيح^{٣٢} إلى تصنيفات متعددة ولكن أقرب تصنيف مواكب للأعمال الفنية كان ينقسم إلى: معجزات العلاج والشفاء، معجزات التغلب على الشيطان، معجزات التغلب على الطبيعة المادية، ومعجزات التغلب على الموت. ولكن البعض أعتبر أن هناك رؤية شخصية في بعض المعجزات ترتبط بحالة فردية مثل العلاج والتغلب على الشيطان والتغلب على الموت، ولكن نلاحظ أن أغلب المعجزات التي صورت فنيا كانت المرتبطة بعنصري معجزات التغلب على الطبيعة وعلى الموت. الأولى تعتمد على عناصر مادية تتعامل معها المسيح برؤية روحانية، والثانية قد تبدو روحانية تتعامل مع جسد مادي فتغير من حالته. لذلك نحاول تفسير البعد الروحاني في كلتاهما من أجل توضيح أهمية التفسير الروحاني المواكب للحدث أو للصورة.

مشط من العاج عثر عليه في
دير أبي حنس قرب أنتينوي
نحت عليه معجزتين من
معجزات المسيح، الأول، إقامة
لعازر من الموت، والثانية شفاء
الاعمى، في الخلف نحت
الفارس القديس تحيط به
الملائكة... المتحف القبطي.
القرن السادس الميلادي



ضمت معجزات التغلب على الطبيعة معجزة الخبز المبارك، ومعجزة تحويل الماء إلى نبيذ في عرس قانا، وهما المعجزتان اللتان سوف يصبحان أسس الطقوس السرية المعرفة بالافخارستيا *εὐχαριστία* (صلاة الشكر) في الكنيسة فيما بعد^{٣٣}. وقد صورت المعجزتان في مقبرة كرموز المسيحية (المختفي آثارها حالياً) وترجع إلى نهاية القرن الرابع^{٣٤} وكذلك في مغارة القديس أبي يحنس في الشيخ عبادة التي ترجع

32 William L. C., "The Problem of Miracles: A Historical and Philosophical Perspective." (In Gospel Perspectives VI, Sheffield, 1986) 9-40; Meeks, W. A. "Messianism among Jews and Christians: Twelve Biblical and Historical Studies". (Jewish Quarterly Review 95, 2, 2005) 336-340

33 Bowersock, G. W. Fiction as History: Nero to Julian. (University of California Press, 1994), 125-128

34 Neroutsos, D., L'Antienne Alexandrie, (Paris, 1888), 41-54.

إلى نهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي^{3٥}. ولكننا سوف نترك البعد الوصفي للوحات الجدارية المصورة والتي تعبر عن أحداث واقعية وصفية للمعجزة، ويبدو أن أمر اللوحة من حيث التقنية الفنية مجرد وسيلة تذكارية بأمر المعجزة، ولكن الأمر الأهم هو الوصف الروحاني الذي أُنسب بأمر صور المعجزتين، في العلاقة بين مسألة تحويل الماء إلى نبيذ، ومعجزة الخبز المبارك، أن كلاهما في المفهوم الأرتنوكسي يعبران عن مفهوم الجسد ودمائه، وهي بالفعل لغة أخرى قد تخرج بنا بعيدا عن التفسير الأثري العادي، فإذا عبرنا عن خاصية التحويل من الماء إلى النبيذ المقدس الذي يحمل مدلولاً جنائزياً في الأساطير الديونيسية اليونانية، والذي يسهم في التحول الروحي للجسد في العالم الآخر، فإن الماء هنا يشير إلى صفة الجسد التي سوف يتحول إلى روح مقدسة بسبب أسكار الجسد بالنبيذ المقدس^{3٦}. ويرى البعض أن الطبيعة البشرية سوف تتحول إلى نبيذ يعني الروح، ولكن هذا التحول يعني البحث عن نوعية النبيذ المراد أدراكه وهو نموذج للمعرفة الشخصية التي تبحث عن التلخص الذاتي ونقاء روحها^{3٧}.

هذا التحول بفعل النبيذ من خلال تلك المعجزة واكب انتشار صور ومخصصات الرؤية الديونيسية اليونانية والمرتبطة بالإله ديونيسوس ورفاقه المياندرا والساتير في الفن المسيحي^{3٨} ولا سيما في مصر في المدن ذات الثقافة اليونانية، فعلى سبيل المثال لدينا نماذج نحيّة ونسجية من أهناسيا وبانوبوليس وأنتينوي

35 Clédat, J., Deir Abou Hennis, (BIFAO, Tome, II) 44-70; Gertrud J.M. van Loon et Alain Delatre, La frise des saints de l'église rupestre de Deir Abou Hennis, IN (Eastern Christian Art in its Late Antique and Islamic Context . ECA. 2004), 89 – 112;

36 العنب هو رمز الأضحية في الأسطورة الديونيسية وهو الوسيلة التي تنقل الراقصين والمتعبدين من حالة الواقع إلى المجون اللاهوتي عند **Euripides, Bacchae 1-54**، وهو رمز لدم المسيح الذي أراق على الصليب وهو يمثل رمز القربان المقدس. راجع:

Otto, Walter F. Dionysus: Myth and Cult. (Indiana U. Press, 1965). 68,107,168-170; Carpenter, Thomas H. and Christopher A. Faraone., Masks of Dionysos. (Cornell U. Press 1993), 1-4; Bowersock, G. W. Fiction as History: Nero to Julian. (Berkeley: University of California Press, 1994), 125-128.

37 راجع وصف اخيل تاتيوس للطقوس الاحتفالية الديونيسية بحصاد العنب في **Tyre** ومفهوم النبيذ المقدس، كذلك راجع المقارنة بين وصف المعجزة عند الانجيلي متى وبين الأصل الوثني الاسطوري عند اخيل تاتيوس في محاولة للبحث عن الاصول الوثنية للمناسك المسيحية.

Achill. Tat. Leuc. and Cleit, 2.2.4-6; Morton S., "On the Wine God in Palestine, (American Academy for Jewish Research 1975), 815-29.

38 راجع دراسة حديثة عن الإله ديونيسوس تبرز مجموعة من التفسيرات الجديدة حول مفهوم الخمر المقدس، وحالة التحول البشري الروحاني، وكذلك علاقة ديونيسوس بالعالم الآخر.

Seaford R., Dionysos, Gods and Heroes of the Ancient World. (Routledge 2006) 70-75, 76-86, 126-129.

وأوكسيرينخوس^{٣٩} تعبر عن مفهوم التحول الروحاني الخفي والمستتر في العمل الفني بالمقارنة بالوصف الفني أو الأثري، من هنا ارتبطت صور الإله ديونيسوس في العصر المسيحي المبكر بصور السيد المسيح، وذلك لتشابه بعض الخصائص بينهما مثل خاصية الخمر المقدس، والحالة الروحية التي تنقل المؤمن من الكيان الناسوتي إلى الكيان الإلهي والتي تتمثل في حالة ما بعد شرب الخمر المقدس، هذا فضلاً عما يميز به الإله ديونيسوس عن أغلبية الآلهة اليونانية في أنه يجمع بين الخصائص اللاهوتية والناسوتية معاً، وهو ما جعله أقرب لتفسير شخصية المسيح والتعبير عنه في الفترة المبكرة.

المعجزة الأخرى تناولت حالة المباركة للسمة والخبز المبارك The Loaves and Fishes الذي أطمع حوالي ٥٠٠٠ شخص (عند لوقا ويوحنا) أو ٤٠٠٠ شخص (عند متى ومرقس) مرة واحدة من سمكتين خمسة أرغفة^{٤٠}، ثم عقب الأ طعام تبقي فضلات تكفي لملا اثنتا عشرة سلة تعبیر عن قوة المباركة، المفهوم الروحاني ركز على قوة الجانب اللاهوتي في شخص المسيح، وهو أمر مهم في التعريف به أثناء الصراعات المسيحية اليهودية من جانب والصراع مع الوثنية المسيحية من جانب آخر^{٤١}، وبالتالي فإن أمر تنفيذ تلك المعجزة على أرض الواقع يصبح مستحيلاً على الرغم من أن مفادتها قد تختص بالحياة اليومية ومرتبطة مباشرة بالفرد العادي، لذلك فإن توضيح مفاهيم القوة الروحانية، والمباركة الإلهية وصيغة التحويل الأعجازي، فضلاً عن المساس بأمر يخص الفرد العادي ويعبر عن أشباع بعد حرمان، جميعها جوانب روحانية أهتم بها التفسير الروحاني للوحة دون أن يكون معبر عنها بالأسلوب الفني.

ولكن هناك معاني تفسيرية قد تحمل بعض الجوانب السياسية في العلاقات المسيحية اليهودية المبكرة، فالتفسير الخفي يذهب إلى أن الخبز المبارك جاء من قبل المسيح لأشباع اليهود المحرومين الفقراء الجياع، بينما الفضلات التي ملأت اثنتا عشرة سلة بالنفايات كناية عن القبائل اليهودية الاثني عشر، وبالتالي فإن المعجزة قد تذهب بتفسيرات مختلفة كلما احتاج إليها^{٤٢}

وبالتالي فإن المعني الذي نريد أن نحققه أن الطابع الروحاني في الفن المسيحي المبكر كان مرتبط بتفسير أعمال السيد المسيح لثقافات لم تعرفه أو شاهدت

39 Scott, M. P. D., Paganism and Christianity in Egypt, (Cambridge, 1913), 167 ff. Gayet, L'art Copte, (Paris, 1902) 36 ff, 112-113; Leclercq, DCAL, XI. Colls. 827. Forrer, R., Die Gåber und Textilfunde Von Achmim (Panopolis), (Vienna, 1981), 12-14.

40 Matthew 14:13-21; Mark 6:31-44; Luke 9:10-17; John 6:5-15.

41 Brunori, L. Relational Goods in Society, Mind and Brain: Between Neurons and Happiness, (Group Analysis, 2003 36) 515 - 525.

42 David McCracken, The Scandal of the Gospels: Jesus, Story, and Offense (New York: Oxford University Press, 1994), 132.

معجزاته أو أعمال، ومن ثمة فإن حالة الشرح الروحاني كانت خاصة أساسية في التفسير، ولكنها في نفس الوقت كان لها أن تعبر عبر المورث الثقافي القديم والذي تمثله لنا هنا الثقافة الديونيسية التي كانت عاملاً مشتركاً في الطقوس الجنائزية ومصير البشر في العالم الآخر في الثقافة الهيلينستية. وبالتالي يكفي الإشارة إلى موضوع المعجزة أو رمز لديونسيوس أو أحد مخصصاته الشهير كأس الخمر (الكنثاروس) أو ثمر الكروم أو عنقايد العنب أو شخص ديونسيوس نفسه، أو الإشارة إلى سمكة أو سمكتين وبعض الأربعة، جميعها رموز تعبر عن مضمون البعد الروحاني في العمل الفني والمتصل دائماً بالتعريف اللاهوتي للسيد المسيح.^{٤٣}

٢. الموروث والتوظيف الروحاني

طبقاً لما سبق نجد أن التعبير الروحاني في التفسير الفني أو الأثري قد توفرت له قاعدة فكرية فلسفية كاملة، كما توفر له تنظير استراتيجي يجعلك مطالب باتباعه دون مبالغة أو إفراط في التأثيرات المختلفة، فطبقاً لما جاء في القاعدة فإن الرؤية الفنية لأغلب الموروثات القديمة في الفن المسيحي آنذاك فأنها من المحتمل أن تخضع للقواعد التفسيرية الروحانية الجديدة، وسوف نقدم هنا رؤية عن بعض الموضوعات الفنية المختارة والتي تنتمي للثقافات الثلاثة السابقة للفكر المسيحي (المصرية واليونانية والتوراتية) والتي عثر عليها في مصر خلال العصر القديم المتأخر في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع، تهدف تلك الرؤية إلى اقتراح تفسير روحاني للعمل الفني يقربه من ثقافة العصر وأن تكون مرجعيته نصية وموضوعية وتاريخية، وسوف تبقى في النهاية رؤية مقترحة. ويشمل التصنيف المقترح موروثات من الثقافة المصرية واليونانية والتوراتية، وهما المصادر الارشيفية التي اعتمدت عليها الثقافة المسيحية في مصر خلال العصر القديم المتأخر.

الموضوع الاسطوري	المصدر الأثري	التأريخ المحدد	التفسير الروحاني المقترح
الراعي الصالح أورفيوس	الاسكندرية	٤م	شخصية القائد المرابي والمصلح والمنقذ (راعي الخراف الضالة)
زيوس وجيناميدس	يحتمل الاسكندرية	٤-٥م	صورة من صور التجسد الإلهي على الأرض - حب الرب لاحتياجه واحتوائهم وتقربهم لديه
زيوس والبقرة	اهناسيا	٤-٥م	صورة التجسد الإلهي على الأرض أو مرحلة

أوروبا			الاتصال الإلهي الإنساني على الأرض
زيوس والبعجة ليديا	اهناسيا	م٥	صورة التجسد الإلهي على الأرض
هرقليس وأسد نيميا	اهناسيا	م٥	هرقليس نموذج للإلهة التي تحمل الصفتين (البشرية والإلهية) وضراعه مع أسد نيميا تجسيد للتغلب على مظاهر الشر في الأرض بقدمه أو المسيح في صورته.
مولد أفروديتي	اهناسيا	م٥	الولادة من العدم بالأمر الإلهي (مقارنة بولادة المسيح الإلهية)
خيرات نيلوس	اهناسيا	م٥	تجسيد للخير الذي منحه المسيح بمجيئه إلى الأرض.
حورس الفارس المنقذ	غير معلوم مصدرها (متحف اللوفر)	م٤	(حورس) المخلص كناية عن المسيح المخلص، حورس برأس نسر يرتدى ملابس رومانية الطابع ذات السمة العسكرية المعبرة عن مصدر القوة العسكرية في تلك الفترة. الرؤية المصرية في التعبير عن كينونة المسيح.
أم الإله إيزيس والطفل حورس	كرانيس	م٤-٣	حاملة الإله أو الكلمة المقدسة وكذلك إثبات علاقة الأم بالابن الإله من خلال تسابيح (الثيوتوكس) التي ترتل يومياً في الكنيسة كصور رمزية.
الحوريات والدلفين	اهناسيا	م٥	تجسيد لدور الملائكة في العهد الجديد، كصور إنسانية تبعث من قبل الرب على المؤمنين. رسل الإيحاء الإلهي
كيوبيد أو أيروس الرسول	اهناسيا- انتينوي- بانوبوليس	م٤،٦	تجسيد لصورة ملائكة الرحمة والسلام والفوز والانتصار بالعالم الآخر.
أبوللو وارتميس والموزاي	غير معلوم	م٥	مفهوم الحماية الإلهية للإبداع الفكر الإلهي (الوحي والإيحاء) الأنجيل

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

دانيال والأسود	تل أتريب سوهاج البيجات- اهناسيا	٣،٤، ٥م	الطاعة والعناية الإلهية والخلص وأنقاذ المؤمنين، وخضوع الشر.
خروج موسي	البيجات	٤م	خلص المؤمنين، شخصية القائد والمعلم، طاعة المؤمنين لقائدهم والثقة في خلاصهم بواسطته. هلاك الأشرار، معجزة الانقاذ في عبور البحر، العبور بالإيمان إلى الأرض الجديدة.
أضحية أسحاق	البيجات- سقارة- سانت كاترين	٤،٦، ٧م	الطاعة الكاملة للأمر الإلهي، الأمر الإلهي، علاقة الابن المطيع بالأب القائد الموحى إليه، الثقة في الأمر الإلهي، والثقة في الأنقاذ والخلص الإلهي.
خروج آدم وحواء	مقابر البيجات- أم البريجات	١٠،٤ م	مفهوم الخطيئة، عقاب الخطيئة، التعرف على شهوانية النفس البشرية، خطورة مفهوم الخروج من العناية الإلهية، التوبة، والعمل على العودة مرة أخرى للمقر الطبيعي للروح في الجنة.
فلك نوح	البيجات	٤م	مفهوم الوحدة في العقيدة، الثقة في شخصية القائد، خلاص المؤمنين، الفلك أو الكنيسة وسيلة الخلاص للمؤمن، المشاركة الجماعية، العناية الإلهية.
يونان والحوث	البيجات- انتينوي	٤،٥م	عقاب عدم الثقة في الأمر الإلهي، التوبة والاستغفار من الخطيئة، العقاب الوقتي، الصبر على البلاء، الثقة في الخلاص الإلهي، ثم الخلاص والتمتع به.
صراع وجوليت	داود باويط	٦-٧م	صراع الخير والشر، المنحة الإلهية لداود، دور القائد وتضحيته من أجل العقيدة (مقارنة مع تضحية المسيح)

تعد تلك الأمثلة مجرد محاولة لتوضيح أهمية البعد الروحاني في العمل الفني، ولكننا لا نستطيع الجزم بأن تلك التفسيرات كانت بالفعل محل تفسير أو شرح بصفة دائمة، ولكنها كانت مجرد وسيلة تذكارية يحتاج إليها كلما أمكن، فلا يمكن تسجيل

المحاورات والمناقشات التي كانت تدور مثلاً في غرفة الطعام في كنيسة الأنبا أرميا بسقارة (القرنين الخامس والسادس الميلاديين)^{٤٤}، وهل كانت تتعرض لشرح لوحة الفريسك الجدارية التي تعلقو جدران الحجرة وعليها موضوع أضحية إبراهيم بابنه اسحاق، بالفعل فإن المنظر قد يعطي أنطاباً روحانياً للرهبان الجالسين يومياً في الغرفة بالطاعة الكاملة أو العمياء دون مناقشة للأوامر الإلهية، ولكن من ناحية أخرى فإن موضوع التصحية بإسحاق قد يأخذ أبعاداً أخرى تبحث فيما وراء العمل من حكمة خفية تجمع بين صفات متعددة منها قوة إيمان إبراهيم، استسلام إسحاق للأمر الإلهي، الأحساس الرمزي المتواري في اللقطة التصويرية (الموت - الفداء - الخلاص)، كما أنها رؤية سابقة للتضحية الكاملة لصلب المسيح في الفداء الكبير من أجل العقيدة. وبالتالي يستطيع المفسر أو الراهب أو المعلم ومن خلال هذه الصورة أن يكتسب معنى كثيرة لتفسير تلك اللقطة الصامتة، ولكنه لا بد أن يمتلك مقومات معرفية روحانية تجعله قادر على التنقل بين المعاني والحكم الخفية في الموضوع وأسقاطها على أرض الواقع وعقول المتلقين.

قد تبدو اللقطة التصويرية هامة في تحديد الشكل العام للعمل الفني، حيث يمكن إدراك نفس القاعدة في صورة فلك النبي نوح الذي يجسد مفهوم الخلاص الأول للمؤمنين، حيث ألتمت تفسير وشرح القصة القديمة في حدود الأيمان والطاعة للنبي المرسل أو المعلم، كما اعتبرت السفينة بمثابة الكنيسة التي تحمي المؤمنين في الثقافة القبطية^{٤٥}، هذا الأسلوب في اختيار الموضوعات لم يكن قاصراً على الصور المستوحاة من الكتاب المقدس، ولكنه طبق على الرموز الوثنية التي استغلت بصورة تلقائية في التعبير عن مضمون التجسيد الإلهي في الأرض (أو كيف يكون للإله صورة دنيوية). ولأن المضمون الأسطوري في المسيحية لم يكن قد اكتمل بعد للتعبير الشعبي عن هذا المضمون الفلسفي العميق، ولأن التراكيب الوثنية هي التي كانت في تلك الفترة مسيطرة على عقلية العامة، فكان للجوء إليها كان أمراً طبيعياً، فالإله (زيوس) كبير الآلهة اليونانية تجسد على الأرض في صورة بقرة في قصته مع أوروبا^{٤٦}، وفي

⁴⁴ ناقش أيقونة أضحية إبراهيم بإسحاق العديد من العلماء، وقد كان هناك شبه اتفاق حول استقلالية كل لوحة عن الأخرى في تجسيد النص الديني، الأمر الذي جعل لها سمة مميزة فقط من ناحية الأسلوب الفني وليس الموضوعي، راجع:

Quibell, J.E., Excavations of Saqqara, (Le Caire 1909) I-VI; Van Woerden, K., The Iconography of Sacrifice of Abraham. (V.C., 15, 1961) 214-225; Van Loon, G., The Sacrifice by Abraham and the Scarifice by Jephthah in Coptic Art, (in Coptic Art And Culture, Cairo, 1990), 44-48.

⁴⁵ Fakhry, The Necropolis of el-Bagawat in Kharga Oasis, (Cairo, 1951); 62-64.

⁴⁶ Weitzmann, K., Age of Spirituality, Late Antique and Early Christian Art, (New York, 1978) no. 147.

صورة النسر الذي ينقض على صبي في قصته مع (جانيميدس)^{٤٧}. وهناك (هراكليس) الإله ذو الصفتين مع البشرية والإلهية في محاولة لتجسيد شخصية المسيح القوي على الملابس والأكفان مما يحقق للقصّة مستوى شعبي مقبول لدى العامة^{٤٨}.

كما ان مفهوم التأثيرات الوثنية في الأيقونوجرافية المصرية يجعلنا نتجه ناحية الإلهة (الاعتبارية) التي استخدمت كالأيقونات بوظيفتها الوثنية ولكن بتفسير مسيحي مستتر روحاني في اغلب الاحيان، وهو نمط من الأيقونات المسيحية التي ظهرت بوضوح في إقليم أثناسيا ويعرف بفن النحت الأثناسي، وفيه مورست الأنماط الوثنية المستوحاة من الأرستيف الكلاسيكي المصري واليوناني دون تقيد وكأنها جزءا من نسيج الثقافة المسيحية الجديدة الممارسة في مصر الوسطي. نجد الإله (ديونيسوس) أو (باخوس) في المتحف القبطي يرمز للخمر المقدس الذي ينقل المؤمن من الحالة الناسوتية إلى الحالة الإلهية^{٤٩}. وهناك الإله (نيلوس) إله النيل والخيرات ذو الطابع الناسوتي المتصل دائما بالبشر بواسطة خيراته وهباته، فهو نموذج للمسيح الخير صاحب المنح والهبات الكثيرة^{٥٠}. وعلى نمط زيوس وهراكليس ونيلوس نجد (أفروديتي) و(باخوس) و(ابوللو) و(الساتير) و(المياندر) (أتباع ديونيسوس) وغيرهم من الآلهة الوثنية المستوحاة من الأرستيف اليوناني في مصر، حيث تم توظيفهم لتدعيم الفكر المسيحي في مصر في محاولة لأدراك تبسيط طبيعي شعبي في تفسير العقيدة الجديدة حتى ولو قامت على المزج الفلسفي الأسطوري في تلك الفترة^{٥١}.

أيضا على ضعيد الموضوعات الوثنية نجد تلك الرؤية الدالة على (حورس) المخلص كناية عن المسيح المخلص، فقد نجد أن مفهوم الخلاص في المسيحية المبكرة هو مفهوم مصري صميم حدده ملامح الأفكار المسيحية- الغنوسية في مصر قبل أي شعوب أخرى في المنطقة، وأصبحت الرؤية الروحانية التي تحدد صفات حورس

47 Weitzmann, K., Age of Spirituality, Late Antique and Early Christian Art, (New York, 1978) no. 148.

48 Essen, Koptische Kunst, Christentum am Nil, (V. II a. Hugel, 1963) no 44; Duthuit, G., La Sculpture Copte, (Paris, 1931) 560-66.

49 حول لوحة الإله باخوس في المتحف القبطي، راجع: أيضا:

Villard, M., La Sculptura ad Ahnas, (Milan, 1923) 40-43ff.

50 حول نحت الإله نيلوس، راجع:

Cooney, J.D., Late Egyptian and Coptic Art, (Brooklyn, 1943)15-16. Bonneau D., Le Dieu, Nil Hors d'Egypt aux epoques grecque- romaine et byz. (BIFAO, 94,1994), III.51-55; Villard, M., La Sculptura ad Ahnas, Milan, 1923) 40-43ff.

51 حول التأثير الفلسفي في الموضوعات الوثنية الأسطورية اليونانية، راجع:

Elsner, J., Imperial Roman and Christian Triumph, Oxford, (1998),13-14, 49-49,108-109.; Duthuit, La Sculpture Copte, (Paris, 1931) pl. x.b; Beckwith, Coptic Sculpture, (Londres, 1963),no.62.; Drioton, E., Trois Documents pour L'etude de L'art Copte, (BSAC X, 1944)27ff.

بوصفها الرؤية المصرية في التعبير عن كينونة المسيح الإلهية البشرية معا. كذلك حورس ولد بدون أب وبأمر إلهي من رع طبقا لمفهوم الموروث المصري. كما أنه يملك الصفتين الناسوتية واللاهوتية. وله تجربة في العبور إلى العالم الآخر والعودة مرة أخرى. وهي نفس الصفات التي ارتبطت بشخصية الفارس المنقذ من التنين الشرير طبقا للمفاهيم الروجانية في رؤيا يوجنا وايحاء دانيل ويمكن الاستدلال عليها من لوحة الفارس المخلص حورس المسيح^{٥٢}

هكذا نجد ان ظهور الفكر التصوفي أو الروحاني قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر الغنوسي- المسيحي في مصر. كما أنه شكل محورا أساسياً في الثقافة الدينية على كافة المستويات بصفة عامة، وبالتالي فإن الفن القائم والمعبر عن الثقافة المصرية المعاصرة سوف يتأثر بتلك بالحالة الروحانية، لذلك تقترح هذه الرؤية تقديم اقتراحات جديدة لتقييم الفن الروحاني وأصوله في مصر من خلال البحث عن أصول الموضوعات الفنية المسيحية في العصر المبكر، وتوظيفها لخدمة المتغيرات الثقافية الجديدة في مصر.

52 حول الارتباط المشترك بين العنصرين المصري القديم والمسيحي في الأسلوب الفني والموضوعي راجع:

Badawy, A., Coptic Art and Archeology, (London, 1978), 220-221; M.H. Rutschowskaya, La Sculpture Copte, Musee de Louvre, (BIFAO=Bulletin de L'Institut Francais d'Archeologie Orientale, 1993), 317-322; Duthuit, G., La Sculpture Copte, (Paris, 1931), 50-54; Török, L., On the chronology of the AHNAS Sculpture, (AAASH=Acta Antiqua Academiae Scientiarum Hungaricae, 22, 1970), 163-166.

قاعدة المعلومات لشرح العناصر الروحانية في الفن المسيحي المبكر في مصر

معجزات السيد المسيح

معجزات التغلب على الطبيعة معجزة الخبز المبارك ومعجزة تحويل الماء إلى نبيذ في عرس قانا. وهما جزء من الطقوس الافتخارستيا السرية في الكنيسة.



المعجزتان في مفرد كرموز المسيحية (المختفي آثارها حالياً) ويؤرخ إلى نهاية القرن الرابع





المعجزات الممسورة في معارة القديس أبي يحنس في تشيخ عباده التي ترجع إلى نهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي.



معجزة اقامة لعازر من الموت

التفسير الروحاني: العلاقة بين مسألة تحويل الماء إلى نبيذ ومعجزة الخبز المبارك أت كلاهما في المفهوم الأرنثوكسني يعبراب عن مفهوم الجسد ودمائهم وهي بالفعل لغة اخري قد تخرج بنا بعيدا عن التفسير الأثري العادي. فهو يعني تحول الجسد إلى صورته الأصلية الروح. فإن الماء هنا يشير إلى صفة الجسد الذي سوف يتحول إلى روح مقدسة بسبب اسكاره بالنبيذ المقدس. وأن الطبيعة البشرية سوف تتحول إلى صورتها الحقيقية الروح. ولكن هذا! التحول قد يعني البحث عن نوعية النبيذ المراد أحرارهم. وهو نموذج للمعرفة الشخصية التي تبحث عن التخلص الذاتي ونقاء روحها.

زيوس والبقرة أوروبا

نحت عاج من الإسكندرية القرن الرابع الميلادي



نحت جذاري من اهتاسيا
القرنين الخامس والسادس الميلادي

- التفسير الروحاني
- التجسد الإلهي على الأرض أو مرحلة الاتصال الإلهي - الإنساني على الأرض
- تذكر عند شرح مراحل الظهور غير المتكامل للرب قبل الظهور الكامل للمسيح عند كليمنت السكندري ومناقشات الأسقف اثناسيوس.



لاهوت وناسوت (الإله باخوس)



نحت أناسيا حراثي القرن الثالث - الزجاج السيلادي. المتحف القبطي

الجزء الثاني فهو يمثل الجانب اللاهوتي من الثنائية العقائدية. وهي حالة اللاصقول أو الحالة الروحية التي يصل إليها المؤمن عقب شرب الخمر فيصل إلى درجة الإيمان الروحي. فيصبح شاباً على الدوام روحياً وجسدياً. وهو أيضاً النموذج الصائلي الذي صور فيه المسيح في حاله الخلود الدائم بعد ذلك. بينما صورته وهو صليح كبير السن هي الحالة التي عاش فيها بين البشر على الأرض.

التفسير الروحاني للعمل

يقترح:

أن الإله باخوس في الجزء الأولي من اللوحة يمثل المسيح في هيئته البشرية كرجل معلم فيلسوف وقدوة يضع يده فوق كتف شاب يمثل أحد تلاميذه أو رمز للمؤمنين عموماً. وهو هنا يعطى لنا نموذجاً للجانب الناسوتي للمسيح. ووسيلة للتعبير الفني هنا أن الفنان أراد أن يعطى للإله باخوس مخصصة الدائم وهي يحتسى الخمر أي أن عملية الوصول إلى الحالة الروحية لم تتم بعد وأن عناصر إتمامها هي القدوة أو الإيمان واحتساء الخمر المقدسة وهي أحد أهم عناصر العقيدة المسيحية والغنوسية في كافة مذاهبها.

بيرسيوس منقذ أندروميديا وهاجر الميديوزا



أسطورة يونانية. تصوير جذاري من بومبي القرن الثاني الميلادي.

نموذج للتفسير الروحاني عند الصّورح الفني فيلوستراتوس

Philostratos:

طهارة أندروميديا التي يجب الحفاظ عليها العناية الإلهية. الثقة في قدرة الرب على الخلاص. شخصيه البطل المقدس بيرسيوس. الروح الإلهية التي ساعدت بيرسيوس في القضاء على الشر المتمثل في الميديوزا.

تسبيحات فيلوستراتوس بما يلائم ثقافة العصر:

- أندروميديا. العذراء الطاهرة
- بيرسيوس. المسيح على الأرض
- الميديوزا والتنين. الشيطان والشر المطلق
- القوة والثباتية في الأسلوب الفني

أضحية إسحاق



التصوير الجداري في غرفة الطعام
كنيسة الأنبا أرميا يسقارة (القرنين
الخامس والسادس الميلاديين)



الرمز الروحاني للقصة:

- الأمر الإلهي
- الطاعة الكاملة للأمر الإلهي
- علاقة الابن المطيع بالآب القائد والمعلم
- الثقة في الأمر الإلهي والثقة في الأنقاذ والخلاص الإلهي.
- المصدر نص ايحاء ابراهيم

أضحية إسحاق المقبرة ٨٠ مقابر النجوات
واحة الخارجة

زيوس والبجعة ليديا



نحت جداري من كهناسيا القرنين الخامس والسادس
الميلادي

التفسير الروحاني:

التجسد الإلهي على الأرض
كما أنّ الصنظر بصور الوحى الإلهي
المغدس للملاك القادم من السماء.

مولد أفروديتي

نحت جداري من كهناسيا القرنين الخامس والسادس الميلادي

التفسير الروحاني:

الولادة من العدم بالأمر الإلهي
نموذج لتفسير ولادة المسيح بالكلمة.



حورس الفارس المنقذ



تحت اهلنسيا لقرن الرابع الميلادي

(حورس) المخلص كناية عن المسيح المخلص.

السمة العسكرية المصرية عن مصدر القوة الإيمانية المكتسبة بعد الاعتراف بالمسيحية في تلك الفترة.

الرؤية المصرية في التعبر عن كينونة المسيح الإلهية البشرية معا.

حورس ولد بنون أب وبأمر إلهي من رع طبقا لمفهوم الموروث المصري.

يملك الصفتين الناسوتية واللاهوتية. وله تجربة في الجور إلى العالم الآخر والعودة مرة أخرى.

شخصية الفارس المنقذ من التبين الشريخ طبقا للمفاهيم الروحانية في رؤيا بوخنا وايحاء دانيال.

فلك نوح

المقبرة رقم ٨٠ البجوات واحة الخارجة ٥م



مفهوم الوحدة في العقيدة، الثقة في شخصية القائد، خلاص المؤمنين، الفلك أو الكنيسة وسيلة الخلاص للمؤمن، المشاركة الجماعية، العناية الإلهية.

يونان والحوث

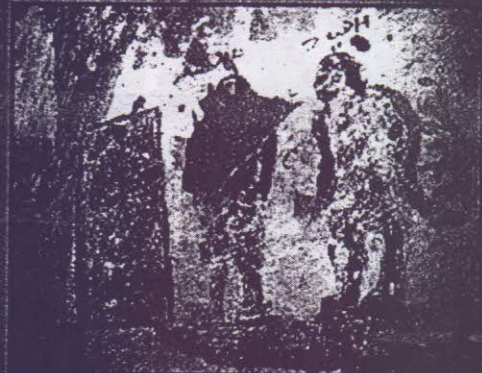
المقبرة رقم ٣٠ البجوات واحة الخارجة ٤م



عقاب عدم الثقة في الأمر الإلهي، التوبة والاستغفار من الخطيئة، العقاب الوتقي، الصبر على البلاء، الثقة في الخلاص الإلهي، ثم الخلاص والتسع به.

خروج آدم وحواء من الجنة

التفسير الروحاني: مفهوم الخطيئة، والذنب، وعدم الطاعة، العقاب الإلهي، التعرف على شهواته
النفس البشرية، خطورة مفهوم الخروج من العناية الإلهية، التوبة، والعمل على العودة مرة
أخرى للمقر الطبيعي للروح في الجنة. نص إحياء آدم وحواء العنقوسي.



المسرحية القديمة من العصور ما قبل الفخارية في مصر القديمة، قبة الصحراء، واحة الخارجة في مصر

أم الإله ايزيس والطفل حورس العذراء مرضعة المسيح الطفل الإله

كراتيس ٣-٤م ، دير الأتيا ارميا سقارة ٥م



- حاملة الإله أو الكلمة المقدسة
- الطفل الإله
- إثبات علاقة الأم بالابن الإله من خلال
- تسايخ (الثيونوكس) التي ترتل يومياً في
- الكنيسة كصور رمزية، وطقس روحاني
- يدافع عن العذهب المصري منذ القرن
- الخامس الميلادي وإلى الآن.

الاكتشافات الأثرية على الجانب الشرقي للبحر الميت
في ضوء القصص القرآني البحث عن قوم عاد
د. محمد وهيب على الحسين*

جاء في القرآن الكريم : { واذكر آخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم }^١ ويفهم من هذا أن حضارة عاد كانت بالأحقاف وهو الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر (الشكل ٣)، وقد كان قوم عاد ذوو قوة وبأس يحسب لها حساب حتى أن بطليموس الذي كتب ما بين ١٢١ - ١٥١ م يسترعي نظره وجودهم ويقوم هذا الجغرافي بوضعهم الخريطة التي رسمها للمنطقة وخاصة أهميتها على الطرق التجارية مع بلاد الشام. ويذهب بعض المؤرخين أمثال المسعودي وأبي الفداء وابن خلدون إلى تحديد أماكن إقامتهم في الأحقاف بين اليمن وحضرموت وقد ورد ذكر عاد عند كثير من الشعراء أمثال متمم بن نويرة وسويد بن أبي كاهل وأميرة بن أبي الصلت والطرماح بن حكيم. ^٢ وقد جاء ترتيبهم في القرآن بعد قوم نوح بدليل الآية: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح}.

ويذكر أن عهد النبي موسى يرجع إلى ١٥٠٠ عام قبل الميلاد وفي ذلك كانت عاد قد زالت أي أن فترة قوم عاد كانت بعد قوم نوح وقبل فترتي النبي - عليه السلام - وذكر القرآن ذلك { وقال الذي آمن يا قوم إني أختبئكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم }^٣ ويمكن الاستنتاج أن عصر عاد يبدأ سنة ٢٢٠٠-١٥٠٠ ق.م أو ١٧٠٠ ق.م على سبيل القريب وجاء في سورة الفجر { ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد }^٤ وهذه إشارة واضحة ومباشرة إلى حضارة قوم عاد حيث، يشير ابن كثير - رحمه الله - إلى أن إرم بيت مملكة عاد^٥ يحمل القرآن الكريم الدليل على براعة قوم عاد في الحضارة وفنون العمارة التي لم يسبق لها مثيل^٦ واجتهد علماء الآثار في الكشف عن حضارة قوم عاد، وعُثر

* معهد الملكة رانيا للسياحة - الاردن

^١ القرآن الكريم، سورة الأحقاف ، الآية ٢٠.

^٢ يحيى، لطفي، العرب في العصور القديمة، بيروت ١٩٧٩، ص ١٦٥-١٦٦.

^٣ الأصمعي، عبد الملك، تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد ١٩٥٩، ص ٩٧.

^٤ القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٦٩.

^٥ القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ٣١.

^٦ مهران محمد بيومي، دراسة تاريخية من القرآن الكريم، الرياض ، ص ٦٤

^٧ ابن كثير ، دمشق تفسیر ابن كثير، بيروت، ١٩٨١ ص ٥٠٨

^٨ ناد في مظفر الدين، التاريخ الجغرافي للقرآن ، ١٩٥٦ ،

في الأحقاف على مغائر محفورة في الصخور التي تراكمت عليها طبقات سميقة من الرمال، ويرجح أن كتيبان الرمل في الأحقاف وفي المنطقة المجاورة لها تحتوي أسفلها على آثار لم تكشف بعد، وهذه المنطقة كانت خصبة فيما مضى بسبب ما كان يصلها من الأمطار الموسمية^٩

الرحالة و الاكتشافات الأثرية

اختلف المفسرون في معنى "العماد" الواردة في القرآن الكريم فيذكر البعض أن العماد هي الجبال الشاهقة المرتفعة، بينما يشير البكري إلى أن العماد ربما يكون جبل ، فيقول: (وفي وادي إرم ، جبل يعرف بجبل عمود بالقرب من الديسة ، وعماد السماء هي الجبال العالية). ولمزيد من التوضيح أنظر / البكري، معجم ما استعجم ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٩٧١ ، وهذه إشارة واضحة إلى وادي رم في الأردن الواقع بجانب الديسة، حيث أن هذه المنطقة تحتوي على جبال شاهقة ومرتفعة بحيث أنها تشكل أعلى جبال الأردن قاطبة عن مستوى سطح البحر وخاصة جبل أم عشرين، جبل إرم ، دبل أم الدامي، حيث تتراوح الارتفاعات ما بين ١٧٥٤ - ١٨٥٤ متر، مما جعلها متميزة وقطة استقطاب وجذب سياحي الأمر الذي دعا خبراء السياحة في الأردن إلى اعتبار وادي رم جزءا رئيسيا وركيزة أساسية في السياحة، واعتبر جزءا من المثلث الذهبي للسياحة في الأردن.

وقد زاد الله قوم عاد بسطة إذ أنه بعد مثل قوم نوح توجه الناجون على الأرجح جنوبا إلى حضرموت وسكنوا شمالها وكان أصحاب قوة وبأس وزادهم الله بأسا وبسطة في الجسم والمال، إذ تعالى في سورة الأعراف: { **وإذكروا إذ جعلناكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة** } وأراد هؤلاء ألا ينسوا أجدادهم الذين نجوا من الطوفان فصنعوا تماثيل لتذكركم بهم ثم حولوها للآلهة وعبدوها.^{١٠}

وقد تناولت الروايات الكثيرة عن عظم أجسادهم وبيوتهم إلا أن الباحثين لم يعثروا على عظام إنسانية في غابر القرون يمكن أن تنطبق عليها تلك الأوصاف الخارقة بل كل ما عرف عن الإنسان أنه يتفاوت بين الطول والقصر حسب اختلاف الأجناس ولكنه تفاوت محدود لا يخرج الإنسان عن إنسانيته ولكن كما يقال:

قد تتكر العين ضوء الشمس من رمد
ويشتكي الفم طعم الماء من سقم^{١١}

وقيل أن رجلا في حضرموت دخل إلى مدينة مزخرفة بالذهب والفضة والزبرجد والأشجار والمياه فظن أنها لجنة وقال كعب للخليفة مفسرا ذلك: إن هذه

^٩ مهران محمد بيومي، المرجع السابق، ص ٥٤

^{١٠} إبراهيم محمد إسماعيل، قصص الأنبياء والرسول، دار الفكر ١٩٨١، ص ٤٥.

^{١١} النجار، محمد الطيب، تاريخ الأنبياء ، مصر، ١٩٧٩، ص ٨.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

المدينة صاحبها شداد بن عاد وهذه المدينة هي 'أرم' ذات العماد وهي التي وصفها الله عز وجل في كتابه أنه لم يخلق مثلها في البلاد.^{١٢}

إن الكتابات القديمة التي عثر عليها في حضرموت تدل على وجود آلهة كثيرة يتعبد لها الحضرميون منها سين عشتار وحول شمس وكان الإله سين هو الإله الرئيسي لأهل حضرموت^{١٣} لكن الدليل القوي والواضح يأتي من أرض الأردن ، فقد ذكر أن قوم عاد كانت لهم مساكن في الأردن في ذروة الجبل المعروف بجيش أرم ويقال أنه توجد هناك نقوش فوق الأحجار وأن النقوش قد عثرت بها عوامل التعرية وأن كثيرا من هذه الآثار يمكن رؤيته في المنطقة التي تجاور جبل أرم.^{١٤} وقد قامت كركبرايد Kirkibrid بالبحث في منطقة رم حيث وجدت عددا من الأدوات الحجرية وصحونا من الحجارة البيضاء الصلبة ورؤوس سهام صوانية، وأسنان مناشير صوانية كانت تستخدم في المناجل ولعل هذا يشير بوضوح إلى وجود استقرار مبكر في منطقة رم وانتشار للمخلفات الأثرية في المنطقة ابتداء من العصور الحجرية، وكشف عن موقدا للنار، إضافة إلى حجارة تشبه أنصاب القبور عليها محاولات لحفر أشكال بشرية.^{١٥}

وقد ذهب موريتس إلى أن موضع أرم Aramaua الذي ورد عند بطليموس هو الآن روم وقد أظهرت الحفريات التي قام بها المعهد الفرنسي في القدس صحة هذا الرأي، إذ ورد في الكتابات السبئية التي عثر عليها في مخلفات معبد اكتشف في رم، وهذا الموضع حافظ على اسمه القديم وأصبح يعرف بـ 'رم' بدلا من إرم، وقد قام هورسفيلد بالتعاون مع دائرة الآثار في عمان عام ١٩٣٢ بحفريات

في موضع جبل رم ويقع على مسافة ٢٥ ميلا إلى الشرق من العقبة في الأردن، ووجد آثارا قديمة متنوعة وكانت اكتشافاته بالإضافة لاكتشافات سافينغناك Savignas وغلیدن Glidden قد دلت على أن هذا المكان هو موضع إرم الوارد ذكره في القرآن الكريم والذي كان قد حل به الخراب قبل الإسلام فلم يبق منه عند ظهور الإسلام غير عين ماء كان ينزل عليها التجار وأصحاب القوافل الذين يمرّون بطريق الشام - مصر - الحجاز.^{١٦}

وقد استدلت كثير من الباحثين على أن هناك بقية لقوم عاد بعد هلاكهم، ويخطئ من يظن أنهم هلكوا جميعا بالاستناد للآيتين : {فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم} والقرآن

¹² الجزائري، نعمة الله، قصص الأنبياء، لبنان، ١٩٧٨، ص ١٠٢

¹³ جبريل محمد، مدينة المهاجرين، حضرموت، ص ١٠.

¹⁴ موسيل الوس، شمال الحجاز، ص ٥٣.

¹⁵ N. Pstanly and A.N. Grand a prehistoric site in the Rum Area, ADAJ, 20 1975 pp. 91-93

¹⁶ علي جواد، مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، بغداد ١٩٦٨، ص ٥٠٣ - ٣٠٦.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

يذكر أنه نجًا هود - عليه السلام - { فاتجيناها والذين معه برحمة منا } ، { وأنه أهلك عادا الأولى } أما الذين بقوا مع النبي هود ونجوا من العذاب فهم عاد الثانية. وقد عثر على نقش عام ١٨٣٤ في أطلال حصن الغراب قرب عدن ومن ضمن هذا النقش عبارة نقلت من كتاب فورستر Forster الجغرافية التاريخية لبلاد العرب (Historical Geography of Arabia) يذكر "وقد اختاروا لنا شريعة محكمة مستمدة من ديانة هود، وكنا نؤمن بالمعجزات والبعث وإحياء الموتى بإذن الله" وقد استنتج من هذا النقش أنه يعترف بشخصية هود وأن أتباع هود هم وحدهم الذين نجوا من الهلاك وأنهم كانوا مهرة في فن البناء، والمؤرخون اليونانيون يطلقون عليهم اسم Oaditae ويمكن القول أن الأولين هم عاد إرم والأخرين عاد. إذ يذكر بطليموس Adrematae كذلك يذكر Adite.^{١٧}

وقد لفت وادي رم اهتمام علماء الآثار والمتخصصين بهدف استكشاف ما يحويه من حقائق مادية حول أهميته التاريخية ، وقام فريق مشترك من دائرة الآثار العامة في الأردن بالاشتراك مع فريق معهد الآثار الفرنسي بإجراء دراسة ميدانية مسحية للوادي ولاكتشاف المخلفات الأثرية والكتابات والنقوش الصخرية وخاصة تلك المتواجدة قرب معبد اللات قرب سفح جبل أرم، ويتبين أن هذا المعبد الصغير الحجم ذو الشكل المكعب والذي تحيط به الأعمدة المنحوتة قطع اسطوانية الشكل. يعتبر ذو أهمية كبيرة في الكشف عن حقيقة أرم، فقد وجد نقش حجري مستطيل الشكل قرب مدخل المعبد تبلغ قياساته ٥٥ × ٢٧، ٥ سم، نقشت عليه كتابة بالخط المسند الجنوبي ترجمت على النحو الآتي: "غوٲ بن أوس الله بن ثكم وبني بيت لات ذو العاد" هذه الكتابة بحسب خبير النقوش د. فوزي زيادين تشير بوضوح إلى أن المعبد كان في الأصل قد أنشأته قبيلة عاد المذكورة في القرآن الكريم، واستنادا إلى أعمال التنقيبات الأثرية التي جرت في المعبد عام ١٩٥٩ وأشرفت عليها كيركبرايد Kirkbride فإن المعبد يـرـخ إلى القرن الثاني قبل الميلاد، الأمر الذي يشير بوضوح إلى بقية قوم عاد وأن المعبد بناه غوٲ بن أوس الله من قوم عاد ، ولعل الدليل الآخر القريب من الموقع هو نقش نبطي وجد قرب جبل الجديدة عند خزان ماء تم ترجمته "ذكرى حيان بن عبد الله من أمام اللات الآلهة التي في إرم" وهذه دلالة واضحة على أن اسم الوادي أرم كان ما يزال معروفا حتى خلال الفترات التاريخية اللاحقة لقوم عاد^{١٨} كما يذكر النقش اسم الحقبة الوثنية التي كان يعبدها العرب قبل الإسلام وهي آلهة اللات ، وحيث ورد ذكرها في القرآن الكريم. {أفرايتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذن قسمة ضيزى}^{١٩}

^{١٧} نادفي سيد مظفر، التاريخ الجغرافي للقرآن، ترجمة عبد الشافي ، ١٩٥٦، ص ١٨٢-١٨٥.

^{١٨} زيادين فوزي، إرم ذات العماد، مجلة آثار، ١٩٩٨١، ص ١٨-٢١.

^{١٩} القرآن الكريم سورة النجم ، الآيات ١٩-٢٢.

دراسات في آثار الوطن العربي ١

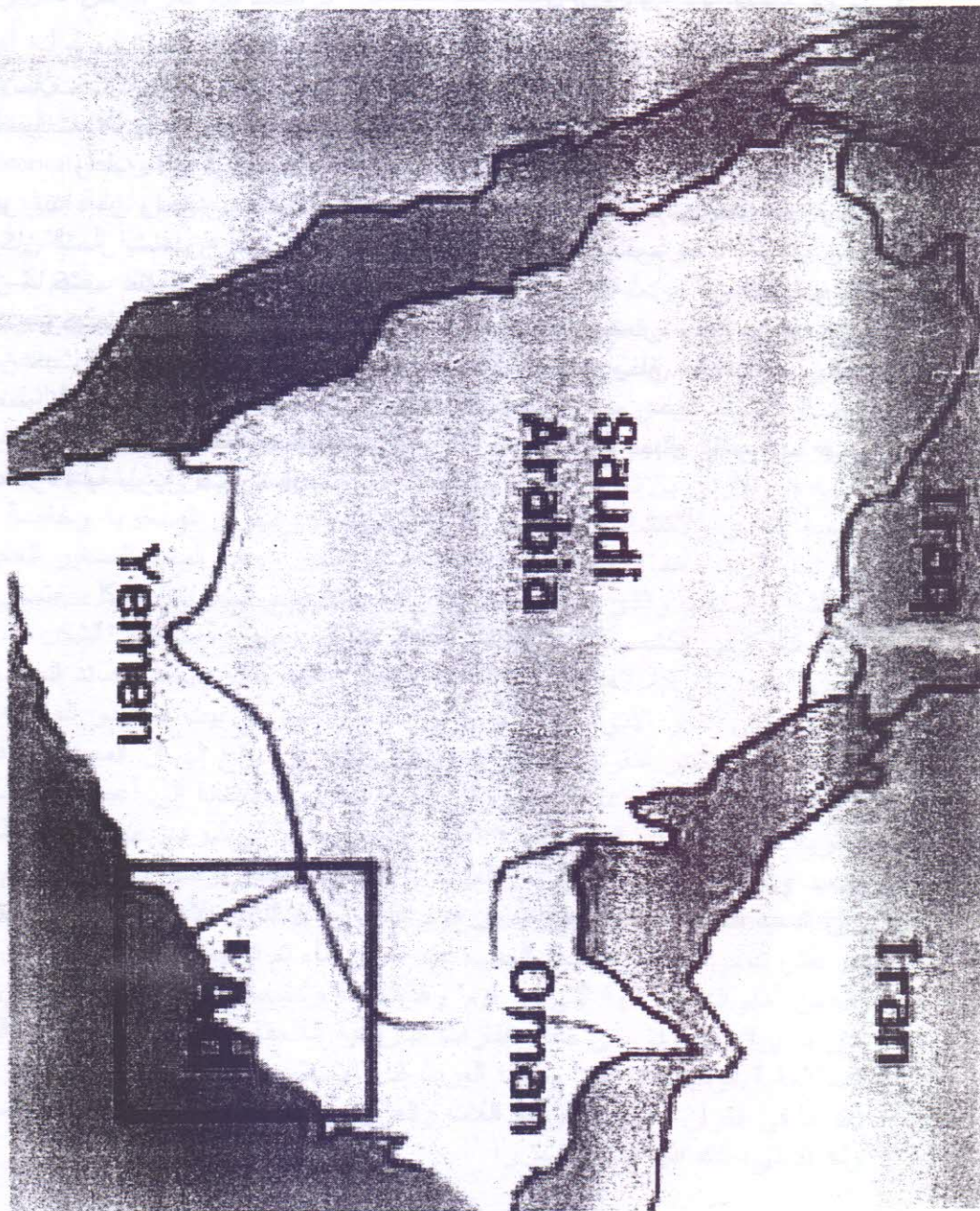
وهكذا فإن انطماس أخبار عاد قد يكون مرده أن الاخلاف أنكروا فعل الأسلاف مما حداهم لإخفاء سيرهم وعدم ذكرها، وبالتالي اندثار أخبارهم، وها هي التنقيبات الأثرية تلقي مزيداً من الضوء في هذا المجال.^{٢٠}

وعليه، فإن الراجح لدى الكُتّاب والمتخصصين وعلماء الآثار أن موضع إرم هو ابتداء من وادي رم باتجاه جنوب جزيرة العرب لما عرف من عمرانه وجناته وكان التجار يشاهدون بقايا أطلال ومتعارف بينهم إنها بقية قوم عاد.^{٢١}

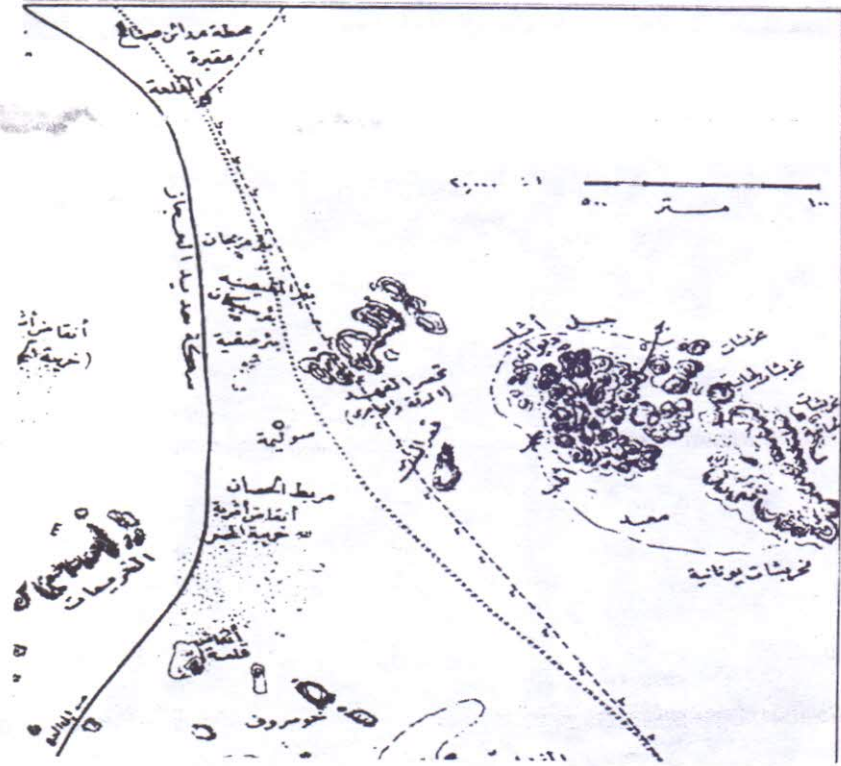
إن ما كشف حتى الآن عن قوم عاد وعن عظمة إرم بحاجة لمزيد من البحث والتنقيب، لكنه يؤكد بشكل واضح ما ذكره القرآن عن وجود هذه الحضارة وعن دورها التاريخي من حيث ذكر القرآن الكريم إرم ذات العماد بقول {التي لم يخلق مثلها في البلاد} ونظرة فاحصة إلى التراكيب الجيولوجية لجبال وادي رم من حيث طبقات الصخور وألوانها المتعددة وارتفاع مستوى جبالها والتي تعرف اليوم بجبال القمر ما هي إلا معجزة وآية طريق التجارة القديمة.

²⁰ جبريل محمد، مدينة المهاجرين ، حضرموت ، ص ٩.

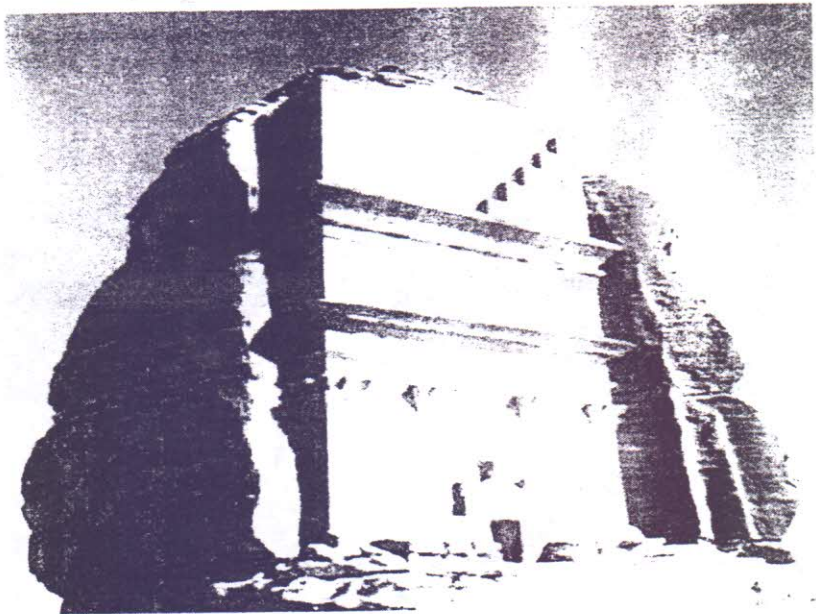
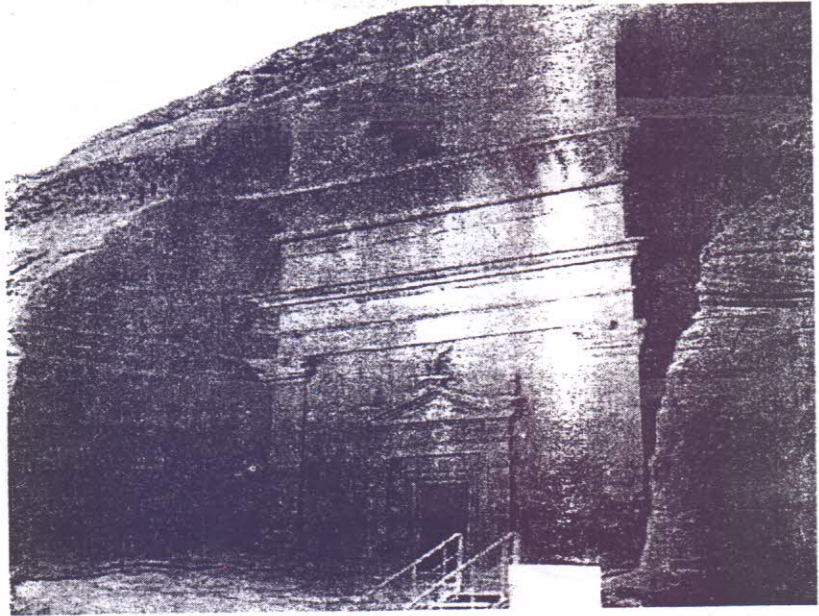
²¹ دوزة محمد عزت، تاريخ الجنس العربي، بيروت، ص ٧٧.



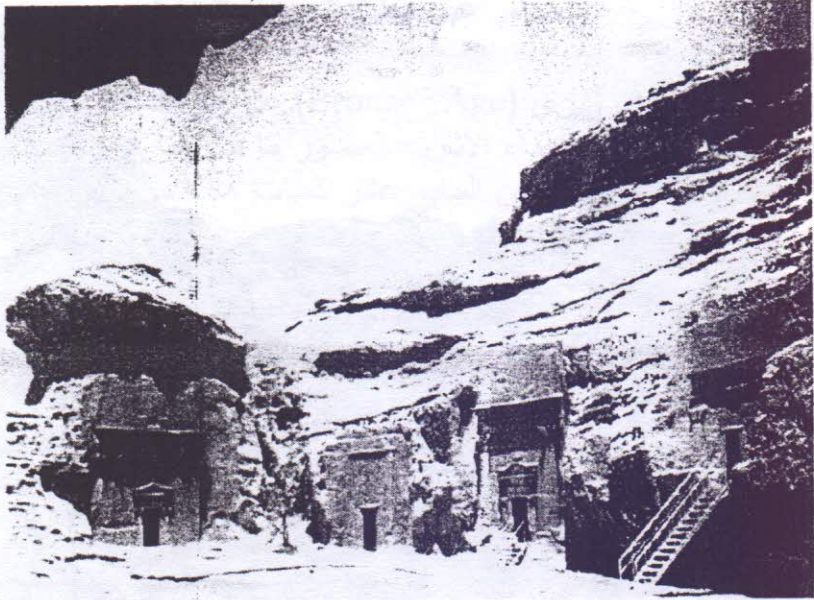
دراسات في آثار الوطن العربي ٨



خرب أثرية في منطقة علا مدائن صالح



دراسات في آثار الوطن العربي ٨





المميزات الحضارية للعصر البرونزي في اليمن القديم

د. منير عبد الجليل العريقي *

مقدمة

يطلق العصر البرونزي (Bronze Age) على مرحلة زمنية محددة وفاصلة مما يعرف - عند علماء الآثار - بعصور ما قبل التاريخ، التي سميت بتلك التسمية بعد أن تجمعت منذ القرن السابع عشر كميات هائلة من الأدوات الحجرية والمعدنية لم يستطع العلماء تفسير وظائفها أو تحديد عمرها والمجتمعات التي خلفتها، وقد كان الأمين المتحف الدنمركي في كوبنهاجن كريستيان تومسون (Ch.Thomson) سبق في تصنيف تلك اللقى في مطلع القرن التاسع عشر ١٨١٦م حسب المادة المصنوعة منها إلى ثلاثة أنواع أدوات حجرية وأدوات برونزية وأدوات حديدية، مما أدى إلى وضع نظام العصور الثلاثة مرتبة بحسب القدم العصر الحجري والعصر البرونزي والعصر الحديدي^١.

وقد أطلق على العصر البرونزي تلك التسمية نسبة إلى معدن البرونز الذي استخدم في صناعة الأدوات والأسلحة وهو عبارة عن سبيكة من معدنين هما النحاس والقصدير^٢، وهذه فيها مبالغة كبيرة، لأن المعثورات واللقى الأثرية التي عثر عليها في عدد من المواقع التي تعود إلى ذلك العصر لاسيما في مناطق الشرق الأدنى القديم، ومنها اليمن، كانت قليلة بل ونادرة، مما يقلل من فكرة استخدام البرونز بشكل واسع بوصفه مادة أساسية في صناعة الأدوات وخاصة في بداية ذلك العصر.

ويؤكد ذلك أن الأدوات المصنوعة من الحجارة بمختلف أنواعها ظلت تستعمل على نطاق واسع في مناطق مختلفة، ولمدة طويلة بعد اكتشاف ذلك المعدن^٣. وقد تبع ذلك التقسيم غالبية علماء الآثار المهتمين بدراسة عصور ما قبل التاريخ على الرغم من علته، وعلى الرغم من أن التقسيم وضع على أساس قدم استخدام تلك الخامات الثلاثة من قبل الإنسان في صناعة أدواته من الأقدم إلى الأحدث إلا أنه لا يقدم تسلسلاً زمنياً دقيقاً لتلك العصور، ولا يضع فواصل ظاهرة بينها، أو تحديد بدايتها ونهايتها بشكل دقيق، كما أن هناك بعض الخامات التي استخدمت في صناعة الأدوات في تلك العصور لم تدخل ضمن ذلك التقسيم.

ويأتي هذا العصر بعد العصر الحجري الحديث (Neolithic) بحسب ترتيب عصور ما قبل التاريخ وخاصة ما يعرف بالعصر الحجري الحديث النحاسي (Cacolithic) إلا أن هناك تبايناً في بدايته الزمنية من منطقة حضارية إلى أخرى

* أستاذ الآثار القديمة - جامعة إب - اليمن

^١ محسن، سلطان - عصور ما قبل التاريخ، ١٩٩٠م، ص ٧٤-٧٥

^٢ Sidqi, Kamal Archaeological Glossary 1987, P 69

^٣ كوتريل، ليونارد الموسوعة الأثرية، ١٩٩٧م، ص ١٦٣

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

في العالم القديم اعتماداً على السبق في الوصول إلى المدنية أو التقدم الذي وصلت إليه هذه المنطقة أو تلك، فحين بدأ في بلاد ما بين النهرين، وبعض مناطق الشرق الأدنى القديم وآسيا الصغرى في حوالي منتصف الألف الرابع ق.م تأخرت بدايته كثيراً في بريطانيا مثلاً إلى ٩٠٠ ق.م^٤. وقد أخذ ذلك الأمر اعتماداً على استخدام خام البرونز في صناعة الأدوات دون الأخذ بعين الاعتبار الإنجازات الحضارية في الجوانب الأخرى.

ومن خلال دراسة المميزات الحضارية التي تميز بها ذلك العصر في منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة ابتكار الكتابة في العراق القديم، فإنه لا يمكن إدراجه ضمن عصور ما قبل التاريخ (أو ما قبل الكتابة) لأن الكتابة قد ابتكرت فيه وبالتالي انتفت عنه صفة عصور ما قبل التاريخ.

وكان لتباين بداية ذلك العصر من منطقة حضارية إلى أخرى في الشرق الأدنى القديم نفسه، أثراً في اختلاف الإنجازات الحضارية لكل منطقة من خلال مدى التقدم الذي وصلت إليه، فبينما ظهر في العراق ما يسمى بعصر السلالات الباكرا، أطلق على تلك المرحلة في بلاد الشام العصر البرونزي بتفرعاته القديم والوسيط والحديث أو المتأخر^٥. واختلف الأمر في مصر حيث تم توحيد الوجهين البحري والقبلي، وظهرت الدولة القديمة التي حكم فيها ما يسمى بالأسرات من الأولى حتى السادسة^٦ وأطلق عليه في العصر البرونزي وهو محل هذه الدراسة.

على أن دراسة المميزات الحضارية للعصر البرونزي بمنهج الدراسة المقارنة بين المناطق الحضارية في الشرق الأدنى القديم يكتنفه كثير من الصعوبات بسبب تقدم الدراسات الأثرية المنهجية في منطقة حضارية دون الأخرى، فقد بدأت تلك الدراسات في بعض المناطق منذ وقت مبكر كما في بلاد الشام ولم تبدأ إلا في وقت قريب في جنوب الجزيرة العربية (اليمن)^٧ الأمر الذي أدى إلى تفاوت في المعلومات التي تم الحصول عليها من خلال التنقيب الأثري.

ونجد أن الدراسات والتنقيبات الأثرية التي تمت في كل من فلسطين والأردن وهي من بلاد الشام سمحت للباحثين والآثريين بتكوين تصور مفصل عن ذلك العصر وتقسيماته التاريخية ومميزاته الحضارية من جوانب مختلفة مثل العمارة والفخار والصناعات والنظام السياسي، وبلغ الأمر الخروج بتقسيم ذلك العصر على

٤ كوتريل، ليونارد المرجع السابق، ص ١٦٣

٥ محيسن، سلطان آثار الوطن العربي (الآثار الشرقية) ١٩٨٨/١٩٨٩م، ص ١٢٠

٦ عصفور، محمد أبو المحاسن معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٩٦

٧ انظر تاريخ الكشف عن آثار العصر البرونزي أدناه

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

أكثر من مرحلة يفصل بينها بضع سنين فقط ، حيث يقسم على ثلاثة أقسام يحوي كل قسم عدد من المراحل على النحو الآتي:-

العصر البرونزي المبكر (Early Bronze) ٣٢٠٠-٢٠٠٠ ق.م

المرحلة الأولى EBI ٣٢٠٠-٢٩٠٠ ق.م

الثانية EBII ٢٩٠٠-٢٧٠٠ ق.م

الثالثة EBIII ٢٧٠٠-٢٣٠٠ ق.م

الرابعة EBIII ٢٣٠٠-٢٠٠٠ ق.م

العصر البرونزي الوسيط (Middle Bronze) ٢٠٠٠-١٥٥٠ ق.م

المرحلة الأولى MBI ٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م

الثانية MBII ١٨٠٠-١٥٥٠ ق.م

العصر البرونزي المتأخر (Late Bronze) ١٥٥٠-١٢٠٠ ق.م

المرحلة الأولى LBI ١٥٥٠-١٤٠٠ ق.م

المرحلة الثانية LBII ١٤٠٠-١٢٠٠ ق.م

ويُظهر ذلك مدى ما توصل إليه الأثاريون من تفاصيل وتباين حول مميزات ذلك العصر المنذرة الحضارية، بعكس الحال في مناطق الشرق الأوسط ومنها اليمن والجزيرة العربية ما زال يدرس بشكل مجمل ، ولم تعرف عنه سوى عمومياته مثل بدايته في نهاية الألف الرابع ونهايته في نهاية الألف الثاني دون الخوض في التفاصيل الدقيقة أو الجمع بين ما تم العثور عليه من أعمال بعثات التنقيب في المناطق التي تم الكشف فيها عن بقايا وآثار الإنسان الذي عاش في ذلك العصر.

بينما ارتبط شرق الجزيرة العربية حضارياً في ذلك العصر بمنطقة بلاد الرافدين، فقد عثر على عدد من المواقع في كل من دولة الإمارات العربية المتحدة والبحرين والكويت، دلت الدراسات على التأثيرات القوية لتلك الحضارة في جوانب مختلفة مثل العمارة والفخار والأدوات الحجرية والبرونزية، مما يؤكد التواصل الحضاري بين المنطقتين الحضاريتين، حيث أدى الاهتمام بدراسة آثار ذلك العصر في شرق الجزيرة العربية إلى معرفة معلومات حضارية مهمة حول طرز العمارة وعادات الدفن ، وأصل العنصر الذي سكن في تلك المنطقة، ودلت الاكتشافات على الكثافة السكانية العالية في ذلك العصر، حيث صنع فيه الإنسان أدواته من الحجر

٨ ياسين، خير نمر جنوبي بلاد الشام تاريخه وآثاره في العصور البرونزية، ص ٩؛

وكذلك، كفاي، زيدان عبد الكافي مدخل إلى علم الآثار ٢٠٠٤م، ص ١٤٥

والنحاس واستعمل الفخار كما مارس الصيد والتجارة البرية والبحرية إلى جانب ممارسته للزراعة في بعض المناطق^٩.

وتتبع أهمية دراسة المميزات الحضارية للعصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص في اليمن القديم من أن المعلومات والاكتشافات الأثرية التي تتناول تلك المرحلة الحضارية ظلت لمدة طويلة نادرة وتكاد تكون معدومة، كما أن الإطار الزمني لذلك العصر يغطي المرحلة التي تناولها عدد كبير من علماء اللغات السامية والآثار المهتمين بدراسة حضارة اليمن القديم على أنها تمثل فجوة حضارية (ثقافية) أو استيطانية (كانت فيها اليمن خالية من السكنى) انقطع فيها التسلسل (التطور) الحضاري^{١٠}.

ونحاول من خلال هذه الدراسة تناول تلك المرحلة الحضارية والزمنية المهمة من حضارة جنوب الجزيرة العربية، وإيضاح ما وصل إليه سكان تلك المنطقة من تقدم وازدهار في الجوانب الحضارية المختلفة مثل العمارة بمختلف وظائفها والصناعات والفنون والمعتقدات الدينية وعادات الدفن والتطور في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، ومحاولة مقارنتها بمثيلاتها في بلدان الشرق الأدنى القديم الأخرى، اعتماداً على آخر نتائج التنقيبات الأثرية من فبل بعثات التنقيب الأثرية الأجنبية والمحلية التي نقتبت في عدد من المواقع التي تعود إلى ذلك العصر في

الكشف عن آثار العصر البرونزي في اليمن

يعود الفضل في الكشف عن آثار العصر البرونزي بالطرق العلمية المنهجية في اليمن إلى البعثة الأثرية الإيطالية العاملة في اليمن برئاسة إليساندرو دي ميغريه (DeMaigret.A) وذلك أثناء المسح الأثري الذي قامت به عام ١٩٨١م في المنطقة الواقعة بين صنعاء ومأرب، إذ تتبع جغرافياً الإطار الحضاري للمنطقة التي ازدهرت فيها مملكة سبأ لاحقاً، حيث تم العثور على موقع متكامل في منطقة خولان الطيال (وادي يناعم) (شكل ١) وتبين من خلال التحريات الأثرية أنه يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد اعتبر آنذاك من أهم المواقع التي تعود إلى تلك العصور في جنوب الجزيرة العربية^{١١}.

^٩ الطابور عبد الله علي جلفار عبر التاريخ. ٢٠٠٣م، ص ١٢٩، ١٣١؛ وكذلك طه، منير يوسف اكتشاف العصر الحديدي في دولة الإمارات العربية المتحدة. ١٩٨٩م، ص ١٦؛ ١٥٤-١٦٨

^{١٠} أنظر لذلك: Sauer, James; Blakely, Jeffrey Archaeology along the Spice Rout of Yemen. 1988, P100

وكذلك غالب، عبده عثمان نظريات الفجوة الثقافية والاستيطان الحضري في اليمن القديم. التاريخ والآثار، عدد (٢٠٣) ١٩٩٣-١٩٩٤م، ص ٤-١٩

^{١١} De Maigret, Alessandro A bronze Age for Southern Arabia. East and West. Vol. (34) No. 1-3 1984, P 75

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

وقد تم التنقيب في الموقع وظهر أنه يعود إلى العصر البرونزي، ويغطي من خلال الإطار الزمني مرحلة مهمة تمتد من نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر الحديدي الذي ازدهرت فيه الممالك اليمنية القديمة، وأصبح ذلك الموقع مثالا لمواقع ذلك العصر في مناطق المرتفعات اليمنية. حيث توالت الاكتشافات لعدد من المواقع في المرتفعات التي تقع في المنطقة الواقعة بين محافظتي صنعاء ودمار، في الإطار الجغرافي لمنطقتي خولان والحذاء، وهي منطقة يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠-٢٣٠٠م عن مستوى سطح البحر، وقد تبين أنها مشابهة من حيث المميزات الحضارية لمواقع وادي بناع. بالإضافة إلى مواقع أخرى في منطقة بديدة بالقرب من صرواح في محافظة مأرب، وفي المنطقة الواقعة في وادي الجوف (وادي حراب)، وعلى المرتفع الجبلي القريب من صنعاء مثل منطقة حضور همدان وريدة (بيت مجلي) ^{١٢}.

ودلت أعمال التنقيب الأثري التي تمت إلى الجنوب من صنعاء، وعلى وجه الخصوص في محافظة ذمار على وجود عدد كبير من المواقع التي تعود إلى العصر البرونزي، في منطقة ما يسمى قاع ذمار، حيث تبين أن أغلبها يتمركز في السهل الواسع أو على قمم الهضاب الحجرية المطلة على القيعان، وقد اختلفت من حيث المساحة من موقع لآخر، ومن أهم تلك المواقع: موقع السيال، وحمّة القاع، ومدينة البلد، وخرية أبيق، وراجر، في المنطفة الواقعة شرق قاع جهران، بالإضافة إلى تلك التي عثر عليها في قاع شرعة، وبني عبد الله، وباب الفلك، وتألبة، وسدأضرعة، وهكر، حيث بلغ عددها ١٨٥ موقعا، اتضح من خلال المسح والتنقيب الأثري أنها تغطي المرحلة الزمنية التي تمتد من نهاية الألف الرابع إلى نهاية الألف الثاني ق.م، وأطلق عليها مدن العصر البرونزي حيث حملت عددا من المميزات الحضارية المتشابهة في جوانب مختلفة مثل العمارة وأسلوب التحصين والإنتاج الاقتصادي ^{١٣}.

كما تم العثور أيضا على عدد من المواقع من قبل البعثتين الأثريتين الفرنسية والأمريكية في منطقة شبوة إلى الشرق من اليمن ^{١٤}، ومواقع أخرى في

¹² أيدينز، كريستوفر؛ وبلكنسن، ت. ج جنوب الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث (الهولوسيني)، في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، ٢٠٠١م ص ٢٣-٢٤؛ وكذلك : De Maigret, Alessandro Ibid. P77 ميجريه، إيساندرو عصر البرونز في مناطق المرتفعات. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ١٩٩٩، ص ٣٤

¹³ Wilkinson, T,J &Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project 1996-1997 ou.uchicago.edu Gibson, M, & Wilkinson, T, J Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project. 1994 - 1995 ou.uchicago.edu

¹⁴ أيدينز، كريستوفر؛ وبلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٢٣

محافظة صعدة ، ومنطقة رملة السبعين (مفازة صيهده) في محافظة مأرب ، حيث تم الكشف عن عدد من مواقع الدفن (الجبانات) التي تحوي عدداً من النصب الحجرية^{١٥} .

ولم يقتصر وجود مواقع العصر البرونزي على مناطق المرتفعات اليمنية، والهضبة الشرقية، بل انتشرت لتشمل المناطق الساحلية سواء تلك التي تطل على ساحل البحر الأحمر أو البحر العربي ، وهو أمر يدل على المساحة الجغرافية الكبيرة التي تشغلها ، ويدل من جهة أخرى على التفاعل الحضاري وتطور المجتمعات في العصور التي سبقت ازدهار الممالك اليمنية القديمة فيما يسمى بالعصر الحديدي. فقد عثر على ثقافة متكاملة للعصر البرونزي في المناطق التي تطل على ساحل البحر العربي، سميت ثقافة صبر - نسبة للموقع الذي كشف فيه عن آثارها ويحمل نفس الاسم في محافظة لحج- امتد تأثيرها إلى ساحل البحر الأحمر. والموقع عبارة عن مدينة تضم مجتمع متكامل ومتجانس بلغ مرحلة متقدمة من التطور الاقتصادي والاجتماعي، وشمل إطاره الزمني الألف الثاني ق.م^{١٦} كما تعددت مواقع ذلك العصر على ساحل البحر الأحمر (سهل تهامة) ودلت على وجود مجتمعات مزدهرة من جوانب مختلفة، في مقدمتها الجانب الاقتصادي، وعثر على عدد من المواقع انتشرت على امتداد ٥٠٠ كم من المنطقة التي تبدأ موقع سيهي بالقرب من حدود المملكة العربية السعودية شمالاً والذي عرف على أنه موقع لصيادي الصدف- وتنتهي عند مضيق باب المندب، وتمتد على دلتا محافظة أبين على ساحل البحر العربي^{١٧} وما زالت الاكتشافات والتنقيبات الأثرية التي يقوم بها عدد من بعثات التنقيب العاملة في اليمن تميظ اللثام عن عدد المواقع حتى إعداد هذه الدراسة.

المميزات الحضارية للعصر البرونزي المناخ

للتغيرات المناخية أثراً مهماً في تشكيل مميزات عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية على حد سواء ومنها العصر البرونزي، ليس في اليمن فقط ولكن في جميع المناطق التي ازدهرت فيها الحضارات القديمة. وتعد التغيرات المناخية عوامل مؤثرة على مميزات كل عصر من خلال ظهوره وانتهائه ، كما أنها تشكل ملامح التطور الاقتصادي وما يتفرع منه من

^{١٥} هربية، تارا ستيمر النصب الحجرية في اليمن. حوليات يمنية ، عدد(١) ٢٠٠٢م ، ص ٣٩

^{١٦} فوكت ،بوركهارت ؛ وإليكسندر ، سيدوف ثقافة صبر على الشاطئ اليمني. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ١٩٩٩م، ص ٤٢

^{١٧} فوكت بوركهارت ؛ وإليكسندر ، سيدوف المرجع السابق، ص ٤٢

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

نشاط زراعي وبالتالي النشاط التجاري، إلى جانب نمو المجتمعات، وأسلوب حياة الفرد والنمط المعماري.

وقد اختلفت التغيرات المناخية وتأثيراتها في اليمن القديم، في عصور ما قبل التاريخ، بدءاً من العصر الحجري الحديث ومروراً بالعصر البرونزي، من منطقة لأخرى باختلاف تضاريس المنطقة التي ظهرت فيها مواقع ذلك العصر، فهناك مناطق المرتفعات والهضبة الشرقية، إلى جانب المناطق الساحلية سواء تلك التي تطل على ساحل البحر الأحمر أو البحر العربي.

فقد تميزت المستوطنات التي تعود إلى العصر البرونزي في مناطق المرتفعات بأنها تقع من الناحية الجيولوجية في مناطق التعرية الجيولوجية للصخور الرملية للقطاع الكريتاسي المسمى (مجموعة الطويلة) - نسبة إلى المنطقة التي تحمل الاسم نفسه في وقتنا الحالي - والتي تمتد من جبال الطيال على الأراضي المنبسطة لحمم الزمن الرباعي لمنطقة أسبيل في الجنوب. ومعظم هذه المواقع تقع على القاعدة الجرانيتية لما قبل الكمبري على طول حافة الصخور الرسوبية، وتضم الصخور أيضاً قاعدتين جواريسيتين لما يسمى (سلسلة عمران) إلى الشمال من منطقة سُحمان في العرقوب وضلاع الأعماس وبني بخيت إلى الجنوب^{١٨}.

وكان التغيرات المناخية التي حدثت في نهاية العصر الحجري الحديث الذي يمتد من ٧٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م إسهام كبير في تفضيل استيطان بعض مناطق المرتفعات عن غيرها من مواقع مناطق السهول الشرقية أو السهول الساحلية. فقد أثبتت الدراسات أن العصر الحجري الحديث مثل مرحلة رطبة في جنوب غرب الجزيرة العربية بشكل عام، وعاصرت تلك المرحلة ما يسمى بعصر الهولوسين الوسيط، بينما تميزت بداية العصر البرونزي في مناطق المرتفعات بضعف في الرياح الموسمية مما أدى إلى نقص تدريجي في كميات الأمطار في المرحلة التي تمتد بين ٣٠٠٠ - ١٧٠٠ ق.م^{١٩} وقد أثر ذلك في تشكيل سمات حياة الإنسان الذي عاش في تلك المناطق بمميزات مختلفة أهمها اختيار مواقع المستوطنات في المناطق القريبة من مصادر مياه السيول الناتجة عن الأمطار للاستفادة منها.

وكان المناخ لا يزال حاراً رطباً حتى منتصف الألف الرابع ق.م حيث بدأ يميل بشكل تدريجي نحو الجفاف، مما أدى إلى زيادة مساحة الأراضي غير الصالحة للزراعة بسبب جفاف الوديان وتكون الكثبان الرملية وخاصة في منطقة الهضبة الشرقية وحواف الربع الخالي والمناطق الساحلية، بحيث حدثت تغيرات سكانية هامة تمثلت بهجران عدد من المواقع التي تقع في تلك المناطق، بعد أن أصبحت غير صالحة للسكنى في نهاية العصر الحجري الحديث، وبالعكس

أصبحت مناطق المرتفعات أكثر ملائمة للسكن بسبب استمرار المناخ الرطب فيها وبالتالي توفر العوامل الاقتصادية التي تساعد على استمرار الحياة كعيش أنواع مختلفة من الحيوانات وفي مقدمتها الماعز والأغنام والأبقار والخنزير والوعل، بالإضافة إلى نمو النباتات والأعشاب والحشائش، وزراعة محاصيل الحبوب^{٢٠}.

ويرجح أن استمرار المناخ الرطب منذ بداية العصر البرونزي في مناطق المرتفعات وخاصة مناطق خولان (وادي يناعم) والمناطق المجاورة لها، قد أدى إلى نمو عدد كبير من المستوطنات المشابهة لموقع خولان، فقد عثر على أكثر من (٢٥) موقع في المنطقة الواقعة بين الأعروش والعرقوب - ضمن الإطار الجغرافي لمنطقة خولان - أثبتت الدراسات الأثرية أنها تعود إلي نفس مرحلة وثقافة موقع وادي يناعم. وهناك دلائل على التنوع في اختيار المواقع الصالحة للسكن في تلك المنطقة، إلا أن أغلبها وجد على جوانب ومدرجات الأودية، حيث لم يعثر على نفس الكثافة السكانية في المناطق المنبسطة التي تقع أسفل ذلك^{٢١} مما يدل على تخصيص تلك المناطق المنبسطة للنشاطات الاقتصادية وفي مقدمتها الزراعة.

وقد تغيرت الظروف المناخية في منطقة خولان في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ومالت نحو الجفاف، بسبب ضعف الرياح الموسمية وبالتالي قلّة هطول الأمطار، مما أدى إلى اندثار عدد من المستوطنات في المنطقة. وعضاً من تلك بدأت بعض المستوطنات في المدن الصغيرة تنمو بسبب مضردها إلى الجنوب من منطقة خولان وخاصة تلك الموجودة في - محافظة ذمار - بسبب استمرار الظروف الملائمة للحياة، حيث ازدهرت وارتقت لتصل إلى مرحلة المجتمعات الكبيرة لما يعرف بمستوطنات ما قبل المدينة Proto-Town إذ كيف الإنسان نفسه مع البيئة التي يعيش فيها وابتكر طرق للري والزراعة^{٢٢}.

وتميزت مستوطنات العصر البرونزي في تلك المنطقة بكبر مساحتها إذ تراوحت بين ٥-٦ هكتار وبلغ فيها الإنسان درجة متقدمة من التنظيم الاجتماعي مقارنة بتلك الموجودة في خولان. ويمكن مقارنة مساحة مستوطنات ذمار ونوعية المباني التي عثر عليها فيها بتلك التي عثر عليها في منطقة الحلبة (وادي قانية وردمان) في مأرب، وأرخت للفترة بين ٣٢٠٠-٢٩٨٥ ق.م^{٢٣} مما يدل على أن المستوطنات التي وجدت في منطقة وادي قانية وردمان أقدم من تلك التي عثر

٢٠ غالب ، عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي في اليمن. مجلة المسند ، عدد (١) مجلد (١)، ٢٠٠٢، ص ٩

٢١ De Maigret. Alessandro Op. Cit. P80

٢٢ Op. Cit, Wilkinson, T,J & Gibson, M 1996-1997

٢٣ ويلكنسن، ت.ج؛ ايدنيز، ك؛ غيبسن، م آثار المرتفعات اليمنية. في كتاب، دراسات في الآثار اليمنية ٢٠٠١م ، ص ١٣٤

دراسات في آثار الوطن العربي ١

عليها في دمار التي تعود إلى بداية الألف الثاني، ويرجح أن التغيرات المناخية قد أدت إلى تحول في مراكز الكثافة السكانية نحو الجنوب في دمار.

وقد أثبتت دراسة المناخ السائد خلال العصر البرونزي أنه كلما تم الاتجاه إلى الجنوب من منطقة خولان زادت نسبة هطول المطار وخاصة في محافظتي دمار وأب ، وبالتالي زادت ملائمة الظروف البيئية لإنتاج المواد الغذائية وأصبحت السهول الموجودة في تلك المناطق مكاناً ملائماً لتكاثر الحيوانات الداجنة مثل الأغنام والمواشي^{٢٤} التي مثلت جزءاً من اقتصاديات إنسان ذلك العصر ومصدراً من مصادر طعامه.

وكما كان للتغيرات المناخية في مناطق المرتفعات أثراً في بديهة ذلك العصر من خلال تحديد مناطق الاستيطان فيه، كان لها أيضاً أثراً في بلورت نهايته، حيث مال المناخ نحو الجفاف تدريجياً وخاصة في منطقة خولان وما جاورها، فقل استغلال الإنسان لما تبقى من مياه الأمطار التي تسيل في الوديان الموجودة في المنطقة، على الرغم من محاولته التكيف مع الظروف الجديدة من خلال بناء السدود والحواجز المائية التي عثر على بقايا أحدها في موقع وادي النجد الذي صمم ليعترض السيول المارة في الوادي، إلا أن الترسبات تراكمت خلفه وأدت إلى انفجاره ونهاية ثقافة العصر البرونزي في المنطقة. من جانب سبران أنماط موجودة في منطقة غرب الأعروش^{٢٥} وأنتقل مركز النقل الحضاري إلى السهل الشرقي في المنطقة الواقعة على حافة الربع الخالي الجنوبية، حيث تراكمت الخبرات واستطاع الإنسان أن يستغل سيول المطار بشكل أمثل، من خلال ظهور السدود في مراحلها النهائية في العصر الحديدي وازدهار الممالك اليمنية القديمة على ضفاف الأودية في تلك المنطقة.

وفي المنطقة الشرقية من اليمن وخاصة حضرموت التي تحوي تضاريس مختلفة، أثرت الظروف المناخية على طبيعة الاستيطان، فهناك مرتفعات الجول إلى جانب الأودية ومجاري المياه الكبيرة مثل وادي حضرموت الذي يمتد أكثر من ٩٦ كم . فقد مال المناخ في مناطق الجول نحو الجفاف والتصحر تدريجياً مما جعلها غير صالحة للسكنى، واستمرت الظروف المناخية ملائمة في مناطق وادي حضرموت وعلى ضفاف منحدراته في الفترة الممتدة من العصر الحجري الحديث حتى العصر البرونزي، وبالتالي تتابع سكناه خلال تلك العصور واكتساب الإنسان للخبرات الزراعية واستخدام أساليب الري على الرغم من بدايته^{٢٦}.

24 أيدينز ، كرسنوفر ؛ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٢٨-٢٩

25 De Maigret. Alessandro Op. Cit, P 105

26 فوكت، بوركهارت نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ١٩٩٢م، ص ٣٠:٣٢

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

بينما تميزت مواقع العصر البرونزي في المناطق الساحلية من الناحية المناخية بتأثرها بالظروف المناخية الساحلية التي تميز بها ساحلا البحر الأحمر والعربي، على الرغم من أن تاريخ المواقع الموجودة في تلك المنطقة متأخر عن مواقع المرتفعات والهضبة الشرقية إذ أنها تغطي الألف الثاني ق.م. وقد تأثرت المواقع الساحلية بمناخ الوسط البحري الواقعة فيه، وبالتالي الثقافات المماثلة الأخرى المجاورة لها والموجودة في أفريقيا، بينما تأثرت مناطق المرتفعات بالوسط القاري والمميزات الموجودة في كل من فلسطين وسوريا^{٢٧}.

التطور الحضاري (طبيعة الاستيطان)

أثرت جغرافية وتضاريس المناطق التي استوطنت في العصر البرونزي في اختيار مناطق السكنى سواء في المرتفعات أو المناطق الساحلية والسهلية، بحيث ظهرت تباينات في مميزات تلك المواقع بسبب تأثيرات البيئة المحلية التي ميزت كل منطقة عن الأخرى.

وقد شملت تلك التباينات مساحة الموقع، وطبيعة النشاط الاقتصادي تبعا لمتطلبات كل منطقة، وأدى ذلك الأمر ببعض الباحثين الذين عملوا في التنقيب في تلك المواقع إلى القول بوجود ثقافات مختلفة ازدهرت في اليمن القديم، وأطلقوا على كل منطقة ظهرت فيها آثار ذلك العصر اسما مختلفا عن المناطق الأخرى. فهناك ثقافة المرتفعات، التي تشمل مرتفعات صنعاء وذمار والمناطق المحيطة بها، وثقافة المناطق الساحلية وتمثلت في موع صبر في محافظة لحج، التي امتد تأثيرها إلى ساحل البحر الأحمر. والسبب في ذلك حسب زعمهم يكمن في عدم وجود اتصالات ثقافية بين تلك المناطق، وبالتالي انعدام التفاعل الحضاري بينها، على الرغم من ازدهارها في مراحل زمنية متقاربة^{٢٨}.

ومن خلال الدراسة المنهجية للمميزات الحضارية لكل منطقة من تلك المناطق يتبين التجانس الحضاري بينها من جوانب مختلفة، مثل طبيعة النشأة والتطور وكذلك العمارة وبعض جوانب النشاط الاقتصادي، ولم تكن تلك التباينات الطفيفة إلا عبارة عن تمايزات أملت تأثيرات محلية لكل منطقة، بالإضافة إلى أن ذلك التقسيم لم يأخذ بالإطار الزمني الذي ظهر فيه العصر البرونزي في كل منطقة، حيث بدأ في مناطق المرتفعات مبكرا عن تلك التي ظهر فيها في المناطق الساحلية^{٢٩}.

٢٧ دي ميغريه، إيساندزو عصر البرونز، مرجع سابق، ص ٣٤

٢٨ فوكت، بوركهات صبر. مدينة من نهاية الألف الثاني خلف منطقة عدن، ١٩٩٩م ص ٤٧؛

وكذلك فوكت بوركهات؛ وإليكسندر، سيدوف مرجع السابق، ص ٤٤

٢٩ انظر الإطار الزمني أدناه

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

وقد اختيرت مواقع مستوطنات العصر البرونزي في مناطق المرتفعات بعناية بحيث كان يراعى فيها عدة عوامل منها:-

- ١- المكان الاستراتيجي المسيطر على المناطق المحيطة به وخاصة الزراعية.
- ٢- توفر مواد البناء اللازمة لبناء المستوطنة.
- ٣- المكان المحصن طبيعياً، مع إمكانية تحصينه صناعياً من قبل الإنسان ، حتى يتم الدفاع عنه عند الحاجة.
- ٤- وفرة المياه اللازمة لحياة الإنسان^{٣٠}

وتقسم مواقع العصر البرونزي من حيث المساحة على نوعين :-

- ١- مواقع صغيرة. تبلغ مساحتها هكتار واحد أو أقل
 - ٢- مواقع كبيرة، تتراوح مساحتها بين ٢-٥ هكتار
- ويرجع ذلك الاختلاف في المساحة إلى طبيعة المواقع التي بني فيها كل نوع، بالإضافة إلى تطور المواقع الصغيرة إلى مواقع كبيرة في بعض المناطق، فقد وجدت مستوطنات كبيرة المساحة في مناطق فسيحة على طول الأودية في أماكن معلومة الحدود، ومن أهم مواقع النوع الثاني: حمة القاع (DS101)، (DS45) في (قاع شرعة) و(الحذاء) في (ذمار)، وموقع (إه ادي المضبة) في منطقة (ردمان) ، وموقع (نجد جبر) في منطقة (بدبدة) في (مأرب) بالإضافة إلى مواقع (خراب المجير) و(خربة السد) و(سمد) في (حضور همدان) ومواقع (وادي يناعم) و(النجد الأبيض) و(المسنة) في (خولان)، ويبدو أن هذا النوع قد ارتبط بالوظيفة التي كان يقوم بها والمتمثلة بالاستثمار الزراعي في المناطق التي وجدت فيها^{٣١}.

غير أن بعض المستوطنات الكبيرة التي تتبع النوع الثاني ، وخاصة تلك الموجودة في سهل ذمار تراوحت مساحتها بين ٤-٥ هكتار واحتوت على عدد كبير من المباني كما أن بعضها أحيط بسور مثل حمة القاع وموقع (DS66) وهناك دلائل على أن بعضها شكل ما يمكن اعتباره مستوطنات مركزية كبيرة تسيطر على مراكز سكنى ثانوية أقل كثافة تقع بالقرب منها^{٣٢}، بينما تميزت المواقع ذات المساحات الصغيرة بأنها متفرقة وغير منتظمة.

ومن خلال المقارنة بين النوعين السابقين من حيث المساحة والشكل العام والجانب المعماري يتضح أن المواقع كبيرة المساحة عبارة عن قرى توزعت على سفوح الجبال ومداخل الأودية الخصبة بالقرب من الحقول الزراعية التي مثلت

³⁰ De Maigret. Alessandro Op. Cit, P 80 ؛ وكذلك ؛ دي مجريه، إيساندرو عصر البرونز ، مرجع سابق ، ص ٣٦-٣٧

³¹ غالب ، عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٠-١١؛ وكذلك De Maigret. Alessandro Ibid. P80

³² Op. Cit, 1996-1997 Wilkinson, T, J & Gibson, M

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

مجال النشاط الاقتصادي، حيث ازدهرت لتصبح مراكز إدارية واقتصادية وسياسية^{٣٣} تميزت بنظام حضاري متكامل ومجتمعات متطورة.

ويرجح أن التحول من القرية إلى المدينة قد تم في هذا العصر، حيث يطلق الباحثون على مواقع هذا العصر تسميات مثل قرى ومدن العصر البرونزي في الوقت نفسه، كما وصفت بعض المواقع بأنها قرى صغيرة، بينما شكلت مواقع أخرى مدن كبيرة مثل هواجر (DS293) في قاع جهران (نمار) التي بلغت مساحتها ١٥ هكتار واعتبرت من أكبر المدن التي تعود إلى ذلك العصر على الرغم من أنها تعود من حيث الإطار الزمني إلى نهايته حيث أرخت إلى نهاية الألف الثاني ق.م.^{٣٤}

إن كثرة عدد القرى الزراعية التي تطورت إلى مدن كبيرة في مناطق المرتفعات اليمينية يدل على النشاط الحضاري الكثيف في تلك المنطقة، وهو أمر كان غير معروف في الدراسات الأثرية الخاصة بعصور ما قبل التاريخ في اليمن، مما أدى إلى القول بعدم وجود قرى زراعية ومدن صغيرة^{٣٥} أسوة بما هو معروف في مناطق الشرق الأدنى القديم مثل بلاد الشام والأناضول حيث عد ذلك فارقاً واضحاً بين المنطقتين.

وبالنسبة فإن الكشف عن تلك القرى والمدن يسبب انجواء المعرفية حول تلك المرحلة الزمنية في اليمن القديم، ويؤكد ذلك تزايد الاكتشافات الأثرية في السنوات الأخيرة لتلك النوعية من المواقع وتنامي عددها لتشكل ظاهرة كانت غير معروفة في السنوات الماضية.

وبمقارنة تلك القرى والمدن الموجودة في مناطق المرتفعات بتلك الموجودة في المناطق الساحلية مثل موقع صبر، نجد أن البيئة المحلية قد أثرت في نوعية النشاط الاقتصادي وفي التسمية، حيث اختلف نشاطها الاقتصادي إذ اعتمد على صناعة الفخار وتجارته مع الساحل الإفريقي للبحر الأحمر.

العمارة

يمثل التطور المعماري أحد جوانب الازدهار الحضاري في قرى ومدن العصر البرونزي في اليمن القديم، لأن الشواهد المعمارية التي تعود إلى العصر السابق له والمقصود به العصر الحجري الحديث (Neolithic) تنحصر في بعض البقايا المعمارية التي لا تزيد عن كونها بقايا لمنازل فردية سكنتها أسرة واحدة، أو

³³ غالب، عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٠-١١؛ غالب

عبده عثمان نظريات الفجوة الثقافية مرجع سابق، ص ١٠-١١

³⁴ Wilkinson, T.J Project for The Archaeology of Yemeni Terraced Agriculture 1999-2000 Annual Report. ou.uchicago.edu

³⁵ أنظر مثلاً : كفاي، زيدان عبد الكافي مواقع وأدوات من العصور الحجرية في اليمن. المسند، عدد ١، مجلد ١، ٢٠٠١م ص ٤٥

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

جدران لبقايا تلك المنازل، بالإضافة إلى قرى بدائية تم التعرف إليها من خلال المعثورات الأثرية المتمثلة بالأدوات الصوانية التي استخدمها الإنسان في ذلك العصر، المرتبطة ببعض الشواهد المعمارية، كما في مواقع خولان والأعروش، ووادي العُش، وجبل الأعماس والنجد الأبيض ووادي الثيلة، وبني صُبلح وسُهمان العمرة، وجبل العرقوب وبعض المواقع التي عثر عليها في الهضبة الشرقية وساحل البحر الأحمر^{٣٦}.

ومن خلال دراسة آثار العصر البرونزي يتبين أن أسس ومبادئ العمارة بمختلف وظائفها قد ترسخت في ذلك العصر، وخاصة ما يتعلق بتخطيط القرى والمدن ومكوناتها المعمارية الداخلية من مساكن ومنازل ومباني عامة بالإضافة إلى التحصينات الدفاعية.

ولم يظهر للقرى والمستوطنات التي تعود إلى ذلك العصر شكل هندسي واحد، إذ أن ذلك الأمر لم يكن قد تبلور بعد، حيث يلاحظ من تخطيط المواقع التي تقع في مناطق المرتفعات أن الشكل العام للمستوطنة أخذ شكل تضاريس الموقع نفسه، وأن المباني وزعت تبعاً لذلك، وبحسب الحاجة الوظيفية لكل مجموعة معمارية، وينطبق هذا الأمر على موقع وادي يناعم، والمواقع القريبة منه والتي تتألف من منطقة دائرية للنشاطات المشاعية، أحيطت بصف من المباني والمنازل التي يفطنها المواطنون . غير أن النمط السائد تمثل في الشكل البيضوي أو شبه البيضوي الذي يمكن ملاحظته في مستوطنة حمة القاع (شكل ٢) وخرائب (شكل ٣) في دمار بالإضافة إلى مستوطنات أخرى في حضور همدان وخاصة خرابية السد الذي شغلت مبانيها مساحة ١٨٠×٥٠ م^{٣٧}. وكان لوظيفة المباني وتدرج التنظيم الاجتماعي والحاجة الاقتصادية أثر في توزيعها، الأمر الذي أعطى لتلك المستوطنات التي تسمى بالقرى أو المدن أشكالها التي ثبتت عليها وهي في الغالب ليس لها شكل هندسي محدد، وعلى الرغم من ذلك فقد احتوت على تنظيم متقن ومميزات مشتركة منها:

التحصينات الدفاعية

يمكن القول أن أنظمة التحصينات الدفاعية للقرى والمدن في اليمن القديم قد بدأت في هذا العصر، حيث تبين من خلال التنقيب والدراسات الأثرية لتلك المواقع أن أغلبها قد أحيط بسور دفاعي، أو أنها احتوت على نظام دفاعي بشكل

³⁶ Fedele, Francesco, and Di Mario Archaeological Activates in the Yemen Arab Republic 1984, East and West Vol. 34, No 4, p 435 and Vol. 36, No 4, 1986, p 397

³⁷ De Maigret. Alessandro; et al Archaeological Activates in the Yemen Arab Republic, East and West Vol. 34, No 4, 1984 Pp426-427; De Maigret. Alessandro A Bronze Age, Op. Cit, P73

³⁸ غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان. ١٩٩٣-١٩٩٥م مواقع جديدة من الألف الرابع والثالث ق.م، الإكليل عدد ٢٣، ١٩٩٥، ص ٢١٧-٢١٨

جزئي أو كلي، ويمثل التحصين الدفاعي لموقع حمة القاع (شكل ٤) أنموذجاً للأسوار التي ظهرت في العصر البرونزي، وأرخ إلى نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م حيث بنيت المدينة على هضبة منعزلة (شكل ٥) شديدة الانحدار عند الطرف الشمالي للسهل الموجود في المنطقة، وقد أحيطت بسور بني من كتل حجرية كبيرة الحجم، وكان يتم الدخول إلى المدينة عبر ثلاث بوابات تفتح في ذلك السور، وتبين أن سور المدينة احتوي على أكثر من مرحلة معمارية واستمر استخدامه حتى العصر التاريخي بعد مرحلة هجران تمت في جزء من الألف الثاني ق.م.^{٣٩} كما تشير الدلائل إلى أن موقع السيبال الذي يقع بالقرب من حمة القاع قد أحيط بسور يعود تاريخه إلى الألف الثالث ق.م، حيث عثر على بقاياها وأجزاء منه مازالت ظاهرة فوق سطح الأرض^{٤٠}. وتزداد التحصينات الدفاعية والأسوار حجماً كلما بنيت المستوطنات في مناطق فسيحة، وغير محصنة طبيعياً كما في موقع هواجر (DS293) الذي يقع في قاع جهران في منطقة غير بعيدة عن الموقعين السابقين، حيث أحيطت المدينة بسور خارجي من حجارة كبيرة الحجم^{٤١}.

وقد احتوت مستوطنات العصر البرونزي في منطقة خولان مثل وادي يناعم والنجد الأبيض، وخرابة السد وخرابة المجير في منطقة بددة على أسوار دفاعية مبنية من الحجارة تراوح سمكها بين ١-٥،٥ م، ويمثل سور مستوطنة خراب المجير أنموذجاً للتحصين الدفاعي في تلك المنطقة حيث تميز بالضخامة من خلال بنائه بحجارة كبيرة الحجم، إذ تراوح سمكه بين ١-٢ م وارتفاع ما تبقى منه من نصف متر إلى متر واحد^{٤٢}.

بينما ظهر أسلوب تحصين آخر في موقع خراب السد (حضور همدان) تمثل في تنظيم الوحدات السكنية التي بنيت في أطراف الموقع بشكل متلاصق، لتمثل جزءاً من التحصين الدفاعي، بحيث أصبحت الجدران الخارجية لتلك الوحدات جزءاً من السور الذي يحيط بالموقع^{٤٣}. ونستخلص من ذلك أن إنسان ذلك العصر قد استخدم أسلوبين في التحصين هما:-

الأول: بناء سور يحيط بالمدينة بالكامل

³⁹ أيدنز، كرسنوف؛ ويلكنسن، ت. ج. مرجع سابق، ص ٣٠-٣١؛ Wilkinson, T, J

Project for The Archaeology of Yemeni Terraced, 1999-2000 Op. Cit,

⁴⁰ أيدنز، كرسنوف؛ ويلكنسن، ت. ج. المرجع سابق، ص ٢٩، ٣٢

⁴¹ Wilkinson, T, J & Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen. Dhamar Project 1997-1998 ou.uchicago.edu

⁴² غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مرجع سابق، ص ٢١٣-٢١٧

⁴³ غالب، عبده عثمان المرجع سابق، ص ٢١٨؛ وكذلك ثقافة مجتمعات العصر البرونزي،

مرجع سابق، ص ١١

الثاني :استخدام الوحدات السكنية والمنازل الموجودة في أطراف المستوطنة لتكون جزءاً من السور والتحصين الدفاعي، ويكتمل بناء بقية السور بحجارة كبيرة ، أو يكون جزءاً من الموقع المحصن طبيعياً بفعل وقوعه في منطقة مرتفعة ليست بحاجة إلى تحصين.

ومن ذلك يمكن القول إن استخدام أي من الأسلوبين قد اعتمد في المقام الأول على تضاريس المنطقة التي بنيت فيها المستوطنات، فقد استخدم الأسلوب الأول في المناطق السهلية، بينما استخدم الأسلوب الثاني في المستوطنات التي بنيت على سفوح الجبال والهضاب المرتفعة.

ومن خلال مقارنة التخطيط الداخلي لقرى العصر البرونزي ومدنه في اليمن القديم سواء الموجودة في مناطق المرتفعات (خولان - ذمار) أو الموجودة في الهضبة الشرقية أو المناطق الساحلية، يلاحظ وجود عدد من أوجه التشابه بالإضافة إلى بعض الاختلافات، وخاصة فيما وصلت إليه كل منطقة من تلك المناطق في جانب التخطيط الهندسي لمكونات الموقع ، وتوزيع المباني والمرافق ذات الاستخدام العام.

فقد أظهرت مستوطنات مثل خراب المجير وخراب السد (حضور همدان) وبناعم والنجد الأبيض (خولان) وحمّة القاع (ذمار) أن المجتمعات التي عاشت فيها قد بسب مرحلة سقدمة من التطور في التخطيط الهندسي للمستوطنه، وأنها مثب نقطة تحول من القرى الكبيرة إلى المدينة، خلال الألف الثالث ق.م ، ودل ذلك أيضاً على ما وصلت إليه من تنظيم اجتماعي متقن^{٤٤} بينما ظلت مواقع أخرى والتي صنفت على أنها صغيرة في مرحلة القرية غير المنتظمة وغير المخططة جيداً.

وتظهر المقارنة أن عدداً من المستوطنات الكبيرة قد رتبّت فيها المباني وخاصة المساكن بجانب بعضها لتمثل تكتلات معمارية تاركة بينها مساحات أو شوارع باتجاه شرق - غرب تلتقي بشوارع أخرى موجه شمال - جنوب فيما يشبه التخطيط الهندسي الشبكي، دلت على تزايد عدد السكان وتنوع نشاطاتهم الاقتصادية لتمثل تلك المستوطنات مراكز إدارية تسيطر على عدد من القرى الصغيرة المجاورة لها.

وبالإضافة إلى المباني التي استخدمت للسكنى احتوت تلك المستوطنات على مبان أخرى استخدمت للوظائف العامة تميزت بكبر مساحتها واختلافها من حيث التصميم عن مباني السكن وإن لم يعرف ماهيتها، وقد خصصت لها مواقع معينة

٤٤ غالب، عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٢

ومهمة في ، ووجد مثال لتلك المباني في مستوطنة خراب المجير، حيث خصصت لها الجهة الغربية من الموقع^{٤٥}.

ويظهر أن تلك المستوطنات أكثر تطوراً من حيث التخطيط الهندسي، ومتأخرة من حيث الإطار الزمني عن تلك الموجودة في منطقة خولان وذمار، التي وزعت فيها مباني السكن وذات الاستخدام العام بشكل غير منتظم، حيث جمعت الوحدات السكنية على شكل تكتلات معمارية تمثل بدايات الدمج المعماري والتطور من القرى الزراعية إلى المراكز المتعددة الأغراض^{٤٦} على الرغم من أنها احتوت على مبان أكبر من المساكن استخدمت للوظائف العامة المتعلقة بالجوانب الاجتماعية^{٤٧}، بالإضافة إلى مبان رجع استخدامها لأداء الطقوس والشعائر الدينية، الأمر الذي يدل على وجود تمايز طبقي اجتماعي هرمي اعتمد على النسب والقرابة^{٤٨}.

وقد تمت مقارنة تلك النوعية من المستوطنات من حيث التخطيط بنظيراتها الموجودة في فلسطين، وخاصة موقع (هاريروهام) في منطقة النقب الذي يعود تاريخه إلى مرحلة متقدمة من العصر البرونزي المبكر والعصر البرونزي الوسيط^{٤٩}.

وفي مستوطنات المواقع الساحلية وخاصة مستوطنة صبر بلعغ^{٥٠} التخطيط الهندسي الداخلي مرحلة متقدمة اعتمد على الجانب الوظيفي، حيث وزعت المساحة الداخلية إلى أكثر من قطاع، خصص كل واحد منها لنوع معين من المباني، مثل القطاع السكني، والقطاع الحرفي، وقطاع المباني العامة التي تميزت بكبر حجمها ودقة تصميمها^{٥١}. ويرجح أن ذلك التصميم المتقدم يمثل مرحلة تاريخية متأخرة عن مواقع المرتفعات، إذ يرجع إلى منتصف ونهاية الألف الثاني ق.م، كما كان للنشاط الاقتصادي للسكان آنذاك أثر في ذلك إذ أن أغلبهم عملوا في صناعة الفخار وتجارته.

٤٥ غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مرجع سابق، ص ٢١٤-٢٣٢؛ ٢١٥

٤٦ De Maigret. Alessandro A bronze Age, Op. Cit, P 55

Wilkinson, T & Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, 1996-1997, Op. Cit

٤٧ دي ميغريه، إيساندرو عصر البرونز، مرجع سابق، ص ٣٥

٤٨ أيدينز، كرسنوف؛ ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٢٥

٤٩ De Maigret. Alessandro A bronze Age, Op. Cit, P104

٥٠ فوكت، بوركهات صبر. مدينة من نهاية الألف الثاني، مرجع سابق، ص ٤٧

المساكن :-

لم يظهر للمساكن التي قطنها إنسان ذلك العصر في اليمن القديم شكلاً هندسياً واحداً، فقد اختلف تصميمها من موقع لآخر، وتظهر الدراسة المقارنة لتلك المساكن التطور المرحلي في تصميمها من البسيط إلى المعقد، ومن التكوين المعماري المفرد إلى المركب الذي يحتوي على أكثر من جزئية معمارية. ومع ذلك يمكن ملاحظة العديد من أوجه التشابه في المميزات العامة التي تدل على الأصل الواحد لتلك الحضارة.

ويظهر التصميم الهندسي لمساكن العصر البرونزي ظهور أشكال عديدة تطورت من الأشكال البدائية غير المنتظمة التي ليست لها شكل هندسي معين إلى الأشكال الهندسية ذات الزوايا، فقد عثر على مساكن بيضاوية ودائرية بالإضافة إلى المستطيلة والمربعة أحياناً، إلا أن الشكل الغالب لتلك المساكن هو البيضاوي والدائري^{٥١}.

وقدمت مستوطنات مناطق المرتفعات أغلب نماذج المساكن التي ظهرت في العصر البرونزي، حيث صممت على شكل وحدات سكنية احتوت كل وحدة على أكثر من مسكن، وقد اختلفت تلك الوحدات السكنية من حيث المساحة إلى:

أ- وحدات صغيرة: تتكون من مسكن واحد أو مسكنين يتوسطهما مساحة خصصت للأنشطة اليومية في مقدمتها إعداد الطعام، ويتون كل مسكن من عرفة واحدة فقط عثر في وسطها على دعامة حجرية يرجح أنها وضعت لحمل السقف، كما عثر على دلائل تشير إلى أن بعض المساكن احتوت على غرفتين

ب- وحدات كبيرة: تتكون من ثلاثة مساكن أو أكثر بنيت متلاصقة بجانب بعضها على شكل قوس^{٥٢} ويستنتج من قلة عدد الغرف التي استخدمت في الغالب للمعيشة محدودية النشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه أولئك السكان.

والأشكال الدائرية للوحدات لسكنية هي الأقدم من حيث النشأة وخاصة تلك التي عثر عليها في موقع خراب المجير وبددة فقد أرخا إلى الألف الرابع وبداية الألف الثالث ق.م، وعثر في الموقعين على شواهد للمساكن البيضاوية التي وزعت على شكل وحدات سكنية متصلة أو منفصلة تتراوح مساحتها بين ٢٣-٢٥ م^{٥٣}.

وقدم موقع وادي يناعم نموذجاً للمساكن البيضاوية في مناطق المرتفعات، إلى جانب التعقيد والتطور في مكونات المسكن الذي تكون من أكثر من غرفة، فقد

٥١ غالب، عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٤

٥٢ غالب، عبده عثمان المرجع السابق، ص ١١

٥٣ غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مرجع سابق، ص ٢١٤؛ وكذلك

غالب عبده عثمان تقرير مبدئي عن المسح والتقيب في منطقة بددة. الموسم الأول ١٩٩٢م،

التاريخ والآثار، عدد ١٠١٩٩٣، ص ١١

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

عثر على نماذج لمساكن من غرفتين بيضاويتين متجاورتين ومتصلتين تتفتح كل منهما على ساحة مركزية تراوح قطر الوحدة السكنية بين ٢٠-٢٣م بنيت من حجارة بازلتية وضعت على الأرض مباشرة، بالإضافة إلى غرفة أخرى اعتبرت بمثابة الملحقات (شكل ٦) واعتبرت الغرفة الوسطى هي الرئيسية والمركزية لكبر مساحتها، فقد عثر في وسطها على بقايا عمودين كبيرين من الحجر وضعا على قواعد، يرجح أنهما كانا يحملان السقف، بينما خصصت الغرف الأخرى لخبز المواد الغذائية وهذا أمر واضح من خلال ما عثر عليه في هذه الغرفة من الأواني الفخارية وأدوات الطحن والجرح والعظام فيها^{٥٤}.

ويدل تعدد الغرف في تلك النوعية من المساكن على أنها خصصت لعائلات منفردة، إذ احتوى كل مجمع سكني على أكثر من عائلة، أو لعدد من الزوجات لشخص واحد^{٥٥}، فيما عثر على مسكن بيضاوي الشكل في موقع (DS153) في ذمار أرخ إلى الألف الثالث، يشابه إلى حد كبير ذلك الذي عثر عليه في موقع وادي يناعم في خولان^{٥٦}.

وارتقى مفهوم تخطيط المساكن من حيث الشكل الهندسي عن ذلك الموجود في موقع وادي يناعم، في موقعي خراب المجير وخراب السد، إذ ظهرت الأشكال المستطيلة والمربعة^{٥٧} حيث تبنى من عدد من الغرف المستطيلة أو المربعة المترابطة تراوحت أبعادها في موقع خراب المجير بين ٣×٣م - ٣×٢م وهي أصغر من تلك التي عثر عليها في موقع خراب السد التي بلغت أبعادها ٢×٩م، ٥×٤م، ٥×٥م حيث شكلت مجموعات سكنية منفصلة بواسطة ممرات صغيرة أو غرف طويلة مشتركة، وهذا النمط المعماري يعود تاريخه إلى مرحلة زمنية متأخرة من العصر البرونزي المبكر وبداية العصر البرونزي الوسيط، وتمت مقارنتها بالوحدة (A) من موقع الشيخ محسن في المنطقة الجنوبية في فلسطين^{٥٧}.

وتشابهت مساكن مستوطنات ذمار من حيث الشكل مع مساكن وادي يناعم وحضور همدان، فهي في الغالب مستطيلة الشكل وخاصة تلك التي عثر عليها في موقع مدينة البلد في منطقة الحذاء (شكل ٧) إذ يلاحظ الشكل المستطيل بوضوح، بالإضافة إلى المدخل الذي يفتح للخارج، إلا أنه يلاحظ عدم وجود موقع ثابت لمدخل

⁵⁴ De Maigret. Alessandro A bronze Age, Op. Cit, Pp85.92 وكذلك دي

ميجريه، إلساندرو عصر البرونز مرجع سابق، ص ٣٥

⁵⁵ أيدنيز، كرسوفر؛ ويلكنسن، ت. ج- مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦

⁵⁶ Gibson, M., & Wilkinson, T Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project. 1995-1996 ou.uchicago.edu

⁵⁷ غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مرجع سابق، ص ٢١٥.

المسكن ، فقد اختلف موقعه من مسكن لآخر ، ولكنه بشكل عام يفتح في أحد الجدارين الطويلين للمسكن، كما يمكن ملاحظة عدم وجود تقسيم داخلي لكل مسكن، فهو يتكون من غرفة واحدة مستطيلة، وهو أمر يختلف مع المساكن التي عثر عليها في موقعي خراب المجير وخراب السد.

ويمثل المسكن الذي عثر عليه في موقع خرائب (DS228) في نمار (شكل ٨) النموذج النهائي الذي استقرت عليه المنازل المستطيلة في العصر البرونزي فقد حدد تاريخه بواسطة الكربون المشع - الذي أخذت عينته من إحدى الغرف - إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م وبالتحديد إلى ٢٠٠٠ ق.م^{٥٨} وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل له أربع مداخل ، وزعت مساحته الداخلية إلى غرف مستطيلة وشبه مربعة ، بالإضافة إلى ممرات رئيسية وفرعية تصل بين الغرف، وللمسكن بابين رئيسيين متقابلين في منتصف الضلعين الطويلين يؤديان إلى ممر طويل مستطيل الشكل يقسم المسكن إلى نصفين، الأول عبارة عن غرفة كبيرة مستطيلة الشكل لها باب للخارج يرجح أنها استخدمت للمعيشة ، والنصف الثاني وهو الأكبر قسم إلى غرف صغيرة استخدمت للنشاطات اليومية للسكان.

واتسمت المساكن في مستوطنات المناطق الساحلية - ومنها موقع صبر - بالبساطة من حيث التخطيط و مواد الخام المستخدمة في البناء، إذ أنها عبارة عن أكواخ دائرية أو بيضاوية، وزعت حول مساحات فسيحة، ويمثل المسكن غرفة صغيرة يتم الدخول إليها عبر مدخل بسيط يقوم على عتبة مرتفعة، ودكت أرضيته بالطين اليابس وفي بعض الأحيان استخدم الطوب غير المحروق^{٥٩} . وعلى الرغم من أن تاريخ مستوطنة صبر متأخر عن مستوطنات المرتفعات، إلا أن البساطة كانت هي السمة الغالبة على مساكن المواقع الساحلية، ويرجح أن ذلك يعود إلى طبيعة المنطقة الساحلية ومنها عدم توفر المواد الموجودة في مستوطنات المرتفعات وفي مقدمتها الحجارة، ولهذا استخدم الإنسان المواد الموجودة في بيئته، بالإضافة إلى تأثير مناخ المنطقة الحار الذي تطلب تلك النوعية من المساكن.

المباني العامة

تميزت مستوطنات العصر البرونزي بأنها بلغت مرحلة متقدمة من التنظيم المعماري الداخلي، لأنها مثلت مراكز إدارية واقتصادية كبيرة، ولهذا احتوت إلى جانب مساكن عليية القوم والمواطنين على مبان ذات استخدام عام ومشاع خصصت لها أماكن محددة من المستوطنة تتميز بسهولة الوصول إليها من قبل جميع الأفراد.

⁵⁸ Wilkinson, T.J & Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, 1997-1998, Op. Cit

⁵⁹ فوكت، بوركهات صبر. مدينة من نهاية الألف الثاني، مرجع سابق، ص ٤٧

فقد أثبتت الدلائل الأثرية في مستوطنات ذلك العصر وجود تلك النوعية من المباني التي دلت على وجود مجتمع منظم تحت سلطة إدارية عليا تشرف على تلك النوعية من المباني، التي كانت في البداية عبارة عن ساحات لا تحتوي على منشآت معمارية، خصصت للنشاطات الاجتماعية المختلفة، وأداء بعض الطقوس والشعائر الدينية، وعثر على أدلتها الأولى في موقع وادي يناعم في خولان^{٦٠}. وقد تطورت تلك الساحات إلى مبان عامة ذات استخدامات متنوعة، أخذت أشكال هندسية عديدة بحسب وظيفتها، وتطور استخدامها، ومن أهم تلك النماذج من المباني ذلك المبنى الذي عثر عليه في موقع (العقير) في نمار (شكل ٩) وهو عبارة عن بناء مستطيل يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ١٩ م وعرضه من الشمال إلى الجنوب ١٦ م، بني من حجارة على شكل جدران مزدوجة، وتخطيطه عبارة عن فناء في الجهة الشرقية تحيط به مجموعة من الغرف في الجهة الغربية، يبلغ متوسط مساحتها ٦×٦ م ن ويتم الدخول إلى المبنى من مدخل كبير في الجهة الجنوبية، واستخدم لوظيفة إدارية تتمثل في السيطرة ومراقبة تحركات المارين خارج المستوطنة^{٦١} كونها تقع في منطقة سهلية منبسطة.

وشملت المباني ذات الاستخدام العام مخازن كبيرة عثر عليها في موقع صبر، وهو عبارة عن مبنى كبير في وسط المستوطنة، كان يقفل بباب من الخشب، بالإضافة إلى مبان ثانوية تتوزع حول قاعة مركزية، قسمت لاحقاً إلى عدة قاعات ذات أعمدة، عثر فيها على حفر عميقة، بعضها وضعت فيها جرار كبيرة استخدمت لخرن المواد الغذائية^{٦٢}.

ومن أهم المباني العامة التي عثر عليها في الموقع السابق المبنى المحروق 5C الذي تميز بتخطيطه المعقد، واستخدامه الذي يرجح أن له علاقة بالناحية الدينية، فهو عبارة عن بناء مكعب الشكل (شكل ١٠) قسم إلى قسمين متقابلين، احتوى الجزء الخلفي على قاعة كبيرة ذات أعمدة، قسمت على ثلاث مناطق، الجزء الداخلي كان عبارة عن منصة مرتفعة تحتوي على مصطبة في وسطها، يرجح أنها مكان الهيكل (قدس الأقداس)، وقد أحيطت جدرانها الشمالية الغربية والجنوبية الشرقي بأروقة محمولة على أعمدة، بينما احتوت الجهة الجنوبية الغربية على بوابة كانت محمولة على ثلاثة أعمدة من الخشب^{٦٣} وتشابه عناصره

60 أيدنيز، كرسوفر؛ ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٢٥

61 Wilkinson, T,J Project for The Archaeology of Yemeni Terraced Agriculture 2000-2001 Annual Report. ou.uchicago.edu

62 فوكت، بوركهات صبر. مدينة من نهاية الألف الثاني، مرجع سابق، ص ٤٧

63 فوكت، بوركهات صبر. مدينة من نهاية الألف الثاني، المرجع سابق، ص ٤٨

المعمارية العناصر التي استقرت عليها معابد جنوب الجزيرة العربية في العصر التاريخي في الألف الأول ق.م.^{٦٤}

الاقتصاد

ارتبطت اقتصاديات مستوطنات العصر البرونزي في اليمن القديم بالتغيرات المناخية التي بدأت منذ نهاية العصر الحجري الحديث واستمرت خلال العصر البرونزي^{٦٥} حيث تأثرت أوجه الأنشطة الاقتصادية لتلك المستوطنات بمختلف المناطق التي وجدت فيها (المرتفعات - الهضبة الشرقية - المناطق الساحلية) بتلك التغيرات التي شكلت سمات ومميزات حياة الإنسان الذي عاش في ذلك العصر، والتي اتسمت بالتنوع من منطقة إلى أخرى، حيث لم يترك الصيد وظل يمارسه ولو بشكل جزئي بالإضافة إلى ممارسة الزراعة وتربية الحيوانات، والصناعات المختلفة والنشاط التجاري.

ومن خلال دراسة اقتصاديات مستوطنات المرتفعات وخاصة عينات التربة وطبقات الحبوب على الفخار والبقايا المعمارية يلاحظ معرفة الإنسان للزراعة وممارستها منذ نهاية الألف الخامس ق.م بجانب الجمع والصيد^{٦٦}. وقد زادت خبراته الزراعية خلال الألف الرابع ق.م حيث مارسها بشكل أوسع وشكل ما يعرف بمجتمعات المزارعين الأوائل، بالإضافة إلى ممارسته للصيد ورعي الحيوانات وفي مقدمتها الأغنام والماعز^{٦٧}.

وتظهر الشواهد الأثرية في لمستوطنات المرتفعات التدرج وتراكم الخبرات في اعتماد الإنسان على الزراعة كمصدر رئيس لطعامه، فقد أطنى على عدد من مواقع ذلك العصر الموجودة في منطقة بدبدة وخاصة موقع نجد جبر "قرى زراعية" قسمت بحسب نشاطها إلى نوعين قرى زراعية كبيرة تميزت بقربها من الحقول واتصالها بها، وقرى صغيرة بنيت على مدرجات الأودية، عثر فيه على أدوات مثل الجوارش والمطاحن تدل على ممارستهم للزراعة واعتمادهم عليها، على الرغم من عدم العثور على بقايا للحبوب أثناء التنقيب في الموقع، كما دلت الشواهد على تربيتهم للحيوانات^{٦٨}.

وتدل اللقى الأثرية التي عثر عليها في موقع وادي بناغم على مرحلة متقدمة من النشاط الزراعي الذي بلغه السكان، فقد عثر على عدد كبير من أدوات الطحن

^{٦٤} العريقي، منير عبد الجليل الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم. ٢٠٠١م، ص

١٨١-١٨٠

^{٦٥} أنظر المناخ أعلاه

^{٦٦} غالب، عبده عثمان نظريات الفجوة الثقافية. مرجع سابق، ص ١١

^{٦٧} غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مرجع سابق، ص ٢١١-٢١٣

^{٦٨} غالب، عبده عثمان تقرير مبدئي عن المسح والتنقيب في منطقة بدبدة، مرجع سابق، ص

١٣٦١

والجرش بلغ عددها ١٥٠ أدها بالإضافة إلى أدوات الحصاد الصوانية ومنها الرقائق والشظايا والمكاشط تشير إلى معرفة السكان بتقنيات متقدمة في إنتاج الطعام ، وكذلك الاعتماد على الزراعة بشكل أساس ، بحيث لم يعثر على الأدوات الدالة على الصيد في الموقع .^{٦٩}

وقد عرفت الزراعة في ذلك العصر في اليمن على أنها بعلية تعتمد على مياه المطار الموسمية، حيث ظهرت ومنذ بداية العصر في مستوطنات المرتفعات تقنية استصلاح الأرض بأسلوب المدرجات الزراعية على جوانب الجبال والتي تناسب تضاريس تلك المناطق، فقد عثر على بقايا تلك المدرجات في عدد من المواقع ومنها موقع حمة القاع في ذمار على شكل جدران مهترية بنيت من الجارة أرخت للفترة بين ٢٠٠٠-٥٠٠ ق.م ، وعثر على مدرجات أخرى في مواقع بالقرب من صنعاء وردمان في مأرب أرخت للفترة بين ٣٢٠٠-٢٩٠٠ ق.م .^{٧٠}

كما ذلت دراسات أخرى أجريت على تربه المدرجات في مواقع أخرى في سهل ذمار دلت على أنها تعود إلى العصر البرونزي وأرخت إلى ٣٠٠٠ ق.م ، ويعود السبب في ابتكار تلك النوعية من الحقول الزراعية المدرجة إلى الجفاف الذي حدث في نهاية العصر الحجري الحديث الأمر الذي أدى إلى قلة مياه الأمطار الموسمية ومحاولة الاستفادة منها بشكل أمثل في حال هطولها من خلال تلك المدرجات .^{٧١}

وقد اهتم الإنسان بالسيطرة على المياه التي تتكون من سيول الأمطار المتدفقة، وابتكر تقنيات تساعد على الانقاع بها في مناطق الوديان، وخاصة خلال الفيضانات السنوية، واكتشف فائدة الترسبات الطمئية فحاول قدر المستطاع الاستفادة منها بالشكل الأمثل خلال الألف الثالث ق.م وامتد ذلك الأمر إلى العصر التاريخي في مناطق مثل مأرب ووادي مرخة^{٧٢} . وهي تقنية وجدت في مناطق المرتفعات بجانب تقنية السدود الحزامية (Gabarbands) التي عرفت أيضاً في عُمان خلال العصر البرونزي .^{٧٣}

وقد عرفت تقنية بناء السدود في مناطق المرتفعات وعثر على دلائل لها في منطقة وادي النجد (خولان) وكان الغرض منه استغلال مياه الأمطار بعد أن مال

⁶⁹ De Maigret. Alessandro; et al Archaeological Activates in the Yemen,1984 Op. Cit, P 426

⁷⁰ أيديز ، كرسو فر؛ ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ١٤١

⁷¹ Gibson ,M,& Wilkinson, T,J Oriental Institute Investigations in Yemen1994-1995 Op. Cit

⁷² برونر ، إنديلي بدايات الري. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ١٩٩٩م، ص ٥٣-٥٤

⁷³ أيديز ، كرسو فر؛ ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٤٢

المناخ نحو الجفاف، وتزامن ذلك مع نهاية السكنى في الموقع، إذ دمر السد بسبب سيول الأمطار مما أدى على هجران الموقع نهائياً^{٧٤}.

وقد تنوعت المنتجات الزراعية في العصر البرونزي وفي مقدمتها الحبوب التي عثر على دلائلها على شكل طبقات على الأواني الفخارية في مواقع وادي يناعم ووادي المسنة ووادي العُش في صنعاء، ومواقع أخرى في حضور همدان وسهل ذمار، وفي مقدمتها الذرة السكرية (السرغوم) والشعير والحنطة والندخن والشوفان بالإضافة إلى الكمون والتمر والأعناب^{٧٥}.

وتعد (الذرة السكرية) المحصول الزراعي الرئيس الذي اعتمد عليه إنسان في ذلك العصر في اليمن القديم، واعتبر من المحاصيل المهمة لعصور ما قبل التاريخ إلى جانب القمح والشعير، وعثر عليه في أغلب المواقع التي تم التنقيب فيها، وأرخ تدجينه في اليمن إلى الألف الثالث ق.م^{٧٦} مما يجعل ذلك من أقدم الدلائل على تدجينه في الجزيرة العربية، فقد دجن في مناطق أخرى مثل الهند، وشمال أفريقيا في تاريخ متأخر عن ذلك التاريخ المعروف في الجزيرة العربية، إلا أنه كان قد عرف بشكل بري في بعض مناطق السودان خلال الألف الرابع ق.م وفي الصحراء العربية في ٦٠٠٠ ق.م^{٧٧} كما عثر عليه في موقع هيلي في عُمان وأرخ إلى ٢٥٠٠-٢٤٠٠ ق.م^{٧٨}. مما يرجح أن النوع الذي دجن في اليمن من أصل إفريقي، وأن المواقع اليمنية التي تعود للعصر البرونزي هي التي أسهمت في نقله إلى مناطق أخرى مثل الهند^{٧٩}.

وبالإضافة إلى الزراعة احتلت تربية الحيوانات والماشية مكانة كبيرة في اقتصاديات ذلك العصر، وبدل على ذلك تعدد أنواعها من خلال ما تم العثور عليه من عظام في عدد من المواقع وخاصة وادي يناعم، وتأتي الماعز والأغنام والأبقار في مقدمة الحيوانات التي تمت تربيتها إلى جانب حيوانات أخرى مثل الخنزير البري غير المدجن (Gerbil)، (Gerbillinae)^{٨٠} كما عاشت حيوانات

⁷⁴ أنظر المناخ أعلاه

⁷⁵ Costantini, Loranzo Plant Impressions in Bronze Age Pottery from Yemen, East and West, Vol.34. No.1-3, 1984, Pp 107-109
عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٣

⁷⁶ Costantini, Loranzo Ibid, P 101

⁷⁷ أيديز، كرسنوف؛ ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٤٠

⁷⁸ Hassan, Faken, A Environmental Chang and the Origins and spread food production in the Middle East. Adumau, No.1, 2000, P 2

⁷⁹ Wilkinson, T, J Project for The Archaeology of Yemeni Terraced Agriculture 2001-2002 Annual Report. ou.uchicago.edu

⁸⁰ Fedele, G, Francesco Fauna of Wadi Yana, im (WYI) Yemen, East and West, Vol.34. No.1-3, 1984, Pp117

أخرى مدجنة ومنها الخنازير والحمير التي استخدمت للركوب، إلى جانب القطط والكلاب، وأخرى غير مدجنة كالوعل والغزال^{٨١}.

وقد دلت الاكتشافات الأثرية في مستوطنات المرتفعات وخاصة تلك التي تقع في خولان وسهل نمار على وجود اتصالات تجارية إذ عثر على أدوات مصنوعة من خام الأوبسيديان (الزجاج البركاني الأسود) في أكثر من مواقع بعيد عن مصادر وجوده وإنتاجه، مما يدل على أنه كان سلعة تجارية رائجة ومهمة في ذلك العصر، وأكدت الدراسات أن التبادل التجاري لتلك المادة كان محدوداً، فمن خلال دراسة مصدر في موقع جبل الليسي (١٥ كم شرق نمار) وجد أنه استخدم في خولان بنسبة تقل عن ٢٠% عن بقية خامات الأدوات الأخرى^{٨٢}. كما تمت المتاجرة بمواد أخرى مثل حجر التراكيت والكوراتز والعقيق وخام النحاس، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الفخار، واعتبرت تلك التبادلات نوعاً من التجارة المحلية في إطار اليمن فقط، وقد وضعت هذه البدايات أسس التجارة التي ازدهرت في العصر التاريخي خلال الألف الأول ق.م. وازدهار الممالك اليمنية القديمة^{٨٣} وهي التي عرفت بتجارة البخور.

ويعد موقع صبر على ساحل اليمن مثلاً للتخصص في الجانب الصناعي بجانب التجارة والزراعة وصيد البحر، فقد عملت شريحة كبيرة من السكان بصناعة الفخار وتصديره، حيث عثر على عدد كبير من الأواني والكسر الفخارية في الموقع والتي دلت على ازدهار تلك الصناعة، وتخصيص جزء كبير من مساحة المستوطنة لقطاع الورش التي تضم أفران الحرق^{٨٤}.

الأدوات

ارتبطت الأدوات التي صنعها الإنسان بنوعية الأنشطة الاقتصادية التي كان يمارسها، بالإضافة إلى أسلوب حياته اليومية واحتياجاته، ويمكن تقسيم تلك الأدوات على ثلاثة أقسام:-

١- الأدوات المرتبطة بالنشاط الزراعي

٢- أدوات إعداد الطعام

٣- الأسلحة

ارتبطت معظم الأدوات التي عثر عليها في مواقع ذلك العصر وخاصة في مستوطنات المرتفعات بالنشاط الزراعي الذي اعتمد عليه الإنسان في اقتصاده،

٨١ دي ميغريه، إليساندرو عصر البرونز مرجع سابق، ص ٣٦؛ غالب، عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٤

٨٢ أيدينز، كرسطوفر؛ ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٣٦

٨٣ غالب، عبده عثمان نظريات الفجوة الثقافية. مرجع سابق، ص ١٠

٨٤ فوكت، بوركهات صبر. مدينة من نهاية الألف الثاني، مرجع سابق، ص ٤٧

وتسمى الصناعات الصوانية الدقيقة (Lithic Industry) التي صنعت من مواد خام مختلفة مثل الصوان (Flint) والكوراتز والزجاج البركاني (Obsidian) كما صنعت أدوات مختلفة مثل المكاشط بنوعها العلوية (End Scrapers) والجانبية (Side Scrapers) والمسننات والمخرمات والمنثمات بالإضافة إلى الشظايا التي صنعت منها الشفرات^{٨٥} المستخدمة في صناعة المناجل الخاصة بعملية حصاد المنتجات الزراعية.

ومن خلال صناعة الشظايا التي عثر عليها في عدد من مستوطنات في سهل ذمار يلاحظ إعادة صناعتها واستخدامها أكثر من مرة، فقد كانت عبارة عن شفرات على شكل شظايا عريضة الأطراف (شكل ١١)، يدل لمعان حوافها على أنها استخدمت كمنجل^{٨٦}.

وقد انتشر استخدام خام الزجاج البركاني في صناعة الأدوات في مستوطنات المرتفعات والمناطق الساحلية، وكان يصنع على شكل رقائق وكسر حادة لإنتاج أدوات رقيقة لما يتمتع به من مميزات جيولوجية وكيميائية، حيث كان يجلب من مناطق وجوده، ويتم المتاجرة به في عدد من المواقع كما هو حال مستوطنات سهل ذمار ومنها (DS54) التي كانت تجلبه من جبل الليسي الذي اعتبر المنجم الرئيس لتلك المستوطنة^{٨٧}.

وتدل تقنية صناعته واستخدامه في المستوطنات الساحلية وخاصة موقع المدمن في سهل تهامة- على تاريخ أقدم من العصر البرونزي، يرجح بالعصر الحجري الحديث النحاسي، حيث استخدمت تقنية التشذيب وليس الضغط في صناعة الأدوات مما يدل على بدائية الصناعة، وهو أمر يمكن تعميمه على بعض الأدوات الصوانية التي صنعت في مستوطنات المرتفعات، مما يرجح التداخل بين العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي^{٨٨}. ومن الأدوات التي شاع استخدامها في العصر البرونزي المطارق الحجرية الكبيرة التي دلت طريقة صناعتها على أنها محلية، كانت تتم في إطار المستوطنة نفسها، كما رجح أيضاً إعادة صناعة الأداة واستخدامها أكثر من مرة^{٨٩}.

وتتمثل الأدوات الخاصة بإعداد الطعام والنشاط اليومي، بأدوات طحن وجرش الحبوب، وتتكون من المجارش والمدقات والهونات والرحى، التي صنعت

⁸⁵ دي ميغريه، إلباندرو عصر البرونز مرجع سابق، ص ٣٦؛

De Maigret. Alessandro A bronze Age, Op. Cit, Pp101

⁸⁶ ويلكنسن، ت.ج؛ ايدينز، ك؛ غيبسن، م مرجع سابق، ص ١٢٦

⁸⁷ Wilkinson, T,J &Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project 1998-1999 ou.uchicago.edu

⁸⁸ كيل، إدوارد، ح أنصاب الميغاليث. في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، ٢٠٠١م، ص ٢٥

⁸⁹ A bronze Age, Op. Cit, Pp101 De Maigret. Alessandro

من مواد خام مختلفة كالحجر الرملي والكوراتز والتركيبت والجرانيت واللافاير^{٩٠}. وبت كثرة عددها (١٤٢ أداة في موقع وادي بناغم) على النشاط الكثيف في إنتاج الحبوب وتحويلها إلى طحين، وأغلب الرحي من النوع ذي السطح المنبعج، بالإضافة إلى المدقات الطويلة التي صنعت من نفس المادة الخام التي صنعت منها الرحي وخاصة الجرانيت^{٩١}.

ويلاحظ أن الأدوات التي صنعت من المعادن في العصر البرونزي كانت نادرة. كما تبين استخدامها عن الأدوات الحجرية، فهي عبارة عن أدوات صغيرة متر بيرة (مقاي) ، وقطع صغيرة من أداة غير معروفة الاستخدام، عثر عليهما في موقع وادي حورة ووادي النجد الأبيض (NBAVII) في خولان^{٩٢}. بينما استخدمت أدوات مصنوعة من النحاس في المواقع الساحلية، حيث عثر في موقع المدمن على فؤوس نحاسية بسيطة من النوع ذي الحافة المفلطحة الذي يتميز بعدم وجود فتحة للمقبض، وهو من النوع المعروف في حضارات العصر البرونزي في إيران والهند، بالإضافة إلى الحناجر ذات المسامير المزدوجة الموجودة تحت النصر. والتي يمكن مقارنتها بتلك الموجودة في منطقة البحر الأحمر والمشرق، وهي تختلف عن مثيلاتها في بلاد الرافدين وفارس، وقد أرخت تلك النوعية للفترة من ٢٤٠٠-٩٠٠ ق.م ، وتميزت حناجر موقع المدمن في أنها صنعت من سبيكة تتكون من النحاس والقصدير والزرنيخ^{٩٣} مما يدخلها ضمن معدن البرونز.

الفخار

تعتبر دراسة الفخار اليمني القديم مسألة بالغة الصعوبة، إذ أنه حتى وقتنا الحالي لا توجد دراسة متكاملة عنه تبين بدايته وكيفية تطوره وتسلسله الزمني، وبالتالي فإن مميزات فخار كل عصر من العصور التي مرت بها الحضارة اليمنية القديمة غير محددة أو واضحة المعالم أسوة بفخار المناطق الحضارية الأخرى في الشرق الأدنى القديم، مثل بلاد الشام وبلاد الرافدين، ويرجع ذلك الأمر إلى ندرة التنقيب المنهجي في مواقع جنوب الجزيرة العربية لمدة طويلة من الزمن، إلى جانب دراسة فخار كل موقع من تلك المواقع بشكل مستقل وعدم مقارنته بفخار المواقع الأخرى لتكوين صورة عامة عن مميزات فخار كل مرحلة، وتوضيح المميزات المحلية لفخار كل منطقة.

٩٠ غاب. عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٤

٩١ De Maigret. Alessandro Ibid. P 101

٩٢ De Maigret. Alessandro; et al Archaeological Activates in the Yemen. Op. Cit ,P 426

٩٣ كين. بوارد، ج مرجع سابق، ص ٢٤٨-٢٤٩

وقد زودتنا مستوطنات العصر البرونزي التي تم مسحها آثارياً والتعرف عليها، والتنقيب فيها، بكميات من الفخار الذي يمكن من خلاله محاولة وضع تصور لمميزاته ، وبيان السمات المحلية لفخار كل منطقة بشكل أولي.

ونتيجة لقلة البحوث المنهجية وندرة التنقيب في المواقع اليمنية رأى بعض الباحثين أن فخار العصر البرونزي الذي عثر عليه في مستوطنات مناطق المرتفعات - وخاصة الموجودة في منطقة خولان وسهل ذمار- يعد أقدم شاهد لظهور الفخار في اليمن القديم، بل وجعله بعضهم من مميزات ذلك العصر بالإضافة إلى معرفة الزراعة، وبالتالي فإنه لم يعثر على فخار في اليمن يسبق ذلك العصر، وأن صناعة الفخار أدخلت إلى جنوب الجزيرة العربية من بلدان الشرق الأدنى القديم الأخرى، على الرغم من إشارتهم إلى عدم وجود دلائل تظهر وجود اتصالات حضارية بين تلك المناطق واليمن في ذلك العصر⁹⁴.

وحقيقة الأمر أنه لا يمكن الجزم بتلك المسألة بشكل قطعي ونهائي، لأن دراسة عصور ما قبل التاريخ في اليمن ما زالت في بدايتها ، ولم تغطي البحوث كل المواقع التي تعود إلى تلك العصور، وبالتالي فإن المعلومات عن الفخار قليلة وبحاجة إلى جهد أكبر من قبل الباحثين والمنقبين.

فقد تم التنقيب في عدد من المستوطنات التي تقع في سهل ذمار ومنها موقع جبوبة الجرف (DS269) وعثر على بقايا لمبان سكنت لمدة طويلة وبجانبيها كسر فخارية، وحدد تاريخ الموقع بالكربون المشع للفترة بين ٣٣٥٠-٣١٠٠ ق.م وقد عدت تلك الكسر أقدم دلائل للفخار في مناطق المرتفعات واليمن بشكل عام حتى وقتنا الحالي، وعثر على كسر أخرى في موقع حيد السواد - شمال ذمار- بجانب عدد من الأدوات الصوانية الصغيرة وأرخ بالكربون المشع للفترة ٢٨٧٠-٢٥٠٠ ق.م⁹⁵ غير أن كميته المحدودة لم تسمح ببيان خصائصه ومميزات العامة.

وقد اتخذ الباحثون الفخار الذي عثر عليه في مستوطنات خولان وخاصة وادي يناعم والأعروش مرجعاً يقارن به الفخار الذي عثر عليه في مواقع أخرى في مناطق المرتفعات، ولكن تلك المرجعية لا تعتمد على قدمه التاريخي، وإنما على أسبقية التنقيب في تلك المواقع. وغالباً ما يتم دراسة مميزات الفخار من عدة

⁹⁴ أنظر لذلك : أيدينز ، كرسوفا؛ ويلكنسن، ت. ج مرجع سابق، ص ٤٣ : وكذلك :

Wilkinson, T,J &Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, 1996-1997, Op. Cit

Fedele, G, Francesco, Di Marrio, Francesco Op. Cit Pp 431;435

من خلال المسح الشري والتنقيب الذي تم في مناطق خولان الطيال والحداء ووادي الثيلة ووادي العش.

⁹⁵ Wilkinson, T,J Project for The Archaeology of Yemeni Terraced Agriculture 2000-2001.Op.Cit

جوانب هي: العجينة، وتقنية الصناعة، وأشكال الأواني ، والزخارف ودلالاتها إن وجدت، وهي جوانب غير واضحة المعالم في فخار العصر البرونزي في اليمن. ولأهمية فخار مواقع خولان من الناحية الأثرية ووفرتة نوعاً ما ، فقد سمح بتوضيح خصائصه العامة على الرغم من وجود أكثر من نوع وخاصة العجينة، وتقنية الصناعة؛ وقد صنف إلى نوعين:-

١- فخار ذي عجينة خشنة، غير جيدة، ويتصف بأن سطحه الخارجي غير معالج، وصنع باليد، يغلب عليه اللون الأحمر المائل للبنى أو الرمادي الذي قد يكون ناتج عن الحرق المتكرر، والسطح الداخلي لبعض الأواني وخاصة المزهريات (Vases) يختلف عن المظهر الخشن للسطح الخارجي، بالإضافة إلى وجود فخار يمكن تسميته بفخار المطبخ (Kitchen Ware) يتكون من الجرار ذات الفوهات الكبيرة (Globular Hole Mouth Jars) (شكل ١٢) ليست لها قواعد ، وغالباً ما تكون لها أيدي أفقية، إلى جانب صحن عريضة قليلة الارتفاع (Wide Low Platters) ذات جوانب غليظة.

٢- فخار مصقول ذي عجينة ناعمة مخلوطة بحبيبات صغيرة، وعملية الحرق جيدة، والأسطح الخارجية للأواني مصقولة وناعمة، وتحمل لون الطين نفسه من خلال تغطيتها بلون باهي مندرج (وردي اللون) أو بني وبيج غامق، والأشكال هي جرار كروية ذات حواف مقلوبة، وقاعدة دائرية بالإضافة إلى الطاسات العميقة (Deep) Bowls بدون قواعد ذات مقابض ناتئة (Ledge Handel) وضعت تحت حافة الفوهة مباشرة بعض أسطح الأواني مثل الطاسات عولجت بالطلاء^{٩٦}.

وتميزت زخارف ذلك الفخار الذي أصبح من مميزات العصر البرونزي بأنها نفذت بأكثر من أسلوب منها الحز والحفر الغائر والبارز لتنفيذ مجموعة من الخطوط مختلفة الأشكال مستقيمة ومنتوجة، وخاصة في الأجزاء العلوية من الإناء ، وزخرفت بعض الأواني برسومات باللون الأسود والبنى الفاتح على شكل خطوط مستقيمة وعمودية ومنتوجة ومقاطعة^{٩٧}. كما استخدمت زخارف على شكل طبعات أو أختام بيضاوية الشكل بالإضافة إلى الزخرفة بأشكال الحبال أو طبعات المشط^{٩٨}.

ويشابه الفخار الذي عثر عليه في مستوطنات سهل ذمار فخار منطقة خولان- التي تبعد عنها بحوالي ٥٠-٦٠ كم شمالاً- في بعض الجوانب، مع وجود

⁹⁶ A bronze Age, Op. Cit, P98 De Maigret. Alessandro

⁹⁷ غالب ، عبده عثمان ثقافة مجتمعات العصر البرونزي، مرجع سابق، ص ١٤

⁹⁸ أيدينز ، كرستوفر ؛ ويلكسون، ت. ج مرجع سابق، ص ٢٦

الاختلافات في الخصائص التي تملئها البيئة المحلية في إطار النسق الحضاري الواحد، فقد عثر على نماذج من الفخار في تلك المواقع تم تصنيفها من حيث الشكل على النحو الآتي:-

- صحون وطاسات قليلة الارتفاع ذات جوانب مستقيمة ومنحنية وحافات دائرية (شكل ١٣) تشبه الصحون قليلة الارتفاع التي عثر عليها في مواقع خولان
 - طاسات عميقة ذات جوانب مستقيمة وحافات بسيطة دائرية الشكل (شكل ١٤)
 - طاسات عميقة (شبه اسطوانية ذات حافات مقلوبة للداخل (شكل ١٥)
 - جرار ذات فوهات واسعة ، لها حافات بسيطة وسميكة ومقلوبة لأعلى (شكل ١٥) - جرار ذات رقبة مفلطحة وقصيرة جداً (شكل ١٥)
 - جرار ثقيلة ذات حافات منحنية للخارج (شكل ١٤)^{٩٩}
- ومن خلال دراسة التسلسل الزمني للفخار الذي تم العثور عليه في عدد من مستوطنات سهل ذمار اتضح أن تاريخه يمتد للفترة بين الألف الثالث إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وتم تقسيمه بحسب المواقع على ثلاث مراحل:-
- المرحلة المبكرة وحدد تاريخها إلى منتصف الألف الثالث ق.م ٢٦٠٠-
 - المرحلة الثانية ويمثلها فخار موقع حمة القاع
 - المرحلة الثالثة ويمثلها موقع خرائب (شكل ١٦)^{١٠٠}
- مع الأخذ بعين الاعتبار نماذج الفخار التي أعطت تاريخاً أقدم وعثر عليها في مواقع أخرى في سهل ذمار جبوبة الجرف (DS269) وأرخ إلى نهاية الألف الرابع، وكذلك فخار موقع حيد السواد الذي أرخ إلى بداية الألف الثالث، والنوع الذي تم العثور عليه في منطقة وادي صهر - بالقرب من صنعاء - وتمت مقارنته بفخار المعادي في مصر، وأرخ إلى نهاية الألف الرابع ق.م^{١٠١}.
- ويطلق على فخار العصر البرونزي في اليمن من حيث الإطار الزمني فخار الألف الثالث، وفي بعض الأحيان فخار الألف الرابع والثالث ق.م تميزاً له عن فخار العصر التاريخي الذي يؤرخ من نهاية الألف الثاني، وبداية ظهور الممالك اليمنية القديمة.

وتتمثل المميزات المحلية لفخار ذلك العصر ببعض الاختلافات في نوعية العجينة، ولونها، وابتكار أنواع من الزخارف ذات الصفة المحلية، ويظهر الفخار

⁹⁹ ويلكنسن، ت.ج؛ إيدنيز، ك؛ غيبسن، م مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨ ؛

¹⁰⁰ Wilkinson, T.J & Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, 1998-1999 Op. Cit

¹⁰¹ إيدنيز ، كرسنوفر ؛ويلكنسون، ت. ج مرجع سابق، ص ٢٨

الذي تم العثور عليه في كل من منطقتي بدبدة وحضور همدان ثلاثة أنواع من العجينة هي الخشن، ومتوسط الخشونة والناعم، وتميز بوجود الألوان البرتقالي والقرنفلي بالإضافة إلى البني والرمادي والأحمر^{١٠٢} وتميز فخار حضور همدان بإضافة القش ومواد صلبة ومطحونة إلى العجينة^{١٠٣}، وهي تقنية وجدت أيضاً في فخار بعض مستوطنات سهل ذمار مثل حمة لبان الكبير والسيبال (DS150)، (DS45)^{١٠٤}.

وقد تشابه فخار الهضبة الشرقية الذي تم العثور عليه في شبوة مع فخار مستوطنات المرتفعات في بعض الجوانب وخاصة الزخرفة بأشكال الخطوط والطبقات البيضاوية، على الرغم من وجود اختلافات في نوعية العجينة ومعالجة الأسطح بالإضافة إلى أشكال الأواني التي في أغلبها عبارة عن جرار واسعة الفوهة وطاسات، تجدر الإشارة إلى أن تاريخ فخار تلك المنطقة متأخر عن فخار المرتفعات إذ أرخت الطبقتين (١-٢) التي وجد فيها للفترة بين ٢٠٠٠-٦٠٠٠ ق.م، والطبقة (٣) للفترة من ١٧٠٠ - ٤٠٠ ق.م^{١٠٥} بالأخص نهاية العصر البرونزي.

ولفخار موقع صبر كنموذج للمستوطنات الساحلية التي تمتد إلى ساحل سهل تهامة أهمية في دراسة فخار ذلك العصر بسبب كميته الكبيرة وتنوع أشكاله، فقد عثر في طبقات الموقع المختلفة، على عدد كبير من الأواني الكاملة ذات الاستخدام المنزلي، مثل الجرار والصحون قليلة الارتفاع والطاسات حملت زخارف مختلفة محزوزة ومطلية، وتميز الفخار بالصناعة المتقنة، إلا أن تاريخه متأخر عن فخار المرتفعات، إذ يعود إلى منتصف الألف الثاني ق.م، ويشابه بدرجة كبيرة وخاصة من حيث تقنية الصناعة فخار الساحل الإفريقي من البحر الأحمر، وخاصة التماثيل المصنوعة من الطين المحروق التي يمكن مقارنتها بمثيلاتها في منطقة النوبة والسودان الشرقي، وعدد من مناطق الحبشة والساحل الإريترى^{١٠٦}. وقد انتشر فخار صبر في العديد من مواقع سهل تهامة التي تعود إلى نهاية العصر البرونزي، وخاصة في موقع المدمن - شمال زبيد - الذي تميز بصناعته الجيد^{١٠٧}.

والأمر الجدير ملاحظته في تقنية فخار ذلك العصر في مستوطنات المرتفعات والهضبة الشرقية، استمرار صناعته باليد وبشكل واسع منذ بداية العصر

102 غالب، عبده عثمان تقرير مبدئي عن المسح والتنقيب في منطقة بدبدة، مرجع سابق، ص ١٣

103 غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مرجع سابق، ص ٢٢١

104 ويلكنسن، ت.ج؛ إيدنز، ك؛ غيبسن، م مرجع سابق، ص ١١٦

105 إيدنز، كريستوفر، ويلكنسن، ت.ج مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥

106 فوكت بوركهارت؛ وإليكسندر، سيدوف مرجع السابق، ص ٤٣-٤٥

107 كيل، إدوارد، ج مرجع سابق، ص ٢٤٧-٢٤٨

حتى نهايته، حيث احتلت تلك التقنية المرتبة الأولى عند الحرفين، فقد استخدمت على نطاق واسع حتى نهاية العصر البرونزي في عدد كبير من المواقع التي أرخت إلى قبيل العصر التاريخي في نهاية الألف الثاني ق.م، وفي بعض المواقع مثل شبوة صنعت جميع الأواني التي عثر عليه في الطبقة التي أرخت للفترة من ١٣٥٠ - ١٢٥٠ ق.م باليد^{١٠٨}.

ويرجح أنه لم تكن للعجلة ذلك الاستخدام الواسع في جنوب الجزيرة العربية، بالقدر نفسه الذي وجد في مناطق الشرق الأدنى القديم الأخرى، والذي بدأ في نهاية العصر الحجري الحديث، على الرغم من وجود دلائل على استخدامها في بعض المواقع اليمينية في صناعة الأنية بالكامل أو أجزاء منها مثل الحواف والقواعد^{١٠٩} وقد استمرت تقنية صناعة الفخار باليد إلى العصر التاريخي، وهناك شواهد على استمرار استخدامها حتى وقتنا الحالي في بعض المناطق اليمينية.

وقد دلت دراسة فخار العصر البرونزي في اليمن القديم وخاصة فخار خولان (وادي يناعم) على وجود تشابه مع الفخار الفلسطيني من عدة جوانب منها وجود الفوهات المقلوبة للخارج، وخاصة في المزهريات (Vases) ذات الشكل الكروي، والجرار ذات الفوهات الكبيرة، بالإضافة إلى وجود المقابض الناتئة على شكل عرووات (Ledge loop handles) ووجود الصنابير الكبيرة، بينما تميز الفخار اليمني بوجود الصحون الكبيرة التي لم يعثر على ما يماثلها في الفخار الفلسطيني، إلا مثال واحد عثر عليه في موقع مجيدو الطبقات (BAIV ، BAIII)^{١١٠}، ومن حيث الإطار الزمني فإن الفخار اليمني معاصر للفخار الفلسطيني الذي يعود للعصر البرونزي المبكر (EBI) مما يدل على التفاعل الحضاري بين المنطقتين الحضاريتين^{١١١} الأمر الذي يدحض القول بالعزلة الحضارية لجنوب الجزيرة العربية في ذلك العصر.

عادات الدفن

تدل عادات الدفن على المستوى الحضاري الذي وصلت إليه الأمم السابقة، من خلال اهتمامهم بالموتى ودفنهم، ومحاولة تخليد ذكراهم، بالإضافة إلى ارتباطها الوثيق بالمعتقدات الدينية التي كانت تمارس في عصور ما قبل التاريخ. فقد وجدت شواهد على ممارسة الطقوس والشعائر الدينية في عدد من مستوطنات العصر البرونزي من خلال تخصيص أماكن معينة من المدينة لأدائها، كما في مستوطنات خولان، بالإضافة إلى العثور على ما يشبه التماثيل التي كانت تستخدم

¹⁰⁸ بدر، ليلي سبر شبوة الاستراتيجرافي. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ١٩٦٦م، ص ١٠٩-١١٠

¹⁰⁹ غالب، عبده عثمان نظريات الفجوة الثقافية، مرجع سابق، ص ١٠

¹¹⁰ De Maigret. Alessandro A Bronze Age, Op. Cit, P 104

¹¹¹ ويلكنسن، ت.ج؛ ايدينز، ك؛ غيبسن، م مرجع سابق، ص ١٣٦

في تلك الشعائر^{١١٢} كما عثر في مستوطنات سهل ذمار ومستوطنة صبر بالقرب من الساحل على مبان عامة وكبيرة تمثل بدايات العمارة الدينية وخاصة المعابد^{١١٣}. ومن خلال الشواهد الأثرية التي تم العثور عليها في عدد من مستوطنات ومواقع ذلك العصر يتبين اهتمام الإنسان بدفن الموتى وتنوع أشكال القبور التي عثر عليها سواء أكانت فردية أم جماعية، ففي مستوطنة خراب المجير في حضور همدان خصصت مواقع معينة خارج المستوطنات للدفن تبعد عنها حوالي ٥٠٠ م، احتوت على مقابر مختلفة الأنواع والأحجام^{١١٤}.

على أن التنوع في أشكال القبور ظهر بشكل واضح في منطقة الهضبة الشرقية، على حواف رملة السبعين (مفازة صيهدي) ومنها القبور البرجية (الدرم) (Cairn) وهي عبارة عن قبور دائرية بنيت من الحجارة متوسط قطرها في الغالب ٤م وارتفاعها يزيد عن ٥م، تتصل بها ما يعرف بالذيول^{١١٥} المتمثلة بجدران قليلة الارتفاع يمتد طولها أحياناً إلى عدة كيلومترات ما زال تفسير وظيفتها مجهول، حيث وضعت عدة تفسيرات منها أنها ارتبطت بالشعائر الجنائزية للمتوفى، أو أنها مثلت طابعاً رمزياً لمكانة المتوفى الاجتماعية، أو مكانة عشيرته أو جماعته^{١١٦}.

والقبر من الداخل عبارة عن غرفة دفن تحت مستوى سطح الأرض يتم الدخول إليها عبر باب مستطيل الشكل يفتح في البناء البرجي ويرتفع عن الأرض بمقدار ١م، تغطي الغرفة بلاطات كبيرة من الحجارة. وقد انتشر هذا النوع من المقابر في عدد من مناطق اليمن وشبه الجزيرة العربية، ويختار لها مناطق مرتفعة فوق الهضاب، وقد أرخت نماذج منها وخاصة الموجودة في منطقة الجول في حضرموت إلى نهاية الألف الرابع ق.م^{١١٧} بينما أرخها البعض إلى الألف الثالث ق.م^{١١٨}. كما عثر على نمط آخر من القبور بالقرب من سهل ذمار تشبه إلى حد كبير قبور الدولمن (Dolmen) من النوع الذي عرف في أوروبا الوسطى^{١١٩} وما زالت المعلومات عنها قليلة.

وتميزت أماكن الدفن في المستوطنات الساحلية الموجودة في سهل تهامة بارتباطها بالنصب الحجرية (Megalith) وهي عبارة عن عدد من الأعمدة

¹¹² De Maigret. Alessandro Ibid, Pp 85;101

¹¹³ أنظر العمارة (المباني العامة) أعلاه

¹¹⁴ غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مرجع سابق، ص ٢٢٠

¹¹⁵ هربية، تارا ستيمر مرجع سابق، ص ٣٩

¹¹⁶ فوكت، بوركهاتر نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت، مرجع سابق، ص ٣٩

¹¹⁷ دي ميغريه، إيساندرود عصر البرونز، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨

¹¹⁸ هربية، تارا ستيمر المرجع سابق، ص ٤١

¹¹⁹ دي ميغريه، إيساندرود عصر البرونز، مرجع سابق، ص ٣٩

الجرانيتية الضخمة والعالية يختلف عددها من مدفن لآخر، ويتراوح ارتفاعها بين ١- ٢،٥م وقد يصل إلى ٧م، عثر عليها في عدد من المواقع بالقرب من مدينة زبيد ومنطقة المدمن وحيس، أرخ عدد منها إلى الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م، وقد ارتبطت نماذج منها بمقابر الأطفال التذكارية^{١٢٠}، وتدل الأدوات التي عثر عليها بجانب تلك النصب الحجرية على مرحلة زمنية أقدم من العصر البرونزي، فقد عثر على فؤوس وسكاكين وقواطع حجرية بالإضافة إلى أدوات صنعت من النحاس، وأخرى مصنوعة من الزجاج البركاني (الأوبسيديان) كما عثر على المكاشط الحجرية ورؤوس السهام التي أرخت إلى نهاية العصر الحجري الحديث النحاسي وبداية العصر البرونزي المبكر^{١٢١} مما يرجح طول الفترة الزمنية للمواقع وتعاقب الاستيطان فيها خلال تلك العصور.

وقد تميزت بعض القبور السطحية في الهضبة الشرقية (جول حضرموت) بوجود الشواهد التذكارية التي توضع عليها، والمكونة في الغالب من صفائح حجرية مستطيلة الشكل، تحمل منحوتات جنائزية على شكل رسوم بارزة بأشكال آدمية ذات لحى تحمل خناجر لها مقابض وضعت على البطن بشكل مائل، بالإضافة إلى أشكال زخرفية عبارة عن خطوط متموجة، وموضوعات أخرى اختلفت من شاهد لآخر (شكل ١٧) وقد أرخت إلى مرحلة متأخرة من العصر البرونزي وبالتحديد إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م^{١٢٢} وهي بذلك تمثل مرحلة متقدمة من الفن الجنائزي زودتنا بمعلومات عن الهيئات الأدمية لسكان جنوب الجزيرة العربية قبيل العصر التاريخي.

الفنون (الرسوم الصخرية)

شهد العصر البرونزي في اليمن القديم ترسيخاً لجوانب مختلفة من الفنون، على الرغم من قلة الدلائل الأثرية، فإلى جانب الموضوعات الفنية التي حملتها الأواني والكسر الفخارية، ظهرت بعض الرسومات على شواهد القبور^{١٢٣} ولكن فنون ذلك العصر تجسدت في المقام الأول بما يعرف بالرسوم الصخرية، وهي عبارة عن رسومات بأشكال مختلفة نفذت بالحز والتلوين أحياناً على واجهات صخرية لأجزاء من جبال متفاوتة الارتفاع، بحيث تسوى تلك الواجهات مسبقاً بشكل يسمح بالنقش والرسم عليها، وقد انتشرت تلك الرسوم في عدد من المناطق

١٢٠ كيل، إدوارد، ج مرجع سابق، ص ٢٤٥؛ ٢٥١-٢٥٢

١٢١ Keal, E.J Island Story .Yemeni Style. Archaeological News letter, Series III, Vol. (5) August 1997, Pp 1-5

١٢٢ فوكت، بوركهاتر نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت، مرجع سابق، ص ٣١

١٢٣ انظر أعلاه، عادات الدفن

اليمنية امتدت حتى منطقة صعدة شمالاً وعرفت في بعض مناطق الجزيرة العربية وأرخت إلى عصور ما قبل التاريخ^{١٢٤}.

وقد شملت تلك الرسوم موضوعات مختلفة استقاها الفنان من البيئة المحيطة به، وأسلوب حياته اليومية، ومتطلباته المعيشية، ومعتقداته الدينية، حيث أرخت بدايتها إلى العصر الحجري الحديث، وتمثلت في رسومات لحيوانات كانت تعيش في نفس العصر وخاصة في المناطق الشمالية من اليمن، وفي مقدمتها الثيران والجاموس التي رسمت بعناية فائقة، وفي بعض الأحيان تم تلوين الصور باللون الأحمر^{١٢٥}.

وقد تطورت تلك النوعية من الفنون، في العصر البرونزي من خلال تنوع الموضوعات التي تناولتها، وإتقان الفنان لعملية الرسم والنقش على واجهات الجبال، حيث شملت رسومات لحيوانات جديدة بأوضاع مختلفة بشكل فردي أو جماعي ومنها البقر والوعل والظبي والحمار، بالإضافة إلى ظهور الرسومات الأدمية للمحاربين والصيادين ذوي الرؤوس البيضاء (شكل ١٨) حيث صوروا بأوضاع مختلفة وهم يحملون أدوات الصيد والقتال^{١٢٦}، واختفت رسوم الثيران التي كانت الموضوع السائد في العصر الحجري الحديث.

وعلى الرغم من عدم وضع تاريخ دقيق لتلك الرسومات ضمن العصر البرونزي من قبل الباحثين، إلا أنها تعكس التغيرات المناخية من خلال انقراض أنواع من الحيوانات وفي مقدمتها الثيران، واستمرار حيوانات أخرى مثل الوعل والظبي التي تأقلمت مع التغيرات المناخية التي حدثت في ذلك العصر وميلها نحو الجفاف، حيث استمرت طوال ذلك العصر وامتدت إلى العصور التاريخية، وظهور الممالك اليمنية القديمة.

وقد حظيت الرسوم الأدمية للمحاربين والتي أرخت للألف الثالث ق.م ووجد لها نظائر في وسط الجزيرة العربية وإفريقيا باهتمام من قبل الباحثين المهتمين بدراسة عصور ما قبل التاريخ لأنها كشفت عن نوعية السكان الذين كان يعيشون في ذلك العصر وأطلق عليهم ذوي الرؤوس البيضاء، حيث رسموا وهم يتحلون بالزينة ويلبسون الملابس، ويحملون أسلحة مختلفة الأشكال، هي في الغالب عبارة عن رمح أو رمحين ذي نصلة عريضة في الغالب، بالإضافة إلى الدرع (الدرقة)، كما ظهرت في الرسوم الحناجر والسيوف، والقوس والنبال، وكشف عن نماذج

¹²⁴ Jung, Micheal Bronze Age Rock Pictures in North Yemen. East and West, Vol. (41) No (1-4) 1991 Pp 47-48

¹²⁵ غاريسيا، الآن؛ مديحة رشاد: فن ما قبل التاريخ. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، ١٩٩٩م، ص ٢٧

¹²⁶ Jung, Micheal Ibid, Pp 64-65 وكذلك غاريسيا، الآن؛ مديحة رشاد المرجع السابق، ص ٢٧

يرتدي فيها المحاربون أقنعة ومنها الرسومات التي عثر عليها في منطقة صافر في مارب^{١٢٧} ومن خلال تلك الرسومات وخاصة مناظر الصيد والقنص يرجح أن أولئك القوم اعتمدوا على تلك العملية في حياتهم اليومية، كما أنها تظهر بعض الدلالات الدينية التي ارتبطت بالقيام ببعض الطقوس والشعائر التي ترسخت في العصر التاريخي.

الإطار الزمني

من خلال الشواهد الأثرية السابقة ما زال التطرق إلى التقسيم الزمني للعصر البرونزي في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) إلى مراحل متسلسلة أسوة بما هو معروف في حضارات الشرق الأدنى القديم الأخرى وخاصة بلاد ما بين النهرين والهلال الخصيب، أمر سابق لأوانه، لأن الشواهد الأثرية التاريخية لمستوطنات ذلك العصر - كشف عنها التنقيب الأثري المنهجي - لا تزودنا بمعلومات مفصلة يمكن من خلالها وضع تصور مفصل لذلك التسلسل في وقتنا الحالي، على الرغم من الحصول على تواريخ دقيقة لبعض المستوطنات باستخدام طرق التأريخ المطلقة ومنها الكربون المشع، إلا أنها لا تعين على توضيح أساسيات ذلك التسلسل للأسباب الآتية:

- ١- لأنها شواهد لتواريخ جامدة تؤرخ للحظة معينة ومحددة وغير متسلسلة.
- ٢- ولأنها تؤرخ لموقع أو مستوطنة معينة بحد ذاتها بغض النظر عن المواقع الأخرى.
- ٣- ولأنها جمعت تلك التواريخ من مناطق مختلفة ظهر فيها العصر البرونزي، وهي خاصة بمواقع معينة انقطع الاستيطان فيها، وظهر في منطقة أخرى وبالتالي انقطع تسلسلها التاريخي.

فهنالك تواريخ مطلقة أخذت من مستوطنات منطقة خولان أعطت نتائج تختلف عن المستوطنات الموجودة في سهل نمار، وهي تختلف عن تلك الموجودة في الهضبة الشرقية والمناطق الساحلية. فما زال الباحثون والمنقبون يضعون تواريخ غير دقيقة ومحددة لتلك المناطق، وهي في أغلبها مجملة مثل الألف الثالث ق.م والألف الثاني ق.م دون تفصيل لسنوات أو مراحل إلا ما ندر.

ومن خلال شواهد التأريخ المطلق وكذلك النسبي لنتائج التنقيب الذي قامت به البعثات العاملة في اليمن يمكن الخروج بتصوير أولي عن الإطار الزمني لذلك العصر تضم مختلف المناطق التي ظهر فيها على النحو الآتي :-

يبدأ العصر البرونزي متداخلاً مع ما يسمى بالعصر الحجري الحديث المتقدم (Post Neolithic) في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث في مستوطنات مناطق المرتفعات مثل خولان والأعروش ووادي يناعم وحضور همدان

¹²⁷ Jung, Micheal Op. Cit. Pp 51-52; 46-66;73

وبددة، بالإضافة إلى منطقة حوض سد مارب وبداية نظام الري فيه، حيث استمرت السكنى في تلك المستوطنات خلال الألف الثالث وجزء من الألف الثاني ق.م.^{١٢٨}

وفي بداية الألف الثاني ق.م والنصف الأول منه ازدهرت تلك المستوطنات وبلغت مرحلة متقدمة من التطور، وأعطت نتائج عينات الكربون المشع في وادي يناعم تواريخ مثل ٢٠٦٠-٩٠٠ ق.م ، ١٨٣٠-٦٧٠ ق.م^{١٢٩} . وفي الوقت الذي انقطعت فيه السكنى في بعض مستوطنات تلك المناطق ازدهرت مستوطنات أخرى إلى الجنوب منها تمثلت في مستوطنات سهل نمار مثل حمة القاع التي استمرت السكنى فيها خلال الألف الثاني ق.م^{١٣٠} . وشهدت مناطق أخرى الازدهار نفسه وفي الفترة نفسه تقريباً خلال الألف الثاني ق.م وخاصة منطقة الجوبة في مارب، ومستوطنات الساحل مثل صبر وساحل تهامة، ومواقع الهضبة الشرقية في حضرموت^{١٣١} .

وتعتبر مواقع وادي يلا عند المجرى العلوي لوادي ننة في مارب وخاصة مدينة حفري، والطبقات السفلى من مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت مثالا لنهاية العصر البرونزي والوصول إلى العصر التاريخي، حيث أعطت نتائج التأريخ المطلق (الكربون المشع) من الطبقات السفلى لمدينة شبوة (سبر ٢) المستوى (١) نتائج تعود إلى منتصف الألف الثاني ق.م (١٥٥٠ ق.م، ١٤٩٠)،^{١٣٢} كما أعطت نتائج عينات راديوية يلا (١٢٤٠-٣٠٠ ق.م) ؛ (١٣٩٥-٩٢٠ ق.م) لتمثل حلقات رابطة للوصول على العصر الحديدي وبالتالي العصر التاريخي في بداية

128 De Maigret. Alessandro A Bronze Age, Op. Cit, P 105 ؛ غالب، عبده عثمان تقرير مبدئي عن المسح والتنقيب في منطقة بددة، مرجع سابق، ص ١١؛ دي ميغريه، أليساندرو عصر البرونز، مرجع سابق، ص ٣٤

129 De Maigret. Alessandro; et al Archaeological Activates in the Yemen, 1984 Op. Cit, P 430

130 Wilkinson, T,J & Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, 1997-1998, Op. Cit

Wilkinson, T,J Project for The Archaeology of Yemeni Terraced, 1999-2000 Op. Cit,

Edens, C.; Wilkinson, T,J; Barrait, G Hammat al- Qa< and the Roots of Urbanism in South West Arabia, Antiquity, Vol. (74) Pp. 854-862

131 فوكت بوركهات ؛ وإليكسندر ، سيدوف مرجع السابق، ص ٤٢ ؛ ٤٤

132 دي ميغريه، أليساندرو؛ رويان ، كريستيان التنقيبات الإيطالية في يلا (اليمين)، معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام، ص ٣٢؛ وكذلك ؛ بدر، ليلى مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩

الألف الأول ق.م وبداية ظهور الممالك اليمنية القديمة، وليظل ذلك التسلسل بحاجة إلى دراسات مستقبلية جديدة بحيث تسد فجواته وتعطي تفاصيل أدق حول تقسيماته.

الخلاصة

من خلال دراسة المميزات الحضارية للعصر البرونزي في اليمن القديم اتضح أنه لا يمكن حتى وقتنا الحالي وضع تسلسل زمني واضح ومفصل من بداية العصر حتى نهايته كما هو في المناطق الحضارية الأخرى في الشرق الأدنى القديم، وتكمن الصعوبة في عدم وجود المعلومات والشواهد الكافية لوضع ذلك التسلسل، والأمر مرتبط بالدراسات والتنقيب المستقبلي.

إن التباين النسبي في أسلوب الحياة ونمط المستوطنات من منطقة لأخرى في اليمن القديم خلال ذلك العصر يرجع في المقام الأول إلى الاختلافات الجغرافية والمناخية والبيئية التي طبعت حياة الإنسان في كل منطقة بطابعها، ولم تكن تلك التباينات نتيجة لوجود أجناس بشرية أخرى أو تأثيرات خارجية قوية.

هناك الكثير من التشابهات بين مواقع العصر البرونزي ومستوطناته سواء تلك الموجودة في مناطق المرتفعات أو المناطق الساحلية والسهلية، وتظهر بشكل واضح في الجانب المعماري وخاصة أسلوب التحصين وأشكال المنازل، بالإضافة إلى بعض جوانب النشاط الاقتصادي، ويرجع ذلك إلى الأصل الحضاري الواحد، والتجانس بين المجتمعات التي عاشت في ذلك العصر.

يلاحظ الاختلاف والتباين بين الباحثين حول تسميات مستوطنات ذلك العصر ومدى التطور الحضاري الذي وصلت إليه، فقد أطلق بعضهم عليها تسميات مثل قرية، أو قرية كبيرة، أو مدينة، مستوطنة، موقع، وليس هناك تصور واضح حول الاختلافات بين تلك التسميات مما يصعب من بيان طبيعتها، ويجب أن توضح من خلال التنقيب في مواقع جديدة والحصول على معلومات إضافية حول الموضوع.

إن القول بوجود ثقافات مختلفة في اليمن خلال العصر البرونزي، ووجود أجناس أخرى مثل الكوشيين في موقع صبر الساحلي، والساميين في مستوطنات المرتفعات أمر غير أكيد، والبيت في ذلك سابق لأوانه لأن الدلائل الأثرية لا تؤكد ذلك بشكل قاطع، كما أن هجران موقع صبر لا يدل على صراع مع جنس آخر، بل يرجح أن للظروف المناخية دور في هجران ذلك الموقع وازدهار مواقع أخرى في المناطق الداخلية لملائمتها للسكن قبل العصر التاريخي.

من الفروق الواضحة في مميزات العصر البرونزي مقارنة ببعض بلدان الشرق الأدنى القديم الأخرى، عدم توصل اليمنيين إلى الكتابة، كما في العراق ومصر، وبذلك يتم الاعتماد على الشواهد الأثرية في الحصول على المعلومات، واليمن بذلك تتشابه مع بعض المناطق مثل جنوبي بلاد الشام وبعض مناطق الجزيرة العربية، ولم يتوصل اليمنيون إلى الكتابة إلا في نهاية ذلك العصر.

قائمة المصادر المراجع

١. أيدينز، كريستوفر؛ ويلكنسن، ت. ج جنوب الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث (الهولوسيني)، في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، ص ١-٩٦ ترجمة ياسين محمد الخالصي، صنعاء: المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ٢٠٠١م.
٢. برونر، أونلي بدايات الري. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ. ترجمة بدر الدين عردوكي ص ٥٣-٥٤، باريس معهد العالم العربي ١٩٩٩م.
٣. بدر، ليلي، سبر شبة الاستراتيجرافي. في كتاب شبة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٠٦-١٢٤، صنعاء: المعد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ٢٠٠١م.
٤. دي ميغريه، إيساندرو عصر البرونز في المرتفعات. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ. ترجمة بدر الدين عردوكي ص ٣٤-٣٩، باريس معهد العالم العربي ١٩٩٩م.
٥. دي ميغريه، إيساندرو؛ روبان، كريستيان التنقيبات الإيطالية في يلا اليمن، معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام. ترجمة منير عريش صنعاء: المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ١٩٩٩م.
٦. تصابور: عني عبد الله. جغرافيا عبر التاريخ. دبي: وزارة الإعلام. د.ت.
٧. طه، منير يوسف اكتشاف العصر الحديدي في دولة الإمارات العربية المتحدة. البصرة: جامعة البصرة ١٩٨٩م.
٨. العريقي، منير عبد الجليل الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم. القاهرة: مكتبة مدبولي ٢٠٠٢م.
٩. عصفور، محمد أبو المحاسن معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. بيروت: دار النهضة العربية. د.ت.
١٠. غالب، عبده عثمان تقرير مبدئي عن المسح والتنقيبات في منطقة بدبة (مأرب) الموسم الأول التاريخ والآثار، عدد (١) ص ١٠-٦١، صنعاء: جمعية التاريخ والآثار اليمنية ١٩٩٩م.
١١. نظرية الفجوة الثقافية والاستيطان الحضري في اليمن القديم. التاريخ والآثار، عدد (٣، ٢) ص ٤-١٧، صنعاء: جمعية التاريخ والآثار اليمنية، ١٩٩٣/١٩٩٤م.
١٢. غالب، عبده عثمان نتائج المسح الأثري في حضور همدان، مواقع جديدة من الألف الرابع والثالث ق.م. الإكليل عدد (٢٣) ص ٢١٠-٢٣٣ صنعاء: وزارة الإعلام ١٩٩٥م.

١٣. ثقافة المجتمعات في العصر البرونزي في اليمن، دراسة تحليلية للأنماط المعمارية والمواد الأثرية، المسند، عدد (١) مج (١) ص ٩-١٥، صنعاء الهيئة العامة للآثار ٢٠٠١م.
١٤. فوكت، بوركهارت. نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ. ترجمة بدر الدين عردوكي ص ٣٠-٣٣، باريس معهد العالم العربي ١٩٩٩م.
١٥. صبر مدينة من نهاية الألف الثاني خلف منطقة عدن. في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ. ترجمة بدر الدين عردوكي ص ٤٧-٤٨، باريس معهد العالم العربي ١٩٩٩م.
١٦. فوكت، بوركهارت وسيدوف، إيكساندر ثقافة صبر على الشاطئ اليمني. في كتاب اليمن في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ. ترجمة بدر الدين عردوكي ص ٤٢-٤٦، باريس معهد العالم العربي ١٩٩٩م.
١٧. كفاقي، زيدان عبد الكافي مواقع وأدوات من العصور الحجرية في اليمن. المسند، عدد (١) مج (١) ص ٤٥-٤٩، صنعاء الهيئة العامة للآثار ٢٠٠١م.
١٨. مدخل إلى علم الآثار. إربد: مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر ٢٠٠٤م.
١٩. كوتريل، ليونارد الموسوعة الثرية العالمية. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧م.
٢٠. محيسن، سلطان آثار الوطن العربي (الآثار الشرقية) دمشق: جامعة دمشق ١٩٨٨-١٩٨٩م
٢١. ----- عصور ما قبل التاريخ. دمشق: جامعة دمشق ١٩٩٠م.
٢٢. هربية، تاراستيمر النصب الحجرية في اليمن. (حوليات يمنية) ص ٣٩-٤٣، صنعاء المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ٢٠٠٢م.
٢٣. ويلكنسن، ت. ج؛ ايدينز، ك؛ غيبسن، م آثار المرتفعات اليمنية. في كتاب دراسات في الآثار اليمنية، ص ٩٧-١٨٥ ترجمة ياسين محمد الخالصي، صنعاء المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ٢٠٠١م.
٢٤. ياسين، خير نمر جنوبي بلاد الشام تاريخه وآثاره في العصور البرونزية. د.ب. د.ت.

References

Costantini, Loranzo Plant Impressions in Bronze Age pottery from Yemen. East and West, Vol.(34) No(1-33) Pp.107-115 Rome, 1984.

De Maigret, Alessandro A bronze Age for Southern Arabia. East and West ,Vol. (34), No 1-3, Pp. 75- 106,Rome, 1984.

----- Archaeological Activities in the Yemen Arab Republic, East and West Vol. 34,No 4,Pp426-427 ; Rome 1984.

Edens, C.; Wilkinson, T,J; Barrait, G Hammat al- Qa< and the Roots of Urbanism in South West Arabia. Antiquity, Vol. (74) Pp. 854-862.

Fedele, G, Francesco Fauna of Wadi Yana,im (WYI) Yemen, East and West. Vol.34. No.1-3,Pp117-125, Rome 1984.

-----;Di Mario Archaeological Activates in the Yemen Arab Republic 1984, East and West Vol. 34,No 4,Pp 424-439 Rome 1984.

-----;----- Archaeological Activates in the Yemen Arab Republic, East and West, Vol. 36,No 4,Pp 376- 422, Rome 1986.

Gibson ,M,& Wilkinson, T,J Oriental Institute Investigations in Yemen , Dhamar Project 1994-1995 ou.uchicago.edu

Gibson ,M,& Wilkinson Oriental Institute Investigations in Yemen Dhamar Project 1995-1996 ou.uchicago.edu

Hassan, Faken, A Environmental change and the origins and spread food production in the Middle East. Adumato, No(1) Pp 7-28 Riyadh 2000.

Jung, Micheal Bronze Age Rock Pictures in North Yemen. East and West, Vol. (41) No (1-4) Pp 47-77 Rome 1991

Keal, E.J Island Story .Yemeni Style. Archaeological News letter, Series III, Vol. (5) August, Pp 1-5 1997

Sauer, James; Blakely, Jeffrey Archaeology along the Spice Rout of Yemen. In Araby the Blest, Pp. 44-115 Copenhagen 1988

Sidqi, Kamal Archaeological Glossary. Riyadh, 1987

Wilkinson, T,J Project for The Archaeology of Yemeni Terraced Agriculture 1999-2000 Annual Report. ou.uchicago.edu

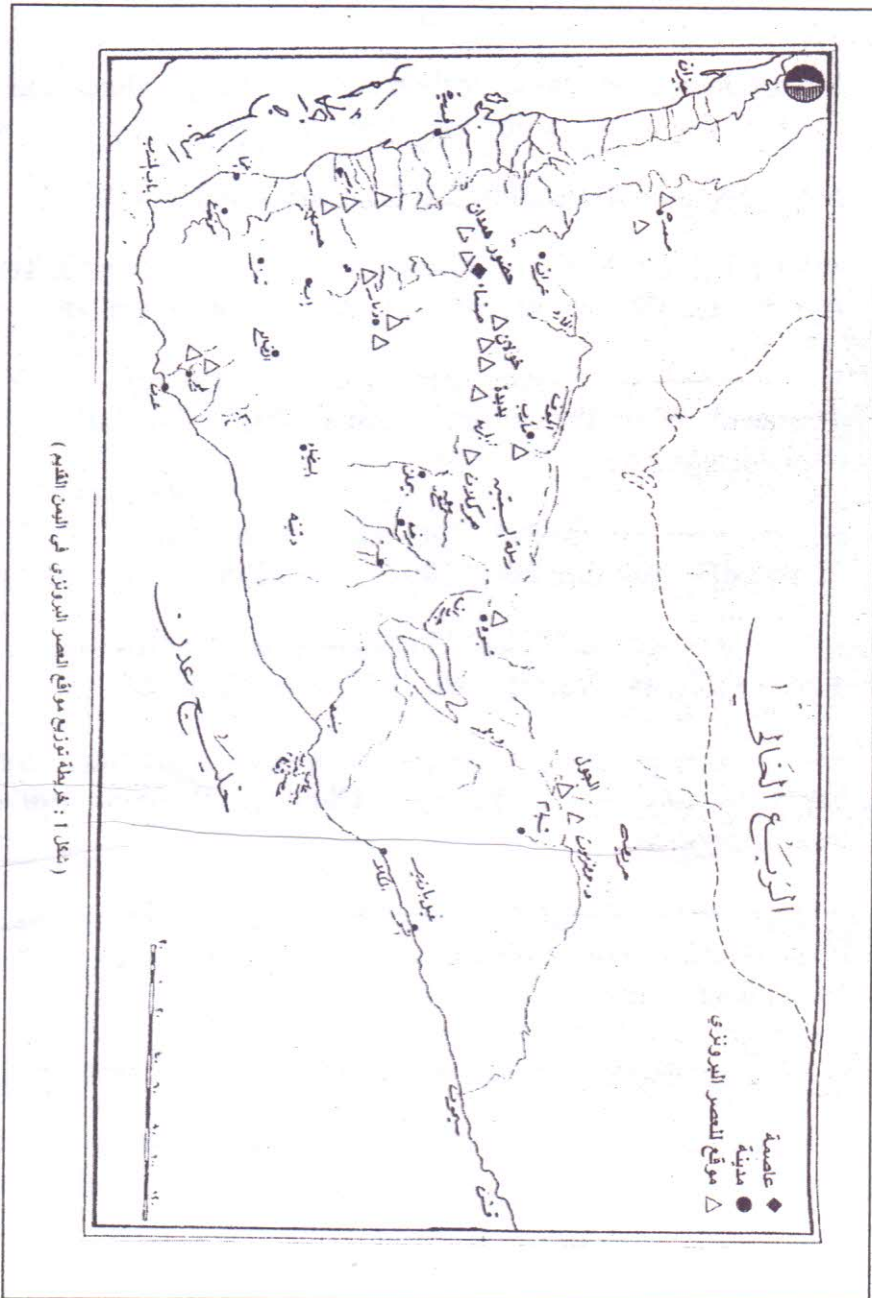
----- Project for The Archaeology of Yemeni Terraced Agriculture 2000-2001 Annual Report. ou.uchicago.edu

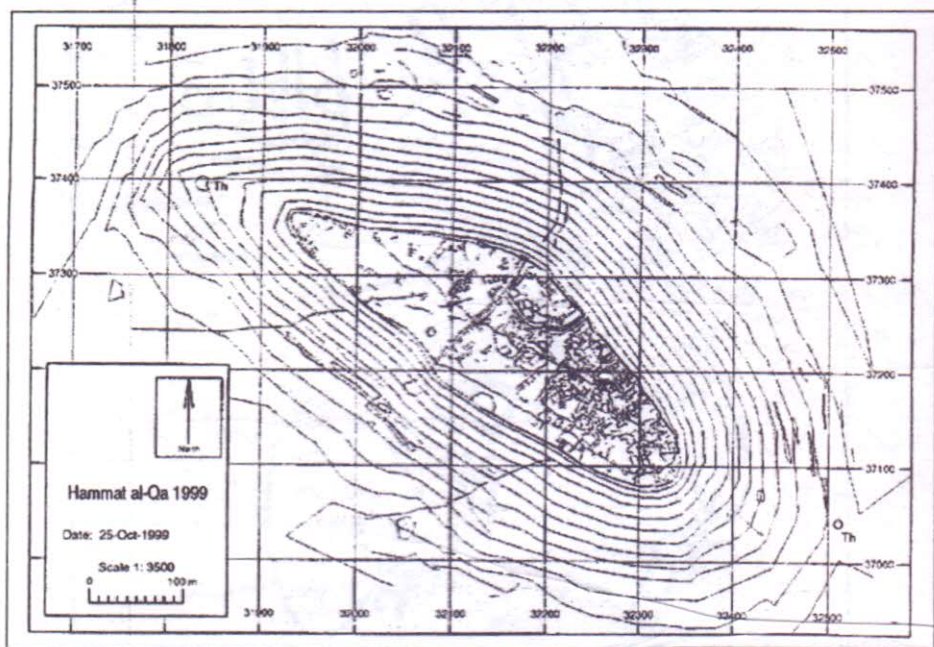
----- Project for The Archaeology of Yemeni Terraced Agriculture 2001-2002 Annual Report. ou.uchicago.edu

----- ; &Gibson, M Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project 1996-1997 ou.uchicago.edu

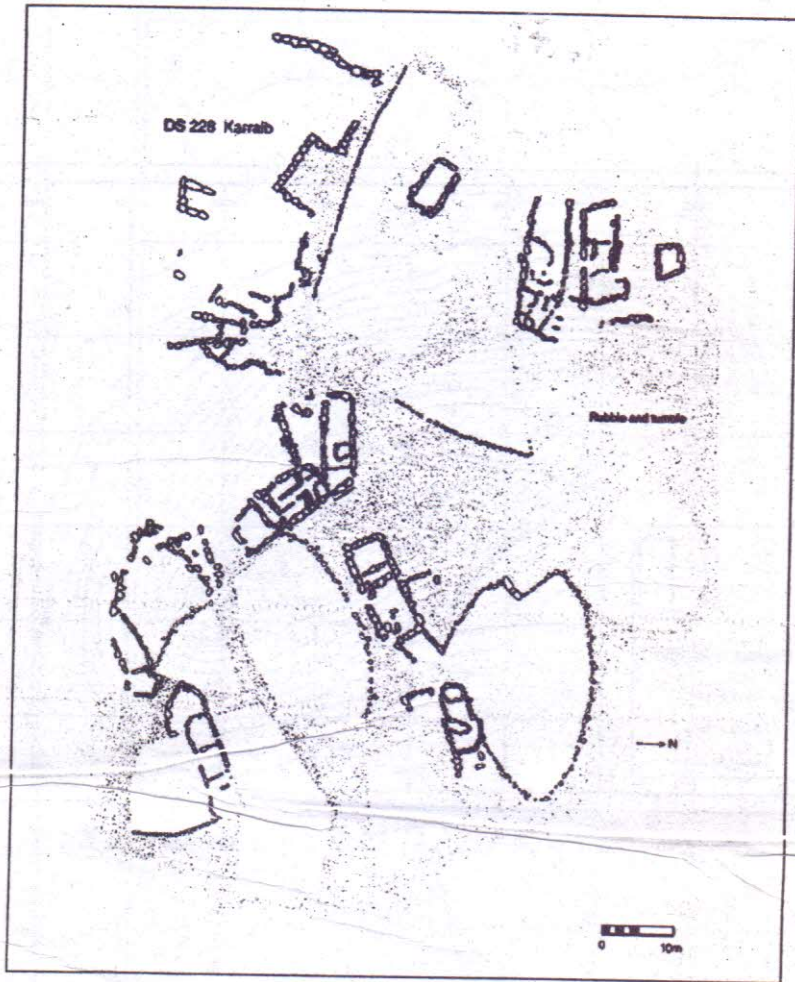
----- ; ----- Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project 1997-1998 ou.uchicago.edu

----- ; ----- Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project 1998-1999 ou.uchicago.edu

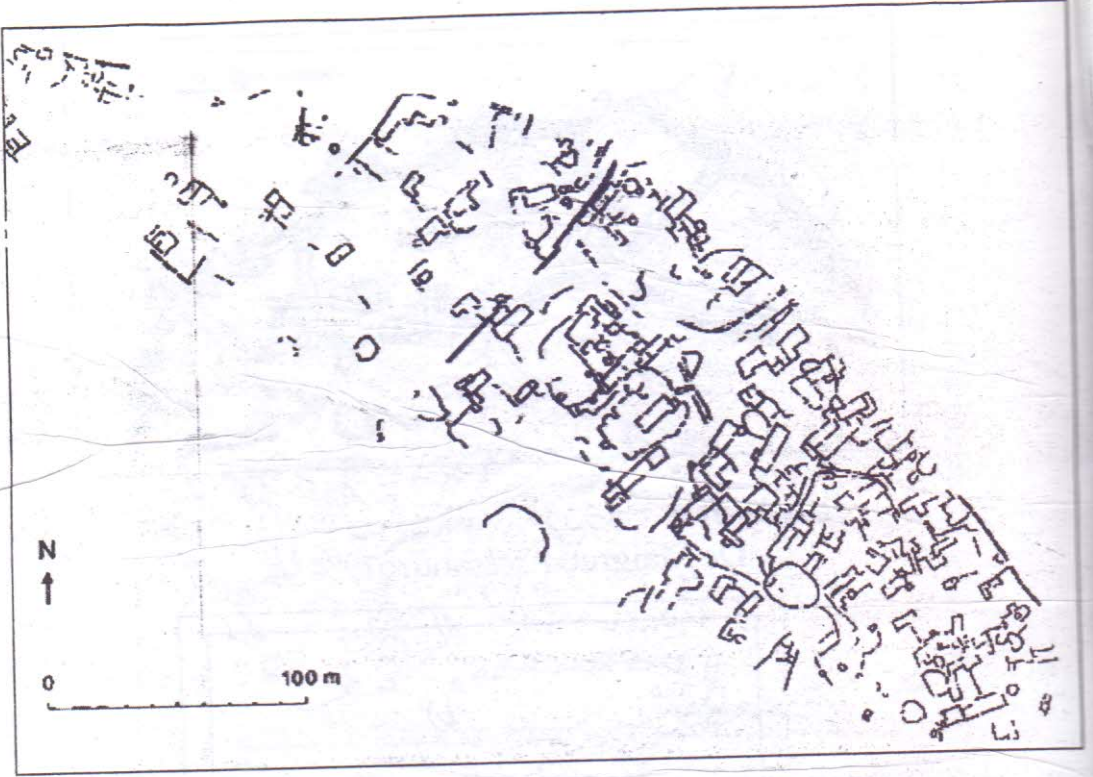




شكل ٢: خارطة طبوغرافية لموقع حمة القاع ، سهل دمار



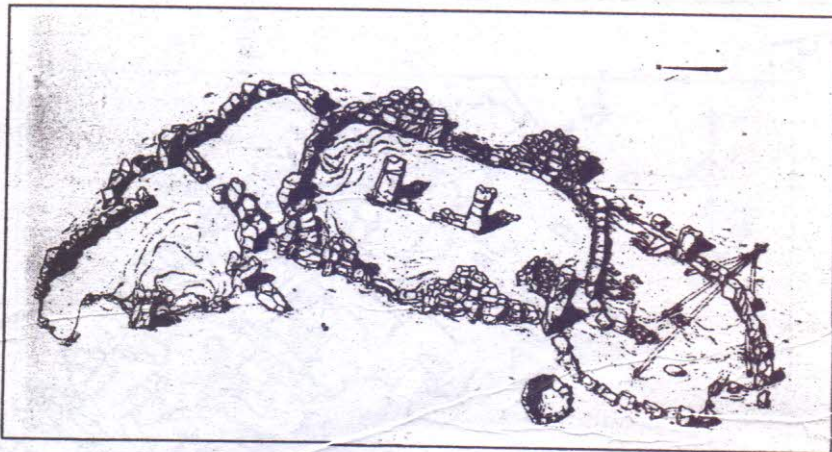
شكل ٣: مخطط موقع خرائب، سهل ذمار



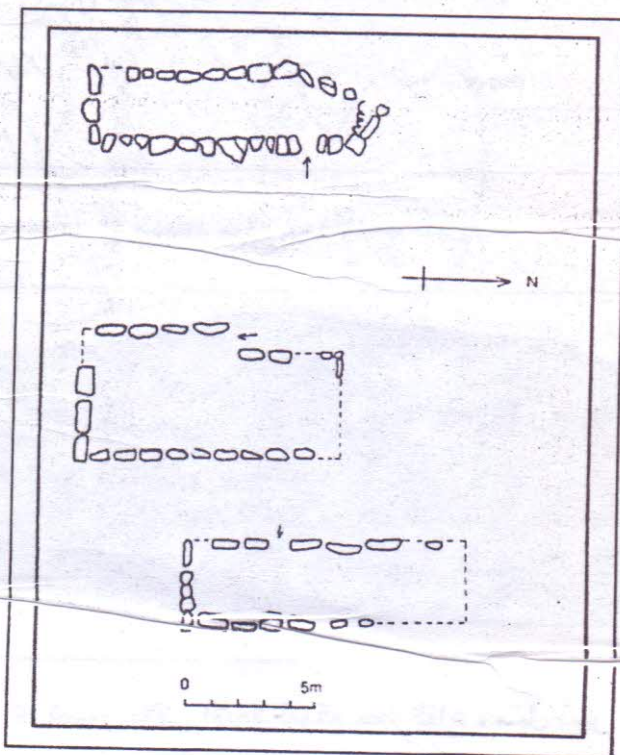
شكل ٤: مخطط موقع حمّة القاع، سهل نمار



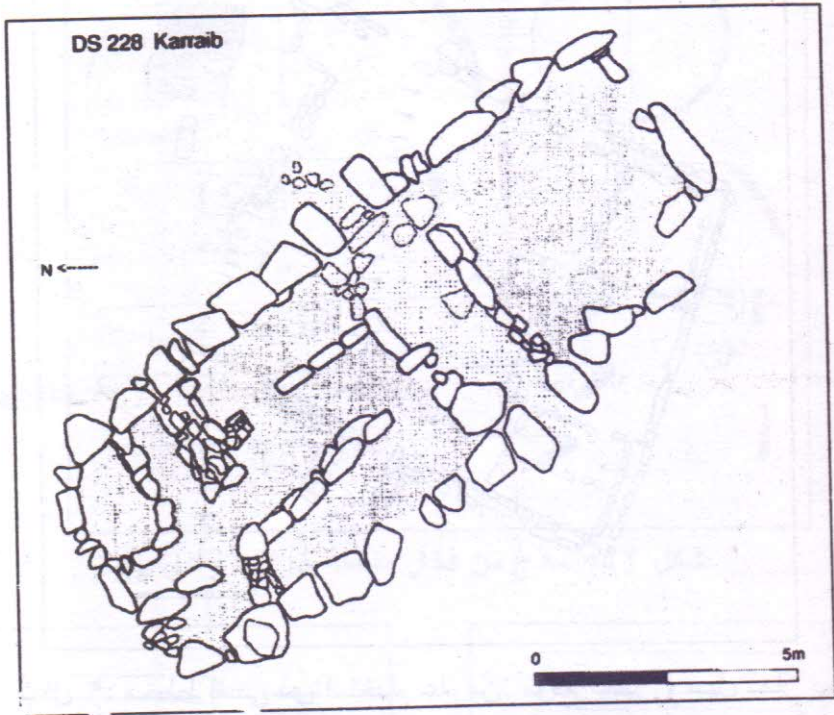
شكل ٥: تصور ثلاثي الأبعاد لموقع حمّة القاع ، سهل نمار



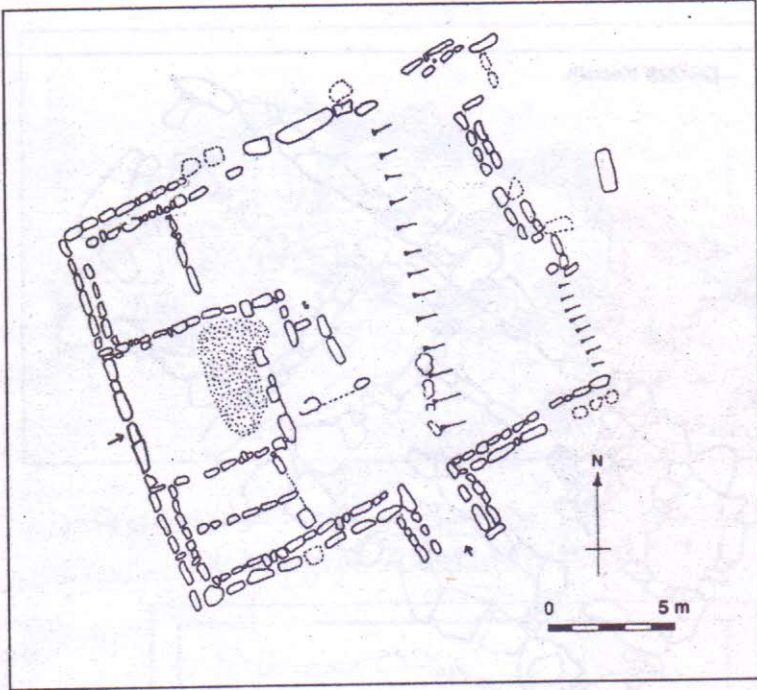
شكل ٦: مخطط منزل من العصر البرونزي : خولان وادي يناعم:
عن De Maigret, Alessandro 1984



شكل ٧: مخطط منازل مستطيلة من العصر البرونزي من موقع مدينة البلد ، نمار



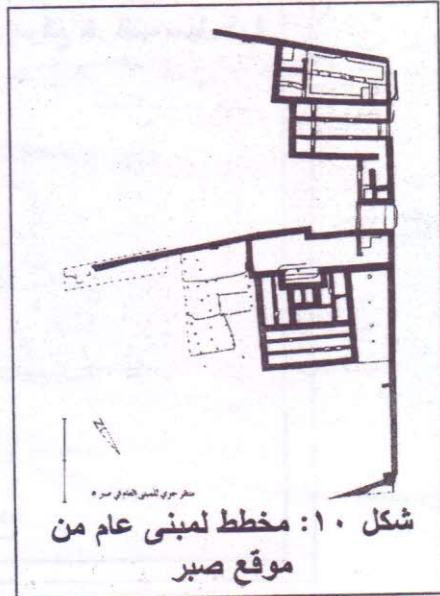
شكل ٨: مخطط منزل مستطيل من موقع خرائب سهل نمار



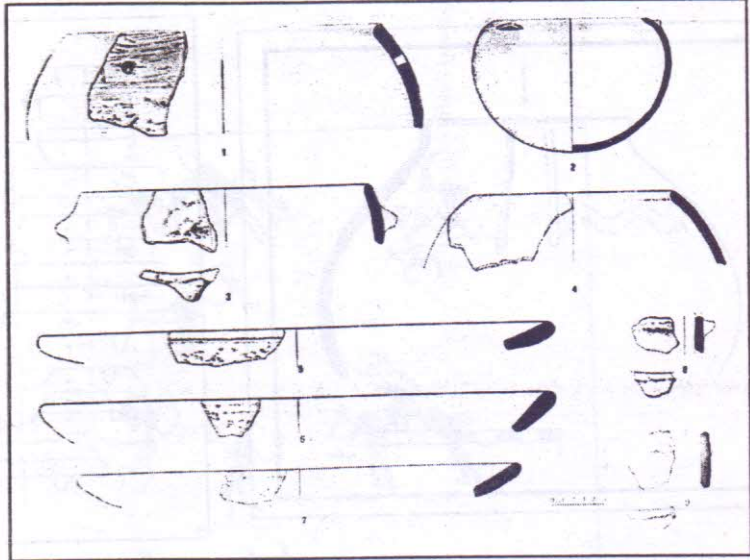
شكل ٩: مخطط لمبنى ذي استخدام عام من موقع العقير ، سهل ذمار



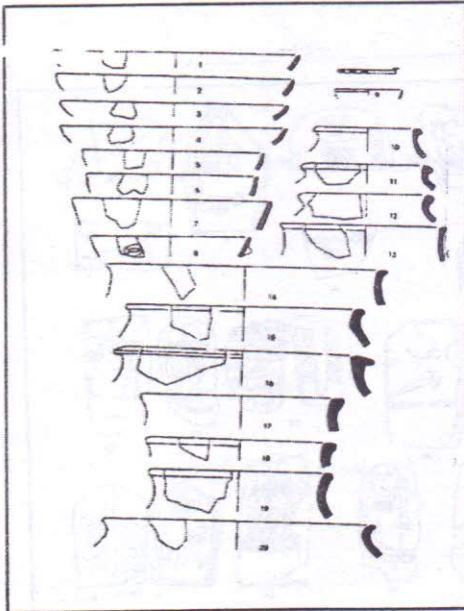
شكل ١١: أدوات حجرية من العصر البرونزي سهل ذمار



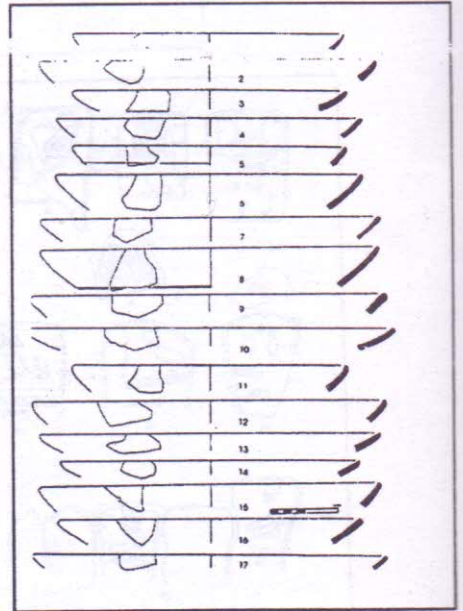
شكل ١٠: مخطط لمبنى عام من موقع صبر



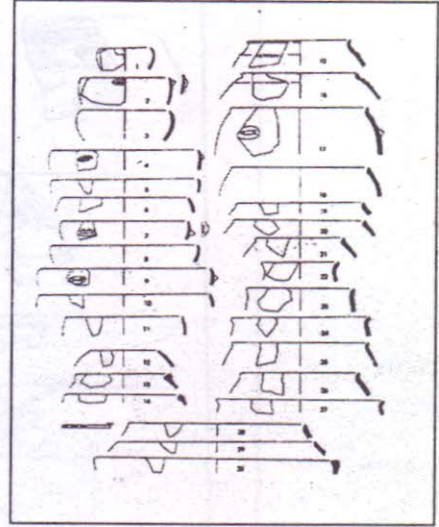
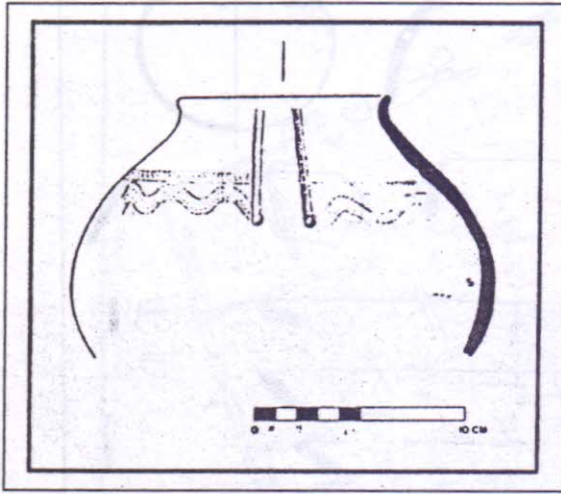
شكل ١٢: نماذج من فخار منطقة خولان، وادي بناعم



شكل ١٤: نماذج من فخار العصر البرونزي، من سهل نمار



شكل ١٣: فخار العصر البرونزي من سهل نمار

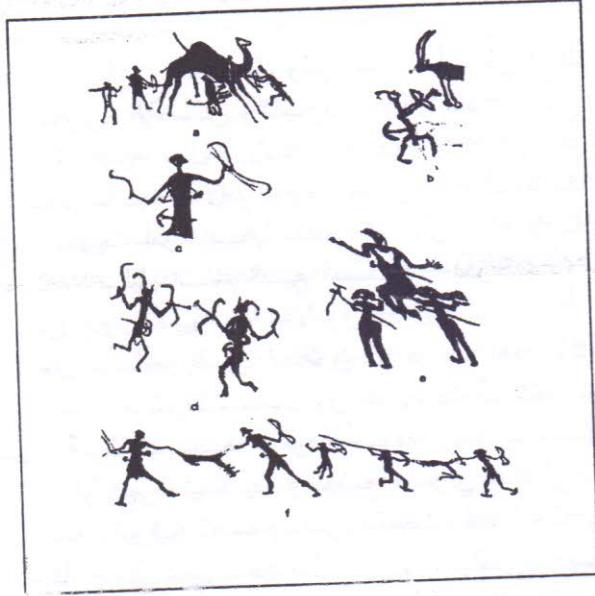


شكل ١٦: أنية من فخار العصر البرونزي المتأخر، سهل ذمار

شكل ١٥: نماذج من فخار العصر البرونزي، سهل زمار



شكل ١٦: شواهد قبور من العصر البرونزي، حضرموت



شكل ١٨: نماذج من الرسوم الصخرية التي تعود للعصر البرونزي

مؤثرات فكر إخناتون د. نور جلال عبد الحميد

حينما يولد الإنسان يكون معه العقل ولكن حينما يأخذ في التعلم ينشأ عنده، شيئاً جديداً - بواسطة الشعور والإحساس والتجارب - عقل يتدبر الأمور؛ ذلك أن الإنسان فطرته يحاول دائماً معرفة العلل والأسباب. و كان هناك من زاد البحث بالمخيلة لقوية وهم الحكماء والفلاسفة والأنبياء، وفي مصر وكل المجتمعات القديمة كان تبحث العقلي في الإلهيات أمراً طبيعياً بالنسبة للناهين؛ فإنه لا يتأتى قط أن يكون حدوث العالم مصادفة، بدليل النظام البديع المحكم بين أجزائه، فتواجد من حاول ابتداع مذهب أو من حاول تفسير خفايا الأمور.

هذا البحث يتناول جانباً من سيرة إخناتون كواحد من أهم ملوك مصر القديمة؛ ما له من فكر مميز زاد تاريخنا جمالاً وروعة، وقدم لنا كثير من الأفكار السامية التي تستحق الدراسة والثبات عندها لمعرفة أصولها وأسبابها ومسبباتها. لم تكن هذه الشخصية نبأ شيطانياً فهي وليدة بيئة ومجتمع مصري وبالتالي كانت الجوانب "مؤثرة في شخصيته كثيرة ومتعددة وجديرة بالبحث، كما أنه لم ينل تقديراً عادلاً بعد مماته، وإنصافاً له في عصرنا فقد بذل كثير من الباحثين جهوداً كبيرة في استنساخ فكره وديانته وكثرت الاجتهادات التي تصور حياته؛ غير أن المعين لا ينضب وما زال عصره بحاجة إلى الكثير من الجهد والبحث. وكان السؤال الذي حاولت البحث فيه هو: ما هي المؤثرات - نقاط التأييد والمعارضة - التي أثرت على تشكيل فكره وتشكيل شخصيته؟ تلك المؤثرات التي دفعته للثبات على حقيقة مذهبه واطمئنانه الروحي إليه كما أحاول الكشف عن طابع فكر إخناتون ومنهجه الفكري والتنفيذي وكثيراً ما نلجأ كما يلجأ غيرنا إلى الترجيح أو الرفض المنطقي المدعم؛ نظراً لغموض وقلة الدلائل في أحوال كثيرة.

تولى العرش منفرداً من سنة ١٣٧٨ إلى ١٣٥٢ ق.م^١، في النصف الأخير من الأسرة الثامنة عشرة، تلك الأسرة التي بدأت بداية قوية ونشطة وسعت لتكوين إمبراطورية معتمدة على وجود عسكري دائم أخضع منخفضات فلسطين للسيطرة مما أدى إلى السيطرة الاقتصادية واحتكار التجارة، وبالتالي ثبات الأوضاع والرخاء خاصة بعد حكم تحتمس الثالث على وجه التحديد. اسم الميلاد هو "أمنحتب

Imn - Htpw nTr HkA wAst



نثر حكا واست"

^١ مدرس الآثار المصرية - كلية الآداب - جامعة عين شمس

Egypt, translated by Ian Shaw, UK & I-USA, 1997, p.226. Grimal, N., A History of Ancient

^٢ توماس ل. تومسون، أسفار العهد القديم في التاريخ، المشروع القومي للترجمة ١٨٥، ٢٠٠٠، ص ١٨٥.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

بمعنى آمون راض - الإله يحكم طيبة^٢. تجرأ أختاتون بما ورثه من سلطان عال وفكر مختلف على التعبير عما جاش بعقول بعض المستنيرين. لكنهم أخفوه في عقولهم وضمايرهم، تمكن من الإمساك بمعوله ليحطم رموز الآلهة رافضاً تعددها غير مبال بغضبهم... يحطم عقولاً وقلوباً جمدها أفكار الكهنة وأطماعهم واستقر وأمن باله واحد هو أتون^٣.

والتأييد لتلك الحركة - بما يشمل معنى بواعثها في نفس أختاتون وعوامل نجاحها ولو بصورة مؤقتة في عهده على الأقل - مؤداه عدد من العوامل المتداخلة (بوضوحها التخطيط الملحق في نهاية البحث ولكن من الصعب الفصل بينها عند العرض) منها المرتبط بالشخصية ذاتها وهي الأغلب، ومنها المرتبط بالآرث الحضاري والظروف المحيطة تلك التي قدمت دعماً سواء بالمصادفة أو عن قصد ساعد بدرجة أو أخرى على بلورة فكره. فقد كان من جراء تفضيل عبادة إله الشمس وإجلاله أكثر من غيره منذ عصور مبكرة أن أخذ الكهنة يمثلون الآلهة الأخرى به، وحتى الآلهة التي لم يكن لها علاقة بذلك الإله أضافوا لها رمز رع وهو قرص الشمس، حتى إناث المعبودات التي كانت تعتبر إلهات للسماء صورت كل منهن وعلى رأسها قرص الشمس، كما اعتبر الملوك كهان هذا الإله وقاموا بأدوارهم في سبيل إرضائه^٤. ولكن بعد محنة الهكسوس وتقطع الأوصار بين الشمال والجنوب ولو إلى حين وانتقال مركز النقل الديني إلى الجنوب (واست) وإلى دن - رائها، انفصل في إرجاع النظام إلى نصابه، وبالتالي اتسع المجال لإلهها وهو الإله آمون وكهنته لكي يتولى قيادة مجمع الآلهة، وأصبح آمون معبود مصر القومي وقفت باقي الآلهة خلفه.

وعلى الصعيد الآخر كان الدين هو الشغل الشاغل لأختاتون حيث تدل الشواهد أنه تعلم اللاهوت في مدرسة عين شمس حيث الولاء الكامل للإله رع^٥، وهو إله له

^٢ Steffen W., Amenophis IV, LÄ I, 210-219; Van Beckerath, Handbuch der ägyptischen Königsnamen, MÄS 20, 1984, p. 220.

^٣ Brunner, H., Monotheismus in: LÄ IV, 198-200; Assman, Gott in: LÄ II, 775 f.; Hornung, Der Eine und die vielen, Darmstadt 1973, 240 ff; Sandman, Texts from Akhenaten, BAe 8, 1938, p. 7 f.; Otto, E., Monotheistische Tendenzen in der äg. Religion, in: WdO 2, 1995, 99-110.

^٤ Assman, Der König als Sonnenpriester, MDAIK 7, (1970) pp. 8-20.

^٥ أمر مرجح ولكن غير مؤكد وترجيحه قد يرجع لتأثر أختاتون الواضح بعقيدة رع، وتشابه المفاهيم الأساسية لعبادة رع في معبد هليوبوليس مع عبادة أتون ومعابده في تل العمارنة، وعدم وجود قدس الأقداس والاهتمام الشديد بالمناظر الطبيعية على اعتبار أنها تظهر فضل الإله:

Borchardt, Re-Heiligtum 49-50، والترتيب المنطقي لمراحل الدعوة كل ذلك يشير إلى التعلم والدراسة كما دلت النصوص على أهمية تربية الملوك على نوع من الثقافة الدينية فعلى سبيل المثال قد ذكر الملك نفر حتب (الأسرة الثالثة عشر) أنه زار بيت الحياة ليتفحص الكتابات القديمة للإله الخالق أتوم بهدف الكشف عن الشكل الصحيح لعمل تمثال لأوزير؛

مكانته الكبيرة والذائعة وحينما اعتلى عرش البلاد لم تكن معركته الأساسية معركة سياسية مغرضة أو معركة تجاه أشخاص بعينهم، ولكنه دخل في صراع فكري مع نفسه أولاً واستولي عليه شعور ديني عميق. بغيره، فيض من التطلع إلى المعرفة الحقيقية، وكان يعتمر ذهنه ويشد شعوره.. يريد أن يحل الغاز الكون من خلال سؤاله الدائم من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ وحدد قضاياها الأساسية كالتالي: فوضى تعداد الآلهة، البحث عن خالق، السعي إلى العدالة، إقناع الآخرين، صوغ منهج (انظر التخطيط المرفق).

ولفهم فترة أختاتون لابد لنا من أن نحاول تجديد السمات العامة لشخصيته من خلال الشواهد المتوافرة؛ فالبداية توضح أن هناك عاملاً رئيسياً ترتبت عليه متغيرات أخرى وهو طريقة فهم أختاتون للدين وتفكيره في الوجود والموجودات. وعلمنا أن تنفق أنه نظر في كثير من تلك الأمور بنظرة الحكيم والفيلسوف. كان من الممكن أن يقبل ما هو موجود ومتوارث ويحمل جعبة الآلهة بما لها وما عليها وهذا لا ينقص من قدره في شيء بل يرفعه وهذا اسلم وأسهل طريق سار فيه ركب الملوك المؤهلين من قبل ومن بعد. رفض عقله قبول ذلك الصراط وصمم وبحث في المعارف الدينية التي استقاها من ديانة الشمس، وأنغمس في عشقه للإله رع وساعدت الظروف المحيطة بصورة أكثر لتوجيه فكره نحو العبادة الشمسية والتهتها؛ على بداية النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر قدمت عقدة بين المستيرين تقول بأن أنقى شكل يظهر فيه إله الشمس ليس هو رع بل مظهره الوحيد وهو قرص الشمس والضوء المنبعث منه^٥: ولم لا وهو أول العبصرات وأكملها وأظهرها^٦ وشاعت الأناشيد الدينية الخاصة بهذا الإله^٧، وقد قدم لنا أسمن وصفاً لطبيعة العبادة الشمسية الجديدة وعلاقتها بأختاتون وقد ازدهرت بصفة خاصة في عصر الدولة الحديثة وكانت هناك نظرة كلية لإله الشمس^٨، ولاسيما أن الإله أتون إله قديم كانت له مكانته في مجمع الآلهة وقد كانت كلمة "اتن" من قبل

Kemp, B., Ancient Egypt, London and New York, 1989, p. 20.

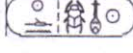
^٥ ستيندورف، ديانة تماء المصريين، ترجمة سليم حسن، دار البستاني، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٩، ٤٠. ونقرأ أيضاً:

Assmann, J., Egyptian Solar Religion in the New Kingdom, (Translated from German by Anthony Alcock), London 1995; idem. Search for God, 221; Eaton-Krauss, M., Akhenaten, OEA 1 (2001), 50; Redford, D., JARCE 13(1976), 198 ff.; Aldred, JEA 43(1957), 30ff.

^٦ Horning, E., Akhenaten and the Religion of Light, Cornell University Press, 1999, p. 55. Johnson, Pharaohs of the Sun, 45. Bickel, BIFAO 102(2002), 63-90.

^٧ Stewart, M., Some Pre-Amarna Sun Hymns, JEA 46(1960), 83-90; idi., Traditional Egyptian Sun Hymns of the New Kingdom, Bull. Inst. Arch. 6(1967), 29-74.

^٨ Assman, Jan., Agypten Theologie und Frommigkeit einer fruhen Hochkultur. Urban-Taschenbucher, 366, Stuttgart, 1984, 232-57; id., Die Haresie des Echnaton von Amarna: Aspekte der Amarna - Religion. Saeculum 22, 1972. 109-26; id., Aton in: LÄ I, 526-40.

هي صفة لإلهة الشمس آمون رع ومنتو ورع حور أختي وحور بحتي^{١٢}، كما وصف بأنه: الإله المبجل منذ الزمن الأول^{١٣}، وعلا شأنه في الأسرة الثامنة عشرة ولكنه لم يأخذ الصدارة بينهم^{١٤} حتى عصر أخناتون. ولا ندري الكثير عن الأطوار التي مر بها أخناتون للوصول والالتزام صراحة بعبادة أتون وإنكار غيره من الآلهة ولكنها مما لاشك فيه كانت مرحلة من اصعب وأدق المراحل وكانت تدريجية وسريعة واستغرقت عدداً من السنين، بيد أنه من المحقق أن اعتلاءه العرش قربه كثيراً من الهدف المنشود فأعلنها صراحة أنه نصير هذا الإله^{١٥} ومرفكره بمرحلتين مرحلة الدمج^{١٦} ثم مرحلة التوحد التي تتضح في اسم نتويجه وهو "نفر خبرو رع"، وأضاف إليه "وع ان رع"  "nfr xprw ra wa n ra"^{١٧} بمعنى "كاملة تحولات رع ووحد رع" وهو يوضح انغماسه الكامل في محاولة فهم وبلورة إله الشمس في مكانته المناسبة وهو يرادف كلمة أتون، فكل آلهة الشمس وآلهة الخلق اندمجت في إله واحد هو أتون^{١٨}، ولم يقبل برع وخبري وحور أختي وأتوم آلهة للشمس^{١٩}، وتأكيداً لهذا الولاء الكامل غير اسم الميلاد ليصبح "آخ أن أتون" بمعنى النافع أو المخلص لآتون^{٢٠}.

ولا شك أن ذكائه وشوقه كانا كفيلاً ببلوغه الهدف؛ خصوصاً وأنه كان في مرحلة مناسبة من النضج العقلي، وسرت في عروقه حالة خاصة من الإرادة تعترى الشخص الذي آمن وحصل عنده التصديق، أمر بتشيد معبد فخم له ملاصق لمعبد آمون في الكرنك ليتميز أولاً له رائحة^{٢١} "رلكي تكون مرحلة تكنه من غرس مفاهيم الديانة تدريجياً وليس بصورة مفاجئة ينكرها الجميع وكهنة آمون

Leitz I, 611= Christian Leitz(ed.), Lexikon der Agyptischen Gotter und Gotterbezeichnungen, Band I,2002. 12

Assmann, J., Egyptian Solar Religion in the New Kingdom, (Translated from the German by Anthony Alcock), London, 1995, 158; Brunner, Theology of Light and Time, ZÄS 9(1971), 12-18. 13

Breasted, J., Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, New York, 1912, 315-21. 14

Habachi, L., The Graffito of Bak and Men at Aswan and a Second Graffito close by showing Akhenaten before the Hawk-Headed Aten, MDAIK 20(1965), pp. 85-92. 15

ومرحلة الدمج هي الفترة التي تظهر في أسماء الإله التي يتداخل فيها اسم رع حور أختي وشو... والتي ظهر فيها اسم أتون في صورة صقر على رأسه قرص الشمس؛ Aldred, Akhenaten, Pharaoh of Egypt, 1968, pl.45. 16

Beckerath, Handbuch der ägyptischen Königsnamen, MÄS 20, 1984, p.86,230. 17

Habachi, Beitrage 12(1971), p. 35; Fecht, ZÄS 85 (1960), p. 83 ff. 18

Hermann A. Schlogel, Aten in: Redford ed., Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, vol. I, p. 157. 19

Beckerath, J., Königsnamen in: LÄ III, 550. 20

Gohary, J, Akhenaten's Sed-Festival at Karnak(London and New York,1992), p.2ff. 21

على وجه الخصوص، فهو لم ينكر في هذه المرحلة عبادة الآلهة الأخرى صراحة، وظهرت ألقاب أتون كالتالي :



anX ra Hr AXty Hay m Axt - m rn.f Sw nty m Itn²²

ولم يحجم أختاتون عن الظهور في النقوش والصور وهو يتعبد لأمون وست وتحوت، وبذلك يكون قد مهد لدينه بذكاء وحرص متفهماً طبيعة الديانة واتباعها وضمن نفر من الأتباع؛ منهم من اقتنع ومنهم من كانت له مآرب أخرى.

وفي السنة السادسة انكر صراحة على قومه ما كانوا فيه و أعلن ديانة أتون ديانة رسمية للبلاد ولم يرض بأي معبود سواه والتزم ذلك الدين ليأنس به ويأمن من ضلال الأوهام وتبرأ من اسم أمون كما سعى لنشر الديانة في منف²³ ومناطق مختلفة²⁴. أختاتون فيلسوف²⁵ سارت فلسفته في ركاب الدين، سبق غيره من الفلاسفة اليونانيين، وأطلق فكره للتأمل وحاول الوصول إلى الخالق عن طريق الأدلة والبراهين إلى أن وصل إلى الوجدانية، ولكي نقيمه فيلسوفاً فلا بد من ربط أواصره الفلسفية بغيره من الفلاسفة، وبداية لا بد وأن نبدأ بتعريف الفلسفة²⁶ عند بعض فلاسفة العصور الوسطى ونختار في إيجاز بعض ما قدم ونقول:

يعرف ابن رشد الفلسفة²⁷ على أنها "النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع" أي النظر العقلي في الموجودات²⁸. ودليلنا هنا نشيد أختاتون الذي لحأ فيه إلى التأمل في الموجودات من أحوال البشر والحيوان والظواهر الكونية في محاولة جادة وصادقة ليست عليه قيود ولا له دوافع بل فكر حر مستتير دل على اقتناعه الكامل بفضل أتون على العالم²⁹ ومن أكمل نسخ هذا

²² Redford, The Akhenaton Temple project I, London, 1976, p. 58

Löhr, SÄK 2 (1975), 139-87.

²³ ومن أدلة نشر الديانة في منف ما كشفت عنه البعثة المصرية الهولندية عام ٢٠٠١ عن وجود قبر مري أتون كبير الكهنة والمشرف على أملاك أتون في سقارة بالقرب من مقبرة حور محب مما يدل على وجود معبد لأتون هناك.

²⁴ وعلى ما يبدو أن أختاتون سعى لنشر الديانة بمفاهيمها بين مجموعة مختارة من الشباب والشابات واطلق عليهم أبناء الملك وكانوا أبناء كبار الموظفين وقد شاركوا في احتفالات الحب سد؛

Redford, D., The Akhenaten Temple Project, vol. 2, Toronto, 1988, p. 29.

²⁵ كتب كثيراً عن أختاتون وديانته ولكن لم يكتب إلا القليل عن وجهته الفلسفية التي دفعته إلى ما وصل إليه ومن هذا القليل نقرأ:

Allen, J., Genesis in Egypt: The Philosophy of Ancient Egyptian Creation Accounts, YÄS 2, New Haven, 1988; idem, The Natural Philosophy of Akhenaten, YÄS 3(1989), 89-101.

²⁶ كلمة الفلسفة كلمة يونانية أصلها فيلوسوفيا "حب الحكمة".

²⁷ هو الوليد بن رشد، قاضي قرطبة ظهر في أواخر الحقبة التي تعرف باسم العصور الوسطى في الغرب وأحرز لقب الشارح لما أشتهر به من شرح فلسفة أرسطو.

²⁸ ماجد رشدي، ابن رشد فيلسوف قرطبة، منشورات دار الشروق، الطبعة الثانية بيروت، ١٩٨٦م، "ويقول تعالى:

"ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا" سورة آل عمران - آية ١٩.

²⁹ وسبق نشيد أتون أناشيد أخرى متعلقة باله الشمس سجلت على بعض المقابر التي ترجع إلى عهد حتشبسوت وتحتمس الثالث وظهر بعضها في معبد الكرنك، وفي مقاصير الآلهة في معبد الدير البحري؛

النشيد ما سجل على جدران مقبرة " آي " فى تل العمارنة ومن المعروف تشابه بعض فقرات هذا النشيد والمزمور رقم ١٠٤ فى التوراة^{٣٠}، وقد كان لأخناتون شعوره الخاص بخضم الأشكال اللانهائية فى الطبيعة فقد حوت تلك الأناشيد صفة هامة من مظاهر الجمال وهى صفة الوحدة فى التنوع، فقد كان مضمون الأناشيد غنياً بالصور والمعاني مع المحافظة على إطار الوحدة والتأليف فيما بينها، وتراكت عناصر الجمال والحس بالطبيعة تراكمًا كميًا متكافئًا لتخدم فكرة الإله الواحد.

فمن أهم عوامل التأيد التى اعتمد عليها إليها أخناتون الاستناد العقلي؛ فالعقل فهم وفكر يتقلب فى وجوه الأشياء وفى بواطن الأمور، وهو رشد بين الهداية والضلال وروية وتدبر وبصيرة تنفذ وراء الأبصار .. والعقل ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر وتجمع العبرة مما كان لما يكون وتحفظ وتعي وتجدد وتبدأ، وكم هو واضح مرور إيمانه بمراحل حتى وصل إلى ما يرضيه، وهذا واضح من خلال دراسة تدرج ألقاب آتون فى بداية الدعوة، واتخاذ السبل المعقولة لتأمين الدعوة (السياسة المدروسة المعتمدة على التنفيذ مع مراعاة الوقت والكيف).

وكانت من آلات الفلسفة عند أخناتون العدالة^{٣١} التى سبق بها أفلاطون فى دولته المثالية بقرون عديدة، وفى نظر أفلاطون أن الدولة المثالية لا بد وأن يحكمها الحاكم الفيلسوف الذى يكون شغله الشاغل العدالة، وحفظ التماسك والتوازن بين صيغ المجتمع الثلاث فالعدالة- فضيلة لا يمكن تحقيقها إلا عندما يصبح الحاكم فيلسوفاً^{٣٢}، ألم تكن العدالة الماعت^{٣٣} هى المطلب الأساسى الذى ابتغاه كثير من الفراعنة وخاصة أخناتون لما لها من تطبيقات فى الحياة وفى الدين وفى الفن؟. كان أخناتون يريد أن يرقى بالمجتمع وأن يسمو به إلى آفاق من السعادة والخلق

Stadelman, R., Swt-Raw als kultstatedes Sonnengottes, MDAIK 25(1969), 166-67.;

Kees, H. Orientalia 18, 1949, 427-442.

Silverberg, R., Akhnaten, The Rebel Pharaoh, New York, 1964, 190.

Anthes, R., Die Maat des Echaten von Amarna, JAOS, Suppl. 14.

^{٣٠} محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى (الفلسفة اليونانية)، الجزء الأول، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠، ص ٣٥٦.

^{٣١} Assmann, J., Maat: Gerechtigkeit und Unsterblichkeit im Alten Ägypten, Munich, 1990;

^{٣٢} Teeter, E., The Presentation of Maat; Ritual and legitimacy in Ancient Egypt, SAOC

57,1997; idem, Maat, OEA II,2001, 319-321.

ترجمت الماعت بكلمة الحقيقة أو العدالة مجازاً ولكنها فى حقيقة الأمر -كما كان يقصدها المصريون- ترتبط بمفاهيم معنوية متعددة كالسلوك الخلقى للبشر وهم على قيد الحياة أو السلوك المقدس فى الحكم على الأرواح بعد الموت، وهى الترتيب الصحيح للطبيعة والمجتمع كما تم فى الخلق وبالتالي تشمل النظام والقانون والحقيقة؛ روبرت أرموار، آلهة مصر القديمة وأساطيرها، ترجمة مروة الفقى، مراجعة محمد بكر، مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة ٩٠٢، ٢٠٠٥، ص ١١٨ وما بعدها وايضاً؛

Quirke, S., Translating Maat, JEA 80(1994), 219-231.

والسلوك، فقد ملك أختاتون عناصر دولته المثالية من حكمة وشجاعة وعفة، وكل فلسفة إنما هي محاولة لتغيير الواقع في الآراء وفي السلوك.
ومن تعريفات أفلاطون عن شخصية الفيلسوف وصفاته قوله: "إنه الشخص المحب للحكمة والمتعلق بجميع أنواع العلم والمترفع عن الجزئيات بحيث ينظر إلى الأشياء نظرة كلية شاملة، وهو أيضا شغوف بتأمل الأشياء في ذاتها وهدفه من ذلك معرفة الوجود الحقيقي، والفيلسوف ينفر بطبعه من الكذب فهو يحب أن يكون صادقا إذ لا شيء أكثر اتحاداً مع الحكمة أكثر من الصدق ولذا نراه يمقت الباطل ويزداد تعلقاً بمحبة الحق ... ويتصف الفيلسوف أيضاً بالكمال الخلقى وسمو العقل وسماحته، فالأفكار السامية لا يمكن أن تصدر عن عقل صغير، وهو أيضاً شجاع في إبداء الرأي والدفاع عن الحق ولا يخشى الموت ويقل تعلقه بهذه الحياة، ويجب أن يتصف الفيلسوف بالعدالة والطف فلا يكون شرساً جموحاً نافراً من الجماعة ظالماً صعب المعاملة، والفيلسوف الحق شخص محب للعمل لا يتصف بالطمع والادعاء الكاذب والجهل"^{٣٤}.

كان أفلاطون قد تصفح التاريخ وسقط على شخصية أختاتون الفيلسوف (ومن المعلوم أن أفلاطون قد قام بزيارة إلى مصر)، ولعل هذا يدعنا للبحث عن مدى تأثر الفلسفة اليونانية بالفلسفة المصرية القديمة والتي للأسف حاول أن ينكرها تبعث بدء على اختلاف اللغة^{٣٥} ولعل هذا يكون مدخلا لموضوع آخر.
ومن تعريفات العصور الوسطى للفلسفة والفيلسوف إلى العصور الحديثة فالفلسفة هي: لون من معرفة الإنسان للعالم ومجمل الآراء والتصورات عن القضايا العامة لتطور الوعي والوجود، لاسيما قضية علاقة الفكر (الروح) بالوجود (الطبيعة) التي تشكل المسألة الأساسية في الفلسفة^{٣٦}.

أهم الصفات في شخصية أختاتون إلى جانب طبيعته الفلسفية:
كان رجلاً رقيقاً لنا مزهف الحس ذكي القلب نقي الطبع، مستعداً للإيمان بصدق، شديد النشاط للتجدد، قوى العزيمة، ومن صفاته أيضاً الشجاعة و الجرأة والمثابرة، الخيال الفياض، في شخصيته توازن واع كان الحضور الأكنف فيه للعقل، لجأ إلى البراهين الحسية فإذا نظرنا إلى نشيد أختاتون فكأنه أراد أن يدعو قومه للوصول إلى أتون بالعقل والفكر كما فعل هو ولم يفرض ذلك فرضاً، بل حاول حثهم على

^{٣٤} محمد على أبو ريان، المرجع السابق، ص ١٦٩، حاشية ٣.

^{٣٥} إذ يزعم البعض أن الغرب كان موطناً للفلسفة، ويزعمون أن هناك شعوباً فلسفية وأخرى غير فلسفية، وأن الفكر الفلسفي لكثير من الشعوب لم يلعب أي دور يذكر في تاريخ الفلسفة العالمية، ونسي هؤلاء أن هناك ظروف تاريخية واجتماعية متشابهة بين الشرق والغرب وفوق ذلك كله هناك نفس الكائن المفكر الناطق إلا وهو الإنسان.

^{٣٦} جماعة من العلماء السوفييت، موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سلوم، بيروت، دار الفارابي، ١٩٨٩، ص ٧.

التأمل واعتمد على الطبيعة وهي أصدق وأقرب مظهر دال على وجود الإله وعبر عن الفرح والبهجة والنشاط والخير بظهور أتون وعند غيابه نقاننا نقلت عكسية استخدم فيها من العبارات ما أفاد المعنى حيث الظلام والخوف والسلب والوحوش. ومما يدل على استناده للعقل التدرج الواضح في الفكر؛ فقد كانت افكاره تنقله من فكرة إلى فكرة بخطوة أصدق من السابقة لها دون تداخل أو مزج. كان أختاتون شديد العاطفة لأسرته وكل من حوله (وسنوالي شرح عدة صور تعبر عن الحب تباعاً)، محباً للسلام. أما حكمنا على شخصية أختاتون فبإمكاننا أن نصفها بالثراء والتنوع والحكمة الممزوجة بالفلسفة لأنه لم يقبل الأمور على ظاهرها ولكن بحث وأعمل الفكر بجرأة ووضوح في أمور دينية شائكة كانت تمثل صلب الديانة المصرية، وكان فكره نابعاً من مسئولية فردية فهو نموذج مستقل بعالمه وإبعاده عن سواه.

كما كانت بساطة الدعوه عاملاً من عوامل نجاحها؛ فقد بعدت الدعوة كل البعد عن مظاهر التعقيد في أمور العبادة ولم يكن سوى الصلاة والقرابين والهيئة الظاهرة لأتون، ولم تكن الأصول الأولى للعالم بالنسبة لأختاتون مشكلة؛ فلم يكن سوى أتون الإله المبجل منذ الزمن الأول^{٣٧}.

نأتي إلى نقطة هامة وهي التساؤل عن طبيعة التربية والنشأة الأولى لأختاتون. هذا الفيلسوف وما أهمية دور الأسرة؛ من أب وأم وزوجة وأبناء، كانت لكلاً منهم إسهاماته في تشكيل فكره وإبداعاته، ولكن من المفيد أن نذكر أن أختاتون لم يرث شيئاً من فكره الديني التوحدي هذا من أبيه فمن المعروف أن أمنتحتب الثالث بذل الكثير والكثير في سبيل إرضاء آمون وكهنته سواء في العمائر أو الهبات^{٣٨}، وليس آمون فقط بل ترك لنا ما يدل على بذل العطاء والجهد لكثير من الآلهة؛ ففي عهده كانت بداية دفن العجول المقدسة في سقارة ومئات التماثيل لسخمت في صورة لبوة والجعران الضخم في معبد الكرنك والقرد تحوت في الأشمونين وصور الملك نفسه في هيئات حيوانية كأسد وصقر وثور وأبي الهول، واتخذت تلك الأشكال كتمايم^{٣٩} بل تعدت علاقته بالآلهة المحلية إلى الآلهة الأجنبية كما دلت بعض النصوص^{٤٠} وكان في هذا مواكبة لشيوعها نتيجة الفتوحات وتواجد جاليات أجنبية في مصر^{٤١}، ولكن نقول أن الظروف التي شهدتها أختاتون في عهد أبيه من استقرار وحياة راحة

Brunner, ZÄS 97(1971), 12-18; Assmann, Egyptian Solar Religion in the New Kingdom, 1995, p. 158

Urk. IV, 1713-1721.

Hornung, E., Akhenaten and the Religion of Light, p. 28.

^{٤٠} حيث أرسل إليه أخيه غير الشقيق الميتاني تمثال الآلهة "عشتاروت" من نينوى على أمل شفاءه من مرض أصابه في آخر حياته؛

Redford, D., Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times, Egypt, 1992, 231.

Helk, W., Gotter, Fremde in Ägypten, In: LÄ II, 643; Stadelmann, Syrisch-Palästinensische Gottheiten in Ägypten, PÄ 5, Leiden, 1967.

يسرت له التفكير والتدبر في أمر دينه الجديد. ومن الواضح أنه لم يلق معارضة من أبيه لاسيما وأنه ما كان لدي اخناتون في ذلك الوقت ميول واتجاهات لم يكن من المعروف مداها بعد وإن كان هناك تأثير بالفعل اتضح في الأسلوب الفني أضاف إليه أخناتون فيما بعد^{٤٢} وهذا التأثير ناتج من المعاشة واحتمال اشتراكه في الحكم مع أبيه^{٤٣} (مدة قدرها "الرد" ب ١٢ عام^{٤٤}) ونكرها البعض في دراسات أخرى^{٤٥}.

تتوعت الأدوار للشخصيات النسائية في صفحة تاريخ أخناتون بين دور الأم والزوجة والابنة وأصر هو بنفسه على إظهار التأييد و الرعاية والاهتمام المتبادل بينهم وبين شخصه.

الأم هي "تي"^{٤٦}، زوجة أمنحوتب الثالث الرئيسية، خلد ذكرى زواجه منها بمجموعة كبيرة من الجعارين التذكارية^{٤٧}، وقد نقش عليها "الملك أمنحوتب المعطى له الحياة، والزوجة الملكية العظمى "تي" لها الحياة، "يوبيا" هو اسم والدها، "تويا" هو اسم والدتها، وهي زوجة ملك عظيم تمتد حدوده الجنوبية إلى كاري (بالقرب من نباتا) والشمالية إلى بلاد نهرين^{٤٨}. تميزت بالشخصية القوية مما يسر لها التحكم في سير أحداث كثيرة في عهد زوجها أو ابنها، ولعبت دور الزوجة والأم باقتدار كبير. كانت لها ألقاباً كثيرة مثل "التي تملأ المكان جمالاً" و "سيدة الملك المحبوبة منه"، ولقب

Johnson, W. Raymond. Images of Amenhotep III in Thebes: Art Historical Analysis edited by Lawrence Berman, pp. 26-46. Cleveland, 1990. ⁴²

Grimal, N., A History of Ancient Egypt, Translated by Ian Shaw, USA, 1992, P. 227. ⁴³
هناك جزء من نقش سجل على البرج الشمالي للبيون الثالث في معبد الكرنك يصور "امنحوتب الثالث" وهو في موكب أمون ومن خلفه نقش صغير لملك غير مسجل اسمه قد يكون هو "امنحوتب الرابع"؛

Aldred, A, Akhenaten and Nefrtiti, New York, 1973, pl. 4; Redford, D., History and chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt: Seven Studies, Toronto, 1967.

Aldred, C., Akhenaten, King of Egypt, New York, 1988. ⁴⁴

حول هذا الموضوع: زكية زكي، امنحوتب الرابع في طيبة، رسالة ماجستير لم تشر بعد، جامعة القاهرة كلية الآثار، القاهرة ١٩٨٠، ١٧٢-١٨. ⁴⁵

Schmitz, B, Teje in: LÄ VI, 305:308.

⁴⁷ ظهرت الجعارين التذكارية أول ما ظهرت في عهد الملكة "حتشبسوت"؛

سوزان راتيه، حتشبسوت (الملكة الفرعون)، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٠٥؛

Robins, G., Reflection of women in the New Kingdom (Ancient Egyptian Art from the British Museum, February 4-May 14, 1955, p. 57.

⁴⁸ ومن المعلوم أن للملك "امنحوتب الثالث" زيجات أخرى أشهرها زواجه الدبلوماسي من "كيلو خيبا" ابنة الملك الميتاني "شوتارنا" والذي تم في العام العاشر من حكمه؛

Urk. IV, 17 38, 1ff; BM 68507; Blankenberge C. , --Van Delden, The Large Commemorative Scarabs of Amenhotep III, Leiden, 1969, 129 ff., pl. 29.

والزواج الدبلوماسي معروف على النطاق الداخلي منذ القدم، إما الزواج بأميرات أجنبيات فقد ورد بصورة مؤكدة منذ عهد "تحتمس الثالث"، الذي تزوج ثلاث أميرات سوريات حملوا لقب "زوجة الملك" Hmt nsw، كما أحضر معهن عدد كبير من الوصيفات؛

Winlock, H., The Treasure of three Egyptian Princesses, New York, 1948: Urk. IV, 669, I.

"سيدة الأرضين" وذلك إلى جانب لقب "الزوجة الملكية العظمى" Hmt nsw wrt^{٤٩}

وشاركت "تى" زوجها فى تسيير دفة شئون البلاد وهى إلى جوارزه بمثابة الإلهة ماعت^{٥٠} شاركت فى الأعياد الهامة وخاصة احتفالات الحب سد^{٥١}، وخصص لها زوجها معبداً يقع ما بين الجندل الثانى والثالث^{٥٢}. ولاننسى تمثيلها بنفس الحجم تقريباً الذى مثل بها زوجها فى المجموعة الضخمة الموجودة فى المتحف المصرى^{٥٣}. رزقت "تى" من "أمنحتب الثالث" بولدين أحدهما وهو الأكبر يدعى "تحتمس" وقد مات وابوه مايزال على قيد الحياة وثانيهما هو أخناتون.

وعهد أمنحتب الثالث من أزهى العصور المصرية على وجه الإطلاق، وقد غلبت فى عهده العلاقات السلمية والدبلوماسية القائمة على أساس القوة التى تمتعت بها مصر فى هذه الفترة، وامتد حكم هذا الملك لفترة طويلة ولاشك أن الملكة "تى" اكتسبت الكثير من الخبرات والتجارب المتعلقة بإدارة البلاد على الصعيد الداخلى، كما أسهمت الملكة بنصيب كبير فى رسم سياسة البلاد الخارجية، وسيرت دفة البلاد عقب وفاة زوجها ومهدت لأبنها السبل لاستكمال علاقات الود والسلام مع الشعوب المجاورة ودل على ذلك إحدى رسائل العمارنة التى يذكر فيها أن الملكة أرسلت للملك الميتانى "توشراتا" (هو ابن الملك الميتانى شوتارنا) خطاباً تبلغه فيه بموت زوجها وترجوه أن يستمر فى صداقته وعلاقته الودية مع ابنها أمنحتب الرابع^{٥٤}. وعانى ما يبدو أن هذه الماكة لم تعارض فكر ابنها الذى سعى فى ظل زوجها، ولكن لانملك الكثير عن دورها تحديداً قبل اعتلاء ابنها العرش سوى بعض الإشارات المتواضعة مثل تسمية قاربها باسم "بهاء أتون" التى قد تكون قد جاءت ترضية لابنها المدلل أخناتون.

وكانت "تى" تستشار فى شئون الدولة الخارجية فى عهد ابنها كما كانت فى عهد زوجها، ويدل على ذلك رسالة من "توشراتا" إلى اخناتون يقول فيها: "مههما

^{٤٩} يذكر عبد الحليم نور الدين أن: لقب حمت نسو هو لقب دال على الملكة أو زوجة الملك وقد تضاف له الصفة "ورت" بمعنى العظمى وان المصرى القديم لم يعرف كلمة واحدة دالة على كلمة ملكة وأن أقدم النماذج المعروفة لهذا اللقب ترجع الى الأسرة الرابعة ؛ عبد الحليم نور الدين ، دور المرأة فى المجتمع المصرى ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٤٨ .

^{٥٠} TT 192, pl. 49; Lesko, B., The Great Goddesses of Egypt, Univ. of Oklahoma Press, 1999, p. 81.

^{٥١} TT 192, pl. 42; PM VII, 170.

^{٥٢} سجل منظر الاحتفال فى مقبرة " خرو أوق " فى طيبة الغربية :

Grimal, N., op.cit, 222; PM VII, 166f; LD III, 82.

^{٥٣} عثر عليها دارسى فى الطريق الذى كان يربط بين المعبد الجنائزى والقصر الملكى للملك ويبلغ

ارتفاعها حوالى سبعة أمتار وهى من الحجر الجيرى - المتحف المصرى ؛ JE 33806

^{٥٤} وعن تلك الرسائل:

Moran, W., Les Lettres d' El-Amarna, Correspondance, diplomatique, du pharaon, Paris, 1987; Mercer, Tell el Amarna Tablets, 26, 7-18; 24, 42 ff; 29, 8, 9.

يكن قول أبيك "نيموريا" وما كتبه لى فأن "تى" زوجة "نيموريا" العظيمة المحبوبة أمك تعرف كل ذلك. سل أمك تى عن هذه الأمور". وفي خطاب آخر من "توشراتا" لأخناتون يقول: كل الكلام الذى تحدثت به الى أبيك تعرفه "تى" أمك ولا يعرفه سواها^{٥٥}، وظهرت كثيراً مع ابنتها فى المناظر وهما تحت رعاية الإله أتون (شكل ١، ٢)، وقد عظم البعض دورها حتى قيل إنها كانت وصية عليه^{٥٦} وشاركته الحكم، كما ظهرت جوار أخناتون في مقبرة رع موسى في هيئة الإلهة ماعت^{٥٧}. ولا يخفى علينا فى أى حال وأى عصر القدر الكبير الذى كرمت به الأم من قبل الأبناء، كذلك دور الأم فى التربية والمقدرة على التأثير على الأبناء، وقد قدم التاريخ أمثلة كثيرة تظهر هذه المكانة سواء فى النصوص والمناظر^{٥٨}.

زارت الملكة "تى" العمارنة فى السنة الثانية عشرة من حكم أبنها وكانت مناسبة لها أهمية كبيرة لما لها من مكانة عالية ومحبة فى نفوس الشعب، وكانت زيارتها فى صالح ديانة أتون وانتشارها وبمناخية إضفاء شرعية جديدة على هذه الديانة (شكل ١). جاءت الملكة "تى" وقد اصطحبت معها كامل حاشيتها وبطانتها ووقائع الزيارة سجلت معظم مناظرها على جدران مقبرة المدعو "حويا" (مقبرة صخرية شرق العمارنة وكان يشغل عدة مناصب هامة من أهمها الأشراف العام على قصور الملكة وعلى الخزانة) وعكست المناظر مدى التشريف والاحترام اللذين قوبلت بهما الملكة وكل ما سببته هذه الزيارة من فرح واستحسان، وجهزت للملكة الوليمة الملكية فى منظر جميل كانت الملكة "تى" هى التى تأخذ الصلاة وتجلس قبالة الملك بينما جلست نفرتيتى خلف أخناتون الجالس قبالة أمه وفى هذا تكريم كبير للملكة الأم، وكدست أمامهم ألوان شتى من أصناف الطعام والشراب كل له مائدته الخاصة، وهناك ما قد يشير إلى قبول الملكة لفكر أخناتون بتسجيل زيارة لها إلى المعبد برفقة أخناتون فى مقبرة حويا^{٥٩} (شكل ٢). ورغم هذا الدعم من ظروف النسبة الأولى لأخناتون وبناءً على ما استند إليه من حرية فكرية ورؤية خاصة فقد وقعت على عاتقه المسئولية الكاملة عما قام به من أفعال.

^{٥٥} عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٣.

^{٥٦} وهناك من قيل بعض الظروف المشابهة وان كانت بعيدة مثل وصاية الملكة الأم على الملك بيبى الثانى نظراً لصغر سنه، وكرم كثير من الملوك أمهاتهم ولا ننسى الملك "أحمس" الذى ظل وفيماً لذكرى جتته "تتى شرى"، وأمه الملكة "أصح حوتب" ووصفهن بما يستحب وبئذ لهن الهدايا والآثار، وما أجمل مجموعة "تحتس الرابع" وأمه الملكة "تى عا" والتي وضعها فى معبد الكرنك لتخليد ذكراها؛

JE 36336=CG 42080; PM II, 96.

والفكرة قديمة فمنذ فجر التاريخ ونحن نعرف تقديس تمثال الآلهة الأم ليس فى مصر وحدها وإنما فى مناطق متفرقة من العالم القديم وكان تقديساً لمظهرها الأنثوى ومقدرتها على الانجاب؛ Getty, A., Goddess, London, 1990, 5 ff. Davies, N., The Tomb of the Vizier Ramose, Mond Excavations at Thebes, I. London, 1941, pl. 29.

^{٥٨} وعن دور الزوجة الأم: عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٨، القاهرة، ص ١١١ وما بعدها.

Aldred, C., Akhenaten and Nefrtiti, New York, 1973, fig.8.

وعن دور الزوجة نفرتي في دعم أختانتون يلخص عبد العزيز صالح ما
أفترضه الحكماء المصريون القديسي من مقومات فلاح الأسرة وهي: أهلية الزوج،
و الزواج المبكر، وحسن القدوة من رب الأسرة، ورشاد الابنة، والتعاطف والألفة
والأخوة الروحية بينهما، ووفرة النسل، وأداء الالتزامات^{٦١}.

ومن هنا نأتى إلى الزوجة نفرتي^{٦١}، صاحبة الوجه الجميل حقاً مصدقين ما أباحت
به تراثها^{٦٢}. هي ابنة امنحوتب الثالث^{٦٣}، أو ابنة الملك "آي" و"تى" الثانية^{٦٤}، وهذا
هو الأرجح وهي أسرة من أخميم^{٦٥}، طرحت في شأن أصلها فروض كثيرة مال
أغلبها لاعتبرها ابنة "آي" و اتفقت في أنها سليلة أسرة مصرية عريقة، وهي زوجة
الملك أختانتون وأم بناته الستة اللاتي ظهرن في المناظر^{٦٦}، وأختها هي الملكة
"موت نجمت"^{٦٧}. دلت النصوص والآثار إلى أن نفرتي لعبت دوراً مؤثراً وفعالاً
في مساندة زوجها فيما أتاه من أفكار وأعمال عبقرية وجريئة ومختلفة خاصة فيما
سجله من تفرد في وحدانية ربه أتون، ولعل كون أسرتها من مدينة "أخميم" يربط
فكرنا باختيار أختانتون لموقع مدينته الفاضلة بتل العمارنة^{٦٨}، تغير اسم نفرتي في
السنة الخامسة من حكم زوجها معناه بدوره سيادة الإله أتون ليصبح "تفر نفرو
أتون"^{٦٩} ورغم دورها المؤثر يرفض البحث من وصف دورها بأنه كان القوة
الحقيقية لثورة أختانتون الدينية^{٧٠}.

لم نعد إلى الآن على رسالة من رسائل العمارنة كانت معنونة باسم نفرتي، ولكن
ضياح أغلب تلك الرسائل يعطى احتمالاً لأن يكون من بينها ما يظهر مكانة الملكة
ودورها في العلاقات الخارجية في تلك الفترة، ومما يدل على مشاركتها الدينية

^{٦١} عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ١١.

^{٦٢} لم تتحرج النصوص الملكية من وصف الملكات بآيات الأنوثة المستحبة مثل اسم "نفر تيتي" هذا وكذلك ما سميت
منهن بأسماء مثل: ذات الجاذبية، حلوة المحبة، ذات المسرة، سميرة الملك ورفيقته، المستقرة في فزاده؛ عبد العزيز
صالح، المرجع السابق ص ٢٧

^{٦٣} مثل رأسها الشهيرة في متحف برلين Berlin 15000

Anthes, R., The Head of Queen Nofretete. Berlin, 1958.

ورأسها التي لم تكتمل في المتحف المصري ؛ CG 59286 ، ونماذج أخرى تخصصها عثر عليها في معمل تحتمس ؛

Amarna - Kunst, LÄ I, 179.

Seele, JNES 14, 1955, 170.

Aldred, JEA 43, 1957, 30-41.

^{٦٥} أخميم تبعد حوالي ٢٠٠ كم من الشمال إلى الأقصر ؛

Montet, Geographie II, 108-113

Davies, Amarna II, 1905, pl. 38.

Helck, CDE 48, Nr. 96, 1973, 251-253.

^{٦٨} Grimal, N., A History of Egypt, Translated by Ian Shaw, UK-USA, 1997, p. 226.

^{٦٩} Tawfik, MDAIK 29, 1973. pl. 28, c, d.; Arnold, D. The Royai women of Amarna, The
Metropolitan Museum of Art, p.14.

^{٧٠} Arnold, D. op.cit, p. 10.

لأخناتون ظهورها بصفة الشريك الدائم والقاسم المشترك في المناظر التي تظهر إله الشمس أتون بأشعته الممتدة بعلامة الحياة^{٧١}.

تبادل الأوار في بعض المناظر فالمناظر التي كذا نألفها للرجال قامت بها "نفرتيتي" ومنها منظر وهي تهم بضرب أسير أسبوى^{٧٢}. كما استحبت الظهور بالتاج الأزرق^{٧٣} وكانت لها تيجان خاصة لتواكب دورها المتراد^{٧٤}، وارتدت تاج الآتف كما ارتداه أخناتون في نفس المنظر^{٧٥}. قد رجح تبعض أن لها دوراً أقوى من دور الزوجة المساندة لزوجها بل يرجحون أنها تكون حكمت بالفعل كملكة منفردة عرش البلاد^{٧٦} وظهرت بعض التغيرات في نهاية فترة العمارنة قد تأخذ كقرينة تدل على اشتراك نفرتيتي مع أخناتون في الحكم فعلياً حيث كتب اسم نفرتيتي بداخل خرطوشين ملكيين تماماً مثلما يكتب الاسم الثنائي للملوك الفرعنة^{٧٧}.

ومن أهم عوامل الدعم في شخصية أخناتون أنه اتخذ الحب والتسامح سبيلاً وهدفاً؛ فقد قدم لنا من خلال اللوحات و المناظر رسالة حب جميلة بينت لنا كيف كان الحب والجو العاطفي لتلك الأسرة، وفي هذا الصدد نوجه النظر لبعض اللقطات المعبرة تبين سبيل الفن للتعبير عن المشاعر الحسية الفياضة للأسرة، وآراء تؤيد سبيله للتسامح الديني ونبذ العنف:

١- التركيز على مناظر تبين الأسرة المالكة مجتمعة^{٧٨} وأخص بالذكر الأجمع على موائد الطعام^{٧٩} ويحضرني هنا مرة أخرى أفلاطون فحينما أراد ان يعالج موضوع الحب صاغ محاوره بين طائفة من السمرين يتناولون الضم ويرتسعون كؤوس الشراب ويتبادلون الرأي وكانت تلك المحاوره لاتحمل اسم الحب بل "المأدبة" واختيار المأدبة عنواناً لهذه المحاوره له دلالاته وهو ذو صلة وثيقة بالحب والأجمع على المودة والاتصال بالألفة والمحبة^{٨٠}.

٢- إظهار طابع المشاركة في العبادة لأتون بمعنى أن أخناتون لم يظهر وحده يقوم بطقوس العبادة، ولكنه كان حريصاً على إظهار الأسرة المالكة معه؛ كلاً يؤدي دوره الملك والملكة يقربان لأتون والبنات لهن وظائف مناسبة من هز الصلاصل أو تقديم قربان أيضاً وحتى في المناظر الأخرى كمنابر المكافآت

٧١

٧٢

٧٣

٧٤

٧٥

٧٦

٧٧ وحول نهاية تلك الملكة نقراً:

٧٨

٧٩

٨٠

JE 4261110; 12261030 .

Museum of Fine Arts, Boston 64. 521;Robins, G., Women in Ancient Egypt.

London,1993, fig.16

Arnold, D., op.cit., figs 30,59,62,76,88.

Katia Goebes, Crowns, in:Redford,ed., Oxford Encyclopedia, I, p. 322.

Robins, op.cit, fig. 15.

Ibid, p. 50.

Allen,J., Nefertiti and Smenkh-Ka-re, GM 141(1994), pp. 7-17.

Davies, Amarna III, pls. 4, 34; id., Amarna IV, pl. 10.

Aldred, C., Akhenaten and Nefertiti, New York, 1973, Fig. 3.

٨٠ أحمد فؤاد الأهواني، أفلاطون، دار المعارف، نوايغ الفكر الغربي، ١٩٨٦، ص ٥٣.

وقيادة العربات حرص أختاتون على مشاركة أسرته معه مما يدل على شدة تعلقه بهم وأن للحب دوراً كبيراً في عصر أختاتون^{٨١}.

٣- ظاهرة التشابه بالأخص بين أختاتون وزوجته في الملامح وخطوط الوجه والتي حرص عليها الفنان وحافظ عليها، فالملامح دقيقة والوجه شاحب ونحيل، والذقن مدبب، والعينان لوزيتان، والرقبة الرفيعة الطويلة. لولا الأسماء واختلاف الأحجام النسبي، وبعض الاختلافات في الملابس والتيجان وأغطيته الرأس لصعب علينا معرفة من هو أختاتون ومن هي نفرتيتي^{٨٢} والتشابه أيضاً بين الملك والملكة الأم في بعض المناظر^{٨٣} كل ذلك إنما يرمز للتناغم والإنسجام الكبير بين شخصي العمارنة، كما وجدت هذا التشابه طريقه إلى الأفراد فهناك بعض المناظر لا نستطيع فيها التمييز بين الرجال وبين النساء إذا اعتمدنا فقط على الملامح والزي^{٨٤}.

٤- ظاهرة مقابلة الوجوه، والمقابلة معروفة وكانت لها أسبابها الوجهية كالوقوف أمام إله أو ارتباطها بتقديم القرابين أو لأية أسباب أخرى ولكننا نجد أختاتون يقدم رؤية حسية جديدة عمقت من إبراز دفء المشاعر ووضحت التواصل الموفق بين فردين لديهما شيء متقارب من الفكر والأحاساس واللغة، وعبرت عن محاولة معرفة وفهم الآخر بمزيد من التأمل أفادة التعبير عن الحب والاهتمام بين أختاتون والملكة وبينهم وبين البنات فخرجت لوحات عصر أختاتون مفعمة بالمشاعر الدافئة والحميمة فظهور نفرتيتي في بعض الصور مقابلة لزوجها وكأنها تستلهم منه وهو يستلهم منها وكأنهم متوحدون في فكر وجسد واحد (شكل ٣، ٥)، وكأنها انعكاس لشخصه^{٨٥}، وهناك نقش في متحف المتروبوليتان (1985.328.6) كشف عنه في هرموبوليس يظهر أميرتين متقابلتين؛ الكبرى تلفت لتواجه الصغرى وتمت يدها برفق وحنان لتلمس كتفها ويؤرخ بالعام ١٤-١٧ من حكم أختاتون^{٨٦}، وقد نفذ كل ذلك بخطوط لينة مرنة واختفت الخطوط الحادة والمنكسرة.

٤- تطابق صورة الملك والملكة وكأنهما شخصية واحدة كان من ابلغ المناظر المعبرة عن الحب^{٨٧} (شكل ٦). بما عبر عن شدة التلاصق والأقتراب وقد كانت

Berlin Museum inv. No. 14145; Davies, Amarna I, pl.30; II, pls. 10,34; III, pls. 16-17; IV, pl.9; VI, pls.4,29.

JE 59296.

Wilkinson, R., Symbol & Magic in Egyptian Art, Thames and Hudson, 1994, p. 59.

Aldred, Akhenaten and Nefertity, Fig. 139, p. 203.

Thames _ Hudson , Ancient Egyptian Art in the Brooklyn Museum , 1986, Fig. 51.

Arnold,D., The Royal women of Amarna, The Metropolitan Museum of Art, p.114, fig.111.

Schafer, H., Principles of Egyptian Art, Translated and edited with an introduction by John Baines, Oxford, 1974, Figs.233,174; Davies, Amarna I, pl.37.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

المسافات المتروكة تعرف بأنها مسافات حميمية^{٨٨} وحركة الأيدي المتشابكة بينه وبين الملكة^{٨٩}.

٥- التحرر في إظهار مدى التقارب والتآلف بين الزوجين بصورة أكثر من ذي قبل وقد يكون هذا مسائراً لطبيعة أسلوب الفن المتبع في هذه الفترة؛ فنرى الملكة وهي جالسة على حجره^{٩٠}، وهو يهيم بتقبيلها في عمل نحسى لم يتم بالمتحف المصري الآن^{٩١} وهي منظر آخر وهي قريبة جداً من وجهه ومنشغلة بتثبيت قلايده^{٩٢} واعترف أختاتون على لوحات الحدود بمشاعره تجاه أسرته فقد سجل على اللوحة الثانية على سبيل المثال قوله: "قلبي سعيد مع الزوجة الملكية وأطفالها"^{٩٣}. ومن المؤثرات المؤيدة لفكر أختاتون أيضاً ذلك التغير واضح في مفهوم الملكية في النصف الثاني لعصر الأسرة الثامنة عشر وهذا المفهوم مرتبط بتأكيد فكرة الملك الوسيط الفعلي ما بين الرعية والإله^{٩٤}، ومن أهم الدلائل في هذه النقطة أنه بدراسة تصوير الملوك في مقابر الأفراد لوحظ الاتجاه المتزايد لظهور الملوك في المقابر التي ترجع لعصر تحتمس الرابع وأمنحتب الثالث ثم أختاتون^{٩٥} الذي أصبح المرجع الديني الوحيد لأتون^{٩٦}. ولم تكن الوساطة فقط بل هو الإله نفسه وكانت الدعاية مكثفة جداً لتأليه أمنحتب الثالث^{٩٧} وعبد كاله مستقل واتخذ لقب "تب" في معبد صولب^{٩٨}.

^{٨٨} والمسافة الحميمة Proximity ويعرّفها علم النفس بأنها: دراسة العلاقة بين المسافات المختلفة يسود شخصين وتبين درجة التواصل التي تحدث بينهم؛ عادل محمد مندي، التواصل الفعال، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣.

^{٨٩} Schafer, op.cit., fig.310.

^{٩٠} Davies, N., The Metropolitan Museum of Art, The Egyptian Expedition 1922-23, p.42, fig.4.

^{٩١} JE 44866; Aldred, C., Akhenaten and Nefertiti, 1973, 165, pl. 54.

^{٩٢} Berlin/DDR 14511.; Aldred, op.cit., Fig. 45.

^{٩٣} Urk., I, 1983.

^{٩٤} Morenz, Egyptian Religion, 40-41; Hornung, Conceptions of God, 201-204; Herman te Velde, Mittler in: LÄ IV(1982), 161-163; Ulrich H. Luft, Religion, OEAE III(2001), 144 - 144.

^{٩٥} Radwan, Königs, 110-112, 46; Redford, D., The concept of kingship during the Eighteenth Dynasty, in Ancient Egyptian Kingship edited by D. O'Connor and Silverman, PÅ 9(Leiden), 1995, 180; Hartwig, M., Tomb painting and Identity in Ancient Thebes 1419-1372 BCE, Monumenta Aegyptiaca X série IMAGO. N2, 2002, 129.

^{٩٦} Jacobus van Dijk, The Amarna Period and the Later New Kingdom(c. 13352-1069 BC), in the Oxford History of Ancient Egypt, edited by I.Shaw, Oxford, 2000, 311.

ومن الأمثلة الواضحة القوية وصف أختاتون نفسه بأنه "النيل لجميع البشر"، ومن طعامه يشبع الإنسان" وأنه "الأم التي تلد الجميع، وأنه يغذي الملايين من طعامه"؛ Davies, Amarna II, 7; III, 19; IV, 35.

^{٩٧} فقد عبد أمنحتب الثالث كتحوت في هرمبوليس وكوزير في أبيدوس وكأمون في الكرنك وكسوك في أرمنت وأن ظهرت معه تي فهي حتحور وإيزيس وماعت؛

Lesko, B., The Great Goddesses of Egypt, University of Oklahoma Press, 1999, p. 81; Susanne B.Aspects et Foncation de la defication d'Amenhotp III, BIFAO 102(2002), 63-83.

^{٩٨} Pamminger, P., Zur Göttlichkeit Amenophis III, BSEG 17(1993), 83-92; Lepsius, Denkmaler III, 1849-59, 876.

ومما لاشك فيه أن أختاتون اعتمد على طائفة من الرجال ارتكن اليهم واستقطبهم ليعاونوه على تحقيق فكره وانتقلوا معه إلى العمارنة وكان الأغراء بالمناصب وبالماديات شديداً ومكتفاً فشاهاً الهدايا والحلى الذهبية وهي تقدم لهم من نافذة الظهور⁹⁹ (شكل ٨،٧)، وكان أول ظهور لتلك المناظر فيما هو معلوم لدينا حتى الآن ما ظهر في مقبرة "أمنحتب ساسي" من عهد تحتمس الرابع¹⁰⁰، ولكنها كانت كمكافأة معروفة من خلال النصوص منذ عصر الدولة القديمة (في نصوص نخبو "جلاتتي أعطاني ذهب الحياة وخبز وجعة بكميات كثيرة")¹⁰¹، كما ركز أختاتون في نصوص التعيين على شخصيات تستمع جيداً (تطيع) لتعاليمه¹⁰²، وكان ذهب الحياة يمنح من قبل على الأعمال بالدرجة الأولى ولكن في عصر أختاتون كانت للطاعة أولاً كما ذكر مري رع الكاهن الأكبر لآتون فقد ذكر عن لسان الملك حين تنصيبه: "دع المشرف على خزنة حلقات الذهب يأخذ مري رع ويضع ذهباً حول رقبتك حتى قمته وكذلك حول قدميه وذلك لإطاعته تعاليم الفرعون الدينية"¹⁰³، وقد حرص البعض على إظهار مكانتهم المتواضعة جداً وكيف رفعهم أختاتون وأعلى من مراتبهم، ولو أن الضرورة حتمت تكريم من وقع على عاتقهم أعمال البناء المتعددة الضرورية لإنشاء المعابد والمدينة الجديدة وكان من أبرزهم رع موسى¹⁰⁴، وكان لشخصية "أي" دور كبير في مساندة أختاتون واتضح من خلال كتابة نشيد أختاتون على جدران مقبرته¹⁰⁵ كما ظهر وهو يستقبل الهدايا من الملك¹⁰⁶ كما كان هناك منح سنوية من ذهب، فضة، وملابس، وإواني نحاسية، وماشية لكل موظف قام بتعيينه¹⁰⁷. ويجب ألا يفهم من ذلك إقصاء أختاتون للموظفين السابقين عن وظائفهم لأن هذا يتعارض مع مفهوم الماعت¹⁰⁸، فقد ابقى با نفر في منصبه واحتفظ بلقبه منذ عهد والده وهو "المشرف على نبؤات الآلهة"¹⁰⁹. ورغم هذا فقد كانت المسؤولية المباشرة بالطبع واقعة على عاتق الملك وهو أصدق المؤمنين بهذا الاتجاه وقد يدعم هذا اختفاء لقب whmw n nsw

⁹⁹ Moret, A., The Nile and Egyptian Civilization, London, translated by M. R. Dobie, 1972 p. 323.

¹⁰⁰ Davies, The Tombs of Two officials of Tuthmosis the Fourth (Nos.75 and 90), pls.11-12

¹⁰¹ Dunham, Nekhebu, JEA(1938), pl.1, Lines 3-4.

¹⁰² Davies, Amarna 7, pl. 8; vol. 6, pl.19

¹⁰³ Davies, Amarna 7, pl. 30.

¹⁰⁴ Davies, Ramose, pls 35-36.

¹⁰⁵ Hornung, E., Akhenaten and the Religion of Light, London, 1999, p. 60.

¹⁰⁶ Aldred, op.cit, Fig. 5.

¹⁰⁷ Davies, Amarna, vol. 6, pl. 17.

¹⁰⁸ ففي وصايا مري رع عن العدالة: "لا تنزل موظف كبير عن رتبته"; جيمزج الحياة أيام الفراعنة، ترجمة أحمد زهير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، ٢٥٣، ١٩٩٧، ص ٦٠.

¹⁰⁹ Hornung, E. op.cit., p. 48.

بمعناه العام "رسل الملك"¹¹⁰؛ فعلى ما يبدو أنه كانت هناك شفافية وتعامل مباشر ما بين الملك والرعية. كما لايميل البحث لقبول ما أشار إليه "هورننج" بأن شخصية امنحتب ابن حابو كان له تأثير على فكر العمارنة¹¹¹ حيث إن الاتجاه المتزايد لتقديس هذه الشخصية وتأليهها على مر عصور تالية يتعارض مع رفض شخصية أختاتون وفكره فيما بعد، واستمرت الوظائف التقليدية المعتادة¹¹².

ومن تلك الظروف المؤثرة بداية من الوضع الاقتصادي والديني والسياسي والسمات الشخصية والموروث الثقافي والتأييد؛ فرض أختاتون صورة جديدة تتبع خطوات تنفيذية مدروسة كانت أهم ملامحها كالتالي:

أولاً: الاكتفاء بالرمز له بقرص الشمس المنبعث منه الضوء والحرارة على هيئة أيادي بشرية وعدم تصويره بأية هيئة إنسانية أو حيوانية¹¹³، وعمل الفنانون على إظهار قرص الشمس عن طريق تعميق خطه الخارجي وزيادة تكور وبروز القرص من الداخل كما ساعدت بقية الخطوط اللينة المنحنية في بقية عناصر اللوحات على ربط الذهن بدائرة الشمس مرة أخرى، وبالنظر إلى كتابة اسم هذا الإله فمن الملاحظ أنه لم يظهر قرص الشمس إلا بأشعة دون الألف البشرية مما يدل على رمزيتها البحتة¹¹⁴، وقد أضافت هذه الهيئة الكثير لتخدم آتون ففي كونها أشعة إشارة إلى الدفاء والضوء والفضاء والتواصل والامتداد؛ وفي كثرتها تعبير عن الكثرة والوفرة والسخاء والشمول والإحاطة¹¹⁵ والأستمرارية وثبتت لنا ميقات وهو مشرق الشمس حيث الخير كله وهو وقت خلق العالم¹¹⁶ وأكد المنظر على الرؤية المباشرة بسبب الضوء الناتج من الشمس (الإبصار في زعم من سبقوا ابن الهيثم لا يكون إلا بالاتصال المادي بين العين وبين الشيء، ويتم ذلك بأن تخرج العين شعاعاً على شكل مخروط رأسه العين وقاعدته عند سطح المبصر فاذا ما خرج هذا الشعاع من العين ووقع على الشيء حدث الإبصار)¹¹⁷، ولكن أختاتون قدم لنا الصورة العقلانية للإبصار واتضح ذلك من خلال اللوحات؛ فالشمس هي

¹¹⁰ Susan and D. Redford, The Akhenaten Temple project, vol. 4, The Tomb of Reça (TT 201), Toronto, 1994, p. 32.

¹¹¹ Hornung, E., op.cit, p. 58.

¹¹² Redford, R., The Akhenaten Temple Project, I, London, 1976, p. 67.

¹¹³ ولا ننكر احتمالية تأثر الفكر الديني لأختاتون بمفاهيم مرتبطة بالوحدانية الخاصة بالأباء الأولين يوسف ويعقوب فمن سفر التثنية "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدن لأني أنا الرب" تثنية 5: 9 كما كثر في التوراة التحذير من الوثنية على اختلاف مظاهرها وأساليبها.

¹¹⁴ Leitz I, 611ff.

وقد تباهي أختاتون بأنه لا يوجد نحات يعرف هيئة آتن؛

Urk. IV 1971, 13.

¹¹⁵ با أوزير الماء، با جب الأرض، با شو الهواء، با خير الضوء، ولكن با رع هي كل ما يحيط بالأرض؛

Assmann, op.cit., p. 145, 189.

¹¹⁶ Bickel, S., La cosmogonie égyptienne Avant Le nouvel empire, Gottingen, 1994, p. 55.

¹¹⁷ محمد نيهان سويلم، التصوير والحياة، سلسلة عالم المعرفة، ٧٥، الكويت، ١٩٨٤، ص ٢٢.

التي تشع وتنتشر الضوء وتستقبلها العين وأكد على ذلك في تشييده فسبق عصره وسبق ابن الهيثم - وفي كونها أنزع تنتهي بأكف بشرية عبرت عن الحماية^{١١٨} والرعاية والدعم والمباركة فكثيراً ما رأينا خروج عدد من الأذرع عن التنظيم لكي توجه إلى تاج الملك والملكة وكأنها تعبر في رمزية كبيرة عن منظر تثبيت التاج المؤلف الذي يقوم به في المعتاد حورس وست، ويرفع الملك هو الآخر يديه يوضح حاجة الملك لهذا العون وحالة من حالات التبعد والولاء وأن التواصل متبادل بين الملك وبين أتون كما تشير الألف للقوة^{١١٩}، وهي يد الإله أتوم المرتبطة بالخلق والخصوبة^{١٢٠}، ويد شو معطي نفس الحياة^{١٢١} وتسيد علامة العنخ التي عبرت عن الحياة بمفهومها الواسع ومقوماتها الأساسية: الماء والهواء والطعام، فقد سجل على المقصورة الحمراء لحتشيسوت بدلاً من علامة الماء نجد سيل من علامات العنخ، والأواني الجنازية التي كانت تستخدم لصب الماء كانت تأخذ علامة شكل علامة العنخ، ومرتبطة بالهواء فكثيراً ما نراها تسد إلى أنف الملوك وقد رأيناها تمسك بالمروحة لتعطي نفس الحياة للملك^{١٢٢}، والقرايين لها صلة وثيقة بالماعت فهي رمز لها^{١٢٣} وبدورها كانت لبنة رع، كما نجد كثير من المناظر توجيه الأيدي نحو موائد القرايين لتلتقط منها^{١٢٤}، وكان معبدي وسر رع للشمس في أبو صير يسمى مائدة قرايين رع^{١٢٥} وتمسك أختاتون بالماعت هو تمسك بكل صحيح أمام الفوضى والظلم والخذاع.

ثانياً - التركيز على الطبيعة سواء في الكلمة المكتوبة أو عن طريق الصورة وقد حفلت المعابد بالمناظر الطبيعية كأدلة ويرهان ظاهر على فضل الإله وقد أشرنا من قبل إلى أن تلك المناظر أصيله في العبادة الشمسية منذ الدولة القديمة ونذكر حجرة الفصول الأربعة في معبد الشمس لـ"تي وسر رع" في أبو صير^{١٢٦} وكان الفنانون مبدعين بحق في تلك الفترة الهامة فكثرت المناظر التي نلمس فيها الاختلافات بين حيوانات النوع الواحد كما اختلفت حركاتهم بما يخدم فكرة إظهار مشيئة الإله

¹¹⁸ وفي العادة كما تدل النصوص والمناظر تكون الحلية من الخلف كما تدل عبارة f. HA الشهيبة؛

Wilkinson, R., *Symbol & Magic in Egyptian Art*, 1994, p.46.

¹¹⁹ Hoffmeier, K., *The Arm of God versus the Arm of pharaoh in the Exodus Narratives*, *Biblica* 67(1986) 378ff.

¹²⁰ كما ارتبطت يد أتوم بالخصوبة والمتعة الجنسية وهي يد الكاء، كما ارتبطت قوم ببديلة السنة الجديدة وبالتالي تتويج الملك؛

Myśliwiec, K., *Atum in: Redford ed., The Oxford Encyclopedia I*, 185-160.

¹²¹ Klotz, D., *Adoration of the Ram*, *YES* 6(2006), p. 37.

¹²² Wilkinson, R., *op.cit.*, 159ff.

¹²³ Hornung, E., *Conceptions of God in Ancient Egypt*, Translated by J. Baines, London, 1983, p. 214, Fig. 19.

¹²⁴ Aldred, *op.cit.*, Fig. 46.

¹²⁵ Verner, M. *Abusir*, The American University press-Cairo, New York, 2002, p. 84.

¹²⁶ *Ibid*, p. 82.

ومقدرته، وكما شاهدنا النبات والسنابل مختلفين الأطوال وتتداخل الفروع وتتمايل مع حركة الريح الطبيعية^{١٢٧}.

ثالثاً - اختيار ارض بكر في مصر الوسطى بالقرب من مسقط رأس أسرة زوجته (أخميم) وهي مدينة أخت أتون، وصل إليها في العام الخامس من حكمه ولم تكن قد اكتملت بعد وتم نقش حوالي أربعة عشر لوحة تحدد الحدود الخارجية للمدينة^{١٢٨} تم اختيار مواضعها بدقة تدل على دراية بطوبغرافية المكان^{١٢٩}.

ونتساءل لماذا مدينة جديدة؟ والإجابة هنا يمكن أن تتجه إلى إتجاهين؛ الاتجاه الأول احتمالي بناء على أن يكون موقع تل العمارنة هو الموقع الأصلي لعبادة أتون استناداً إلى بعض الأشارات في نصوص العمارنة حيث ذكر أن موقع أتون في وسط أخت أتون^{١٣٠} والاتجاه الآخر عقلائي مستند على أن العواصم الكبرى السابقة مثل طيبة ومنف لهما من الثقل الديني الكافي لتقويض أى فكر ديني جديد سيقوم على حساب تصفية آلهتها الكبرى وبالتالي الحد من سلطات الكهنة المتزايدة، فبإنشاء أخت أتون ضمن إخلاص الرعية، ضمن عدم منافسة وعداء آلهة محلية في تلك المنطقة البكر، ولم لا؟ ولها موقع متميز بين الشمال والجنوب ولاننسى أن هذا الملك لم يكن ملكاً عادياً بل هو الملك الحالم المتعبد الذي كانت له بصماته الأكيدة هو وزوجته في شكل المدينة وتوزيع المعابد والقصور ومساكن الخاصة والعمال والجماليات المتعلقة بكل هذه المنشآت والتي كان الغرض الأساسي منها مرتبط بالثقافة وإظهار فضل الإله أتون وإظهار نوع من التوحد بين طبقات الشعب فقد أراد أن يخلق مجتمعا مثالياً. ويرى البحث أن تلك المدينة الجديدة هي أكبر دليل على جهد أختاتون الرامي إلى الحفاظ على فكره وديانته فهذا الفكر لم يقع أختاتون ليكون لذاته هو بل كانت مهمته نقل الاختلاجات والأجواء عن طريق الصوغ الجميل مضموناً وشكلاً.

رابعاً - مصداقية أختاتون وتمسكه بالماعت لم يكن تمسكاً شكلياً والماعت هي هدف كل فرعون وقد تداخلت في تركيب أسماءهم منذ فترات بعيدة كلقب "إيري ماعت" أي من هو واضع الماعت حيز التنفيذ، ولكن هناك فارق بين شكلية الأعداء ومدى تطبيقه^{١٣١}، مع التسليم أن العدالة المطلقة هي سلطة خارج نطاق البشر ولا تتوفر إلا للذات الإلهية، ولكن كان هناك من حاول النهل من جانب أو أكثر من جوانبها، وإله الشمس هو صانع العدالة، وقد خوطب إله الشمس في متون التوابيت بأنه: هو

¹²⁷ Aldred, op. cit., Fig. 93.

¹²⁸ Redford, D., Akhenaten the Heretic King, Egypt, 1989, 142, pl. 14.

¹²⁹ Hornung, E., Idea into image, Translated from Germany by Elizabeth Bredeck, 1992, 75.

¹³⁰ Redford, R., The Akhenaten Temple Project, I, London, 1976, p.60.

¹³¹ يقول مشم نعر رع (٢٣٥٠ ق.م) في نصوص مقبرته "أنا تكلم الماعت وأخذها"

Lichtheim, Literature I, p. 17;

Id., Maat in Egyptian Autobiographies and Related Studies, Orbis Biblicus et Orientalis, 120. Freiburg, 1992.

الذي خلق العدالة، كما أنه يعيش عليها^{١٣٢} وبالفعل كان أختاتون راغباً فيها وفي أغلب الأحوال نجح في أشعارنا بصدق المحاولة، فحينما نقرأ في نشيده عن الطبيعة المبهجة التي تظهر فضل آتزين، نجدها تلك الكلمات مصورة بالفعل في القصور الملكية والمعابد لتتطابق الكلمة مع الصورة^{١٣٣}، وتعد أناشيده بمثابة صلوات فعلية يؤديها الملك والملكة، و طريقة تصوير البشر بحركات طبيعية مفعمة بالحياة والواقعية، ولكن كان الغريب الطريقة التي صور بها الملك نفسه^{١٣٤} هو وأفراد أسرته والتي تخلى فيها عن المثالية المعتادة التي جرى العرف عليها عند تمثيل أو تصوير الملوك والأفراد بل لجاء إلى إظهار الحقيقة أو قد يكون المراد التركيز على الجوهر والفعل وليس على الشكليات الواهية ويرفض البحث صفة القبح التي نقرأها بين حين وآخر لوصف أختاتون لأننا يجب النظر لعصر أختاتون على أنه منظومة شاملة فلا يمكننا أن نقيم الفن دون محاولة لفهم فكره وفلسفته فملاحم وجه أختاتون من أجمل والملاحم المفعمة بالمشاعر^{١٣٥} كما التزم في أغلب الأحوال بأوضاع وحركات تعبيرية أضافت المزيد من إضفاء صفة الورع والتقوى وكأنه علم أن لغة الجسد يمكن أن تكون ابلغ من اللفظ، وفي كل هذا سمح للفنانين بحرية بالغة سعياً وراء إظهار الحقيقة كما هي حتى جاءت الأعمال وكأنهم دخلوا القصور الملكية وأطلعوا على حياة الملك العادية ومعاملاته مع أفراد أسرته فعرضوا علينا مواضيع لم نألّفها من قبل بالنسبة للملوك^{١٣٦}. وقد أخضع أفعاله طبقاً لضميره الشخصي وكانت عنده عبارات الضمير ملزمة ولم تكن مجرد عبارات استحسان واستهجان فقط ولكنها حققت طبيعة مثالية في نفس أختاتون، وتمسكه بالماعت لأنها في نظره هي التي تحقق المساواة بين البشر في حق النظر لإله واحد، ولم ينسلخ أختاتون من

¹³² Blackman, A., Righteousness, in: Gods, Priests and Men, London and New York, 1998, p. 30,31.

¹³³ Frankfort, H.(ed.), The Mural Painting of el- Amarnah(London, 1929), p. 56 f; Weatherhead, Painted Pavements in the Great palace at Amarna, JEA 78(1992), 186, fig.2; id., Wall- Paintings from the King's house at Amarna, JEA 81(1995), 104-6.

¹³⁴ علل البعض الصورة التي ظهر بها على أنها حالة مرضية، ومن الصعب اثبات ذلك لأنه لم يعثر على جثمانه إلى الآن؛

Nunn, J., Ancient Egyptian Medicine , London , 1997, 83-84.

ومنهم من قال تحديداً انه كان يعاني من خذل في الغدة الصماء ؛

Aldred, C., and A. Sandison, The Pharaoh Akhenaten: A problem in Egyptology and Pathology, Bull.Hist. Med. 36, Baltimore 1962, 293; Sandison, A., Eunuchen LÄ II, 46-47.
¹³⁵ مع التسليم بأن هناك ثمة اختلافاً في إلتقاء التنس على الجمال ليس فقط بين شخص وآخر بل بين بيئة وبيئة وعصر وآخر.

¹³⁶ مثل النموذج الموجود في المتحف المصري والذي يصور لختاتون يقبل ابنته أو الملكة JE 44866 ؛

Schafer, H., Amarna in Religion and Kunst, 1931,pl. 49; Aldred , New Kingdom art, 1961, 77, pl. 118.

ماضيه بل قبل منه ما يناسبه وما يوافق فكره وطور وجدد بدليل إدخاله لبعض الطقوس الجديدة في عيد الحب سد منها مثلاً نشيد أطلق عليه أبناء الملك^{١٣٧}. يعارض البعض اعتماداً بدرجة كبيرة على رسائل العمارنة^{١٣٨} سياسة أختاتون الخارجية وإهماله لكثير من الشؤون مما ترتب عليه فقد بعض الممتلكات وفي هذه النقطة نقول: لم يكن التراجع نتيجة تراخ بل نتيجة النظر بحرص لمنطقة الشرق الأدنى وتقدير لنمو الآخروالاعتراف به، وقد لمسنا هذا الاعتراف في أناشيد أختاتون التي تحدثت عن جنسيات البشر المختلفة المميزة باختلاف الألوان والألسن^{١٣٩} (النظرة العالمية وهنا قيام أتون بدور جوتي وخنوم)، وشهدت هذه الفترة ازدياداً ملحوظاً لقوة الحيثيين واحتمال اندلاع الحرب الحيثية الأولى في هذه الفترة^{١٤٠}، بل هناك ما يدل استمرار العلاقات السلمية مع الحيثيين في تلك الفترة^{١٤١}.

كان عصر الإمبراطورية الحق هو عصر تحتمس الثالث وكانت المساعي فيما بعد عصره محاولة الحفاظ على تلك الامبراطورية ولكن كان ظهور قوة الحيثيين له حسابات أخرى في مقاليد الشرق الأدنى. وإذا كان ولا بد من توجيه نقد شديد فمن الإنصاف ان نوجهه إلى أمنحيب الثالث وليس إلى أختاتون؛ لأنه لم يول تلك المنطقة الاهتمام الكافي لتحجيم خطر الحيثيين رغم طول مدة حكمه^{١٤٢}. ولا ينبغي أن ننسى أن الظروف المماثلة لا تتشابه إلا في الفترات التاريخية الواحدة ولا يوجد في المجتمع اطراد طويل الأمد يصلح أن يكون أساساً للتعميمات البعيدة المدى بمعنى أننا لايمكن أن نقارن بين شخصية أختاتون وشخصيات كانت ظروفها مختلفة تماماً عن عهده^{١٤٣}، وتماشياً مع المصادقية والماعت فأختاتون لم يكن مدعياً ومتباهياً بالنصر على الأعداء فحتى المنظر التقليدي الذي يظهر الملك وهو يطأ الأعداء لم يعد مألوفاً^{١٤٤}، ومما يدل على نبذه للعنف ملمح آخر وهو ظهور قرص الشمس أتون في بداية الدعوة وتمسك الأيادي بهروات وأسلحة، ولكنها سريعاً ما استبدلت بعلامات تعبر عن الأمانى بتكرار أعياد السد، ثم علامة العنخ^{١٤٥}، واستخدم

¹³⁷ Redford, The Akhenaten Temple project I, p. 32.

¹³⁸ Moran W., Les Lettres d'El-Amarna(1987) 34 n.68; Albright, W., The Amarna Letters from Palestine, CAH³ II.2, Chap. XX, 99- 100.

¹³⁹ Assmann, J., Egyptian Solar Religion in the New Kingdom, 1955, p. 158.

¹⁴⁰ Redford, Ankhnesenamun, Nofretity and the Amka Affair, JARCE 15, 43-48; Kitchen, Suppiluliuma and the Amarna Pharaohs, Liverpool, 1962.

¹⁴¹ Darnell, J. Supposed depictions of Hittites in the Amarna Period, SAK 18(1981), pp. 113-140

¹⁴² Spalinger, A., Egyptian-Hittite Relations at the close of Amarna Period and some notes on Hittite Military Strategy in North Syria, BES 1(1979), 55-89.

¹⁴³ كارل بوير، عقم المذهب التاريخي، ترجمة عبد الحميد حمزة، الإسكندرية، ١٩٥٩، ص ١٦.

¹⁴⁴ Hornung E., AKhenaten and the Religion of Light, London, 1999, p. 31.

¹⁴⁵ Ibid., p. 48.

أخنا تون عربات الحرب للنتزه والوصول إلى معابد آتون^{١٤٦}، وما يحتسب في صالحه هو اهتمامه بالأمن الداخلي واستمرار الأهتمام بالجيش وتدريباته وشيوع ألقابهم التي تدل على رتبهم^{١٤٧}، كما ظهرت مناظر استقبال الجزية مما يدل على عدم فقد مصر كل الممتلكات^{١٤٨}.

والمعارضة كانت بالتأكيد حادثة لما في تلك الدعوة من تأثير كبير على مكانة الكهنة في داخل المعابد المختلفة وخاصة معبد آمون وبسبب أن النفوس إذا ألفت شيئاً - فترة طويلة من الزمن - لم يكن من السهل انصرافها عنه والاعتقاد لا العقل، ولا المنطق هو المانع للتأييد أمام تلك العقيدة الجارفة^{١٤٩} نعم حادثة ولكنها مستترة فقد كانت الملكية المقدسة رادعاً لها وهذه المعارضة المستترة في حد ذاتها تتقلب إلى عامل هام من عوامل التأييد في فكر أخنا تون مع التسليم بأن منهجه قد لاقى شيئاً من النجاح. فلم يرصد البحث معارضة واحدة سافرة أثناء حياته مما يثبت أن عصره ساير ما انطبع عند المصريين عن الملكية المقدسة^{١٥٠} وبما تستلزمه من وجوب الطاعة للحفاظ على النظام والأمن وتوازن الكون. وكان الاتجاه السلمي للدعوة عاملاً من عوامل التأييد لها فقد أحب العمال والموظفون تلك العائلة وعثر في داخل المنازل على مقاصير تضم لوحات لآتون وأخنا تون المتعبد له^{١٥١} مثل مقصورة "با نحسي" في المتحف المصري^{١٥٢} وكانت تلك المقاصير للعبادة^{١٥٣} وتتصب أمامها مذابح وموائد قرابين^{١٥٤}، كما وجدت اللوحات سبيلها إلى المقابر^{١٥٥}. ومن صور نبذ العنف في نشر الدعوة أننا وجدناه يمهّد لها بنفسه وافعاله وأناشيده الجميلة معتمد على الأدلة العقلية والبراهين الحسية، وركزت الصور على ما هو مرأى ولم تركز على صور من الماضي، ونشر المعابد لآتون ومحاولته خلق مجتمع مثالي منظم الفكر مدركاً صعوبة المهمة القادم عليها متفهماً ظروف التشعب بكل ما هو قديم

Ibid., p. 66. 146

Redford, The Akhenaten Temple project I, p. 109. 147

Davies, Amarna II, pl. 38. 148

^{١٤٩} وتذكر ما ذكره القرآن من أقوال الذين حرّموا أنفسهم من ميزة الفهم "بنا وجدنا لباعنا على لمة، وإنما على آثارهم مقتدون" الزخرف ٢٣.

^{١٥٠} ففي أشد الفترات غموضاً والتي شهدت انحلال تام في مفهوم الملكية المقدسة وهي فترة بدائية عصر الانتقال الأول وجدنا حكيمنا "يبور" يراوغ - رغم انتقاده اللاذع لشخصية الملك المتسبب في تلك الكوارث - ولم يجروء على ذكر اسمه صراحة.

^{١٥١} Ikram, S., Domestic Shrines and the Cult of Royal Family at el- Amarna, JEA 75(1989), 89-101;

Bomann, A. The Private chapel in Ancient Egypt, London, 1991; Assmann, JNES 31, 153;

Crocker, P. JEA 71(1985), 56.

JE 6541. 152

Stevens, A., JEA 89(2003), pp. 143-168, fig.1. 153

Badawy, A., ZÄS 87(1962), pp.79-95. 154

Davies, Amarna, II, Tf. 32; Vandier, Manuel IV, pl.296. 155

ومتوارث فوجدنا أسماء الموظفين في نل العمارنة ذاتها تتداخل فيها أسماء آلهة^{١٥٦} كما عثر على تماثيل لآلهة شعبية في مدن العمال، ومردود الحب لا يكون سوي الحب لمن شعروا به وتقبلوه وبالفعل عوملت العائلة المالكة كعائلة مقدسة كما اشار "هورننج" وكان يوجد بداخل بيوت العمارنة لوحة لأخناتون وأسرته توضع في مقصورة خاصة^{١٥٧}.

هذا إلى جانب ما استند إليه أخناتون من نقاط للقوة في شخصيته كانت لديها المقدره على تحجيم شأن الكهنة - الذي بزيادته أدى لدخول البلاد إلى العصور المتأخرة فيما بعد- وبعد اختفاء أخناتون الغامض -بالنسبة لنا- حيث لم تسفر لنا الأدلة عن تفاصيل نهاية الأحداث كانت الفرصة متاحة للردة إلى الطبيعة الأصلية للديانة المصرية، ويرى البحث أنه لم تكن تلك الهجمة الشرسة قد حدثت في عصر توت عنخ آمون على شخص أخناتون ذاته مع التسليم بعودته السريعة لديانة آمون مرة أخرى^{١٥٨}؛ لأنه قد تربي في العمارنة وانطبعت فنونه بملاحها مع الأخذ في الاعتبار احتمالية بنوته لأخناتون^{١٥٩}. ولا يجب أن نأخذ بعض العبارات التي قد تبدو تقليدية في أحيان كثيرة والتي حينما تأتي في أي عصر لا ننظر إليها بنفس التفسير مثل "هو طرد الفوضى isft من الأرضين واستقرت الماعت في مكانها"، كما يجب أن نضع في الاعتبار تأثير الفن الواضح في عصر توت بعصر العمارنة^{١٦٠}. ولكن كانت الهجمة الشرسة في عصر حور محب الذي هدم المعابد واصدر التشريعات في خطوات تنفيذية واضحة وصريحة تجاه طي صفحة أخناتون وذكره^{١٦١}.

Urk. IV 1974, 20; Smith, Ray, and Redford, D. The Akhenaten Temple Project, vol. 156
I(1977),99-100,pls. 14,85.1.

Hornung, E., Conception of God, The one and the Many, London, 1982,p. 248. 157

Pritchard, J., ed. Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament. 3d ed. 158

Princeton, 1969, p.251.

^{١٥٩} وحول ذلك الموضوع نقرأ:

Hanke, R., Amarna Reliefs aus Hermopolis, Hildesheimer Ägyptologische Beiträge 2. Hildesheim,1978, pp. 190-92; Martin, G., The Royal Tomb at el-Amarna, vol.2(1989), pp.37-41, Harris, J., "Kiya". Chronique d'Egypte 49(1974), pp. 25-30; id. Akhenaten and Nefernefruaten in the Tomb of Tutankhamun. In C.Nicholas Reeves,ed., After Tutankhamun: Research and Excavation in the Royal Necropolis at Thebes, 1992, p. 72, n. 115;Robins, G.,The Mother of Tutankhamun, Discussions in Egyptology 22(1992),pp.25-27.

^{١٦٠} Harris, J. Akhenaten and Nefernefruaten in the Tomb of Tutankhamun. In Nicholas Reeves, ed., after Tutankhamun: Research and Excavation in the Royal Necropolis at Thebes, pp. 55-73. London, 1992.

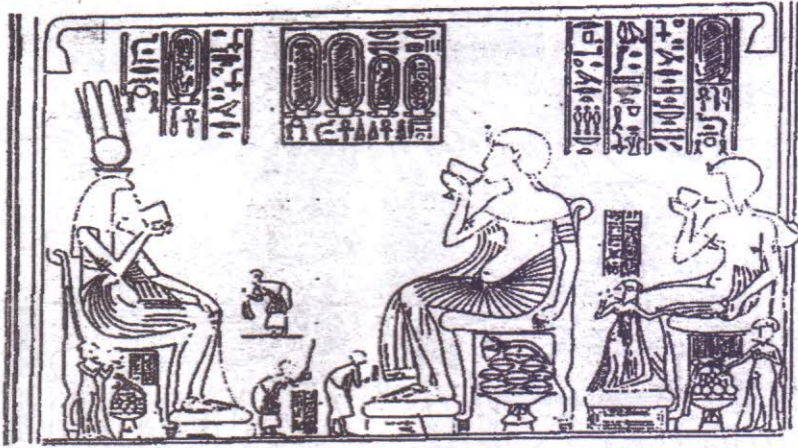
Urk. IV, 2160; Kruchten, Le decret d' Horemheb , Bruxelles, Sacred, 159-65. 161

الخاتمة

بالنظر إلى فكر أحناتون وما ترتب عليه من متغيرات نجد أنه نهج نهجاً مدروساً يعتمد على العقل والمنطق والفلسفة، بل وصاغ قوالب أصيلة لها وكانت تعوزها فقط مسميات النظريات الحديثة؛ فقد فكر في الكون محاولة منه للوصول إلى الخالق عرف قضاياها الأساسية وعمل على صوغ منهج مناسب لها. إبرز جوانب عديدة للحياة الاجتماعية وقوانينها وبنيتها والعلاقة بين جوانبها المادية والروحية والعلاقات المتبادلة بين الناس والفرد والمجتمع (السوسولوجيا)، حاول تقديم مجتمع فاضل قائم على الحب والعدالة، لم يكن صاحب شعارات ولم نراه مدعياً النصر وسحق الأعداء، طور وجدد ولم يقبل بالقديم على علته وإنما أخذ منه ما يخدم قضيته، انساق متبعاً إيمانه العميق محاولاً بشتى الطرق الوصول للهدف وخاض الطريق الصعب، وأشبه ما قام به أحناتون بمن حاول جاهداً رفع صخرة ضخمة جاثمة من موضعها الخاطئ ليضعها في مكانها الصحيح، ولكنه لم يستطع سوى رفعها قليلاً لتستقر مرة أخرى بالقرب من نفس موضعها الأصلي، ولكنها أحدثت دويماً هائلاً، ويالها من محاولة جريئة ورائدة.

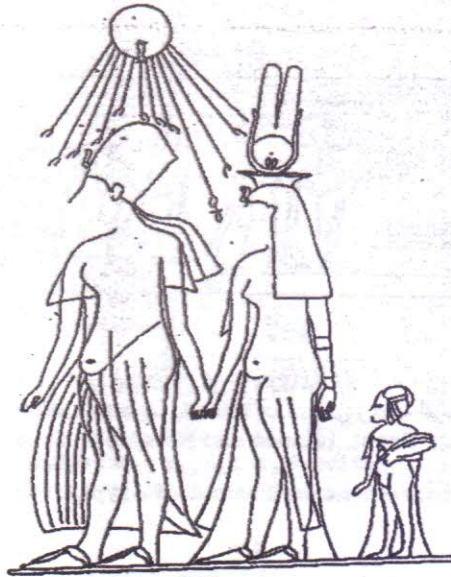
ورغم ضياع الأدلة التفصيلية عن الأوضاع الكاملة في العمارنة فقد كانت على الأقل بضع سنوات من أجمل سنوات العمر، وكانت حياته القصيرة هناك مفعمة بضروب مختلفة من الأحاسيس والانفعالات والعواطف واستمرت الحياة هادئة-ولو إلى حين - كما أرادها، واستمرت كل مظاهر الحياة الأسرية القائمة على الحب بين الملك والملكة وبناتهما ومما لا شك فيه أنه كان للتأييد والحب دورين كبيرين في حياة أحناتون ظهرا في كل لوحة من لوحات العمارنة.

وبالنظر إلى كل هذه المتغيرات مجتمعة وبغض النظر عن الاختلاف حول ما تهيأ لدعوته من فرص سنجد أن أحناتون قد نجح في نقش اسمه بسطور من النور قدم لنا فكراً في طريق التوحيد، وفناً أصيلاً وواقعياً وعزف سيمفونية متسقة دمج فيها آراءه واعتقاداته مع أرض الواقع في "أخت أتون" وقد حاول البحث التأكيد على أن شخصية أحناتون ذاتها هي الداعم والباعث الأول لتلك الحركة.



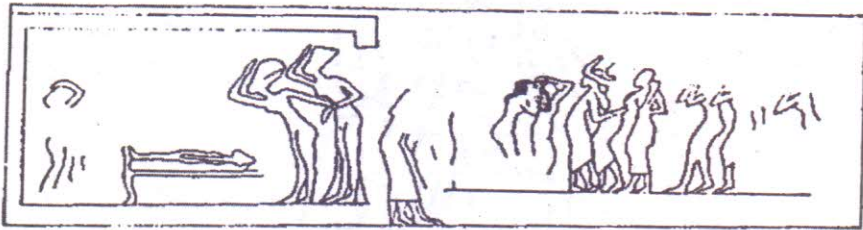
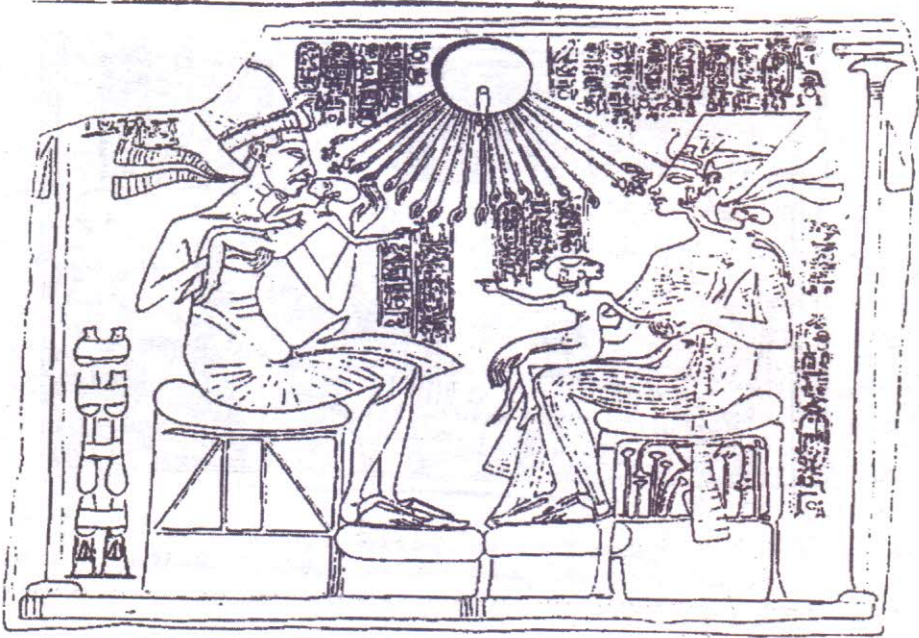
شكل ١

الاجتماع على موائد الطعام - حفلة على شرف الملكة تي
جوليا سامسون، لقرنتي، ترجمة مختار المويحي، القاهرة، ١٩٩٢، شكل ٣٢.



شكل ٢

الملك أمنموتون ومصطحب للملكة الأم تي لاهورة معبد ترون
Davies, Amarna III, pl.9.



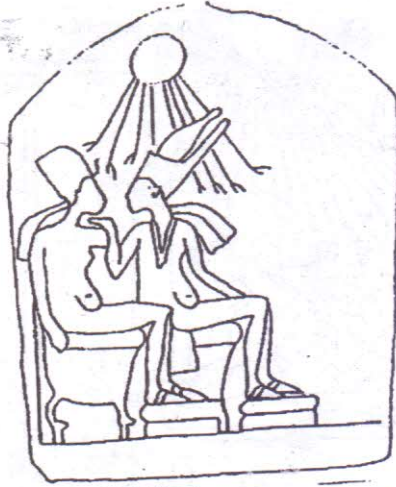
أخناتون فرح وبكاء

شكل ٣- للصورة الرسمية للعائلة المالكة في رعاية أتون

Kemp.B., Ancient Egypt, London and New York, Second edition, Fig. 98.

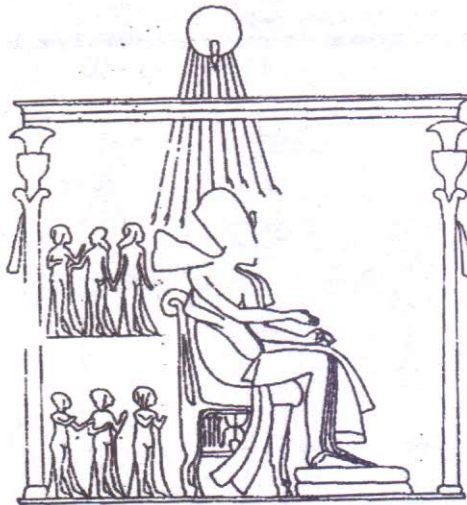
شكل ٤- حزن على موت الإلهة مكت أتون

Aldred, Akhenaten, Pharaoh of Egypt, 1968, pl. 87.



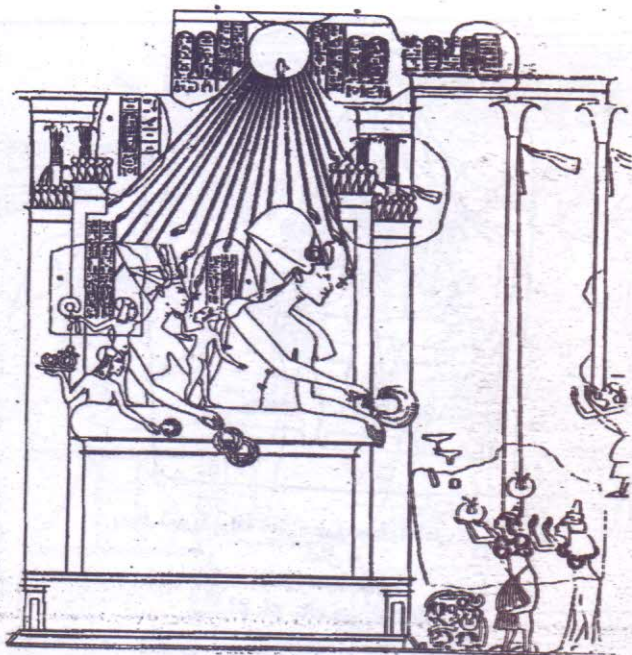
وسلال تعبيرية موهقة تغطي صورة حسيبة دالة على الحب والتوافق
شكل ٥

ظاهرة مقابلة للوجه
Aldred, op.cit., pl. 81.



شكل ٦

التطابق بين صورة الملك والملكة وتشابه الأيدي
Davies, Amarna II, pl. 38.



شكل ٧

مكافأة أي - من مقبرته بتل المعازنة

Kanawati, N. La Tobe et sa Signification Dans l' Egypte Ancienne Egypt, 1997, Fig. 41.



شكل ٨

توتنة أي - من مقبرته بتل المعازنة

Davies, Amarna VI, pl.30.

ابحاث قسم الاثار الاسلامية

م	اسم الباحث	الجنسية	اسم البحث	صفحة
١.	أ.د. حسن محمد عبد الله	مصر	العمارة العربية في شرق افريقيا - رؤية معمارية من خلال نصوص وكتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب للفترة من القرن العاشر الى القرن العشرين الميلادي	٥٢٧-٤٨٣
٢.	د. شرقي الرزقي	الجزائر	المناهج الكمية والمناهج النوعية في الدراسات الأثرية الحديثة	٥٣٧-٥٢٨
٣.	د. شروق عاشور	مصر	طافوس المعتم ابراهيم وجرجس الجوهري	٥٥٩-٥٣٨
٤.	د. عائشة حنفي	الجزائر	الحلي الجزائرية مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة	٥٦٧-٥٦٠
٥.	د. عبد الله كامل	مصر	الجامع العباسي ببورسعيد دراسة أثرية معمارية مقارنة	٦١٨-٥٦٨
٦.	د. فرج الله احمد يوسف	السعودية	انتهاك المقدسات وطمس الآثار في فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني	٦٣٨-٦١٩
٧.	محمد صاحبي	الجزائر	المخطوطات العربية في الجزائر في المجلة الافريقية R.A. دراسة احصائية بيليوغرافية	٦٥٦-٦٣٩

العمارة العربية في شرق أفريقيا
رؤية معمارية من خلال نصوص وكتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين
العرب للفترة من القرن العاشر الى القرن العشرين الميلادي
د. حسن محمد عبد الله*

التطور التاريخي للوجود العربي بشرق افريقيا :

لقد تبع ظهور الإسلام وانتشاره خارج الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي اندفاع جماعات من عرب الجزيرة العربية الى ساحل شرق افريقيا للتجارة ثم الإقامة الدائمة وقد وجد اولئك المهاجرون المسلمون قاعدة عربية اقامها من سبقهم من العرب ووجدوا ايضا شعوب ذات ثقافة وحضارة ترجع أصولها الى اختلاط العناصر الوافدة على الساحل الافريقي مع أصحاب الأرض حيث تمتعت بسمات فريدة في نوعها وفي التكوين الجنسي والثقافي والحضارى ، ولكن يغلب عليها العنصر الاسلامى المصرى ، فأقاموا نقاط تجارية صغيرة على طرق التجارة داخل البر الافريقي ، وشيدوا المدن على الساحل وفي الجزر

وقد اجمع المؤرخون والرحالة والجغرافيون العرب على ان تلك الفئة من المسلمين اقامت حضارتها الجديدة دون مقاومة من الافارقة اصحاب الارض بل احسنوا استقبالهم واختلطوا معهم وتزاوجوا وامتزجوا وصارت شعوب الساحل ذات دين اسلامى وثقافة عربية واسلامية وتلك اسس حضارتها.

ثم تاتى تلك الفترة التى تمتد من القرن التاسع الميلادى الى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى، وقد ظهر فيها اول شكل سياسى مركزى اسلامى على الشاطئ الشرقى لافريقيا متمثلا فى سلطنة الزنج ٩٧٥ هـ - ١٥١٢م وكانت جزيرة كلوة عاصمة سياسية وادارية لها، وقد كان لهذه السلطنة الدور الاول فى تعدد ظهور الكيانات السياسية الصغيرة على الساحل، ممثلا فى عدة مدن اسلامية قد استكملت مقوماتها السياسية وسماتها العربية وهى من الشمال الى الجنوب " مقديشيو، براوة، بات، لامو، زنجبار، موفية، كلوة، سفالة " وفى خلال القرن العاشر الميلادى كان الاسلام قد استكمل انتشاره حتى اصبح من مظاهر الحكم فيها ان يكون لكل مدينة مسجدها الكبير الذى يتمثل فيه وبه اهم مظهر من مظاهر الحكم العربى الاسلامى.

ثم تبدأ مرحلة الاستعمار حين سقطت سلطنة الزنج فى عام ١٥١٢ م على ايدى البرتغاليين الذين سيطروا على الساحل الشرقى الافريقي مما دعى الى قيام حركة كفاح

* معهد الالسن العال للسياحة والفنادق والحاسب الالى بمدينة نصر

عربي إسلامي ضد الاحتلال البرتغالي، حتى استطاع أهل عمان تحرير بلادهم وسعوا لتحرير اقاليم الساحل الأفريقي أيضاً، ثم تلى ذلك فرض السيطرة العثمانية على الاسر العربية الحاكمة لذلك الساحل، مما استتبعه انتقال عاصمة السلطنة من مسقط بحنوب شرق الجزيرة العربية الى جزيرة زنجبار بشرق أفريقيا عام ١٨٣٢ م، والتي أصبحت عاصمة السلطنة بقسميها الاسوي والأفريقي، والمقر الدائم للسلطان سعيد بن سلطان، حاكم عمان ومقاطعتها في شرق أفريقيا (١٨٠٦ - ١٨٥٦ م) مما دعا الى قيام نهضة معمارية شاملة بالجزيرة وذلك لكونها عاصمة الحكم السلطاني^(١).

ثم تمتد مرحلة الصحوة العربية بالدور المصري في شرق أفريقيا والتي امتازت بكونها امتداداً حضارياً وعمرانياً، ويتمثل هذا الدور في عصر الاسرة العلوية بمصر (١٨٠٥ - ١٩٥٢) التي تميزت بقدر كبير من الطموح التوسعي وخاصة في دائرة النشاط الأفريقي، باعتبارها امتداداً طبيعياً لحدود مصر الجنوبية الشرقية، والمدخل البحري لمنابع النيل الاستوائية، حتى بلاد جنوب الصومال على المحيط الهندي، ليتم تحديد الحدود الطبيعية لمصر بالاضافة الي تأمين مصدر الحياة الاول لها الا وهو نهر النيل، وقد اتخذت الادارة المصرية في تلك الاقاليم من الاعمار والانشاء والبناء وسيلة اولى لتدعيم وتثبيت تواجدتها، فأقامت نهضة حضارية عمرانية شاملة على الساحل الشرقي الأفريقي، شملت منشآت معمارية متعددة الوظائف والمهام من اسوار وقلاع ومنازل ومساجد ومدارس ومستشفيات ومنشآت ادارية وتأمين مصادر المياه للعنبة حتى نهضت بتلك البلاد، وسنركز على الساحل الجنوبي لبلاد الصومال لارتباطة الجغرافي والتاريخي بالدور العماني على الساحل الشرقي لأفريقيا^(٢).

العمارة العربية في شرق أفريقيا في كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب :

كان لوصول العرب الى ساحل شرق أفريقيا منذ القرن السابع الميلادي وتأسيسهم المراكز والمدن ، ان أعطى ذلك فرصة للرحالة والكتاب العرب لزيارة هذه المناطق والكتابة عنها، ووصف الشعوب الأفريقية التي اختلطوا بها، وبالتالي حملت كتاباتهم لنا الكثير من الاشارات الوصفية لحركة البناء والاعمار التي قام بها المسلمون القادمين بالاضافة الى وصف دقيق لحياتنا وغير دقيق لحياتنا اخرى لتفاصيل معمارية ولتخطيط تلك المدن المنشأة وما بها من منازل وقصور وحمامات عامة وخاصة وقلاع دفاعية وشوارع وموانئ .

(١) صلاح العقاد : زنجبار ، سلسلة الالف كتاب ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٩ .

(٢) شوقي عطا الله الجمل : سياسة مصر في البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٤٥ .

واول من ذكر لنا بلاد الزنج هو ابن خردزابه في القرن التاسع الميلادي، ثم المسعودي الذي صحب التجار العرب من عمان وسيراف على ساحل الخليج العربي في رحلاتهم الى الشرق الافريقي، واقام به زمنا حتى وصل في ترحاله الى سفالية في اقصى بلاد الزنج وعاد من اخر رحلاته في بداية القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي، وترجع اهمية تلك الفترة المعاصرة لرحلات المسعودي الى تزامنها مع قيام وتأسيس عدة مدن اسلامية ذات سيادة مثل مقديشيو وبراو و ماليندي ومنبسة .

ثم اضاف الادريسي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الكثير وخاصة عن صناعة وتجارة الحديد ورسم خريطة لافريقيا تميزت بالدقة وقد ظهر عليها اربعة مواقع لمدن اسلامية وهي سوقطرة ومركة و ماليندي ومنبسة وذكر ان العرب لهم الكثير من القبول والمهابة لدى الافارقة بفضل سبقهم في الاسلام.

وفي القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي طرح ياقوت الحموي معجم تخطيط البلدان واسماه " معجم البلدان " وبه اشارات عن المدن والمراكز العربية وخاصة عن مقديشيو وكولة ومنبسة وسفالية. ^(١)

وفي الربع الاول في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي كان دور الرحالة العربي بن بطوطة حين وفد على الساحل الشرقي لافريقيا وكتب عن الازدهار الذي بلغه الساحل وتعرض لذكر مدينتين على ساحل الصومال هما : مقديشيو وزيلع التي اهتم بذكرها حيث مكث بها فترة اتاحت له حسن مشاهدتها واجادة وصفها وخاصة عن الناحية التخطيطية للمدينة وملاحمها المعمارية وكذلك ذكر جزيرة ومدينة كولة وانها المدينة الرئيسية على ساحل الزنج والمح في كتاباته عن دفاعات تلك المدينة ومسجدها الكبير والصغير وكذلك قصورها.

هذا بالاضافة الى مصادر رئيسية نبعت من البيئة المحلية للساحل الشرقي الافريقي وهي روايات محلية التي كتبت باللغة السواحيلية والعربية وهي معاصرة للاحداث ووجدت على هيئة مخطوطات وبها ذكر تاريخ بعض الاسر العربية التي اسست حكمها على جزر الساحل وعلى سبيل المثال:

مخطوطة عربية معاصرة للغزو البرتغالي لشرق افريقيا ، فقد معظمها وعثر على مقتطفات منها، وجمع اوراقها الشيخ محيي الدين الزنجباري قاضي قضاء زنجبار عام ١٨٦٢ ونسخها الشيخ عبد الله بن مصبح احد العاملين في بلاط السلطان برغش بن سعيد حاكم سلطنة زنجبار (١٨٧٠ - ١٨٨٨) والذي قام بدوره باهداء اوراق المخطوطة الى السيد جون كيرك القنصل البريطاني في زنجبار فاودعها في المتحف

^(١) جمال زكريا قاسم : الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ص ٤ .

البريطاني حتى نشرها السيد ارثر سترونج عام ١٨٩٥ تحت عنوان " تاريخ كلوة " وهذه المخطوطة بها الكثير من الاشارات عن الحالة المعمارية لجزيرة كلوة قيل تكوين الامبراطورية وبعدها^(١).

ثم حلت فترة الاحتلال البرتغالي للشرق الافريقي من نهاية القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السابع عشر وتلك الفترة نعتمد فيها على المصادر العمانية التي تناولت الاحداث من خلال الصلات القائمة بين الوطن الام في عمان وبين الامارات والسلطنات العربية الاسلامية في شرق افريقيا، مثل كتاب " الفتح المبين المبرهن في سيرة السادة البوسعيدين " تأليف حميد بن محمد زريق بن بخيت.

وكذلك عن فترة السيد سعيد بن سلطان مؤسس سلطنة زنجبار (١٨٠٦ - ١٨٥٦) من مذكرات ابنته الاميرة سلمى بنت سعيد التي نشرت بالالمانية والانجليزية والفرنسية تحت مسمى " مذكرات اميرة عربية " سنة ١٩٠٥، والكتاب ترجم الى العربية بواسطة وزارة التراث القومي لسلطنة عمان وهو غني بالاشارات عن الناحية المعمارية في جزيرة زنجبار وخاصة عن القصور الملكية والحمامات الخاصة بالعائلة المالكة وتخطيط مدينة زنجبار.

وايضا عن نشأه وتكوين ونهاية سلطنة زنجبار (١٨٣٢ - ١٩٦٢) كتاب جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار تأليف سعيد بن علي المغيرة تحقيق عبد المنعم كامل اصدار وزارة التراث القومي بعمان في عام ١٩٧٩ والمؤلف ذكر به الكثير عن المعمار والاعمار ودور القبائل العربية في حركة العمارة في الجزيرة وتخطيطها العمراني والقصور الملكية والقلاع العسكرية والمساجد الاباضية والسنية، والاستفادة كبيرة منه حيث ذكر البناء وتاريخه ونسبة القائم بالبناء وقواعد الاستخدام.

اولاً : سلطنة الزنج : " ٩٧٥هـ - ١٥١٢ م "

ومصدرنا الرئيسي عنها " مخطوط السلوة في اخبار كلوة " التي نتحدث عن وصول هجرة فارسية الى جزيرة كلوه، التي اتخذتها مستقراً لها حتى استطاعوا تأسيس دولة الزنج والتي شغلت الفترة من " ٩٧٥هـ - ١٥١٢ م " وهي اول كيان سياسى مركزى اسلامى قام في شرق افريقيا، وقد استمدت اسسها ومنهجها المعماري من الفرس الشيرازين ، وقد بدأت سمات الامة السواحلية تتكون وتنبلوا في عهد هذه السلطنة، ويرجع الفضل اليها في قيام عدة مدن ، على الساحل الشرقي الافريقي، ومع بداية القرن العاشر الهجري وفد اليها هجرات عربية عدة استكملت بها تلك الدولة

(١) جمال زكروبا قاسم : للمصادر العربية لتاريخ شرق افريقيا ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع عشر ، مطبعة جامعة عين شمس القاهرة

مقوماتها واسسها السياسية والاقتصادية وهي من الشمال الى الجنوب " مقديشو، براوة، بات، لامو، زنجبار، كلوة، موفية، سفالية ". وازدهرت حضارة كلوة العربية، حتى انتشر الرخاء بها نتيجة اشتغال اهلها بالتجارة، بين الاقاليم المطلة على سواحل المحيط الهندي بالاضافة الى استغلال مناجم الذهب في سفالية الذهب.^(١)

الرؤية المعمارية من خلال نص المخطوط:

في الباب الأول وعند ذكر وصول المراكب الحاملة للهجرة الفارسية إلى جزيرة كلوه، يذكر انهم قد وجدوها شبه جزيرة، يحيط بها المياه من ثلاث جهات، اما الجهة الرابعة فهي متصلة بالبر حين يهبط منسوب المياه، حيث يتمكن الناس من السير إلى البر فنزلوا فيها ووجدوا رجلاً من المسلمين مع من تبعه من عياله واولاده وقد بنى مسجداً، قيل انه المسجد الذي هو مقبور وانهم قد اشتروا الجزيرة من صاحبها الافريقي وهو كافر الملة وحين رأوا فيه نية الرجوع اليهم بعساكره لنهب اموالهم، عندئذ عمدوا إلى القريحة وحفروا في الخور الذي يعبرون منه إلى البر ثم عملوا إلى تحصين الجزيرة وتسويرها.

وفي الباب الثالث وعند ذكر تولى الحسن بن سليمان بن حسن بن طالوت الملك، والذي كنى بأبي المواهب تهم جامع كلوه جميعه حتى لم يتبق منه الا القبة المشهورة التي كان يصلى فيها فبقى الجامع متهدماً والناس يصلون تحت ظلال الحصف والخيام، حتى زمن السلطان سليمان بن الملك العادل الملقب "المطر الجديد".

وفي الفصل الأول بعد الباب الرابع، ذكر ان سليمان بن الملك العادل، اعاد بناء الجامع الكبير الذي تهدم في زمن أبي المواهب ويرجع سبب اعادة البناء إلى ان السيد حاج روسن بن السلطان حسين، استأذن سلطان البلاد في بناء المسجد من ماله الخاص فلم يأذن السلطان سليمان له بالبناء ولكن اعطاه الف مثقال من الذهب وقال له ابني الجامع بهذا المال ولكن السيد حاج اعاد بناء المسجد من ماله الخاص واحتفظ بمال السلطان سليمان عنده، وبعد اعلان وفاة السلطان رد المال إلى اهله وقد حدث اثناء اعادة البناء ان عجز القائمون عليه إعادة نحت وتشكيل الاعمدة من الحجر ككتلة واحدة مثلما كان البناء الاول فاضطر إلى الاستعانة بخشب من اشجار طويلة وقوية شكلوا منها سبعة أعمدة اقيمت في مقدمة المسجد واستخدمت الفروع في عمل رواكب

(١) Stronge (S. A.) The history of Kilua, the journal of the royal Asiatic, London, April 1895,p.414.

وحمائل لاستكمال المقدمة والجانبين لما مؤخره المسجد فجعلوا قباباً من الحجر تمثلوا فيها بقبة أبي الماهب.^(١)

ويُفهم من سياق الأحداث التاريخية الواردة بالمخطوط ، ان الاسلام قد وصل الى الجزيرة قبل قدوم الهجرة الفارسية بفترة ليست قصيرة ، وذلك من خلال هجرات منظمة ، حيث قد وجد اناس مسلمون مقيمون بالجزيرة ، ولهم شكل وكيان اجتماعي منظم فيما بينهم وبين الافارقة المقيمين بالبر ، والذين اعتبروا انفسهم ملاك للجزيرة ، فكان هناك علاقة جوار قبل الافارقة من خلالها اقامة هؤلاء المسلمين ، وصار احترامهم المتبادل للدين والعقائد والشعائر حتى ان المسلمين قد قاموا ببناء مسجد لهم ، استخدم فيه تقنية معمارية حضارية عالية المهارة والخبرة ، حيث شيد بالحجر وسقف اعلاه بقبة .

ومن سياق سير الاحداث التاريخية بالمخطوط ، يمكن القول انه حدد جزء معين من الجزيرة لاقامة هؤلاء المسلمين ، في أقصى شمال غرب الجزيرة ، حيث يوجد المسجد القديم نو القبة الواحدة على ان تبقى باقى اجزاء الجزيرة لاقامة الافارقة حين نزولهم بها .

هذا وقد بنى حسن بن على بعد نزوله بالجزيرة خطة للسيطرة عليها والانفراد بها ، ملكا وحكما مستعينا بنصائح وارشادات كبير مسلمي الجزيرة فاتبع الخطوات التالية :

اولا : شراء الجزيرة بالكامل من صاحبها الافريقي ، الذى اخذته مظاهر الثراء البادية على افراد الهجرة وذلك لتصبح جزيرة اسلامية خالصة ديناً وحكماً .

ثانياً : العمل على تأمين الجزيرة من هجمات الافارقة المفاجئة والمنتالية ، باستخدام الفكر المعماري المخزون لديهم من خلال الموروث الحضارى المعماري الذى شاهده وعاصروه في بلاد فارس الوطن الام ، فقاموا بازالة المعبر الارضى الواصل بين البر والجزيرة ، وزادوا من عمقه حتى احاطت المياه بالجزيرة كاملة ، واصبحت المياه مانعاً وعائقاً بينهم وبين افارقة البر وبالتالي اصبح من الضروري عليه ان يستحدث بناء سور حجرى حول مناطق الخطر بالجزيرة مع وضع اساس حصن او قلعة دفاعية يدعم بها السور وذلك للعمل على الدفاع عن الجزيرة فى حالة وجود اعتداء خارجى .

مما يعنى ان العمارة كانت هى الوسيلة الاولى لتدعيم استقرار المسلمين بالجزيرة حيث وفرت لهم الاستقرار والحماية وممارسة الشعائر الدينية .

(١) سعيد بن على المعمرى : جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق عبد المنعم عامر ، وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧-٨٥ .

ثالثاً : ويستدل ايضاً من الاحداث الى ان مسجد كلوة الكبيرة القديم تم بناؤه بداية في القرن العاشر الميلادي حيث ذكر انه قد انهدم محلة في عصر السلطان حسن بن سليمان ، الذي كنى بابي الواهب ذلك السلطان الذي عاصر زيارة ابن بطوطة لجزيرة كلوة عام ١٣٣١م .

ثم اعيد بناء المسجد في زمن السلطان سليمان بن الملك العادل (١٤٢١-١٤٣٠م) وتشير الاحداث الى ان ماده البناء وتقنياته قد تراجعت بعاصمة السلطنة ، حيث شعر العمال والفنيين بالعجز وعدم امتلاك الخبرة لاعادة صناعة دعامات الجامع كما كانت في اول مراحل بنائه ، حيث كانت الدعامات تصنع من الحجر المنحوت ككتلة واحدة ، على ارتفاعها مربعة الشكل ومع تراجع الخبرة الفنية ، استخدم في نهاية الامر جنوع الاشجار الضخمة في صناعة اعمدة مقدمة المسجد في الاتجاه الشمالي ، وجعل السقف مستوى في المقدمة المجنبتين ، اما المؤخرة باتجاه الجنوب فقد سقف بالقباب على نفس طراز قبة ابي المواهب الكائنة باقصى الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد .

منشآت كلوة المعمارية :

القلعة وهي كائنة شمال شرق مدينة كلوه عاصمة الجزيرة ، ويوجد نص كتابي عربي على بابها نصة " نصر من الله وفتح قريب " ٢٣ محرم سنة ٨٦١ هـ .^(١)

قصر حوسوني كيوا :

وهو كائن في موقع مرتفع فوق الميناء ويبرز لناظرية نظراً لبنائه على نتوء بارز ويبدو وكأنه معلق في الهواء والاسم يعني بالعربية (القصر الحصين) ، وقد تم العثور على نقش حجري على جدران القصر باسم السلطان الحسن بن سليمان وقد اضيف اليه لقب " الملك المنصور " وهو السلطان الذي حكم في المدة من ١٣١٠-١٣٣٣م والذي عرف بابي المواهب ، وهو المعاصر لزيارة ابن بطوطة .

مبنى حوسوني اندوجو

وهو يقع الى الشرق من مبنى حوسوني كيوا ويفصل عنه بممر هابط نحو البحر وهذا البناء اختلفت الاراء حول وظيفته البنائية فهناك اشارة الى استعماله كمسجد وهناك اشارة اخرى الى انه كان سوق نظراً لوجود اسطبل وحظائر حولة^(١) .

المسجد الكبير :

^(١) Chitich , Ar : A guide to ruins of Kulwa , Dar Elsalam , Tanganyika , 1970,p.8-10 .

^(١) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار ، للطبعة الحوية ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ٩٧ .

يسمى بمسجد الجمعة وهو كائن بالجزء الشمالي الغربي للمدينة ويرجع تاريخ بداية البناء فيه الى القرن العاشر الميلادي ، فترة حكم علي بن حسن مؤسس البيت الشيرازي الحاكم ، ومع مرور الزمن تمت اضافات وترميمات ، مما غير من عمارة المسجد

وقد تم عمل حفائر حديثة في ارضية المسجد مما يمكن من خلال الاطلاع على نتائجها وصف مراحل البناء المختلفة التي مرت على عمارة المسجد على النحو التالي :

الجزء الشمالي من المسجد والذي به حائط القبلة ، سماوى مكشوف ، وجد في ارضية ثلاثة مناسيب ، تحت مستوى سطح الارض الحالية ، والتي يرجع تاريخها الى عام ١٣٠٠ م ، المنسوب الاول لها يمثل المرحلة المبكرة من البناء وهي على عمق متر والبناء الاصلى القائم عليها يبدو انه قد اندثر نتيجة حريق ولم يبق منه شيئاً .

المرحلة الثانية للبناء : ويحتمل بناءها عام ١٢٠٠م وتشتمل على اعادة بناء الجزء الخارجى لحوائط المسجد فى الجهة الشرقية والغربية والجنوبية ، وكذلك الواجهة الشمالية، ولذلك اضيف الى الجهة الغربية من المسجد مبنى الميضاه الذى اشتمل على ثلاث وحدات معمارية (بئر - ومستودعات واحواض لمياة الوضوء ، وما سحات للاقدام) .

المرحلة الثالثة : اضيفت فيها مساحة المسجد من الجهة الجنوبية ، وحتى وصلت التوسعات به الى شكله وحدوده الحالية ، وقد حدث تعديل وتغير فى مخططة المعماري ، خاصة فى الركن الجنوبي الشرقى ، حيث تم انشاء حجرة مربعة الشكل يعلوها قبة كبيرة نسبياً لبقية قباب بيت الصلاة وتلك التى اشار اليها المخطوط حين اشار الى ان السلطان حسن بن سليمان (١٣١٠ - ١٣٣٣م) المعروف بابى المواهب كان يؤدى بها صلواته .

اما المرحلة الرابعة : فهى تتمثل فى الترميم واعادة البناء الذى اشار اليه المخطوط ويتمثل فى اضافة حوائط وبناء سقف اخر من حجر مصمت وخرسانه على عوارض خشبية ، اعتمدت فى ارتكازها على عشر اعمدة مربعة الزوايا من الخشب .

اما المرحلة الخامسة : فقد وصل فيها المسجد لحالة تهدم شبة كاملة ، فيما عدا قبة ابي المواهب ، تم فيها اعادة بناءة على نفس التخطيط المعماري الاول له حيث اشتمل بيت الصلاة على اربعين عموداً مربع الشكل موازي لجدار القبلة قسمت مساحته الى مربعات يعلو كلا منها قبة ضحلة .

وفي القرن السادس عشر اعيد استعمال الجامع في الصلاة ، بعد ان كان قد هجر لفترة وفي القرن الثامن عشر اجريت بعض التعديلات با ، اذ شيدت بعض الابواب واستحدثت محراب اخر لجدار القبلة (١).

ويعتبر هذا المسجد من افضل ما شيد معماريا في كلوة ، وليس في فتره بدأ البناء فقط . بل في الفترات التالية والتي حدثت بها الترميمات المختلفة له .

المسجد الصغير :

يقع على بعد ١٥٠ متر جنوب غرب المسجد الكبير باقصى شمال مدينة كلوة وبيت الصلاة استخدم في تغطية مساحته القباب والقبوات ويوجد بالجهة الشرقية لبيت الصلاة حجرة كبيرة كانت تستخدم كمدرسة لتعليم القرآن الكريم لابناء المسلمين ، وفي الجهة الجنوبية الغربية توجد الميضاة .

وهو اقدم مساجد المدينة وذكره المحطوط بانة المسجد المقبي وقد اعيد ترميمة في القرن الخامس عشر .

البيت الكبير :

سوقه بجانب المسجد الكبير ، حيث يفصل بينهما ممر صغير ، والبيت يتكون من منزلين متلاصقين ، ويرجع السبب في بناءة الى كونه بيت للضيافة او قد يكون مسكنا لامام وخطيب المسجد الكبير ويرجع زمن البناء الاول فيه الى القرن الثالث عشر الميلادي تم ترميمة في القرن الرابع عشر واضيفا اليه طابق علوى ، ذو مدخل منفصل . وهذا المنزل قد ذكره : بن بطوطة في واقعة السلطان سليمان بن حسن والشحاذ اليمنى حين ذهب اليه السلطان ليتم تغيير ملابسه فيه (٢) .

المظاهر العمرانية العامة لمدينة كلوة :

ان مدينة كلوة حتى القرن السادس عشر ، كانت محاطة بسور عظيم ، ذى ابراج عرضية لم يبق منها اليوم الا القليل ، وكانت شوارعها ضيقة ولكنها نظيفة ومنازلها متجاورة ومتلاصقة ، ترتفع الى ثلاث واربع طوابق ، ولها حدائق مثمرة عادة ما تكون في الخلف .

وقد وصفها احد البرتغاليين بانها مدينة كثيرة المنازل مبنية من الحجارة والملاط لها كثير من النوافذ المصنعة على الطراز العرب ، شوارعها نظيفة مرتبة

(١) قام المعهد البريطاني لاثار افريقيا الشرقية بعمل حفائر ودراسات عن آثار جزيرة كلوة في الفترة من ١٩٥٨-١٩٦٠ ، تحت اشراف العالم الاثرى

مستر تيغل شينك .

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

منسقة منازلها ذات اسطح مستوية ، وقد صنعت ابوابها من الخشب الممهور بطريقة فنية جيدة ، وهي مملوءة بالحدائق المثمرة ، وبها عديد من قنوات المياه العذبة كما ان بيوتها عالية ولها قاعات واسعة وجميلة ذات حجرات عديدة بها كثير من الاثاث والادوات المنزلية، ومحاطة بحدائق الفاخرة .

وقد وصفها بحار برتغالي اخر بانها مدينة تتحدر نحو الشاطئ وهي محاطة جميعها باسوار وقلاع والميناء يمتاز فيها بالحركة والنشاط التجارى نتيجة وجود كثير من السفن.

وقد اشارت مصادر برتغالية الى وصف المدينة في عام ١٥١٨ م ، بانها ذات مباني من الحجر والرخام وبها نوافذ متعددة ، وشوارعها منسقة ومنازلها ذات اسقف مستوية وابوابها من الخشب المحفور^(١) .

النتائج :

ترتب على هجرات المسلمين الى اقاليم الشرق الاريقي ، ان تطور فن واسلوب البناء في التخطيط والتنفيذ واستخدام مواد البناء فاستخدم الاحجار في البناء يعتبر من اكبر مظاهر الارتباط بالمكان ودعوة صريحة الى الاستقرار الدائم به ، فالبناء بالحجر يعنى ارتباط الانسان بالمكان، ورغبة في مقاومة عوامل الطبيعة المناوئة له ، والاحتماء منها، بالاضافة الى تفاعلة مع الزمن والرغبة في بقاء مبانيه خالدة زمانا ومكانا ولذلك فقد كان استخدام المسلمين للاحجار في البناء على ارض اقاليم الشرق الاريقي تعنى الاتي :

- وجود تفاعل بيئي بين الانسان المسلم والطبيعة الجغرافية المحيطة به ، وانه قد احسن استغلالها لصالحه .
- ارتفاع درجة التقنية لدى المسلمين في فن العمارة ، من خلال حسن ادراك الوظيفة المرجوة من البناء ، وكيفية اعداد التخطيط المعماري المناسب واللازم لها ، مع حسن اجادة درجة التقنية باستخدام المواد الطبيعية المتوافرة بالمكان ذاته مما يتولد معه بالتبعية تنسيقا وتنظيما مرئيا ومحسوس بين الانسان والطبيعة المحيطة به .

^(١) Barbiosa j.d:the book of Durat Barbora translated from the bortugse , Text , London p.p.17-18.

- رغبة المسلمين في الاستقرار والتمسك بالمكان ومقاومة الزمن بالبناء الراسخ القوى الممتين من خلال استخدام الحجر والخشب كعناصر اساسية في مواد البناء .
- الاعلان بانهم ليسوا رعاة متقلين ولا تجارا مهاجرين ، بل رجال دولة ودين راسخين في عقيدتهم الدينية ، قائمين على شئونهم ساعين الى العمل والنشاط التجارى والصناعى والزراعى على ارض تلك الاقاليم على امل توفير كافة الاحتياجات الانسانية مع العمل على الاندماج والتزاوج بين الانسان والبيئة .

المراحل التاريخية لتطور فن البناء بالجزيرة :

فى القرن ١٢م تم استخراج الاحجار من النواة الاصلية لارض الجزيرة ، وتسليمها ونحتها واعدادها على شكل بلاطات من حجر المرجان ، مع استخدام الطفلة او الطمى الاحمر فى تثبيتها ولصقها .

فى القرن ١٣ م استخدمت بلاطات كبيرة من حجر المرجان نحتت على شكل مكعبات يبلغ طول ضلعها من ٢٥ الى ٣٠سم وكان يتم تثبيتها فى البناء باستخدام مونة مكونة من الناتج من حرق حجر المرجان وكان نحت الاحجار فى تلك الفترة بدائيا الى حد ما .

- فى القرن ١٤ حدث تطور وازدهار معمارى فى مدينة كلوة كنتيجة مباشرة للازدهار الاقتصادى والسياسى وتطور فن البناء متمثلا فى استخدام احجار غير منحوتة ذات احجام متماثلة تقريبا يتم تثبيتها بالملاط (جير - طمى - رمل) فاصبح البناء يتم ببساطة وسهولة ، ولكن ادى الى التقليل من درجة جودة ومثانة المباني المنشأة عنها فى السابق للأسباب الاتية :-

١- عدم نحت الاحجار بعناية مما أفقدها شكلها المحدد، وتحديد زواياها ، مع اختلاف اوزانها ، كل ذلك ادى الى اختلال واختلاف فى ميزان البناء، نتيجة عدم الالتحام الكامل للأحجار المتراسة والمتلاحقة ، مع بعضها فى صفوف ثابتة ذات اعداد واحجام وزوايا متساوية بحيث يتم ملئ الفراغ حولها وبينها فوجود درجة الضغط الناتج عنها واتجاهه مما يسهل معه تحديد طرق تعريف هذا الضغط فتنتج عن ذلك اتران كامل وموحد فى المبنى كله ، مما يدعم من استقراره الدائم والثابت. يستطيع ان يقاوم عوامل الطبيعة بكاملة اشكالة بل يتفاعل معها لصالحه بقاءاً او ثباتاً .

٢- ولكن يذكر ان تطور البناء في القرن الرابع عشر الميلادي في مدينة كلوة، كان له من الجوانب الايجابية بحيث اهتم المعمارى بنحت الاحجار اللازمة لبناء المحاريب او اطار الابواب او النوافذ وكذلك امتاز البناء بظهور عناصر معمارية تم التركيز عليها مثل القباب الكروية ، او القبوات الاسطوانية الشكل والاعمدة الحجرية التي كانت تصنع بخلط الاحجار الصغيرة بالملاط ثم تصب في قوالب بعد ان كانت تتحت من قطعة واحدة.^(١)

- وعلى ذلك فاننا نستطيع القول بان العرب والفرس هم اصل هذا التطور الذي حدث في اسلوب وتقنيات البناء ، الذي عبر عن تفاعل حضارى فكرى وتنفيذى مع البيئة السواحلية مما ساعد على ظهور عمارة ذات شخصية متميزة ، وهى العمارة السواحلية، مما وحد الهدف والانتماء لتلك الارض فسعى الجميع للعمل على تطوير سبل الحياة ، وعلى وجه الخصوص التقنيات الخاصة بالعمارة ، تلك التي استمدت سماتها الاولى من حسن استخدام المواد الخام المحلية والمتاحة مع دقة تحديد الهدف من البناء بالاضافة الى استخدام التكوينات المعمارية المتوافرة في الموروث الحضارى لديهم من الوطن الام ، فاصبحت العمارة السواحلية متميزة بتكويناتها واسلوبها المتميز فى تخطيط وتنفيذ المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية عمارة صحت فيها المعادلة المعمارية الخاصة بها والمكونة من :

ثقافة الوطن الام ، مع بيئة ومواد خام محلية متوافرة ، مع مساحات محدودة من الارض ، بالاضافة الى طبيعة مناخية ذات صفات خاصة ، كل ذلك قد جعل من العمارة السواحلية مظهرا من مظاهر الاندماج بين الانسان والبيئة ، مع التوفيق بين الاحتياجات والمواد المتوافرة .

ثانيا : سلطنة زنجبار : ١٨٣٢-١٨٨٨م

تمكن البرتغاليون من الساحل الشرقى لافريقيا مايقرب من مائتى عام (ابريل ١٤٩٨ - ١٦٩٨ م) ، حتى استطاع عرب عمان فى عهد دولة البعاربة (١٦٢٤- ١٧٤١م) من طرد البرتغاليين من مسقط عاصمة دولتهم ، مما شجعهم على المضى فى محاولة تحرير اقاليم الشرق الافريقى ، حتى استطاعوا طرد فلول البرتغال من شرق افريقيا، واستطاعوا تحرير ممبسه فى ١٤ ديسمبر ١٦٩٨ م ، ثم تم تحرير جميع امارات ومدن الساحل ولم تلبث ان ظهرت السيادة العمانية بشكل جلى على كل

(١) ف . ف . ماتيف : تطور الحضارة السواحلية ، تاريخ افريقيا العام ، المجلد الرابع اليونسكو ، ١٩٨٨ ، ص ٤٦٨-٤٧١ .

الساحل الشرقي الإفريقي، والتي امتدت من مقديشو شمالاً إلى خليج دلجادوا جنوباً، ثم انتقل الحكم من دولة اليعاربة إلى دولة البوسعيد (١٧٤١ - ١٨٠٦م)، التي تبلور بها تاريخ عمان الحديث، حتى تولى السيد سعيد بن سلطان الحكم (١٨٠٦ - ١٨٥٦م)، الذي حدد هدفة في الاهتمام بالجانب الاقتصادي وخاصة التجاري منه، ولذا كان عليه أن يتجه إلى مقاطعات الشرق الإفريقي التابعة لحكمه، فاتخذ قرار نقل عاصمه ملكة إلى جزيرة زنجبار على الساحل الإفريقي، على أن يتم اعدادها واعمارها لتصلح عاصمة السلطنة بجزئها الاسوي والإفريقي^(١).

ثم كان الاستقرار بها عام ١٨٤٠م، أي أن هناك ثمانى سنوات استغلت في عملية التحضير واعداد الخطوات التنفيذية لاعادة تخطيط الجزيرة لتكون مقراً للسلطان سعيد والعائلة الملكية ورجال الدولة وكذلك تحديد دور كل قبيلة من القبائل العربية المهاجرة إلى الجزيرة في حركة التعمير.

تولى السيد ماجد بن سعيد الحكم ١٨٥٦ - ١٨٧٠م:

ب وفاة السيد سعيد بن سلطان سنة ١٨٥٦م انقسمت مملكته إلى قسمين الاول اسوي والثاني افريقي، وتولى حكم الجانب الإفريقي "زنجبار" ابنه السيد ماجد، ويذكر للسيد ماجد بن سعيد، انه اراد ان يضاها الحضارة الهندية في فكرها وفنها المعماري ولذلك فقد قرر تخليد ذكرى والده على طريقة تاج محل، بأن شيد ضريحاً ضخماً لأبيه ليحفظ له ذكراه، هذا وقد توفي السيد ماجد بن سعيد أوائل عام ١٨٧٠م، وتولى بعده الحكم أخيه السيد برغش بن سعيد (١٨٧٠ - ١٨٨٨م).

الحركة المعمارية في عصر السيد برغش بن سعيد ١٨٧٠ - ١٨٨٨م

تعتبر فترة حكم السيد برغش بن سعيد في زنجبار حضارياً عصر زهو وفخار، وذلك لامتداد واتساع حركة العمران بالجزيرة التي شملت جميع سبل الحياة، مع محاولة الوصول لأحدث مخترعات العصر وهذا يرجع إلى كثرة سفر السيد برغش وتأثره بالثقافات المتقدمة.

فيعد توليه الحكم سافر إلى أوروبا ومن خلال تجواله ومشاهدته للطرز الحديثة في العمارة والتشييد وسرعة التقدم والتمدن بها، ثارت في نفسه الغيرة والحماس على بلاده، واثناء عودته من أوروبا مر على مصر زمن حكم الخديوي اسماعيل ونزل بالقاهرة والاسكندرية والسويس، وفي اثناء ذلك زار الآثار الفرعونية والاسلامية ورأى الحضارة المصرية العظيمة متمثلة في عمارتها وفنونها، وكذلك كان لرؤيته دائرة

(١) عبد النعم عامر : عمان وأجنادها البحرية ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي ، العدد الثامن ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣ .

سراى الخديوى اسماعيل الاثر الكبير فى دفعه إلى القيام بحركة نشاط واسعة فى الانشاء والتعمير والتحديث على أرض جزيرة زنجبار.^(١)

الخصائص العامة للعمارة المدنية فى عاصمة السلطنة الزنجبارية :

نمت الحضارة السواحيلية على شواطئ الساحل الشرقى لافريقيا على امتداد الف عام من الزمان ، الا انها لم تتبلور وتأخذ سماتها الخاصة فى الشكل المعماري العام الا فى خلال الفترة الزمنية التى قدم فيها السيد سعيد بن سلطان حاكم عمان الى جزيرة زنجبار ليجعل منها عاصمة للسلطنة العمانية فى عام ١٨٣٢ م والتي عرفت بعد وفاته فى عام ١٨٥٦ بسلطنة زنجبار ، وقد تميزت هذه الفترة بامتزاج الثقافة العربية بسماتها المتميزة مع الخصائص الافريقية المعبرة عن البيئة المحلية بالجزيرة بالإضافة الى الثقافة الهندية ذات الثقل الحضارى القديم ، فى قالب واحد نتج عنه تكوين شخصية متميزة لحركة البناء فى الجزيرة وخاصة فى مدينة زنجبار عاصمتها والتي اطلق عليها اسم (ستون تاون Ston Town) المدينة الحجرية، وذلك لتميزها عن بقية اجزاء الجزيرة باستخدام الحجر فى انشاء مبانيها .
أولاً: المنزل العربي:

منازل مدينة زنجبار تتميز بجدرانها المبنية من الحجر وسقفها الذى يعتمد على عروق من خشب الشجر، ويتميز التخطيط العام لها باتفاقه مع أسلوب الانشاء بحيث نجد عدد من الغرف المستطيلة الشكل، والتي تبلغ فى العادة أطوالها (٢,٥×٣,٥م)، وهى تمتد فى مساحتها على خط مستقيم مع الواجهة الرئيسية للمنزل لتستخدم فى استقبال واقامة الاغراب عن أهل المنزل مع توافر خدمات هذا الجزء من حمام ودورة مياه ليكون مستقلاً عن أجزاء المنزل الخلفية وغرفه الخاصة بأهل البيت.^(٢)

ولقد تركت الحضارة العربية والدين الاسلامى الأثر الواضح على تطور تخطيط بناء المنازل بمدينة زنجبار خاصة فيما بين عامى ١٨٣٢-١٨٨٠م.

ومن أهم مظاهر التأثير على عناصر عمارة المنازل بالمدينة، شغل واجهاتها بالمشربيات والزخرفة العربية المصنوعة من الجص واستعمال المداخل المنكسرة التى تحفظ حرمة المنزل عن أعين المارة والزائرين، وكذلك نجد أسطح المنازل التى تنتهى جدرانها الأربعة بالشكل التحصينى الذى يتخذ هيئة شرفات مستننة عريضة ذات سمك معين، واتساع يتناسب مع حجم المبنى، وهو فى نفس الوقت مصمم للدفاع عن المنزل فى حالة الاعتداء عليه.

(١) ك . هولتجزووت : زنجبار ، ترجمة وتعليق حسن جشبي ، القاهرة ، دار للعارف ١٩٦٨ ، ص ١٨١ .

(٢) توفيق احمد عبد الجواد : العمارة الاسلامية فكر وحارة ، الانجلو للمصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ص ٤٣٥-٤٣٦ تنظر شكل رقم ٢-١ ص

هذا ولقد مرت معظم هذه المنازل والأبنية بتطورات متتالية فيما بعد عام ١٨٨٠م، حين ضاقت المدينة بساكنيها لثبات حدودها، فتم إضافة دور أو أكثر إليها كل حسب الحاجة، وقد جاءت هذه الإضافات المتتالية انعكاساً للتأثير الأوربي على العناصر المعمارية للمدينة، والمواد المستخدمة فيها، حين بدأ في استيراد الحديد والاعتماد عليه في البناء، كما تم إضافة سقف جمالوني الشكل من صفائح الحديد على أسطح المنازل للحماية من الأمطار، مما تسبب في تغيير الشكل العام للأسطح.

ثانياً: القصور:

قصر المتونى:

ذكرت الأميرة سلمى بنت سعيد في كتابها أن حالة قصر المتونى أصبحت سيئة بعد وفاة السيد سعيد عام ١٨٥٦م، وذلك لهجرة ساكنيه، حيث كان ارتباطهم وتواجدهم بالقصر مرتبطاً بتبعيتهم للسيد سعيد ذاته، وزوجاته وحاشيته ولذلك أهمل القصر حتى تهدمت بعض أجزاءه، وقد ذكرت ان السيد برغش بن سعيد قام بحفر أرضية القصر أملاً أن يعثر على خزائن أبيه.

وعندما عادت السيدة سلمى لزيارة زنجبار سنة ١٨٨٥م ذكرت انها قد صدمت لما آلت اليه أحوال القصر من خراب واهمال، حيث تحول إلى أطلال نتيجة انهيار جدرانه وتهدمها وتهدم جدران جناح الحمام، وامتلاء ساحة القصر بالحشائش والمخلفات.

هذا وقد حاولت الادارة الانجليزية للأوقاف في عام ١٩١٦م اعادة ترميم القصر فقامت بإعادة بناء السور الخارجى له حفاظاً على حدوده وحرمته، وحقبة الأمر ان ماتم من اجتهادات معمارية من قبل ادارة الأوقاف في ذلك الوقت قد حافظت بشكل أو بآخر على معالم حدود القصر فبدأ يتكون من قسمين: الأول أجنحة القصر فكانت تمتد من أقصى الشرق إلى الغرب بصورة عرضية تنقسم إلى صحن مفتوح يحيط به من جوانبه الأربع قاعات مستطيلة الشكل جدرانها قد شكلت من الداخل على هيئة حنايا طولية اتخذت شكل دخلات وخرجات.

والقسم الثانى يقع في جنوب ساحة القصر، وهو جناح الحمام والباقي منه ككل خمس وحدات صغيرة بالإضافة إلى حمام السيد سعيد بن سلطان الذى يأخذ الركن الغربى من الجناح، ويحيط بالقسمين سور مستطيل الشكل.^(١)

جناح الاستحمام :

(١) سلمى بنت سعيد : نفس المرجع ص ٥٥ انظر شكل ٣ ص

يقع في الطرف الجنوبي من ساحة القصر ويتكون هذا الجناح الخاص بالاستحمام من اثني عشر غرفة بنيت متجاورة بجانب بعضها البعض على خط واحد مستقيم، وكل منها يحتل بناءً مستقلاً وبكل غرفة من هذه الغرف حمام قائم بذاته وكلها متشابهة في التصميم المعماري لها، من حيث تكوين عناصرها الرئيسية ووصفها على النحو التالي:

المدخل الرئيسي لها معقود ويؤدي بالداخل منه إلى غرفة بها مكسلتان على يمين وشمال الداخل، وقد فرش على كل منها حصير لطيف جميل الصنعة بغرض الجلوس والراحة، وكذلك لتأدية فريضة الصلاة، ومن هذه الغرفة يصل المرء عبر ممر به فتحة صغيرة إلى المغطس، وهو عبارة عن مساحة مربعة الشكل تشمل حوضين متقابلين مساحة كل منهما أربع ياردات طولاً وثلاثة عرضاً ويحتوى كل حوض منهما على درجتين من الحجر للنزول إلى القاع حيث الماء الذي يغطي قامة رجل متوسط الطول حتى كتفيه، ومساحة المغطس مغطاة بسقف عبارة عن قبة زجاجية شفافة، تسمح بدخول اشعة الشمس نهاراً وكذلك لضوء القمر ليلاً لأن استخدام هذه الحمامات كان لا يقطع ليلاً أو نهاراً لكثرة عدد المقيمين بالقصر وكان يتقدم هذا الجناح من ساحة القصر حديقة واسعة زرع بها أشجار البرتقال المثمرة وتمتلئ بمختلف أنواع الحيوانات الأليفة ولذلك كان ساكنو القصر يتزهون ويتطهرون في هذا الجناح.

أما عن أسلوب استخدام هذا الجناح فقط كانت الفروق الطبقية واضحة المعالم في المجتمع الزنجباري في تلك الفترة، مما انعكس بدوره على كيفية استخدام غرف الاستحمام بقصر المتونى، فقد كان لكل غرفة روادها الذين يمثلون طبقة معينة من الطبقات الساكنة للقصر، وعلى الجميع إن يلتزم بحدود طبقته ولا يتعداها والا تعرض لجزاء شديد والالتزام كان واجباً على الجميع كباراً وصغاراً.

بيت العجائب ١٨٨٣:

من أهم الإضافات العمرانية في مدينة زنجبار في عصر السيد برغش بن سعيد ١٨٧٠-١٨٨٨م ذلك القصر الذي يعتبر نموذجاً للمنشآت المعمارية في المناطق الحارة، حيث يكون الاعتماد في التصميم على الاحمال الخفيفة، واتساع الفتحات بالإضافة إلى وجود شرفات واسعة تتقدم البناء، وتعتمد في ارتكازها على الاعمدة الثابتة في أساس البناء لترتفع بارتفاعه بهدف إيجاد أفضل وسائل التهوية الجيدة للمبنى نظراً لارتفاع درجة الحرارة والرطوبة بالإضافة إلى توفير أكبر قدر من الاضاءة الجيدة للمبنى، ولذلك اعتبر بيت العجائب من حيث طرازه المعماري ومواد البناء المستخدمة في انشائه بداية لمرحلة ظهور التأثيرات الاستعمارية الغربية في عناصر

وطراز العمارة الزنجبارية، حيث يتجلى هذا التأثير في ظهور الأعمدة المصنوعة من الحديد والشرفات التي تفتح على البيئة الخارجية بدافع الرغبة في إيجاد تواصل دائم معها، والتكيف مع الظروف المناخية لزنجبار بما يتناسب مع العناصر الأجنبية الأوروبية التي استقرت بالجزيرة لرعاية مصالحها.

وقد انشئ في منتصف الواجهة الشمالية للقصر والمطلّة على مياه المحيط مناره عالية شكلت على هيئة برج كبير وضع باعلاه كشافات كبيرة للإضاءة ليلاً حيث تسقط انوارها على مياه المحيط لتهدى بها السفن والمراكب أثناء قدومها وذهابها وقد امر السيد برغش بن سعيد بتركيب ساعة عظيمة الحجم على قمة هذا البرج بحيث كان يسمع كل اهل مدينة زنجبار دقاتها والذين رأوا فيها شيئاً عجيباً لذلك اطلقوا على القصر مسمى "بيت العجائب".

وقد زينت جدران هذا القصر من الداخل وأعلى فتحات الأبواب والنوافذ بأيات القرآن الكريم، نقشت بماء الذهب على جميع جدران القصر وفي كل ادواره وعلى أبوابه الفاخرة وأعلى النوافذ داخل اطارات مذهبة وكان السيد برغش يستخدم هذا القصر للاجتماعات والاحتفالات الرسمية والقصر مغلق الآن لسوء حالته المعمارية، وطبقاً للمعلومات الحكومية سوف ينظم له مشروع ترميم شامل ليعيد إليه رونقه.^(١)

ثالثاً: الحمامات:

يمثل بناء الحمامات العامة والخاصة بزنجبار جزءاً من اهتمامات حكام السلطنة من العرب العمانيين نظراً إلى انها خدمة عامة ودعوة خاصة للاهتمام بالنظافة الشخصية التي تعود على الصحة العامة بالفائدة، كما انها تمثل في حد ذاتها تحف معمارية تزيد من ثراء التراث الثقافي للجزيرة.

وفي خلال القرن التاسع عشر تم بناء مايقرب من ثماني حمامات، فقد بنى السيد سعيد بن سلطان حماماً عاماً في كزمياني، وكذلك بنى لزوجته الفارسية حماماً ملكياً خاصاً بها وبحاشيتها في مقاطعة كيدجي شمال شرق الجزيرة عام ١٨٤٩م، بالإضافة إلى الحمامات الخاصة بقصوره في بيت المتونى، وبيت الساحل، وفي عهد السيد برغش بن سعيد تم بناء حمام عام في وسط مدينة زنجبار في حي كجفشني بالإضافة إلى الحمامات الخاصة بقصوره بسرأي المرهوبى وقصر تشوينى شمال مدينة زنجبار، ويتضح من خريطة توزيع هذه الحمامات وخاصة الملكية ان معظمها يقع بعيداً عن مدينة زنجبار حيث فضل حكام السلطنة بناء قصورهم خارجها طلباً

^(١) The united nation center for human settlements ;the stone town of zangibar , p.30

للراحة والهدوء ولذلك فهي تشكل جزءاً من الآثار التاريخية لهذه الفترة، وقد اهتمت الحكومة في أواخر هذا القرن بالمحافظة على هذا التراث التاريخي فشهد عام ١٩٧٩ إعلان وزارة الثقافة الزنجبارية باعتبار هذه الحمامات وغيرها من الأبنية التاريخية محمية بالقانون بموجب قرار الحفاظ على الآثار القديمة الصادر عام ١٩٢٧م وفي نهاية الثمانينات خصصت الحكومة ميزانية لبدء العمل في الصيانة الدورية لهذه المنشآت التاريخية.^(١)

وبالدراسة والتحليل لعناصر المنشآت المعمارية نجد انها طرزاً معمارية وافدة، لانها تختلف عن أسلوب البناء المحلي، وذكرت المراجع ان مهندسها قد جاءوا من بلاد الفرس مع اشتراك ابناء الجزيرة من العمال في التنفيذ، بالإضافة إلى ان مادة البناء من المواد المحلية من الحجر الجيري مع المونة المكونة من الرمل وحمرة الأرض.

الحمام الفارسي في كيدجي:

أنشأه السيد سعيد بن سلطان حاكم البلاد ومؤسس الحكم العماني بها على تل مرتفع شمال شرق الجزيرة في مقاطعة ريفية تسمى كيدجي، والمبنى أنشئ برسم زينة فارسية ابنة أريش ميرزا العجمي رثى عنها في ريسير في سنة ١٨٤٩، وقد بنى الحمام على الطراز الفارسي في هذه المقاطعة الزراعية ليقضى بها وقتاً للراحة والصيد والتمتع بالخضرة والاستحمام بعيداً عن الضوضاء، ويتكون التخطيط العام للحمام من قسمين:-

القسم الاول: خاص بالحاشية وتتكون كتلته المعمارية من خمس وحدات كل منها يمثل حماماً قائماً بذاته، ومدخل الوحدة عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل تؤدي إلى مساحة مستطيلة تنقسم إلى جزأين: الاول منها عبارة عن مرحاض له سائر من جدار يفصل بينه وبين مساحة أخرى مستطيلة تبلغ مساحتها ٢٢×١م تستخدم للاستحمام ويعلو كل وحدة من الوحدات الخمسة قبة ضحلة، شكلت منطقة الانتقال فيها على ارتفاع ٥٠، اسم ليتم تحويل المربع إلى مثلث بواسطة مثلثات كروية، خلقت في الاركان لتقوم عليها قبة صغيرة، ويصعد إلى هذا القسم من الحمام بخمس درجات تمتد بطول واجهته الجنوبية.

القسم الثاني: من الحمام وهو برسم الأميرة الفارسية، ملاصق لحمام الحاشية ولكن له مدخل خاص في مستوى أقل ارتفاعاً عن القسم الاول، ويتكون من مدخل وثلاث

(١) Revolutionary Government of Zanzibar, a guide to Hommi baths, may 1993, p.6-7 .

حجرات باردة- دافئة- ساخنة، يعلوها ثلاث قببات ضحلة، وفي أقصى الغرب منه يوجد حوض التغذية الذي يلاصق جدار حجرة المغطس من الخارج ويلصق هذه الحجرة من جهة الغرب حجرة يصعد إليها بأربع درجات جدارها الشرقي مشترك مع جدار حجرة المغطس، ويوجد في أعلى الجدار المشترك فتحة خصصت لمناولة احتياجات حمام الاميرة، وارتفاع فتحة المناولة هذه لايسمح برؤية حجر المغطس حفاظاً على حرمة من في الداخل، ويوجد أسفل حوض التغذية المائية للحمام قبو الاشتعال لتسخين مياه المغطس.

والحمام بقسميه تفتح أبوابه على الجهة الجنوبية تجنباً لنسمة الهواء القادمة من الشمال أثناء الخروج بعد الاستحمام، اما في الجهة الشمالية اسفل جناح الحاشية فيوجد خمس فتحات شكلت على هيئة قبو اشتعال لتسخين المياه لتلك الوحدات. ^(١)

حمام بستان المرهوبي:

من منشآت السيد برغش بن سعيد بالجزيرة هذا البستان المعروف بالمرهوبي، وهو يقع على شاطئ المحيط شمال مدينة زنجبار، وقد بنى فيه "بنجلة" واسعة دائرية الشكل، تتقدم البستان أمام المحيط، حمل سقفها على أعمدة حجرية مستديرة الشكل، وعلى امتداد الواجهة الشمالية للبستان يوجد ثلاث نافورات مستديرة الشكل، وقد غرس السيد برغش بهذا البستان وزينة بأنواع النباتات والاشجار المختلفة، وأجرى فيه أنابيب الماء وأحاطة من الخارج بسور من الحجر، هذا وقد احترق البستان عام ١٨٨٩ كما هدمت الحكومة جزءاً من هذا الجدار لتوسيع الطريق العمومي المؤدى إلى شمال الجزيرة وذلك عام ١٩٣٩.

ويقع هذا الحمام في الجزء الجنوبي من البستان ويتكون من قسمين:

القسم الاول: خاص بحاشية السلطان وهو مقسم إلى سبع وحدات منفصلة كل منها يمثل في وحدته حمام قائم بذاته.

القسم الثاني: يمثله حمام السلطان، ويتكون من ثلاث حجرات : الباردة والدافئة والساخنة، ويغطي كل من الحجرة الأولى، والثانية قبة ضحلة ثمانية الفصوص، اما الثالثة فيغطيها قبو برميلي مدبب الشكل ليبدو من الخارج على شكل جمالون، ويفصل حمام السلطان عن حمامات الحاشية سور في منتصفه فتحة مستطيلة بمثابة الباب الموصل إلى الحمام السلطاني، وقد احيط الحمام بسور خارجي يدور حول ثلاث

^(١) سعيد بن علي المغيرة : مرجع سابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، انظر شكل رقم (٩) ص

جهات: الجنوبية والشرقية والغربية، اما الجهة الشمالية من الحمام فهي مفتوحة على "البنجلة" المواجهة لمياه المحيط والتي يتقدمها فسقية كبيرة بنيت جدرانها من الحجر .

حمام السلطان برغش في كجفشنى:

هذا الحمام من اكثر آثار جزيرة زنجبار التى مازالت فى حالة جيدة فى شكلها العام واحتفاظا بعناصرها المعمارية، وتدلنا سجلات وملفات الأوقاف ان هذا الحمام قد أقيم لاستخدام العامة، وقد حددت رسوم معينة مقابل استخدام العامة للحمام على أن يوجه هذا الربيع إلى صالح احد الصناديق التابعة للأوقاف التى اقامتها الاسرة المالكة، وقد استعان السيد برغش بن سعيد بمتخصصين فى بناء هذا الحمام، وبصفة خاصة من بلاد الفرس، مع استخدام المواد المحلية المتوفرة لعملية البناء.

والواجهة الرئيسية للحمام وهى الشمالية ترتفع جدرانها بطول أربعة أمتار ونصف المتر، وتقع كتلة المدخل فى نهاية الواجهة من الناحية الغربية، وتبرز عن الجدران بمقدار ١٠م، ويكتنف باب الدخول عمودان من الحجر يحملان عقد مدبب يتوسطه لوحة تعريف بالمبنى، أسفلها باب خشبى ذو مصراعين من الخشب، لايزيد ارتفاعه عن متر ونصف، وضم الحمام من الداخل ثلاث حجرات رئيسية تمثل أماكن النشاط الداخلى فيه، ويتم تمييزها، وتعريفها وفق درجات حرارتها الباردة - الدافئة - البخار الساخن بالاضافة إلى المنطقة الرابعة داخل الحمام وهى دورات المياه، ويعلو الغرفة الأولى والثانية قبة ضحلة اما حجرة البخار فيغطيها قبة برمبلى نظراً لاستطالة مساحتها، كما يغطى الممرات قبوات برمبلى وقد بنيت الجدران مسمطة وسميكة لحفظ الحرارة بالاضافة إلى انخفاض ارضية الحمام ككل عن مستوى سطح الشارع لعزل درجات الحرارة داخله عن الخارج، الا حجرة المغطس فكانت مرتفعة البناء لاحداث فراغ أسفلها يشغله قبة لتسخين المياه واحداث البخار اللازم، وقد خلت جدران الحمام من النوافذ لذا بدت الاجزاء الداخلية شبه مظلمة وكان مصدر الضوء الوحيد ينفذ من خلال الفتحات الموجودة فى باطن القباب المغطاة للحجرات وكانت تلك القمريات مغطاة بالزجاج الملون ليعكس اشعة الشمس بألوان جميلة، واضاءات طبيعية إلى جانب منع تسرب مياه الامطار داخل الحمام.^(١)

(١) A guide to hommi Baths op . cit ., p. 7

انظر شكل رقم (١٠) ص

الخصائص العامة للعمارة الدينية في عاصمة السلطنة الزنجبارية

حرية العقيدة وتعدد المذاهب:

بنى السيد سعيد بن سلطان وخلفاؤه سياسة الدولة على مبدأ السماحة الدينية مع اطلاق حرية العقيدة في المجتمع الزنجباري وذلك منذ بداية التخطيط والتحضير لاتخاذ الجزيرة عاصمة للدولة العمانية بشقيها الأسيوي والأفريقي ولهذا كانت دعوة السيد سعيد للهجرة إلى زنجبار، دعوة عامة، وجدت الاستجابة من أبناء حضرموت من أهل السنة، ومن أهل عمان من اتباع المذهب الإباضي، بالإضافة إلى الهنود المسلمين من اتباع المذهب الشيعي بفرقة المختلفة، وكان من أهم نتائج وجود هذه المذاهب المختلفة، أن تعددت المنشآت المعمارية الدينية على أرض الجزيرة، حتى تتوافق مع عقيدة كل مذهب على حده، وبالتالي كان وجود بعض العناصر المعمارية للمساجد من عدمه، مرتبط بفكر ومنهج هذه المذاهب، مما أثرى الحركة المعمارية بشكل كبير، وساهم في تعمير وتجميل الجزيرة، وجعلها تعيش في هدوء وسلام بعيدا عن التعصب الديني، ولقد كان للمذهبيين الإباضي والسني على وجه الخصوص الدور الكبير والمؤثر في نمو واتساع واثراء الحركة المعمارية وخاصة بالنسبة للمنشآت الدينية.

الأوقاف:

قام العديد من أفراد الأسرة البوسعيدية الحاكمة والاعنياء من التجار وملاك الأراضي الزراعية ببناء المساجد، وأوقفوا عليها الكثير من أملاكهم في المدينة ومن ريع المزارع الريفية بالجزيرة، وأحيانا كان الوقف حصّة من مياه الري في عمان، بحيث يصرف ريعه السنوي على مسجد من المساجد، مثل الوقف الخاص بمسجد شنجاني الإباضي والكائن غرب مدينة زنجبار، وكان البعض الآخر يوقف نسخاً من القرآن الكريم والكتب الدينية للاطلاع عليها في المساجد بالإضافة إلى ان الريع كان يخصص في بعض الاحيان للصرف على التعليم الديني، وبعض الأغراض الأخرى مثل الحج والافطار في شهر رمضان، وفي أحيان أخرى كان الوقف عبارة عن بعض العقارات مثل ما أوقفه السيد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدى على مسجده في حي ماليندى شرق مدينة زنجبار، فقد أوقف أرض وعقار منزليين ليستخدمان كمدرسة ومقر لإقامة المعلمين والطلبة، بالإضافة إلى صرف مرتبات منتظمة للطلبة لمساعدتهم على ظروف الحياة.

وكذلك أوقف السيد حمود بن أحمد بن سيف بعض من أملاكه العقارية على بيت الرباط في مكة والمدينة المنورة بأرض الحجاز لاعانة أهل مذهبه من الإباضية

في أيام الحج والعمرة، بالإضافة إلى ما أوقفه على بيت الرباط بزنجبار من أموال وأرض زراعية ينفق ريعها السنوي على الفقراء من المسلمين المقيمين به من أهل المذهب الإباضي.

ونظراً لكثرة الوقفيات الخيرية على المساجد، فقد تكونت لجنة للأوقاف تشرف على إدارة ما أوقف من أملاك على تلك المساجد لصيانتها وإدارتها، وبدخول السلطنة تحت الحماية البريطانية انتقل الإشراف على إدارة تلك الأوقاف إلى حاكم الجزيرة الانجليزي، وتم تجميع عقود الأوقاف والنسخ الأصلية للوقفيات، لدى الإدارة الانجليزية التي عينت سكرتيراً عاماً لها، وبقيام ثورة ١٩٦٤م تحولت ملفات الأوقاف من إدارة الأوقاف إلى أرسيف الحكومة في الجزيرة واستولت حكومة الثورة على تلك الأوقاف.^(١)

الخصائص العامة للعمارة الدينية في عاصمة السلطنة الزنجبارية

تأثير المذاهب على تخطيط وعناصر المسجد المعمارية:

كان للمذهب الإباضي تأثير واضح على عناصر المسجد المعمارية، ويرجع ذلك إلى ما اتصف به أتباعه من التشدد والالتزام الشديد بالفطرة والبساطة الأولى للإسلام، هذا بالإضافة إلى اعتقاد الإباضية بأن اختيار الإمام يتم من بين أفراد المجتمع، ويجب ان يتوافر فيه شروط معينة وعلى أن يجتمع رأي الجماعة عليه وإذا لم يوجد من ينطبق عليه الشروط والاجماع، تعرف تلك الفترة "بالشغور" وبما ان حكام الأسرة البوسعيدية في عمان وزنجبار لم يكلفوا بالإمامة أو ينتخبوا لها فهذا يعني غياب امام الامة وبالتالي فلا اقامة لصلاة الجمعة، تلك التي يشترط لاقامتها وصحتها وجود امام منتخب، وعلى ذلك فلم يكن بين مساجد الإباضية في زنجبار مسجد جامع، مما ترتب عليه غياب المنبر كعنصر من عناصر المسجد الرئيسية، ولكن بعد فترة وجيزة من عهد السيد سعيد بزنجبار، قدمت فتوى من عمان بجواز اقامة صلاة الجمعة، فتم وضع المنبر في المساجد الجامعة فقط كذلك كان لنشأة وظهور الإباضية في بدايتها كحركة ضد الأمويين، أن اتخذت من السرية طريقاً لها مما انعكس بدوره على أسلوب تنفيذ عمارتهم في بناء المساجد، بحيث حاول المعمارى عدم ابراز المحراب من الخارج حماية لاتباع المذهب وأيضاً أدى ذلك إلى غياب عنصر المئذنة من جميع المساجد الإباضية بزنجبار.

(١) Abdul Shereff, Mosques, Merchants and loundoinery in Zanzibar, ston town A Zania, p.11.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

هذا وقد انعكس التمسك ببساطة وفطرة الاسلام الأولى في عدم وجود زخارف بالمسجد حتى لا يتشتت انتباه المصلين.

ومن خلال اعتقاد الاباضية بأن الصلاة في اول صفين وراء الامام، تعني الاجر العظيم والثواب الكبير فقد صمم المعماري المسقط الأفقى لبيت الصلاة بالمساجد الاباضية بحيث تمتد المساحة أفقياً أكثر منها رأسياً، أى ان عرض المساحة أكثر من طولها، كما حرص المعماري على تخفيف حمل السقف ليقال من عدد الاعمدة أو الدعامات المستخدمة كعنصر انشائي في حمل السقف بحيث يتركز السقف في معظم المساجد على عمود أو دعامة واحدة أو اثنين ليوفر أكبر قدر من المساحة للمصلين وليصبح في مقدور كل من بالمسجد أن يرى المحراب والامام.

- اما عن تأثير المذهب السني على تخطيط المسجد وعناصره المعمارية فيرجع الأمر فيه إلى ان مساجد اهل السنة بجزيرة زنجبار، قد امتازت بالبساطة وباكتمال عناصر المسجد المعمارية والوظيفية وخاصة المنبر والمئذنة وهي من أهم عناصر التميز للمساجد السنية عن المساجد الاباضية.

دراسة تحليلية للمنشآت المعمارية في زنجبار " عوامل مؤثرة - وحدات تكوين - عناصر معمارية "

للقياس والعمل على تقييم مدى حرفية وفهم المعماري في زنجبار لمكونات وحدات منشأته وعناصرها المعمارية، فسوف نقوم بتطبيق هذا المنهج :

أولاً: قياس مدى توافر تلك الشروط العامة التي يجب توافرها في التصميم والتنفيذ للوصول إلى الهدف والوظيفة المستهدفة من إقامة المبنى وهي:

المنفعة - المتانة - الجمال - الاقتصاد

ثانياً: تحديد إلى اى مدى توافرت مبادئ التكوين المعماري التي يتم بها تجميع العناصر المكونة للمبنى ليصبح كتلة واحدة وهي:

الوحدة - التنوع - النسب - الطابع^(١)

ثالثاً: تحليل وحدات التكوين المعماري التي تقسم المبنى إلى وحدات وعناصر انشائية وهي:

المساقط الأفقية - الحوائط الخارجية - المداخل والفتحات - العقود - الأقبية - القباب - الأسقف - مناطق الانتقال .

(١) سامي عرفان : نظرية العمارة ، مؤسسة طباعة الالوان المتحدة ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤١-٤٢ ، انظر شكل رقم (٦) ص

أولاً: تطبيق الشروط اللازمة لتحقيق المنفعة على المنشآت الدينية بالجزيرة نجد ان المعماري في زنجبار يميل إلى توفيرها بقدر الامكان، فقد امتازت عمارة المسجد بتوافر عنصر الاتصال والحركة في تخطيط وترتيب وحدات التكوين المعماري بحيث تتناسب حركة الدخول في ترتيب منطقي ومتتابع حتى لا تتعارض مع حركة الخروج وبالرجوع إلى المسقط الافقى للمسجد في زنجبار نجد ان القادم إلى المسجد عندما يصعد السلم يجد على يمينه بتوافق طبيعي مع حركة الانسان، دورة المياه في جنوب الفناء المكشوف يليها في نفس الاتجاه وعلى خط مستقيم الميضأة، ثم بعد الانتهاء من الطهارة والوضوء وفي حركة نصف دائرية يدخل إلى بيت الصلاة من خلال الباب الشرقي للجدار الجنوبي له، ثم يؤدي الصلاة وبعدها يخرج في نفس الحركة النصف دائرية من الباب الغربي للجدار الجنوبي لبيت الصلاة والذي يقود بدوره إلى درجات السلم ثم إلى خارج المسجد.

بالإضافة إلى ان المعماري في زنجبار أحسن التعامل مع طبيعة الأرض المقام عليها البناء لانه قد أدرك بفطرته القوية ان أرض الجزيرة عبارة عن هضبة ترتفع بطبيعتها في دائرة المنتصف ثم تكون شديدة الانحدار بشكل دائري وسريع نحو الساحل ولذلك فقد قام المعماري بتمهيد منسوب الأرض وتسويتها أولاً ليسهل عليه اقامة المبنى على مسطح متوازن ومتساوي ونفذ ذلك بأن رفع مستوى السطح بالجهة المنحدرة من أرض البناء لتتساوى مع الجهة المرتفعة، وقد ظهر ذلك بوضوح في تدرج ارتفاع الدرجات المؤدية إلى داخل بيت الصلاة بمسجد الفوردواني (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) بحيث تدرج الارتفاع من الشمال إلى الجنوب ليتساوى السطح الداخلي لبيت الصلاة على منسوب واحد، وذلك بعكس ما بدا عليه مسطح أرض الزيادة الغربية المضافة إلى مساحة المسجد في العشرينات من القرن الحالي فهي تبدو على طبيعة الأرض الأصلية، حيث تنزل من الارتفاع جنوباً إلى الانخفاض شمالاً، مما يعني ان المعماري في فترة البناء كان أكثر توفيقاً وعلماً لانه قد احسن التعامل مع طبيعة الأرض وعالج مابها من عيوب.

كذلك نجد ان المعماري قد عمل على توفير المتانة في منشأته، فعلى سبيل المثال فقد احسن توزيع فتحات المداخل والمنافذ بحيث استفاد منها انشائياً وذلك في عملية تخفيف الاحمال بالإضافة لكونها متقابلة بنفس الارتفاع والاتساع في الجدران المتقابلة فكانت بذلك عامل تفرغ للضغط الجوي مع كونها بطبيعة الأمر مصدر جيد للتهوية والاضاءة، مما ساعد على توفير

وتدعيم المتانة للمبنى واعطائه القدرة على تحمل قوى الطبيعة من رياح وأمطار ورطوبة دائمة.^(١)

اما عن جمال البناء فقد أظهر المعمارى جمالى منشآته وذلك فى بساطتها وسيطرة النغمة الواحدة على الشكل الخارجة للبناء خاصة فى بناء المساجد حيث تبدوا للناظر إليها من الخارج غاية فى البساطة والفترة الاسلامية الأولى، خالية من الزخارف توحى للانسان بحرمة المكان، وتعطى انطباع بالهدوء والبساطة والراحة والبعد عن مغريات الحياة، بالاضافة إلى خصوصيتها المتمثلة فى النفاف السور التحصينى حول معظم المساجد بشرفاته المسننة مما يحدد بداية حرمتها بعزل الانسان عن الدنيا عند دخوله من بوابة هذا السور، كما فى مسجد بنت جمعة (١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) فى حى كجفشنى، مما اوحى لنا بأن جمال البناء فى زنجبار متمثل فى بساطته وفطرته الطبيعية.

وكان للبساطة فائدتها التى تجلت فى حسن اختيار مواد البناء المتوافرة عمليا من الدقشوم وكسر الحجارة التى يتم الحصول عليها من تكسير كتل الاحجار التى تتكون منها البنية الاساسية لأرض الجزيرة من خلال محاجر فتحت على شاطئ المحيط، حيث يسهل قطعها وتكسيورها إلى قطع غير منتظمة الأضلاع، وتخلط بالرمل والحرمة لتصبح جاهزة للبناء، وبذلك ندر استخدام مواد البناء المستوردة وخاصة من الحديد والرخام، مما ساعد على تقليل حجم التكاليف العامة للبناء، فحقق بذلك المعمارى الناحية الاقتصادية المرجوة ووفر بها ومن خلالها لمسة من جمال البساطة التى تميز بها الانسان العربى المسلم بالاضافة إلى انه جعل منشآته تبدو كجزء من الطبيعة المحيطة بها.

ثانياً: واستمرراً للقياس فسوف تطبق على المنشآت المعمارية الدينية فى زنجبار مبادئ التكوين المعمارى التى يتم بها تجميع العناصر المكونة للمبنى ليكون منها كيان واحد.

الوحدة تأتى فى العمل الفنى المعمارى من تجميع العناصر المكونة له والمتفرعة للوصول بها إلى وحدة المبنى وذلك بالتركيز على تناسق العناصر وحسن ترابطها لتؤدى وظيفتها الانشائية والتكوينية وذلك بتناسب أحجامها ووضعها فى المكان المناسب والوحدة هنا تمثلت فى بناء المسجد، ووضحت فكرة سيطرة وحدة التكوين الرئيسية فى المسجد على باقى وحداته وتلك هى

(١) الضغوط الداخلية هي احمال واثقال وحدات التكوين، والضغوط الخارجية هي عوامل المناخ من ضغط الهواء والرياح بالاضافة الى الهزات

الارضية، سامى عرفان، مرجع سابق ص ٢٧-٢٨، انظر شكل رقم (٧) ص

بيت الصلاة، فهي هدف البناء ومقصده وأصل المنفعة فيه بالإضافة إلى أن باقى عناصر المسجد وجدت لتقديم الخدمات للمصلى ابتداء من دورة المياه والميضأة لتوفير الطهارة ليدخل بعدها إلى بيت الصلاة الذى هو وحدة التكوين الرئيسية ونواة المسجد، ليؤدى الصلاة بعد أن دعى إليها عن طريق الأذان، ويظهر ذلك جلياً فى تصميم المسقط الأفقى لوحدات المسجد فى زنجبار بصفة عامة، وبصفة خاصة فى تصميم مسجد السيد حمود بن سيف بن حمد البوسعيدى فى ضاحية بوبوبو حيث ظهرت الوحدة والتماسك بين وحدات التكوين للمبنى فى بيت الصلاة وقبته ومجموعة فتحاته بالواجهات الأربع فقد جعلها تبدو كوحدة واحدة يشغلها أربعة جدران بها فتحات نوافذ متناسقة ومتساوية فى المساحة والشكل والزخرفة، ومغطاة بقبة ضحلة.^(١)

وقد ظهر التنوع فى مكونات المسقط الأفقى لبعض المساجد، فمسجد الفورودانى يختلف تخطيطه عن باقى مساجد المدينة من حيث مكوناته، فقد اشتمل مسقطه على الوحدة الرئيسية وهى بيت الصلاة، وفى النهاية الجنوبية له توجد الميضأة وهو بذلك اختلف عن المساجد الأخرى فى عدم وجود وحدة الفناء المكشوف ووجود الميضأة كوحدة منفصلة، مما أفقد التخطيط المعمارى للمسجد حسن انتظام الاتصال ومنطقية الحركة المنتظمة داخل المسجد، بالإضافة الى تعرض بيت الصلاة الدائم للبلل من أثر مياه الوضوء إلى جانب وجود حركة دائمة وصاخبة داخل بيت الصلاة.

كما نوع المعمارى فى شكل عنصر التسقيف والتغطية، فمعظم مساجد المدينة ذات سقف مستوي، مادته من عروق الخشب، يعلوها جمالون من الصاج ولكن فى مسجد السيد حمود فى بوبوبو اختار المعمارى عنصر القبة لتغطية مساحة بيت الصلاة، وهكذا نجح فى اخراج عدة أشكال متنوعة فى التخطيط والتغطية.

هذا وقد أظهر المعمارى الزنجبارى اهتماماً بمساحات وارتفاعات وحدات التكوين فقد تناسبت وتناسقت مع المساحات الاجمالية للمبنى، والمتوفرة من الأرض للبناء، بالإضافة إلى مراعاة النسب بين حجم واتساع وارتفاع المنشآت وبين اتساع واطوال الشوارع والحارات وبذلك فقد تناسبت بدقة مساحة المساجد مع عدد السكان.

(١) مبادئ التكوين المعمارى هي الوحدة، التنوع، النسب، الطابع، سامى عرفان: مرجع سابق، ص ٤٢، انظر شكل رقم ٤ ص

- هذا ولم يوفق المعمار في زنجبار في ايجاد التناسب بين العناصر الانشائية واحجامها من حيث قطر وارتفاع الاعمدة والدعامات مع الاسقف التي تحملها وخاصة في المساجد التي تميزت العقود فيها باتساع بحورها وكبر ارتفاعها بالاضافة إلى ان قطر الدعامة الحاملة لهذه العقود يصل في الغالب إلى مترين ونصف المتر بما لا يتناسب مع مساحة وسمك السقوف المحمولة عليها، ولا مع مادة بنائها التي هي من العروق الخشبية المغطاة بطبقة رقيقة من الحجر، بما لا يتناسب أيضاً مع حجم وسمك الجدران والدعامات والعقود الحاملة لها.^(١)

- ويظهر ذلك جلياً في دعامات سقف بيت الصلاة لمسجد المنارة (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) وكذلك في مساحرة بيت الصلاة لمسجد الفوروداني (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) والذي يشغله ثمانية أوزقة موازية لجدار القبلة قسمت بواسطة سبع بوائك كل بائكة تتكون من ست دعامات ثمانية الاضلاع تحمل فوقها خمسة عقود مدببة الشكل أى أن بيت الصلاة يحتوى على اثنين واربعين دعامة مثنى الشكل يبلغ ارتفاعها حوالى ٨٠ سم ويبلغ قطرها مترين ونصف المتر، بالاضافة لارتفاع العقود حتى سقف المسجد المحمول عليها ٢٧٠ سم، أما عن السقف المحمول على تلك العقود والدعامات فيتكون من عروق خشبية غطيت بالأواح من الخشب وحمل السقف بطريقة مباشرة على جدران بيت الصلاة وبوائكه السبع، مما يظهر لنا عدم وجود التناسب بين عناصر الانشاء من العقود والدعامات وبين الاسقف التي تحملها.

- اما عن الطابع فقد تميزت العمارة الزنجبارية بطابع الشخصية المحلية من خلال عناصر المبنى وشكله العام الذى تلائم بشدة مع مناخ البلاد والمواد المتوفرة للبناء.

ثالثاً: اما عن وحدات التكوين المعمارى والتي تقسم المبنى إلى وحدات وعناصر فسوف نقوم بتحليل المنشآت المعمارية ويمكن تناولها من خلال تقسيمها إلى جزئين:-

الاول: وينقسم إلى:

(أ) المساقط الأفقية: وهى عملية تصميم البناء وكيفية ترتيب وتركيب وحداته وعناصره المعمارية بحيث تؤدي الوظيفة المنشأ من أجلها، ويتكون المسقط

^(١) النسب هي احدى عمليات تحديد اطوال الالباق وتفاصيلها بحيث تتناسب المساحات والاحجام مع الاستعمالات وخاصة في اماكن العبادة مثل المساجد والكنائس وكذلك لابد من ان يتوافر نسبة وعلاقة مفهومة وواضحة بين الحجم الظاهري للمبنى وبين حجم المساحة المستخدمة منه لتأدية الوظيفة المرجوة من بناءه - سامى عرفان : نفس المرجع ص ٤٢ ، انظر شكل رقم ٥ ، ص ٧

الافقى للمسجد من ثلاثة أجزاء، الاول منها يمثل بيت الصلاة ويشغل الجزء الشمالى من مساحة المسجد، اما الجزء الثانى فهو الفناء المكشوف، ويشغل المساحة الوسطى للمسجد، ويمثل الجزء الثالث أقصى المساحة الجنوبية للمسجد، ويشغلها دورة المياه والميضأة ثم كتاب صغير لتعليم الاطفال علوم القرآن الكريم. (١٠٦)

(ب) الحوائط الخارجية:

امتازت عمارة المسجد بجدرانها الخارجية الممتدة أفقياً أكثر منها رأسياً، وقد شغلت هذه الجدران بفتحات متقابلة ومتساوية فى المساحة والارتفاع، وخاصة المطلة منها على الطريق العام.

(ج) المداخل والفتحات:

فى المساجد شكلت المداخل على هيئة فتحات عميقة مستطيلة الشكل، وتمثل فى اطوالها معظم ارتفاع الجدران، وتتوج تلك الفتحات عادة بعقد مستقيم أو بعقد ثلاثى الفصوص ويشغل مساحة فتحة المدخل أبواب خشبية زخرفت بزخارف نباتية وهندسية لها طابع محلى. (١٠٧)

الثانى: وهو العناصر المعمارية، تلك التى يتم بها توزيع أحمال المبنى وهى:

العقود - القباب - الاسقف - مناطق الانتقال

أ- العقود: وهى عنصر من العناصر الانشائية الرئيسية والمهمة المستخدمة فى العمارة الاسلامية، وقد استخدم المعمار فى زنجبار ثلاثة أنواع من العقود هى:

- العقد المدبب - العقد المفصص - العقد نصف الدائرى

العقد المدبب:

وهو من أقوى أنواع العقود، لما له من قدرة على نقل ثقل واحمال الازوان المحمولة عليه إلى الارجل ومنها إلى ارضية البناء وقد طور المعمار المسلم فيه وخاصة فى ثلاث أشكال رئيسية له وهى:

- العقد المدبب المكون من قوسين رسماً من مركزين (عقد نومركزين)، وقد استخدم هذا العقد كعنصر انشائى فى عمارة مساجد زنجبار حيث يشاهد وهو يتوج كتلة المدخل فى مسجد السيد حمود بن سيف بن حمد البوسعيدى فى حى ماليندى بمدينة زنجبار (١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) وكذلك فقد توجت به طاقية المحراب وفتحة المنبر التى تعلوها وأيضاً استخدم فى تتويج طاقية محراب الجدار الجنوبى للفناء المكشوف، ويشاهد هذا العقد على بانكة بيت

الصلاة بمسجد التقوى (١٨٨٢/١٨٨١) وكذلك بالبائكة الغربية للفناء المشكوف بمسجد حديث (١٨٥٠) وأيضاً في بعض بوائك بيت الصلاة بمسجد الفوردوانى (١٨٣٩).

- كذلك استخدم المعمارى فى زنجبار العقد المدبب الممتد فى بعض بوائك بيت الصلاة بمسجد الفوردوانى.

- أيضاً العقد المدبب ذو الأربعة مراكز ويشاهد فى البائكة الجنوبية بالفناء المكشوف بمسجد السيد حمود بن حمد البوسعيدى فى بوبوبو ويشاهد فى البائكة الجنوبية للفناء المكشوف بمسجد التقوى وأيضاً بالبائكة الجنوبية بمسجد بنت جمعة (١٨٨٠م).

العقد المفصص:

ويعرف فى الوثائق بالعقد المدائنى ويتكون من ثلاث فصوص نصف عقد فى كلا الجانبين يتوجهما عقد من اعلى ويشاهد هذا النموذج من العقود فى عمائر زنجبار وهو يتوج فتحة المدخل الجنوبى لمسجد المنارة بماليندى (١٨٣٤) ويتوج طاقية المحراب بمسجد الفورودانى.

كما نجد فى بعض عمائر زنجبار الدينية عقود مدائنية ذات خمس فصوص فهى تتوج طاقية حنيه محراب مسجد التقوى وكذلك حنيه محراب الفناء المفتوح وحينية محراب بيت الصلاة بمسجد بنت جمعة، وأيضاً توج حنيه محراب مسجد حديث، وفى بعض عقود بيت الصلاة بمسجد الفورودانى.

العقد النصف دائرى:

يعتبر هذا العقد من أكثر العقود انتشاراً فى العمائر الاسلامية ويتكون من استدارة أو انحناء على هيئة نصف دائرة ويشاهد وقد توج به مدخل بيت الصلاة بمسجد التقوى والمدخل المؤدى إلى المئذنة بمسجد منارة بالاضافة إلى استخدامه فى تتويج فتحات النوافذ بمسجد السيد حمود بن سعيد البوسعيدى فى ماليندى وبوبوبو.

(ب) الأسقف:

تمتاز العمارة الاسلامية بكثرة أنواع التغطية، ومن اقدم انواعها الاسقف الخشبية المسطحة والجمالونات، وتستخدم هذه الاسقف فى تغطية المساحات المربعة والمستطيلة واستخدام هذا الاسلوب فى تغطية مباني زنجبار فى القرن التاسع عشر لا يرجع الامر فيه إلى تأخر أو تخلف علم أو حرفة العمارة بها عن التطور العالمى فى مجال العمارة والتشييد ولكن يرجع إلى ان عنصر المناخ والمواد الاولية المستخدمة فى البناء متوافرة بكثرة فى البيئة المحيطة، ونشاهد هذا الاسلوب فى التغطية فى سقف

مسجد الفوردوانى حيث الحوائط الحاملة للسقف المكون من عروق خشبية ويعلوه من الخارج جمالون من الصاج، كذلك استخدم نفس الأسلوب فى تغطية مسجد حديث ومسجد السيد حمود بماليندى ومسجد بنت جمعة ومسجد التقوى ومسجد منارة.

(ج) مناطق الانتقال:

تعد منطقة الانتقال من عناصر الانشاء الهامة التى لعبت دوراً بارزاً فى تطور القباب فى العمارة الاسلامية وترجع أهميتها الانشائية إلى دورها فى تحويل مربع القبة اما إلى دائرة ترتفع فوقها قبة مستديرة المسطح واما إلى شكل مثنى ترتفع فوقه رقبة مسطحها الداخلى يتكون من ثمانية أضلاع تعلوها دائرة القبة، وهناك نوعان من مناطق الانتقال:

(١) المقرنصات

وهى حلية معمارية تتكون من قطع من الحجر أو الخشب على شكل عقود صغيرة، الجزء العلوى منها بارز عن الجزء السفلى، وقد تتكون من عدة حطات وتستعمل اعلى الحوائط أو الحنيات أو البوابات وبمناطق الانتقال بالقباب وقد استخدمها المعماري الزنجبارى فى منشآته المدنية وخاصة الحمامات.

(٢) المثلثات الكروية:

يتم بواسطتها تحويل المساحة المربعة إلى دائرة وتنفيذها يأخذ شكلين، الاول تبداً فيه وكأنها جزء من القبة نفسها، ويعلوها دوران وقوس القبة، الذى يبدو فى هذه الحالة على هيئة قبة ضحلة كما فى قباب زنجبار حيث استخدمت المثلثات الكروية نفسها كجزء من قطر القباب التى تحملها والشكل الثانى لها يشكل نتيجة استقلال المثلثات عن قطر القبة والتى يبدو مسقطها فى هذه الحالة على شكل نصف قبة.

ونشاهد العنصر الاول فى منطقة انتقال القبة الضحلة التى تغطى بيت صلاة مسجد حمود بن احمد فى بوبوبو.

القباب:

القباب فى عمارة زنجبار تمتاز بالبساطة فى تكوينها وشكلها الخارجى والداخلى وقطاعها يغلب عليه الشكل البصلى ذو الانتفاخ الحقيقى الذى ينتهى من اعلاه بشكل مدبب، ومادة بنائها فى الغالب من كسر الحجر يغطيها من الخارج طبقة من الملاط وبدت جدرانها ملساء لاتكسوها زخارف وتبدو من الخارج ثمانية الفصوص وقد استعملت فى تغطية بعض من العمائر الدينية حيث تشاهدها تغطى بيت الصلاة بمسجد السيد حمود بن حمد البوسعيدى فى بوبوبو.

المقبرة الملكية :

انتقل السيد سعيد بن سلطان الى جوار ربه عام ١٨٥٦ ودفن في جزيرة زنجبار بالمقبرة الملكية الكائنة في الجزء الشمالي الشرقي من الساحة الشمالية لبيت الساحل وقد خصصت هذه المقبرة كمدفن لأفراد العائلة الملكية البوسعيدية .

وضريح السيد سعيد يمثل الجزء الشمالي منها ، وعندما تولى الحكم من بعده ابنة الأكبر السيد ماجد بن سعيد (١٨٥٦-١٨٧٠) رأى أنه من البر بوالده واحياء لذكراه على الدوام ان يقوم بتشييد ضريح ضخم يليق بمكانة ابيه في الدنيا ولهذا ارسل الى بلاد الهند مستعينا بخبرتهم المعمارية ذات الباع الطويل في تشييد المقابر التذكارية الضخمة وطلب المهندسين والعمال وكذلك ارسل في طلب المواد الخام اللازمة للبناء من احجار مسينة ورخام ، وقد خصص لذلك اموالا كثيرة وبدأ البناء واستمر حتى بلغت الجدران ارتفاعا مناسباً لاقامة القبة وهنا تدخل علماء وشيوخ المذهب الاباضي بزنجبار الذين يطلق عليهم لقب "المطاوعة" وافتوا بعدم جواز البناء على القبور واعتبروا ماتم منكراً عظيماً مما اضطر معه السيد ماجد بن سعيد الى ايقاف استكمال البناء قبولاً ونزولاً على فتوى رجال وشيوخ المذهب ، ثم عمت هذه الفتوى على جميع الرعية من اتباع المذهب الاباضي بزنجبار وقد تميزت اجزاء المقبرة التي شيدت بتفرداها في استخدام الاحجار المسنمة في بناء المداميك الثلاثة الاولى بالاضافة الى استخدام الاجر في ملئ الفراغات بين الاعمدة الحجرية التي في الاركان .

وضريح السيد سعيد يحيط به اربعة مقابر وهي للسيد خالد بن سعيد الذي توفي في حياة ابيه وهو اكبر ابناء السيد سعيد ومقبرة السيد ماجد بن سعيد والسيد برغش بن سعيد والسيد خليفة بن سعيد .

ويعلو قبر السيد سعيد شاهد قبر على هيئة دعامة مستطيلة يعلوها شكل هرمي مثلث الاضلاع نقش على وجه الدعامة بخط النسخ تاريخ وفاة السيد سعيد بن سلطان .^(١)

ان هذا البحث احدى نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث بجزيرة زنجبار ، حيث تمت الدراسة الاثرية لتلك العمانر على الطبيعة ورفعها ووصفها معمارياً وتصويرها فتوغرافياً ، بالاضافة الى ما تم الحصول عليه من معلومات ووثائق من دار الوثائق القومية لجزيرة زنجبار .

العمارة المصرية في شرق افريقيا

(١) سعيد بن علي المعري : جبهة الاخبار ، مرجع ساب ص ١٥٨-١٥٩ .

تشكلت في عصر الخديوي اسماعيل الملامح العامة للمشروع القومي المصري الذي اعتبر ان حدود مصر الطبيعية تمتد جنوباً حتى منطقة البحيرات الاستوائية، وشرقاً حتى الساحل الغربي للبحر الاحمر جنوب بلاد الصومال على المحيط الهندي. ومن هنا فقد تركز اهتمام الادارة المصرية بمد نفوذها الفعلي وسيطرتها الكاملة على هذا الساحل وخاصة ميناء بربرة الاقرب لمنطقة الجب المواجهة لميناء عدن ببلاد اليمن والتي منها يمكن الوصول الى منطقة البحيرات الاستوائية واخضاعها للنفوذ المصري وبذلك تتشكل الحدود الطبيعية لمصر دون تدخل او مشاركة خارجية، بحيث يتم تأمين المصدر الاول للحياة الا وهو النيل .

- وقبل عهد الادارة المصرية في بربرة كانت عمارة المدينة تبدو في ابط صورها ولذلك اتخذت عدة خطوات نحو تعمير بربرة ، ليكون العمران كمضمون وواقع خير دافع للاستقرار والاقامة الدائمة بالمدينة .

وسعت الادارة المصرية الى اعادة تنظيم مدينة بربرة القديمة ، مع اعداد تخطيط معماري لمدينة جديدة مجاورة لها تحمل نفس الاسم ، فتم اعداد تخطيط هندسي يتلائم مع البيئة وفكر وعادات وتقاليد صومال بربرة ، واتخذ من الحجر مادة اولى للبناء ، واجريت المياه العذبة من منابعها حتى المنشآت المعمارية المتعددة بالمدينة ، ثم تلا مرحلة التخطيط مرحلة تكوين للتوابت والكيانات اللازمة لتنظيم العلاقات والاتصالات اليومية بين ادارات الحكم حتى استقرت الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق اطار قانوني شرعي .

اولاً : بربرة في نصوص وكتابات الرحالة والجغرافيين العرب:

كان لخليج بربره الذي عرف لدى الرحالة العرب تحت مسمى الخليج البربري او خليج بربرا ، نصيب وافر من الوصف في كتاباتهم نظراً لموقعه في منتصف الطريق بين بلاد العرب وبين بحر الزنج الذي يبدأ حسب تعريفهم له من راس حافون شمالاً حتى بلاد سفاله جنوباً^(١) ، وكذلك فقد حدد موقع بربره شمال البحر اليماني وان اكثر اهلها وقراها يعيش على لحوم السلاحف البحرية ويحدها من الجنوب جبل حفوني^(٢).

وبتراكم المعلومات وتطور الاحداث فقد تحدد جغرافياً موقع بربره في اول بلاد الزنج في بر البربر الذين هم يختلفون عن بربر بلاد المغرب العربي في كونهم يشبهون الزنوج^(٣) ، ثم اضيف وصف جغرافي دقيق لبربره حيث ذكر ان اكثر اهلها

(١) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ، الطبعة البهية المصرية ، القاهرة ١٣٤٦م - ص ٣٢٨ - ٣٣٣ .

(٢) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ص ٢٠ - ٢٤ ، صادر بيروت ، ١٩٧٠ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٧١ .

مسلمين واول مدنهم على ساحل البحر الهندي قرقونة وموضعها على جون في اول ركن البحر اي بداية المحيط الهندي تلك النقطة التي يطلق عليها اسم بربره. التخطيط العمراني لمدينة بربره الجديدة:

مر التخطيط العمراني لبناء المدينة الجديدة بمراحل مختلفة ، وكانت الخطوة الاولى هي صدور توجيهات واوامر الادارة الخديوية بذلك بعد ان وصلتها المعلومات الجغرافية والطبوغرافية ، عن ارض بربره وما يحيط بها ، ثم بعد دراسة الاولويات الضرورية لبدء حركة العمارة ، ولذلك فقد رؤى ان تكون البداية اولاً للمنشآت الدفاعية باختيار موقع لبناء الطابية كمركز عسكري يستخدم في تثبيت دعائم الوجود المصري في بربرة وبناء المخازن اللازمة لتخزين الفحم الذي هو القوى المحركة لحركة السفن من بربرة الى عدن ومن بربرة الى السويس ومن بربرة وزيلع الى منطقة الجب بالإضافة الى مخازن المهات العسكرية .^(١)

ثم وجهت الادارة الخديوية الاهتمام الى الناحية الدينية لانها من الضروريات السياسية والاجتماعية التي يجب مراعاة اهميتها عند وضع التخطيط المعماري للمدينة الجديدة ولذلك فقد تنبه ببناء جامع تعلوه منئذنة عالية ، وتحدد موقع البناء في وسط المساحة المخصصة لبناء المدينة حتى تتساوى المسافات حين السعي اليه ويكون الجامع على مرأى ومسمع من الجميع وهو بمثابة اعلان للجانب بان المدينة اسلامية

ولم يغفل المسئولون قضية الصحة العامة فشمّل الامر الخديوي التنبه بانشاء مستشفى عام يقوم على رعاية صحة رجال الجهادية والعاملين المدنيين واهالي البلدة واشترط الامر بان يتوافر في موقع البناء الهواء النقي والهدوء والنظافة ثم تبع ذلك اقامة بناء لاقامة رجال الادارة من العسكريين وذلك ببناء معسكرات على ان يكون موقعه قريباً من منطقة الجمرک .

وكانت التعليمات تقتضي البدء الفوري في بناء تلك المنشآت على وجه السرعة فتكون النواة الاولى لبدء حركة العمارة والتشييد في بربرة بل وساحل البحر الاحمر الغربي بصفة عامة .^(٢)

العمارة المدنية والدينية

اولاً : العمارة المدنية :

١- المنشآت الاقتصادية :

^(١) محفظة ٣١ ابحاث السودان ، دفتر ١٠ اوامر عربى ، صفحة ١٨ ، نمرة ٢٧ ، بتاريخ ١٧ رمضان ١٢٩٢ هـ ، امر كريم ال جمال باشا .

^(٢) محفظة ٢٧ ابحاث السودان ، دفتر ١٨٧٥ وارد معية ، صفحة ٤٤ ، نمرة ٢٤ ، بتاريخ غاية شوال ١٢٩٠ هـ ، من مترجم بك المعية السنية ،

كان لابد من انشاء اسكلة على ساحل الميناء للعمل على تسهيل وتنشيط الحركة التجارية بالميناء.^(٧)

وبدأت حركة التعمير الاقتصادي رسميا بصدور الامر الخديوي الى الادارة المصرية في بربره بتاريخ ١٧ رمضان ١٢٩٢ هجرية / اكتوبر ١٨٧٥ بالبدء الفوري في بناء مخزن للفحم ومخازن للجمرك ، تلك كانت البداية التي عبرت عن الفكر الاقتصادي المصري تجاه بربرة التي تمثلت اهميتها في كونها ميناء ذو موقع استراتيجي على ساحل الصومالي ، وبالتالي فالاولوية في ضرورة توفير اسباب الطاقة اللازمة لتموين ركة السفن القادمة والغادية والمتمثلة في الفحم فلذلك فقد ركز الامر الخديوي ان يكون البداية في حركة التعمير بناء مخازن الفحم اولاً ثم مخازن تتبّع الجمارك خاصة بالميناء مما يعني تمكين الادارة المصرية في التحكم في الحركة التجارية اخل وخارج الميناء^(٨)، ثم دعمت الادارة الخديوية الاصلاحات بالميناء لزيادة قدرته وخدماته وذلك بتصنيع فنار وتركيبه امام مدخل الميناء لهداية السفن الداخلة خارجة منه وذلك لدوام الحركة ليلا ونهارا وبالفعل تم تركيب الاسكلة والفنار صار تشغيله واصبح ميناء بربرة قادر على استقبال الوارد اليها من السفن بغاية لانتظام والسهولة في الحركة الفنية والتجارية ، وكذلك تم بناء منازل خاصة باقامة العاملين على ادارة وصيانة الاسكلة والفنار وبدأت الادارة المصرية في تحصيل رسوم لاسكلة المعروفة بعوائد الارضية وكذلك عوائد الفنار .

٢- المنشآت الاجتماعية :

واهمها هو بناء المستشفى الذي صار بناؤه تنفيذا لامر خديوي وذلك في ١٧ رمضان ١٢٩٢ هجرية / اكتوبر ١٨٧٥ وعليه قامت الادارة في بربرة بالتعاقد مع احد مقاولي البناء من عدن لبناء المستشفى على نظام المقولة على ان تكون وحدة الحساب المعمارية بكل مائة متر مكعب من البناء وعندما قرب الانتهاء من البناء رأت الادارة ضرورة توصيل فرع من مواسير المياه العذبة الى مبنى المستشفى وذلك لدواعي النظافة العامة والخاصة بالمرضى وعلى ذلك اصبح البناء في كامل استعداد له لاستقبال المرضى بقدر خمسين مريضا وهنا طلبت ادارة بربرة من الادارة الخديوية في مصر تزويدها بالمواد الصحية والاطباء والممرضين والادوية والمواد الغذائية والدفاتر الادارية اللازمة لادارة حركة المستشفى على ان يكون الطبيب مصريا مسلما وذلك

(٧) فتر ١٠ اواخر عرق ، صفحة ١٨ ، نمرة ٢٧ ، بتاريخ ١٧ رمضان ١٢٩٢ هـ ، امر كريم ال اجمال باشا لتنفيذ التخطيط العمران المدينة الجديدة

(٨) سجل ٣٧١٥ صادر بربرة ، صفحة ١٤-١٥ نمرة ٣١ بتاريخ ١٧ رمضان ١٢٩٣ هـ ، من معافظة بربرة الى المعية السنية بخصوص انشاء سلخانة ميري في بربرة .

نظرا لكون صومال بربرة يعتقدون في ضرورة تناول العلاج من طبيب مسلم مستأمن على انفسهم وعوايلهم. (١٤٠)

٣- المنشآت الخدمية :

لكون مدينة بربرة صحراوية الطبيعة فالمهنة الاولى بها هي الرعي وبالتالي فالغذاء الرئيسي لاهلها كان يتمثل في لحوم الاغنام والبقر والجمال ، ولذلك فقد كانت عملية الذبح والتجارة تتم داخل وخارج البلدة دون نظام او اشراف طبي ، وكانت المواد المتخلفة من عملية الذبح تسيء للمظهر العام للمدينة ، ولذلك فقد رأيت الادارة في بربرة ضرورة انشاء مبنى خاص لعملية الذبح عرف بالسبخانة^(١) ، وقد اختير موقعها خارج الحزام السكني للمدينة في غرب بربرة على قطعة ارض بلغت مساحتها ثلثمائة متر مربع وتحت اشراف حكيم متخصص من قبل الادارة الحكومية التي كانت خير وقاية للصحة الشخصية والنظافة العامة.

ثانيا : العمارة الدينية

١- موقف اهل الصومال من الشريعة الحقه للاسلام :

كان اهل صومال بربرة يدينون بالاسلام قبل وصول الادارة المصرية لبلادهم الا انهم كانوا يجهلون التعاليم والشرائع الاساسية للاسلام برغم انهم كانوا يصلون ويصومون مثل المسلمين.

٢- الجامع ، عمارته ، اقامته ، احتفالاته :

عندما صدر الامر الخديوي في السابع عشر من رمضان ١٢٩٢ هـ / اكتوبر ١٨٧٥ م لمأمورية بربرة في الاعداد لبناء جامع صغير بمدينة بربرة المزمع انشاؤها ليكون بمثابة القاعدة الاساسية لانطلاق الدعوة السلمية الصحيحة للاسلام^(٢) ، سعت الادارة في البحث عن كيفية تنفيذ البناء لدى وكيل البوستة الخديوية بعدن التي كانت بمثابة السوق الحرة للمنطقة الجنوبية للبحر الاحمر فكان يوجد بها المقاولون والفنيون والعمال والمواد الخام اللازمة للبناء واستقر الرأي بعد المشورة على التعاقد في صفر ١٢٩٣ هـ / مارس ١٨٧٦ م مع احد اهالي عدن على القيام ببناء الجامع بنظام المقاوله على ان يتم التسليم في موعد غايته جماد اول ١٢٩٣ هـ / مايو ١٨٧٦ م وبدا التنفيذ الفعلي للبناء الا ان معدل سير العمل لم يكن بنفس السرعة المتوقعة او المتفق عليها وذلك يرجع لبعد المحجر الذي يستخرج منه الحجر الجيري اللازم للبناء

^(١) سجل ٣٧١٦ صادر بربرة ، صفحة ١٣٥ نمرة ٥٣ بتاريخ غايه حماد الاخر ١٢٩٥ هـ ، من ضبطية بربرة الى المحافظة بخصوص عقد مراد تأجير حق استغلال السلخانة السنوي .

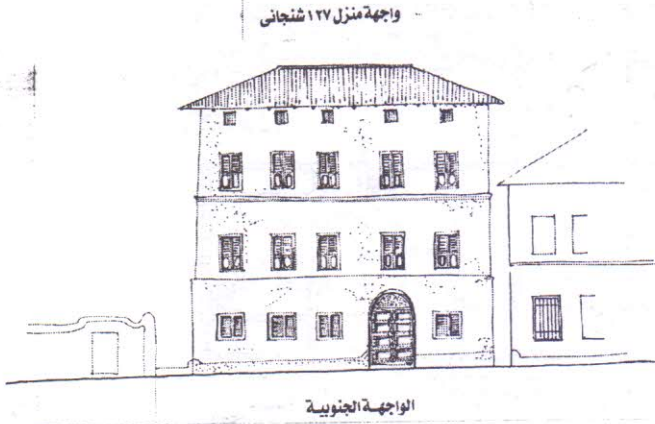
^(٢) سجل ٣٧١٣ صادر بربرة ، صفحة ١٩ نمرة ٨٨ بتاريخ ١٢ صفر ١٢٩٣ هـ ، من مأمورية بربرة الى حكمدار عموم الجالا والصومال وهره ، تحرير عن ماتم في عمارة بربرة .

بالإضافة إلى المشقة في نقله على الجمال من منبعه إلى موقع البناء بمدينة بربرة الجديدة مما زاد معه استهلاك الوقت والمال ولكن بظهور البناء وارتفاعه عن سطح الأرض بدأ للجميع أنه قد ان الأوان لارتفاع الأذان لقيام صلاة الجماعة وهنا ادراك مأمور البلدة أنه من الضروري استكمال العناصر المعمارية الأساسية للجامع الأ وهي المباني الخدمية من دورة مياه وميضاة حتى تكون العناصر المعمارية اللازمة لاتمام الشعائر قد اكتملت من دعوة الأذان بحلول وقت الصلاة من المأذنة ثم التطهر والوضوء ثم لدخول إلى بيت الصلاة لاتمام كل ذلك على الوجه الأكمل كان لأبد من توافر المياه على الدوام وبسهولة ويسر ولذلك فقد تم مخاطبة الإدارة الخديوية بضرورة ولزوم مد فرع من خط المياه الرئيسي الواصل للبلدة من منبع الدوبار إلى الجامع.^(٢)

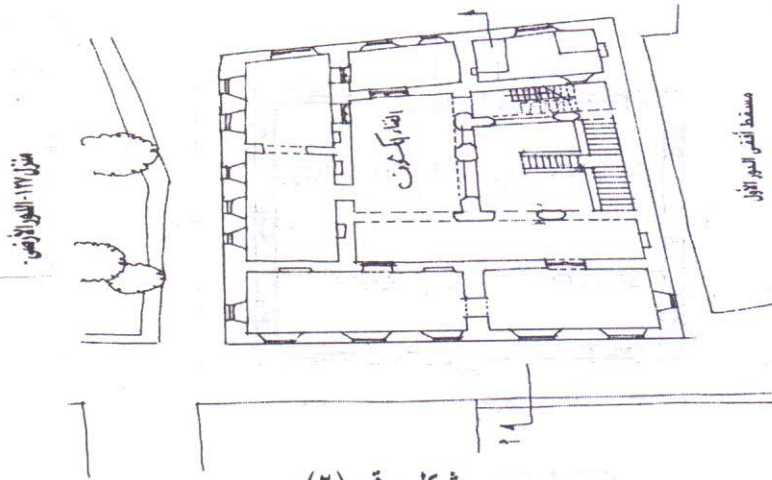
وقد صدر الفرمان الخديوي أيدانا بأقامة الخطبة وصلاة الجمعة والعديد بالجامع وأوكل اختيار الإمامة إلى مأمور بربرة الذي أنن بدوره لقاضي محكمة بندر بربرة بالقاء الخطبة يوم الجمعة وإمامة صلاتها بالجامع الشريف بالبندر وهكذا استكمل بناء الجامع بخدماته ومنارته.

إن فلسفة العمارة المصرية ومظاهر العمران المختلفة في بربرة تتمثل بقوة في كون المصريين استطاعوا! من خلال فكرهم وموروثهم الحضاري أن يحولوا البلدة من طابع البداوة إلى الحضرة وذلك من خلال الاجتهاد في توفير المعطيات الطبيعية والمعيشية الإنسانية لهذا النمط العمراني .

(٢) سجل ٣٧١٤ صادر بربرة صفحة رقم ١١٥ نمرة ١٥ بتاريخ ٢٠ رجب ١٢٩٣ هـ ، من محافظة بربرة إلى المعبة السنية .

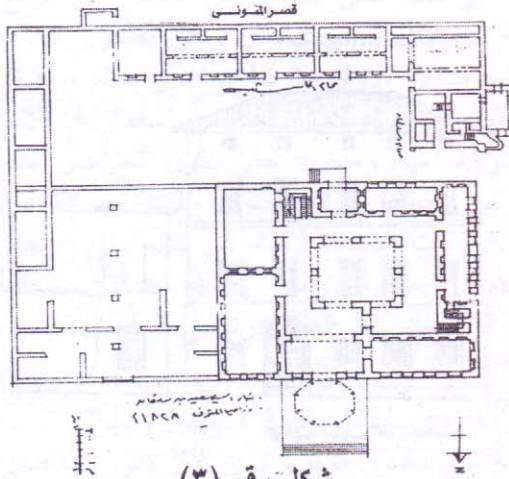


شكل رقم (١)
واجهة منزل ١٢٧ شنجاني
عن التقرير الفني لمركز الدراسات الانسانية للامم المتحدة



شكل رقم (٢)
منزل ١٢٧ - الدور الارضي - عن دار الوثائق القومية بزنجان

مقياس الرسم ١ : ١٥٠
 متر ١ ٢ ٣ ٤ ٥

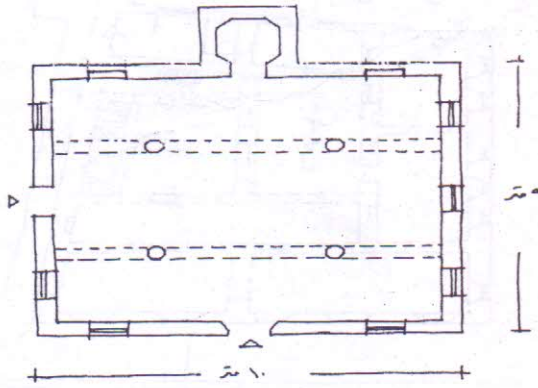


شكل رقم (٣)
 قصر المتوني - عن دار الوثائق القومية بجزائر

مسجد حديث

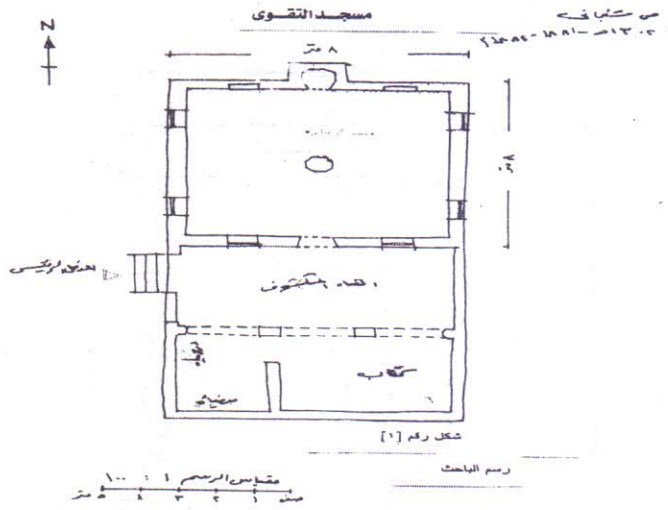


مقياس الرسم ١ : ٢٠٠
 متر ١ ٢ ٣ ٤ ٥

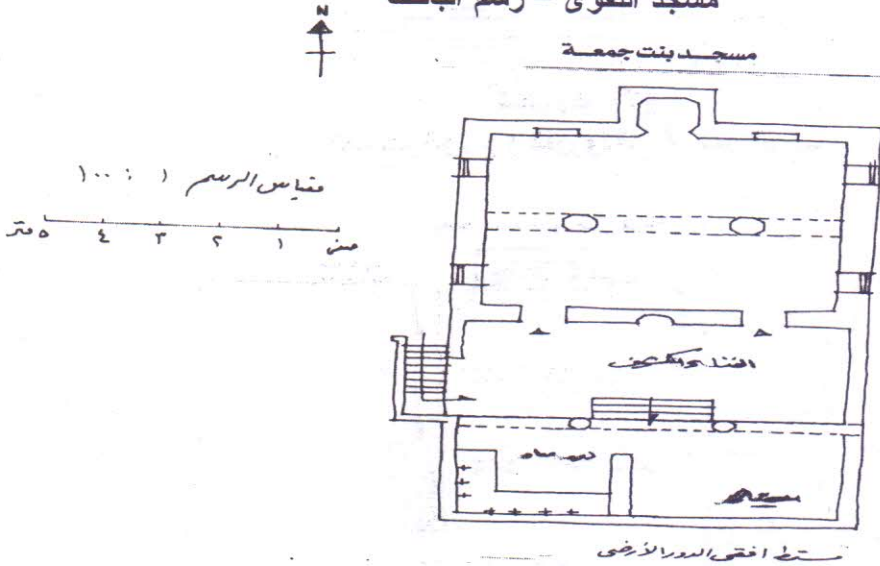


مقياس الرسم ١ : ٢٠٠
 متر ١ ٢ ٣ ٤ ٥

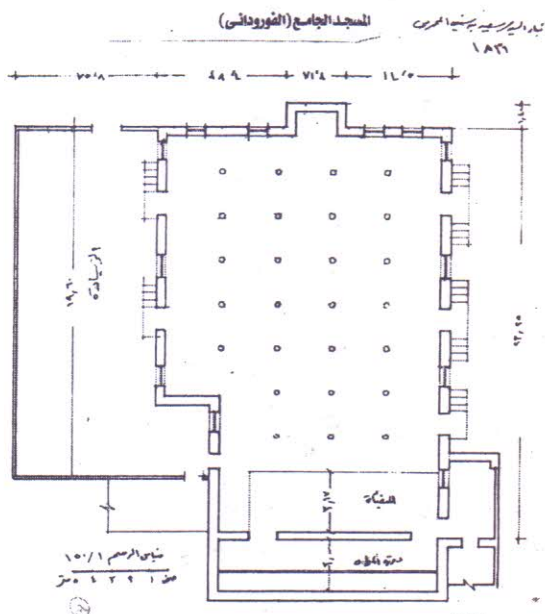
شكل رقم (٤)
 مسجد حديث - رسم الباحث



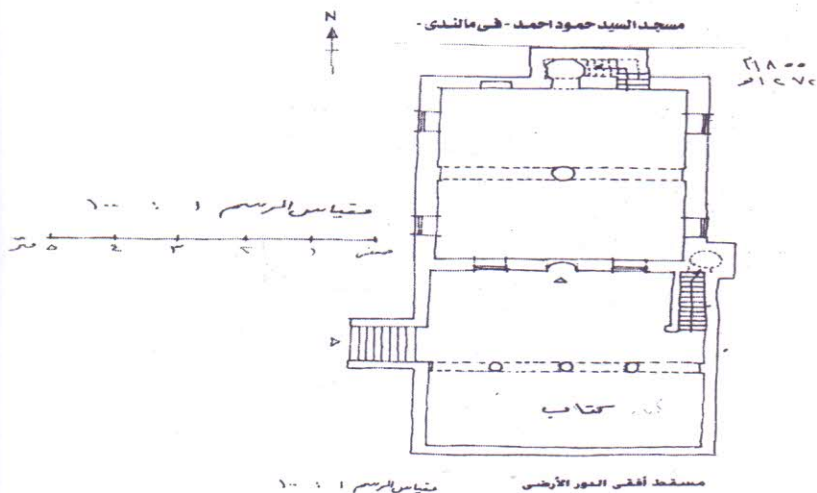
شكل رقم (٥)
مسجد التقوى - رسم الباحث



شكل رقم (٦)
مسجد بنت الجمعة - رسم الباحث



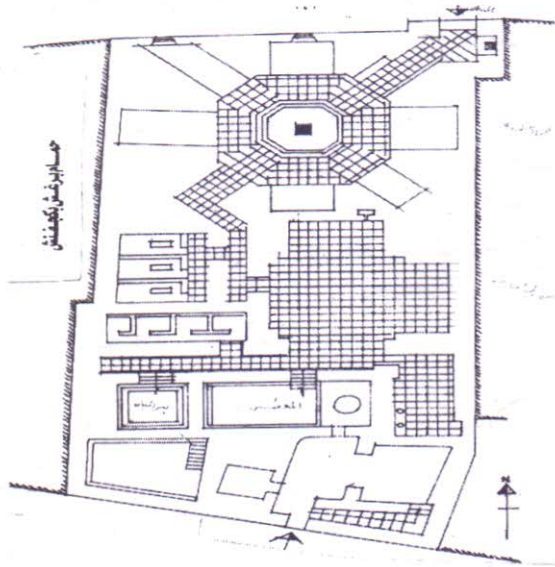
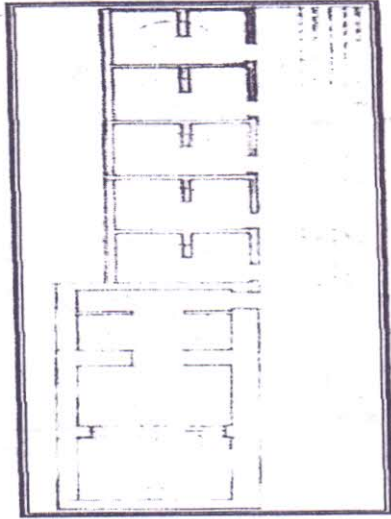
شكل رقم (٧)
المسجد الجامع (الفوروداني) رسم الباحث



شكل رقم (٨)
مسجد السيد حمود بن احمد - في مالندى - رسم الباحث

شكل رقم (٩)

حمام الاميرة الفارسية (كيدجي) رسم الباحث



شكل رقم (١٠)

حمام السيد برغش بكجفشني
دليل الحمامات - وزارة الثقافة - زنجبار

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق

- ١- محافظ المعية السنية.
- ٢- محافظ السودان .
- ٣- محافظ سواحل البحر الاحمر .
- ٤- محافظ ابحاث السودان .
- ٥- سجلات محافظ بربرة .

ثانياً: المصادر:

- (١) المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) ت ٣٤٥، ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م، مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ، ٩ أجزاء، المطبعة البهية المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
- (٢) المقرئزي: (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، المطبعة الأميرية بولاق، القاهرة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م.
- (٣) القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) ت ٦٨٢هـ، آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م
- (٤) ياقوت الحموي: (شهاب الدين ابو عبدالله الحموي الرموي) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، معجم البلدان، ٨ أجزاء، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٩٧٩م.
- (٥) ابن بطوطة: تحفة النظار في عجائب الامصار ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٩٣٣ .

ثالثاً: المراجع العربية:

- (١) أحمد أحمد الحتة: تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، مطبعة المصرية، الاسكندرية ١٩٦٧.
- (٢) السيد رجب حراز: افريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- (٣) الفت يحي حمودة: الطابع المعماري بين التاصيل والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية للطباعة، الاسكندرية، ١٩٨٧م.
- (٤) توفيق احمد عبد الجواد: العمارة الاسلامية فكر وحضارة، الانجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦.
- (٥) جمال زكريا قاسم: الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية - معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥.
- (٦) سامي عرفان : نظرية العمارة ، مؤسسة طباعة الالوان المتحدة ، القاهرة ١٩٦٧ .

- (٧) سينر ترمنجهام : المصادر العربية لتاريخ شرق افريقيا ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع عشر ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة .
- (٨) سنسير نرمنجهام: الاسلام في شرق افريقيا، ترجمة وتعليق مجدى عاطف النواوى، مراجعة فؤاد شبل، الانجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٣.
- (٩) شوقى عطالله الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٨٦٣ - ١٨٧٩م)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٥٨.
- سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٤.
- (١٠) طارق عبد العاطى غنيم: سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، (١٨١١ - ١٨٤٨م)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.
- (١١) عبد الرحمن الرفعى: عصر اسماعيل، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عصر اسماعيل، الجزء الثانى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- (١٢) ل. هولنجزوورث: زنجبار، ترجمة وتعليق حسن حبشى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.
- (١٣) محمد صبرى: مصر فى افريقيا الشرقية هرر وزيلع وبربرة، مطبعة مصر ومحتبتها، القاهرة ١٩٣٨.
- رابعاً: رسائل جامعية غير منشورة:
- (١) حمادة خلفان أحمد: التأثيرات العمانية فى زنجبار، دراسة انثروبولوجية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ١٩٨٩
- خامساً: الدوريات:
١. السيد رجب حراز: بريطانيا وشرق افريقيا من الاستعمار الى الاستقلال، جامعة الدول العربية ١٩٧١
٢. بنيان سعود بن تركى: الغاء الصفة القانونية للرق فى سلطنة زنجبار العربية، حويات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثالثة عشر، ١٩٩٢ - ١٩٩٣
٣. سلمى بنت سعيد: مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبد المجيد حسين القبسى، وزارة التراث القومى، سلطنة عمان، ١٩٧٤
٤. سعيد بن على المغيرى: جبهة الأخبار فى تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، سلطنة عمان، وزارة التراث القومى، ١٩٧٩ .

٥. صلاح العقاد: زنجبار سلسلة الالف كتاب، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٩
٦. ف. ف. ماتيف: تطور الحضارة السواحلية، تاريخ افريقيا العام، المجلد الرابع، اليونيسكو ١٩٨٨.
٧. عبد الرحمن زكي: بعض المدن العربية على ساحل شمال افريقية الشرقية في العصور الوسطى، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية، الموسم الثقافي ١٩٦٤
٨. عبد المنعم عامر: عمان في امجادها البحرية، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي، العدد الثامن، ١٩٨٠

سادساً: المراجع الاجنبية:

1. Abdul Shereff, Mosques, Merchants and londouinery in Zanzibar, ston town A Zania, 1992,
2. Barbiosa j.d: the book of Durat Barbora translated from the bortuguse, Text, London
3. Burton, Richard: Zanzibar, City Isiland and Coast, London, 1872
4. Clar keup: A short History of Tanzania A rusha, Tanzania, 1960, ,
5. Chitich-, Ar , Aguike to ruins of kuwa , Dar Elgalon Tanganyka , 1970,
6. Coupland, R: East Africa and its invaders oxford 1938
7. Freamen G: The medieval History of the Coast of Tanganyika, Berlin, 1962
8. Hallingsurath, : A short History of the east Coast of Africa London , 1929
9. Lyne, R. N.: Zanzibar in contemporary Times A short history, Paris 1911,
10. l y ne, R. N.: Zanzibar in contemborary Times A zhort history, Paris, 1911,
11. Revolutionary Government of Zanzibar, a guide to Hommi baths, may 1993,
12. Stronge (S. A.) The history of Kilua, The journal of the royal Asiatic Society, London, April 1895,
13. The united nation canter for human settlements ;the ston town of zangibor ,
14. Z. A.: Wakf, 200, 344, 455, Zanzibar Government Archives

15. Z. A.: Wakf, ZA, AM. 1/1, 272, 448 (356/1812)
16. Z. A.: Wakf, AM, 39A, 406, 1/1 (353/1872)
17. Z. A.: Wakf, AM, 39A, 344, 400
18. Z. A.: Wakf, ZA, AM. 1/1, 39, A3, 8,40 (353/1872)
19. Zanzibar, Matival Archives, Government Archives, AM 2/19 Z.A:
Wakf and gifts
20. Z.A: wakf, 142/347, 400 Z.A: wakf, 122/250, A398
21. Z.A: wakf, HD 5/76

المناهج الكمية والمناهج النوعية في الدراسات الأثرية الحديثة شرقي الرزقي

مقدمة:

لعلّ من أبرز ما يُميّز مسار تطوّر علم الآثار الحديث^١، هو المفارقة الفاصلة بين مفهومه النظري، الشّامل لدرجة الغموض والالتباس في بعض الأحيان، وممارسته

جامعة تلمسان، الجزائر.

^١ المنهج لغة هو التّسق، أو الطّريق المستقيم، والمنهج العلمي هو كيفية، أو طريقة جماعية متفق عليها، يجري العمل وفقها بين أكثر من جيل في سبيل تحصيل المعارف العلمية وفق الاستدلال، وجملة التّدابير المرصدة سلفا لهذا الغرض. أمّا الفرق بين المناهج الكميّة ونظيرتها النوعية، فالأولى تقوم على أساس القياس الظّاهري، أو التّراتبي لما هو مدرّس، سواء أكان ذلك مطلقا، كالاكتفاء بالقول: "أكثر من"، "أصغر من"؛ أو عن طريق الحساب العددي من خلال إجراء العمليات الرّياضية المعروفة، وفق مقتضيات الدّراسة؛ أو عن طريق المؤشّرات العددية (النّسب المئوية)، وبقيّة المؤشّرات البيانية (الأعمدة والمنحنيات البيانية وما شابه ذلك).

أمّا النوع الثّاني من هذه المناهج، فيهدف إلى تحليل العيّنة المدروسة، أو تفكيكها إلى أجزاء ثانوية، ومحاولة سبر أغوارها إلى أبعد ما يمكن؛ ومن ثمّ جاءت الدّراسات المعتمدة على النوع الأوّل مسمّاة بالطّابع المسّحي، أو الشّمولي مع التّركيز على مبادئ الرّياضيات التّطبيقيّة؛ أو الإحصاء كما يصطلح عليها البعض الآخر، وكذا الإعلام الآلي؛ فيما انحازت الثّانية إلى المنهج التّجريبي، أو التّطبيقي، ومن ثمّ كانت نتائجها دقيقة، إلا أنّ نتائجها محدودة للغاية، ولا تعكس صحتها غير ما تمّ تناوله من عيّنات في الدّراسة. أنظر على سبيل المثال: مورييس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانيّة تدريبات عملية، تعريب: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف سعيد سبعون تحت إشراف مصطفى ماضي، نشر دار القصة، الجزائر العاصمة، ٢٠٠٤، ص ٩٨ - ١٠١.

^٢ المقصود بعلم الآثار الحديث ليس هو تاريخ اكتشاف مدينتي "بومبي" (POMPEI)، و"هركيلاوم" (HERCULANUM) الرّومانيّتين اللّتين دمرهما بركان "فيوزف" عام ٧٩م بإيطاليا من لدن بعض الهوأة عام ١٧١٩م بقيادة النّمساوي "عمانويل دي لورين" بطرق غير مدروسة من قبل كما يعتقد البعض - أنظر على سبيل الذكر: ضو (جورج)، تاريخ علم الآثار، تعريب بهيج شعبان، نشر الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، بالاشتراك مع منشورات عويدات ببيروت، بدون ذكر تاريخ الطّبع، ص ٢٧-

وإنّما هو عام ١٧٨٤م، تاريخ إجراء أوّل حفريّة علميّة منظمة بمقاطعة "فيرجينيا" (VIRGINIE) بالولايات المتّحدة الأمريكيّة انظر: WHEELER (Mortimer), Archéologie voix de la terre, Traduit de l'anglais par: MOREL - DELEDALLE et BRALOG (ANNIE), Préface: GOURBIN (Paul), Edisud, Aix-en-Provence, 1989, p 18.

وأما بخصوص رواد هذا العلم، فأنظر بشأنهم على وجه الخصوص المرجعين الآتيين:

- GRAN - AYMERICH (Eve), Dictionnaire biographique d'archéologie (1798 - 1945), éditions centre national de la recherche scientifique, Paris, 2001.

- "Archéo"; L'encyclopédie de l'archéologie, éditions Atlas, France, plusieurs tomes.

الانتقائية المحدودة على أرض الواقع، ساعة التعامل مع أثار ومخلفات الحضارة الإنسانية الدارسة؛ أو بالأحرى مفارقة النظرية والتطبيق^٣، المتفاوتة المستويات، تبعا لتبدل وتحول ثقافة العصر، المتفاعلة بدورها طرديا مع صيرورة الزمن^٤. فهذه الخاصية كانت على ما يبدو كافية للمضي بعلم الآثار قُدما، وقطع في كنفها أشواط طويلة في سبيل تطوير وتحسين مردود الدراسات الأثرية المحكمة على حد ما يمكن أن يُستقى بوضوح في إثراء، وتثمين مناهجها وتقنياتها "الكلاسيكية" المعهودة على الدوام بمناهج وتقنيات جديدة بين الفينة والفينة الأخرى، لا عهد لعلم الآثار بها من قبل.

تلك المناهج التي تم اقتباس، واستعارة بعضها من مناهج علوم إنسانية واجتماعية، وبعضها الآخر من مناهج علوم الطبيعة والحياة، بل وحتى من مناهج العلوم التكنولوجية المعاصرة، لاسيما ضمن ما هو ملاحظ اليوم من تقارب كبير بين العلوم مع بعضها بعضا في إطار ما يُعرف أكاديميا بالدراسات "المتعددة التخصصات" (PLURIDISCIPLINAIRE)^٥، والارتقاء من ثم بالمستوى العام للدراسات الأثرية من مستوى "دراسة العتيقيات والأطلال"، المحدودة الغايات والأهداف، إلى مستوى "سير كنه النظم الثقافية" للمجتمعات الإنسانية البائدة برمتها.

هذا الحقل المعرفي الواعد، الذي يبقى بأمر الحاجة إلى مناهج علمية جديدة، تختلف عما كان مألوفاً من مناهج في مجال الدراسات المخبرية للقي الأثرية، والتفتيح الميداني على الآثار المغمورة، وكذا معالجة العينات النمطية، كما سيتم استعراض جانبها منها بشيء من التفصيل في هذا المقام^٦.

^٣ GENOUVES (René), *L'archéologie Gréco - Romaine*, Série que sais - je, N° 54, Presses universitaires de France, Paris, 1975, p 42.

^٤ أنظر العنصر الموالي.

^٥ الواقع أن علم الآثار كان يشتغل جنباً إلى جنب مع علوم مساعدة كثيرة منذ نشأته إلى اليوم، وما لاحظته عليه الآن هو توسيع دائرة تعامله هذه لتشمل علوم أخرى تزيد بأضعاف ما كانت عليه قبل منتصف القرن العشرين المنصرم.

^٦ يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى تراجع أهمية الحفريات الأثرية المنظمة في الدراسات الأثرية الحديثة إلى مستويات دنيا في مقابل صعود أهمية تقنيات التحري الأثري المتعددة الأوجه، أضف إلى ذلك تقدم أجهزة الإعلام الآلي، وتطور مناهج البحث الأثري في الوقت الراهن، كما سلفت الإشارة من قبل؛ أكثر تفاصيل حول تقنيات المسح الأثري الحديث، أنظر على سبيل المثال: نخبة من مؤرثيين العرب، المسح الأثري في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٣م؛ أما بخصوص أحدث مناهج البحث الأثري فأنظر على سبيل الذكر:

DEMOULE (Jean - Paul), GILIGNY (François), LEHOERFF (ANNE) et SCHNAPP (Alain). *Guide des méthodes de l'archéologie*, éditions de la découverte, Paris, 2002.

(١). منشأ البحث في النظم الثقافية الدارسة في بحوث علوم الآثار الحديثة:
لم تبلغ الدراسات الأثرية عتبة البحث في النظم الثقافية الإنسانية الدارسة، وسبر أغوارها العميقة، إلا في مرحلة جد متأخرة، مقارنة مع عمر علم الآثار الطويل نسبياً؛ وقد كان ذلك على وجه الدقة والتحديد مع فجر عقد خمسينات القرن العشرين المنصرم في عقب نقاش نظري طويل حول إمكانية تحقيق التوازن والاعتدال بين مناهج البحث الأثري من جهة وغاياته السامية من جهة ثانية.

كان من أبرزها على ما يبدو توصيات الباحث، والمحافظ الإنجليزي الشهير "ويلر مورتمر" (WHEELER MORTIMER) بهذا الشأن، الذي حث على ضرورة اكتشاف ثقافات مجتمعات إنسانية حيّة، وليس مجرد استخراج بقايا أثرية ميتة، وعلى الأثري في مقابل ذلك استحضار حيوية هذه المجتمعات البائدة في ذاته عند مباشرة كل مرحلة جديدة من مراحل البحث الأثري المضمني، وإن عجز في هذا الاختبار فما عليه غير تحويل نشاطه إلى أيّ وجهة أخرى غير علم الآثار.^٧
إذ يُسجل بهذا الصدد مرور الدراسات الأثرية المحكمة بأربع مستويات، قد تتزامن تارة، وقد تتفاوت تارة أخرى، حيث لا معنى للتسلسل الزمني في هذا المجال، وهي:

(أ). المحور الفني وتقاطعها مع اهتمامات تاريخ الفن: يُشكل هذا الاهتمام العلمي من الدراسات الأثرية المرحلة المبكرة في الدراسات الحديثة المحكمة. وهي تعقب مرحلة المحاولات والاجتهادات الفردية، التي كانت تبدو في شكل انطباعات عابرة، ولعلّ ما حقز بالمضي بها إلى الأمام أكثر، فأكثر هو بزوغ فجر النهضة الغربية الحديثة، التي بدأت كما هو معلوم من الفنون والآداب، وتشكل ذوق جمعي نزاع لفنون وآداب الحضارات الغربية القديمة (الحضارة الرومانية الوثنية، وسابقتها الحضارة اليونانية)، ولاسيما نحو أشعار "فرجيل" الروماني، وفن النحت، والعمارة القديمة وبقية فنونها الزخرفية، واستمرّ الأمر ردها من الزمن، حتى عاد الكثير من الناس لا يميّز بين حقيقة علم الآثار، ونظيره تاريخ الفن.^٨

(ب). محور الكتابات القديمة وتقاطعها مع علم اللغات القديمة: يُشكل هذا الاهتمام العلمي قفزة نوعية في الاتجاهات المعاصرة التي اختارها علم الآثار لنفسه بين العلوم، حيث أظهر من خلالها قدرات واعدة في سبيل الكشف على أسرار الماضي السحيق، ولعلّ ما ساعده على ذلك هو بقاء المجتمعات الغربية سجيبة روايات الكتاب المقدس، وموقف الكنيسة المناهض لعلم الآثار في أول منشئه، ولاسيما خلال الفترة

WHEELER), Op.cit, pp 6, 14.

7

8 محمد رزق (عاصم)، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٠.

GENOUVES, Op.cit, pp 111 - 112.

الممتدة بين سنتي (١٧٩٣ - ١٨٨٠) ميلادي، حيث أصرت الكنيسة الغربية على التمسك بالعبادات والتقاليد القديمة، أي الاهتمام بالتراث الديني المسيحي، وشجب معها أهمية الفنون وآثار القرون الخالية^٩.

وهو ما فنده علم الآثار لاحقا شيئا، فشيئا عن طريق المقارنة والتحقيق بين النص المدون، أو الوثيقة، والشاهد الأثري، وأعاد بموجب ذلك بناء تاريخ جديد للماضي، غير ذلك الذي استقرت عليه رواية العهد القديم من الكتاب المقدس منذ عشرات القرون.

(ج). محور التاريخ التكنولوجي ودراسة الأثر لذاته: ركزت الدراسات الأثرية اهتمامها في هذا المستوى من الدراسة على ضبط موقع الأثر، وتفكيك تركيبته العضوية، وتوضيح وظيفته الأساسية من جملة الوظائف الثانوية التي قد يكون الأثر قد شغلها عبر فترات زمنية غير متعاصرة، ومحاولة تأريخه، تأريخا دقيقا، وإبراز خصائصه النوعية التي تميزه عن ما يشبهه من خلال عمليات التصنيف، والتنميط، وما إلى ذلك من تفاصيل دقيقة حول هوية الأثر المدروس^{١٠}.

ومن ثم جاءت فكرة التاريخ التكنولوجي للآثار^{١١}، لاسيما لبعض الشواهد المادية البارزة، كالمسكوكات، والعمارة، والأدوات الحجرية، والفخار، وفي مقدمته فخار الحضارة الرومانية، والحضارة اليونانية على وجه الخصوص، لما كان ينطوي عليه من معلومات ثمينة حول الجانب التكنولوجي الكامن فيه، كطبيعة المادة الأولية المصنوع منها، وأسلوب الزخرفة التي تزينه، وطرق تحضيره، ومراسل إنجازته، واسم الورشة التي أنجز فيها، وتوقيع صانعه، وما إلى ذلك من المعلومات المغرية للاهتمام بهذا الجانب في الشواهد المادية من مخلفات الثقافات والحضارات الإنسانية الغابرة، والتميز بين هذه الأخيرة عن بعضها بعضا، انطلاقا من هذا المعيار الجديد.

(د). سبر أغوار النظم الثقافية الدارسة: ويتناول في هذا المستوى من الدراسات الأثرية المحكمة تفاعل الإنسان مع محيطه البيئي، ودراسة علاقات التفاعل فيما بينهما، وتوضيح مدى تبعية هذا الطرف لذلك، أو مدى مقاومة هذا لتأثيرات الآخر بصرف النظر إن كان كل ذلك موجبا، أو سالبا، أو جامعا بينهما بنسب متساوية، أو متباينة باعتبار أن الإنسان وليد بيئته، وما يحمله هذا المصطلح من دلالات واسعة، كالبينة الاجتماعية، والبينة الطبيعية، والبينة الثقافية، والبينة السياسية، وما إلى ذلك.

^٩ محمد رزق، مرجع سابق، ص ٢٠.

^{١٠} GENOUVES, Op.cit, pp 58 - 59.

^{١١} MOHEN (Jean - Pierre) & TABORIN (Yvette), Les sociétés de la préhistoire, Préface BALARD (Michel), éditions Hachette, Paris, 1998, p 18.

إذ يُتخذ الأثر في هذا المستوى من الدراسة على أساس مؤشر أولي لفكّ الغاز مختلف الظواهر الاجتماعية، والثقافية، وغيرها؛ أو شكل من أشكال التعبير على نمط ثقافي إنساني مستقلّ بذاته عمّا يمثّله في إطار تفاعل الإنسان مع محيطه^{١٢}. وذلك ضمن مقاربات تحليلية عمودية وأفقية الاتجاه في أن واحد بغرض بناء الماضي على سالف ما كان عليه في الأصل، كطبيعة المناخ السائد، ونوع الثروات الطبيعية التي تميّز إقليما بعينه دون غيره من سطح الكرة الأرضية، وطرق استغلالها من الإنسان الذي استقرّ بالقرب منها، وكيف كانت نظرته لتهيئة السطح وشغله بشكل دائم، أو متقطع على حسب الحاجة، وما تمليه الظروف المناخية في ذلك، وخصائص التعمير الذي شيّده بتلك البقعة من الأرض، والوضعية الصحيّة العامة به، والأمراض المزمنة التي كانت تصيب مجتمعه، ونوع الغذاء العام لدى الناس، ونسبة التّموّ السكاني، وحجم الوفيات فيه، وما يتطلّبه هذا الأخير من تضافر مجهود كلّ من الأثري، والجغرافي، والاقتصادي، وخبير التّمو السكاني، بلّ وحتى عالم الاجتماع وغيره في سبيل بلوغ هذه المرام العليا^{١٣}.

٢. مستلزمات البحث في النظم الثقافية ودورها في تنمية مناهج البحث الأثري:
لاشكّ أنّ مسألة تفاعل الإنسان مع محيطه البيئي، وسبر أغوار علاقات التفاعل بينه من جهة، وبين المحيط الذي يعيش فيه من جهة ثانية، يتطلّب أمرين رئيسيين: أولهما تمديد مفهوم الوثيقة، أو الشاهد الأثري إلى أبعد من حصرها في المنتجات والابتكارات الماديّة التي خلقها الإنسان قديما، كما هو عليه الحال في الدراسات الأثرية الكلاسيكية باعتبار أنّ هذا المحيط يحمل هو الآخر في ثناياه دلائل من نوع معايير. وثانيها هو البحث عن مناهج وتقنيات جديدة، مكتملة، أو معوّضة لسابقتها، يكون بمستطاعها النفاذ إلى أعماق الصنف الجديد من الشواهد الأثرية، وبوسعها تقديم الإجابة الشافية على انشغالات المستوى الأخير من الدراسات الأثرية الحديثة، خصوصا إذا ما وضعنا بالحسبان أنّ الإنسان، وبصرف النظر عن الصعوبات والمشاكل التي قد يكون صادفها في سبيل تطويع وتدجين بعض عناصر الطبيعة لخدمته وتحقيق رفاهيته، فإنّه على وجه العموم قد عاش مع محيطه في نظام بيئي منسجم ومتناغم إلى أبعد الحدود على ما يبدو.

ففي ما يخصّ الأمر الأوّل، وسعت الدراسات الحديثة مفهوم الوثيقة الأثرية إلى شمل البقايا العظمية الإنسانية، التي كانت إلى وقت قريب من اختصاص عالم المستحثّات الإنسانية؛ وحبوب اللقاح، وهياكل الحيوانات، وخصائص التربة ومصادر

¹² Ibid, pp 18 - 19.

¹³ - DJINDJIAN (François), Méthodes pour l'archéologie, éditeur COLIN (Armand), Paris, 1991, p V.

- GENOUVES, Op.cit, pp 42, 86 - 87.

الماء والمعادن فيها من أجل تحديد طبيعة الثروات الطبيعية التي من شأنها تحفيز الإنسان على الاستقرار، والبناء الحضاري. تمهيدا للقيام بأعمال التحليل الفضائي، وتحديد شكل ومرحل توسع النمو العمراني، وكذا ضبط مصادر التمويل بالمشورة، والمواد الأولية لتفعيل الحركة الاقتصادية هناك، وعلاقة تواصله مع بقية المقاطعات المحيطة به، وما إلى ذلك^{١٤}.

وأما بخصوص الأمر الثاني، فقد لجأت هذه الدراسات إلى اقتباس واستعارة جملة من المناهج والتقنيات المعهودة في علوم أخرى، كتحويل الفضاء العائد إلى الجغرافيا الأنف الذكر، والإحصاء الرياضي المتعدد الأبعاد، والتنظيم البنوي (*L'ORDRE STRUCTUREL*)، المستوحى من مناهج علم الأعراق على سبيل الذكر لا التخصص والحصر^{١٥}. أخذا بعين الحسبان شيئين مهمين هما: طبيعة الأثر في حد ذاته باعتبار أن هذا الأخير قد أصبح شديد التنوع؛ ودوافع حركته، وشكل انتشارها المحدود، أو المكثف على سطح الأرض، كأن كان ذلك من إرادة الإنسان، أو من فعل الطبيعة في سبيل توفير الحد الأدنى من المعطيات لإقامة مقاربات التحليل الحركي الذي يسمح بوضع الأثر المكتشف في قلبه الفضائي، أو الجغرافي الأصلي^{١٦}.

٣. **توظيف المناهج الكمية والمناهج النوعية^{١٧} في الدراسات الأثرية:**

تعمم استخدام الحاسوب الآلي في الأوساط الجامعية مع نهاية عقد خمسينات، ومستهل عقد ستينات القرن العشرين المنصرم، وتحرر بموجب ذلك عالم الرياضيات من عبء الأرقام المجردة، ونقل الحسابات الذهنية المعقدة إلى فضاء "الرياضيات التطبيقية" الرّحب، التي سرعان ما تحولت بين يديه إلى مفتاح سحري بوسعه فتح باب أي علم من العلوم الحديثة من غير كثير عناء، لاسيما بعد نجاحه في عملية الارتقاء بالإحصاء الكلاسيكي المبسط إلى ما يُعرف بالإحصاء المتعدد الأبعاد، وبروز ما يُعرف بالتشكيل الكمي (*MODELISATION QUANTITATIVE*) عوضا للتقنيات التقريبية المعهودة من قبل^{١٨}.

وما كاد ينقضي عقد السبعينات من القرن المذكور، حتى لاحت في أفق الدراسات الأثرية أطراف بدايات توظيف المناهج الرياضية بنوعها الكمي (التشكيل

¹⁴ - MOHEN & TABORIN, Op.cit, p 23.

- DJINDJIAN (François), Op.cit, p IX.

¹⁵ Ibid, p 2.

¹⁶ MOHEN & TABORIN, Op.cit, pp 22 - 23.

¹⁷ الواقع أن هذا التصنيف لا يقتصر على العلوم الرياضية فحسب، كما قد يتوهم البعض، وإنما هو تصنيف شامل لكلّ مناهج البحث العلمي الأخرى، مستند إلى طريقة تناول هذه المناهج المختلفة بين المناهج العقلية، والمناهج التجريبية الكثيرة لعينيات الدراسة بكيفية مسحية أفقية (منهج كمي)، أو انتقائي رأسي (منهج نوعي، أو كيفي).

¹⁸ DJINDJIAN (François), Op.cit, p 2.

الكمي)، والنوعي (النظم الاحترافية) في المقاربات التحليلية والاستنباطات المعرفية الأثرية، ولو بشكل محتشم، وعلى نطاق محدود، تمهيدا لجمع المعطيات، وبناء بنوك المعلومات المتخصصة^{١٩}. وفق مفاهيم رمزية مضبوطة سلفا لهذا الغرض، كأن تكون في شكل رياضي محض، أو رياضي هجائي مشترك، منطلق استنطاق الشواهد الأثرية بمقاربات رياضية خالصة، وتجسيد نتائجها في أشكال رياضية متنوعة، كالأهرام المدرجة، والتفرعات الشجرية، والترتيب التصاعدي، أو التنازلي للمجموعات، وما إلى ذلك^{٢٠}. والتخلي بلا رجعة عما كان الأثري ينتهجه بمحض إرادته في مجال تصنيف وتمييز عيناته الأثرية من عمليات معقدة قليلة الفائدة في معظم الحالات^{٢١}.

وبذلك تمكن الأثري من تمييز مقتنيات المجموعات العامة، القابعة في مخازن المتاحف منذ مئات السنين، والمجموعات الخاصة التي هي في حيازة أفراد هواة، أو تجار عتيقيات لا تتوفر على الحد الأدنى من الوثائق المعرفي، الذي يسمح بتخصيص لها دراسة علمية محكمة في وقت سابق.

٤). العوامل المساعدة على تعميم المناهج الرياضية في الدراسات الأثرية:

يمكن حصر هذه العوامل المساعدة في عاملين رئيسيين هما: تطور تقنيات وطرق التنقيب الأثري، وفي مقدمتها طريقة المربعات، وما أسفر عليها من النقاط منظم لكم هائل من اللقى الأثرية، الشيء الذي تتطلب إعداد بعض العمليات الإحصائية الجزئية، وبناء بموازاة لها بعض الأشكال البيانية، كما هو متجلب بوضوح في دراسات الأمريكيين في إطار ما يُسمى ببحوث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وفي فرنسا ضمن الدراسات الجيولوجية للزمن الرابع (QUATIRNAIRE)، وفي المملكة المتحدة البريطانية ضمن ما يُسمى "التقييس الأثري" (ARCHEOMETRIE)^{٢٢}.

هذا فيما يخص العامل الأول، أما فيما يخص العامل الآخر، فيتمثل في ارتفاع آليات المقاربات التحليلية في الدراسات الأثرية إلى مستوى أعلى مما كانت عليه منذ النشأة إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ ظهور الرياضيات بشكل محتشم، بدءاً بالبيانات التراكمية (DIAGRAMMES CUMULATIFS) التي استخدمها لأول مرة عالم آثار ما قبل التاريخ الفرنسي "بورد" (BORDES) عام ١٩٥٣م، قبل أن ينفذ تعميمها عبر مختلف أنحاء القارة الأوروبية ضمن التنقيب على ثقافات فترة ما قبل التاريخ هناك^{٢٣}.

¹⁹ Ibid, p 5.

²⁰ GENOUVES, Op.cit, pp 59 – 60.

²¹ DJINDJIAN (François), Op.cit, p 2.

²² Ibid, p 2.

²³ Ibid, p 2.

والحساب التوفيقى (*CALCUL CORRELATIF*)، الذي استهله العالم "سبونلدين" (*SPANLINDING*) في ذات السنة (١٩٥٣) في عمليات تنميط وتصنيف العينات الأثرية (*TYPES D'OBJETS*)، قبل أن يلحق به العالم "دو هنز لين" (*DE HENZELIN*) عام ١٩٦٠م، ومن بعدهما "فارت" (*VERTES*) عام ١٩٦٤م. أضف إلى ذلك توظيف من قبل، ولأول مرة تقنية "السلسل الترتيبي" (*SERIATION*) في مجال التزمين النسبي (*CHRONOLOGIE RELATIVE*) للشواهد الأثرية من قبل العالمين "براينر" (*BRAINERD*)، و"روبنسون" (*ROBINSON*) عام ١٩٥١م^{٢٤}.

٥). أثر توظيف المبادئ الرياضية في تحسين مردود نتائج البحث الأثري:

برز مع مطلع عقد ثمانينات القرن العشرين جيلاً جديداً من الأثريين، المتشبعين بالمنطق الرياضي، إما كان للتجارب الرياضية السابقة من مردود إيجابي في نتائج البحث الأثري، طيلة مراحلها التجريبية الأنفة الذكر؛ وقد حقّر تحكّم هذا الجيل الجديد من الأثريين في المبادئ الرياضية إلى الاسترسال في تعميم العملية إلى أبعد الحدود الممكنة، شأن تحليل الفضاء الجغرافي المشغول، وتقنيات التصنيف والتنميط، والتشكيل البياني للعينات الأثرية من خلال استخدام تقنيات الإحصاء المتعدّد الأبعاد، وغيره^{٢٥}. وتمّ بموجب ذلك توليد منهج تطبيقي جديد في سبيل حسم الكثير من الإشكاليات الكلاسيكية العالقة، التي لم يكن بمستطاع الأثري الإجابة عنها قبل هذا التاريخ، حيث بدأت تعرف طريقها إلى الحلّ شيئاً، فشيئاً، كما هو موضح في بعض نتائج المحقّقة حتى الساعة:

أ). ظهور منهج تحليل الأشكال (*ANALYSE DES FORMES*): ظلّ هذا الأخير مغموراً لمدة طويلة في طيات التحليل النمطي (*ANALYSE TYPOLOGIQUE*)، المنطوي اليوم على جميع التقنيات المعتمدة في التنميط التطبيقي، كالهئية العامّة (*MORPHOLOGIE*) للعينات المدروسة، وتقنيات التصنيع (*TECHNOLOGIE DE MANUFACTURATION*)، وجملة التركيبات "الفيزيو-كيميائية" (*COPOSITIONS*) (*PHYSICO - CHIMIQUE*) الداخلة في التمييق الزخرفي للوثائق الأثرية، سواء بالنسبة للمصنوعات الفخارية خلال الفترة التاريخية، أو المصنوعات الحجرية خلال نظيرتها، فترة ما قبل التاريخ على سبيل الذكر لا التخصيص والحصص.

إذ كان علماء الآثار لا يميّزون بين الأبعاد والمقاسات، كالأطول والعرض، والسّمك، والقطر، واكتفائهم بالتركيز على البنية الشكلية (المرفولوجية العامّة) للوثيقة الأثرية، كأبعد حدّ في مقارباتهم التنميطية، ولكن مع تطوّر استخدام المناهج الرياضية، وتعميم استخدام الحواسيب الآلية على نطاق واسع، أدى ذلك إلى استخراج

²⁴ GENOUVES, Op.cit, p 60. DJINDJIAN (François), Op.cit, p 2,

²⁵ Ibid, p 5.

خصوصيات جديدة ما تحت النوع، ضُمَّت إلى هذا التماثل الجديد، ألا وهو "تحليل الأشكال".

(ب). تحليل المتوافقات (ANALYSE DES CORRESPONDANCES): وهو منهج دراسة جديد، ظهر على أنقاض نقائص وسلبيات منهج "السلسل الترتيبي (SERIATION)، ساعة تطبيقه على المجموعات الأثرية، المشتركة في الأداء الوظيفي والمختلفة كل الاختلاف من حيث بنيتها التركيبية، شأن الأثاث الجانزي المرفق بالميد في قبره من معدّات المائدة، وأسلحة الدفاع عن النفس وما إلى ذلك؛ أو كنوز المعابد التي تزخر بكل ما هو ثمين وندر.

فمن هذا المنطلق جاء ابتكار "المنهج التوافقي" الهادف إلى دراسة هذا الناح من الوثائق الأثرية على حسب علاقات الرابطة الوظيفي بينها، وليس بسبب انتمائها إلى مصدر جغرافي واحد، كما كان الحال عليه من قبل.

(ج). تحليل الفضاء المشغول (ANALYSE DU SOL OCCUPE): بلغ هذا النوع من المقاربات التحليلية قمة ازدهاره خلال عقد التسعينات المنصرم لاعتبارين رئيسيين هما احتمال وجود آثار سالبية على هذا السطح المشغول، كبقاء رسم حجر تم نقله بفعل إرادي إلى مكان آخر في سبيل الاستفادة من خدماته؛ وثانيهما أن الاتجاه العام في الدراسات الأثرية المتأخرة، يميل إلى التحليل الاجتماعي والاقتصادي في البناء الحضاري والثقافي للمجتمعات الإنسانية البائدة، أي بعبارة مختصرة: "الإنسان وليد بيئته" بالمفهوم الأوسع لكلمة "بيئة".

وهكذا جاء هذا المنهج المقتبس من مناهج الجغرافيا للاهتمام بهذين الحقلين، حقل الآثار السالبة على السطح، والذي يسخر فيه كل ما جادت به التكنولوجيا الحديثة من أجهزة الرصد والكشف، التي لا يتسع المقام للوقوف عندها هنا، ودراسة الخصائص الطبيعية للموقع المشغول من جهة ثانية، ومحاولة إبراز ما كان يزخر به من ثروات طبيعية محفزة على الاستقرار الإنساني، واستبحار عمرانه البشري، وتضاعف عطائه الحضاري، أو العكس، وما يصاحبه من انكماش اقتصادي واجتماعي إلى درجة بلوغ مستوى الاضمحلال التام.

علما أن ظهور هذا المنهج كان ثمرة مجهود المدرسة البريطانية، المملثه في جامعة "كامبريدج" (CAMBRIDGE)، التي استطاعت أن تثبت من خلال بحوثها في مجال الجغرافيا الفضائية إلى تلاؤم مناهج هذه الأخيرة مع الوثائق الأثرية المنتشرة هنا وهناك، لاسيما آثار الفترة التاريخية التي بلغ فيها الإنسان قدرا معتبرا من تنظيم حياته الاجتماعية والاقتصادية، ودرجة عالية من العقلنة في استغلال الموارد الطبيعية، المحركة لعجلة اقتصاده البدائي.

(د). تحليل البنيات السكنية: إلى غاية عقد سبعينات القرن العشرين المنصرم، كان تقدير النمو السكاني في الدراسات الأثرية مبني على الهياكل العظمية ودراسة

المقابر، إلا أن نسبة النتائج المحققة من ورائها لجملة كثيرة من الاعتبارات ليس هاهنا مكان للوقوف، عندها، حقّر الباحثين على ابتكار مناهج أكثر دقة منها، فجاء في هذا التسق العام ميلاد منهج تحليل البنيات السكنية، الذي رفع مستوى دقة النتائج بأربعة أضعاف ما كانت عليه قبل مستهلّ عقد ثمانينات القرن العشرين المنصرم^{٢٦}.

هـ). التقييس الأثري (ARCHEOMETRIE): وهو وليد منهج التحليل الذريو- كيميائي للمواد بشكل عام، ومواد تصنيع الوثائق الأثرية بشكل خاص. ويهدف إلى تحليل معطيات الدراسة الوصفية للأثر (الأركيوجرافيا) من أجل استخدامها كأداة للمقاربات التحليلية بين الأثر ومحيطه البيئي بغرض تحديد مصادر التزوّج بالمواد الأولية للتصنيع، وتحديد اتجاهات التجارة العبارة للأقاليم والقارات، ووضع خريطة تصنيع بعض المواد الرائجة في العالم القديم، كالفخار، والمعادن، والحلي، وما شبه ذلك.

خاتمة:

ارتقى مستوى الدراسات الأثرية في الآونة الأخيرة إلى بلوغ مستوى جدّ متقدم في مجال المقاربات التحليلية، والاستنباطات العلمية بخصوص مكامن الماضي السحيق، وعادت هذه الدراسات بفضل ما طعمت به من مناهج وتقنيات بحث جديدة، مقتبسة من علوم معاصرة عديدة أخرى، تنقسم ضمناً إلى ثلاثة... سويا متطابقة، أدهاها نوصف الأثري (الأركيوجرافيا)، أو جمع بيانات الأثر، وأوسطها المقاربات التحليلية بين الأثر، وما يشابهه من شواهد أثرية معروفة على ضوء ما سبق من دراسات محكمة حول الموضوع، أو ما يُعرف (بالأركيولوجيا)، أي دراسة الأثر لذاته، وأعلاها هو توظيف ذلك الشاهد الأثري كأداة يُبنى عليها البناء الاستنباطي، ساعة سبر أغوار الفترات التاريخية السابقة.

كالبحت عن شكل التعمير الإنساني، وعوامل ازدهاره، وأسباب تداعياته خلال فترة زمنية معينة على رقعة جغرافية محدّدة من سطح الأرض، والخصائص البيئية المحيطة بذلك العمران، ومدى قدرة الإنسان في تطويع الطبيعة لخدمته، وسموّ وعيه لاستغلال ثرواتها المختلفة استغلالاً عقلاً، مدام الأثري بصدد إمطة اللثام على مجتمعات بشرية دارسة، وليس بصدد البحث على التحف الفنية، والكنوز المغرية على حدّ قول "مورتمر ويلر".

وهو ما يتطلّب ليس مجرد مجهود فرد بعينه في معزل على الركب على ما يبدو فحسب، وإنما يتعدّاه إلى تضافر جهود باحثين من تخصصات مختلفة، ويتطلّب مهارات وكفاءات عالية في الميدان، وهذا إن دلّ على شيء، إنما يدلّ على ما تتطوي عليه الدراسات الأثرية اليوم من استعدادات طبيعية للاندماج فيما يُسمّى اليوم بالدراسات المتعدّدة التخصصات من غير كثير عناء.

²⁶ Ibid, p 8.

طاقوس المعلم ابراهيم وجرجس الجوهرى

د. شروق عاشور

الموقع :-

تقع هذه المقبرة بداخل منطقة مجمع الأديان* (مصر القديمة) تلك الأرض الخصبة التي لا تكف عن العطاء الى الآن فهي توجد الى الآن بما هو جديد للبحث الأكاديمي . سيرا بشارع جامع عمرو بن العاص في اتجاه المتحف القبطى بجوار كنيسة مارجرجس للروم الأرثوذكس^(١) يوجد درج هابط عن منسوب الشارع المذكور بما يقرب من ٦ أمتار انخفاض لنجد حاره صغيره هي حارة دير مارجرجس للراهبات الى نهاية هذه الحاره مدخل بالجبه اليمنى يؤدى الى كنيسة ابي سرجه والقديسه برباره ريساراً مدخل معقود يؤدى الى حاره ضيقه تعرف باسم حارة العذراء قصرية الريحان وتعرف بهذا الوجود كنيسة العذراء قصرية الريحان فى المواجهه منها والتي لا يتبقى منها الآن سوى برج الجرس^(٢) فى المواجهه والمشربيه والكنيسه قد حرقت تماماً أعيد بنائها لما كانت عليه سابقاً وفى منتصف تلك الحاره تقريباً يوجد مدخل حديث لسور الكنيسه التى يجاورها المقبره وهى تعرف بكنيسه مارجرجس^(٣) وهذا شئ محبب لدى كثير من الناس حيث يحبون أن يوسدوا أجساد موتاهم بالقرب من الأديره والكنائس ومن هنا أنشأت العديد من المدافن مثال مدافن كنيسه مارمينا فم الخليج ومدافن كنيسه القديسه برباره ومدافن الأنبارويس .

• مجمع الأديان (يعرف الآن على منطقة مصر القديمة والفسطاط وتلك التسمية نظراً لوجود أول مسجداسلامى بمصر جامع عمرو والكنيسة القبطية الشهيرة ابي سرجه ثم وجود الأديرة اليهودى.

(١) كنيسة مارجرجس للروم : أقيمت على أحد أبراج الحض اليونانى الرومانى وقد تعرضت للحريق عام ١٩٠٠ وأعيد تجديدها وهى عامره الآن .
مرقس سميكة - دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديره جزءان - المطبعة الأميرية سنة ١٩٣٠م ص ١١١

(٢) برج الجرس: يعرف كذلك بمنارة الأجراس وهو يحمل جرس الكنيسه ومكانه غالباً عند المدخل الرئيسى أو جهة الهيكل أحياناً ويدق الجرس للتنبيه الى مواعيد القداس أو فى المناسبات الدينيه المختلفه وعادة ما يعلو صليب رمزاً للكنيسه وأحياناً يحتوى على ساعة تحدد مواعيد الصلاة .
الفريد بتلر: الكنائس القبطيه فى مصر - ترجمة ابراهيم سلامه سلسلة الألف كتاب عدد (١٣١)
- الهيئه المصريه العامه للكتاب - القايره ١٩٩٣م - ٢ - ص ٣١٠ -

(٣) كنيسة مارجرجس: بنيت عام ٦٨٤ م وذكرت فى سيرة البطريرك الاسكندر الثانى عام ٧٠٤ حتى عام ٧٢٩ م الا أن كل ما ذكر قد اندثر اثر حريق تعرضت له وقد أقيمت الكنيسه الحاليه على انقاض الكنيسه القديمه .
صموئيل السريانى - عمارة الكنائس والأديره الأثريه - القايره - ١٩٨٧ م ص ١٣٥ -

تاريخيه عن المعلم ابراهيم وجرجس :-

القديس^(٤) العظيم المعلم ابراهيم الجوهرى الـدياكـون^(٥) المعلم جرجس جوهرى. الجوهرىان كما أطلق عليهم الجبرتى فى السيره عنهما يُعتبروا من مشاهير وابغ الأقباط فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فقد اعترفت نيسه بقداستهما وهما رجلان علمانيان وهذا ينفى ما يقال بان القديسين المعترف بهم كنيسه لابد أن يكونا رهبان أو أساقفه ولكن الكل امام الكنيسه سواء ووظيفة الكنيسه تجعل الكل قديسين حسب مشيئة الله " الذى يريد أن الكل يخلعون والى معرفة الحق بلون وهذه هي ارادة الله قداستكم^(٦) ".

فنحن أمام شخصيات تعرف الله وتعطى بلا حدود وتحب وترحم وتحتمل على شدايد بايمان والكتاب المقدس منهجها وهذا ما جعلنا حين اذكرهم لمعرفة المقبره الوصف لها التى يرقنون بها أن القبها بالطافوس بالرغم من استناد تلك الكلمه لراهب بعد مماته فهى لدفن الرهبان بعد نياحتهم بداخل الدير .

التحق المعلم ابراهيم الجوهرى فى بادىء أمره بوظيفة كاتب لدى أحد أمراء عماليك^(٧) واستمر بها الى أواخر أيام على بك الكبير الذى الحقه بخدمته . ولما تولى حمد بك أبو الذهب مشيخة البلاد اسند له رئاسة الديوان ومن هنا ابتداء نجمه يتألق لما توفى محمد بك، أبر الذهب وخلفه ابراهيم بك نقلد المعلم ابراهيم رياسة كـنـاب قطر المصرى واستمر فتره طويله الى أن أنتت الدوله العثمانيه والياً لمصر اسمه ممن باشا فقاتل ابراهيم بك ومراد بك وهربوا الى صعيد مصر ومعهم المعلم ابراهيم جوهرى^(٨) وبعد أن عادوا الى مناصبهم مرة أخرى عاد معهم

استمر على ما كان عليه من رئاسة الديوان لمدة أربعة سنوات الى أن توفى فى ٢٥ نفس سنة ١٥١١ ش و ٣١ مايو ١٧٩٥ م . توفى سلطان القبط كما كان يلقب وسجل

(٤) القديس: شخص عاش حياته طاهر مع الله ورفعته الكنيسه الى مصاف القديسين الاطهار الذين استشهد معظمهم فى الدفاع عن الديانه المسيحيه .

محمد عفيفى: الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى - سلسله تاريخ المصريين ١٩٢٢م ص ٣٠٨
(٥) الـديـاكـون: وتعنى الشماسى باللغه العربيه وهو أحد رجال الكهنوت وله زى معين يرتدى أثناء الطقس الكنسى .

متاؤس: أسقف دير السريان العامر . الميطانيه سنه ١٩٩١ م ص ٨
الكتاب المقدس : العهد الجديد - لوقا الامحاح ١١ - ٤٥

(٦) توفيق اسكاروس: نوابغ الأقباط ومشاهيرهم - الأسقف اسندورس - القاهره - أربعة أجزاء - ج ١ - سنه ١٩٠٩ - ص ٢١٢

(٧) عبد الرحمن الجبرتى : صفحات من تاريخ مصر عجائب الآثار فى التراجم والأفكار ح ٢ - القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٤٢ - ح ٢ - ص ٢٤٢

هذا بنقش قديم على أحد هياكل^(٩) إحدى كنائس دير الانبا بولا ودفن باله قبره التي أنشأها
لنفسه بدرب التقه بمصر القديمة .

ومن أشهر أعماله تعميره للكنائس والأديرة حيث ساعده مركزه في إصدار
فرمانات وقرارات بذلك وقد أوقف عليها أهم أراضيه وعقاراته وأمواله وقد بلغت
حجج الأملاك والوقفات ٢٣٨ حجة مدونه في كشف قديم محفوظ بالدار البطريركية
القديمة^(١٠) وكذلك اهتمامه الشديد بنسخ كتب الانجيل والتفاسير والمؤلفات الدينية
المختلفة وفي كثير من الأحيان كان يستعين ب مترجماً عالمًا باليونانية والعربية معاً
وحبه العطاء الذي لا يوصف وأقام كنيسة تعرف بكنيسة أبي سيفين بداخل كنيسة
الغزراء حارة زويله^(١١) ومسجل النص الإنشائي ببناء لها عام ١٧٧٤ ومن أهم أعماله
السعي لبناء الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية وفعلاً صدر فرمان بالبناء وبدأ العمل
بها الا أنه وافته المنية قبل اتمامها وأكملها أخوه جرجس الجوهرى .

أما عن المعلم جرجس الجوهرى ، أخيه فأعمالهم واحده والثانية مكمله للأولى
فقد أكمل عمل أخيه لرياسة الدبوان مع ابراهيم ومراد بك ثم أتى بعد ذلك اسماعيل بك
ووشى به شخص يدعى يوسف فغضب عليه اسماعيل بك وأقاله من عمله ثم أتت
الحملة الفرنسية الى مصر ١٧٩٨م ولما رأى قائد الحملة نابليون بونابرت حكمة المعلم
جرجس وسداد رأيه اعتبره عميد الأقباط وأهداه جبه مزركتسه مذهبه^(١٢) وظل بمنصبه
رياسة الكتاب لمدة ثلاث سنوات ١٨٠١ م
ولكن بعد دخول الأتراك وتولى محمد على تم اقالته من منصبه واستبدله بالمعلم غالى
فهرب الى الصعيد لمدة أربعة سنوات ثم عاد ملازم له المرض وتوفى في ١٧ توت
١٥٥٧ ش - ٢٧ سبتمبر ١٨١٠ م ودفن بجوار شقيقه بالمقبره مجال البحث^(١٣) .

(٩) هياكل: المفرد الهيكل وهو مكان تقديم الزبيحة (سر الأفخارشييه) يبنى في الجهة الشرقية
للكنيسة ليكون أمام المؤمنين الذين ينتظرون المجيء الثاني للمسيح من الشرق ولا يجوز دخوله
لغير ذو الرتب الكهنوتية كما لا يجوز دخوله بالأحذية .

الفريد بنلر : المرجع السابق - ٢ - ص ٧٠٧

(١٠) سلوى ابراهيم ميلاد: وثائق الباب العالي قسم الوثائق - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٥٣ م .
(١١) كنيسة الغزراء حارة زويله: أنشئت في القرن الرابع الميلادى وصارت مقراً للبطريركية لمدة
حوالى ٣٦٠ عاماً وبها مجموعة هائلة من الأيقونات النادرة أهمها أيقونة البشارة التي تعود للقرن
الثالث عشر الميلادى .

مياخيل بهبيج - حاله الحديد معجزه وتجديد سنه ٢٠٠٠ م ص ٥

(١٢) حيث يوجد له صورته شخصيه بهذه الجبه في متحف فرساي بباريس مع خمس صور ملونه
لعظماء مصر في عهده وهم الشيخ عبد الله الشراقوى شيخ الأزهر - والشيخ السادات - السيد
البكرى - الشيخ سليمان الفيومى - الشيخ محمد المهدي الكبير .

توفيق اسكاروس - نوانج الأقباط - المرجع السابق - ٢ - ص ٢٨٨
(١٣) الجبرتى : المرجع السابق - ٣ - ص ٦٠٤

وأعماله الأخرى كثيرة. أش أخيه ومن أهمها أنه قد أكمل بناء الكنيسة المرقسية بالازبكية التي لم تكتمل في حياة ابراهيم الجوهري وكان ناظراً لكثير من كنائس القاهرة خاصة مجموعة الكنائس بمصر القديمة وقد وجد له العديد من الأناجيل والكتب المنسوخة المهداه منه لكنيسة السيدة العذراء المعادي^(١٤).

الوصف المعماري للمقبرة :-

نحن أمام مدفن مر ، مدافن الطراز العثماني وان كان لم يتبع التخطيط المسمى للقباب ولكن وضع مختلف حيث يوجد مستطيل أو مربع وإذا كان مستطيل يقسم الى مربعين حيث المسطحة واحدة مع إقامة فتحتين بمنامة المقبرة^(١٥) وهذا ما حدث بالفعل في هذه المقبرة ويعلم ما قاعه معماريه ووظيفيه أيضاً حيث استخدمت نلاقامه للمتريدين على المقبره وقد حوت جدرانها على العديد من الدواليب الخشبية لحفظ حاجياتهم وفتحات النوافذ بها متقنة العنق من الخرط وكذلك الأسقف بها زخارف خشبية رائعة عثمانية الطراز ستوصف في حينه .

دخولاً من البوابه المعدنيه حديثه نجد فتحة مدخل مستطيله عرض ٣,٥ × ٤ ارتفاع يؤدي هذا المدخل الى داخل مجمع مار جرجس وهو يشمل على أكثر من منشأ بالجهة اليمنى يوجد حجرات حديثه لخدمات الكنيسة ودورات مياه ومكتبه بالمواجهه يوجد حديقته صغيره والجهه اليسرى هبوطاً بدرج تسع درجات يوجد بيت للقربان قديم ومهدم ومغلق لا يظهر منه سوى بقايا وأجهه فقط يجاور هذا البيت قاعة العرسان^(١٦) ويجاورها مدخل يؤدي الى كنيسة السيدة العذراء قصرية الريحان مواجهه لمدخل قاعة العرسان يوجد مدخل لكنيسة مار جرجس التي يجاورها ويلتصق بها ويشاركها في الواجهه أيضاً طافوس المعلم ابراهيم الجوهري وأخيه جرجس .

واجهة المقبرة :-

- (١٤) السنكسار القبطي: الجامع لسير القديسين والشهداء في الكنيسة القبطيه - جزءان - القاهرة - مكتبة المحبه ح ٢ - بسنش وتوت سن ١٩٦٩
- (١٥) المنامه: اذا كانت صغيره يطلق عليها قبر أو قراهه ، أما اذا كانت كبيره يطلق عليها فسقيه ويؤدي الى هذه المنامه سلالم يعلوها مجاديل أسفلها فتحة تؤدي الى هذه السلالم .
حسنى محمد نوصير : العماره الاسلاميه فى مصر (عصر الأيوبيين والمماليك) مكتبة زهران الشرق - القاهرة - ١٩٨٥م ص ٢١٣
- (١٦) قاعة العرسان: قاعه مملوكية الطراز استخدمت لغرض عمل أفراح الطقس وهى الأفراح التي تتم بالنهار وتقضى يوماً كاملاً صلاه قبلها بتلك القاعه .
الباحثه ذاتها: شروق عاشور نشر بمؤتمر الأثرين العرب - ٢٠٠٤

من أمام بيت القربان هبوطاً خمس درجات لنجد بائكة مكونة من ثلاث عقود حدوة الفرس^(١٧) محمولة على عمودين من الرخام كل عمود له قاعده موجه من الرخام وبدن دائري وتاج منحوت عليه زخارف نباتية^(١٨) لزهرة اللوتس يعلوه تلك التيجان قاعدة بها صفيين من المقرنصات تحمل العقود ويربط تلك الأعمده والعقود روابط خشبية تلك البائكة طولها ١١,٦٠ متراً وعرضها ٦ أمتار أرضيتها حجريه من ابلاط الحجرى وأهم ما يميزها هو الحائط المقابل لفتحات العقود بطول ١١,٦٠ متراً وارتفاع ٦,٤٠ متراً حيث به مجموعة من النوافذ ومشربيه خشبيه مقياس ٣,٥×٣م آيه فى الروعه والجمال^(١٩) تلك المشربيه من الخشب العريزى الخرط^(٢٠) وتبرز عن الحائط بحوالى ٦٠ سم الى الخارج ويوجد بها ١٧ نافذة من الخرط اليمين عدد ٦ نوافذ متحركة فقط والباقي ثابت كما يوجد فى أركان المشربيه عمودين دائريين بطولها والجزء السفلى من المشربيه منحنى للداخل خال من الزخارف ينتهى بصف من المقرنصات الخشبيه ويعلوها سقف مسطح يزينه بمقدار بروزها شرف خشبيه يعلوه المشربيه بنفس عرضها شباكاز مستطيلان مرتده للداخل على حائط القاعه التى تعلوه

(١٧) حدوة الفرس: هو عقد يرتفع مركزه عن رجلي العقد ويتألف من قطاع دائرى أكبر من نصف الدائرء وهو كثير الاستعمال فى الشبابيك والبوابك .
توفيق أحمد عبد الجواد - تاريخ العماره والفنون الاسلاميه - دار وهدان للنشر ١٩٧٠ م
ص ٥٩

(١٨) زهرة اللوتس: يرجع استخدام زهرة اللوتس كعنصر زخرفى الى العصور القديمه حيث لعبت دوراً بارزاً فى الزخرفه المصريه القديمه ذات أصول فرعونيه وقد أخذت شكلاً جديداً فى الفن الاسلامى ومرت بمراحل غيرت الى حد ما من ملامحها وقد استخدمت فى الفتره العثمانيه بكثره .

Farid Shafie, simple calyx ornament in islamic Art. Cairo university paris - 1956.p.33

(١٩) المقرنصات: ربما أخذت من الكلمه العربيه مقرفص أى جالس القرفصاء ويعرف فى بلاد المغرب باسم المقرفص أو المقربص وهى عباره عن حلبه معماريه تتكون من قطع من الخشب أو الحجر على شكل عقود صغيره الجزء العلوى منها بارز عن السفلى وتوضع بجوار بعضها البعض فتكون كورنيش بارز .

Rousseau : (G) L'Art Decoratif Musulman paris - 1934. p21-34.

(٢٠) المشربيه: معالجه معماريه مصريه اسلاميه تسمح بدخول الرياح المطلقه ولا تسمح بدخول أشعة الشمس وعادة ما توضع المشربيات لتغطى السطح الخارجى للشبابيك حيث تتمتع بالخصوصيه وتلطيف الجو .

توفيق أحمد عبد الجواد - المرجع السابق ص ١٥٣

المشربيه مباشرة بعرضها وارتفاع ٥٠ سم ومغطى بخرط ميمون^(٢١) أيضاً ثم النافذه الثانيه بارتفاع ٥٠,٥٠ سم من الخشب الخرط أيضاً ومقسمه الى ثلاثة أجزاء متماثلة فيما بينها اطار خشبي والشباك يفصل فيما بينهم برطوم خشبي كبير ٢٠ سم وهو يقوم مقام الأعتاب الحامله للمشربيه وأسفلها يوجد لوح رخامي أبيض مستطيل الشكل ١,٥٠ م طول ٨٥× سم عرض وقد سجل عليه نص كتابي يحمل تاريخ وفاة كلا من المعلم ابراهيم الجوهري وأخيه جرجس الجوهري باللغه العربيه أولاً يليها اليونانيه وضيع المستطيل العلوي مزدان بدائرة بداخلها صليب^(٢٢) كبير يحيط باللوحه الرخاميه وحدتين من الخشب عباره عن عقدين نصف دائرين تلك الوجدتين تفتح كلا منها على منامه المقبره يميناً منامه ابراهيم الجوهري وتلك الفتحة تقرب من اللوحه الرخاميه بنصف متر والوحده الثانيه تتعد يساراً عن اللوحه الرخاميه بما يقرب من ٢ م وهي خاصه بمدخل لمنامه جرجس الجوهري تلك الوجدتين متطابقه في الزخارف والمساحه وتبرز عن الحائط بحوالي ٦٠

سم الى الخارج ويوجد بها ١٧ نافذه من الخرط الميمون عدد ٦ نوافذ متحركة فقط والباقي ثابت كما يوجد في أركان المشربيه عمودين دائريين بطولها والجزء السفلي من المشربيه منحني لمدخل خال من الزخارف ينتهي بصف من المقرنصات الخشبيه ويعلوها سقف مسطح يزينه بمقدار بروزها شرف خشبيه يعلوه المشربيه بنفس عرضها شباكان مستطيلان مرتده للداخل على حائط القاعه التي تعلوه المشربيه مباشرة بعرضها وارتفاع ٥٠ سم ومغطى بخرط ميمون أيضاً ثم النافذه الثانيه بارتفاع ٥٠,٥٠ سم من الخشب الخرط أيضاً ومقسمه الى ثلاثة أجزاء متماثلة فيما بينها اطار

^(٢١) **طريقة الخرط:** استخدم الفنان المسلم طريقة الخرط بصفة خاصه في عمل المشربيات والشبكيات وفي بعض الأحيان هذا الخرط يوجد منه شكلاً زخرفياً أو كتابياً وبلغ مستوى عالي في العصر المملوكي فقد كان للعامل الديني والمناخي أثر هام في ابتكار تلك الطريقه حفظ حرمة أهل المنزل والقطع الطويله سميت مصعبات وتركب مع بعضها أفقياً ورأسياً بطريقة التشويق .
حسن الباشا : موسوعة العمارة والآثار والفنون الاسلاميه - مكتبة الدار العربيه للكتاب -
القاهرة - ١٩٩٩م - ٢ - ص ٢٧١

الخرط الصهرجي: عبارة عن قطع من المكعبات الخشبيه متصله بقطع خشبيه اسطوانيه الشكل تركب في اتجاهات رأسيه وأفقيه بطريقه التشويق .
عبد السلام أحمد نظيف / دراسات في العماثر الاسلاميه / الهيئه المصريه العامه للكتاب
سنه ١٩٨٩م - ص ٢٥٨

^(٢٢) **الصليب:** هو الرمز الرئيسي للدين المسيحي فهو شارة المسيح نفسه وهو من الرموز الدينيه التي شاع استخدامها على العماثر والمنتجات المسيحيه وشاع استخدامه في القرن الرابع الميلادي بعد اعلان قسطنطين أن الدين الرسمي للدوله البيزنطيه هو الدين المسيحي ولقد تعددت استخداماته وتنوعت أشكاله ومنه الصليب اليونان - المثلث ذو الأطراف المدببه المعقوده .
تادرس يعقوب ملطي - الكنيسه بيت الله - الصليب والأيقونه - الاسكندريه ١٩٧٧م - ص ٤٨١

خشبي والشباك يفصل فيما بينهم برطوم خشبي كبير ٢٠ سم وهو يقوم مقام الأعتاب الحامله للمشربيه وأسفلها يوجد لوح رخامي أبيض مستطيل الشكل ١,٥٠م طول × ٨٥ سم عرض وقد سجل عليه نص كتابي يحمل تاريخ وفاة كلا من المعلم ابراهيم الجوهري وأخيه جرجس الجوهري باللغة العربية أولاً يليها اليونانية وطلع المستطيل العلوي مزدان بدائرة بداخلها صليب كبير يحيط باللوحه الرخامية وحدتين من الخشب عبارة عن عقدتين نصف دائريين تلك الوحدتين تفتح كلا منها على منامة المقبرة يميناً منامة ابراهيم الجوهري وتلك الفتحة تقترب من اللوحه الرخامية بنصف متر والوحده الثانية تبتعد يساراً عن اللوحه الرخامية بمايقرب من ٢م وهي خاصة بمدخل لمنامة جرجس الجوهري تلك الوحدتين متطابقة في الزخارف والمساحة أيضاً عرض ١م × ١,٢٠م ارتفاع قوام الزخارف بداخله عشر حشوات خشبيه الوسطى أكبرهم تعرف باسم الزخرفه المفروكه وهذه الوحده من أسفل بها وزره طوله ثم يعلوها ثلاثة ثم المنطقه الوسطه عبارة عن وحده مربعه بداخلها المفروكه يحيط به جزئين طوليين ثم من أعلى غطيت بثلاث حشوات بنفس استدارة العقد .

كما يوجد على يمين المشربيه بنفس حائط الواجهه باب خشبي مغلق دوماً يسير محاذاً لفتحة المنامه ولكن يعلوها بعض الشيء طوله ٢,٣٠م × عرضه ١م ربما يؤدي الى داخل المنامه أيضاً هذا الباب قوام الزخارف به ١٧ حشوه خشبيه مستطيله تسع وحدات منها نانمه وثمان وحدات قائمه .

يعلو هذا الباب شباك كبير من الخشب الخرط بمساحة ١,٦٠م × ١م لرمح مخروطه تعطى في تقاطعها أشكال لصلبان .

ويعلوه شباك آخر ويفصل بينهما برطوم خشبي داخل الحائط عتب ولكنه أصغر بعض الشيء من السابق ١,٢٠م × ٩٠ سم وهو من الخرط أيضاً قوامه الزخرفه به عبارته عن اطار طولي وعرضي يعطى شكل مستطيل بداخله وحده تشبه وحده المبخره^(٢٣) .

السقف :-

سقف البائكه المستطيله التي تتقدم الواجهه الرئيسيه للمقبره مساحته تقريباً ٨,٥م ول × ٣,٥ متر عرض وهو من الخشب المزدان بطريقة التجميع والحفر عبارة عن ١٦ برطوم يسير بعرض المساحه المستطيله كبدن يثبت في رفرق يوجد ما بينه ١٧ بحر تزدان تلك البحوز جميعاً بزخارف هندسيه يغلب عليها الطبق النجمي في

(٢٣) للصانع المصري مهاره عاليه فهو يدرك أن الأخشاب ماده طبيعيه تتكمش وتتمدد لذلك استخدم الحشوات الصغيره وجمعها معاً لعلمه بأنها أقل تعرضاً للتقلص مع الاحتفاظ بكل جزء منها ومهارته في عمله أشكال عديده من تجميعها معاً .

كثير من البحور والباقي معينات ومربعات وتجميعات معظمها مكرر في أكثر من بحر ويوجد به الآن بقايا بسيطة لألوان أزرق وأحمر لأنه من الملاحظ أنه تم دهانه في فترة لاحقة باللون البني القاتم .

حيث نجد البحر الأول قوام زخارفه عبارة عن نجمة سداسية مكرره ومتلاصقه مع بعضها البعض ثم البحر الثاني عبارة عن مثنى مكرر يعطى شكل زخارف عش النمل ثم البحر الثالث عبارة عن طبق نجمي^(٢٤) مجمع من الترس بالمنتصف ولوزه وكندة تحيط به اثني عشر لقمه صغيره ثم البحر الرابع وهو عبارة عن مثنى مزدوج ثم البحر الخامس عبارة عن طبق نجمي مكون من عشر لقم فقط ثم البحر السادس وهو عبارة عن نجمة مسدسه^(٢٥) بداخلها مسمار مكويج كحليه داخله للنجمه ثم البحر السابع وهو عبارة عن طبق نجمي ولكن من ثمان لقم فقط ثم البحر الثامن وقوام زخارفه أيضاً عبارة عن طبق نجمي لكن من ست لقم فقط ثم البحر التاسع والعاشر عبارة عن مثنى مكرر ثم البحر الحادي عشر عبارة عن طبق نجمي لثمانية لقم ثم البحر الثاني عشر قوامه طبق نجمي ثمانى اللقم ثم يلتصق به نجمة خماسية صغيره ثم البحر الثالث عشر عبارة عن طبق نجمي به عشر لقم ثم البحر الرابع عشر عبارة عن زخرفة نجمة سداسية ثم البحر الخامس عشر قوام زخارفه طبق نجمي مكون من اثني عشر لقمه ثم البحر السادس عشر قوام زخارفه عبارة عن وحده مثنى مكرره ثم البحر السابع عشر قوام زخارفه عبارة عن نجمة سداسية .

الواجهه الجانبية الخارجية اليمنى للمدفن :-

هى عبارة عن حائط حجرى مسط والواجهه الخلفيه للمدفن نصل اليها عبر ممر طويل يحده عن اليمين ممر من جدار حجرى بارتفاع ٣ م وعن اليسار الجدار الحجرى للمدفن وتطل على مساحة مفتوحة مسورة بجدران حجرية عن يمين الداخل من الممر وأمامه بينما يحدها من اليسار جدار كنيسة مارجرجس التى تجاور المدفن وكلها جدران مسمطة خالية من أى عناصر .

(٢٤) الطبق النجمي star pattern: يتألف الطبق النجمي من ثلاثة أشكال رئيسيه وهى الترس واللوزه والكندة ويربط بينهم أشكال هندسيه مختلفه ويوجد مثل معروف لطبق نجمي حقيقى فى الفن الاسلامى بمسجد الأقصى ببيت المقدس ٥٦٤ - ٥٧١ هـ ١١٦٨ م - ١١٧٥ م حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الاسلاميه مكتبة الدار العربيه للكتاب القاهرة - ١٩٩٩ م - ص ٩٥

(٢٥) النجمه السداسيه: هى وحده مثلثين معاً نجمة عربيه اسلاميه أصليه وقد ظهرت بمحراب السيده رقيه من ٦ هـ - ١٢ م كما ظهرت بتابوت المشهد الحسينى ٦ هـ - ١٢ م عبد السلام أحمد نظيف - دراسات فى العمارة الاسلاميه ص ٢١٨

الواجهة الخلفية للمدفن :-

مساحتها حوالي ٤م × ٦ م وهي من الطوب الأجر توجد بها عناصر متفرقة بعضها خشبية وبحالة جيدة . وهذه العناصر من اليمين الى اليسار هي كالآتي :-

(١) نافذة تطل من خلالها على الردهه التي تتقدم القاعة أعلى المدفن من الخلفيه ستوصف مع الردهه فتحة نافذة مستطيلة أبعاد مسدوده باطار خشبي ذو مصبات خشبيه عدد ٦ صفوف طوله ٩ عرضيه يفصل بينها قائم خشبي طولى فى الوسط يقسمها لقسمين متماثلين يتقاطع مع قائم خشبي عرضي يقسم الربع العلوى للنافذة الى قسم منفرد مسدود بالخشب الخرط - ويفصل بينها وبين النافذة السابقة حوالي ٢ م / يعلوها نافذة مسدودة بلوح خشبي آخر حديث بعد حوالي ٢ م يوجد فتحة نافذة مستطيلة بأبعاد حوالي ٣ × ٢م من نفس طراز مقارب لطرز النافذة السابقة لكنها تخلو من المصبعات التي فقدت تماماً ولم يبق سوى القوائم الثلاثة التي تقسمها :

- الجزء العلوى من النافذة مقسم بلوحات عرضيه مسدوده بالخشب الخرط هناك أجزاء كبيرة منها مفقودة .

- يلي هذه النافذة نحو الأعلى فتحة نافذة مستطيلة تخلو الا من الاطار الخشبي الخارجى والقائم الخشبي العرضي فى الربع العلوى منها مساحتها حوالي ٢ × ٣ م يفصل بين النافذتين عرق خشبي عرضي بطول حوالي ٥م × ٢٠ سم عرض .

- الجانب الأيسر من الواجهه الخلفيه يضم العناصر الآتية من أعلى الى أسفل

- فتحة نافذة مستطيلة بأبعاد ١,٢٠ سم × ٨٠ سم مسدودة بقوائم معدنيه وشبك سلك مقنوب .

- يلي النافذة عرق خشبي عرضي بطول حوالي ١,٥ م × ٢٠ سم عرض يليه فتحة نافذة مستطيلة مسدودة باطار من الخشب تضم مصبعات خشبيه بعدد ٤ طوله ٦ عرضيه يفصل بينها لوح خشبي عرضي يقسم النافذة من المنتصف الى قسمين متماثلين .

(٢) يوجد أسفل النافذة السابقة بعد حوالي ١,٤٠ سم عرق خشبي عرضي بطول

حوالى ٢,٥ م × ٢٠ سم يليه نافذة مستطيلة صغيرة بأبعاد حوالي ١/٢م × ٦ سم مسدودة بقوائم معدنيه طوله ٤ وعرضيه ٢ وعليها شكل الصليب من المعدن.

مدخل القاعة الجنائزیه :-

بالجانب الشمالى الشرقى من البائكة المعقوده يوجد بابان أحدهما وهو الشمالى

يؤدى الى ردهة مكشوفة مساحة ٢,٥ × ٣ م قائمة بين مبنى كنيسة مارجرس وبين المنامه والباب الآخر يؤدى اليه بواسطة درج سلم صاعد سبع درجات ويعلوها فتحة

نافذة مستطيلة عليها مصبغات خشبية تقاطعها يعطى شكل للصلبان دخولا من فتحة الباب الى مساحة مستطيلة مسقوفة بعروق خشبيه كالبرطوم^٢ بعرض ٢٠ سم بعد تلك المساحة يوجد خمس درجات صعود أيضا لنجد ردهة مساحتها حوالى ٤ × ٤,٥ م مسقوفة أيضا ببراطيم خشبيه ولكن مغطاه بحصر حديثه يوجد بتلك الردهة أكثر من نافذة يساراً بعد الدخول نافذة تطل على المساحة المكشوفة سابقة الذكر ومن الأمام نافذتين ضمن دخاتين عن مستوى السطح الخارجى للحائط بحوالى ٦٠ سم يفصل بينهما جزء من الحائط عرضه حوالى ١/٢ م - النافذة اليمنى أصغر من اليسرى أبعادها حوالى (١م × ٢م) أما اليمنى فأبعادها حوالى ١,٢٠ م × ٢,٢٠ م وهى مسدودة باطار خشبى ذو مصبغات خشبية نصفها الأعلى مفقود تماماً والنصف الموجود منها ب٦ صفوف طوليه من المصبغات و٦ صفوف عرضيه . بينما تخلو النافذة اليسرى الا من الاطار الخارجى الذى توجد به أماكن تثبيت صفوف المصبغات ويوجد قائم خشبى عرضى بالنصف العلوى من النافذة يبعد عن الاطار العلوى لها حوالى ١/٤ م ويعلو كلا من النافذتين مباشرة عتب خشبى بعرض ٢٠ سم وطول ١ م للنافذة اليمنى و١,٦٠ م للنافذة اليسرى .

- الحائط عن يسار الداخل للردهة حائط مسمط بينما الحائط المقابل له والموجود عن يمين الداخل يوجد به الباب خشبى المؤدى الى القاعة الجنازئية التى تعلق المدفن وهو من نفس طراز البابين السابقين ذكرهما حيث أن أبعاده حوالى ١,٢٠ م × ٢ م تقريباً ويحتوى على حشوات خشبية قائمة ونائمة فى ٥ مستويات هى من الأعلى الى الأسفل ٣ حشوات مستطيلة نائمة ثم ٤ قائمة ثم ٣ نائمة ثم ٤ قائمة ثم ٣ نائمة فى الجزء السفلى من الباب .
- وللباب مقبض معدنى مستطيل وهو ذو لون بنى داكن ويوجد على جانبى فتحته من أعلى مقرنصات حجرية كحليه فقط .
- يوجد بالثلث العلوى للجدار على اليسار فتحة نافذة مستطيلة أبعادها حوالى ١ × ١,٥ م مسدودة بالخشب الخرط المقسوم من المنتصف بقائم طولى الى قسمين متمائلين يحوى كليهما اطراً خشبياً فى الوسط .
- يلى النافذة السابقة نحو الأسفل فى النصف الأيسر من هذا الحائط فتحة كبيرة بالحائط مسدودة بالخشب الخرط بأبعاد حوالى ٢,٥ م × ٢,٣٠ سم مقسومة من المنتصف بقائم خشبى طولى يقسمها الى نصفين متمائلين ومن المتعذر

(٢٧) تتم غالباً صناعتها من افلاق النخيل وعادة ما تكون دائريه أو تهبذ حسب الرغبه ونكس بالواح رقيقة من الخشب حوالى نصف سنتيمتر .

ملاحظة طبيعة شكل أو تفاصيل سطح الخشب لأنه مغطى بلوحتين مستطيلتين بأبعاد حوالى $1 \times 2,30$ لكل منهما تقريباً عليها لوحات مرسومة السفليه تمثل الفشاء السرى والعلويه عليها مشهد للسيد المسيح وسط تلاميذه وعليها فى الركن الأيسر السفلى مكتوب اسم الرسام وتاريخ الرسم (رسم صادق فرج - ١٦٦٨ ش ترتفع اللوحات على سطح الأرض بحوالى ٨٠ سم) .

وفصل بينها وبين الباب حوالى ١,٢٠ سم بينما يفصلها على الحائط الأيسر حوالى ٣٠ سم بينما يفصل بين النافذتين العلويتين حوالى ١,٦٠ سم بينما تبعد النافذة اليسرى على السقف وعن الحائط الأيسر بحوالى ٦٠ سم وكذلك تبعد النافذة اليمنى عن السقف بحوالى المساحة ذاتها بينما يفصلها عن الحائط الأيمن حوالى ٢٠ سم ، أرضية هذه الردهة حجرية دخولا من هذا الباب " المدخل " يوجد الحائط البحرى للقاعة ويوجد فيه بعد الباب مباشرة دولا ب صغير داخل الحائط مكون من دلفه واحده عرضه حوالى ٨٠ سم وارتفاعه حوالى ٢ م وعمقه داخل الحائط بحوالى ٢٥ سم تعلو دلفة هذا الدولا ب فتحتين من الخشب مفرغتين بشكل جمالى يشبه المشكاه وهى تستعمل كرفوف فوق الدولا ب .

والدلفه بنفس طراز باب المدخل مقسم الى ٥ أقسام عن طريق الحشوات الخشبيه ويعلو هذا التقسيم الفتحتين السابق ذكرهما .

يستعمل هذا الدولا ب فى حفظ الأناجيل وبعض الأشياء الخاصة بالطقس الكنس وهذا الحجم من الدولا ب يوجد منه أربع دوايب فى هذه الحجره اثنان داخل الحائط البحرى واثنان داخل الحائط القبلى .

أعلى كل دولا ب من هذه الدوايب تجويف الدولا ب نفسه من الداخل ممتد الى أعلى يصل الى السقف أو قبله بقليل هو نفس فراغ الدولا ب وعمقه وينتهى بعته تحميل من الخشب .

على الجانب الأيسر من الدولا ب ولأعلى قليلاً يوجد كرادى^(٢٩) الأول الممتد الى السقف وهو واحد من أربع كرادى وكل اثنين متقابلين متشابهين . وتلك الكرادى الأربعة متصله بالحائط البحرى والحائط القبلى هذا الكرادى عبارة عن شكل مثلث من الرأس المتصلة بالسقف وله ضلعين بزوايه قائمه

(٢٩) الكردى - كرىدى - كرادى - كرد بالتركيه والفرسيه المستدير أى كل شىء به استداره ومعريه من كرد بمعنى العنق أو الرقبه وهى حليه نوع من الكابولى تستخدم عادة ما يكون كل اثنين متقابلين يحصران ما بينهم مقبره خشبيه .

محمد أمين ولبلى على ابراهيم - المصطلحات المعماريه فى الوثائق المملوكيه - الجامعه الأمريكيه بالقاهره ج١ - سن ١٩٩٠ - م ص ٩٤

الضلع الأكبر على الحائط والأصغر متصل بالسقف ويستخدم كعامل مساعد في تحميل السقف

الضلع الثاني لهذا المثلث شبه دائري لغرض الشكل الجمالي للكردي . تحت الضلع الأول من الكردي المتصل أو المثبت بالحائط يوجد امتداد للكردي وهو عبارة عن شكل لعامود ح.مل لزاوية الكردي العلوية وبه تاج عامود مربع الشكل خشبي محفور عليه عدد من المقرنصات نهايتها يتصل ببدن العامود وهو دائري الشكل وآخر ينتهي أيضاً بشكل المقرنصات المحفورة بالخشب التي تنتهي بدورها الى نهاية المقرنص الصغيره .

بواجهة هذا الكردي من الناحية الأخرى " القبليه " كردي آخر له نفس المواصفات ويتصلان ببعضهما البعض عن طريق مدام خشبي " برطوم " اسطوانى الشكل ينتهي من طرفيه المتصلين بالكوابيل بحفر المقرنصات عند نهايته على نفس الحائط البحرى يوجد فى منتصفه تقريباً تجويف كبير داخل الحائط يحوى بداخله المشربيه الرئيسيه الكبيره المطله على الصحن الخارجى وبعمق حوالى ١,٥ م وارتفاع حوالى ٤,٥ م وله جلسة خشبية ترتفع عن أرضية القاعه بحوالى ٤٠ سم .

وهذه المشربيه تتكون من واجهه وجانبين وسقف ، الواجهه تتكون من أربعة أجزاء متشابهة ترتفع من الجلسه على قاعدة خشبية حوالى ٣٠ سم بها من الخارج الحشوات الأربعة المستطيلة ومن الداخل ألواح خشبيه مسمطه ليس عليها أى زخارف .

أما الأجزاء الأربعة المتشابهة وهى شكل المشربيه الرئيسى فهى تتكون من : جزء من الخشب الخرط من النوع الميمون^(٣٠) يتوسط مستطيل خشبي صغير بداخله أيضاً الخشب المخروط . يعلوه مستطيل أكبر يتوسطه أيضاً مستطيل بداخله خشبي يحوى بداخله الخشب المخروط ويفصل بين الجزء الأسفل والجزء الأوسط عارضه خشبيه .

أما الجزء العلوى من الدلفه فهى مستطيله صغيره بالعرض بداخله مثبت الخشب الخرط.

أما الجانبين للمشربيه فهما نفس الوصف الا أن المستطيل العلوى مرتفع قليلاً من أحد أضلاعه الجانبيه .

(٣٠) الخرط الميمونى: عبارته عن قطع خشبيه مخروطية الشكل مركزها كرة خشبية تأخذ هذه القطع ثمانية اتجاهات بادئة من المركز التى هى الكره الخشبيه أربع خطوط متقاطعة .
عبد السلام أحمد نصيف المرجع السابق ص ٦٤

سقف المشربيه مستطيل الشكل مسط غير مفرغ أبعاده ١,٥ م × ٥٠ سم تقريباً وعليه يوجد زخارف خشبية بارزة على شكل صليبان يعلو هذا أسقف بزاوية قائمة " أرضية قائمة " مستطيل عرضه ٢,٥ م وارتفاعه ٣٠ سم في الوجهه وهو مقسم الى ٥ أقسام متساوية من الخشب الخرط يعلوها كمرّة تحمّل من الخشب ثم واجهة أخرى مستطيلة الشكل أيضاً مقسمه الى ثلاث شبابيك بداخل كل واحد منها مستطيل من الخشب بداخله أيضاً الخشب الخرط الصغير " الميمون " وهذه الشبابتك تحت السقف مباشرة يفصلها من السقف العتب الحامل للسقف وهي بعرض ٢,٥٠ م وعمق ٥٠ سم .

-١٦-

على الجانب الثاني من المشربيه من نفس الحائط البحرى يوجد الكابولى الثاني من انجانب الآخر من السقف وهو مكون من نفس الأجزاء السابقة للكابولى الأول شكل الضلع الدائرى من رأس الكابولى على شكل زخرفى مثل أوراق الشجر بدن ملتوى مع نهايات ملتفه حول بعضها لتكون دوائر داخل بعضها .

تاج العامود تحت رأس الكابولى أيضاً محفور عليه مقرنعات من أعلى العامود وأسفله .

بدن العامود مختلف عن الآخر وهو محفور عليه زخارف هندسيه غائره على شكل رباعى الأضلاع .

وهذا الكابولى يقابله كابولى آخر على الحائط القبلى المواجه وله نفس المواصفات ويتصلان ببعضهما البعض بمداد خشبى " برطوم " دائرى له نهايات مقرنعه . أما البدن فيتكون فى الشكل فقط من جزأين محفور عليه خطوط مائله غائره فى كل جزء تتقابل فى المنتصف .

بجانب هذا الكابولى دولا ب صغير داخل الحائط دلفة واحدة له نفس مواصفات الدولا ب الأول .

الحائط الغربي المواجه لباب القاعة به دولا ب داخل الحائط بعرضها تقريبا يتوسطهم مجموعتين من الأرفف المفتوحة التي لها واجهه زخرفيه مفرغه من الخشب . وعدد الأرفف في كل مجموعة ٣ أرفف والدولا ب مقسم كالتالي :-

- دلفه ثم مجموعة أرفف ثم دلفه في المنتصف ثم مجموعة أرفف ثم دلفه . ويعلو هـ _____ ذا

التقسيم رف كبير بعرض الدولا ب كله مقسم الى ٧ فتحات بنفس الشكل الجمالي للأرفف

السابقة ويستخدم نفس غرض تخزين الدولا ب الأول يعلو هذا الدولا ب أيضا تجويف _____ ف

داخل الحائط وهو تجويف الدولا ب نفسه وهو مرتفع يصل الى السقف مباشرة ع _____ ن

طريق عتب حامل للسقف ارتفاعه حوالي ٣٠ سم بعرض السقف " عرض الحائط " .

-١٧-

- بجانب هذا الدولا ب باب خشبي يصعد اليه عن طريق ٥ درجات وهو يختلف قليلا ع _____ ن

باب المدخل في الشكل حيث ينقسم أيضا الى ٥ أقسام عن طريق الحشوات الأول

حشوتين مستطيلتين ثم القسم الثاني حشوتين مستطيلتين في الأجناب يتوسطهم مربع ب _____ هـ

عدة حشوات صغيرة ليكون الشكل الجمالي المعروف باسم " المفروكه " وهذه الحشوة

بها أربعة مفروكات يتوسطهم حشوة مستطيلة الشكل .

القسم الثاني كالأول " حشوتين مستطيلتين " .

القسم الرابع كالثاني " مفروكه " .

القسم الخامس كالأول " حشوتين مستطيلتين " .

هذا الباب يوجد خلفه مخزن عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل لتخزين الأغراض اللازمة للصلوات من شموع وبخور وخلافه . ويعلو هذا الباب العتب الحامل للسقف الممتد من أعلى الدولا ب المجاور له

على الحائط القبلى يوجد دولابين من نفس النوع السابق كل دولاب دلفه واحده ولهما نفس المواصفات للدولاب الدلفة الواحدة ويتوسطها تجويف مقابله للمشريبيه ولكن أكبر قليلاً من تجويف المشريبيه وبه شبك من الخشب أنخرط من النوع الكبير على شكل صلبان وله قاعدة مرتفعة عن الأرض بحوالى ٥٠ سم . يقوم هذا الشباك على قاعدة خشبية مسمطة عرضها حوالى ٣ م وارتفاعها حوالى ٤٠ سم وهى محفور عليها ٦ دوائر موزعة على المساحة كلها فى هذه الدوائر بعض الأشكال والأقوال الماثورة وهى موزعة كالتالى :

* فى الدائرة الأولى: محفور شكل الصليب وا٤ أربع رؤوس على شكل زهرة اللوتس محفور بداخل كل زهرة ثلاث أشكال صغيرة .

وبين كل زهرة وأخرى يوجد شكل رباعى يشبه المعين ولكن له أربع أضلاع منحنية والدوائر كلها حوالى ٣٠ سم قطر لكل واحدة .

* فى الدائرة الثانية: حفر فى المنتصف صليب صغير لاتينى^(٣١) ويتوسط كل خط من الصليب أربع نقاط ومكتوب حول الصليب فى شكل الدائرة عبارة : المجد لله فى الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسره .

* فى الدائرة الثالثة والرابعة: مكرر مايدخل الدائرة الأولى .

* فى الدائرة الخامسة: محفور فى المركز صليب صغير له نفس مواصفات الدائرة الثانية ومكتوب حوله فى محيط الدائرة مانصه من أمن بى ولومات فسجيا .

* ثم فى الدائرة السادسة: صليب بنفس مواصفات الدائرة الأولى والثالثة والرابعة يرتفع فوق هذه القاعدة فتحة الشباك الرئيسية وهى مقسمة الى أربعة أقسام طوليه بداخلهم الخرط من النوع الصهرجى ويعلو هذه الشبايبك الأربعة تقسيم آخر من ثلاثة أجزاء عرضيه ويعلو منها خشب خرط أصغر من سابقه . ثم يمتد هذا التجويف لأعلى بفتحة أخرى خالية ومغطاه بخشب حديث وتصل الى السقف عن طريق العتب الخشبى الحامل للسقف .

بعد هذا التجويف يوجد كما ذكرنا دولاب خشبى من دلفة واحدة ثم يليه تجويف آخر داخل الحائط بعرض حوالى ١م ومرتفع الى السقف ومقسم الى قسمين فوق بعضهما وواضح انه كان به خشب خرط ولكنه مفقود بالكامل ومغطى بالواح خشب حديثة ويعلو هذا الشباك العتب الحامل للسقف ولكنه من جزوع النخيل وبه عدد ٤ جزوع غير مغطاه بأى شىء .

(٣١) الصليب اللاتينى: Latin cross عبارة عن صليب القائم السفلى له أطول من القوائم الثلاثة

الأخرى.

سعاد ماهر - الفن القبطى - القاهرة ١٩٧٧م ص ٣٥

على الحائط الشرقي يوجد تجويف آخر داخل الحائط كبير مواجه للدولاب الموجود على الحائط الغربي .

بداخل هذا التجويف شبك من خشب الخرط الكبير وهو مقسم كالتالي : يرتفع هذ الشباك عن الأرض عن طريق جلسة خشبية بحوالي ٤٠ سم وهذه الجلسة حوالى ٦٠ سم × ٢,٥ م وهى بعرض الشباك يرتكز هذا الشباك على قاعدة خشبية مسطحة ارتفاعها ٢٠ سم وطولها ٢,٥ وهى منقوش عليها عن طريق الحفر نفس الدوائر ولكن بحجم أقل من الشباك السابق وبها نفس الأشكال والأقوال فى الدوائر السابقة بنفس الترتيب والتوصيف يعلو هذه القاعدة الشباك المقسم الى ٣ أقسام طوليه بداخلها الخشب الخرط الكبير على شكل الصليب وهو مفقود منه أجزاء كبيرة .

يعلو هذا التقسيم تقسيم آخر من جزئين بالعرض بداخلهما الخرط ومفقود منه أجزاء بسيطة ويعلوهما عتب حامل للجزء العلوى من الشباك المقسم الى قسمين كل قسم بداخله برواز خشبي آخر متصلين ببعضهما بالخشب الخرط المتوسط الحجم .

سقف القاعة الجنائزية:-

سقف خشبي مقسم الى ثلاثة أقسام الأوسط منها شبه مربع والجزءان الجانبيان مستطيلات بمساحة كلية حوالى ٩ × ٢٦ م .

الجزءان الجانبيان متماثلان حيث يتكون من مجموعة من الألواح الخشبية التى يحيط بها اطار خشبي بعضهما مستكمل ولا يحمل لونا فى الجزء الذى يعلو المدخل والذى يبدو عليه النقوش على عكس الجزء الآخر ولون هذه الأجزاء بنى محروق دهانات حديثه .

يتوسط هذين الجزئين عدد ٣ وحدات معينه ٢ منها أصغر من الوسطى وتأخذ شكل الاطار وتوجد بوضع متصل بالجزء الأوسط الذى يحمل وحدة دائرية بها زخارف بعضها مستكمل ولا يحمل لونا فى الجزء الذى يلي المدخل عكس الجزء الآخر ليس به استكمالات .

الجزء الأوسط من السقف وهو الأكبر عبارة عن ألواح خشبية متصلة محاطة باطار خارجي يليه اطار داخلي كبير والمساحة بين الاطارين خالية من الزخارف فيما المساحة بين هذا الاطار والمربع الداخلى تحتوى زخارف عبارة عن قصع^(٣٢) يبه نجمة ذات ٤ أطراف ويتوسط هذه الوحدات جميعاً رؤوس مسامير خشبية يتصف القصع .

^(٣٢) السقف القصع: عادة ما يكون على شكل قباب صغيره ملتصقه معاً تشبه القصع المقلوبه وغالباً يكون لها اطار مثنى أو مسدس أو مربع والقصع هى وعاء يؤكل فيه وكان يتخذ من الخشب غالباً والجمع قصع وقصعات .

عبد الرحيم غالب - موسوعة العماره - المرجع السابق ص ١٢٧

يتوسط هذه المساحة من السقف مربع عبارة عن شريط من الزخارف المطموسة وبدأخله مربع آخر أصغر يتوسطه طبق نجمي وبين المربعين شريط من الزخارف الهندسية والمربع الداخلى عليه زخارف أخرى مطموسة تختلف عن الأخرى وقد نفذت هذه الزخارف بطريقة ضرب الخيط^(٣٣) للتنفيذ ويوجد بها بقايا ألوان من اللون الأحمر والأزرق والأبيض الباهت بعض الشيء^(٣٤) ، يرتكز السقف من خلال حدود الجزء الأوسط المربع منه على الحوائط بزوجين متقابلين من الوحدات الخشبية (كابول) بين كل مهما برطوم محفور عليه زخارف وينتهى مل منها ببرطوم قائم يستند على الحائط ينتهى بوحدة مقرنصة وعليه زخارف فى الجزء الداخلى اما الزوج القريب من المدخل فليس عليه زخارف .

(٣٣) طريقة ضرب الخيط: وهى من الطرق التى استخدمت فى زخارف الأخشاب وهو تعبير اصطلاحى عند رجال الفن من النجارين فى العصر المملوكى (يعرف برسومات بلدى) وترسم بواسطة خيط يغمس فى الجبس أو الحجره ويشد بين مسماري فى الاتجاه المطلوب ويتم التقسيم به لأشكال هندسية .

عبد اللطيف ابراهيم - الوثائق فى خدمة الآثار - دار الطباعة الحديثه - ١٩٥٨م - ص ٤٣٨

(٣٤) تلوين الخشب ظهر منذ آلاف السنين واستخدمت الألوان المعدنية والترابيه والنباتيه وكذلك الطلاء بالبيويه والأسطر وهو من الأعمال الهامه على المشغولات الخشبيه بعد تمام صنعها حتى تحفظها من تأثيرات الجو مع اعطائها منظرأ جميلاً

Sarage (J-D) professional furniture refinishing for the Amateur . New York 1980 - P 97 .

الخاتمة

- (١) يتناول هذا البحث بداية اثنين من الشخصيات المسيحية التي كانت لها مكانة هامة في انتشار الفن القبطي بسبب الانفاق بسخاء على الكنائس والأديرة .
- (٢) اهتمت تلك الشخصيات بأدق الأمور بكلاً من الكنيسة والدير خاصة الأيقونات المخطوطات وقباب المذابح بل تطرق الأمر لبناء كنيسة اضافيه لكنيسة حارة زويله وكذلك البطريركيه القديمه وعديد من الكنائس الاضافيه بالأديره .
- (٣) توضيح مدى العلاقة الطيبة والمعاملة الحسنة لأهل الذمه في فترة المماليك وكذلك أثناء الدولة العثمانية ووصولهم لأعلى المناصب الوظيفيه ليس فقط عند هذا الحد بل العلاقة القوية كعلاقات شخصية كما كانت مع المعلم ابراهيم الجوهري ومراد بك الذى بكاه وافقده وسار في جنازته بعد مماته .
- (٤) الاهتمام الواضح بان تندى المقابر بجوار الكنائس والأديره وأصبحت مثال واضح لذلك .
- (٥) طراز المقبره عثمانى الطراز يحاكي الفتره التى أنشئت فيها وتوحد الفن فى كثر من المنشآت سواء كانت قبطيه أو اسلاميه .
- (٦) تعتبر تلك المقبره قاعه منتجه للأخشاب فقد توجد بها أكثر من أسلوب زخرفى وطرق مختلفه لتصنيع تلك الأخشاب وزينتها فقد توج السقف ذو البراطيم فى أكثر من جزء منها وأسلوب تنفيذه يذكرنا بسقف دركاه المدخل الرئيسى بقصر الأمير بشتاك ٧٤٠ هـ - ٣٣٩ م وكذلك بمدرسة ثائر الحجازيه لردهة المدخل عام ٧٦١ هـ - ٣٦٠ م كذلك وجد بسقف القاعه الداخليه أسلوب القصع وهو أسلوب مميز من الزخارف وتواجد أمثله له بمدرسة السلطان برقوق مرسيل زاوية فرج ابن برقوق ، كذلك وجد أسلوب ضرب الخيط وهذا الأسلوب فى الزخرفه مميز ويعطى نتيجة هائلة من تعدد الألوان سواء لطبقة التحضير أو ما يحيط بها من زخارف .

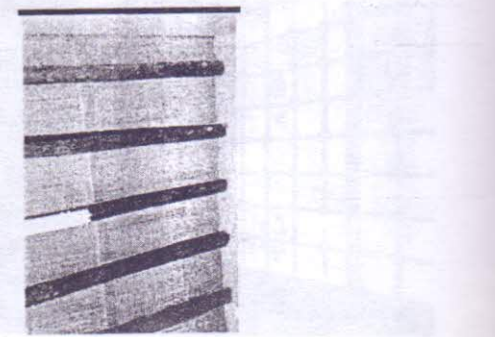
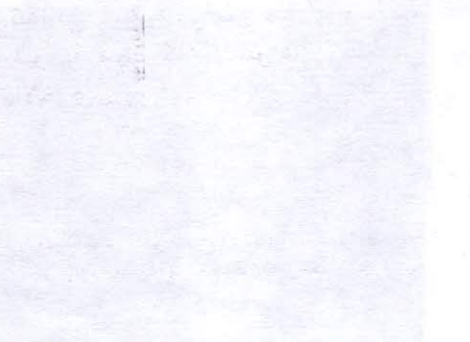
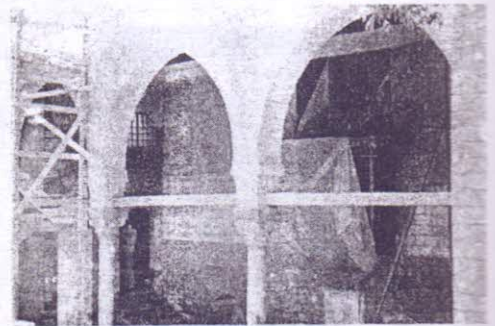
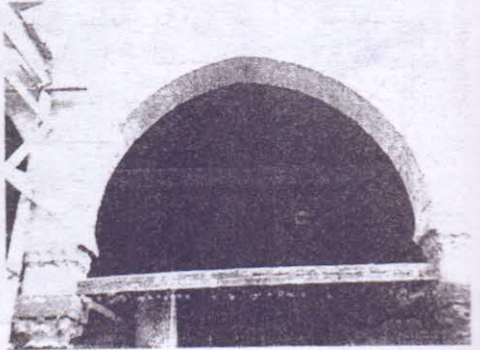
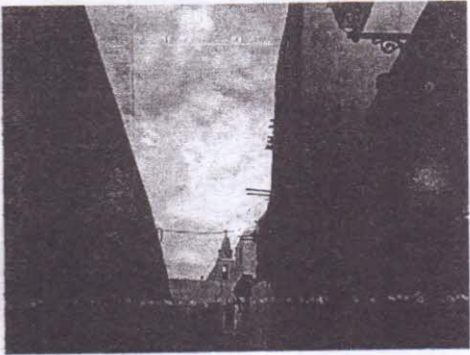
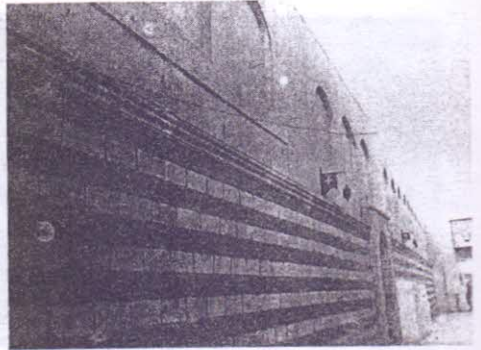
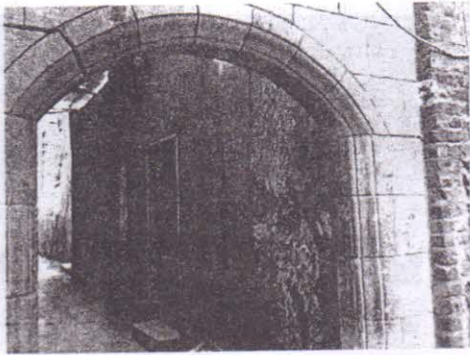
قائمة المصادر والمراجع العربية

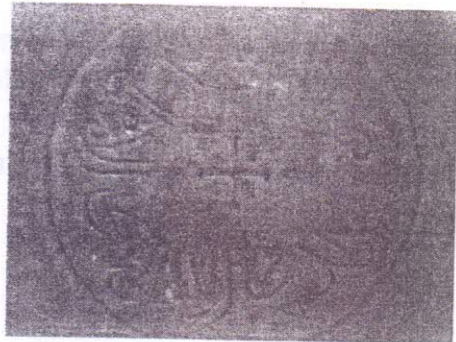
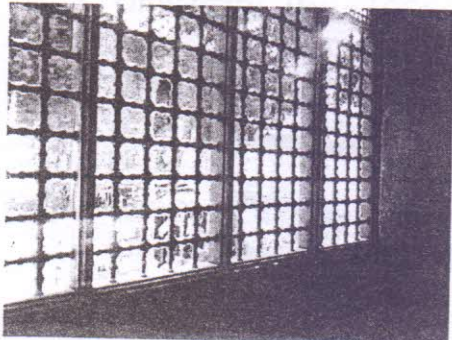
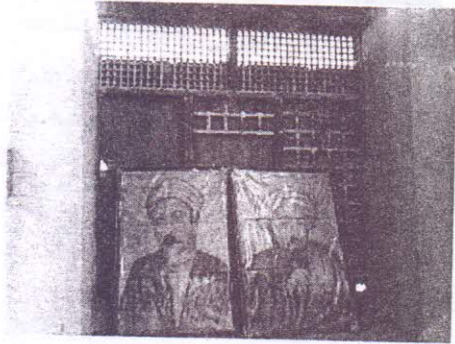
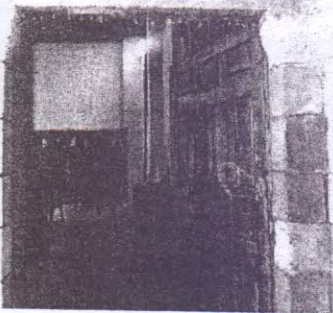
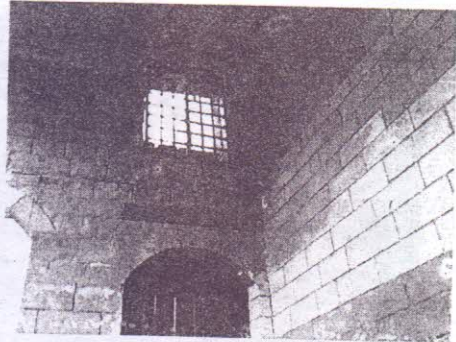
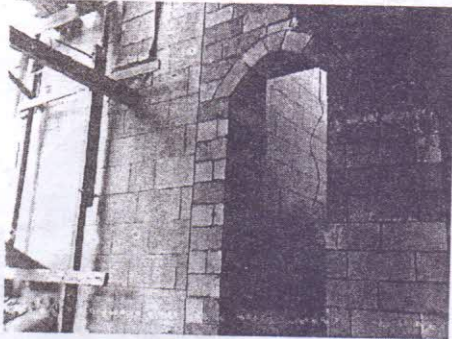
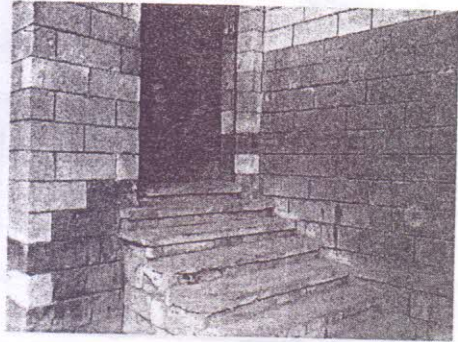
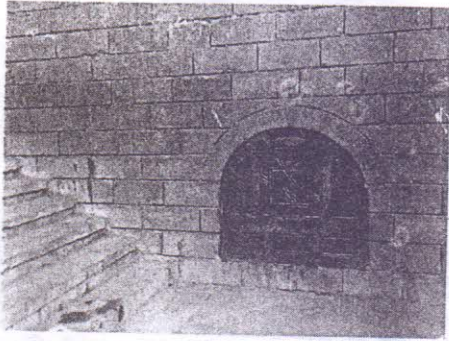
- (١) الكتاب المقدس . العهد القديم والجديد .
- (٢) السنكسار القبطى : الجامع لسير القديسين والشهداء فى الكنيسه القبطيه - جزان - القاهرة - مكتبة المحبه ١٩٦٩ م .
- (٣) الفريد بتلر - الكنائس القبطيه فى مصر - ترجمة ابراهيم سلامه - سلسله الألف كتاب عدد ٣١ - الهيئه المصريه العامه للكتاب القاهرة - ١٩٩٣ م .
- (٤) توفيق اسكاروس : نوايح الأقباط ومشاهيرهم - الأسقف اسندروس القاهرة - أربعة أجزاء ١٩٠٩ م .

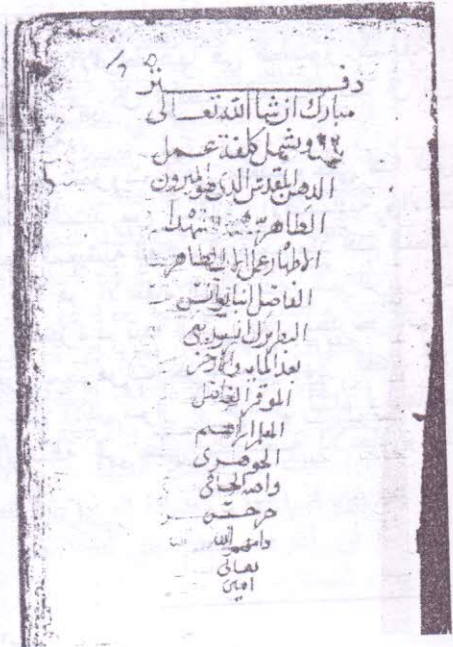
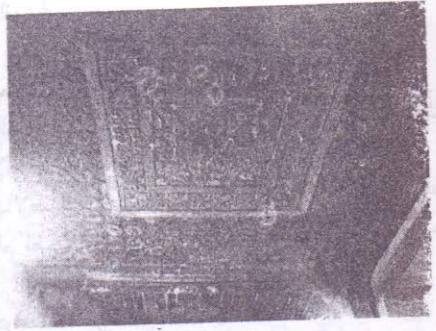
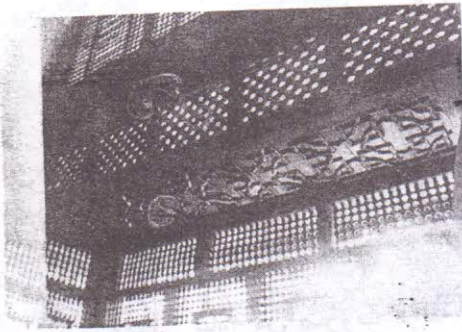
- ٥) توفيق أحمد عبد الجواد - تاريخ العماره والفنون الاسلاميه - دار وهدان للنشر ١٩٧٠م.
- ٦) تادرس يعقوب ملطى - الكنيسه بيت الله الصليب والأيقونه - الاسكندريه ١٩٧٧م .
- ٧) حسن الباشا - موسوعة العماره والآثار والفنون الاسلاميه - مكتبة الدار العربيه للكتاب - القايره - ١٩٩٩م .
- ٨) سلوى ابراهيم ميلاد : رساله مخطوطه بكلية الآداب - قسم الوثائق جامعه القايره ١٩٥٣م .
- ٩) سعاد ماهر - الفن القبطى - القايره ١٩٧٧م .
- ١٠) صموئيل السريانى - عمارة الكنائس والأديره الأثريه - القايره ١٩٨٧م .
- ١١) عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار دار الطباعه الحديثه ١٩٥٨م
- ١٢) عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة .
- ١٣) عبد السلام أحمد نظيف : دراسات فى العماائر الاسلاميه - الهيئه المصريه العامه للكتاب ١٩٨٩م .
- ١٤) محمد عفيفى - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى - سلسله تاريخ المصريين ١٩٢٢م .
- ١٥) مرقص سميكه - دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديره - جزءان - المطبعه الأميريه ١٩٣٠م .
- ١٦) محمد أمين وليلى على ابراهيم : المصطلحات المعماريه فى الوثائق المملوكيه - الجامعه الأمريكيه بالقايره . ١٩٩٠م .
- ١٧) متاؤوس - اسقف دير السريان العامر - الميطانيه ١٩٩١م .
- ١٨) ميخائيل بهيج : حالة الحديد معجزه وتجديد ٢٠٠٠م .

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

- 1) Farid Shoie, simple colyx arnament in Islamic Art Cairo University- Paris 1956.
- 2) Rousseau : (G) Lart Decoratif Musulman - Paris - 1934 .
- 3) Dimand (M.S) A Hand look of Mohamimed an Decorative Arts - New York 1930.
- 4) Poole (S.L.) the art of the Saracens in Egypt London .1886.
- 5) Sarage, (J-D) professional furniture refinishing for the Amateur . New York 1980.







مقبرة المعلم ابراهيم الجوهري - تعلم بمصر - ع

الحلي الجزائرية
مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية
د. عائشة حنفي

للحلي والمجوهرات دور هام في تاريخ الشعوب وبناء شخصية الإنسان ويتخذ العديد من الباحثين والمؤرخين من دراستها وسيلة لإلقاء الضوء على الدراسات الشخصية أو الاجتماعية والاقتصادية في مختلف العصور. بالإضافة إلى نواحيها الجمالية والفنية التي يتميز بها كل مجتمع. كما أنها تعكس الذوق العام لمختلف فئات المجتمع وتطورها على مر العصور.

فالحلي عامة من ضروب الزينة التي عرفت المرأة استعمالها منذ أقدم العصور بل أصبحت من مهمات الزينة عندها. ولم يسمع التاريخ أن المرأة لم تأخذ قسطا منها خاصة في المناسبات والأفراح حتى أننا لاحظناها تلجأ أحيانا إلى استعارتها في مثل تلك المناسبات. ومما يلاحظ أن طريقة استعارة وتأجير الحلي في المناسبات لا تزال معروفة إلى يومنا هذا. فمن طريف ما ذكرته المصادر في هذا الصدد ما ذكره الأصفهاني نقلا عن ابن هرمة قوله "مرت بي جويه صفراء مليحة كنت أستحسنها وأكملها إذا مرت بي، فمرت اليوم فرأيتها وقد وجم وجهها وتغير خلقها فسألته عن خيرها فقالت "استعار أهلي حليا وتقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى ولم أشهد العرس. فقال ابن هرمة فأطرد لي الشعر فقلت:

كتقابة لحلي مستعار بأذنيها فشانها تقوب

فردت حلي جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها تدور^١

ولقد أفرطت النساء في استعمال الحلي والإفراط فيها في العصور السابقة وبقيت كذلك في العهد العثماني في المناسبات والأعراس في كل الأقطار العربية. كما أن من أول مهام الأزواج هو تقديم جملة من الحلي عند الخطبة.

تعتبر الجزائر من بين الدول التي تزخر بمروث ثقافي متعدد وحلي هذا الموروث تعكس نمط التعدد وتثريه وتلقي الضوء على العديد من الحقائق الاقتصادية والاجتماعية والفنية التي أثرت وتأثرت بأسلوب ونمط الحياة المعيشية للفرد والمجتمع منذ أقدم العصور.

"جسم بدون حلي جسم بدون روح" هذا هو الاعتقاد السائد لدى الجزائريين، فالحلي ترافق المرأة منذ ميلادها حتى موتها، وهي صغيرة لم تبدأ المشي بعد، نجد حركاتها الأولى مكيلة بأساور تطوق يديها الصغيرتين. تعتبر المجوهرات جزءا من جهاز الفتاة، لذا كانت تبدأ في جمعها في سن مبكر. تضع المرأة على الأقل سوار أو قرطين أثناء أداءها للأعمال اليومية مهما كان مستواها الاجتماعي، بالإضافة إلى حلي مخصصة للأعياد والمناسبات الأخرى.

^١ الأصفهاني (أبو الفرج)، كتاب الأغاني، ط ١، ١٢٢٣.

^١ بن ونيش (فريدة)، المجوهرات والحلي الجزائرية، وزارة الثقافة، ١٩٧٨، ص ٩

تتحصل الفتاة عند استقبالها للشباب الذي يتقدم لخطبتها على حلي وأما عند إتمام طوبة فإن والدي الخطيب يقدمان لها مجموعة من الحلي التي ورثتها عن والدتها لأن لمجوهرات العائليه تنتقل في العادة من الأم للبنات ولا تهدي لزوجة الابن. الحلي بالنسبة للمرأة الجزائرية هي جزء مما تفرضه التقاليد على الرجل حيث يتوجب على رجل عند عقد قرانه بزوجته أن يجلب لها بعضا من الحلي حسب إمكانياته المادية، وهذه الحلي لها عرضان أساسيان هما التزين بحيث تزيد المرأة من جمالها وأناقتها كما تعتبر الحلي إظهارا وضمانا اجتماعيا للمرأة إذا ما صادفتها مشاكل مادية معينة حيث تقوم ببيعها أو مقايضتها في أي زمان ومكان لكونها مصنوعة من الذهب أو الفضة وهذه المعادن في الغالب تحافظ على قيمتها المادية وسهلة البيع أو المقايضة ويقول جورج مارسي في هذا الصدد " تعتبر الحلي سبائك متقلبة أكثر ما هي جمالية فهي مدخرات صالحة للتبادل وتباع عند الحاجة².

في يوم الزفاف تبرز العروس كل ما عندها من الحلي، لأن ذلك يعتبر بالنسبة للأسرة وسيلة للتباهي والافتخار بالثروة، أما بالنسبة للزوجة فذلك يعني أنها دخلت حياة اجتماعية جديدة، وأنها ستتحمل منذ الآن المسؤولية الجديدة الملقاة على عاتقها، كما أنها ارتقت بدورها إلى مرتبة جديدة كربة بيت.

وفي اليوم الثاني من الزفاف يقدم الزوج لزوجته هدية تدعى " حلية الكلمات الأولى " وعند تقديم العروس لرجال الأسرة، فأقرب الزوج يقدمون للعروس بعض الحلي كهدايا تدعى " حق الخروج ". كما تقدم للمرأة حلية عند كل مناسبة أو عند الولادة وخاصة إذا كان المولود ذكرا وكذلك عند كل حدث هام في حياة المرأة.

ترتدي المرأة حليها في العادة ولاسيما خلال الاحتفالات العائلية والدينية حتى ولو شكلت لها حملا ثقيلًا فهي تتحمل ويساعدها على ذلك معرفتها بأنها نقطة إعجاب وتقدير الحاضرين. إن كل ما تحصل عليه المرأة يعد ملكا لها تدخرها لضمان مستقبلها ولا يناقشها في كيفية التصرف في ملكها شخص آخر.

وارتأيت في هذه المداخلة أن أعرف الحاضرين بمجموعة من حلي محفوظة بالمتحف الوطني لآثار القديمة والفنون الإسلامية تعود إلى الفترة العثمانية (ما بين القرنين ١٨ و ١٩) وهي مجموعة محفوظة ضمن كنز يعود إلى ما قبل الفترة الرومانية.

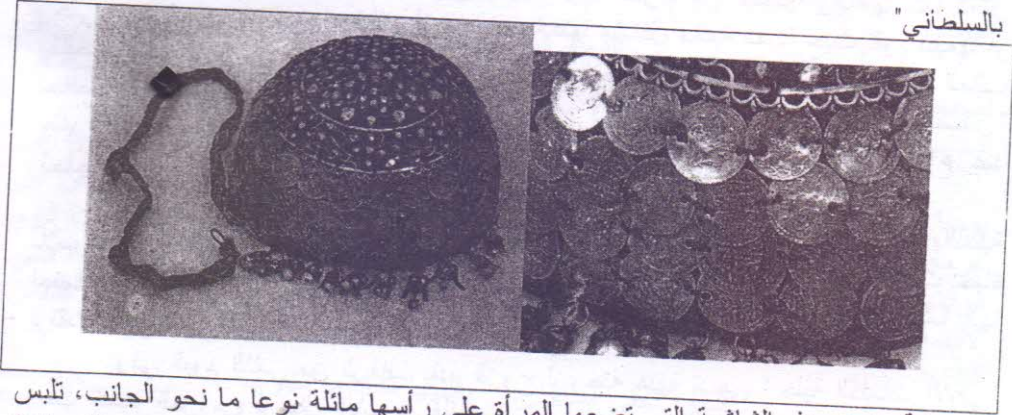
وتبين لنا من هذه المجموعة الذوق الرفيع الذي وصلت إليه المرأة الجزائرية ومهارة الصانع وتعدد استخدامها في المناسبات والأعياد ودورها في إظهار شخصية المرأة خلال هذه الفترة بشكل خاص حيث أنها تحمل العديد من الدلائل والرموز التي تظهر وضع المرأة اقتصاديا واجتماعيا بين قريناتها بالإضافة إلى نوعية المعادن والأحجار الكريمة وأسلوب الصناعة. وسأحاول أن أعرف كيف يتم لبس هذه الحلي وتسميتها في كل من مدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان.

² Marçais(G), les bijoux musulmans de l'Afrique du Nord, Alger, 1958, p 9

لقد تنوعت الحلى الجزائرية في أشكالها وتصاميمها ووظيفة استخدامها فمنها ما يستخدم كحلية للراس واليدين والأقدام ومن أمثلة هذه الحلى:

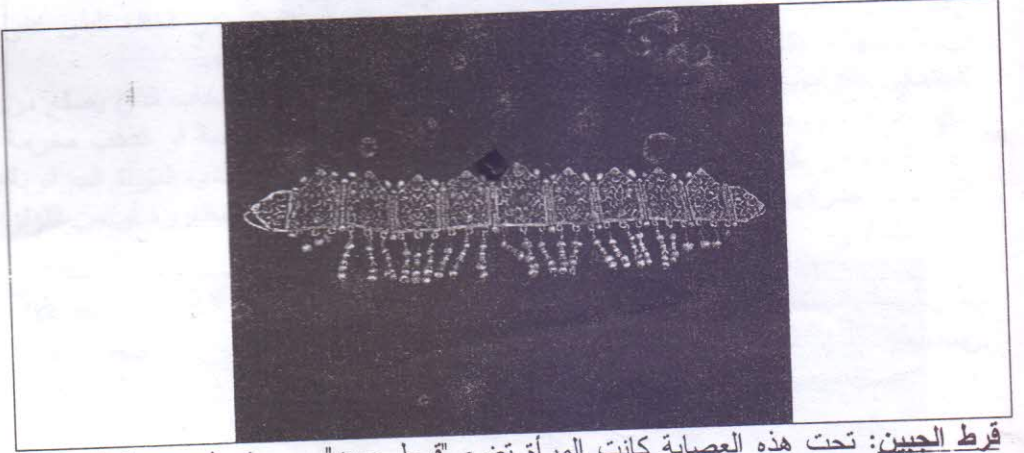
غطاء الرأس:

كانت تضع المرأة فوق رأسها شاشية من الذهب أو من الفضة زخرفت بطريقة التخريم وتكون في بعض الأحيان مرصعة بالأحجار الكريمة وتحاط بصف أو أكثر من النقود الذهبية عليها كتابة تبين لنا وتؤكد على انها تعود إلى الفترة العثمانية. وتعرف هذه القطع "بالسلطاني"



العصابة: تحت هذه الشاشية التي تضعها المرأة على رأسها مائلة نوعا ما نحو الجانب، تلبس عصابة من الذهب أو الفضة وتعرف بالعصابة بمدينة الجزائر وبالجبين بكل من قسنطينة وتلمسان. وكانت هذه القطعة مميزة جدا. وتضع المرأة غالبا عصبتين أو ثلاثة الواحدة فوق الأخرى. تتكون العصابة من سبع قطع مستطيلة تعرف "بالقطاعة" تصلها مفصلة تصل بين القطاعة والأخرى. تحتوي كل قطعة على أشكال نباتية مخرمة وبارزة مرصعة بالأحجار الكريمة، يعلوها هلال أو أنصاف مراوح نخيلية. تنتهي العصابة بمجموعة من الدلايات التي رصعت هي الأخرى بأحجار الكريمة.

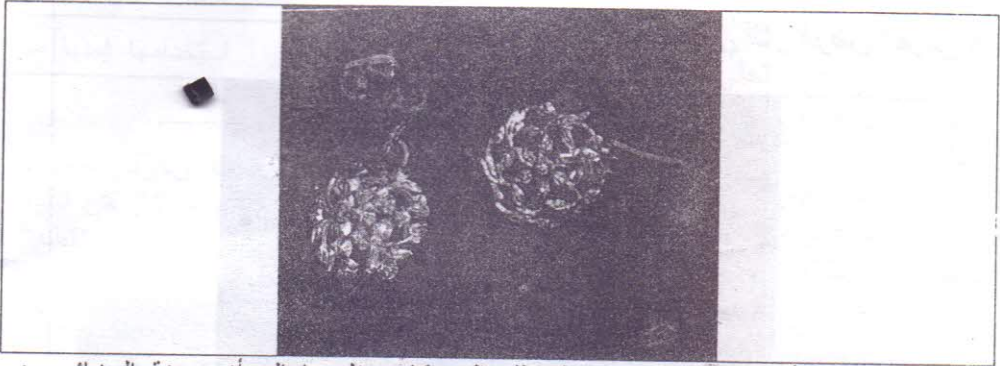




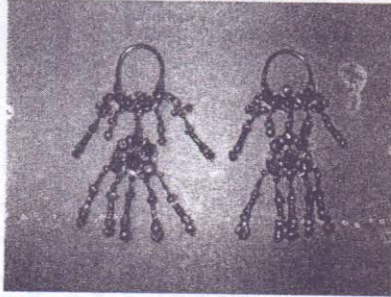
قرط الجبين: تحت هذه العصابة كانت المرأة تضع "قرط جبين" معروف في مدينة الجزائر بخيط الروح وبالزروف في قسنطينة وتلمسان. إذا كانت المرأة بمدينة الجزائر تضع واحدا فقط فالمرأة بقسنطينة وتلمسان تضع ثلاثة أو أربعة الواحد فوق الآخر متباعدين فيما بينهم حتى يجعل العناصر الزخرفية الموجودة في الوسط بارزة. يتكون قرط الجبين من عدة وريادات أو نجمات من الذهب، أو الفضة تصل بين الوريادة والأخرى سلسلة صغيرة، ترصع بلألى وتنتهي وريادات الوسط بدلايات.



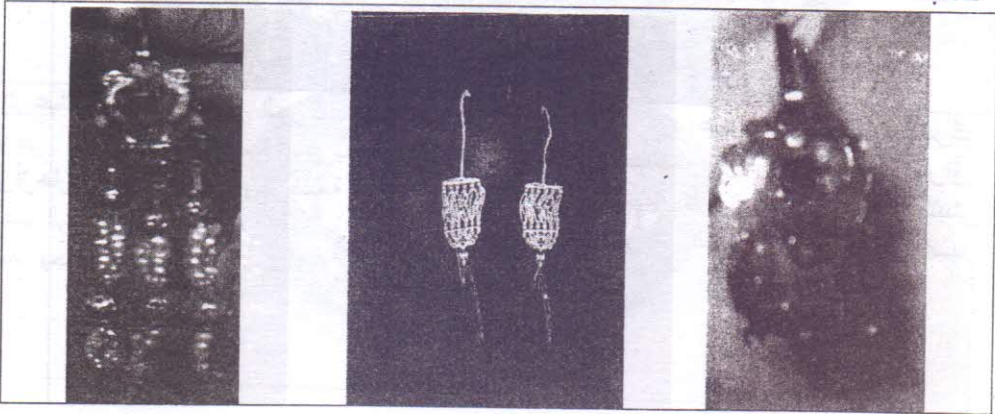
الرعيشة: تنهي المرأة الجزائرية حلي الرأس برعيشات وهي عبارة عن دبوس يتحرك وهو على شكل صفيحة دائرية مخزومة تحتوي على عناصر زخرفية قوامها أوراق وأزهار مراوح نخيلية ومرصعة بالماس. خصصت هذه الحلية لأن ترشق في الشعر تثبت هذه الوردة على ساق من الفضة ذو نابض يسمح للحلية بالرّعش كلما حركت المرأة رأسها مما يجعل الألماس تبرق بشدة.



الأقراط: كانت الأقراط مختلفة ومتنوعة فتلك التي كانت تلبسها المرأة بمدينة الجزائر من الذهب مقطعة ومرصعة بالأحجار الكريمة ومزينة بدلايات مصنوعة من اللؤلؤ الغير متاسق.

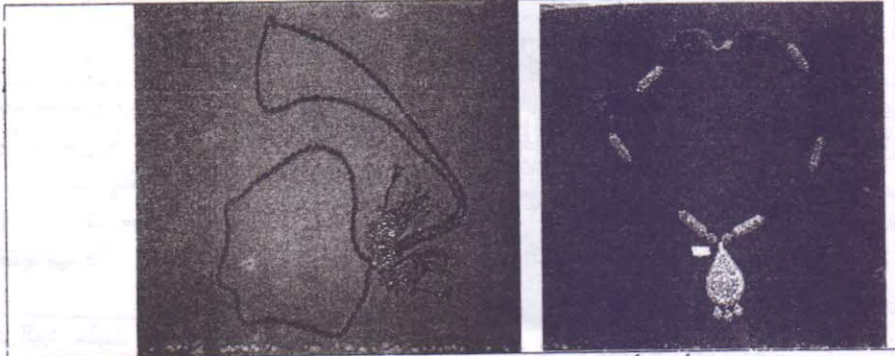


تعرف الأقراط بقسنطينية بخرص الحنش وهي عبارة عن صفيحة على شكل رأس شعبان محورة، تلحم مع القرط وترصع باللؤلؤ الأزرق اللون.
أما أقراط المرأة التلمسانية فكانت تعرف " بناب الجواهر" وهي أقراط كبيرة من الذهب. يتكون الجانب السفلي للقرط مسطحا ويرصع في بعض الأحيان بالأحجار الكريمة ويحتوي على حلقات خصصت لتحمل عدة صفوف من اللؤلؤ الغير متساوي وكريبات مفرغة من الذهب.

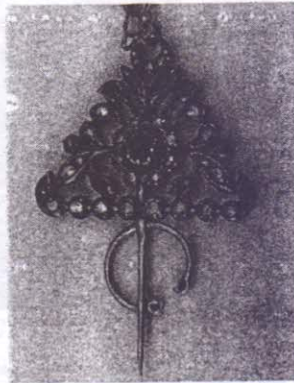


دراسات في آثار الوطن العربي 4

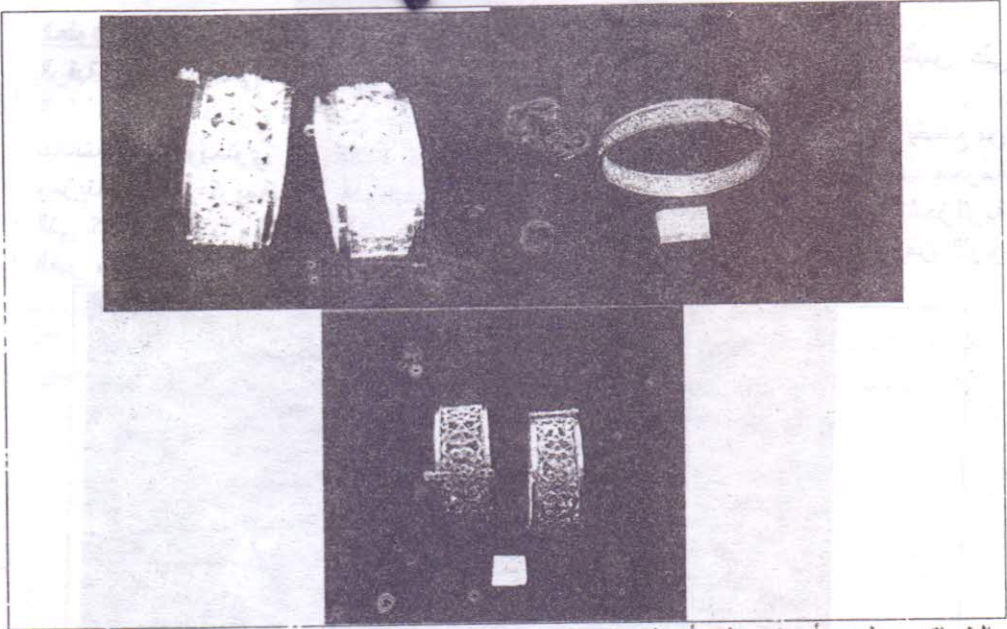
العقود: إن عقود التي تستخدمها النساء متنوعة الأشكال والتصاميم وفي العادة تلبس على الرقبة ومنها ما يتدلى أجزاء منها على الصدر وتصنع من النفضة أو الذهب. السلطاني عقد مصنوع من قطع نقدية ذهبية يعرف بالشتوف وكذلك السخاب الذي يصنع من نباتات عطرة ويحتوي على قلادة تعرف "بالمسكية" وهي علبة من الفضة أو الذهب مخرمة ومزينة بأحجار كريمة. كل هذه الحليات كانت الأكثر تميزاً وتفضيلاً لدى المرأة الجزائرية التي كانت تشركها وتجمعها غالباً مع عقود أخرى متكونة من سلاسل مظفورة أو من اللؤلؤ الغير متساوي.



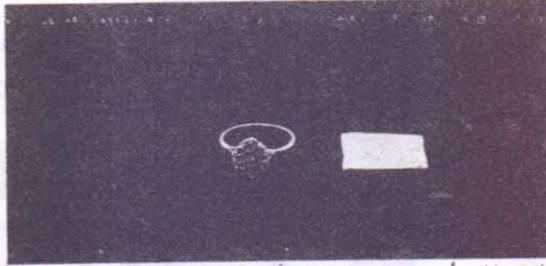
الأبازيم: استعملت المرأة الأبازيم لتشدّ بها لباسها وكانت ذات زخارف مخرمة ومرصعة بأحجار كريمة واللؤلؤ.



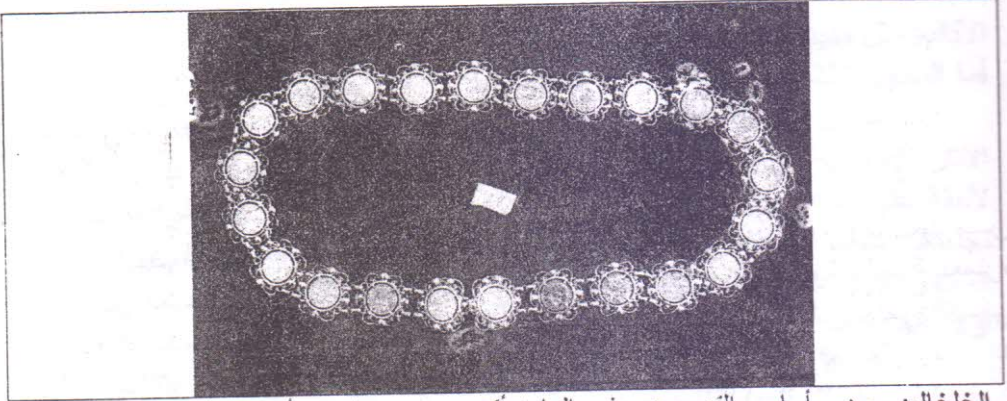
الأساور: تلبسها عادة المرأة في كلتا يديها وهي متنوعة الأشكال والأحجام ومنها ما هو مصنوع من الذهب والفضة. وتختلف تصنيع وتصميم الأساور من منطقة إلى أخرى وبتسميات متنوعة فهناك المسابيس والحدايد والمقياس المسموت والمقياس المشبك. البعض منها كان مزين بعناصر زخرفية مضغوطة أو مطرقة أو محزوزة أو حتى بارزة والبعض الآخر كان مخرماً.



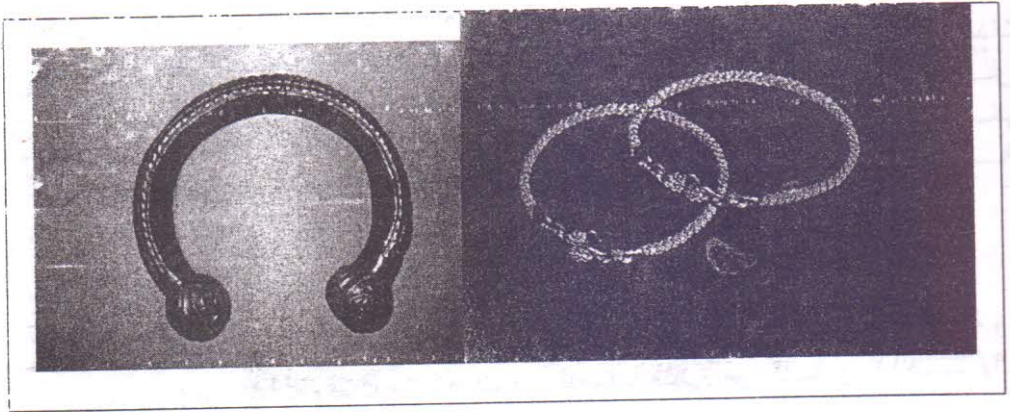
الخواتم: حليت أصابع المرأة الجزائرية بخواتم متنوعة ومختلفة تكون ذات سطح مستوي دائري أو مربع أو بيضوي الشكل وبعضها يكون مزينا ومزخرفا بواسطة الحفر أو مطعما بأحجار كريمة ومعظم الخواتم يتم تصنيعها بطريقة الصب. ومن أنواع الأحجار الكريمة التي استخدمت لترصيع الخواتم : العقيق، المرجان، اللؤلؤ والتركواز.



الأحزمة: من الحلي المكملة لأزياء وزينة المرأة حيث تغطي الجزء الأمامي من خصر المرأة ويكون مصنوعا من صفائح الفضة أو الذهب المزينة بالأحجار الكريمة وهناك أحزمة مصنوعة من قطع نقدية متصلة فيما بينها وتبقى هذه الحلية حاليا من القطع المحبوبة عند نساء الشرق الجزائري وتلبس في الاحتفالات الخاصة.



الخلخال: وهي أساور القدم وهي في العادة أكبر من حجما من أساور اليد، وكانت تلبسها المرأة المتزوجة فقط. كان يرفق بالمنفوخ بمدينة الجزائر ويكون من الذهب أو الفضة وهو على شكل أنبوب نهايته على شكل كرتين كبيرتين مفرغة تشبه العمائم التي كانت تلبسها الشخصيات المهمة في المجتمع الجزائري في العهد العثماني. كما كانت هذه الخلاخل تلبس في كل من قسنطينة وتلمسان ومعروفة بالبريم المظفور بالخياط الذهبية أو الفضية وتنتهي على شكل رأس ثعبان.



نستطيع أن نستخلص من كل ما سبق بأن الحلبي تعتبر كوسيلة لإبراز المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها المرأة فكلما أضافت قطعة جديدة إلى ما تكسب مسبقا ارتفع شأنها في المجتمع أكثر، بحيث أنها تعكس الذوق العام للمجتمع الجزائري وتميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى.

المسجد العباسي ببورسعيد
(١٣٢٢هـ/١٩٠٤-١٩٠٥م)
دراسة أثرية معمارية مقارنة
د/عبد الله كامل موسى عبده

يهتم موضوع هذا البحث بدراسة المسجد العباسي بمدينة بورسعيد من الناحيتين المعمارية والفنية، وهو موضوع علي جانب كبير من الأهمية بالنسبة للعمارة الدينية الإسلامية سواء فيما يتعلق بمدينة بورسعيد أو عهد الخديو عباس حلمي الثاني نظراً لما أثير حول المسجد العباسي من آراء تتعلق بطرح أعمال إحلال وتجديد المسجد أسوة بما تم عمله بالمسجد التوفيقي ببورسعيد ١٣٠٠-١٣٠٣هـ/١٩٨٢-١٨٨٥م الذي فقد أثريته بعد أعمال إحلال وتجديد عمارته في سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م من جهة، ومن جهة أخرى تسجيله في عداد الآثار الإسلامية للحفاظ عليه كأقدم أثر إسلامي بالمدينة بعد إحلال وتجديد المسجد التوفيقي، ومن جهة ثالثة المواءمة ما بين الحفاظ علي المسجد وتنفيذ مشروع التوسعة من قبل مديرية أو قاف بورسعيد بما يتوافق ويتناغم مع عمارة المسجد العباسي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الدراسة تعد أول دراسة أثرية معمارية وفنية تتناول عمارة وزخارف هذا المسجد، خاصة وإنها تمثل قيمة معمارية وفنية رائعة سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية، وهو الأمر الذي يلقي ضوءاً ساطعاً علي عمارة وفنون إقليمية، أي خارج مدينة القاهرة، خاصة في عهد الخديو عباس حلمي الثاني الذي يعد عهده من أزهي عهود العمارة الإسلامية سواء من حيث التشييد أو أعمال الترميم والتجديد والإصلاح.

وينقسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور يمكن عرضها علي النحو التالي:

المحور الأول:

يتناول المنشئ وتاريخ مدينة بورسعيد والجوانب الحضارية بها، خاصة وإن مدينة بورسعيد نشأت ونمت وازدهرت في النصف الثاني من القرن ١٣هـ/١٩م والربع الأول من القرن ١٤هـ/٢٠م.

المحور الثاني:

يتناول المسجد العباسي من خلال دراسة معمارية مقارنة، وهي دراسة جديدة تلقي ضوءاً ساطعاً علي خصائص عمارة وفنون المسجد سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية من جهة، ومقارنة هذه العمارة وفنونها

* أستاذ الآثار الإسلامية المساعد، كلية الآثار، جامعة جنوب الوادي.

بمثيلاتها في عهد الخديو عباس حلمي الثاني سواء داخل مدينة القاهرة أو في بعض الأقاليم مثل مدينة الإسماعيلية علي سبيل المثال.

أما المحور الثالث:

فيتناول ما أثير حول المسجد العباسي من آراء من جهة، وتسجيله في عدد الآثار الإسلامية من جهة أخرى، وأعمال الترميم والتجديد التي طرأت عليه في تواريخ لاحقة على إنشائه من جهة ثالثة حتى يمكن رصد أصالة المسجد وما طرأ عليها من تجديدات سواء فيما يتعلق بالتخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية.

المحور الأول: الدراسة التاريخية

أولاً: المنشئ:

تولى الخديو عباس حلمي الثاني^(١) حكم مصر في سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م بعد وفاة والده الخديو توفيق^(٢) (١٢٩٦-١٣٠٩هـ/١٨٧٩-١٨٩٢م)، وكان عمره إذ ذاك ثمانية عشر عاماً، فقد ولد الخديو عباس حلمي الثاني في ١٤/١٢٩١هـ/١٤ يوليو ١٨٧٤م، وظل في الحكم حتى تم عزله من قبل انجلترا في سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م، وقد عى الخديو عباس حلمي الثاني بالنهوض بالبلاد من كافة الجوانب شأنه في ذلك شأن كل من الخديو إسماعيل^(٣) (١٢٧٩-١٢٩٦هـ/١٨٦٣-١٨٧٩م) والخديو توفيق (١٢٩٦-١٣٠٩هـ/١٨٧٩-١٨٩٢م)^(٤).

(١) تولى إبراهيم باشا حكم مصر بعد وفاة أبيه محمد علي باشا في شعبان سنة ١٢٦٤هـ/١٠ يونيو ١٨٤٨م، غير إنه توفي في ١٣ ذي الحجة ١٢٦٤هـ/١٠ نوفمبر ١٨٤٨م، تولى من بعده ابن أخيه عباس باشا حلمي الأول بن طوسون بن محمد علي (١٢٦٤-١٢٧٠هـ/١٨٤٨-١٨٥٤م)، وذكره علي باشا مبارك فقال "وولي.. عباس باشا حلمي بن طوسون باشا.. بعد أن تنقل في ولايات الحكومة المصرية... وسار.. في أهل عصر بسيرة حسنة.. إلى أن توفي شهيداً في قصره الذي أنشاه بينها رحمه الله".

علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، (طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٦٩م)، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ج١، ص ١٩٣، عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ج١، ص ص ١٥-٢٤، إبراهيم إبراهيم أحمد عامر: العماثر الدينية بمدينة القاهرة في عصر إسماعيل وتوفيق وعباس حلمي الثاني (دراسة معمارية أثرية)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، قسم الآثار، المجلد الأول، ١٩٩٣م، ص ٥.

(٢) ولد الخديو توفيق أكبر أبناء الخديو إسماعيل في سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م، وتعلم بمصر، ذكره علي باشا مبارك فقال "فندينا محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي... تحلت مصر بولايته، واستقام أمرها بعدلته...". علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية ج١، ص ١٩٤، إبراهيم إبراهيم أحمد عامر: العماثر الدينية ص ص ١٦-١٨.

(٣) هو ثاني أبناء إبراهيم باشا، ومن والده غير والدتي أخويه أحمد رفعت ومصطفى فاضل، ولد في سنة ١٢٤٥هـ/٣١ ديسمبر ١٨٣٠م في سراي المسافرين خانة بحي الجمالية بالقاهرة، وعني أبوه

وفي عهد الخديو عباس حلمي الثاني نمت الحركة الوطنية الحديثة، وانتشر التعليم وشيدت الجامعة المصرية في سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م، وازدهرت أحوال مصر الاقتصادية والعمرائية ازدهاراً عظيماً، وشمل الرقي جميع مرافق الحياة فشيئت المباني المدنية الفخمة على الطراز الأوروبي وازدهرت المنشآت الدينية ما بين إنشاء وتجديد نذكر منها على سبيل المثال بمدينة القاهرة مسجد^(٥) إبراهيم كتحدا عزبان ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م، ومسجد^(٦) السيدة سكينة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م، ومسجد^(٧) عزبة الجبل (الشفاء) ١٣٢٨هـ / ١٩٠٩م، ومسجد^(٨) السلطان الحنفي ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م وغير

بتربيته فتعلم مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية، وقليلًا من الرياضيات والطبيعات، وأرسله إلى فيينا بالنمسا للعلاج والتربية ثم انتقل إلى باريس للتعليم، ذكره علي باشا مبارك فقال "ثم تولي بعده (عباس باشا حلمي بن طوسون) عمه محمد سعيد باشا ابن المرحوم محمد علي (١٢٧٠-١٢٧٩هـ / ١٨٥٤-١٨٦٣م) ثم تولي بعده الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي... فسار في أمر الحكومة المصرية سالكا سبيل التمدن والحضارة... حتى انتظمت القاهرة والإسكندرية في أسلوب جديد... فصارت تضاهي مدن أوروبا... حتى انفصل عنها عام ست وتسعين بعد المائتين والألف".

علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، ج١، ص ١٩٣-١٩٤، عيد الرحمن الرفاعي: عصر إسماعيل، ج١، ص ٢٩-٣٠، ٧٣-٧٤، إبراهيم إبراهيم أحمد عامر: العماائر الدينية، ص ٦-١٦.

(٤) أحمد شفيق: تحولات مصر السياسية، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م، ج١: ص ٣٠، محمد رفعت: تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، طبعة بولاق، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٧٨، ٢٧٠، ٢٧٩، إبراهيم إبراهيم أحمد عامر: العماائر الدينية، ص ١٨-٢٠.

(٥) يحمل المسجد الحالي اسم الأمير إبراهيم كتحدا عزبان، وكان قد تصدع وجري الشروع في هدمه وتجديده في عهد الخديو عباس حلمي الثاني في سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م. إبراهيم إبراهيم أحمد عامر: العماائر الدينية، ص ١٦٧-١٦٨.

(٦) يقع هذا المسجد بحي الخليفة، شيده الأمير عبد الرحمن كتحدا فيما بين سنتي ١١٧٣-١١٧٥هـ / ١٧٥٩-١٧٦١م، ثم جده الخديو عباس حلمي الثاني في سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م. أنظر: إبراهيم عامر: العماائر الدينية، ص ١٧٧-١٧٨.

(٧) يقع هذا المسجد بمنطقة سراي القبة، ويعرف حالياً بمسجد الشفاء، شيده الخديو عباس حلمي الثاني في سنة ١٣٢٨هـ / ١٩٠٩م. إبراهيم عامر: العماائر، ص ١٩٤.

(٨) يقع المسجد بحي الناصرية، وقد شيد في الأصل سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م، ذكره المقرئزي فقال "هذا الجامع خارج القاهرة أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن علي الحنفي في سنة سبع عشرة وثمانمائة"، ثم جدد في سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م، ثم هدم ووجد في سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م في عهد الخديو عباس حلمي الثاني.

= المقرئزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٣٢، إبراهيم عامر: العماائر، ص ١٩٦-١٩٧. إبراهيم عامر: العماائر، ص ١٩-٢٠.

ذلك من العمائر الدينية، وفي مدينة الإسماعيلية على سبيل المثال المسجد العباسي ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م. (٩)

ومن مآثره ترميم وإصلاح العديد من العمائر الدينية الإسلامية نذكر منها على سبيل المثال ترميم جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ٢١هـ / ٦٤٢م في سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م من قبل لجنة حفظ الآثار العربية، وجامع أحمد بن طولون بالقطائع ٢٦٣-٢٦٥هـ / ٨٧٦-٨٧٩م فيما بين سنتي ١٣٠٢-١٣٣٧هـ / ١٨٨٤-١٩١٨م، والجامع الأزهر ٣٥٩-٣٦١هـ / ٩٧٠-٩٧٢م في سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م، وشيد في عهده الرواق العباسي بالجامع الأزهر الذي تم افتتاحه في ٢٤ شوال ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م، وأصلحت منارة الغوري بالجامع الأزهر في سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م وغير ذلك من ترميمات العمائر الدينية وكانت وفاة الخديو عباس حلمي الثاني في عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م. (١٠)

مدينة بورسعيد بين النشأة والتطور:

عرفت بورسعيد بهذا الاسم المركب تركيباً إضافياً نسبة للخديو محمد سعيد باشا (١٢٧٠-١٢٧٩هـ / ١٨٥٤-١٨٦٣م)، فقد ذكرها عنى باشا مبارك بقوله "بورت سعيد) اسم مركب تركيباً إضافياً من كلمة بورت بباء فارسية تحتها ثلاث نقط فواو فراء مهملة فمثناة فوقية وهي كلمة فرنسوية معناها المينا ومن كلمة سعيد العربية التي جعلت علماً على حاكم مصر المرحوم محمد سعيد باشا نجل العزيز محمد علي فمعنى بورت سعيد في الأصل مينا سعيد، وهو علم على مدينة جديدة حدثت في زمن المرحوم سعيد باشا المذكور فأضيفت إلى اسمه" (١١).

(٩) عبد المنصف سالم حسن نجم: الطرز المعمارية والفنية لبعض مساكن الأمراء والباشاوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر "دراسة مقارنة"، جامعة القاهرة، كلية الآثار، المجلد الأول ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٤-٥.

الإسماعيلية: تقع على ترعة البرزخ في منتصف المسافة بين السويس ومدينة بورسعيد، وكانت عند نشأتها عبارة عن أخصاص ثم لم تلبث أن تطورت، ذكرها علي باشا مبارك فقال "هذه المدينة واقعة على ترعة البرزخ في منتصف المسافة بين مدينة السويس ومدينة بورت سعيد، علي فرع الترعة الحلوة الذي وصل ترعة الإسماعيلية بترعة البرزخ وبركة التمساح... وفي أول الأمر كانت عبارة عن جملة أخصاص...".

علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، الطبعة الثانية عن طبعة بولاق سنة ١٣٠٥هـ، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج ٨، ص ١٩٢، سهير جميل إبراهيم: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص ١٨٢.

(١٠) إبراهيم عامر: العمائر، ص ٢٢٤-٢٢٩.

(١١) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، الطبعة الثانية عن طبعة بولاق سنة ١٣٠٥هـ، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج ١٠، ص ٥٧.

ومن ناحية الموقع الجغرافي أورد علي باشا مبارك عن موقع مدينة بورسعيد "واقعة في أول الخليج المالح المسمى قنال السويس الذي وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض، وهي فوق أنجر الأبيض في غربي مدينة الطينة القديمة بثمانية وعشرين ألف متر".^(١٢)

أما من الناحية التاريخية فقد أورد علي باشا مبارك إنها أنشئت في سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٥٦م، حيث قال "كان ابتداء ظهورها في سنة ١٨٥٩ ميلادية وهي توافق سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين هجرية بعد أن تعين خط سير القنال بما صار من الاستكشافات الهندسية، وكانت أرضها التي هي عليها الآن قطعة من بحيرة المنزلة ماعدا جزءاً قليلاً منها، وهو الجزء القريب من البحر بطول الشارع العمومي الذي أو له من مبدأ المولص الغربي، فإنه كان من ضمن ساحل البحر فجعل عليه أولاً خمسة مساكن من الخشب....".^(١٣)

وفي هذا الصدد أورد محمد رمزي عند ذكره محافظة القنال وأقسامها "مدينة الإسماعيلية - مدينة بورسعيد - بور فؤاد" مدينة بورسعيد هي مركز محافظة القنال أنشئت سنة ١٨٥٩م (١٢٧٧هـ) في الموضع الذي اختاره المهندس دي لسبس حين ابتداء في حفر قناة السويس".^(١٤)

جامع قرية العرب:

يحدثنا علي باشا مبارك عن أول مسجد جامع ببورسعيد عند ذكره نشأتها وتطورها بقوله "فجعل عليه أولاً خمسة مساكن من الخشب لسكني المنوطين بمزاولة الأعمال هناك وأنشئ جهاز بخاري لتقطير المياه الملحة وتخليتها.. وفتار للتوير وفرن للخبز وبعد قليل في داخل السنة أسس ثلاثة مساكن من الخشب أيضاً أقيمت علي خوازيق من الخشب المتين لإقامة مأموري الأشغال. وبعد مضي عام كامل من ذلك أجروا إدارة كراكتين في محل القنال لحفر الطين من قعر الماء، وما كان يخرج من الطين والتراب، كان يطرح في الأماكن المنخفضة لأجل ردمها، وكل ما ردم منها

(١٢) علي باشا مبارك: الخطط، جـ ١٠، ص ٥٧.
انظر أيضاً.

Valerie Nicolas: Avant-propos, port-saïd, Architectures xixe-xxe Sie`cles, institut francais d'arche`ologie orientale, le caire, 2006, p1., Marie-laure crosnier-Loconte: Histoires, Architectures, port-saïd, Architecturs xixe-xxe sie`cles, institut francais d'arche`ologie orientale, le caire, 2006, pp.5-6.

(١٣) علي باشا مبارك: الخطط، جـ ١٠، ص ٥٧.

(١٤) محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، البلاد الحالية، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ق ٢، جـ ١، ص ٦.

وصلح للبناء عليه تبني عليه مساكن للشغالة والبياعين فكان كلما ظهرت أرض ظهرت عليها المساكن، حتى كان: بها في سنة ألف وثمانمائة وثلاثة وستين ميلادية (١٢٨٠هـ) مائة وخمسين بيتاً غير مائة وخمسين عشة وإستالية للمرضى، وكنيسة صغيرة للكاثوليكين، وأخرى لليونان، ومسجد للمسلمين يدعي قديماً بجامع قرية العرب كما سيأتي وورش جسيمه للأعمال، وصارت مدينة يبلغ مسطحها ثلاثين ألف متر (١٥).

نمو المدينة وتطورها:

يضيف على باشا مبارك فيما يتعلق بنمو المدينة "وفي سنة خمس وستين ميلادية (١٢٨٢هـ) كثرت الأعمال بها واتسعت دائرتها وانتشرت الشغالة والصناع من هذه المدينة إلى الإسماعيلية التي في جنوبها على بعد خمسة وسبعين ألف متر، وظهرت شركة دسو اخوان في عمل الأحجار الصناعية التي بنيت بها المينا.. وكثر تردد المراكب إليها من جميع بلاد أوروبا.. وتأتي إليها أيضاً مراكب ببضائع القطر المصري.. وقد بلغت سكانها.. سبعة آلاف نفس، وفي سنة سبع وستين (١٢٨٤هـ) جرت مراكب البوسطة ونحوها في الخليج بين هذه المدينة ومدينة الإسماعيلية، ووردت عليها البضائع الشامية وأقيمت وابورات بخارية من طرف وكلاء خمس كومبانيات، وفي سنة ثمان وستين (١٢٨٥هـ) كان انتهاء أعمال المولصين، وقرب انتهاء القتال وفي آخر سنة تسع وستين (١٢٨٦هـ) تمت الأعمال جميعها، وبلغ سكان المدينة عشرة آلاف نفس وسكنتها قناصل ووكلاء عن قناصل من كافة الملل". (١٦)

وفي ذلك أورد محمد رمزي "وفي سنة ١٨٦١ (١١٧٨هـ) أصبحت قرية عدد سكانها ألفاً نسمة، ثم عمرت بالسكان لوجودها عند مدخل القناة حتى بلغ سكانها عند افتتاح هذه القناة سنة ١٨٦٩ (١٢٨٦هـ) عشرة آلاف نفس". (١٧)

كما أورد "وفي سنة ١٨٨١ (١٢٩٩هـ) بلغ عدد سكانها ١٧ ألف نفس، ولما وصلت إليها المياه العذبة من ترعة الإسماعيلية سنة ١٨٩٥م (١٣١٣هـ) تقدمت تقدماً عظيماً حتى أصبحت نداً للإسكندرية". (١٨)

(١٥) علي باشا مبارك: الخطط، جـ ١٠، ص ٥٧-٥٨، أنظر زين العابدين شمس الدين: بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ١٠٢-١٠٣، سهير جميل إبراهيم: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر، ص ١٧٤.

(١٦) علي باشا مبارك: الخطط، جـ ١٠، ص ٥٨.

أنظر أيضاً:

Marie-laure Crosnier-leconte: His toires, Architectures, port-saïd, pp.8-9

(١٧) محمد رمزي: القاموس، ق ٢، ج ١، ص ٦.

(١٨) محمد رمزي: القاموس، ق ٢، ج ١، ص ٦.

عمارة الجامع التوفيقي ١٣٠٠-١٣٠٣هـ/١٨٨٢-١٨٨٥م:
(جامع قرية العرب) (لوحات ١-٦):

أورد على باشا مبارك وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٨٨٠م) شرف الداوري الأكرم والخدوي الأفخم أفندينا محمد توفيق باشا ثغر مدينة بورت سعيد ورأى أن الجامع القديم الموجود بقرية هناك تسمى بقرية العرب قد تاعى إلى السقوط وكان مجعولاً من الخشب، والمسلمون يعانون في السعي إليه والصلاة به مشقات زائدة لضيقه وعدم انتظامه... فصدر أمره العالي إلى ديوان الأوقاف بإنشائه وإنشاء مدرسة بجانبه لتربية الأطفال بثغر بورت سعيد، فقام بهذا الأمر ناظر ديوان الأوقاف، وعملت الرسوم اللازمة لذلك وأحضرت المهمات. وفي شهر المحرم افتتاح سنة ثلاثمائة وألف (١٨٨٢م) رمى الأساس.. ثم جرى العمل بعد ذلك بغاية الجهد، وفي شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة وألف (١٨٨٥م) تمت هذه العمارة الجليلة.. وسمي بالجامع التوفيقي...^(١٩)

ويشير محمد رمزي إلى زيادة عدد سكانها بقوله "وزاد عدد سكانها حتى بلغ سنة ١٩٠٣ (١٣٢١هـ) اثنين وأربعين ألف نسمة. وخططت المدينة بخطيباً حديثاً وأصبحت الممر الرئيسي لتجارة العالم بين الشرق والغرب"^(٢٠).

إحلال، وتجديد الجامع التوفيقي ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م:

بعد أن تطورت الحياة في مدينة بورسعيد واتسعت رقعة المدينة وازداد عدد السكان كانت هناك ضرورة لبناء مسجد آخر إلى جانب الجامع التوفيقي لكي يفي باحتياجات المسلمين، حيث تقرر في سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م بناء مسجد آخر إضافة للجامع التوفيقي الذي رأى البعض عدم هدمه وضرورة الحفاظ عليه وترميمه باعتباره أقدم اثر إسلامي بالمدينة، غير انه لم يشرع في بناء هذا المسجد الآخر، لذلك أصدر الخديو عباس حلمي الثاني أوامره إلى ديوان الأوقاف ببناء مسجده الذي يعرف اليوم بالمسجد العباسي وذلك في سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤-١٩٠٥م، ثم كان أن تقرر هدم وتجديد الجامع التوفيقي، وافتتح للصلاة في عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م وبذلك فقد أثريته،

(١٩) علي باشا مبارك: الخطط، جـ ١٠، ص ص ٥٨-٥٩.

يقع هذا المسجد بشارع شهداء القنال بحي العرب بمحافظة بورسعيد، مكان الجامع يشتمل على ثلاث واجهات، الشمالية الغربية تطل على شارع شهداء القنال، والجنوبية الشرقية تطل على شارع القدس، والشمالية الشرقية تطل على شارع صفيّة زغلول. مزيد من التفاصيل عن تخطيط المسجد وعمارته أنظر: سهير جميل إبراهيم: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا، ص ص ١٧٥-١٨١.

Marie-laure Crosnier-leconte : : Histoires ,Architectures ,p.23.

(٢٠) محمد رمزي: القاموس، ق ٢، ج ١، ص ٦.

ومن ثم غدا المسجد العباسي ببورسعيد أقدم أثر إسلامي قائم وصل إلينا في حالة معمارية وفنية جيدة. (٢١)

موقع المسجد العباسي (شكل ١) (لوحة ٧):

يقع المسجد العباسي بمدينة بورسعيد التي تذبذب الإشارة إلى نشأتها وتطورها، ويشتمل على أربع واجهات حرة، حيث يشرف من خلال الواجهة الجنوبية الشرقية على شارع المحروسة، أما الواجهة الشمالية الغربية فتشرف على شارع شريف، وتطل الواجهة الشمالية الشرقية على شارع عباس الذي يعرف حالياً بشارع أمين العجرودي، وتشرف الواجهة الجنوبية الغربية على شارع أدهم، وترسم هذه الواجهات مستطيلاً غير منتظم الأضلاع.

تاريخ الإنشاء ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤-١٩٠٥م (لوحة ٨، ٩):

أصدر الخديو عباس حلمي الثاني وأمره إلى ديوان الأوقاف ببناء هذا المسجد في سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤-١٩٠٥م كما تشير اللوحة التأسيسية أعلى المدخل الشمالي الشرقي، حيث لم يعد المسجد التوفيقى ١٣٠٠-١٣٠٣هـ/ ١٨٨٢-١٨٨٥م الذي كان يعرف قديماً بجامع قرية العر- والذي تقدم ذكره في باحتياجات أهل بورسعيد، وخصص للمسجد العباسي مساحة بلغت ٤٠٠٠م وأرسلت الأوقاف المهندسين لبناء المسجد، غير أن المهندسين قاموا بتصميم المسجد على عشر المساحة التي كانت مخصصة للبناء، بل أخذوا بعضاً من هذا العشر وأخرجوه عن المسجد وأقاموا عليه سوراً حديدياً، وهو الفناء الذي يطل على شارع عباس (أمين أفندي العجرودي) وتشرف عليه الواجهة الشمالية الشرقية. (٢٢)

وضع حجر أساس المسجد من قبل الخديو عباس حلمي الثاني في أول سنة ١٣٢٢هـ/ مارس ١٩٠٤م، وكان الفراغ منه في سنة ١٣٢٢هـ/ يوليو ١٩٠٥م، وفي هذا التاريخ الأخير تم افتتاحه في احتفال حضره مدير الأوقاف ومحافظ القنال محمد محب باشا وقاضي بورسعيد الشرعي وكبار رجال الإدارة والأعيان وبعض ممثلي وكلاء قنصل الدول وكبار موظفي شركة قنال السويس وعلماء وأعيان مديريات دمياط والدقهلية والشرقية، وقد قام الخديو عباس حلمي الثاني بتعيين الشيخ عبد الفتاح الجمل إمام المسجد، وألقى الشيخ عبد الفتاح خطبة الافتتاح. (٢٣)

(٢١) ضياء الدين حسن القاضي: موسوعة تاريخ بورسعيد، بورسعيد، المستقبل، ١٩٩٧-٢٠٠٢م، ج٢، ص ١٧٠ هامش ١.

Marie-laure crosnier-leconte: Histories, Architectures, p.14., le vieux port-saïd (1860-1890), port-saïd, p.129, pl.115., lieux De Culte, port-saïd, p.201.

(٢٢) ضياء الدين حسن القاضي: موسوعة، ج٢، ص ١٧٠.

(٢٣) ضياء الدين حسن: موسوعة، ج٢، ص ١٧٠.

المحور الثاني: الدراسة المعمارية والفنية المقارنة:

أولاً: الواجهات الخارجية والمداخل:

الواجهة الجنوبية الشرقية (لوحة ١٠ ، ١١)

تشرف الواجهة الجنوبية الشرقية على شارع المحروسة، وهي تشتمل على مئذنة رائعة سوف نتناولها لاحقاً ضمن الوحدات والعناصر المعمارية للمسجد، وقد نفذت بشكل رائع متناغم سواء من حيث التصميم أو العمارة، فهي تشتمل على بروز يتوسطها أسفل المئذنة يتناغم معمارياً وفنياً مع تصميم وعمارة المئذنة، فهو يبرز قليلاً عن قاعدة المئذنة ويتوافق معها معمارياً وفنياً سواء من حيث الشكل أو المضمون، ويشتمل هذا البروز على تكوين زخرفي مربع بدیع يتكون من أربع دوائر تصغر كلما اقتربت من المركز تخرج منها أربع ميمات دائرية تتداخل مع الإطار الخارجي الذي يحدد التكوين الزخرفي المربع، مما أوجد أربع مناطق في أركان التكوين بواقع منطقة في كل ركن زخرفت بالأرابيسك، أما مركز التكوين فقد أشتمل على كتابات بالخط النسخ نصها "الله" يحيط بها من أعلاها وعلى جانبيها "تور السماوات والأرض" بشكل زخرفي بدیع، ويوجد تكوين دائري مفرغ بهيئة طبق نجمي، كما تزين الواجهة أربع دخلات وزعت بشكل متناغم بواقع دخلتين في كل جانب أحدهما تشتمل على فتحة شبك - غشاة بمصمبات خشبية. والأخرى تشتمل على فتحة باب يغلق عليها مصراعان من الخشب بالتناوب، وتتكون كل دخلة أعلى ما تقدم من تكوين مستطيل حلى في أركانه بزخارف الأرابيسك، يعلوه عقد مدائني (ثلاثي) يزدان بزخرفة الأرابيسك، وبعض الكتابات النسخية مثل "لفظ الجلالة"، كما توجد قنولية بسيطة مفرغة تزدان بوحدات من الطبق النجمي، ويتوج كل دخلة صدر مقرنص من حطتين، ثم تزدان الواجهة بمستويين أحدهما سفلى على هيئة مثلثات نفذت بالطرد والعكس في تباين زخرفي رائع، حيث نفذت المثلثات المعدولة تزدان بزخارف الأرابيسك، أما الأخرى فهي خالية من الزخرفة، أما المستوى الآخر فهو عبارة عن صف من الشرفات على مستويين متدرجين في أسلوب بسيط غير أنه يتوافق والمستوى الأول، وقد أوجد المعماري تكويناً زخرفياً دائرياً بين كل دخلتين.

الواجهة الشمالية الشرقية (المدخل الشمالي الشرقي):

(شكل ٢) (لوحات ١٢-١٥)

تشرف الواجهة الشمالية الشرقية على شارع عباس الذي يعرف حالياً بشارع أمين العجرودي، وهي من أهم الواجهات بالمسجد سواء من حيث التكوين المعماري أو الزخرفي، حيث جاءت ممتدة من الشمال إلى الجنوب، تتكون من مدخل رائع يحتفظ بمعظم تفاصيله المعمارية والزخرفية، وهو لا يتوسط الواجهة، وإنما هو أقرب إلى جدار القبلة منه إلى الجدار الشمالي الغربي، حيث أوجد المعماري في الجهة الشمالية منه أربع دخلات، وفي الجهة الجنوبية أوجد دخلتين، وهو عبارة عن فتحة مستطيلة

يغلق عليها مصراعان من الخشب، يعلوها عقد مستقيم قسم إلى ثلاث مناطق، تشتمل الوسطي علي نص تأسيسي نصه "أنشئ هذا المسجد المبارك في عهد خديو مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣٢٢" (لوحة ٩، ٨)، وقد حسي النقش الكتابي في كل ركن من أركانه بزخرفة نباتية بسيطة من طراز الأرابسك داخل تكوين هندسي مثلث بشكل محور، كما أشتمل العقد المستقيم أو العتب في جانبي المنطقة الوسطي علي تكوين زخرفي مستطيل يزدان بعقود ثلاثية وأوراق نباتية محورة في تناغم بديع، يعلو العتب عقد ثلاثي نفذ علي غرار عقود الواجهة الجنوبية الشرقية التي تقدم ذكرها بداخله قنديلية علي نمط قنديليات الواجهة الجنوبية الشرقية، ويتوج المدخل عقد مدبب حدوي من صنجات مزررة نفذت بشكل رائع، زخرفت في بعضها بزخارف نباتية، وخلت الأخرى من الزخرفة في تباين بديع، ويتوج الصنجة المفتاحية للعقد ميمة زخرفية، كما زخرف العقد في كوشتيه بزخارف الأرابسك، وكتب "لفظ الجلالة" داخل شكل دائري بحيث يتوسط الزخارف النباتية، والمدخل في مجمله يمثل قيمة معمارية وفنية رائعة علي الرغم من أن بعض الدهانات الحديثة قد طرأت عليه.

هذا وتشتمل الواجهة علي دخلتين في الجهة الجنوبية الشرقية من المدخل، ثما تشتمل علي أربع دخلات في الجهة الشمالية الغربية منها، وهي في تكوينها المعماري والزخرفي الذي جاء من شبابيك مغشاه بمصبغات خشبية، وعقود ثلاثية (مدائنية)، وقنديليات، وصدور مقرنصة، وشرافات إنما تتفق وأسلوب تنفيذ الدخلات في الواجهة الجنوبية الشرقية، كما تتفق معها في وجود أشكال دوائر زخرفية تفصل بين هذه الدخلات سواء من حيث الشكل أو المضمون، وهو ما يجعل هذه الدخلات بمكوناتها المعمارية والفنية من جهة، وأشكال الدوائر بمكوناتها الكتابية النسخية والزخرفية وزخارف المثلثات والشرافات التي تتوج الواجهة من جهة أخرى تعد سمة من سمات المسجد العباسي ببور سعيد.

هذا ويوجد فناء يتقدم الواجهة أحيط بسياج من الحديد، وهو يعتبر حرماً طبيعياً للمسجد من هذه الجهة، وقد نفذ علي هيئة مثلثة، وهو من سمات تخطيط هذا المسجد. (شكل ٣).

الواجهة الشمالية الغربية (المدخل الشمالي الغربي) (لوحة ١٦، ١٧):

تشرف الواجهة الشمالية الغربية علي شارع شريف، تتقدمها سقيفة حديثة الإنشاء، وهي متناغمة سواء في التصميم أو العمارة، حيث جاءت من مدخل يتوسطها يقع علي محور المحراب وأربع دخلات وزعت بشكل متناغم بواقع دخلتين في كل جانب، كما جاءت متوافقة في معظم تفاصيلها مع الواجهة الشمالية الغربية سواء من الداخل أو الخارج، وتفصيل ذلك أن المدخل عبارة عن فتحة مستطيلة يغلق عليها مصراعان من الخشب، يعلوه عتب أعد لنقش كتابي علي غرار مدخل الواجهة الشمالية الشرقية، يعلوه نفيس ثم عقد عاتق، تعلوه دخلة صغيرة مستطيلة يكتنفها عمودان

صغيران، تشتمل في داخلها علي شبك حصي معشق بالزجاج، ويتوج المدخل عقد ثلاثي مفصص توج في أعلاه بميمة زخرفية، كما حلي في داخله بالمقرنصات، وقد أو جد المعماري مكسلتين علي جانبي المدخل، وتشتمل الواجهة علي أربع دخلات بواقع دخلتين في كل جانب، وهي متناغمة من حيث التصميم والعمارة فيما بينها من جهة، وتتفق مع منيلاتها في الواجهتين الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية من جهة أخرى.

الواجهة الجنوبية الغربية (المدخل الجنوبي الغربي) (لوحات ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١):

تشرف هذه الواجهة علي شارع أدهم، وهي تماثل الواجهة الشمالية الشرقية سواء من حيث التصميم أو العمارة، فقد جاءت متناغمة معها، حيث اشتملت علي المدخل الثالث للمسجد بحسب عرض الواجهات الخارجية، ويقع هذا المدخل علي محور المدخل الشمالي الشرقي، كما اشتملت هذه الواجهة علي دخلتين جهة جدار القبلة، وعلي أربع دخلات جهة الجدار الشمالي الغربي علي غرار الواجهة الشمالية الشرقية، غير أنه قد حدث تعديل علي الدخلة الثالثة من المدخل جهة الجدار الشمالي الغربي، حيث تم تحويل فتحة الشباك إلى فتحة باب، وتوصيل ذلك أن المدخل لا يتوسط الواجهة، حيث انه أقرب إلى جدار القبلة منه إلى الجدار الشمالي الغربي، وهو يتكون من فتحة مستطيلة يعلق عليها مصراعان من الخشب، يعلوه عتب اعد لنقش كتابي، يعلوه نفيس ثم عقد عاتق علي غرار المدخل الشمالي الغربي، ويحدد العتب والنفيس والعقد العاتق جفت لاعب ذو ميمات، وهي الزخرفة التي لم تصل إلينا في المدخل الشمالي الغربي، ثم يعلو ذلك دخلة مستطيلة يكتنفها عمودان، وتشتمل في داخلها علي فتحة شبك بغرض الاضاءة والتهوية غشيت بمصبغات علي غرار المدخل الشمالي الغربي، ثم يتوج المدخل عقد ثلاثي حلي بتضليعات وزخرفة الأرابسك، وقد حدد من الخارج بزخرفة الجفت اللاعب والميمات، كما حدد في كوشتيه بنفس الزخرفة، وتعد هذه الزخرفة هنا سمة من السمات الفنية للمدخل، ويشتمل المدخل علي مكسلتين علي جانبيه علي غرار المدخل الشمالي الغربي، زخرفتا بجفت لاعب وميمات، كما يوجد شريط كتابي غائر أعلى المكسلتين أعد لنقش كتابي، وتبرز كتلة المدخل قليلاً عن بقية الواجهة، يتوجها صدر مقرنص بديع التكوين، أما الدخلات سواء من حيث التصميم أو العمارة فقد جاءت علي غرار الدخلات في بقية الواجهات الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية سواء في مكوناتها المعمارية أو الزخرفية وكذلك في تصميم الشرفات، غير أننا لا نجد هنا المستوي الزخرفي الذي يقع أسفل الشرفات مباشرة والذي يتكون من مثلثات مزخرفة وأخرى خالية من الزخرفة كما في بقية الواجهات، ويعزي ذلك في اعتقادي إلى التعديلات الفنية التي أدخلت علي عمارة المسجد في تواريخ لاحقة علي إنشائه، والواجهة في مجملها تمثل قيمة معمارية وفنية تؤكد علي أصالة المسجد في العديد من وحداته وعناصره المعمارية والزخرفية.

هذا وقد اوجد المعماري في نهاية الواجهة من جهة جدار القبلة فتحة مستطيلة يتوجها صدر مقرنص من ثلاث حطات تفضي إلى دهليز يقع خلف جدار القبلة سوف نتناوله لاحقاً عند تناول تخطيط المسجد.

تخطيط المسجد (شكل ٣) (لوحة ٢٢، ٢٣):

يحتفظ المسجد العباسي بمعظم عناصره التخطيطية التي بني عليها في عهد الخديو عباس حلمي الثاني بالرغم مما تعرض له من تجديدات سوف نتناولها لاحقاً في المحور الثالث من الدراسة، فقد جاء المسجد يشغل مستطيلاً يمتد رأسياً من الشمال إلى الجنوب، وهو من الداخل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٢٠,٢٠ م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٣٣,٤٠ م، أما من الخارج فيمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٢٢,٨٠ م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٣٦ م، وقد قسمت هذه المساحة المستطيلة من الداخل إلى سبع بلاطات موازية لجدار القبلة أي تمتد من الشرق إلى الغرب، وذلك من خلال ست بائكات تتكون في كل منها من بائكة ذات خمسة عقود تتركز علي أربعة أعمدة مئمة كسيت بالرخام الحديث من جهة، وعلي كابولين بالجدار الشرقي والغربي، بواقع كابولي في كل جدار، وعقود البائكات مدببة يتركز علي الجدار القصير الذي يعلوها السقف مباشرة، وقد جدد السقف في تاريخ لاحق علي إنشاء المسجد كما سيأتي لاحقاً، وتربط بين هذه العقود من أسفل ومن أعلى براطيم خشبية، وتفصيل ذلك أن الجهة الجنوبية الشرقية تشتمل علي جدار القبلة (شكل ٤) الذي يتوسطه المحراب، ويقع المنبر الخشبي في الجهة الجنوبية الغربية منه أي جهة الجدار الجنوبي الغربي، ويشتمل جدار القبلة علي أربع دخلات وزعت بواقع دخلتين في كل جانب بشكل معماري وفني متناغم، فهي عبارة عن فتحة شباك مغطاة بنخشب الخرط فيما عدا الفتحة التي تجاور المحراب من جهة الجدار الشمالي الشرقي، حيث نبتت كفتحة مدخل مستطيلة يتوصل منها إلى ملحقات المسجد خلف جدار القبلة (لوحة ٢٤) (شكل ٤)، يعلو ذلك عتب مستقيم يعلوه نفيس ثم عقد عاتق ويحدد العتب والنفيس والعقد العاتق إطار مستطيل من جفت لآعب وميمات، ويعلو كل ذلك قنولية بسيطة علي غرار قنوليات المسجد، ويتوصل من خلال الفتحة السابقة إلى كتلة معمارية أو ملحقات المسجد التي خططت علي هيئة مثلث رأسه في الجهة الشمالية الشرقية وقاعدته في الجهة الجنوبية الغربية، وذلك للمواعاة ما بين تخطيط المسجد من الداخل والذي تقدم ذكره وخط تنظيم الطريق في معالجة معمارية رائعة وجدت قبل ذلك في تخطيط الجامع الأحمر بمدينة القاهرة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، وفي عهد الخديو عباس حلمي الثاني وجدت في مسجد إبراهيم كتحذا عز بان ١٣١٩هـ / ١٩٠٠م علي سبيل المثال وتفصيل ذلك أن الفتحة التي يتوصل منها إلى هذا القسم المعماري من عمارة المسجد جاءت من مستطيل يمتد رأسياً (لوحة ٢) يغلق عليه مصراعان من الخشب، تفضي

فتحتَه إلى مساحة علي هيئة مثلثة تشرف علي شارع المحروسة من خلال دخلة تقدم ذكرها عند ذكر الواجهة الجنوبية الشرقية، وينعطف الداخل يمينا في دهليز مستطيل يفصل ما بين جدار القبلة وهذا القسم من عمارة المسجد (لوحة ٢٥) (شكل ٤)، وفي الجهة الجنوبية الشرقية من الدهليز توجد فتحة مستطيلة تؤدي بدورها إلى سلم حلزوني يؤدي بدوره إلى المئذنة، ثم يفضي الدهليز في ذات الجهة إلى غرفة الإمام التي جاءت مجاورة لكتلة المئذنة، وهي من مساحة مستطيلة غير منتظمة الأضلاع تشرف علي الشارع العمومي من خلال دخلة تقدم ذكرها بالواجهة الجنوبية الشرقية، كما تفضي هذه الغرفة إلى قاعة أخرى مستطيلة من خلال فتحة بجدارها الجنوبي الغربي، وهذه القاعة الأخيرة تشرف علي الشارع العمومي من خلال دخلة تفتح عليه تقدم ذكرها بالواجهة الجنوبية الشرقية، كما تشتمل علي دخلة أخرى تفتح علي الجهة الجنوبية الغربية، كذلك تشتمل علي فتحة يتوصل منها إلى الفناء الذي يتقدم الواجهة الجنوبية الغربية للمسجد، وينتهي الدهليز بفتحة مستطيلة تفضي إلى الفناء السابق، وقد تقدم ذكرها! عند ذكر الواجهة الجنوبية الغربية، وبذلك فقد استغل المعماري الفراغ الواقع ما بين خط تنظيم الطريق وجدار القبلة ليثد به كتلة المئذنة وغرفة الإمام وبعض الملحقات الأخرى، وهي موازنة رائعة أصاب فيها معماري غاية التوفيق هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قام المعماري بتصميم الفناء الذي يتقدم الواجهة الشمالية الشرقية علي هيئة مثلثة كحرم طبيعي لعمارة المسجد من جهة، وللموازنة مع خط تنظيم الطريق من هذه الجهة من جهة أخرى، كما أصاب المعماري توفيقاً عظيماً في توزيع مداخله علي المخطط العام لعمارة المسجد، بحيث جاءت من ثلاثة مداخل محورية، وقد جاء المدخل الشمالي الغربي يتوسط الواجهة الشمالية الغربية من جهة ويقع علي محور المحراب من جهة أخرى، أما المدخل الشمالي الشرقي فيقع علي محور المدخل الجنوبي الغربي في تناغم معماري بديع، وبشكل عام فقد تناغمت الدخلات في عمارة المسجد من الداخل بمكوناتها المعمارية كما تناغمت من الخارج، والمسجد سواء من حيث التخطيط أو العمارة جاء رائعاً علي الرغم من إدخال بعض التعديلات المعمارية والزخرفية في تواريخ لاحقة علي إنشائه، غير أن هذه التعديلات في الواقع لم تغير من جوهر تخطيط المسجد علي عهد الخديو عباس حلمي الثاني سواء في تخطيط كتلة بيت الصلاة أو القسم الجنوبي الشرقي خلف المحراب أو الحرم المحيط به.

المحراب والمنبر (لوحة ٢٦، ٢٧):

يتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية نصف دائرية، تتوجها طاقة يتوجها عقد مدبب من صنجات مزررة علي النظامين الأبلق والمشهر يرتكز علي عمودين من الرخام الأبيض بهيئة مثمنة في أركانها، ويتوج كل منهما تاج بهيئة مقرنصة وقاعدة كأسية الشكل، وقد قسم المحراب إلى ثلاثة مستويات، المستوي الأول

من أسفل مكسو بالرخام الأبيض في الجزء السفلي منه، أما الجزء العلوي منه فقد زخرف ببائكة رخامية من عقود ثلاثية تركز علي دعامات مستطيلة، أما المستوى الثاني فقد جاء علي هيئة بديعة زخرفية من فسيفساء رخامية نفذت علي هيئة وريادات وأشكال معينات بشكل هندسي رائع، فقد نفذت هذه الوحدات والعناصر الزخرفية بشكل متناغم سواء من حيث الألوان أو من حيث التصميم والتنفيذ في توزيعها علي المساحة المخصصة لها، ثم يلي ذلك إطار من كتابات قرآنية، أما المستوى العلوي الثالث فقد زخرف بإشعاعات علي هيئة زخرفية بديعة والمحراب في مجمله يمثل آية من آيات الفن في عمارة المسجد العباسي، وقد زخرف المحراب في كوشته وعلي جانبيه بالزخارف النباتية من طراز الأرابسك، ويحيط بكل ذلك إطار زخرف بجفت لآعب وقد صمم عبارة عن مستطيل أعلى المحراب يشتمل علي كتابات نصها "قول وجهك شطر المسجد الحرام"، ثم يحدد الجفت اللاعب المحراب من جانبيه، أما المنبر فيقع جهة الجدار الجنوبي الغربي، وهو يجاور المحراب، وهو من الخشب وضع بشكل رأسي في البلاطة الأولى التي تتقدم المحراب، ويتكون من صدر وريشتين وجوسق تعلوه قمة كمثرية الشكل، وتفصيل ذلك انه أتبع في صناعته وزخرفته نفس أسلوب صناعة وزخرفة المنابر المملوكية والعثمانية وهو يتفق ومنبر المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية الذي شيده الخديو عباس حلمي الثاني وتقدم ذكره في سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٥م، يعلو فتحة الباب حشوة مستطيلة تشتمل علي كتابات قرآنية نسخية يتوجها مقرنص من ثلاث حطات، يتوجها صف من الشرافات علي هيئة ورقة نباتية ثلاثية نفذت بأسلوب الطرد والعكس كما هو الحال في منبر المسجد العباسي بالإسماعيلية، ويفضي الباب (باب المقدم) إلى سلم أو جد الصانع علي جانبيه ريشتين نفذت بأسلوب تجميع الحشوات الخشبية علي هيئة أطباق نجمية كاملة وأنصافها وأرباعها، ويعلو الجلسة جوسق حلي بمقرنصات، تعلوه قمة كمثرية الشكل تتفق مع قمة المئذنة، يعلوها هلال، ويؤرخ هذا المنبر بتاريخ إنشاء المسجد، حيث كتب عليه بالخط النسخ "جدد هذا المنبر في عهد خديو مصر عباس حلمي الثاني ١٣٢٢هـ" ويتفق هذا الأسلوب مع أسلوب منبر المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية، حيث ورد أعلى باب الروضة بالخط النسخ "جدد في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني".

مواد البناء والأعمدة والعقود:

فيما يتعلق بمواد البناء فقد شيد المسجد بالحجر المشهر من مداميك حمراء وصفراء متعاقبة ومتوازية في واجهاته الخارجية، غير إنها اختفت وراء طبقة ملاط أعتية ودهانات في بعض الواجهات مثل الواجهة الجنوبية الغربية، وطبقة أخرى من الدهانات فقط في الواجهات الأخرى الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية والشمالية

الغربية خلال أعمال التجديد الحديثة، أما فيما يتعلق بالأعمدة المثمنة التي تركز عليها العقود الحاملة لسقف المسجد فقد بنيت من الحجر أيضا شأنها في ذلك شأن جدران المسجد، غير إنها كسيت برخام حديث في تاريخ لاحق علي إنشاء المسجد، وهو الأمر الذي لم يخرجها من أثريتها، بل أن المسجد في حاجة لمشروع ترميم متكامل لإعادته لأصله القديم سواء فيما يتعلق بالجدران أو الأعمدة، خاصة وإنها في حالة جيدة، أما فيما يتعلق بالعقود التي تعلو الأعمدة والتي تحمل بدورها سقف المسجد فقد جاءت من خمسة عقود مدببة تركز علي أعمدة المسجد من جهة، وعلي كابولين في الجدارين الشرقي والغربي من جهة أخرى بواقع كابولي في كل جدار، وهي عقود تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة كما تقدم، وقد كان السقف الأصلي للمسجد من عروق وألواح خشبية مذهبة، كما زخرف عند إنشائه، غير انه جدد تجديداً شاملاً في تاريخ لاحق علي إنشاء المسجد، وهو ما سوف نتناوله في المحور الثالث من البحث والسقف الحالي عبارة عن كمرات حديدية مغلقة بشبك، ويشتمل علي طبقة أسمنتية، وقد خلا السقف من الزخارف، ودهن باللون الأبيض، وعند تجديد السقف أقيمت أربعة مناور فتحت بها شبابيك من الزجاج لغرض الإضاءة والتهوية إضافة للمداخل والدخلات بمكوناتها المعمارية سواء في شبابيكها أو قنذلياتها وغير ذلك من الفتحات، حيث إنها تمثل عناصر الإضاءة والتهوية للمسجد، حيث يعد المسجد من المساجد المغطاة التي لا تشتمل علي فناء مكشوف، ويعزي تغطية المسجد بالكامل إلى العوامل البيئية المناخية ببور سعيد التي تتعرض للأمطار والبرودة الشديدة في فصل الشتاء، ومن ثم فإن وجود أكثر من منور أو شخشيخة، فضلاً عن العناصر المعمارية التي تقدم ذكرها من مداخل وشبابيك وقنذليات وفتحات كان بغرض الإضاءة والتهوية في فصل الصيف، هذا وقد استخدم الرخام في أعمال المسجد سواء في المحراب أو جدران المسجد كلها من الداخل من أسفل، حيث كسيت بوزرة رخامية تعد الوزرة الأصلية للمسجد، أما فيما يتعلق بالكسوة الرخامية للأعمدة فهي مستحدثة وليست من عصر الإنشاء، أما الأخشاب فقد استخدمت ضمن مواد البناء وذلك في صناعة المنبر وأبواب المداخل ومصبغات الشبابيك، وقد كان الخشب أيضاً مستخدماً في السقف الأصلي للمسجد وكان مذهباً ومزخرفاً، غير انه جدد بالكامل واستبدل بكرات حديدية تظهر علي المسقط الأفقي للمسجد.

المئذنة (لوحات ٢٨-٣٠) (شكل ٤):

يشتمل المسجد على مئذنة واحدة تقع خلف المحراب، يتوصل إليها من خلال فتحة تقع في الجهة الشمالية الشرقية للمحراب أي جهة الجدار الشمالي الشرقي، حيث ينعطف الداخل يمينا في الدهليز الذي تقدم ذكره، يفضى هذا الدهليز إلى فتحة في الجهة الجنوبية الشرقية منه تؤدي إلى سلم حلزوني يؤدي بدوره إلى سقف المسجد،

وتعلو المئذنة سقف المسجد، وتشرف على الجهة الجنوبية الشرقية وشارع المحروسة، وهي تتكون من قاعدة مربعة وطابق أول مثنى يعلوه طابق أسطواني تتوجه قمة كمثرية الشكل على غرار قمة المنبر، وتفصيل ذلك أن المئذنة تتكون من قاعدة مربعة تشتمل على مدخل في الجهة الشمالية الشرقية عبارة عن فتحة مستطيلة يتوجها عقد نصف دائري يفضى إلى داخلها، كما تزدان في كل ركن من أركانها بعمود مدمج له قاعدة وتاج بهيئة ناقوسية، كذلك تزدان في الجهة الشمالية الغربية بتكوين زخرفي مستطيل نفذ أفقياً يشتمل في داخله على طابقين نجميين من الجص، ويعلو كل ركن من أركان القاعدة منطقة انتقال لتحويل مربع القاعدة إلى طابق مثنى أول، ومناطق الانتقال جاءت على هيئة مثلثات منزقة ومقلوبة بواقع مثلث في كل ركن، وقد زخرفت بأجنحة وتواءات، أما الطابق المثنى فقد زخرف في أربعة أضلاع منه والتي تعلو مناطق الانتقال بدخلات مصممة تتوجها عقود مسننة بواقع دخلة في كل ضلع تزدان بأشكال رباعية هندسية، أما الأضلاع الأربعة المقابلة للجهات الأصلية فهي على نفس نمط الزخرفة في الأضلاع المصممة، غير أنها هنا نافذة تتقدمها مشترفات صغيرة وجميلة بواقع مشترفة في كل ضلع تزدان بأشكال أطباق نجمية وبيانات ومقرنصات حاملة، وقد نفذت بغرض زخرفي بحث لإضفاء الجمال الزخرفي على الطابق المثنى، وتفصل بين الدخلات النافذة والمضاهايات في كل ركن من أركان الطابق المثنى ثلاثة أعمدة مدمجة، ثم يعلو ذلك مقرنص حامل للشرفة الأولى للمئذنة، والطابق المثنى في مجمله يعد تحفة معمارية وفنية جميلة، أما الشرفة الأولى فيتوصل إليها من الطابق الأسطواني، وهي مثمثة ذات قوائم وبيانات ونسق تزدان بتكوينات زخرفية وهندسية بديعة على هيئة أطباق نجمية مفرغة، أما الطابق الثاني الأسطواني فيتكون من مستويين، الأول من أسفل خال من الزخرفة يقع خلف درابزين الشرفة الأولى، ويشتمل على فتحة تقدم ذكرها، يتوصل منها إلى الشرفة الأولى، أما المستوى الثاني من أعلى فقد زخرف بكامله بتكوينات زخرفية على هيئة معينات في تصميم زخرفي بديع بحيث نفذت رؤوس المعينات على هيئة أوراق نباتية ثلاثية، خاصة من أسفل ومن أعلى على نسق الطراز المغربي الأندلسي، ثم يتوج هذا الطابق شريط كتابي يستدير باستدارته من كتابات قرآنية يعلوه مقرنص يحمل الشرفة الثانية، وهي شرفة دائرية يتكون درابزينها من قوائم وبيانات ونسق تزدان بأطباق نجمية مفرغة على غرار الشرفة الأولى، ويبدأ بدن القمة التي تتوج المئذنة من أرضية الشرفة الثانية تعلوه رقبة تحمل بدورها خوذة كمثرية الشكل يعلوها هلال، والمئذنة في مجملها قد تعرضت لبعض التجديدات التي سوف نتناولها في المحور الثالث من البحث، غير أن هذه التجديدات لم تخرجها عن أصولها المعمارية التي شيدت عليها.

الدراسة المقارنة:

أولاً: الواجهات والمداخل:

شيدت واجهات المسجد العباسي بالحجر المشهر، غير إنها اختلفت وراء الدهانات الحديثة، وقد استخدم الحجر المشهر الأبيض والأحمر قبل عهد الخديو عباس حلمي الثاني في بعض واجهات العمائر الدينية بمدينة القاهرة نذكر منها على سبيل المثال في عهد الخديو إسماعيل (١٢٧٩-١٢٩٦هـ / ١٨٦٣-١٨٧٩م) واجهة مسجد^(٢٤) الشيخ صالح أبو حديد بحي الناصرية (١٢٨٠-١٢٨٤هـ - ١٨٦٣/١٨٦٧م)، كما استخدم الحجر الجيري الفص النحيت في مسجد السيدة سكيانة بحي الخليفة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م على سبيل المثال.

والمواقع أن الخديو عباس حلمي الثاني اهتم بواجهات المسجد اهتماماً عظيماً سواء في مكوناتها المعمارية أو الزخرفية شأنها في ذلك شأن واجهات العمائر الدينية بمدينة القاهرة وغيرها من المدن المصرية في ذلك الوقت مثل مدينة الإسماعيلية على سبيل المثال حيث اهتم بالواجهتين الشمالية الشرقية و الجنوبية الشرقية في عمارة مسجده الذي عرف بالمسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية ١٣١٦هـ / ١٨٩٥م والذي يقع بشارع الجامع من شارع صلاح سالم والذي تقدم ذكره، فقد حرص المعماري على أن يضع المئذنة ضمن وحدات المنشأة المكونة للواجهة العمومية التي تشرف من خلالها المنشأة على الشارع العمومي، وقد استغل المعماري هنا سمك الجدار الخارجي للمنشأة في الواجهة الجنوبية الشرقية نتيجة محاولة الموافقة بين اتجاه الشارع و اتجاه القبلة لتشكيل مساحة منتظمة من الداخل للمنشأة كأساس للمئذنة الذي كون في هذه الحالة جزءاً مندمجاً من أجزاء الواجهة، وهو الأسلوب الذي بلغ أوج ازدهاره في العصر المملوكي وقد وجد هذا الأسلوب في عمارة المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية.^(٢٥)

كما حرص على أن يقيم على الواجهات العمومية العديد من الوحدات و العناصر المعمارية والزخرفية مثل المداخل والدخلات وبعض الملحقات وغير ذلك، وقد نفذت الواجهات هنا في المسجد العباسي على الطراز المملوكي من حيث تقسيم الواجهات إلى دخلات رأسية متوجة من أعلى بصدر مقرنص، وقد وزعت بشكل متناغم بحيث تتوافق الواجهة الجنوبية الشرقية مع الواجهة الشمالية الغربية من جهة، والواجهة الشمالية الشرقية مع الواجهة الجنوبية الغربية، وهو الأسلوب الذي وجد

(٢٤) إبراهيم عامر: العمائر، صص ٤٠-٤١ .

(٢٥) محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفية في العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٩٧٩م، صص ٢٤٥-٢٤٦، عبد الله كامل موسى: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكي (دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامي) رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، صص ٥٤٤، سهير جميل إبراهيم: الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا، ص ١٨٤.

بمدينة القاهرة خلال الفترة موضوع الدراسة في مسجد قوصون بالحلمية الجديدة خلال الفترة من ١٢٩٠-١٣١١هـ / ١٨٧٣-١٨٩٣م أي في عهدي الخديو إسماعيل والخديو عباس حلمي الثاني، ومسجد السيدة زينب بحي السيدة زينب ١٢٩٧-١٣٠٤هـ / ١٨٨٠-١٨٨٧م، ومسجد إبراهيم كتحدا عز بان ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م، ومسجد السيدة سكينه بحي الخليفة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م، على سبيل المثال وليس الحصر كما وجد هذا الأسلوب في المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية أي خارج مدينة القاهرة ١٣١٦هـ / ١٨٩٥م.

وقد اشتملت هذه الدخلات على شبابيك ذات عقود مستقيمة، والشبابيك مغطاة بمصبعات خشبية، يعلوها نفيس ثم عقد عاتق، ثم يعلو كل ذلك قندلية بسيطة، وهو الأسلوب الذي وجد في مسجد الشيخ صالح أبو حديد، ومسجد السيدة سكينه على سبيل المثال بمدينة القاهرة، وفي المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية.

أما فيما يتعلق بالمداخل فقد اشتمل المسجد العباسي كما تقدم على ثلاثة مداخل محورية وزعت بشكل متناغم بحيث يقع المدخل الشمالي الغربي على محور المحراب، بينما يقع المدخل الشمالي الشرقي على محور المدخل الجنوبي الغربي، وهي مداخل ذات حجر غائر على جانبيها أوجد المعماري مكسلتين أو جليستين، تتوجها من أعلى عقود مدائنية أو ثلاثية، وقد حددت هيئة المداخل بجفوت لاعبة ذات ميمات مستديرة، وقد اشتملت هذه المداخل على عقود مستقيمة أعدت لنقوش كتابية نفذت فعلاً في المدخل الشمالي الشرقي يعلوها نفيس ثم عقد عاتق، ثم يعلو كل ذلك شبك صغير، والواقع أن المداخل ذات الحجر الغائر وجدت في مسجد قوصون بالحلمية الجديدة ١٢٩٠-١٣١١هـ / ١٨٧٣-١٨٩٣م، أما المداخل ذات العقود المدائنية أو الثلاثية فقد تنوعت ما بين طاقة ملساء ترتكز على صفوف من المقرنصات كما في مسجد السيدة زينب ١٢٩٧-١٣٠٤هـ / ١٨٨٠-١٨٨٧م، وفي المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية، وطاقة ذات زخرفة إشعاعية ترتكز على مقرنصات كما في مسجد السيدة سكينه على سبيل المثال ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م، وطاقة ترتكز على تخويصات كما في مسجد السيدة زينب، وطاقة ترتكز على تخويصات تحصر في الأركان حنايا ركنية كما في مسجد السيدة زينب، أما الجفوت اللاعبة والميمات فقد وجدت بمدينة القاهرة على سبيل المثال في مسجد السيدة زينب، ومسجد إبراهيم كتحدا عزبان، ومسجد السيدة سكينه، كما وجدت في مدينة الإسماعيلية في المسجد العباسي ١٣١٦هـ / ١٨٩٥م.

هذا وقد ازدانت الواجهات والمداخل بزخارف نباتية من طراز الأرابيسك كما ازدانت بأشكال هندسية تنوعت ما بين أطباق نجمية أو وحدات منها وأشكال دوائر، وميمات، وجفوت لاعبة، ومستطيلات رأسية وأفقية، وأشكال مثلثات، وعقود ثلاثية، وإشعاعات وغير ذلك ونقوش كتابية نسخية، أما زخرفة الأرابيسك فقد وجدت في

مسجد السيدة زينب ١٢٩٧-١٣٠٤هـ / ١٨٨٠-١٨٨٧م، ومسجد السيدة سكينه علي سبيل المثال كما وجدت في المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية، ووجدت الزخارف الهندسية في مسجد الشيخ صالح أبو حديد، ومسجد السيدة سكينه علي سبيل المثال وفي المسجد العباسي بالإسماعيلية، أما النقوش الكتابية فقد أسهمت بدور كبير في تزيين عمائر هذه الفترة، حيث استخدم الخط كعنصر زخرفي في عدة مواضع من المسجد العباسي في الواجهات الخارجية والمداخل والجدران الداخلية والمحراب والمنبر والمئذنة وغير ذلك من الوحدات والعناصر المعمارية في المسجد، وقد نفذت هذه الكتابات في بعضها بالنحت في الحجر، وفي البعض الآخر بالجص أو باللون، وهي من حيث المضمون تشتمل في بعضها علي كتابات أثرية تأسيسية كما في المدخل الشمالي الشرقي، حيث تؤرخ في البناء بالسنة وتشتمل علي اسم المنشئ، حيث يبدأ النص التأسيسي بكلمة "أنشئ"، ففي عهد الخديو عباس حلمي الثاني كما يذكر إبراهيم^(٢٦) إبراهيم أحمد عامر لا يبدأ النص بكلمة "أنشئ هذا..." كما شاع في عهد الخديو إسماعيل والخديو توفيق سواء كان المسجد شيد لأول مرة، أو كان بموضعه مسجد آخر قديم يحمل نفس الاسم وجدد تجديداً شاملاً إلا إذا كان المسجد يشيد لأول مرة، أما إذا كان بموضعه مسجد قديم وهدم ثم بني بدلاً منه آخر فيبدأ النص بكلمة "جدد هذا..."، وإذا كان بناء المسجد قد بدأ في عهد سابق له وتم في عهده فيبدأ النص "يتم إنشاء..."، وقد تقدم أن المسجد العباسي موضوع الدراسة يبدأ النص التأسيسي فيه "أنشئ هذا..." وهو ما يتفق مع ما تقدم من جهة، ومع ما ورد علي أنمسجد العباسي بالإسماعيلية حيث بدأ النص "أنشئ هذا...".

التخطيط:

احتفظ المسجد العباسي بمعظم عناصره التخطيطية التي بني عليها في عهد الخديو عباس حلمي الثاني، فقد جاء المسجد يشغل مستطيلاً مقاييسه من الداخل ٢٠,٢٠م × ٣٣,٤٠م ومن الخارج ٢٢,٨٠م × ٣٦م، قسم إلى سبع بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب في موازاة جدار القبلة، وذلك من خلال ست بانكات تتكون في كل منها من خمسة عقود ترتكز علي أربعة أعمدة وكابولين في الجدارين الشرقي والغربي بواقع كابولي في كل جدار، وهي عقود مدببة تحمل سقفاً خشبياً مذهباً ومزخرفاً، غير إنه جدد تجديداً شاملاً في تاريخ لاحق علي إنشاء المسجد فأصبح من كمرات حديدية وشبك وطبقة أسمنتية والواقع أن تخطيط المسجد من بلاطات موازية لجدار القبلة يعد طرازاً من الطرز التي وجدت بمصر خلال الفترة موضوع الدراسة، حيث وجد تخطيط المسجد من بلاطات موازية لجدار القبلة من خلال بانكات تمتد من الشرق إلى الغرب، ويغطيه سقفاً خشبي من براطيم أو عروق، ويتوسطه شخصيخة في عهد

(٢٦) إبراهيم عامر: العمائر، ص ٤٠٦.

الخدوي توفيق (١٢٩٦-١٣٠٩هـ / ١٨٧٩-١٨٩٢م) في مسجد المطراوي بحي المطرية ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م، وفي عهد الخديو عباس حلمي الثاني في مسجد إبراهيم كتخدا عزبان، ومسجد السيدة سكيئة، ومسجد السيدة نفيسة ١٣١٠-١٣١٤هـ / ١٨٩٢-١٨٩٧م بحي الخليفة.

وقد وجدت البلاطات التي تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة كما في المسجد التوفيقي بحلوان (حمامات حلوان) ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م، أما فيما يتعلق بالمعالجة المعمارية الرائعة في الجهة الجنوبية الشرقية أي خلف جدار القبلة في المسجد العباسي يفصلها عن جدار القبلة دهليز مستطيل و ذلك للموائمة ما بين تخطيط المسجد من الداخل واتجاه جدار القبلة و خط تنظيم الطريق من الخارج و التي تقدم ذكرها فقد وجدت قبل الفترة موضوع الدراسة في الجامع الأقرم ٥١٩هـ / ١١٢٥م على سبيل المثال، وخلال الفترة موضوع الدراسة في مسجد إبراهيم كتخدا عزبان الذي تقدم ذكره.

المئذنة:

شيدت عدة مآذن في عهد الخديو عباس حلمي الثاني بمدينة القاهرة مثل مئذنة مسجد إبراهيم كتخدا عزبان ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م، و مئذنة مسجد السيدة سكيئة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م، ومئذنة مسجد عزبة الجبل (الشفا) ١٣٢٨هـ / ١٩٠٩م وذلك بمدينة القاهرة، و مئذنة المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية على سبيل المثال، وذلك على الطراز المملوكي مع وجود أشكال جديدة لبعض المآذن مثل مئذنة مسجد السلطان الحنفي بحي الناصرية ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م. (٢٨)

وقد تقدم ذكر المئذنة سواء من حيث التكوين المعماري أو الزخرفي، حيث جاءت من قاعدة مربعة يعلوها طابقي أو ل مثنى من خلال مناطق انتقال ركنية من مشاتل منزلفة ومقلوبة زخرفت بأجنحة و نتوءات، يعلو الطابق المثنى طابق أسطواني توجه قمة كمثرية، وهى في تكوينها المعماري إنما تعد امتداداً للطراز المملوكي الذي تتعاقب فيه الطوابق مربعة فمثمثة فدائرية وهو التكوين المعماري الذي يشبه إلى حد كبير تكوين مئذنة المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية، غير أن المئذنة هنا خلت من الجوسق، كما أنها في قمتها التي جاءت على هيئة كمثرية تماثل القمم ذات الشكل الكمثرى التي وصلت إلينا من العصر المملوكي، وتتفق القمة هنا و قمة المنبر في المسجد، أما فيما يتعلق بزخارف المئذنة سواء الهندسية مثل الأطباق النجمية والأشكال الرباعية وأكال المعينات وأشكال المتود والدخلات النافذة والمضاهيات والأعمدة المدمجة وغير ذلك والنقوش الكتابية القرآنية فقد تقدم ذكرها بالتفصيل وهى

٢٨ إبراهيم عامر: العمانر، مج ٢، شكل رقم ٢٩.

٢٩ إبراهيم عامر: العمانر، ص ٣٢٨.

تعد امتداداً لمثيلاتها في العصر المملوكي من جهة، ووجدت على معظم مآذن الفترة موضوع الدراسة خاصة تلك التي تقدم ذكرها بمدينة القاهرة أو المسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية والتي صممت وبنيت على الطراز المملوكي.

المحور الثالث: التجديدات والأحداث التي مرت بالمسجد العباسي حتى تم تسجيله في عداد الآثار الإسلامية:

تم تسجيل المسجد العباسي موضوع الدراسة في عداد الآثار الإسلامية بناء على قرار^(٢٩) اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية بالمجلس الأعلى للآثار في جلستها المؤرخة ٢٥/١٠/٢٠٠٥م، ومن ثم تم مخاطبة وزارة الأوقاف (مديرية أوقاف بورسعيد) بعدم المساس بالمبنى سواء من الناحية الهندسية أو الفنية أو بناء منشآت أخرى مجاورة له إلا بعد الرجوع إلى المجلس الأعلى للآثار، حيث انه ينطبق عليه قانون حماية الآثار رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣م، وتفصيل ذلك انه تقرر من قبل مديرية أوقاف بورسعيد طرح أعمال إحلال وتجديد المسجد العباسي بالجهود الذاتية بمشاركة المحافظة ورجال الأعمال أسوة بما تم عمله في المسجد التوفيقي الذي أعيدت عمارته بالكامل على أحدث الطرز المعمارية ومن ثم فقد أثرته كما تقدم.

وقد أفادت مديرية أوقاف بورسعيد بأن المسجد العباسي تعرض للعديد من التجديدات عقب تشييده، ومن ثم وافق السيد اللواء / محافظ بورسعيد في ١١/١١/٢٠٠٠م على طرح أعمال إحلال وتجديد المسجد، ومن ثم إخلاء مبنى المديرية بالكامل وتعويض الشاغلين للمحلات، ثم إعداد كافة الرسومات الهندسية لمشروع باعتبار أن المسجد يمثل المسجد الرسمي والرئيسي بمحافظة بورسعيد. وقد وافق السيد الأستاذ الدكتور/ وزير الأوقاف من حيث المبدأ على المشروع المقترح، وقرر المساهمة المالية، غير أن قطاع الآثار الإسلامية بالمجلس الأعلى للآثار قد رفض، فضاء قاطعاً عملية الإحلال والتجديد حتى لا تفقد مصر بشكل عام ومدينة بورسعيد بشكل خاص أثراً إسلامياً آخر بعد أن فقدت المسجد التوفيقي الذي كان تحفة معمارية رائعة كما تدل الصور المرفقة بالبحث (لوحات ١-٦) من منظور أن المسجد العباسي يحتفظ بتخطيطه كاملاً والعديد من الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية من عصر الإنشاء، ومن ثم يجب الحفاظ عليه كأقدم أثر إسلامي في بورسعيد، وبحيث لا يتعارض وجوده مع تعديل مشروع وزارة الأوقاف لبناء الصرح الإسلامي السديني الجديد إلى جانب المسجد القديم في تناغم وتوافق معماري وفني بين القديم والمعاصر.^(٣٠)

أعمال الترميم والصيانة التي مرت بالمسجد:

(٢٩) المجلس الأعلى للآثار. قطاع الآثار الإسلامية والقبطية، ملف الأثر.

(٣٠) المجلس الأعلى للآثار. قطاع الآثار الإسلامية والقبطية، ملف الأثر.

أفادت مديرية أوقاف بورسعيد بأن الأرض التي يوجد عليها المسجد العباسي تبلغ مساحتها ٤٢٦٤م، وهي في ملك وزارة الأوقاف، كما أفادت بأنه يوجد مبنى لمديرية الأوقاف بمساحة ٢٨٠م ومكتبة وميضة، كذلك اشتملت الجهة الجنوبية الغربية على سبعة وعشرين محلاً تتبع مديرية الأوقاف، وقد تم أزالتها مقابل تعويضات، وقد تم نقل مديرية الأوقاف تمهيداً لعملية إحلال وتجديد المسجد العباسي الذي تم عمل صيانة له في عام ١٤١٠هـ/١٩٨٩م من قبل مديرية الإسكان بالمدينة، وقد شملت أعمال الترميم أسقف المسجد.

وخلال الفترة من ١٤١١-١٤١٢هـ/١٩٩٠-١٩٩١م تم عمل بعض الترميمات بزخارف المسجد والأعمال الخارجية من خلال مديرية الأوقاف، ثم تم هدم وإعادة بناء الميضة بالكامل من خلال بعض رجال الأعمال في سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، وفي سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م تم هدم سقف المسجد وإعادة البناء، وعمل دهانات داخلية وخارجية وأعمال رخام والأرضيات بناء على تقارير هندسية ميدانية أثبتت أن السقف الخشبي يمثل خطورة على المصلين، ومن ثم تم تجديد السقف كما تقدم، وبعد كل ما تقدم رأيت مديرية أوقاف بورسعيد بناء على توجيهات السيد اللواء/محافظ بورسعيد في اجتماع مجلس إدارة صندوق عمارة المساجد بتاريخ ١١/١١/٢٠٠٠م إحلال وتجديد المسجد العباسي، وقد وافق المجلس التنفيذي والمجلس الشعبي المحلي في جلسة ٢٠٠٤/٣/٣١م على عملية الإحلال والتجديد، غير أن قطاع الآثار الإسلامية والقبطية قام بتسجيل المسجد في عداد الآثار الإسلامية للحفاظ عليه من جهة، وعلى أقدم اثر إسلامي مؤرخ بالمدينة بعد إحلال وتجديد المسجد التوفيقى، وذلك في ٢٥/١٠/٢٠٠٥م من خلال اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية بالمجلس الأعلى للآثار مع الموافقة على تعديل المشروع المقترح الذي تقدم ذكره والمقدم من مديرية أو قاف بورسعيد بحيث يتوافق ويتناغم المشروع الجديد مع عمارة المسجد لتقديم سواء من حيث التخطيط أو اتجاهات والارتفاعات والمئذنة وغير ذلك من الناحيتين الهندسية والفنية.^(٣١)

(٣١) المجلس الأعلى للآثار: قطاع الآثار الإسلامية والقبطية، ملف الأثر.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

اهتم موضوع هذا البحث بعمل دراسة أثرية معمارية وزخرفية مقارنة للمسجد العباسي بمدينة بورسعيد وهي أول دراسة تتناول المسجد العباسي بعد تسجيله في عداد الآثار الإسلامية بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠٠٥م بعد كل ما أثير حوله من آراء تتعلق بطرح أعمال إحلال وتجديد المسجد أسوة بما تم عمله بالمسجد التوفيقي ببورسعيد ١٣٠٠-١٣٠٣هـ/١٨٨٢-١٨٨٥م الذي فقد أثريته بعد أعمال إحلال وتجديد عمارته في سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ومن ثم كان لابد لقطاع الآثار الإسلامية أن يتحرك فوراً للحفاظ علي المسجد العباسي موضوع الدراسة والذي شيد في سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤-١٩٠٥م وتسجيله كأقدم أثر إسلامي بمدينة بورسعيد، خاصة وأن المسجد يحتفظ بتخطيطه الذي شيد عليه والعديد من الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية التي بنيت في عهد الخديو عباس حلمي الثاني.

وقد تناول البحث في المحور الأول نبذة تاريخية عن الخديو عباس حلمي الثاني وبعض أعماله المعمارية سواء في مدينة القاهرة أو بعض الأقاليم مثل مدينة الإسماعيلية علي سبيل المثال، كما تناول مدينة بورسعيد من حيث النشأة والتطور وهي دراسة جديدة تناولت نشأة المدينة في سنة ١٢٧٧هـ/١٨٥٩م وموقعها الجغرافي، ثم نمو المدينة في سنوات ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، و١٢٨٢هـ/١٨٦٥م، و١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، و١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، و١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، و١٢٩٩هـ/١٨٨١م، و١٣١٣هـ/١٨٩٥م، كما أمكن رصد النمو السكاني للمدينة من خلال النصوص التي تقدم ذكرها والذي بلغ خلال الفترة من تاريخ النشأة ١٢٧٧هـ/١٨٥٩م حتى سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م ٢٠٠٠ نسمة، ومن سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م حتى سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م بلغ النمو السكاني ٧٠٠٠ نسمة، وازداد هذا العدد في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م إلى ١٠٠٠٠ نسمة، وبلغ عدد سكانها في سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م ١٧٠٠٠ نسمة، وقد تناول هذا المحور أيضاً ذكر أقدم مسجد جامع بالمدينة والذي كان يعرف بجامع قرية العرب، ومع النمو السكاني المتزايد الذي تقدم الإشارة إليه رأي الخديو محمد توفيق باشا أن جامع قرية العرب قد تداعي إلى السقوط وكان من الخشب، وكان غير منتظم هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان قد ضاق بالمصلين في ظل هذه الزيادة المطردة في عدد السكان من المسلمين فأمر بتشيد مسجده الذي عرف بالمسجد التوفيقي نسبة إليه خلال الفترة من ١٣٠٠-١٣٠٣هـ/١٨٨٢-١٨٨٥م، وظل هذا المسجد هو أقدم عمارة دينية بمدينة بورسعيد، وبسبب تطور وازدهار المدينة ضاق المسجد التوفيقي أيضاً بالمصلين فأمر الخديو عباس حلمي الثاني ببناء مسجده الذي عرف بالمسجد العباسي نسبة إليه في سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤-١٩٠٥م، غير أن مديرية أوقاف بورسعيد قامت بإحلال وتجديد المسجد التوفيقي في سنة ١٤٢٢هـ

٢٠٠١م فغدا المسجد العباسي بعد تسجيله في عداد الآثار الإسلامية أقدم أثر معماري ديني إسلامي بمدينة بورسعيد.

تناول البحث في المحور الثاني الدراسة المعمارية والفنية المقارنة، وقد شملت هذه الدراسة الواجهات والمداخل والتخطيط من الداخل والمحراب والمنبر ومواد البناء والأعمدة والعقود والمئذنة من خلال دراسة ميدانية قام الباحث خلالها بعمل مسقط أفقي للمسجد وقطاعات هندسية وخرائط وصور فوتوغرافية سواء للمسجد التوفيقي قبل عملية إحلال وتجديد عمارته نظراً لأهميته التاريخية والحضارية أو للمسجد العباسي موضوع الدراسة، وهذه الدراسة علي هذا النحو تعد أول دراسة علمية ميدانية تتناول التخطيط والوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية للمسجد، وقد شملت هذه الدراسة أيضاً دراسة مقارنة ما بين هذا المسجد في عمارته وبعض المساجد بمدينة القاهرة وبعض المدن الإقليمية مثل مدينة الإسماعيلية التي شيد بها الخديو عباس حلمي الثاني المسجد العباسي الذي تقدم ذكره.

أما المحور الثالث فقد تناول أهمية تسجيل المسجد العباسي نظراً لما أثير حوله من آراء تتعلق بعملية إحلال وتجديد عمارته، وكنا بصدد أن نفقد أثراً إسلامياً آخر بعد أن فقدنا المسجد التوفيقي الذي كان يعد من أهم المعالم الأثرية بمدينة بورسعيد يدل علي ذلك الصور التي تمكنت من الحصول عليها والتي تبين روعته وجماله سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية، لذا حرصت علي أن يتضمنها هذا البحث.

كما يتناول هذا المحور أيضاً الإضافات والتجديدات التي تعرض لها المسجد العباسي وأوضحت الدراسة أن هذه الأعمال لم تغير من تخطيط وعمارة المسجد فيما عدا السقف الذي جدد بالكامل، والمسجد بشكل عام يحتاج إلى عملية ترميم لإعادته إلى أصله القديم.

قائمة المصادر والمراجع العربية وغير العربية

أولاً: المصادر:

* المقرئزي (نقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م:

- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧م.

ثانياً: المراجع العربية :

* إبراهيم إبراهيم أحمد عامر: (دكتور)

- العماير الدينية بمدينة القاهرة في عصر إسماعيل وتوفيق وعباس حلمي الثاني (دراسة معمارية أثرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا، المجلد الأول، ١٩٩٣م).

* أحمد شفيق:

- حوليات مصر السياسية، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م.

* زين العابدين شمس الدين: (دكتور)

- بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشأتها ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

* سهير جميل إبراهيم: (دكتور)

- الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

* ضياء الدين حسن القاضي:

- موسوعة تاريخ بورسعيد، بورسعيد، المستقبل، ١٩٩٧-٢٠٠٢م.

* عبد الله كامل موسى عبده: (دكتور)

- تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكي - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

* عبد الرحمن الرفاعي:

- عصر إسماعيل، دار المعارف، القاهرة.

* عبد المنصف سالم حسن نجم:

- الطرز المعمارية والفنية لبعض مساكن الأمراء والباشاوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر (دراسة مقارنة)، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

* علي باشا مبارك:

- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة (طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٦٩م)، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، الطبعة الثانية عن طبعة بولاق، سنة ١٣٠٥هـ/١٩٩٠-١٩٩٤م.

* محمد رفعت:

- تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٣٨م.
* محمد رمزي:

- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
* محمد عبد الستار عثمان: (دكتور)

- نظرية الوظيفية في العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٧٩م.
* المجلس الأعلى للآثار:

- ملف الأثر، قطاع الآثار الإسلامية والقبطية.

ثالثاً: المراجع غير العربية:

* Marie - laure crosnier - Leconte - :

- Histoires, Architectures, Port-saïd, Architectures, xixe-xxe siecles, institut francais d'arche`ologie orientale, le caire, 2006.

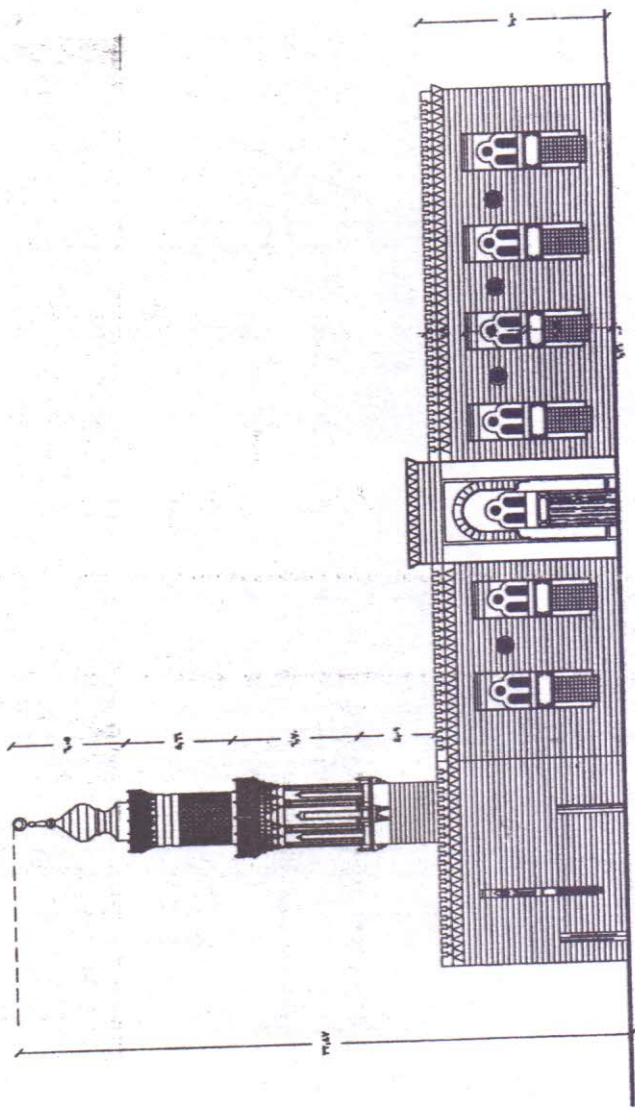
* Naguib amin:

- le vieux port-saïd (1860-1890), port-saïd, architectures xixe-xxe sie`cles, institut francais d'arche`ologie orientale ,le caire ,2006 .

- lieux de culte ,port-saïd, Architectures xixe-xxe sie`cles ,institut francais d'arche`ologie orientale ,le caire ,2006 .

* vale`rie Nicolas :

- Avant-propos, port-saïd, architectures xixe-xxe sie`cles, institut francais d'arche`ologie orientale, le caire 2006 .

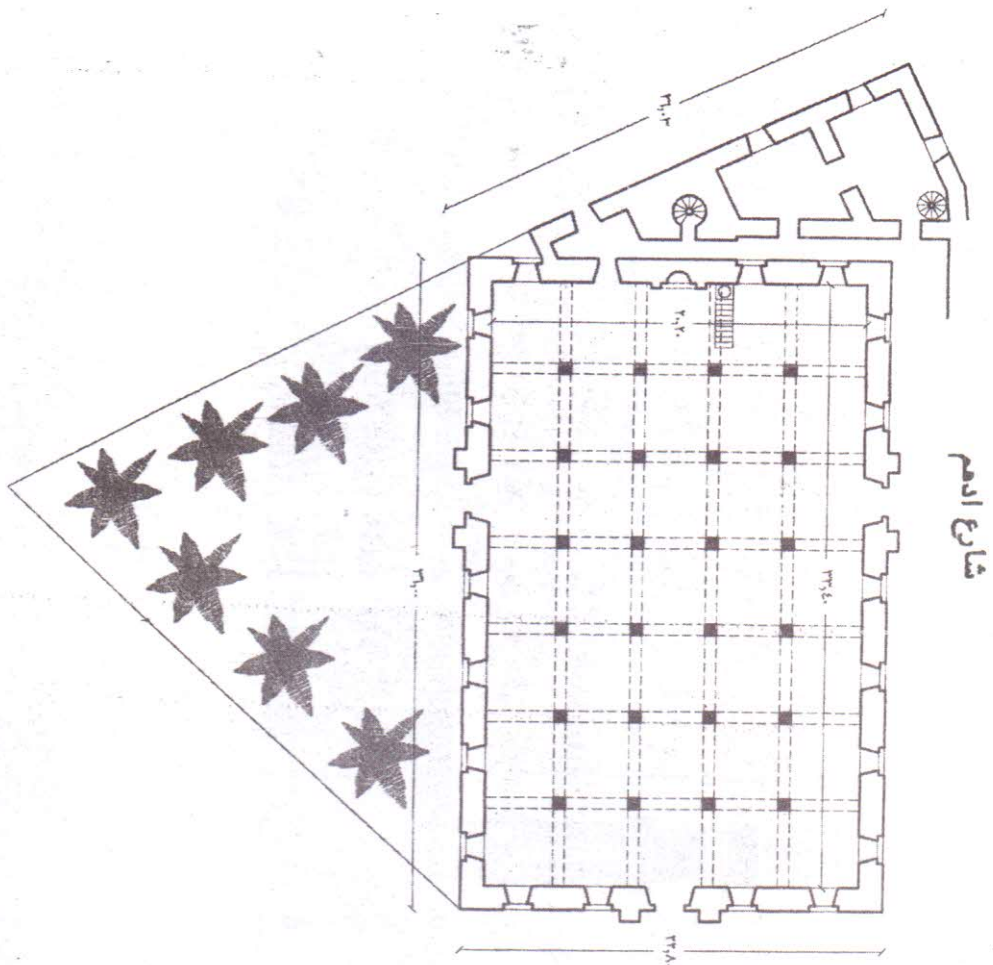


الواحة الرجحية

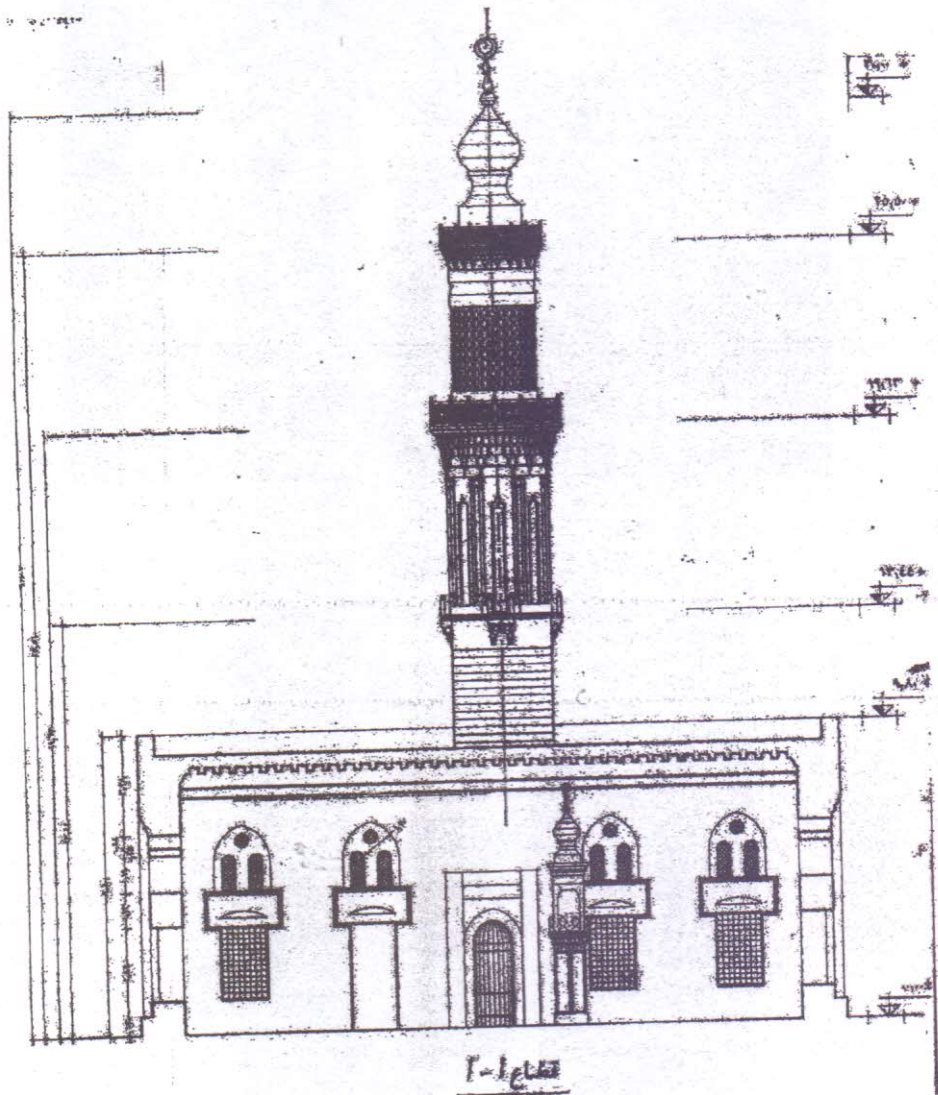
شكل (٢) قطاع للمسجد العباسي عمل الباحث

١ : ٢٠٠





شكل (٣) منقط أفقي للمسجد العباسي عمل الباحث



تصميم (١) - قبة

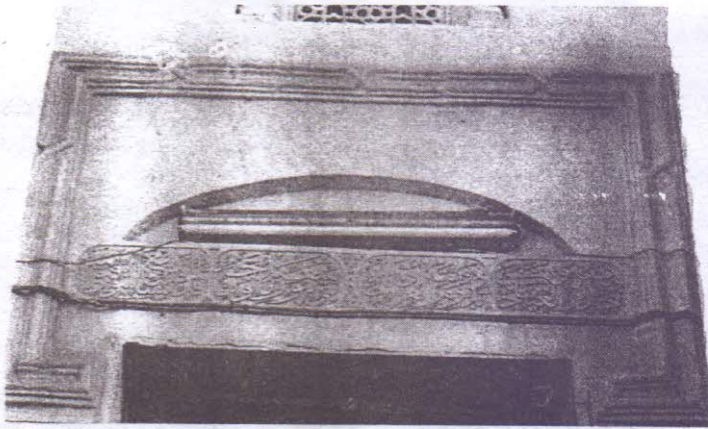
تصميم (١) - قبة المسجد الكبير - صنع المصمم



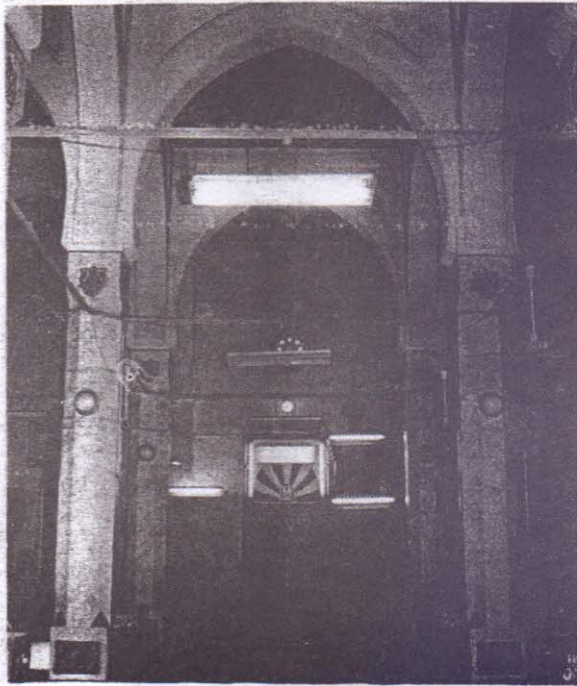
لوحة ١) المسجد النبوي في بغداد سعيد قبل الاحتلال والتحديد



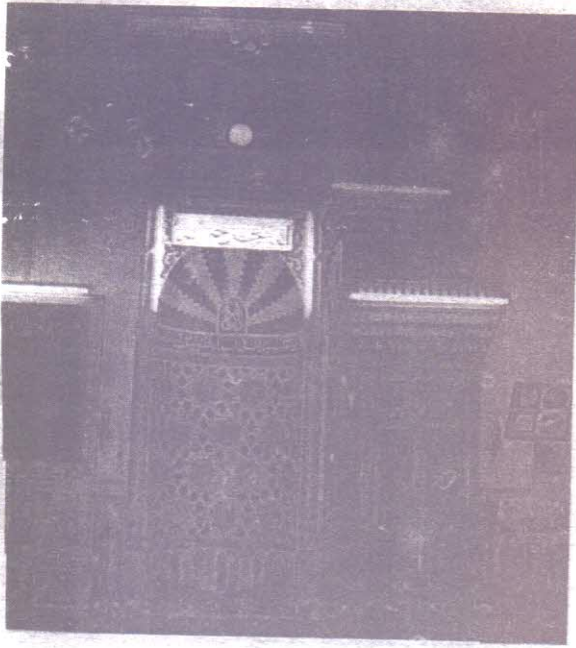
لوحة ٢) المسجد النبوي في بغداد سعيد قبل الاحتلال والتحديد



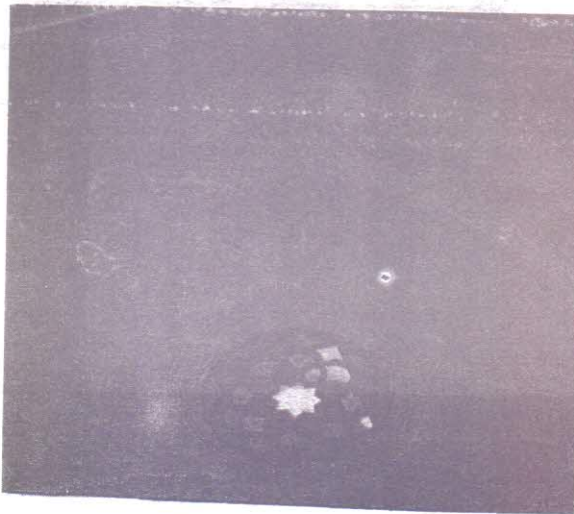
توحيد ٣ : المسجد التوفيقي بجزيرة سقطرى من الإحلال و سجد



توحيد ٤ : المسجد التوفيقي بجزيرة سقطرى من الداخل



نوحية ٥) المسجد التوفيقي ببور سعيد من الداخل



نوحية ٦) المسجد التوفيقي ببور سعيد من الداخل

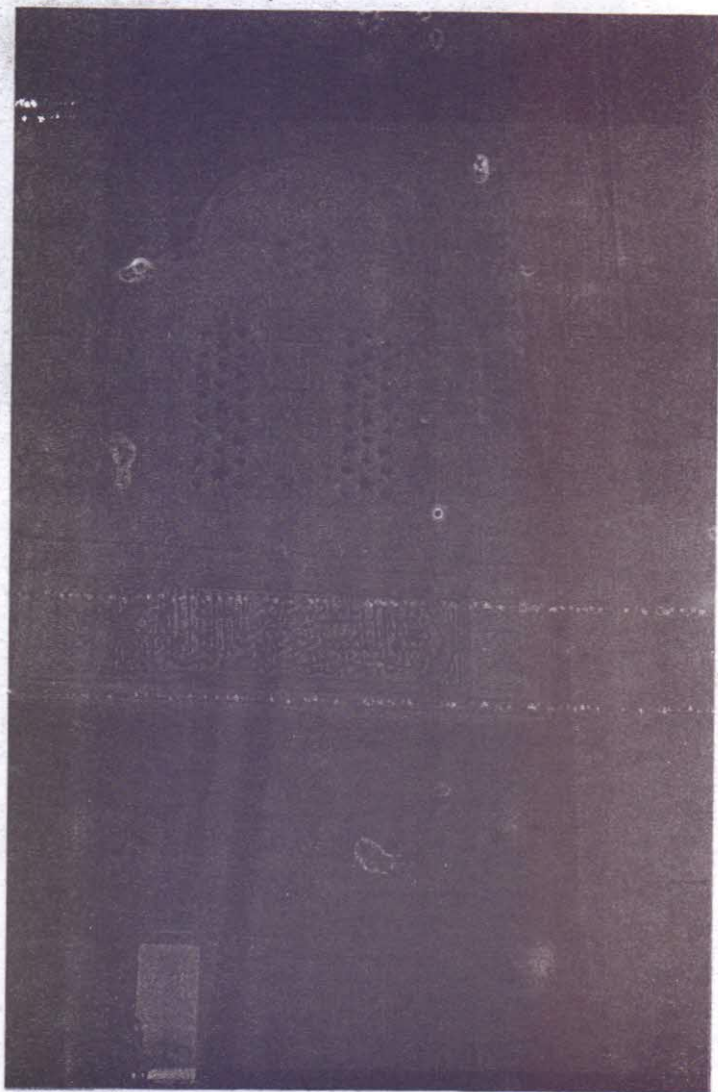
دراسات في آثار الوطن العربي ٨



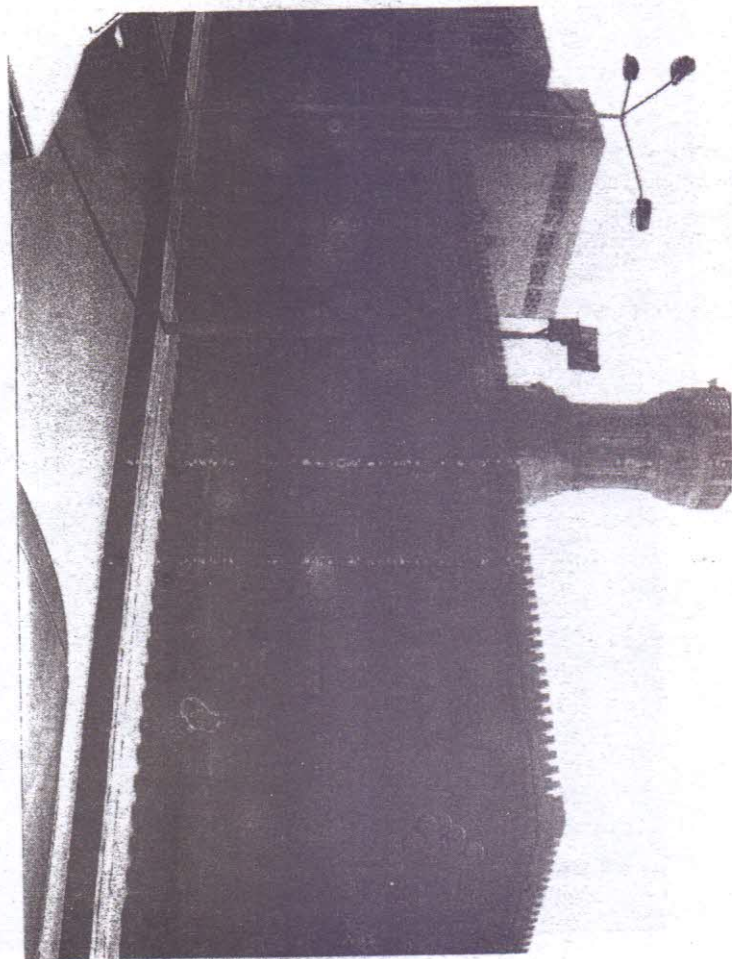
نوحية (٧) المسجد العباسي ببورسعيد



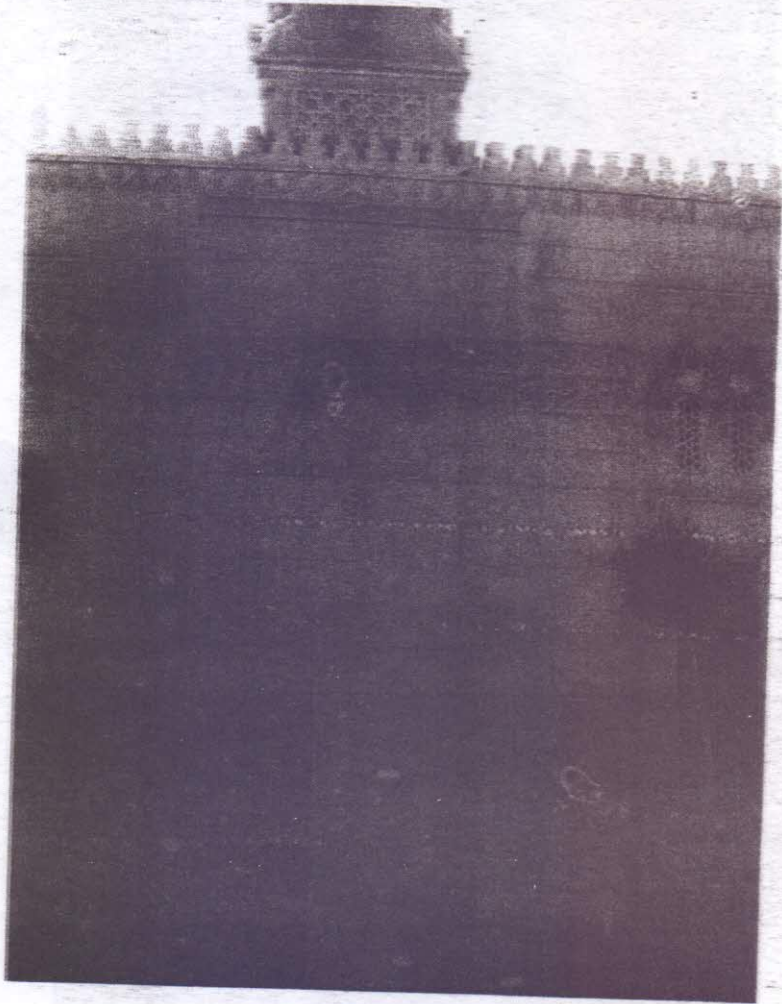
نوحية (٨) مدخل المسجد العباسي في الوجهة الشمالية الشرقية



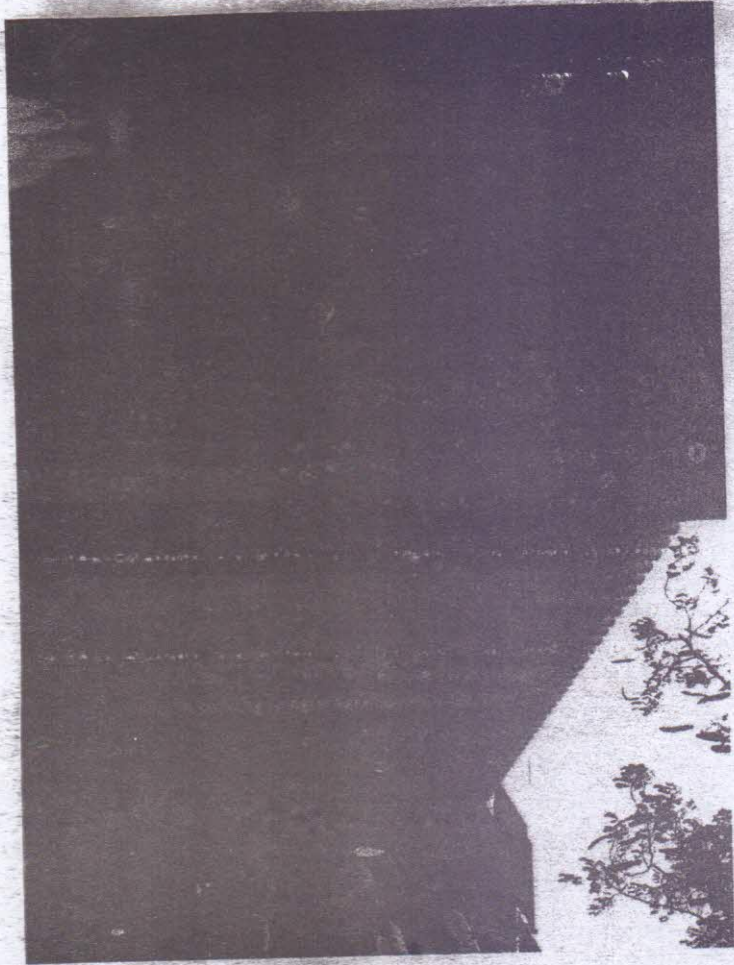
نوحة (٩) تفاصيل من المدخل الشمالي الشرقي



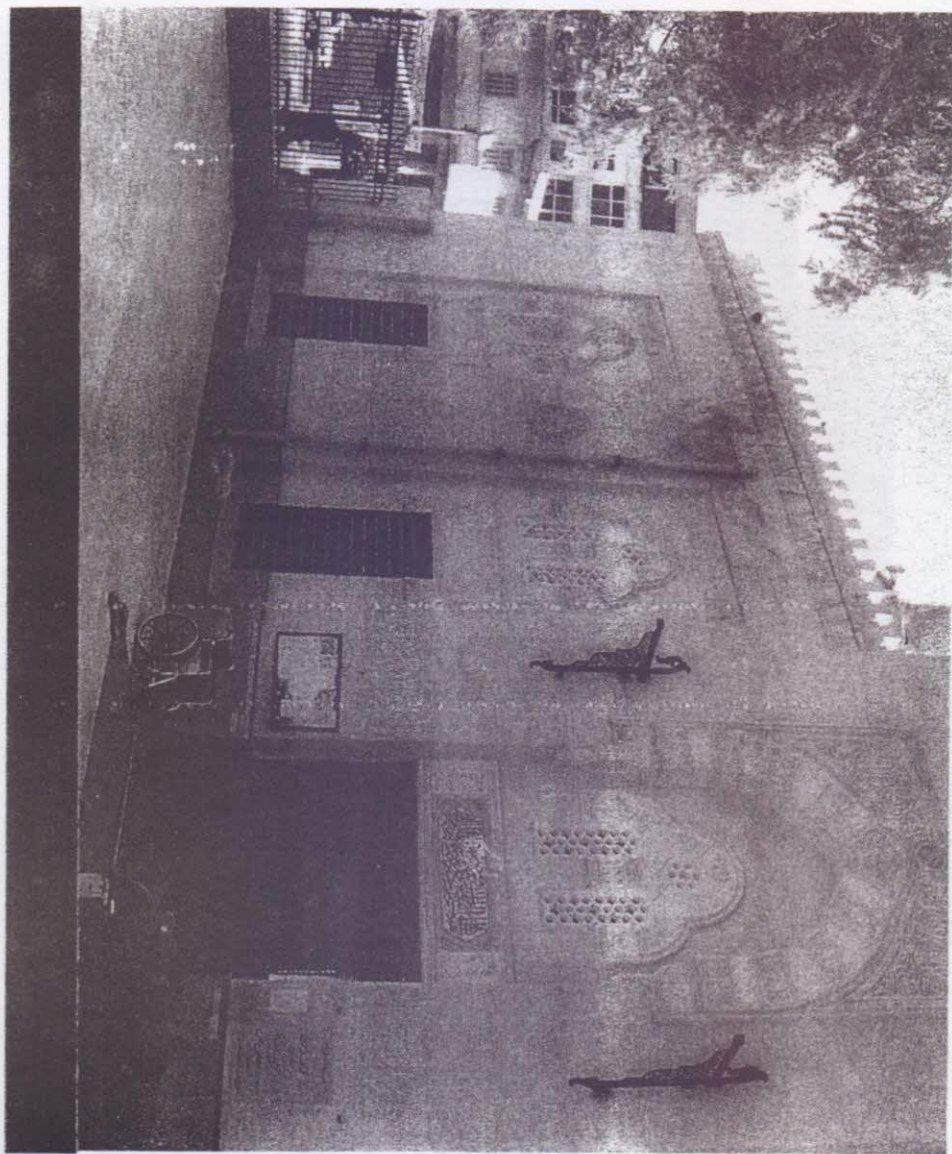
لوحة (١٠) نواحية الجنوبية الشرقية



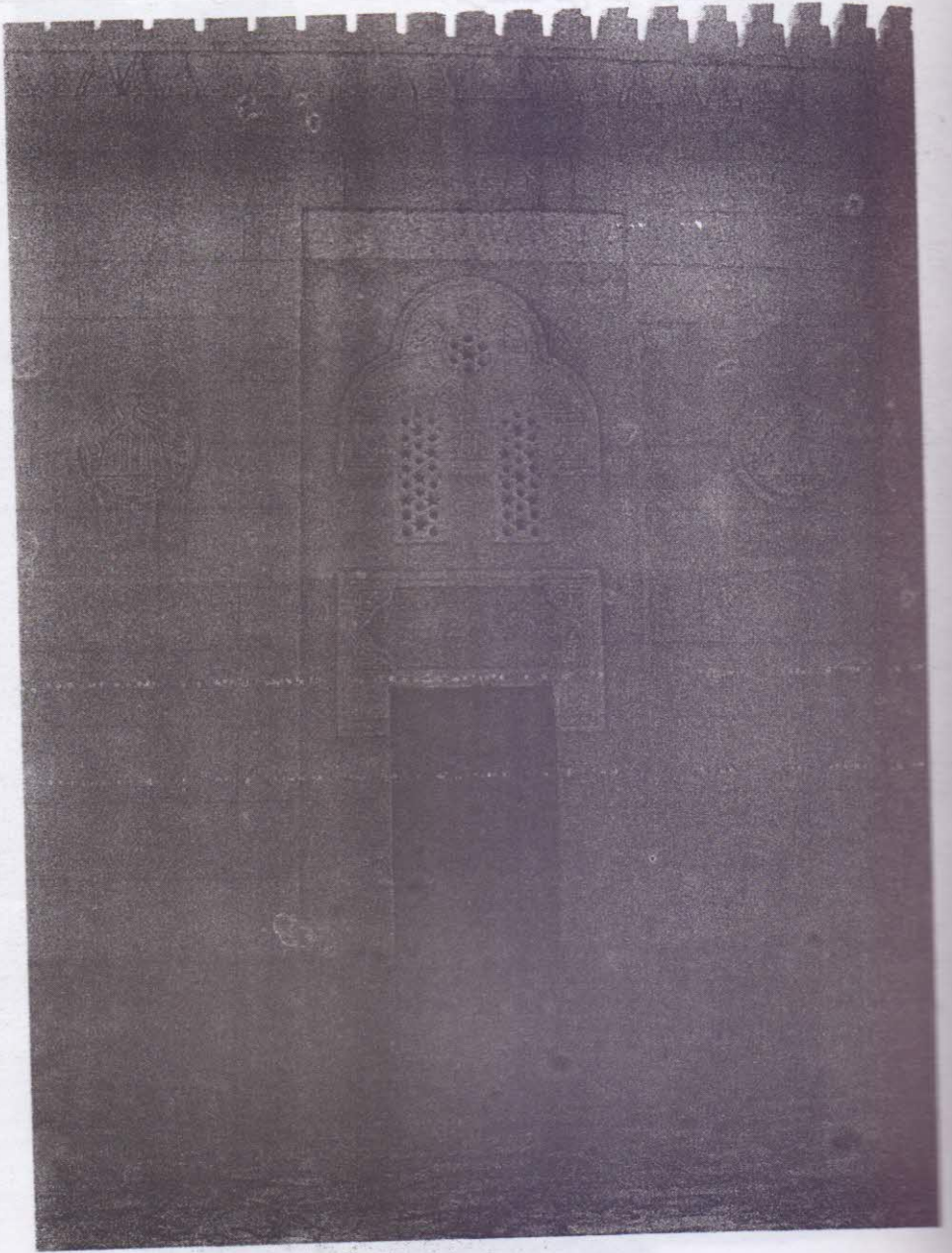
رسم ٢١: تفصيل من الواجهة الجنوبية الشرقية



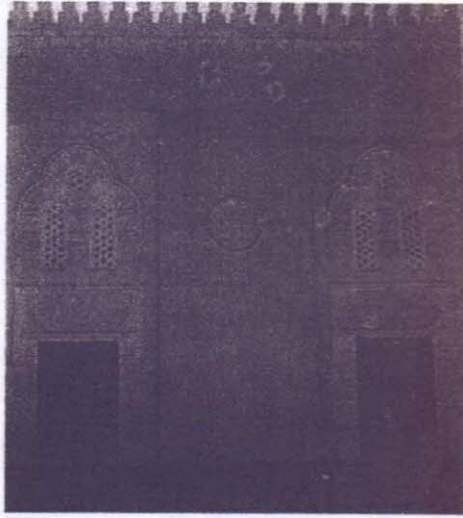
صورة (١٢) الواجهة الشمالية الشرقية



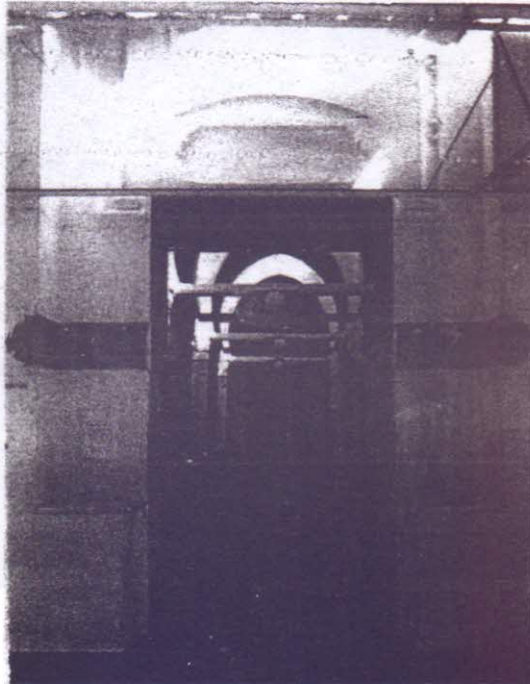
تاجد ١٠٠ - تخطيط من توجّه الشمال شرقه



الحدود الشمالية الشرقية



نوحه (١٥) تفصيل من التوجه الشمالية الشرقية



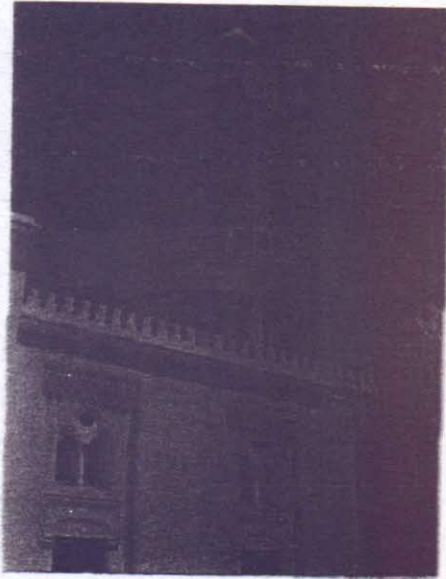
نوحه (١٦) لمنفذ شمالي الغرب



رحة (١٢) تفصيل من الواجهة الشماليه الغربية



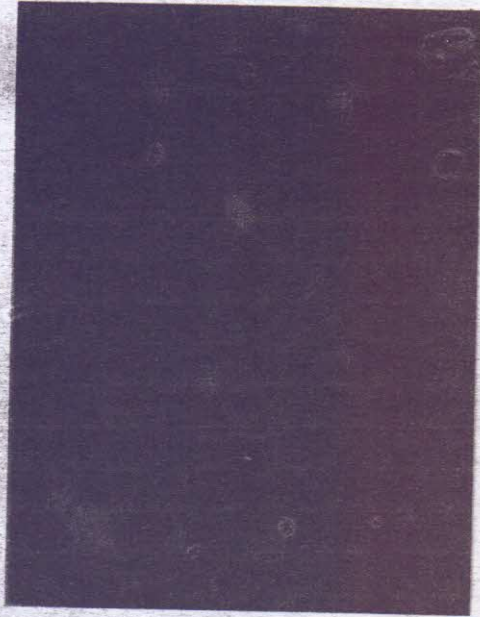
رجمه ٢٠٠ (المنطق الحظوي الغربي)



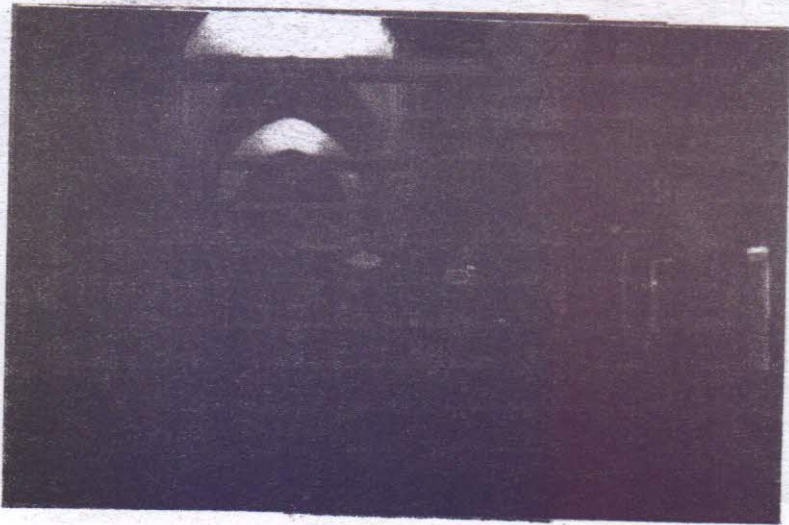
رجمه ٢٠٩ (كسيف من التوجيه الجنوبية الغربية)



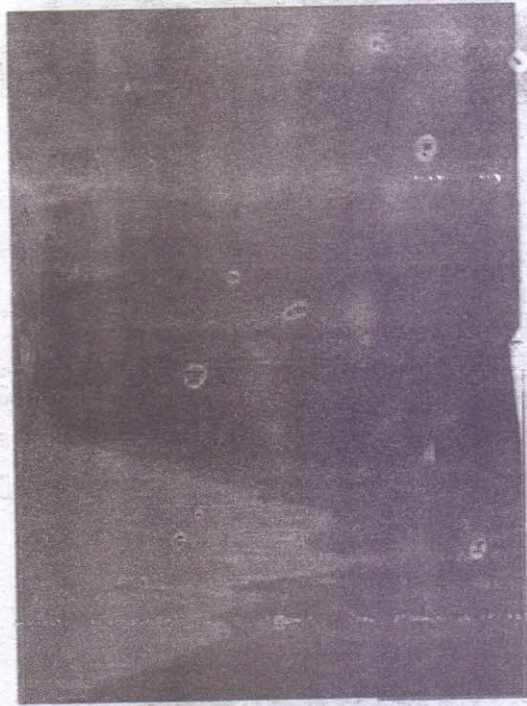
نوحة (٢٠) تفصيل من الواجهة الجنوبية الغربية



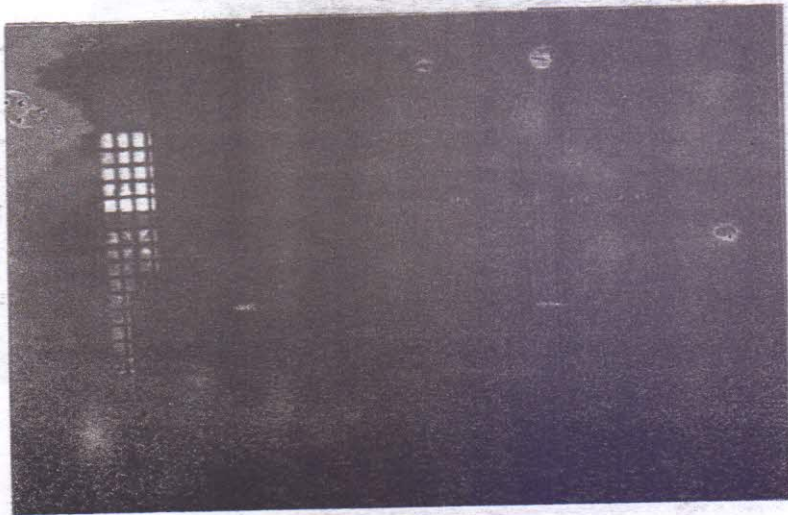
توحة (٣١) ملحقات الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد العباسي



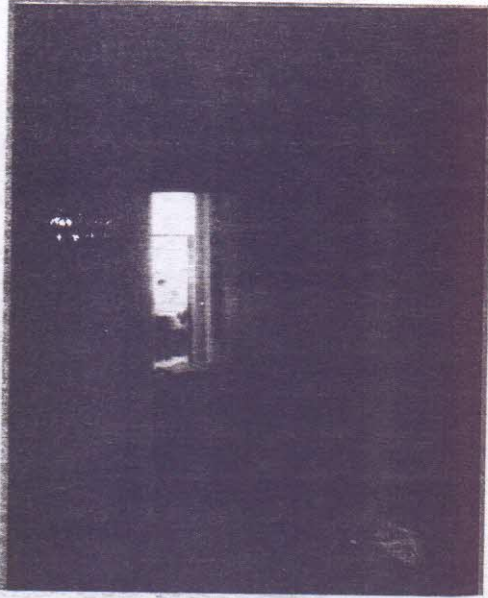
توحة (٣٢) المسجد العباسي من الداخل



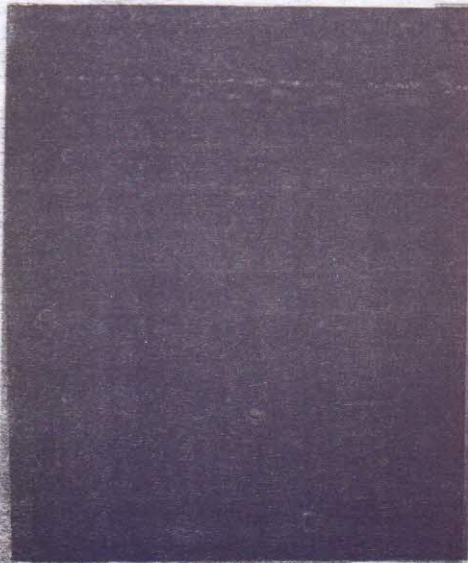
نوحه (٢٣) المسجد العباسي من الداخل



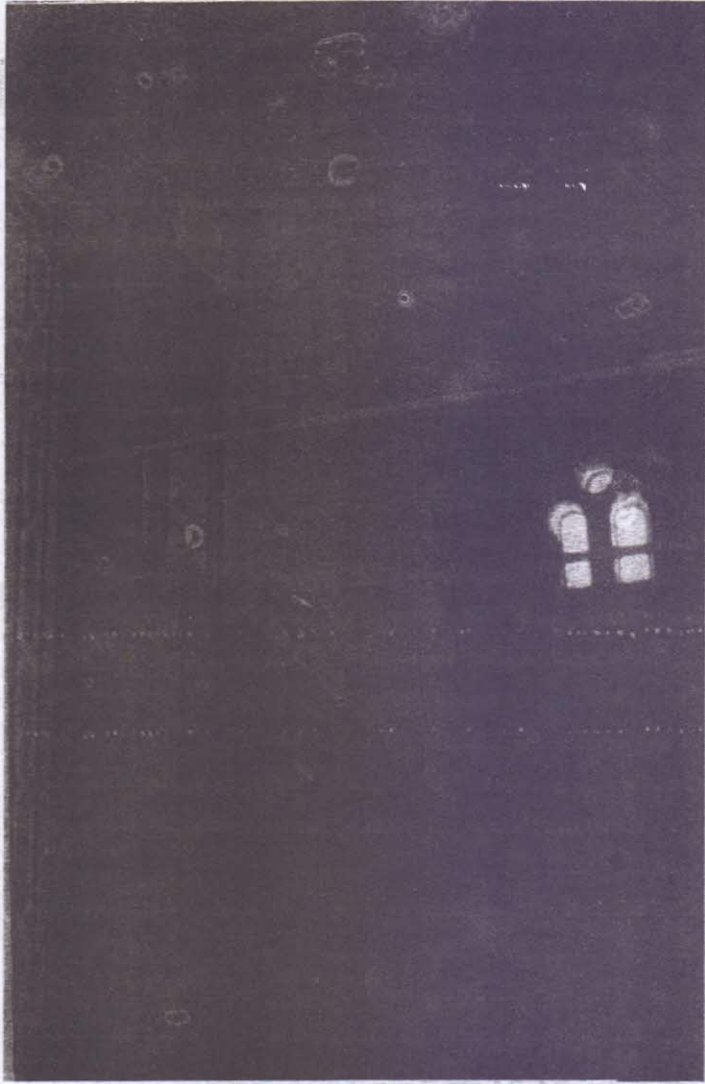
نوحه (٢٤) المسجد العباسي من الداخل



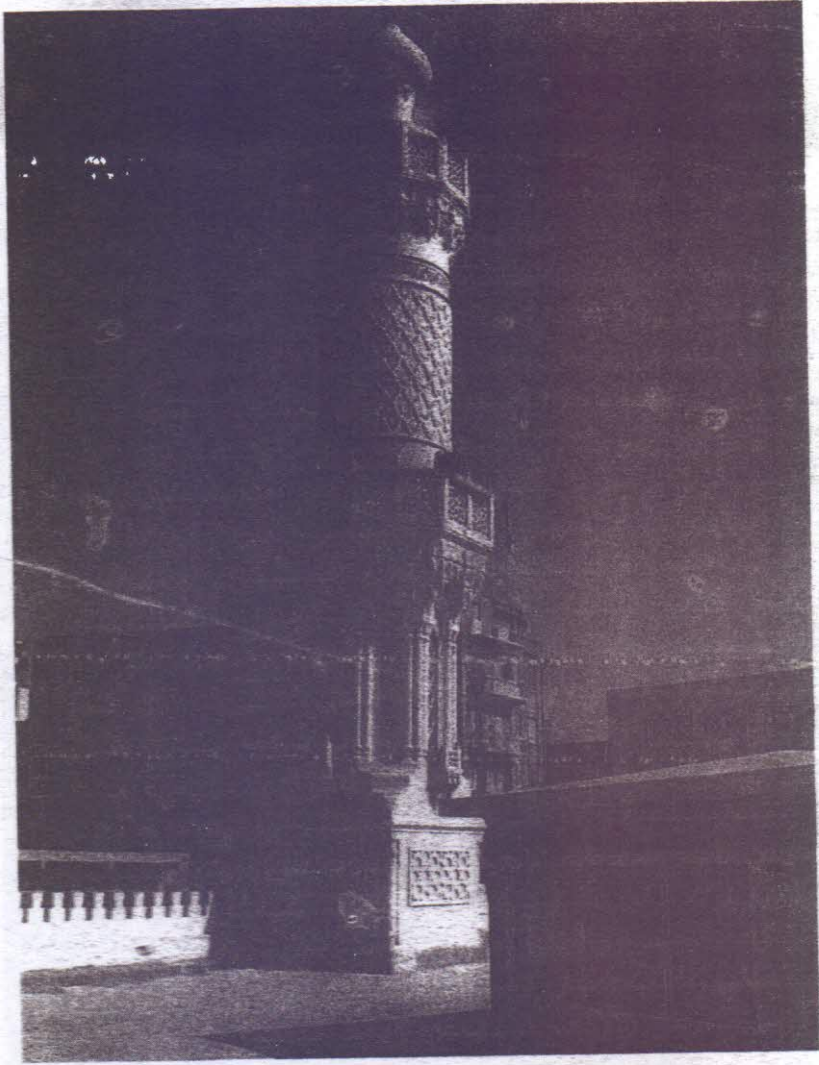
نوعه (٣٣٥) المظلم الواقع خلف جدار القبة



نوعه (٣٣٦) اسوار المسجد العتيق



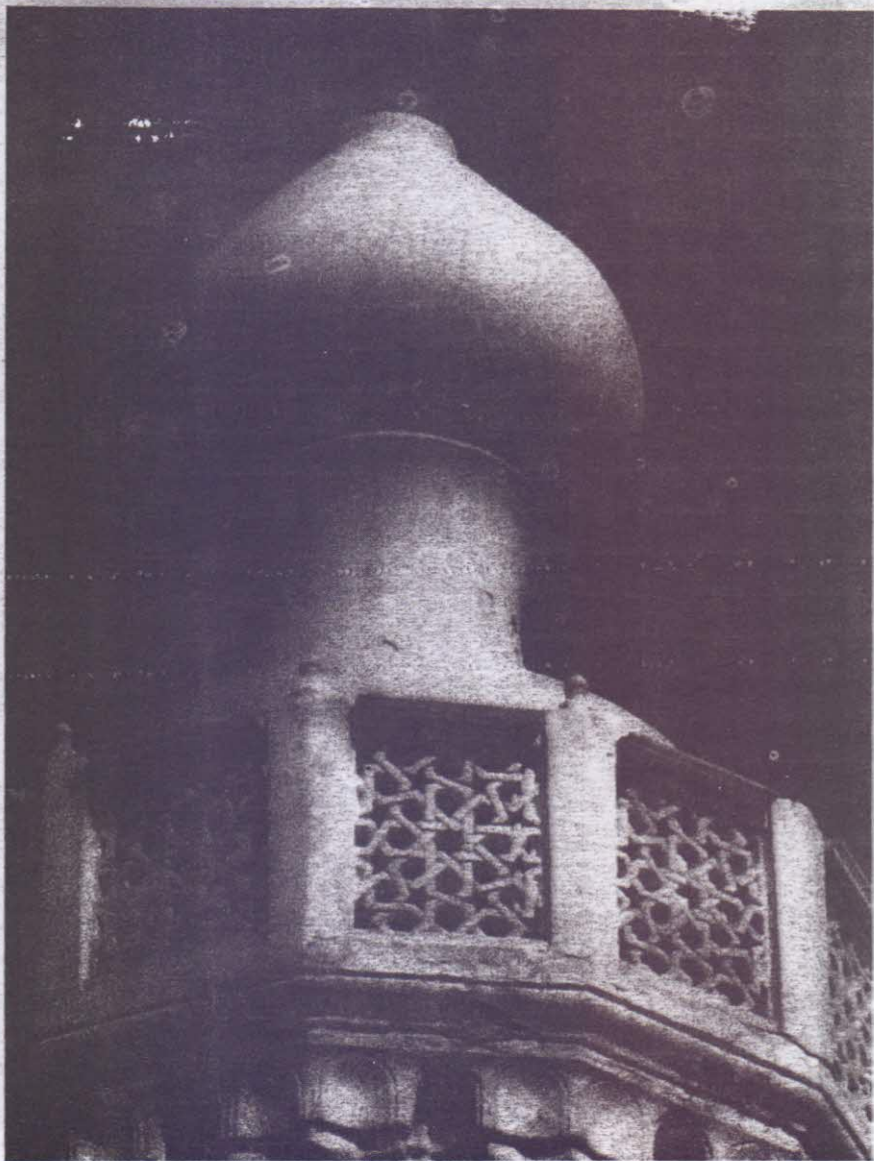
نوحة (٢٧) منبر المسجد العباسي



تحت (٢٠) مسكنة



نوحه (٢٩) تفصيل من نطاق المعتمد للمدينة



توجد (٣) تمثيل من قمة المنقطة

المقدسات وطمس الآثار في فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني د. فرج الله أحمد يوسف

منذ اليوم الأول لاحتلالها فلسطين عملت بريطانيا على تحقيق نبوءة دانيال ورؤيا يوحنا؛ لأن عودة المسيح لن تتحقق إلا بعودة اليهود إلى فلسطين، ولم تكن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وعداً سياسياً صدر عن وزير الخارجية البريطاني، بل إيمان بروتستانتية تعتقه بريطانيا؛ فبعد احتلال استمر ما بين سنتي ١٣٣٦ - ١٣٦٦هـ / ١٩١٧-١٩٤٧م تمكنت خلاله بريطانيا من تعزيز الوجود الصهيوني في فلسطين وقررت وضع مصير فلسطين بين يدي هيئة الأمم المتحدة التي اتخذت جمعيتها العامة قراراً في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية، ويهودية، ورفض العرب قرار التقسيم؛ لأنه خصص للدولة اليهودية ٦٠% من مساحة فلسطين، وبدأت الحرب بين العرب من جهة والتحالف الصليبي الصهيوني من جهة أخرى .. وبعد أن أدرك الصليبيون (بريطانيا) أنهم قد مهتوا الطريق أمام حلفائهم الصهاينة وأن كياناتهم على أرض فلسطين أصبح حقيقة واقعة. أعلنت بريطانيا انتهاء احتلالها لفلسطين في ١٤ مايو (أيار) ١٩٤٨م (جمادى الآخرة ١٣٦٨هـ)، وفي اليوم التالي أعلن زعماء العصابات الصهيونية قيام كياناتهم على أرض فلسطين؛ وتصدت لهم جيوش عدة دول عربية (الأردن، وسوريا، والعراق، ومصر)؛ لكنها لم تفلح في الحيلولة دون قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، بل اضطرت إلى قبول اتفاقية الهدنة سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م، وبذلك تمدد الكيان الصهيوني على نحو ثلاثة أرباع فلسطين، ولم يبق خارج سيطرته إلا الضفة الغربية وقطاع غزة. ومع قيام الكيان الصهيوني ضاعت فلسطين بأوقافها وأثارها، وصارت نهباً بيد المحتلين الصهاينة، وتوقف نظام الأوقاف بأكمله عن العمل بعد تشرد أهل فلسطين وفيهم القضاة، وأئمة المساجد، ومسؤولو الأوقاف، ودمرت مساجد وأغلقت أخرى، وتشتت مسؤولو المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى المسؤول عن أوقاف فلسطين، ونقطعت أوصال الأوقاف؛ إذ دخلت بعض المباني والآثار ضمن حدود الكيان الصهيوني بينما أوقافها ضمن أراض الضفة الغربية وقطاع غزة أو العكس، وانهارت تبعاً لذلك كافة الأنظمة التعليمية والصحية والاجتماعية التي كانت ترتبط بالأوقاف الإسلامية في فلسطين. ولم يحترم الصهاينة التمسك بقرار التقسيم الذي قبلوه والذي كان ينص على: (إن قانون العائلة، والأحوال الشخصية لشتى الأقليات، والمصالح الدينية الأخرى ومنها الأوقاف سيتم احترامها)¹ وانقطعت الاتصالات والصلات بين

١ ميكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ٦٣، للمزيد من المعلومات عن آثار فلسطين وأوقافها انظر:

الفلسطينيين داخل الأراضي التي احتلها الصهاينة وبين بقية العالم العربي والإسلامي، وظل الفلسطينيون يعانون من غياب قيادة تتحدث عنهم أو تمثلهم في الكيان الصهيوني بعد تدمير كل منظماتهم الاجتماعية والتعليمية والدينية. ولقد عبر تقرير صادر عن حكومة الصهاينة عن ذلك بقوله:

(عقب انتهاء حكم الانتداب واندلاع حرب الاستقلال، انهارت المؤسسات الدينية في المجتمع الإسلامي في البلد، وقد فر كبار الموظفين الدينيين كالمفتين والقضاة إلى خارج البلد، وانهار نظام القضاء الديني تماماً، وفر معظم المسؤولين عن الشعائر الدينية. أما النظام التربوي في هذا المجتمع، والخدمات الاجتماعية، والمؤسسات الصحية لم تعد موجودة، ومن الذين تركوا البلد أيضاً أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى ولجنة أوقافه... وأعضاء لجنة الأوقاف الحكومية الذين عينهم المندوب السامي بموجب مرسوم الدفاع عن فلسطين لسنة ١٩٣٧م)^(٢).

وعلى الرغم من استيلاء الصهاينة على ثلاثة أرباع فلسطين، فإنهم لم يكونوا يملكون إلا نحو ١٠% من أراضي فلسطين، ولم يجد الكيان الصهيوني حلاً لهذه المشكلة إلا بالسيطرة على الأوقاف الإسلامية، فأقر الكنيست الصهيوني في ١٤ مايو (أيار) ١٩٥٠م/شعبان ١٣٦٩هـ قانون أملاك الغائبين، والقانون في ظاهره يهدف حماية حقوق اللاجئين الفلسطينيين الذين تركوا أرضهم، وفي باطنه يهدف مصادرة تلك الأراضي، واستحدث القانون منصب "القيم على أملاك الغائبين" وخوله مسؤولية مصادرة أملاكهم وسلب أراضيهم. وعرف القانون الغائب بأنه: "المواطن العربي أو الفلسطيني الذي ترك مقر إقامته في فلسطين إلى مكان خارج فلسطين قبل سبتمبر (أيلول) ١٩٤٨م (١٣٦٨هـ) أو إلى مكان في فلسطين كانت تحتله في ذلك الوقت قوات تسعى لمنع قيام دولة إسرائيل أو قوات حاربتها قبل قيامها)^(٣).

ولكي يتسنى لها الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية عمدت سلطات الكيان الصهيوني إلى اعتبار المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى - الجهة المسؤولة عن الأوقاف في فلسطين - غائباً، وذلك استناداً إلى أن كبار موظفي المجلس الذين كانت أراضي الأوقاف مسجلة بأسمائهم قد فروا أو طردوا.. وبذلك وضعت الحكومة الصهيونية يدها على كافة الأوقاف الإسلامية في فلسطين، وكان القسم الأكبر من أراضي الأوقاف وأملاكها يقع في الأراضي التي قام عليها الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨م، وخاصة في مدن: حيفا، وعكا، ويافا، واللد، والرملة، وكانت معظم أراضي

= عبلة المهدي: أوقاف القدس؛ عواد الأعظمي تراث اليرب العمراني؛ محمود العايدى: الآثار الإسلامية في فلسطين.

(٢) مايكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ٦٣.

(٣) مايكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ٦٧.

الأوقاف المزروعة تقع في السهل الساحلي بين غزة جنوباً وحيفا شمالاً، بالإضافة إلى الاستيلاء على أراضي الأوقاف استولت السلطات الصهيونية على ما تصل نسبته إلى ٩٠% من القرى الفلسطينية بعد تدميرها وتشريد أهلها^(٤).

وتولت وزارة الشؤون الدينية في الكيان الصهيوني المسؤولية عن الأوقاف والآثار الإسلامية، وعبر بن جوريون عن ذلك بقوله: (عقب الحرب التي فرضتها بعض الدول العربية علينا، غادر أعضاء لجنة الأوقاف المركزية وأعضاء المجلس الإسلامي الأعلى أراضي إسرائيل، من هنا ليس ثمة لجنة للإشراف على الأوقاف ولضمان عدم إهمال أملاك الأوقاف تسلمت وزارة الأديان مهمة العناية بالأماكن المقدسة وتسلم القيم على الأملاك المتروكة ما أمكن من أرض ومبان)، وأنشأت وزارة الشؤون الدينية قسمين هما: قسم الشؤون الإسلامية والدرزية، وقسم الشؤون المسيحية، وقد أنيط بالقسم الأول مسؤولية إدارة الأوقاف والآثار الإسلامية منذ سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م^(٥).

وفي سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م استولى الكيان الصهيوني على بقية فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة)، وبالرغم من أن سلطات الكيان الصهيوني اعتبرت في البداية أن هذه الأراضي واقعة تحت الاحتلال وليست جزءاً من الكيان الصهيوني؛ إلا أنها ما لبثت أن أطلقت عليها في فبراير (شباط) ١٩٦٨م (١٣٨٨هـ) اسم: "مناطق يهودا والسامرة وغزة"، واعتبرت نفسها تدير تلك الأراضي، وأعلنت أن الضفة الغربية وقطاع غزة أرض ليس لها مالك قانوني، وفعلت سلطات الكيان الصهيوني ذلك حتى لا تضطر للانصياع للقوانين الدولية التي تكفل حماية الأراضي الواقعة تحت الاحتلال.

ومنذ يونيو (حزيران) ١٩٦٧م تسلمت وزارتا الدفاع والشؤون الدينية في الكيان الصهيوني مسؤولية الأماكن المقدسة والأوقاف في الضفة الغربية وقطاع غزة، لكن المسلمين لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام تلك الإجراءات؛ إذ تم تأسيس الهيئة الإسلامية العليا في ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٦٧م؛ لتقوم بإدارة الأوقاف الإسلامية، وتشرف على ترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة والعناية بهما، وتم تعيين الشيخ عبدالحميد السائح رئيساً للهيئة الإسلامية، لكن سلطات الكيان الصهيوني رفضت الاعتراف بدور الهيئة الإسلامية العليا في الإشراف على الأوقاف الإسلامية، وقامت بإبعاد رئيس الهيئة الشيخ عبدالحميد السائح إلى الأردن في ٢٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، ثم أعيدت في مايو (أيار) ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ) ستة أعضاء من الهيئة، لكن الهيئة استمرت في أعمالها وأسست عدة دوائر للاهتمام بالأوقاف والآثار الإسلامية مثل: دائرة أراضي الأوقاف، ودائرة البناء والترميم، ودائرة الآثار الإسلامية، وافتتحت الهيئة مكاتب في: القدس، والخليل، ورام الله، ونابلس، والبييرة، وبيت لحم، وجنين،

^(٤) مايكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ٧١.

^(٥) مايكل دمر، سياسة إسرائيل، ص ٧٢.

وطولكرم، وأريحا. ولم تعترف سلطات الكيان الصهيوني بالهيئة الإسلامية العليا، ولا بإدارة أوقاف القدس، وعندما أصدرت السلطات الصهيونية قانوناً في سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م استثنيت إحدى مواد الحرم الشريف (المسجد الأقصى وقبة الصخرة) وغيره من مساجد القدس ومدافنها من أحكام قانون أملاك الغائبين، تأكدت بذلك سلطة إدارة الأوقاف على الحرم الشريف وغيره من أوقاف القدس ومقدساتها، وتأسست لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة، وتمكنت إدارة الأوقاف في تنفيذ الكثير من مشروعات الترميم والإصلاح في الحرم الشريف وغيره من المقدسات الإسلامية في القدس^(٦).

وسأعرض فيما يلي لأوضاع الأوقاف والآثار الإسلامية بعد قيام الكيان الصهيوني في كل من : عكا، وحيفا، وبيافا، وصفد، وطبرية، وبيسان، واللد، والرملة، ويئر السبع، والقدس، والخليل.

١ - عكا: فتحت عكا على يدي شرحبيل بن حسنة سنة ١٦هـ/ ٦٣٦م، وكانت مقرراً للأسطول البحري الإسلامي الذي أسسه معلوية بين أبي سفيان في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكانت آخر معقل الصليبيين في فلسطين واستعادها منهم السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩١م، ومن أشهر الآثار الإسلامية في عكا : مسجد ظاهر العمر المعروف بجامع الرمل والذي شيده سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، ومسجد البحر الذي جدد في سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م، ومسجد المجادلة ويرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، ومن مساجد عكا أيضاً: الجامع المعلق، وجامع سنان، وتعد قلعة عكا وأسوارها من أشهر الآثار الإسلامية في فلسطين، وقد شيدهت القلعة على يدي ظاهر العمر في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

وكان في عكا وقف أحمد باشا الجزائر، وهو من أكبر الأوقاف في فلسطين، إذ يضم أكثر من ثلث مدينة عكا القديمة، وبالإضافة إليه كان في عكا أربعة أوقاف نزية .. وعند قيام الكيان الصهيوني كان ما يتراوح ما بين ٨٠% إلى ٩٠% من مدينة عكا موقوفاً، وللاستيلاء على هذه الأوقاف تم نقلها إلى القيم على أملاك الغائبين، وتم تأسيس "شركة تنمية عكا القديمة" من أجل الاستيلاء على المواقع الأثرية تحت حجة تطوير قدراتها السياحية، وتبع ذلك إقامة شركة أخرى هي "الشركة الإسرائيلية الوطنية المحدودة لإسكان المهاجرين"، وفي سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م عرضت السلطات الصهيونية على سكان عكا الخروج من المدينة القديمة مقابل تسليمهم وحدات سكنية تقع خارج حدود بلدية عكا على أن يتخلوا نهائياً عن حق السكن في المدينة القديمة^(٧).

(٦) مايكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ١٤٥-١٤٧.

(٧) مايكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ١٠٠-١٠٣.

ولا تزال الاعتداءات الصهيونية على الأوقاف والآثار الفلسطينية مستمرة؛ ففي السابع عشر من ربيع الآخر ١٤٢٧هـ/الخامس عشر من مايو (أيار) ٢٠٠٦م، قام بعض الصهاينة بمحاولة إحراق مسجد المنشية في عكا، وكان الصهاينة قبل ذلك بعشرة أيام قد هدموا جزءاً من قبة المسجد لكن أهالي عكا تصدوا لهم، وتعهدت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية بترميم المسجد وصيانته^(٨).

٢ - حيفا: لا تمتلك حيفا أوقافاً وآثاراً مثل عكا ويافا؛ لكنها تضم آثاراً ارتبطت بالمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني مثل مسجد النصر الذي شيد في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، في حيفا مقام قائد المقاومة ضد الاحتلال البريطاني الشيخ عز الدين القسام، كما كان في حيفا مسجد الاستقلال، ومقبرة الاستقلال وكانا ينتفعان بوقف ذري أوقف عليهما سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م وبعد قيام الكيان الصهيوني خضعت أوقاف حيفا وآثارها لسلطة القيم على أملاك الغائبين، وعانت حيفا من تحالف مجلس الأمناء مع السلطات الصهيونية مما تسبب في ضياع الأوقاف وطمس الآثار، فقد قام مجلس الأمناء ببيع حوالي ٣١,٣٤٦ دونماً من أراضي الأوقاف في منطقة حيفا، وقام المجلس في سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ببيع مقبرة الاستقلال ولم يقف الأمر عند حد بيع المقبرة، بل صدرت فتوى من قاضي عكا تبيح للسلطات الصهيونية نبش القبور، وتصدي المخلصون من أبناء فلسطين لفضح التآمر بين مجلس الأمناء والسلطات الصهيونية، وطالبوا بإدارة الأوقاف والإشراف على الآثار الإسلامية بعيداً عن القيم على أملاك الغائبين، ومجالس الأمناء، ومكتب مستشار رئيس الحكومة الصهيونية للشؤون العربية^(٩).

٣ - يافا: فتحت يافا على يدي عمرو بن العاص سنة ١٥هـ/ ٦٣٧م، وكان بها الكثير من المساجد منها: الطابية، والشيخ رسلان، وحسن باشا، وأبو نبوت، والدباغ، والعجمي، وأرشيد، الجبلية، والنزهة، والسكسك، والوحدة، والعباسية، ومن أكثرها شهرة مسجد حسن بك الذي يعود تاريخه إلى سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، وبعد قيام الكيان الصهيوني وضع القيم على أملاك الغائبين يده على يافا بأسرها، وتحولت المدينة منذ ذلك الوقت إلى مركز سياحي أقيمت فيه الفنادق والمطاعم والحانات والملاهي.

(٨) لقد حصل الباحث على إذن من مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية بنشر بعض المعلومات الواردة في تقاريرها عن حالة الأوقاف والآثار في فلسطين، والتي نشرت في موقع المؤسسة على شبكة الإنترنت، وقد تمثل الإذن في خطاب أرسل للباحث عبر البريد الإلكتروني في الأول من مايو (أيار) ٢٠٠٦م.

(٩) مايكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ١٠٩-١١٠.

وتم تحويل مسجدا الوحدة والعباسية إلى كنيسين. أما مسجد السكسك، فقد تحول طابقه الأرضي إلى مصنع بلاستيك، وطابقه العلوي إلى مطعم وملهى ليلي، به صالة لألعاب القمار، بينما تحول مسجد النزهة إلى بيت دعارة^(١٠). وفي سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م تم الكشف عن مقبرة إسلامية تعود إلى العصر المملوكي في يافا في أثناء إنشاء طريق جديد، قامت إدارة الآثار الصهيونية بإجراء تنقيب في الموقع ثم سمحت للشركة المنفذة بمواصلة العمل، وحاولت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية وقف تنفيذ المشروع، فلجأت إلى المحكمة الإدارية في تل أبيب، وقدمت المؤسسة بدائل لتغيير مسار الطريق حتى لا يمر بالمقبرة لكن المحكمة أصدرت قراراً في الثاني عشر من فبراير (شباط) ٢٠٠٥م (١٤٢٦هـ) يقضي بمواصلة العمل في الطريق، مع بذل كل الجهود لتقليص الأذى والضرر الذي يلحق بالمقبرة.

٤ - صفد: تقع صفد في منطقة الجليل، وتبعد عن القدس مسافة ٢٠٠ كيل. وفي صفد الكثير من الأوقاف والآثار الإسلامية التي دمرها الصهاينة، لكن بعض أثارها لا تزال شاهدة على عروبة صفد. ومن المعالم الأثرية في صفد الجامع الأحمر الذي شيده السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، وجامع الأمير فيروز الذي يرجع تاريخه إلى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، وجامع الأمير أحمد بن علي الكردي الذي يرجع تاريخه إلى سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، والجامع اليونسي الذي يعرف بالجامع الكبير وشيد في سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، وهذا الجامع حوّل الصهاينة إلى معرض للرسوم والصور^(١١).

أما جامع الشيخ عيسى المعروف بجامع الصواوين؛ (لأنه يقع في محلة الصواوين)، فقد هدمه الصهاينة، لكن منذنته لا تزال باقية، وجرّت عدة محاولات لإزالتها، لكن مؤسسة الأقصى وضعت عليها حراسة مستمرة، وقامت بترميم الأجزاء التي تهدمت منها، كما قامت بلدية صفد بترميم المنذنة؛ كونها أحد المعالم الأثرية البارزة في صفد.. ومن الأراضي الموقوفة على جامع الشيخ عيسى: ٣٥٠ شجرة زيتون في محلة الصواوين، وقطعت أرض زارعيتين تبلغ مساحة الأولى حوالي ٥ دونم، والثانية ٥,٣٠٠ دونم.

وسمحت إدارة الأراضي بتصوير فيلم للعرافة في الجامع الأحمر، وخلال الانتخابات التي أجريت في الكيان الصهيوني سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م أقدم حزب كديما الصهيوني على تحويل المسجد إلى مقر انتخابي، وكان هذا المسجد قد اتخذ سابقاً

(١٠) مايكل دمير، سياسة إسرائيل، ص ١٠٥.

مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية

(١١) الأوقاف الإسلامية تحت الاحتلال، ص ١٠٧.

معرضاً للصور والرسوم، وملهى ومرقصاً ولا يزال حاله كذلك حتى الآن، ولا تقل حاله سوءاً عن حال غيره من مساجد صنف؛ فقد اتخذ الصهاينة من مسجد القلعة مقراً لبلدية صنف، وتحول كل من مسجد مقام يعقوب، ومسجد حارة الجوزة إلى كنيس، أما مسجد عين الزيتون فصار حظيرة للأبقار.

٥ - طبرية: فتحت طبرية صلحاً على يدي شرحبيل بن حسنة سنة ٣هـ / ٦٣٤م، وتوجد في مدينة طبرية الكثير من الآثار الإسلامية منها: قصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م)، واكتشف بجواره سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م مسجد يرجع إلى تاريخ بناء القصر في عهد الوليد بن عبد الملك .. ومن مساجد طبرية الجامع الكبير وهو الذي شيده ظاهر العمر في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي. أما مسجد الجسر الذي يقع على ساحل بحيرة طبرية، فقد حولته الصهاينة إلى متحف. أما مسجد سكينه بنت الحسين (مسجد الست سكينه) فقد تم تحويله إلى كنيس راحيل .. ويوجد في طبرية مدافن بعض الصحابة والتابعين وهم أبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وسكينه بنت الحسين رضي الله عنهم، ويوجد شاهدان على قبر عبدالله بن عباس، وسكينه بنت الحسين يشيران إلى أن الأمير المملوكي فارس الدين البكي قد أوقف على مقاميها كثيراً من الأوقاف^(١٢).

وقد اكتشفت بعثة أثرية تابعة للجامعة العبرية في القدس كنزاً من المسكوكات الإسلامية يعود أغلبها للعصر الأموي في موقع يقع إلى الشمال من مدينة طبرية على الشاطئ الشمالي للبحيرة كما كشف في الموقع آثار ترجع للعصرين البيزنطي والأموي.

وفي سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م قام الصهاينة بفتح طريق في المقبرة الإسلامية بطبرية، ونشوا قبور المسلمين، واقتطعوا جزءاً من المقبرة وضموه للمقبرة اليهودية وصارت بقية المقبرة مكاناً يتجمع فيه الصهاينة لإقامة حفلات الشواء، وشرب الخمر، وممارسة كل أصناف الرذائل^(١٣).

٦ - بيسان: أزال الصهاينة جميع المعالم الأثرية في بيسان، وتركوا مسجد بيسان قائماً بعد أن حولوه إلى متحف، والمسجد أرض وقفية تبلغ مساحتها ٢٥٠٠ دونم، وهو يحتاج إلى ترميم وإصلاح للمحافظة عليه، وتطالب مؤسسة الأقصى السماح لها بإخلاء المسجد لإجراء عمليات الترميم والإصلاح، لكن السلطات الصهيونية لا تزال ترفض الإذن بإجراء أعمال الترميم في المسجد، كما تم تحويل مصلى الشيخ دانيال إلى حظيرة أبقار، وبالنسبة للقرى التابعة لقضاء بيسان فإن مؤسسة الأقصى تبذل جهوداً

(١٢) الأوقاف الإسلامية تحت الاحتلال ، ص ٦٤ .

(١٣) الأوقاف الإسلامية تحت الاحتلال ، ص ٦٤-٦٦ .

لحصر المعالم الأثرية الباقية والمندرسة في قريتي: المرصص، وسيرين، للمحافظة عليها⁽¹⁴⁾.

٧- الرملة واللد: كانت الرملة عاصمة فلسطين وأكبر مدنها في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٦هـ/ ٧١٥-٧١٧م). وفي الرملة الكثير من المساجد أهمها: الجامع الكبير، والجامع العمري، ومسجد خزيفة. أما أهم مساجد اللد فهي: مسجد اللد الكبير، ومسجد دهمش، ومسجد عمر بن الخطاب، وتوجد في المدينتين مجموعة من المقامات والزوايا. وفي سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م قام الصهاينة بنهب مقبرة الرملة وانتهكوا حرمة الموتى واستولوا على أرض المقبرة.. ومما يؤسف له أن مجلس أمناء الرملة الذي يفترض به أن يكون حارساً على الأوقاف والآثار الإسلامية في المدينة وافق على تدنيس المقبرة واقتطاع جزء منها⁽¹⁵⁾.

ولكن الفلسطينيين ما زالوا حريصين على مقدساتهم وأوقافهم وآثارهم، فقد تمكن أهالي اللد من استعادة مسجد دهمش، وكان الصهاينة قد استولوا على المسجد بعد قيام الكيان الصهيوني، وأغلقوه وفتحوا في جدرانه حوائث، وفي سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م تمكن الفلسطينيون من استرداد قسم كبير من المسجد، وأجريت فيه أعمال ترميم واسعة وأعيد فتحه للصلاة في السنة نفسها، وفي سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م تمكن أهل اللد من شراء بقية المحلات التجارية التي كانت مفتوحة في المسجد وبالرغم من أنهم دفعوا للصهاينة مبالغ طائلة؛ إلا أنهم استردوا مسجدهم كاملاً بعد عقود من اغتصابه. ومن المساجد التي استولى عليها الصهاينة في الرملة مسجد وادي حنين الذي تحول إلى كنيس غولات يسرائيل، ومضلى أبي هريرة في قرية بيني الذي تحول إلى كنيس السراب جميليل⁽¹⁶⁾.

٨- بئر السبع: شيد المسجد الكبير في بئر السبع سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، وتم تحويله إلى معرض للرسوم والصور، ولكن معارضة العرب لهذا الإجراء أدت إلى إعادة المسجد وفتحته للصلاة ولكن لفترة وجيزة، وأمام الإصرار الصهيوني على تحويل المسجد إلى متحف قامت بلدية بئر السبع في الرابع من يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٤م (١٤٢٤هـ) بالإعلان عن رغبتها في تقديم عروض من شركات لتحويل المسجد إلى متحف، وسوف يتم تنفيذ المشروع عن طريق إحدى الشركات التابعة لبلدية بئر السبع.. ولجأت مؤسسة الأقصى إلى محكمة الصلح في بئر السبع في محاولة لإيقاف المشروع ولكن المحكمة رفضت طلب المؤسسة، أما المسجد الصغير في بئر السبع، فقد تم تحويله إلى دكان لأحد الصهاينة.

(14) مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية.

(15) الأوقاف الإسلامية تحت الاحتلال، ص ٤٩-٦٠.

(16) مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية.

٩ - القدس: عند قيام الكيان الصهيوني كان قضاء القدس يتكون من ٦٦ قرية عربية، وثمانى مستعمرات صهيونية ويمتلك العرب ٨٤% من أراضي القضاء بينما يمتلك الصهاينة ٢% وبقية الأراضي كانت ملكية حكومية وقليل منها ملكاً للإرساليات المسيحية، واحتل الصهاينة الجزء الغربى من القدس، وتم تشريد سكان القرى المحيطة بالقدس وهدم المنازل والمساجد وغيرها من المعالم الأثرية، خاصة في القرى التي ضمت للقدس الغربية مثل: عين كارم، ودير ياسين، والمالحة، ولفتا .. وتم تدمير المعالم الأثرية أو الاستيلاء عليها في هذه القرى الأربع، فتم تحويل مسجد عين كارم إلى وكر لتعاطي المخدرات وممارسة الرذيلة. أما مسجد المالحة، فقد اقتطع جزء منه واتخذة أحد الصهاينة منزلاً ويستخدم سقف المسجد لإحياء الحفلات والسهرات.

أما قرية لفتا فهي حالة خاصة توضح مدى الأحوال المزرية التي تعاني منها الأوقاف والآثار في فلسطين، فقد أعدت بلدية القدس الغربية مخططاً لإقامة حي سكنى على أراضي قرية لفتا في سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، وتم الانتهاء من إعداد المخطط في سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ونشرت البلدية إعلاناً تدعو الراغبين في الاعتراض على المخطط وتقديم اعتراضاتهم، فتقدمت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات بوثائق ملكية من العهد العثمانى، وخرائط هندسية من عهد الاحتلال البريطانى تثبت حقوق العرب في قرية لفتا، وكانت لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين (هي لجنة تابعة للأمم المتحدة أنيط بها مهمة تقدير أملاك اللاجئين العرب بعد قيام الكيان الصهيونى) قد قدرت مساحة أراضي قرية لفتا بنحو ٥٣٩٦ دونماً^(١٧).

وعقدت مؤسسة الأقصى جلسات عدة مع لجنة التنظيم والبناء لبلدية القدس في سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م وقررت اللجنة قبولاً جزئياً لاقتراح مؤسسة الأقصى بتحديد مسجد القرية ومقبرتها بوصفهما مكانين مقدسين، ولا تزال القضية لم تحسم حتى الآن، ووضع الصهاينة على بيوت القرية أرقاماً وكتبوا عليها بالخط العبرى عبارة "ملك خاص الدخول ممنوع"، ويمارسون في البيوت شرب الخمر، وتعاطي المخدرات، والدعارة وسائر أنواع الفواحش.

ويروى ياسر العقبى المشهد التالى الذى شاهده في قرية لفتا: (في كل زاوية من زوايا البيوت بقايا تعاطي المخدرات وآثارها، بل وآثار ممارسة الفاحشة والرذيلة . . . فجأة يخرج شابان يهوديان يسيران الواحد بجانب الآخر وقد غطيا جسميهما بكساء واحد وخلفهما فتاة تحمل كاميرا تلفزيونية وتقوم بتصوير مشاهد لفتا داخل بيوت لفتا، وصورت كثير من أفلام الإثارة والأغاني في خلفية قرية لفتا، وتدخل إلى المسجد

(١٧) دالبايش وتيرى رميل، تقدير قيمة الأملاك الفلسطينية في القدس العربية، القدس ١٩٤٨م الأحياء العربية ومصيرها في حرب ١٩٤٨م، تحرير سليم تمارى، ترجمة أحمد خليفة وآخرون، ص ٢١٥

عبر ساحة واسعة تمتد أمامه في الداخل يظهر المحراب بارزاً، ويقع من البول والغائط وبقايا زجاجات خمر وكتابات الحب والهوى بالعبرية تنتشر في المسجد^(١٨). وأقيمت على أراضي لفتا الكثير من المؤسسات الصهيونية مثل: مقر رئاسة الوزراء، ووزارتي الخارجية والداخلية، والبنك المركزي، ومبنى التلفزيون، والجامعة العبرية، ومحطة الحافلات المركزية، وأقيم على أراضي لفتا عدة أحياء للصهاينة منها: روميما، وفتوح، ورمات أشكول، وجبعات شابيرا. ومن المقدسات الإسلامية التي تتعرض للانتهاك والدمار والتدنيس على أيدي الصهاينة مقبرة مأمن الله التي تضم مقابر الكثير من المسلمين الذين دفنوا بها في مختلف العصور، وكثير من مقابرها مؤرخة. وكانت المقبرة قد أحيطت بسور للحفاظ عليها سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، وبعد قيام الكيان الصهيوني دخلت المقبرة تحت سلطة القيم على أملاك الغائبين، وتم تحويل جزء منها إلى حديقة سميت بحديقة الاستقلال سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، وتعد هذه الحديقة أحد أشهر أوكار ممارسة الرذيلة للشاذين من الصهاينة. وفي سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م أقيم على جزء منها موقف للسيارات، وفي السنة نفسها بدأ التخطيط لإقامة ما يسمى "مركز الكرامة الإنسانية ومتحف التسامح" .. ونظراً لأن أرض المقبرة تربط ما بين القدس الغربية والشرقية فيسهل ذلك خطط تهويد القدس بقسميها لتصبح عاصمة موحدة للكيان الصهيوني.

وفي الثاني من مايو (أيار) ٢٠٠٥م (١٤٢٥هـ) تم وضع حجر الأساس لمتحف التسامح بحضور حاكم ولاية كاليفورنيا أرنولد شوارزنجر، ورئيس الكيان الصهيوني وعدد من أركان الحكومة الصهيونية .. ومما جاء في الخطاب الذي ألقاه حاكم ولاية كاليفورنيا: (قبل نحو ثلاثة آلاف سنة وقف الملك سليمان في مكان كهذا ونحن على نفس التقليد نقف هنا وهذا المتحف سيكون الهيكل الذي سيرشدنا).

- القدس الشرقية:

عقب احتلال القدس الشرقية في السابع من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ) دخل مردخاي جور قائد القوات الصهيونية التي احتلت القدس إلى ساحة المسجد الأقصى في عربة مجنزرة، وقام برفع العلم الصهيوني فوق قبة الصخرة، وأنزل العلم بعد تدخل من القنصل التركي في القدس. في الثامن من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧م وقف موشي ديان وزير الحرب الصهيوني آنذاك أمام حائط البراق وقال: (لقد وحدنا من جديد القدس المبتورة عاصمة إسرائيل المشطورة، ورجعنا إلى قدس أقداسنا، عدنا إليها ولن نتركها إلى أبد الأبدين)،

(١٨) ياسر العقبى، تقرير عن قرية لفتا نشر على موقع عرب ٤٨ .

وعلى الفور بادر الصهاينة إلى البدء في إجراءات تغيير الطابع العربي الإسلامي للقدس، ومن تلك الإجراءات:

- في التاسع من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧م أقدم للصهاينة على منع المسلمين من أداء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى وذلك لأول مرة منذ تحرير صلاح الدين الأيوبي الأقصى من قبضة الصليبيين سنة ١١٨٧م.

- بعد احتلالهم للقدس استولى الصهاينة على حارة المغاربة التي تقع إلى الغرب من المسجد الأقصى وتواجه حائط البراق، وفي الثاني عشر من يونيو (حزيران) ١٩٦٧م هدم الصهاينة حارة المغاربة بما تشتمل عليه من معالم أثرية وتاريخية مثل: مسجد البراق، ومسجد الأفضل، وزاوية المصمودي، و ٩٩ مبنى من مباني وقف أبي مدين الغوث، ١٣ مبنى تابعة لإدارة الأوقاف، و ٥٥ وقفًا زريًا، و ١٣٥ منزلاً، و ٧٠٠ مبنى حجري، و ١,٠٤٨ شقة سكنية.

- قامت سلطات الكيان الصهيوني بالاستيلاء على مبنى الزاوية الفخرية الواقع في الجهة الغربية من ساحة المسجد الأقصى، وذلك في السادس عشر من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧م.

- في الثامن عشر من أبريل (نيسان) سنة ١٩٦٨م (١٣٨٨هـ) استولى الصهاينة على حارة الشرف، وفي الرابع من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ) هدمت الجرافات الصهيونية الحارة بأكملها، وكان بها ستة مساجد هي: مسجد المحارب، والمسجد العمري، ومسجد عثمان بن عفان، ومسجد عمر المجرّد، ومسجد حارة الشرف الكبير، ومسجد حارة الشرف الصغير، وثلاث مدارس هي: المدرسة الطشتمرية (شيدت سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م)، ودار الحديث (شيدت سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، ودار القراء.

- في الرابع عشر من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ) هدم الصهاينة أربعة عشر أثرًا إسلاميًا ما بين مساجد وزوايا وخانات وغيرها؛ كانت موازية للحائط الغربي للحرم الشريف.

- في الحادي والعشرين من أغسطس (آب) سنة ١٩٦٩م قام الصهاينة بإحراق المسجد الأقصى سعيًا لتتميره، ولكن أبناء فلسطين المرابطين تصدوا للنيران وحالوا دون امتدادها إلى سائر أنحاء المسجد بعد أُنّت على المنبر الذي يعود لعهد السلطان نور الدين محمود.

- في الثلاثين من يوليو (تموز) سنة ١٩٨٠م (١٤٠٠هـ) أصدر الكنيست الصهيوني قرارًا بضم القدس للكيان الصهيوني.

- في الثالث من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨١م (١٤٠١هـ) رفضت السلطات الصهيونية قيام لجنة إعمار الأقصى ببناء حائط خراساني حول بئر قايتباي.

- في الثامن عشر من فبراير (شباط) سنة ٢٠٠٤م (١٤٢٤هـ) وقع انهيار في الطريق المؤدي إلى باب المغاربة من جهة باب البراق في المسجد الأقصى، وهي المنطقة التي سيطر عليها الصهاينة بعد احتلال شرق القدس سنة ١٩٦٧م، وأجريت فيها عدة حفريات في محاولة للوصول إلى أساسات الهيكل المزعوم. وصرح الشيخ عكرمة صبري مفتي الديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى بأن مثل هذه الانهيارات كانت متوقعة؛ لأنها تمثل جزءاً من مخطط صهيوني لتدمير المسجد الأقصى، وتتدرج في إطار الجهود الصهيونية لتهود مدينة القدس وطمس المعالم العربية والإسلامية بها.

وأشار عدنان الحسيني مدير الأوقاف الإسلامية بالقدس : إلى أن أسباب انهيار الطريق تعود إلى الحفريات المستمرة التي تقوم بها سلطات الكيان الصهيوني وآخرها كان تفريغ التراب من التلة التي يستند عليها الممر المنهار واستبدالها بهياكل معدنية، مما أدى لانهيار الطريق. ونوه الحسيني إلى أن استمرار الحفر يهدد وجود المسجد الأقصى؛ لأن أساساته لا تتحمل حفر أية أنفاق تحت سطح مبانيه.

وفي الأول من أبريل (نيسان) ٢٠٠٤م نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية أجزاء من تقرير عن الهزة الأرضية التي ضربت فلسطين في فبراير (شباط) ٢٠٠٤م أعدته إدارة الآثار في الكيان الصهيوني، وجاء فيه أن تلك الهزة قد أحدثت تصدعات في الحائط الشرقي للمسجد الأقصى، ويخشى أن تؤدي إلى انهيار المصلى المرواني، وأشار الأثاري الصهيوني يوحنا زليجمان إلى أن الحائط الشرقي للمسجد الأقصى معرض للانهيار في أي وقت، وأضاف: (هناك تسرب كثيف للمياه، وتصدعات واضحة في بعض الأعمدة والحائط يواصل التحرك، وعلى الرغم من أن هذه ظاهرة عمرها سنوات طويلة؛ إلا أنها تشكل الآن خطراً ملموساً يجب معالجته من دون أي تأجيل).

وجاء في التقرير أيضاً: (إنه تم الكشف أخيراً عن وجود علامات مقلقة في المسجد الأقصى قد تدل على حدوث تزعزع معيق في ثبات أرضية المسجد الأقصى، ولقد تم في السنة الأخيرة معالجة النتوءات التي ظهرت في الحائط الجنوبي. وأدت الهزة الأرضية التي حدثت في فبراير (شباط) ٢٠٠٤م إلى تضرر باب المغاربة؛ فضلاً عن زيادة الميل في الحائط الشرقي).

لكن المسؤولين عن المسجد الأقصى نفوا المعلومات التي وردت في تقرير إدارة الآثار الصهيونية، وذكروا أن الانهيار المحتمل للحائط الشرقي للحرم الشريف أو المصلى المرواني يرجع إلى الحفريات المستمرة تحت الحرم الشريف. وقررت إدارة الأوقاف الإسلامية بالقدس استدعاء نائب رئيس لجنة إعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة المهندس رائف نجم لفحص الحائط الشرقي والمصلى المرواني، والبدء في إجراء ترميمات لكليهما.

وفي عددها الصادر في الثالث عشر من ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٤م أشارت صحيفة يديعوت أحرونوت إلى أن البلدية الصهيونية بالقدس قررت هدم الجدار والطريق المؤديين إلى باب المغاربة، وتشديد جسر خشبي تستطيع القوات الصهيونية من خلاله اقتحام المسجد الأقصى عند الضرورة. ونقلت الصحيفة عن أحد مهندسي البلدية الصهيونية قوله: (إن النتلة التي أقيم عليها طريق باب المغاربة غير ثابتة ومن المتوقع أن تنهار مع بداية موسم الشتاء، ولا بد من إزالة الجدار الاستنادي وهدم الطريق).

وحذرت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية من هدم الجدار والطريق المؤديين إلى باب المغاربة، وحاولت المؤسسة مرات عدة ترميم الجزء المنهار من الطريق؛ إلا أن سلطات الاحتلال الصهيوني منعت دخول مواد البناء إلى المسجد الأقصى (١٩).

وفي رجب ١٤٢٧هـ/أغسطس (أب) ٢٠٠٦م أثناء انشغال العالم بعدوانها على لبنان أعلنت الحكومة الصهيونية عن مناقصة لتنفيذ أعمال نقل أتربة من طريق باب المغاربة مما يؤشر إلى إزالة الطريق نهائياً، وفي الوقت نفسه صرحت الحكومة لإدارة الآثار بتنفيذ حفريات أثرية في الطريق، ويتبع ذلك توسيع الساحة أمام حائط البراق لإقامة عدة مصليات للصهاينة، وأعلنت الحكومة الصهيونية أن هيئة "صندوق تراث المبكى" هي الجهة التي تشرف على تنفيذ هذه الأعمال التي رصد لها مبلغ يتجاوز المليون دولار أمريكي.

في رجب ١٤٢٧هـ/أغسطس ٢٠٠٦م أصدرت مؤسسة القدس الدولية في بيروت تقريراً يغطي الانتهاكات الصهيونية على المسجد الأقصى خلال الفترة من أول يناير ٢٠٠٥م إلى الحادي والعشرين من أغسطس ٢٠٠٦م، ودعت المؤسسة إلى دعم موقف الحكومة الأردنية لأنها بحكم القانون الدولي الوصية على المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى إذ كانت هي الجهة الوصية عليه قبل الاحتلال، وهو أمر تم تثبيته في معاهدة وادي عربة سنة ١٩٩٤م للسلام بين الطرفين الأردني والصهيوني، إذ طلبت الحكومة الأردنية تثبيت الرعاية الهاشمية والدور التاريخي للأردن في الأماكن المقدسة، وهذا ما تم في البند الثاني من المادة التاسعة من المعاهدة الذي يقول: "وبهذا الخصوص وبما يتماشى مع إعلان واشنطن، تحترم إسرائيل الدور الحالي الخاص للمملكة الأردنية الهاشمية في الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس، وعند انعقاد مفاوضات الوضع النهائي ستولي إسرائيل أولوية كبرى للدور الأردني التاريخي في هذه الأماكن".

(١٩) رائف نجم، القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي ١٩٦٧-١٩٧٨م، ص ٤٠-٦١.

- الحفريات الصهيونية في القدس:

المرحلة الأولى: (أواخر سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م) (١٣٨٧-١٣٨٨هـ).
تمت على امتداد ٧٠ مترًا ووصل عمقها إلى ١٤ مترًا، وكانت أسفل الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى.

المرحلة الثانية: (١٩٦٩ م) (١٣٨٩هـ).

تمت على امتداد ٨٠ مترًا، بدأت من حيث انتهت المرحلة الأولى، واتجهت شمالاً حتى وصلت إلى باب المغاربة وتم خلال هذه المرحلة تدمير أربعة عشر أثرًا إسلاميًا.
المرحلة الثالثة: (١٩٧٠ - ١٩٧٤ م) (١٣٩٠-١٣٩٤هـ).

بدأت أعمال الحفر أسفل مبنى المحكمة الشرعية وسارت تحت خمسة أبواب هي: السلسلة، والمطهرة، والقطنين، والحديد، وعلاء الدين البصيري، وامتدت الحفريات لمسافة ١٨٠ متر، ويتراوح عمقها ما بين ١٠ - ١٤ متر، وتم بناء كنيس يهودي أسفل مبنى المحكمة الشرعية.
المرحلة الرابعة:

بدأت سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ولا تزال مستمرة حتى الآن، وكانت نقطة بدايتها خلف الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى وامتدت لمسافة ٨٠ مترًا، واخترقت في يوليو (تموز) ١٩٧٤م الحائط الجنوبي، ووصلت أسفل محراب المسجد الأقصى، وفي سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م (١٣٩٤هـ) بدأ الحفر قرب منتصف الحائط الشرقي للمسجد مابين باب السيدة مريم والزاوية الشمالية الشرقية لسور القدس، وأمام الاعتراضات الدولية على هذه الحفريات قرر الصهاينة إجراءها بطريقة سرية إلى أن تم كشف النفق الذي افتتح في الرابع والعشرين من سبتمبر (أيلول) ١٩٩٦م (١٤١٧هـ) .. وفي الخامس عشر من فبراير (شباط) سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ) كشفت صحيفة (كول هعير) الصهيونية عن خطة لحفر نفق جديد تقوم بحفره وزارة الأديان في الكيان الصهيوني تحت حائط البراق.

وفي سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٥م (١٤٢٦هـ) أعلنت سلطات الكيان الصهيوني عن قرب افتتاح ما تدعي أنه موقع أثري يهودي أسفل المسجد الأقصى. وكشفت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية في تقرير صدر في العشرين من سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٥م أن إدارة الآثار الصهيونية تقوم بحفريات أسفل المسجد الأقصى في شارع الواد وباب السلسلة، وتخطط إدارة الآثار الصهيونية لإقامة نواة لمدينة سياحية أسفل المسجد الأقصى ويتزامن ذلك مع عروض خيالية لأصحاب المنازل والمحلات في شارع الواد وباب السلسلة.

وفي الثالث عشر من مارس (آذار) ٢٠٠٦م (١٣ صفر ١٤٢٧هـ) نشرت صحيفة هآرتس تصريحات لرئيس الكيان الصهيوني حث فيها على تنفيذ مزيد من الحفريات أسفل حائط البراق، وتوجه بكلامه إلى المسلمين قائلاً: (لا أجد سبباً يدفع

أبناء ديانات أخرى معارضة هذا المخطط، إذ لا يوجد لنا نحن إلا مكان مقدس واحد حلما به منذ ٢٠٠٠ سنة)، وجاءت تصريحاته بمناسبة الاحتفال بادخال أسفار من التوراة إلى كنيس شيده الصهاينة أسفل حائط البراق.

ونكرت صحيفة هآرتس في عددها الصادر في ٣٠ يونيو (حزيران) ٢٠٠٦م (٤ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ) أن إدارة الآثار في الكيان الصهيوني ستبدأ بإجراء حفريات في الطريق المؤدي إلى باب المغاربة، وقد صادق على الخطة مدير عام إدارة الآثار شوكا دورفمان، وكانت السلطات الصهيونية قد بدأت في تنفيذ هذه الحفريات سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م عندما انهار أحد الجدران الواقية للطريق المؤدي إلى باب المغاربة، وأيد رئيس مجلس الآثار افرام شطيرن إجراء الحفريات بقوله: (لا أستطيع معارضة مشروع حفريات منظم)، بينما يعارض عالم الآثار مثير بن دافيد المشروع ويرى: (الحفريات في هذا المكان هو أمر يتجاوز كثيراً رؤية الآثار فهذا مكان حساس إلى أبعد الحدود) (20).

وفي رجب ١٤٢٧هـ/أغسطس ٢٠٠٦م كشفت مؤسسة الأقصى عن حفريات وأنفاق يقوم الكيان الصهيوني بتنفيذها في بلدة سلوان وتحديدًا في منطقة مجمع عين سلوان تتدرج في مخطط التهويد والاستيلاء الكامل على المنطقة بهدف استكمال المشروع الصهيوني المعروف باسم "مدينة داود" لتحقيق الأسطورة التلمودية وبناء الهيكل الثالث المزعوم بكل مستلزماته ومرافقه على أنقاض المسجد الأقصى.

وبحجة إصلاح خط الصرف الصحي المار بعين سلوان قامت جمعية (العاد) الصهيونية بإجراء حفريات في المنطقة مستخدمة علاقاتها مع إدارة الآثار الإسرائيلية وهيئة الحدائق الطبيعية في الكيان الصهيوني

واستطاعت مؤسسة الأقصى أن تتجاوز الأسيجة الحديدية التي نصبت في منطقة مجمع عين سلوان حيث تجري الحفريات لتكشف عن نفق أرضي يحفر تحت مسجد عين سلوان وروضة الأطفال ولاحظت المؤسسة أن الحفريات مستمرة وبعده اتجاهات، وكان الهدف الرئيس من وراء الحفريات محاولة العثور على آثار للهيكل الأول أو الربط بين الموقع وما يطلق عليه الصهاينة طريق هيرود الذي أنشئ حسب زعمهم مع الهيكل الثاني.

وأوقف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عين سلوان وما حولها على أهالي القدس، ثم قام صلاح الدين الأيوبي بوقف العين على المدرسة الصلاحية، ولا تزال العين وقفًا إسلاميًا تحت إشراف دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس. وتعليقًا على هذه الحفريات قال المهندس عدنان الحسيني مدير أوقاف القدس: " بالنسبة للحفريات في منطقة عين سلوان كان لنا اتصال مع البلدية وقد حضر قسم

(20) مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية.

المباني الخطرة إلى الموقع ورأى المستوطنين الذي يقومون بالحفريات في محيط المسجد والروضة، نحن طبعاً نرفض مبدأ الحفريات، فهذه الحفريات هي حفريات غير قانونية تنتفد في أماكن هامة جداً ذات طابع أثري بالنسبة للمسلمين، وبالتالي كنا نتلمس أن الخطر سيحصل، ولفتنا النظر إلى أن الجهات الاستيطانية في سلوان تسعى لوضع اليد على العين وعلى مجمع العين، وبالتالي القضية مستدرة منذ ١٥ سنة، وكانت البنينة قد وعدت بإصلاح التصدعات ولكنها إلى الآن لم تحرك ساكناً، على كل حال نحن نتابع الموضوع ونحملهم المسؤولية عما يجري للمسجد والروضة... هذه الحفريات هي حفريات تهدف إلى محاولة إيجاد تاريخ يهودي في المنطقة بشكل أو بآخر وهذه الحفريات لم تخرج بشيء سوى التكهنات، وهي بالتالي محاولة إيجاد تاريخ غير موجود أصلاً".

١٠- الضفة الغربية: تتعرض مدن الضفة الغربية الأخرى إلى مثل ما تتعرض له القدس من استيلاء على الأوقاف وطمس للآثار، فقد عانت مدينة الخليل منذ احتلالها سنة ١٩٦٧م من محاولات تهويد مستمرة كانت تهدف أساساً للاستيلاء على المسجد الإبراهيمي الذي شيد في العصر الأموي، وأجريت به إضافات سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي، وعندما احتل الصليبيون الخليل سنة ٤٩٤هـ/١٠٩٩م هدموا المسجد وأقاموا على أنقاضه كنيسة وحصناً، وعندما استرد صلاح الدين الأيوبي المدينة من الصليبيين أعاد بناء المسجد مرة أخرى ونقل إليه منبر مسجد عسقلان المصنوع سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وقام السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون بعمل إصلاحات وإضافات في المسجد سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م.

وبعد الاحتلال الصهيوني للمدينة قام حاخامات صهيانية في الثامن من يونيو (حزيران) ١٩٦٧م بالصلاة في المسجد الإبراهيمي، وأطلقوا عليه اسم (كنيس ماكفيل)، ثم أقام الصهيانية مستعمرة (قرية أربع) سنة ١٩٧١م، وفي سنة ١٩٨٧م بدأ الصهيانية بالصلاة في المسجد الإبراهيمي، وبعد المجزرة التي نفذها أحد الصهيانية بالمسجد سنة ١٩٩٦م أقدمت سلطات الاحتلال الصهيوني على تقسيم المسجد بين المسلمين والصهيانية، ولما كان المسجد يتكون من خمسة أجزاء، فقد استولى الصهيانية على ثلاثة أجزاء وتركوا اثنين فقط للمسلمين، ويغلق المسجد بالكامل أمام المسلمين لمدة عشرة أيام في السنة، وهي الأيام التي يحتفل فيها الصهيانية بأعيادهم، ولا يزال الكيان الصهيوني يسعى لطمس الطابع العربي الإسلامي للمدن الفلسطينية. ومن المساجد التي اعتدى عليها الصهيانية في الخليل مسجد قرية زكريا الذي أغلق ورفض الصهيانية السماح بفتحه⁽²¹⁾.

(21) نزار حميد، الأوقاف الإسلامية في فلسطين والاعتداءات الإسرائيلية عليها، ص ١٨-٣٠. مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية

كما يقوم الصهاينة بتدمير الآثار العربية والإسلامية في المدن الفلسطينية، فقد أقدموا منذ سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م على تدمير أغلب المعالم الأثرية في جنين : ثم اتجهوا إلى آثار نابلس، وهي المدينة التي تضم آثارًا ترجع إلى حقب تاريخية مختلفة. وتعد من أهم آثارها مجموعة من المعابد الكنعانية، والكثير من المساجد، والزوايا، والخانقوات، والبيوت التي تعود لعصور إسلامية متفاوتة، وهي مواقع أثرية سحبتها منظمة اليونسكو ضمن قائمة التراث العالمي، فاجتاحتها الدبابات الصهيونية في ديسمبر ٢٠٠٣م، ويناير (كانون الثاني) ٢٠٠٤م، فدمرت حي القصبه بكل ما فيه من مبان أثرية ومشاهد حضارية، واستولى الصهاينة سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م على مسجد صانور شمال جنين وحولوه إلى كنيس، وفعلوا الشيء نفسه في مصلى يامين الذي يقع إلى الغرب من قلقيلية والذي تحول إلى كنيس بنيامين.

١١- انتهاك المقدسات المسيحية:

ولا تتوقف انتهاكات الصهاينة على المقدسات الإسلامية فقط بل شملت المقدسات المسيحية.

ففي القدس تعرضت العديد من الكنائس والأديرة للانتهاك على أيدي الصهاينة ومنها: الكنيسة الأرمنية للقدّيس المنقذ التي شيّدت في القرن الخامس عشر الميلادي، وتخصّس البطريركية الأرمنية في القدس، واستولى عليها الصهاينة سنة ١٩٤٨م، وحولوها موقعًا عسكريًا خلال حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧م، وواصلوا انتهاكهم لها بنبش قبور أربعة عشر من بطارقة الأرمن كانت موجودة في ساحاتها، وتعرضت الصور الدينية للتدمير ونزعت من الحيطان البلاطات الزخرفية التي تصور موضوعات دينية وتعود إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وتم تحويل جزء من ساحة الكنيسة إلى ملهى ليلي.

وفي كنيسة القديس يوحنا القديمة بعين كارم حطم الصهاينة أبواب الكنيسة ونوافذها وسرقوا محتوياتها، وكتبوا على جدرانها عبارات نابيه، كما عمدوا إلى إجراء تعديلات في لوحة للرسام الإيطالي روفائيل للسيدة العذراء والطفل يسوع، وتنتهك تلك التعديلات قداسة السيدة العذراء والسيد المسيح.

وبعد أيام من احتلال القدس في يونيو (حزيران) ١٩٦٧م، قام بعض الجنود الصهاينة بالتمركز على سطح كنيسة القيامة، ودير الروم الأرثوذكس، وفي سنة ١٩٧١م أعلن مطران الروم الأرثوذكس إغلاق نوافذ العديد من الكنائس بالحجر لكي يمنع الصهاينة من الاعتداء على كرامة بيوت الله وشمل هذا الإجراء كنيسة مار جرجس في القدس، وفي سنة ١٩٧٣م أحرق الصهاينة المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون ثم أقدموا في السنة التالية على إحراق أربعة مراكز مسيحية أخرى في القدس، كما قامت سلطات الاحتلال بتجريف القبور في ساحة كنيسة السيدة مريم في الجثمانية وذلك لتعبيد طريق فوقها.

وأقدمت السلطات الصهيونية على هدم كنيسة الروم الأرثوذكس على جبل الزيتون سنة ١٩٩٢م بدعوى البناء دون ترخيص.

وفي أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٠م حاول الصهاينة الاستيلاء على دير مار يوحنا وهو من ممتلكات الكنيسة الأرثوذكسية في القدس فقام نحو مئة وخمسون مستوطنًا يهوديًا بالاعتداء على الدير ورهبانه وتمكنوا من الاستيلاء على الدير ونقلوا إليه أمتعتهم، واستمر احتلالهم للدير مدة طويلة حتى أصدرت إحدى المحاكم الصهيونية قرارًا بإبعادهم وتسليم الدير للكنيسة الأرثوذكسية.

ومن المقدسات المسيحية التي تتعرض للانتهاك على أيدي الصهاينة دير السلطان الذي يقع إلى الغرب كنيسة القيامة وتبلغ مساحته ١٨٠٠ مترًا مربعًا، ويوجد في الزاوية الجنوبية الغربية من الدير كنستان، والدير من ممتلكات الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، وقبل الاحتلال الصهيوني للقدس الشرقية ثار نزاع بين الكنيسة ومجموعة من الرهبان الأحباش المقيمين في الدير حول ملكية الدير علمًا بأن الكنيسة الحبشية منذ نشأتها تابعة للكنيسة المصرية لذا لم يكن غريبًا استضافتها للأحباش في دير السلطان، وبعد الاحتلال الصهيوني للقدس الشرقية سنة ١٩٦٧م تحالف الأحباش مع الصهاينة وتمكنوا من السيطرة على الدير، ورغم أن المحكمة العليا في الكيان الصهيوني قد أمرت بإعادة الدير على الكنيسة المصرية إلا أن السلطات الصهيونية لا تزال تصر على بقاء الدير تحت سيطرة الأحباش من أجل إخراج الوجود العربي المصري من القدس، ولا بد هنا من الإشادة بموقف قداسة البابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية المصرية المتمسك بعروبة القدس وعدم السماح لرعايا الكنيسة بزيارة القدس ما دامت تحت الاحتلال الصهيوني.

وفي بيت لحم مهد المسيح عليه السلام وبعد احتلالها سنة ١٩٦٧م على قام الصهاينة بتحطيم مقاعد كنيسة ودير مار إلياس وسرقوا الأيقونات والأواني المقدسة الأثرية، وأثاث الدير الذي تعرض للقصف خلال عمليات الجيش الصهيوني أثناء احتلال المدينة، وعثر على المقتنيات التي سرقها الصهاينة معروضة للبيع في أسواق تل أبيب، واضطر المسئولين عن الكنيسة إلى شرائها فيما بقي قسم منها مفقودًا.

في اليوم الثاني من أبريل (نيسان) ٢٠٠٢م، اجتاحت قوات الاحتلال الصهيوني مدينة بيت لحم، وحاصرت كنيسة المهد حتى العاشر من مايو من السنة نفسها لم تقرع خلالها أجراس الكنيسة لأول مرة في تاريخها، وحرّم المصلون من أداء صلاة الأحد في سابقة لم يحدث من قبل، وأمطر الصهاينة الكنيسة بقذائف الدبابات وطلقات المدافع الرشاشة ما أدى إلى تدمير وحرق أجزاء كبيرة من مبانيها، وتعد كنيسة المهد من أقدس المقدسات المسيحية، ويعود تاريخ تشييدها إلى القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين الذي أمر ببناء ثلاث كنائس ضخمة لتخليد الأحداث الرئيسية في حياة المسيح عليه السلام، وقد بدأ إنشائها سنة ٣٢٥م وتم

الفراغ منه سنة ٣٣٩م، ثم أعاد الإمبراطور البيزنطي جستنيان تشييد الكنيسة سنة ٥٢٩م.

وانتهكت مجموعة من الصهاينة كنيسة البشارة في الناصرة إذ تم إلقاء قنابل صوتية بالكنيسة في الرابع من مارس ٢٠٠٦م؛ وعندما تجمع الناس للدفاع الكنيسة واجهتهم الشرطة الصهيونية بالقنابل المسيلة للدموع وتمكنت من إخراج المجموعة التي انتهكت حرمة الكنيسة.

إن فلسطين ستعود ليس بالتمني ولكن بالتصدي للتحالف الصليبي الصهيوني وإن طال أمد الصراع، فقد بدأت قطعان الصليبيين تجتاح بلاد الشام منذ سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، وحرر صلاح الدين الأيوبي القدس من دنسهم سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م بعد نحو مئة عام من الاحتلال، وظلت قلوبهم في فلسطين حتى طردهم الأشرف خليل من عكا سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م.

وإلى أن تعود فلسطين لا بد من المحافظة على هويتها العربية الإسلامية من خلال:

- ١- التركيز على التناقض بين روايات التوراة ونتائج العمل الأثري الميداني ليس في القدس وحدها بل في كل أنحاء فلسطين.
- ٢- فضح محاولات تزوير الأدلة الأثرية التي يقوم بها الصهاينة لإثبات حقهم المزعوم في فلسطين.
- ٣- الدفاع عن الأوقاف والمقدسات والمعالم الأثرية الإسلامية والمسيحية في فلسطين أمام محاولات التهويد المحمومة التي يقوم بها الصهاينة.
- ٤- دعم المنظمات الفلسطينية التي تتحمل عبء الدفاع عن الأوقاف والمقدسات والمعالم الأثرية في فلسطين.
- ٥- دعوة المنظمين العربية والإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، واتحاد الجامعات العربية لإقامة مراكز عربية متخصصة في دراسة كل ما يتعلق بالكيان الصهيوني، ففي الوقت الذي يعج فيه الكيان الصهيوني بمراكز الأبحاث المتخصصة في مختلف شؤون الوطن العربي، لا نملك نحن العرب أي مركز أو معهد متخصص في شؤون الكيان الصهيوني بعد توقف نشاط مركز الأبحاث الفلسطيني بعد الاجتياح الصهيوني لبيروت سنة ١٩٨٢م.
- ٦- التعاون مع المؤسسات التربوية والبحثية والشخصيات الأكاديمية التي تدعو لمقاطعة الكيان الصهيوني أكاديمياً في مختلف أنحاء العالم خاصة في المملكة المتحدة وبقية دول الاتحاد الأوروبي.
- ٧- دعوة الاتحاد العام للآثاريين العرب بتخصيص أحد محاور مؤتمره الحادي عشر والمقرر أن يعقد في سنة ٢٠٠٨م بإذن الله لمناقشة أوضاع المقدسات والآثار المسيحية والإسلامية تحت الاحتلال الصهيوني، وذلك بمناسبة مرور ستين عاماً على اغتصاب فلسطين بمشاركة المنظمات العربية والباحثين العرب داخل فلسطين.

وخارجها الذين يواجهون المخططات الصهيونية ويتصدون للمحاولات الرامية لتهويد فلسطين عن طريق طمس الآثار المسيحية والإسلامية.

وصدق الله القائل في كتابه الكريم:

(إِنَّ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِنَاهُمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (الحج: ٣٩)

(المراجع)

الأوقاف الإسلامية تحت الاحتلال ١٩٤٨ - ١٩٨٥ (دار ابن رشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان ١٩٨٧م).

دالياحش؛ و تيري رميل:

- تقدير قيمة الأملاك الفلسطينية في القدس العربية، القدس ١٩٤٨م الأحياء العربية ومصيرها في حرب ١٩٤٨م (تحرير سليم تماري، ترجمة أحمد خليفة وآخرون، مؤسسة

الدراسات الفلسطينية - بيروت، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين - القدس، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م)

رانف نجم:

- القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي ١٩٦٧-١٩٧٨م (المركز الثقافي الإسلامي، وزارة الثقافة والشؤون والمقدسات الإسلامية، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م)

عبلة سعيد عبدالقادر المهدي:

- أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني (دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

عواد مجيد الأعظمي:

- تراث العرب العمراني في فلسطين في ظل الحكم الإسلامي (المجلة التاريخية، الجمعية العراقية للتاريخ والآثار، العدد الثالث، ١٩٧٤م).

مايكل دمير:

- سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٨٨م (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م)

محمود العائدي:

- الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن (عمان ١٩٧٣م).

- مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية.

- مؤسسة القدس الدولية.

نزار حميد:

- الأوقاف الإسلامية في فلسطين والاعتداءات الإسرائيلية عليها (مجلة الأرض، العدد ١٢، السنة ٢١، كانون الأول ١٩٩٤م).

المخطوطات العربية في الجزائر

في "المجلة الإفريقية R.A": دراسة إحصائية - بيليوغرافية.

د. محمد صاحبي*

مقدمة

يعترف العديد من المؤرخين الفرنسيين أن الجزائر لم تكن الهدف الوحيد في الإستراتيجية الاستعمارية التي رسمتها السلطات الفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي.

ويتأكد هذا النزوع التوسعي بعد الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩، إذ عرفت مناطق عديدة من الوطن العربي حملات عسكرية فرنسية عديدة مثل حملات نابليون على مصر و سوريا و فلسطين. و الأكيد أنه لو كان بمقدور الفرنسيين خاصة الأوروبيين عامة الزحف على الأراضي العربية و الاستيلاء عليها بعد سقوط غرناطة في سنة ١٤٢٩م (أو قبل هذا التاريخ) لفعلوا ذلك دون تردد، و السبب في أن الظروف المواتية لهم لم تكن متوفرة، لذلك أجلوا مشاريعهم إلى حين اشتداد شوكتهم..

١- الإيديولوجية السانسيمونية^١ و الحملات الفرنسية:

نم يكن الكاتب الكبير " فيكتور هوغو Victor Hugo " من أتباع سان سيمون، لكنه كان يؤمن ببعض طروحاتهم حول إدخال العرب و المسلمين إلى المدنية و الحضارة^٢

* كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية. جامعة وهران / الجزائر.

١- سانسيمونية " Saint-simonisme " مذهب يُنسب إلى مؤسسه الفرنسي " Claude Henri de Saint-Simon " (١٧٦٠ - ١٨٢٥). ولقد كان هذا المذهب الفلسفي و السياسي المعروف بـ " الاشتراكية الطوباوية " بمثابة الدين الجديد في أوساط الفئات المثقفة بفرنسا. وتحول هذا المذهب على يد خليفته بروسيير أنفانتان (1796-1864 Prosperere Enfantin) إلى مشروع سياسي و ديني يتولى القيام بنفس الرسالة التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى، ولكن بصورة جديدة قوامها مشروعات صناعية كبرى تربط أجزاء الأرض بعضها ببعض هادفة إلى توحيد العالم صناعيا، وصولا إلى توحده روحيا. ومن مبادئه: إن العلم قاعدة المجتمع و الإدارة السياسية - على أتباع هذا المذهب النضال من أجل سعادة البشر و بالأخص أولئك المقصيين في المجتمعات بإنجاز المشاريع الصناعية الكبرى- و من أجل تحقيق هذه الأهداف لا بد من تولي المثقفين و الفلاسفة إدارة الحكم... راجع:

Henri de Saint-Simon, le nouveau christianisme et les écrits sur la religion. Paris : Ed. le Seuil, 1969, introduction.

٢- يقول " فيكتور هوغو " عن احتلال الجزائر: " إنها الحضارة ضد البربرية، إنه (الفرنسيون) شعب متنور وجد شعبا (الجزائريين) في الظلام. نحن يونانيو العالم، و على عاتقنا تقع مسؤولية تنوير العالم."

الأوروبية. و كان شأنه في ذلك شأن العديد من مثقفي و علماء فرنسا أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

إلا أن سان-سيمون وبعض أتباعه كانوا أقل قتامة في نظرهم للعرب و المسلمين آنذاك، بحيث كان يردّد عبارة مشهورة هي بمثابة المفتاح الذي يمكّن من التعرف على الفلسفة التنويرية لدى السانسيمونيين: " إن العرب و علماءهم كانوا محرك تقدم الإنسانية إلى غاية خروجهم من إسبانيا في القرن السابع عشر. وعلى الغرب أن يساهم في تمكينهم من الرجوع إلى المرتبة التي يستحقونها..."³.

و الحقيقة أنه إذا كانت الحركة السانسيمونية قد عرفت أوج ازدهارها بعد ثورة جويلية ١٨٣٠ الفرنسية و هي الفترة التي شهدت دخول الجيوش الفرنسية إلى الجزائر، فإنها لها ماض عريق مع مصر و المصريين و خاصة في خلال حملة نابليون و ما بعدها، حيث جرّبوا تجسيد أفكارهم و طموحاتهم السياسية-الدينية في تعاونهم الوثيق مع محمد علي التقني و العسكري و التعليمي.

ولقد انفتح لهم المجال بمصر بعد حملة نابليون (١٧٩٨-١٨٠١) التي قام علماءها بحملة استكشافية ووصفية كبيرة للآثار الفرعونية و اليونانية و الرومانية و القبطية و الإسلامية، أسفرت عن إصدار موسوعة ضخمة معروفة بـ"وصف مصر".

وإذا كان السانسيمونيون قد جلبوا معهم إلى مصر التقنية- لأنهم كانوا المؤسسين الفعليين للكلية التقنية بالقاهرة- كما جلب نابليون معه المطبعة، فإنهم كانوا أيضا الجذوة التي كانت تغذي الإيديولوجية التوسعية و الاستعمارية الفرنسية التي اتسمت بها العشرية الأولى من القرن التاسع عشر. بل إن من المؤرخين الفرنسيين من يذهب إلى القول بأنه، لولا إلحاحهم المستميت وراء مشاريع الحملات العسكرية لما كنا قرأنا في التاريخ عن حملة نابليون على مصر ولتأخر هجوم الأساطيل البحرية على الجزائر. و على العكس من وجود السانسيمونيين بمصر، الذين كانوا ضيوف محمد علي (إسماعيل و ربان Ismael Urbain وإسمه الحقيقي طوماس- و فرديناند دي ليسيس

« C'est la civilisation qui marche contre la barbarie. C'est un peuple éclairé qui va trouver un peuple dans la nuit. Nous sommes les Grecs du monde, c'est à nous d'illuminer le monde. »

³ -Alain LARDILIER « l'œuvre de Saint-simonien au XIX siècle » www.emopnha.com.

14/10/06 .

- لنشر أفكارهم ومشاريعهم قام هذا المذهب، بالإضافة كتبهم و مؤلفاتهم بإصدار صحيفة أطلقوا عليها اسما يحمل دلالات على توجهاتهم المسيسية و الفكرية العالمية هو: Le Globe (الكرة الأرضية). و في عدد ١٨٣٢/٠٢/٢٥ كتب ميشال شوفال لبي Michel Chevalier "يقول. " سوف يتحول البحر الأبيض المتوسط سرب زواج بين الشرق و الغرب...".

Ferdinand de lesseps على سبيل المثال) إلى غاية مغادرتهم البلاد في سنة ١٨٣٦،^٤ فإنهم كانوا في الجزائر المعاونين الأوفياء لجيش الاحتلال و المنظرين لمشاريع فرنسا الاستيطانية، وقد قدموا إلى الجزائر، بعد الفشل الذريع الذي منيت به أحلامهم الكبرى في مصر، مجموعات تلو الأخرى، يتقدمهم "بروسبير أونفانتين P.Enfantin" أوريان Urbain العائدين من مصر، وأسماء أخرى معروفة كان لها في الحقل العلمي والثقافي الدور الكبير.^٥

٢ - الشروع في حملة " وصف الجزائر".

إذا كان هناك من دور علمي أو ثقافي أو صناعي، قامت به مجموعة السانيمونيين في الجزائر، فذلك لم يكن من أجل عيون الجزائريين المحتلين، بل كان من أجل المصلحة العليا لفرنسا الإستعمارية.

والدليل على ذلك هو وجود أتباع سان سيمون من القادة العسكريين مثل الجنرال "بيدو Bedeau" والجنرال " لاموريسيار Lamoriciere" و رئيس الحكومة "كافنيك Cavainiac" ^٦، ناهيك عن رجال العلم و الصناعة. وبهؤلاء تحول المجتمع الجزائري، غداة الاحتلال إلى مشروع ضخّم للاستكشاف و مادة بحث حُشدت من أجلها كل العلوم التي كانت متاحة آنذاك: الجغرافيا، التاريخ، الإثنوغرافيا..

ولم يكن الهدف من وراء ذلك هو تجميع البيانات و المعلومات العلمية وحسب، بل إعادة صياغة تاريخ و فكر الجزائريين كذلك، ليس بهدف تبرير الاحتلال فقط، بل من أجل التأكيد على أن الجزائر مجتمعا و أمة في حاجة ماسة إلى الحضارة و التمدّن و هو الدور الذي يجب أن يلعبه أتباع هذا المذهب.^٧

^٤ - كان لنقشي داء الطاعون بمصر سنة ١٨٣٦ وراء مغادرة معظم منتسبي هذا المذهب (حوالي مائة عضوا) و لم يبق إلا ثلثة منهم بصحبة «لانبيير باي Lambert bey» وقد كان لهم دور فعال في الحضور الفرنسي بمصر. للمزيد من المعلومات راجع:

Sébastien CHALEVY, Histoire du Saint-simonisme (1825-1864). Paris: Editions.P.Harmathan, 1931, p.112-132:

^٥ - إن أول عمل قام به إسماعيل أوريان في الجزائر هو مترجم في الجيش الفرنسي، أما Enfantin فقد عُيّن عضوا في اللجنة العلمية الاستكشافية التي أسستها سلطات الاحتلال في الجزائر.

^٦ - من الأعمال الوحشية التي قام بها بعض هؤلاء "المتتورين" إقدام الجنرال "لاموريسيار" ي سنة ١٨٤٨ على إحراق الآلاف من الجزائريين الذين لحتموا بالمغارات خوفا من بطش الجيش الفرنسي

^٧ - ظهرت في العشرية الأخيرة مؤلفات فرنسية عديدة عن الدور الإيجابي الذي قام به أتباع سان سيمون في كل من مصر و الجزائر و المستعمرات الفرنسية الأخرى، الأمر الذي هيا لاستصدار قانون فرنسي يُعترف بموجبه بالدور الإيجابي للوجود الفرنسي الاستعماري. أو قد تمّ صدور القانون رقم ١٥٨-٢٠٠٥ في ٢٣ فبراير ٢٠٠٥، و كلن من نتائجه أن علّقت معاهدة الصداقة الجزائرية الفرنسية..

٣- إصدار الدوريات وتأسيس الجمعيات العلمية :

أ- مثلما هو الحال مع نابليون في مصر، قام جيش الاحتلال الفرنسي فور غزوه للجزائر بإدخال المطبعة، و كان ذلك في ٢٦ جوان من سنة ١٨٣٠. و في ظرف سنة واحدة عرفت المطبعة انتشارا واسعا في معظم المدن الكبرى مثل قسنطينة و وهران و عنابة و غيرها. ولم يكتف الفرنسيون بذلك فقط، بل راحوا يصطحبون معهم المطابع المتنقلة في حملاتهم العسكرية على باقي المدن و القرى و الفيافي، ليس من أجل تشجيع الجزائريين على اكتشاف كتابات " فولتير " أو " مونتسكيو"، بل بغرض طبع المناشير و المطبوعات التي تدعو المقاومين على الاستسلام و الانخراط في مشروع فرنسا الحضاري.؟؟

ب- وكخطوة موازية لسياسة " الاستكشاف " المعلنة من طرف "حكومة الجزائر" يوافق الجنرال "برتيجان-Berthégène" من خلال قرار مؤرخ في ١٦ ديسمبر من سنة ١٨٣١ على طلب أحد المشتغلين بالآثار يُدعى " سيافي- Sciavi " كان قد سُمح له بإصدار مطبوعة دورية تحت اسم " الأنتكير - l'antiquaire " بالقيام بتفتيش المنازل و القصور و الحدائق التابعة لوزارة الحربية، - التي كانت في الأساس ملكا لدايات الجزائر وقادتها - عن الآثار و المقتنيات و المخطوطات و الوثائق.^٨ كما سمحت السلطات العسكرية أيضا بإصدار سبعة صحف، أهمها: المونيتور الجزائري « le moniteur algérien » في سنة ١٨٣٢، و صحيفة "الأخبار" مع مطلع سنة ١٨٣٩ م ثم " la gazette médicale " في سنة ١٨٣٤ او غيرها..

ت - وفي خضم هذا الجو المُفعم بالحياة التي يبحث عنها السانسيمونيون، يأمر وزير الحربية الجنرال "لاموريسيار" الجمعيات العلمية الفرنسية أو المشكلة حديثا لتحضير حملة التنقيب و الاستكشاف الكامل للتراب الجزائري، بما في ذلك المناطق التي تزال خارج السيطرة الفرنسية، و كان الهدف الرئيسي من وراء ذلك هو رسم خرائط جغرافية لتكون من الوسائل الأساسية لمواصله احتلال إفريقيا.. و قد أدى هذا الأمر (حملة الاستكشاف) إلى التعجيل بتشكيل " اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر" (commission d'exploration scientifique d'Algérie) يكون ضمن أعضائها : "بروسبير اونفانتين - P.Enfantin " الذي كُلف بالجانب التاريخي و الإثنوغرافي للمهمة الموكلة

^٨ -Adrian BERBRUGGER, « introduction » in Revue Africaine. Alger: Bastide, libraire-éditeur n° 01 volume n° 01, 1856, p.03.

^٩ لقد سبقت الإشارة إلى " أونفانتين" في الفقرة الخاصة عن السانسيمونيين بمصر، أما النقيب "كاريت" - و هو من خريجي المدرسة التقنية ببباريس، فقد أتى إلى الجزائر في سنة ١٨٣٥ و باذر من تلقاء نفسه بدراسة إحصائية حول إمكانات استغلال الأراضي الجزائرية : زراعية، صناعية و منجمية، واضعا معلوماته هذه تحت تصرف العلم، الجيش و الصناعة الفرنسية. المصدر:

- L'Algérie par Rozet et Carette. Tunis : éd. Bouslama, 1980.

إلى اللجنة و النقيب " أنطوان ميشال كاريت - Antoine Michel Carette " الذي أوكلت إليه مهمة وضع الخرائط، و هما من أهم معتقي المذهب السانسيموني الذين شاركوا في مجهودات محمد علي التحديثية.⁹

ث- لقد عرفت الفترة الممتدة بين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ م دينامية غير معهودة في مجال تأسيس الدوريات والجمعيات الثقافية و السياسية، ففي سنة ١٨٣٥ م، وبقرار من وزير الحربية يُعلن عن ميلاد مكتبة الجزائر ن يُكلف من خلاله أحد أتباع المذهب السانسيموني و هو أ.بربروجر Adrian Berbrugger بإدارتها.

لم يكن اختيار " بربروجر " المؤرخ و عالم الآثار مديرا لمكتبة الجزائر عشوائيا، بل كان ذلك نظيرا للخدمات التي قدمها لجيش الاحتلال في حملته على المدن الجزائرية كقسنطينة و معسكر و غيرهما. فالإضافة إلى كونه قد اشتغل السكرتير الخاص للجنرال "كلوزل - Clauzel " قائد حملة قسنطينة، وسكرتيرا للعديد من الضباط،¹⁰ كان، شأنه في ذلك شأن معظم السانسيمونيين، مولعا بتجميع الكتب والمخطوطات و خاصة تلك المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية.

بدأ "بربروجر" حين استلم قرار تعيينه مديرا للمكتبة الوطنية، برصيد أولي بلغ مائتي مخطوطة عربية، كانت عبارة عن هدايا ضباط الجيش الفرنسي وبعض ما استطاعت يده الوصول إليها، لكن مع حملة قسنطينة تمكن بربروجر من تجميع الآلاف من المخطوطات و الوثائق التاريخية، حتى أصبح ما تحتويه المكتبة يقارب الأربعين ألفا من المخطوطات ..

و الحقيقة أنه، على الرغم من الشهرة التي بلغت المكتبة الوطنية الجزائرية آنذاك، فإنها في الواقع قد غطت بظلالها على متحف الجزائر (تحت إدارة بربروجر أيضا)، الذي يحتوي على الآلاف من المقتنيات و الآثار و المسكوكات و غيرها، لكن

¹⁰ - E.Watbled « expédition et prise de Constantine » in Revue Africaine n°80, vol. 14, année 1870, p.200.

- اشتغل "بربروجر" بعد ذلك سكرتيرا خاصا للجنرال " مولييرس - Molières " المعروف بحملته على مدن جزائرية عديدة..

¹¹ - الواقع أن حملة نقل الآثار و الوثائق التاريخية الجزائرية لم تبدأ مع خروج الاحتلال فقط، بل كانت من الممارسات اليومية التي عهدتها سلطات الاحتلال. ففي أمرية مؤرخة في ٢٩ نوفمبر ١٨٤٢، يقرر الدوق دي دالماسي - le Duc DE Dalmaxie نقل قوس النصر الموجود في مدينة جميلة الأثرية نحو باريس. لكن ضخامة المشروع حال دون ذلك.. راجع ذلك في :

- A.Berbrugger , « introduction du premier numéro » in Revue Africaine n°1, vol.n°1, p.05.

¹² - Ibid , p.03.

¹³ - Partie officielle de la société historique algérienne in Revue africaine n° 49, vol.09, 1865, p.p :13-19.

¹⁴ - Ibid , p.p :13-15.

أغلب هذه التحف تمّ ترحيلها نحو باريس عشية استقلال الجزائر في سنة ١٩٦٢م، مثلها في ذلك مثل المئات من المخطوطات و الوثائق التاريخية التي عرفت طريقها نحو المكتبة الوطنية بباريس..¹¹

٤- تأسيس "الجمعية التاريخية الجزائرية" ولسان حالها" المجلة الإفريقية:

بتشجيع من أعلى هرم في السلطة و هو وزارة الحربية بالجزائر العاصمة، يقوم "أ.بربروجر" مع ثلثة من الضباط السامين في الجيش الفرنسي و عدد من المستعربين الفرنسيين بتأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية بعد مرور سنة عشرة عاما على احتلال الجزائر.

ولقد جاء قرار إنشاء هذه الجمعية في سنة ١٨٥٦م بحسب "بربروجر" نفسه بعدما فشلت تجارب الدوريات و الصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي، يقول بربروجر: "لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيما مُحكما يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء "المجلة الإفريقية.."¹²

من الأهداف التي سطرتهها الجمعية التاريخية في برنامجها:

- جمع و دراسة و التعريف عبر النشرات المتخصصة بكل الأحداث التي تتصل بتاريخ إفريقيا، وخصوصا تلك المتعلقة بالجزائر منذ العهد الليبي (العصر القديم) إلى غاية فترة حكم الأتراك و الوجود الفرنسي.

- تتطلق الجمعية في مفهومها للتاريخ من بُعد العام الذي يشمل: التاريخ بمعناه الضيق - اللغات - الجغرافيا - الفنون - وعلوم إفريقيا الشمالية..

- تستخدم الجمعية كل الوسائل المتاحة للحفاظ على المعالم التاريخية الثابتة (أقواس النصر، البنيات، الأعمدة..) و بالخص المعالم الأخرى المتنقلة..¹³

أما في المادة رقم 27 الخاصة بتسيير الجمعية من الناحية البحثية فنقرأ ما يلي:

تقوم الجمعية بنشر مجموعة بحوث و أعمال يكون الأساس فيها:

- التقارير المكتوبة من طرف اللجان التابعة للجمعية.

- المذكرات و الأعمال العلمية الأخرى.

- المذكرات و الأعمال غير المنشورة سواء الموجودة بالأرشيف أو في أماكن

أخرى.

- نشر مقالات منشورة في دوريات إفريقية و أسيوية أخرى، ترى الجمعية أنها

مفيدة..¹⁴

- تركيبة بعض أعضاء الجمعية التاريخية الجزائرية:

يتكون أعضاء الجمعية التاريخية من فئتين مختلفتين هما: فئة من الباحثين و المستعربين وفئة أخرى من العسكريين.

- الفئة الأولى: أدريان بربورجر محافظ مكتبة و متحف الجزائر رئيسا.

: بريزنيي - Brézniér أستاذ كرسي اللغة العربية بالجزائر.

: ديفوس - Devoulx مدير الأرشيف العربي بأمالك الدولة (Domaine).

- الفئة الثانية: البارون دي سلان - Baron de Slane المترجم الرئيسي بالجيش وملحق الحكومة العسكرية، نائبا لرئيس الجمعية.

- المارشال كونت راندون Randon الحاكم العام، مؤسس الجمعية التاريخية رئيسا شرفيا.

- الكولونيل دي نوفو De neveu النائب الثاني لرئيس الجمعية.

وبقراءة سريعة لوظائف بعض أعضاء " الجمعية التاريخية الجزائرية " نستنتج بأن العمل المنوط بها له مبررات عسكرية أكثر منها علمية يقصد من وراء التأسيس إضفاء الطابع العلمي على بحوث و دراسات الجمعية التاريخية هذه.

- " المجلة الإفريقية " وأهدافها:

على غرار المجلة العلمية " جورنال أزياتيك - Journal asiatique التي بدأت في الصدور في 1822 م عن الجمعية الآسيوية، ارتأت " الجمعية التاريخية الجزائرية " إصدار مجلة "علمية" تبحث في تاريخ شمال إفريقيا على وجه التحديد، وبالأخص في كل ما يتعلق بتاريخ الجزائر العام، كان لها ذلك مع بداية سنة 1856. لكن على العكس المجلة الآسيوية التي لا تزال تصدر إلى غاية الآن، توقفت المجلة الإفريقية عن الظهور في الجزائر أو في الخارج عن الظهور بمجرد حصول الجزائر على استقلالها.

و إذا كانت أهداف المجلة المعلنة هي الوصول إلى " أن تُصبح مكتبة تاريخية إفريقية حقيقية تكمل ما يقوم به علماء أوروبا من بحوث حول تاريخ إفريقيا و المستعمرات "،¹⁵ فإن ما لم يُعلن عنه هو كتابة تاريخ المنطقة من منظور استيطاني يُجرّد الجزائريين من تاريخهم، وذلك باتباع الخطوات التالية المبنوثة في ثنايا الدراسات والمقالات:

- التركيز على الآثار والمنقوشات و النميات الرومانية من أجل ربط منطقة شمال إفريقيا و الجزائر خصوصا بأوروبا اللاتينية -المسيحية. وقد ساهمت العديد من هذه الدراسات و البحوث في وضع برامج للتكريس لأبناء المعمّرين و القلة المحظوظة من أبناء الجزائريين..

- التركيز بالدراسة النقدية الجارحة على كل ما هو إسلامي في الجزائر و بقية المناطق العربية و الإسلامية الأخرى. فأمسى الرسول عليه الصلاة و السلام في كتاباتهم " النبي المزعوم" ¹⁶
- ربط وجود العثمانيين بالجزائر و العالم الإسلامي بالجهل و التزمت و الفوضى، بل إن تاريخ المسلمين عامة و الجزائريين خصوصا قد وقع في قبضة المقص الاستعماري، فراح دارسو المجلة الإفريقية - أو جزء منهم على الأقل - ينددون بما قام به المسلمون تجاه المسيحيين من سبي و حبس خلال الفترة التي أعقبت سقوط بعض الإمارات الأندلسية في يد المسيحيين.؟؟
- إظهار صورة الفرنسي و المدنية الأوروبية على أنهما يُشكلان الخلاص للجزائريين و المسلمين عامة.. وهو المبدأ الأساسي الذي اعتنقه السانسيمونيون بشكل عام.
- التشجيع على استخدام اللغة الجزائرية العامية في الكتابات الأدبية عامة بنشر الكتب التي تصب في مواضيع إباحية..
- أقسام المجلة و محتوياتها:
شرع القائمون على المجلة في تقسيم أولي لموادها إلى ثلاثة أقسام رئيسية، و قسم رابع غير ثابت:
- القسم الأول: و يتضمن الدراسات و التحليلات، و قد أطلق عليه مصطلح " مقالات أساسية - ARTICLES DE FONDS "
- القسم الثاني: وهو عبارة عن أخبار مختصرة، قد تستغرق صفحة أو صفحتين، يشير فيها كاتبها سواء كان عسكريا أو مدنيا إلى ما عثر عليه من مقتنيات (نقود، وثائق، نقوش...) مع التعريف بالمكان الذي وُجدت به (مدينة، قرية، جبل ..) و يُطلق على هذا الجزء من المجلة لفظة "أخبار أو حوادث Chronique .."
- أما القسم الثالث فيقوم صاحبه بإعادة نشر كل ما له علاقة بموضوعات المجلة : الإشارة إلى اكتشافات أثرية، ملخصات عن مقالات بعض المستشرقين في مجلات أخرى، و يُطلق على هذا الجانب اسم نشرة أو بيان " Bulletin .."
- أما بخصوص القسم غير القار في المجلة فيُخصص للملاحظات و الإرشادات سواء تلك الموجهة إلى القراء أو للمراسلين، مع الإشارة إلى القوانين و ما شابه ذلك، و قد أطلق عليه المشرفون على المجلة لفظ " ملحوظات متنوعة - notes diverses" ¹⁷

¹⁵ - A.Berbrugger , op.cit, p.10.

وإذ تتطرق فلسفة المجلة من البُعد الوصفي والاستكشافي للآثار بكل أصنافها، تقوم بجمع و تصوير كل ما له علاقة بالتاريخ بمعناه العام: نقوش و آثار ترجع إلى عصور ما التاريخ و العصور الأخرى، نَمِيَّات، وثائق إدارية و تاريخية إسلامية (العصور الوسيطة و العثمانية) الخ ..

و يتكلف بجمعها على وجه الخصوص ضباط متمرسون يتكوّن أغلبهم من المترجمين أو ممن يشتغلون بالمكتب العربي التابع لحكومة الجزائر *gouvernement* « *d'Alger* العسكرية.

وكانت توصيات الجمعية التاريخية في ذلك هي وصف ورسم المعثورات مع تبيان موقعها الجغرافي مع التعريف بالمكان أو الموقع إن أمكن .

و كان للمجلة عدد من المراسلين تتكون أغلبيتهم من ضباط الجيش الفرنسي العاملين في الوحدات التي تقوم بالحملات العسكرية على المدن و القرى و المداشر . و قد كُلف المدرسون الفرنسيون و رجال الدين المسيحيين أيضا بذات المهمة، على أن تكون مهماتهم تطوّعية ..

وبعد وصول التقارير و الدراسات إلى هيئة تحرير "المجلة الإفريقية" بالجزائر العاصمة مجلسها العلمي و هو ذاته مجلس الجمعية التاريخية الجزائرية المكوّن من المؤرخين و الأثريين، إما بتقيقه و تصحيحه أو نقده و دراسته و ترجمته. وقد عُرف عدد منهم كان له صيت و شهرة كبيرتين في الأوساط العلمية، منهم على سبيل المثال: غابرييل كامبس، شربونو، دي سلان، ستفان غزال، شارل أندري جوليان ...

٤- المجلة الإفريقية: دراسة إحصائية-بيبليوغرافية:

دام نشر وطبع المجلة الإفريقية مائة وست سنوات (في مائة وستة مجلدات) ضمن أربع مائة و واحد وسبعين عددا. احتوت موادها على كل ما يمت بصلة إلى التاريخ بمعناه العام: الآثار، التاريخ بعصوره المختلفة، الجغرافيا، اللغات و غيرها. غير أن النصيب الأوفر فيها كان في باب الآثار، حيث قام دارسو المجلة بكل ما من شأنه أن

¹⁶- وردت هذه العبارة و عبارات أخرى في مقالة لبروجر عن مخطوطة " تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" لعبد الله الترجمان. المجلة الإفريقية، المجلد الخامس، عدد ٢٨، ص.ص: ٢٦١-٢٧٥.

¹⁷- صدر المجلة في الأصل ضمن نشرية "journal" و هي بمثابة العدد الذي يظهر مرة كل شهرين، بقلم المشرفون على الجمعية التاريخية بإخراجه في مجلد سنوي يقع في حوالي ٥٠٠ صفحة بحجم ٢٤ سم. قامت سلطات الاحتلال بتكليف الناشر و الطابع الفرنسي باستيد Bastide " بطبعها ونشرها . ثم أعاد الديوان الوطني للمطبوعات في الجزائر بإعادة طبع "المجلة الإفريقية بعد الإستقلال.

المجلد الأول-العدد الأول: ١٨٥٦- المجلد ١٠٦- العدد ٤٧٠-٧١.

يخدم نظرتهم إلى التاريخ و الحضارة، فقاموا بالإشارة و التصنيف و دراسة و ترجمة كل ما يمت بصلة إلى ذلك.

وعليه سوف تقتصر هذه المداخلة على مجال واحد من النشاط العلمي الذي قامت به المجلة الإفريقية و هو باب المخطوطات العربية بالجزائر، ومحاولة التركيز على ما قام به الدارسون و المستشرقون الفرنسيون في الفترة الزمنية الممتدة بين ١٨٥٦م و ١٨٧١ م. و هي الحقبة العسيرة من تاريخ الجزائر الحديث، بحيث تصادف ما قامت " المجلة الإفريقية " من تجميع و دراسة و ترجمة للمخطوطات العربية بحملات الجيش الاستعماري على المدن و المناطق الجزائرية التي كانت تحوز على قدر مهم من المخطوطات و الوثائق التاريخية مثل قسنطينة و بسكرة و معسكر و غيرها.

وقد تصادف عمل الجمعية التاريخية "الجزائرية" أيضا بحركات التمرد و الانتفاضات و المقاومة التي انتشرت في معظم المناطق الجزائرية: مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب و الوسط، و مقاومة أحمد باي في الشرق و الصحراء، و ثورات الزعاطشة و المقراني في بقية الجزائر على سبيل المثال..

فإذن سيغطي مجال الدراسة تسعين عددا (٩٠) من إجمالي الأعداد البالغ أربع مائة و واحد وسبعين (٤٧١)، الشاملة لـ"مائة وست" سنوات (١٨٥٦-١٩٦٢). و هي الفترة التي تصادف أيضا فترة تأسيس مكتبة الجزائر الوطنية و المتحف الملحوق بها سنة ١٨٣٥م. و كافة الجمعيات العلمية الأخرى التي تأسست في خلال هذه الفترة الممتدة من سنة ١٨٣٥ إلى سنة ١٨٧١، كالجمعية التاريخية و الجمعية الأثرية و الجمعية الجغرافية و غيرها.

من الملاحظات الأولية التي يمكن إبداءها هي أن بعض الأعداد تخلو تماما من ذكر المخطوطات أو الوثائق التاريخية سواء بالإشارة أو الدراسة أو الترجمة مثل الأعداد التي تتضمنها المجلدات التالية: السادس الخاص بسنة ١٨٦٢ و المجلد الحادي عشر الشامل لسنة ١٨٦٧..

أما فيما يخص المنهجية التي ستسير وفقها هذه المداخلة، فسوف تتطرق من مقاربة إحصائية- بيبلوغرافية للمواد (المخطوطات العربية) التي تشتمل عليها أعداد المجلة دراسة أو تحقيقا أو إشارة أو وصفا، و يكون ذلك حسب الخطوات التالية:

- الإشارة إلى المخطوط و صاحبه (إن وُجد).
- الإشارة إلى دارس المخطوط أو إلى مترجمه.
- رقمه في مكتبة الجزائر (إن توفر ذلك).
- إن كان المشار إليه ضمن المقالات "articles de fonds" أو الأخبار "chroniques" أو النشيرية "bulletin" ..
- محاولة إعطاء مستخلص إن كان العمل تحقيقا أو ترجمة..

- ذكر المجلد و العدد و الصفحات التي ورد فيها ..
أما ترتيب المادة العلمية فيكون حسب ورودها في المجلة، أي زمنياً.
- الدراسة الإحصائية-البيليوغرافية:
١- " المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب " للبكري (أبو عبدة عبد الله بن عبد العزيز المتوفى سنة ٤٨٧ هـ).

دراسة وترجمة دي سلان De slane في سنة ١٨٥٧.
وقد أعطاه المترجم العنوان التالي: Description de l'Afrique septentrionale.
و في تعليق لكايب الملخص في القسم الخاص بالنشرية " Bulletin " (و هو بربروجر) يقول أن المحقق قد اعتمد في عمله على نسخة واحدة من المخطوط. غير أنه يعود فيجد تعليلاً لذلك بقوله: على الرغم من علم دي سلان بأن التحقيق لا يمكن الاكتفاء فيه بنسخة واحدة، فإن الحاجة الملحة إلى معرفة جغرافية المنطقة هي السبب في إخراج الكتاب إلى النور.. لكن (يضيف بربروجر)، إن دي سلان - بمعية "الفريد كليرك" - قام بتحقيق المخطوطة لاحقاً (؟) بالاعتماد على مجموعة من نسخ الكتاب، منها النسخة الموجودة بمكتبة الجزائر..

- المجلد الأول: ٥٧/ ١٨٥٦، العدد الثاني، ص. ١٤٨.
٢- " نظم الدرر و الإسكبان في دولة بني زيان " لمحمد بن عبدالله بن عبد بن عبد الجليل القصري (التنسي). تحقيق المستشرق "أ. شربونو A. Cherbonneau".
و من الملاحظات العامة عن المخطوط يقول المحقق أن المخطوطة المعتمد عليها ناقصة و في حالة سيئة، و هي من رصيد مكتبة الجزائر تحت رقم ٧٠٣. وقد نسخت بالمغرب سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م، و ناسخها هو أبو العباس بن محمد السيني من قبيلة بني سنوس.

و يُشار في الدراسة " المقالات - Article de fonds " و كاتبها هو شربونو ذاته - أن المحقق بصدد دراستها من حيث الأسلوب و اللغة، و تلخيص أقسامها و التعليق على ما ورد فيها من أخبار. و ينتهي المجلد بمختصر تاريخي حول أصل الشعب العربي، تليه سبع قصائد في مدح السلطان (أبو حمّو الزياني)، الذي حكم تلمسان عام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م.

- المجلد الأول: ٥٧/ ١٨٥٦، العدد الثالث، ص. ٢١٣-٢١٥.
٣- " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " المعروف بالجماني. لأحمد بن محمد بن علي بن حنون الشريف.

أشير إلى هذا المخطوط في دراسة و ترجمة قام بها المستشرق "غورغيوس Gorguos" للكتاب المخطوط المذكور تحت عنوان " معلومات عن باي وهران محمد الكبير " notice sur le bey d'Oran ". الدراسة التي قام به المستشرق في القسم

الخاص بالمقالات، هي الوقوف عند المحتوى اللغوي و البلاغي و التاريخي للكتاب المخطوط، مع الإشارة إلى مناسبة تأليف ابن سحنون لمؤلفه، و الذي يقول عنها " أنها كتبت احتفاءً بالباي محمد الكبير، وهي عبارة عن مجموعة من القصائد متبوعة بتعليق مسهب عن صمود واستسلام مدين وهران للأسبان.

و يشير " غورغيوس " في ثانيا ترجمته هذه إلى مخطوطة أخرى، يقول أنها وجدت ضمن مخطوطات مكتبة الباي محمد الكبير هي: "المنهل الروي و المنهج السوي في الطب النبوي" للشيخ عبد اللطيف (و هو أحد معاصري الباي محمد نهاية القرن الثامن عشر الميلادي).

- المجلد الأول، العدد الخامس، ص.ص: ٤٠٤-٤١٥.

٤- الإشارة مرة أخرى إلى تحقيق و ترجمة البارون دي سلان لمخطوطة البكري المغرب في ذكر إفريقيا وبلاد المغرب، و التي ترجمت إلى جغرافية إفريقيا. وقد استعان دي سلان في هذه التحقيق ببعض النسخ من مكتبة باريس و أخرى مما جلب في أثناء الحملة العسكرية على مدينة قسنطينة، وقد طبع من هذه الترجمة -حسب كاتب الخبر " Bulletin " في المجلة، و يمكن أن يكون "بربروجر- مائة و سبعين نسخة. كما يتم الإشارة في نفس المكان إلى خبر تحقيق و ترجمة البارون دي سلان في سنة ١٨٥١م. للجزء الخاص بإفريقيا و البربر من كتاب العبر لابن خلدون، اعتمد فيها المحقق على نسخة من مكتبة الجزائر و عدد آخر من نسخ مكنتبات أوروبا..

- المجلد الأول، العدد الرابع، ص. ٧٣.

٥- الإشارة إلى مخطوطة نادرة حول "بلاد النوبة و السودان" قد أرسلها الدكتور روسي Rossi إلى المجلة الإفريقية من القاهرة.

- المجلد الثاني: ١٨٥٧/٥٨. العدد الحادي عشر، ص. ٤١٨.

٦- في خير ضمن القسم الخاص بالأخبار أو الأحداث، يشير أحد المحررين بالمجلة تحت عنوان: " السيد شارنون (محامي بالجزائر) يهدي مجموعة من المخطوطات إلى مكتبة الجزائر".

وقد جمعها المحامي المذكور في أثناء الحملة العسكرية على مدينة قسنطينة، وعددها ثلاث مخطوطات.

الأول: الجزء الرابع و الأخير من مؤلف في الفقه المالكي، يشتمل على إجازة.

الثاني: المجلد الثالث و الأخير من كتاب في الإعراب، يحمل عنوان: إعراب القرآن، لمصنف يدعى أبوحيان..حالة المخطوط جيدة و يرجع تاريخ نسخه إلى سنة ١٠٢٦هـ/١٦١٧م.

الثالث: وهو الجزء الثالث و الأخير من كتاب "الشفاء" للقاضي عياض في موضوع المدح النبوي، تم نسخه في سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م

- المجلد الرابع، العدد العشرون، ص. ١٥٠.
- ٧- العثور على مخطوطين باللغة الإسبانية مكتوبتين بأحرف عربية مقالة لـ "بربورجر"، يعرض فيها بالنقد لهذا النوع من المخطوطات مع ذكر مصادرهما.
- المخطوط الأول: وقد تمّ شراؤه حسب كاتب المقال من القاهرة عن طريق الدكتور "بيرون Petron" أما البائع فهو مغربي.
- يبدأ المخطوط بسورتين من القرآن الكريم، ويأتي بعدهما نص مكتوب باللغة العربية (نطقا وقراءة) لكنه في حقيقته مكتوب باللغة الإسبانية، وهو (الآن) موجود بالمكتبة (مكتبة الجزائر).
- المخطوط الثاني: في نفس الموضوع، و مصدره دانيال روس من المكتب العربي التابع للحكومة العسكرية بالجزائر العاصمة..
- المجلد الرابع، ١٨٦٠ العدد الثاني و العشرون، ص. ١١٣.
- ٨- "روض القرطاس" لأبي محمد صالح بن عبد الحليم الغرناطي.
- يدور موضوعه حول تاريخ سلاطين المغرب و مدينة فاس.
- قام بتحقيقه و ترجمته المستشرق الفرنسي "م. بومييه - M. Beaumier" سنة ١٨٦٠م.
- وقد تعرض لهذا المخطوط المسشرق "بربورجر" في مقالة نقدية يقول فيها إن التحقيق و الترجمة قد اعتمد فيهما "بومييه" على نسختين من المخطوط فقط، إحداهما تمّ نسخها بالمغرب سنة ١٨٤٦، و هي بدورها منسوخة عن أصل قديم يُمكن أن يكون النسخة الأم. أما الثانية فقد جلبها المحقق من تونس يرجع تاريخها إلى سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م.
- و يظهر من تعليق "بربورجر" أن العمل ناقص نوعا ما، حيث يقول: " لو عاد "بومييه" إلى نسخ لهذا المخطوط موجودة بمكتبة الجزائر لكان العمل أكثر عمقا".
- ويذكر صاحب المقالة نسخ منها تقع إحداهما تحت رقم ١٠٧١، ونسخة أخرى (لم يحدد رقمها) جميلة الشكل، نُسحت بفاس من طرف أحد علماء مدينة تطوان الكبار هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زهرة الفاسي.
- و يشير "بربورجر" أيضا أن هذا الكتاب المخطوط قد تُرجم إلى اللغة الألمانية مختصرا من طرف "المستشرق دونباي Dombay" في سنة ١٧٩٤م. كما تُرجم النص إلى البرتغالية كاملا في ٥٧٦ صفحة عن طريق المستشرق البرتغالي "انطونيو موزه Antonio Mouza" في سنة ١٨٢٨م.
- المجلد الخامس ١٨٦١، العدد الخامس و العشرون، ص. ص: ٧٨-٨٠.
- ٩- مقالة تحليلية للمستشرق "غورغيوس Gorguos" عن محمد أبي رأس بن أحمد بن عبد القادر المعسكري و أهم كتبه المخطوطة.
- المجلد الخامس، العدد السادس و العشرون، ص. ص:

١٠- مخطوط "تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب" للشيخ عبد الله بن عبد الله الترجمان (القرن ١٥هـ/١٥م).

وقع هذا المخطوط في يد المستشرق "بربروجر" أولاً، حيث يقول أنه ابتاعها من أحد الجزائريين ضمن مجموعة من المخطوطات. وهي (الآن) تحت رقم ١٠٨٣ بمكتبة الجزائر.

كُتِبَ هذا المؤلف في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م. أما ما يجلب الانتباه في هذه المقالة فهو النقد الشديد الذي يصل إلى التجريح في شخص المؤلف، الذي يقول عنه صاحب المقالة أنه رجل دين مسيحي من إسبانيا، اعتنق الإسلام في القرن الخامس عشر الميلادي. وعمله هذا ضمّنه القيرواني في "تاريخ إفريقيا" ..

يشير بربروجر في معرض تهجمه الشديد على صاحب المخطوط، إلى مخطوط آخر في نفس الموضوع، مؤلفه مجهول، وتاريخه غير معروف هو: مفتاح الدين المجادلة بين النصارى و المسلمين، وهو ضمن رصيد مكتبة الجزائر تحت رقم ٩٢٦.

- المجلد الخامس، العدد الثامن والعشرون، ص.ص: ٢٦١-٢٧٥.

١١- "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني ق. ١٧/٥١٠٠م.

مقالة حول تحقيق و طبع هذا الكتاب من طرف مجموعة من المستشرقين الفرنسيين و الدارسين الجزائريين، وعددهم أربعة يتقدمهم المستشرق "غوستاف دوغا Gustave Dugat". ويقع العمل في ١٨٠٠ صفحة من القطع الكبير، و مكون من ثمانية كتب و مقدمة.

تمّ الاعتماد في تحقيقه على نسخة مخططة موجودة بمكتبة الجزائر تحت رقم ١٢٤. - المجلد الخامس - ١٨٦١م، العدد الثلاثون، ص. ٤٢٢.

١٢- شرح مقامات الحريري، للشيخ محمد أبي رأس المعسكري. أهديت إلى مكتبة الجزائر من طرف السيد "موران - Morin" التابع للمكتب العربي بالحكومة العسكرية.

يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٧٩١ م. و من الوصف الذي يُعطيه كاتب الخبر في المجلة، فإن تجليدها من النوع الفاخر، و كتابتها بخط مغربي جيد و واضح. لم يُشر إلى رقمها في مكتبة الجزائر.

- المجلد الثامن، ١٨٦٥، العدد الرابع و الأربعون، ص.ص: ١٥٢-١٥٣.

١٣- "الزهرة النيرة" ترجمة للفصل الأخير من المخطوط (دون ذكر صاحبه). قام بالترجمة المستشرق الفرنسي ل. ج. بريزنيي L.J. Bresnier 'منكنا في ذلك على نسخة موجودة بمكتبة الجزائر تحت رقم ١٠٠.

يدور موضوعها حسب كاتب المقالة إلى الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر، من طرف القائد الإسباني ذي الأصل الإنجليزي " أورلي O'reilly " خلال القرن السادس عشر. و المخطوطة خاصة بالحملة التاسعة.

ويركز كاتب المقالة على ظروف هذه الحملة مع التركيز على ظروف مجيء القائد "أورلي" إلى إسبانيا ثم قيامه بالحملات على الجزائر.

وهي مكتوبة بخط مغربي، جيد، سهلة القراءة، وهي حسب مؤلف المقالة بخط مؤلفها، يرجع تاريخها إلى ١٤ ذي الحجة من سنة ١١٩٣هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٧٧٩م، وهي الفترة التي ترجع إلى فترة حكم محمد باشا المقروئي.

يبلغ عدد صفحات الجزء المترجم ١٢ صفحة، وعدد أسطر صفحاتها ٣٨ سطرا. وقد نسخت عن المخطوطة الأصلية من طرف محمد باي وهران.

- المجلد الثامن-١٨٦٤م، العدد السابع والأربعون، ص.ص: ٣٣٤-٣٤٦.

١٤- "كتاب علاج السفينة في بحر قسنطينة" [للشيخ بركات الشريف] في القرن الابع عشر الميلادي.

و قد ورد ذكر هذا الكتاب المخطوط ضمن مقالة كتبها " ل. فيرو - L.Charles Féraud " مترجم لدى الجيش تحت عنوان " فترة استقرار الأتراك بقسنطينة - Constantine époque de l'établissement des turc à " و قد ارتكز فيها صاحب المقالة على المخطوطة المذكورة، التي يقول عنها أنها (يمكن) للشيخ بركات الشريف بقسنطينة.

ويقول كاتب المقالة في معرض حديثه أن المخطوطة كانت أساس ما كتبه " نيكولي لانبيري N.Limbéry " عن أحداث وجود الأتراك بقسنطينة.

وكان " لامبيري " - حسب ل. فيرو - من " سبارطه " المترجم الرسمي لبعض الاتفاقيات التي أبرمت بين قرطاجنة و مرسيايا ..

أما عن المخطوطة السالفة الذكر، فإنها حسب " فيرو " مخطوطة قديمة ذات أوراق صفراء، لكنها مكتوبة بخط مقروء..

- المجلد العاشر-١٨٦٦م، العدد السابع والخمسون، ص.ص: ١٧٩-١٩٦.

١٥- " عنوان الأخبار فيما مرّ على بحاية " للشيخ أبي علي إبراهيم المريني البجائي.

وقد جاء ذكر هذا الكتاب المخطوط ضمن مقالة بالمجلة الإفريقية بعنوان: غزو مدينة بحاية من طرف الأسبان من خلال مخطوطة عربية، للكاتب و المترجم " ل. شارل فيرو " ..

يقول مؤلف المقالة و مترجم المخطوط إلى الفرنسية أن المخطوط قد أهدى له من طرف ضابط سام في الجيش، وُجدت عند أحد رجال الدين المسلمين (طالب) من قبيلة

- بن يعلا من قسنطينة. لم يُشر إلى المخطوط من الناحية الخارجية و لا إلى عدد صفحاتها أو تاريخ كتابتها.
- المجلد الثاني عشر- ١٨٦٨م، العدد السبعون، ص.ص: ٢٤٥-٢٥٦.
- ١٦- "فتوح إفريقية" لمؤلف لم يُذكر اسمه.
- ورد ذكر هذا المخطوط عند الحديث عن قيام المستشرق "شاربونو" بترجمة تفصل من المخطوط المذكور.
- و تدور أخبار المخطوط حول فتح مدينة تبسة الجزائرية من طرف المسلمين "سقوط مدينة تبسة في يد المسلمين" بعبارة المنشرق.
- المخطوط من مكتبة الجزائر تحت رقم ١٢٧.
- المجلد الثالث عشر- ١٨٦٩، العدد الخامس و السبعون، ص.ص: ٢٢٥.
- ١٧- "ذيل الديباج" للشيخ محمد بن يحيى بن عمر بن يونس بدر الدين القرقي، المولود بمصر سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م و توفي سنة ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م.
- ورد ذكرها المخطوط في مقالة للمستشرق "شربونو Cherbonneau" بعنوان "ملاحظة ببليوغرافية عن القرقي - Note bibliographique sur el karafi"، يرجع فيها المستشرق إلى سيرة القرقي و ظروف تصنيفه للذيل.
- يقول "شربونو" أن القرقي كان أول من صنف ذيلا على كتاب الديباج لابن فرجون، غير أن عمله هذا كان ناقصا نوعا ما، و هو الأمر الذي أدى بـ "أحمد بابا التتبكتي"، أربع سنوات بعد وفاة القرقي، إلى تأليف كتابه "ذيل الابتهاج على ذيل الديباج" مضيفا فيه أكثر من ست مائة شخصية علمية على عمل القرقي.
- أما عمل القرقي المذكور فيتكوّن من ثماني كراسات، تحتوي على ٣٠٤ ببليوغرافية، منها سيرة مطولة للشيخ خليل و ذكر لمؤلفاته.
- مصدر هذا المخطوط الذي درسه "شربونو" من مكتبة ابن الفكون بقسنطينة، وهي مكتبة يقول عنها ل. فيرو "بأنه قلّ أن تجد مكتبة في جمالها ور صيدها" (المجلة الإفريقية، م. ١٠٠، ع. ٥٧، ص.ص: ١٧٩-١٩٦)..
- المجلد الثالث عشر ١٨٦٩م، العدد السادس و السبعون، ص.ص: ٢٦٣-٢٨٤.
- ١٨- "تاريخ ابن حماد" للقاضي أبي عبد الله بن علي بن حماد. (القرن التاسع الميلادي-الثالث الهجري).
- رجع المستشرق "شربونو" في بحثه عن الهرطقة في مقالة بعنوان "وثائق تاريخية حول الهرطيق أبو زيد مخلد بن حداد التتمكتي".
- و قد اعتمد المستشرق في ذلك، على مخطوطتين، رمز إليهما بـ "أ" و "ب"، و هما من مكتبته الخاصة، يقول أنهما أهديتا له من طرف رجل دين مسلم من قسنطينة.
- و يشير المستشرق إلى أن موضوع المخطوط، كما يقول عنه ابن حماد ذاته في مقدمة كتابه، هو اختصار لعدة مؤلفات كانت تهدف التعريف بعائلة عبيد الله..

- المجلد الثالث عشر - ١٨٦٩م، العدد الثامن و البعون، ص. ٤٢٥.
- ١٩- "التحفة المرضية" لابن المفتي الحنفي حسين بن رجب. (ق. ١٢هـ / ١٨م). ورد ذكر هذا المخطوط في مقالة للمستشرق الفرنسي "ألبير ديفو A.Devoulx" تحت عنوان "اختطاف باشا من طرف القبائل". يذكر المستشرق أن المخطوط قد وقع بين يديه ضمن مجموعة، ويرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ١٧٣٤م.
- مصدرها الآن : مكتبة الجزائر، (دون ذكر رقمها).
- المجلد الثالث عشر ١٨٦٩م، العدد الثامن و السبعون، ص.ص: ٤٥٩-٤٦٤.
- ٢٠- "مختصر الفقه المالكي" للشيخ خليل.
- ترجمة و نشر هذا المختصر فيما بين نة ١٨٤٨-١٨٥٤م ن.و الغرض من ذلك - حسب المترجم الدكتور بيرون- هو معرفة الفقه الإسلامي و المالكي على وجه التحديد، لأنه سيُتيح لنا معرف أهل المنطقة (الجزائر) و علاقاتهم بعضهم ببعض. يقول: "..إنه من الضروري في هذه الظروف التعرف عن قرب على دقائق هذا المذهب الذي يُسير الحياة الاجتماعية و القانونية .. و ما كتبه سيدي خليل في هذا المقام هو شرح وافي للمذهب المالكي كته..".
- مصدر المخطوطة من مكتبة الجزائر.
- المجلد الرابع عشر ١٨٧٠م، العدد الواحد و الثمانون، ص.ص: ٢٠٩-٢٥٢.
- ٢١- "ميزان الشريعة" لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني. (ولد بينهسة بمصر سنة ٨٩٩هـ/ ٤٩٣م، و توفي سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، لكنه يرجع في نسبه - حسبما يقول هو نفسه في مقدمة كتابه- " ..إلى السلطان أحمد سلطان تلمسان، المعاصر للشيخ أبي مدين المغربي..".
- تحقيق و نشر للمخطوط الذي يسمى أيضا "ميزان الشعراني" من طرف المستشرق "بيرون".
- و يُعرف الشعراني بمصر تحت اسم الشعراوي. أما الداعي إلى إعادة تحقيقه ونشره - حسب المحقق- هو أن الميزان الذي طُبِع بمصر نة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م في مجلد واحد، مليء بالأخطاء المطبعية، و مبتور الجمل..
- المجلد الرابع عشر ١٨٧٠م، العدد الواحد و الثمانون، ص.ص: ٢٠٩-٢٥٢.
- ٢٢- "نكد الزواج بالضرير" للشيخ النفزاوي. (المعاصر للسلطان عبد العزيز الحفصي)
- تحقيق و ترجمة جزء من المخطوط من طرف المستشرق "دوغا G.Dugat".
- مصدر المخطوط: يقول المترجم أنه قد أهديت له نسخة من طرف المستشرق "شربونو".

- المجلد الرابع عشر، العدد الثالث و الثمانون، ص. ٤٥١.
٢٣- " دولة العبيدين في إفريقيا لابن حماد (القرن العاشر الميلادي)
ترجمة نصوص كاملة من المخطوط حول سقوط دولة الأغالبة بإفريقية، قام بها
المستشرق "أ.مرسييه - L. Mercier".
وقد قام " شربونو " بترجمة أجزاء من العمل و عرضها بالمجلة الإفريقية.
- المجلد الخامس عشر ١٨٧١، العدد السادس و الثمانون، ص.ص: ١١٢-١٣٧.
خاتمة:

ختاما لهذا العرض حول إسهامات المستشرقين الفرنسيين، والجمعية التاريخية الجزائرية على وجه الخصوص، في ترجمة و تحقيق التراث العربي المخطوط بالجزائر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، يمكن القول بأنه، على الرغم من الظروف العامة التي اتسمت بها هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، و الأسباب التي من أجلها، أنشئت الجمعية التاريخية الجزائرية و لسان حالها " المجلة الإفريقية " التي كانت تصبو إلى خدمة المشروع الاستعماري الفرنسي، إلا أنه من باب الموضوعية القول بأن النتائج العلمية التي توصل فريق الباحثين و المحققين التابع للجمعية المذكورة، كانت لها الدور الكبير في إرساء قواعد المنهج العلمي بالجزائر. وسمحت فيما بعد للباحثين الجزائريين و العرب من امتلاك تقنيات البحث في الآثار و التاريخ و الأنثروبولوجيا، من خلال الأعمال التي أنجزها المستشرقون و الأثاريون الفرنسيون، بصرف النظر عن التأويلات و بعض الشروحات التي خرج بها الباحثون الفرنسيون، والتي كانت تخدم في المقام الأول تطلعات السلطة العسكرية التي حكمت مدة مائة و إثنتين و ثلاثين سنة منطقة شاسعة مثل الجزائر..
وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول بأن الدور الحضاري الذي رسمته سلطة الاحتلال لنفسها منذ البدايات الأولى، - الذي كان المبرر الأكبر في استعمار الشعوب - حتم عليها القيام بما قامت به في هذا الميدان لتحسين صورتها أمام الأهالي و الشعوب المجاورة، مستعينة في ذلك بأكبر العلماء و المستشرقين الذين كانوا يعتقدون المذهب لسانسيموني مثل "بربورجر" و "أونفانتين" وغيرها..
وما تعليق الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث^{١٨} حول الدور المنوط بفرنسا الثقافة والحضارة في هذه البقاع البعيدة(الجزائر وإفريقيا) وهو يتجول في بهو مكتبة ومتحف الجزائر في يوم ١١ ماي ١٨٦٥ معجبا بالمخطوطات النادرة والمقتنيات الرائعة إلا دليل على ذلك..

¹⁸ - Chroniques, in Revue Africaine, vol.09, n°51, p.212.

ابحاث قسم ترميم الاثار

صفحة	عنوان البحث	الجنسية	الاسم	م
٦٧٣-٦٥٧	التحكم في اسباب التلف البيولوجي بالمتاحف والمكتبات	مصر	د.اماتي محمد كامل ابراهيم كرورة	١
٦٩٥-٦٧٤	فحص وصيانة وترميم بعض البرديات المحفوظة بالمتحف المصري - القاهرة	مصر	د.عبد اللطيف حسن افندي	٢
٧٢١-٦٩٦	علاج وترميم حجرة الصالون بقصر محمد علي باشا الكبير	مصر	محمد عوض	٣
1-13	THE MECHANISM OF SOME CONSOLIDATES MIGRATION IN POROUS STONE "LIME STONE"	مصر	د.محسن محمد صالح أ.د.ج فونفوني أ.علي طه	٤
14-27	STUDYING OF THE CURRENT STATUS OF THE GRECO-ROMAN PART IN THE TEMPLE OF MEDINET HABO AT LUXOR -- EGYPT.	مصر	د.محسن محمد صالح أ.د.حسين محمد علي	٥
28-38	STUDY THE EFFECT OF WEATHERING FACTORS ON THE GRANITE STONE STATUS	مصر	محمد محمد أحمد عوض	٦

التحكم في أسباب التلف البيولوجي بالمتاحف والمكتبات
د. أماني محمد كامل إبراهيم كرورة (*)

المخلص ABSTRACT

تتنوع طرق مقاومة الحشرات بالمتاحف والمكتبات ومخازنها مثل استخدام الكيماويات والأشعة الضارة بالإنسان والبيئة المحيطة بتلك المقتنيات، لذلك توجد ضرورة ملحة في الوقت الحالي للتعرف على طرق فعالة وأمنة ورخيصة للتخلص من أسباب التلف البيولوجي لتلك المقتنيات خاصة في الدول ذات الأجواء الحارة مثل مصر. كما حان الوقت لعمل برامج مفيدة في السيطرة على نشاط الحشرات المختلفة باستخدام مبيدات حشرية طبيعية آمنة.

المقدمة INTRODUCTION :

يعتبر عامل التلف البيولوجي Biological factor من أهم عوامل التلف التي تسبب تدهور حالة القطع الأثرية ذات القيمة التاريخية المصنعة من مواد عضوية داخل قاعات العرض والمخازن بالمتاحف والمكتبات والمعارض الفنية، فتفضل الحشرات الأماكن الرطبة الدافئة المظلمة^(١). وبصفة عامة يمكن تقسيم الحشرات التي تصيب تلك المقتنيات إلى ثلاث مجموعات^(٢) وهي:

- ١- ناخرات الأخشاب Wood borers وذلك مثل البوستريكيدي Bostrychidae واللكتيدي (Lyctidae (Lyctus sp. .
- ٢- حشرات تتغذى على السجاد والملابس وجلود الحيوانات والورق والعجائن اللاصقة بالكتب وذلك مثل: عث الملابس Clothes-moths والسمك الفضي Silver fish ودود الكتب Book-worms والصراصير Cockroaches وغيرها.
- ٣- النمل الأبيض Termites.

(*) مدرس بقسم ترميم الآثار بكلية الآثار - جامعة الفيوم.

- (١) Mehrotra, D.C., "Ways To Get Rid Of Insect Pests In Museums", State Museum, Lucknow, India, 1991, p. 73.
- (٢) Prtap Singh, " Insect Pests Of Different Art And Cultural Materials And Their Control", Dehradun, India, 1991, p. 54.

ولسوء الحظ أن التلف الذي تسببه هذه الحشرات غير قابل للاسترجاع فما يفقد بواسطتها سيفقد للأبد، وللتغلب على الحشرات المسببة للتلف يجب التعرف على نوع وشكل التلف وسببه، والتعرف على نوع الحشرة المسببة للتلف ودراسة دورة حياتها وعاداتها وأطوارها دراسة جيدة^(٣)، واختيار الوسيلة الفعالة للعلاج سواء باستخدام الطرق الكيميائية أو غيرها، وكذلك اختيار التركيز المناسب لمنع نمو تلك الكائنات وذلك بدون حدوث ضرر للقطعة الأثرية أو تغيير بلونها أو مظهرها أو خواصها.

وهناك طرق متعددة للسيطرة على أسباب التلف البيولوجي التي تتعرض لها القطع الأثرية يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- التحكم في البيئة المتحفية Environmental control

٢- التحكم باستخدام الأشعة المعقمة Radiological control

٣- استخدام مستخلصات الأخشاب Wood extractives

٤- استخدام الطرق الكيميائية Chemical control

٥- استخدام النباتات العلاجية Medicinal plants

٦- استخدام الطرق البيولوجية Biological control

٧- مكافحة الحشرية المتكاملة Integrated pest management

ونستعرض هنا أهم ما يجب عمله واستخدامه في متاحفنا ومكتباتنا الهامة حتى يمكن التخلص من هذا العامل المتلف الهام وهو:

١- التحكم في أسباب البيئة المتحفية Environmental control:

وذلك لتحقيق مبدأ الوقاية خير من العلاج Prevention is better than cure وهو ما يعرف حالياً بالقيام بعمليات الصيانة الوقائية Preventive conservation. ويتم ذلك بتوفير الظروف البيئية المثالية بالحفاظ على درجة الرطوبة النسبية وكذلك درجة الحرارة بالبيئة المحيطة بالقطعة الأثرية والثقافية عند معدلات ثابتة طبقاً للمواصفات القياسية مع الحرص على نظافة المكان بشكل مستمر وعمل كشف دوري على تلك القطع.

ومن الطرق الحديثة لتوفير بيئة متحفية نظيفة خالية من الإصابة الحشرية، استخدام مصائد الضوء Light-traps وهي ناجحة غالباً بالأماكن المغلقة، ونتائج تلك

(٣) Susan Sr. Naranjo, " Agents Of Biodeterioration Of Ethnographical Materials At The National Museum Of The Philippines, Manila, Philippines, 1991, p.66.

المصائد ممتازة خاصة تلك التي تجذب الحشرات بواسطة الرائحة إلى جانب الضوء، وغالباً ما يكون الطول الموجي للضوء ٣٦٥ نانومتر^(٤) لذلك يراعي وضع تلك المصائد دون أن تسبب ضرر للقطع ذات القيمة الثقافية، وهناك ٤ أنواع من المصائد يمكن توظيفها تبعاً لظروف المتحف أو المخزن ويتم فيها استخدام أنواع مختلفة من اللببات وهي:

اللببات المتألقة Luminescent bulbs واللببات ذات الشعيرة Filament bulbs واللببات ٥٠ DPG المتخصصة Bulbs of DPG-50 حيث لوحظ جذب هذه اللببات لعدد كبير من حشرات عثة الملابس، ومصائد النوافذ Windows traps

٢- التحكم باستخدام الأشعة المعقمة Radiological control:

وتستخدم بعض أنواع الأشعة التي يقل أطوال موجاتها عن طول موجات الضوء المرئي في قتل الأنواع المختلفة من الحشرات والكائنات الحية الدقيقة وكذلك لتعقيم أماكن العرض والتخزين مثل أشعة جاما والأشعة فوق البنفسجية Gamma and UV radiation.

وتلعب البيئة المكونة للوسط المغذي ورقمه الهيدروجيني pH-value ووجود أو غياب الأكسجين وكذلك درجة الحرارة والرطوبة دوراً هاماً في التأثير على الأشعة. ووجد أن جرعة من أشعة جاما مقدارها ١,٨ ميجاراد هي جرعة كافية للقضاء نهائياً على الفطريات والحشرات^(٥).

ووجد من التجارب أن جرعة مقدارها ٢ كيلو جراي K Gy 2 من أشعة جاما لم تؤثر في كثير من الحالات على مظهر وخواص الورق ووفرت تعقيم جيد للورق

(٤) Zaitseva, G.A., " Control Of Insects In Museums: The Use Of Traps", International Conference On Biodeterioration Of Cultural Property, February 20-25, India, 1991, p. 469-477.

(٥) إبراهيم محمد بدر: "علاج وصيانة الطيور المحنطة عبر العصور المصرية القديمة تطبيقاً على أحد المحنطات المختارة من المتاحف المصرية"، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٨٠.

من الإصابة الميكروبية^(٦) بالرغم من أن جرعة مقدارها ٥ كيلو جراي 5 KGy غيرت من خواص ومظهر الورق^(٧).

وبصفة عامة فإن التعقيم باستخدام غاز النيتروجين في ظروف مثالية من درجة الحرارة والرطوبة النسبية وجد أنها أفضل وسيلة لمقاومة الحشرات حيث تم استخدامه بمتحف هوستون للتخلص من أنواع مختلفة من الخنافس، وبجانب أنه غاز فعال في تأثيره على الحشرات فهو قليل التكلفة وآمن وغير سام للإنسان^(٨).

٣- استخدام مستخلصات الأخشاب Wood extractives

حرص المصري والإنسان القديم على استخدام الأخشاب المقاومة للتلف الحشري في صنع القطع الثمينة من أثاثه حتى يضمن لها الاستمرارية، فاستخدم أخشاب شجر التيك Teak والأرز الهندي Deodar وخشب السال Sal.

وهناك عدد لا بأس به من الأخشاب يعتبر مقاوم بشكل طبيعي للنمل الأبيض والأنواع الأخرى من الحشرات، وهذه الأخشاب يمكن استخدامها في عمل مباني المتاحف والمكتبات، وكذلك في عمل أثاثها وفترينات العرض بها.

فبخلاف الأخشاب السابق ذكرها هناك خشب الورد Rose wood وخشب الشنبق Champak wood وكذلك أخشاب Anjan, Aryun, Irul and chandan^(٩).

ولوحظ أن بعض المستخلصات الطبيعية من الأخشاب فعالة وسامة للفطريات والحشرات مثل مادة النيم Neem التي سيتم استخدامها في البحث، ويعتبر استخدام تلك الأخشاب ومستخلصاتها آمن على البيئة والإنسان، ولكن تقل مقاومة تلك المواد للحشرات بمرور الوقت مما يجعل استخدامها المعالجات الكيميائية للحماية طويلة الأمد هو شيء هام وضروري لتلك القطع^(١٠).

(٦) Adamo, A.M., Giovannotti, M., Magaudda, G. Plossi, M., Zappala, Rocchetti, F. Rossi, G., " Effect Of Gamma Rays On Pur Cellulose Paper As A Model For The Study Of A Treatment Of "Biological Recovery" Of Biodeteriorated Books, " Rerstorator. 1998, p 41-59.

(٧) Adamo, M., Brizzi, M., Magaudda, G., Martinelli, G. Plossizappala, M., Rocchetti, F. And Savagnone, F." Gamma Radiation Treatment Of Paper In Different Environmental Conditions, Rerstorator, 2000, p. 107-131.

(٨) Environmental Research At The GCT. The GCI Newsletter, 1993 Vol. III Num 1, p.5

(٩) Satish Kumar, " Protection Of Wood In Ancient Wooden Manuments", Dehradun, India, 1991, p.76.

(١٠) Mehrotra, D.C. Op. cit. p. 74.

٤- استخدام الطرق الكيميائية Chemical control

وتساعد الكيماويات في التخلص من أسباب المهاجمة البيولوجية للقطع الأثرية. وتستخدم تلك الكيماويات إما كمبيد حشري سام Insecticides أو كمادة طاردة Repellents أو كمادة مانعة للنمو Deterrents.^(١١)

وعملية مكافحة التلف البيولوجي باستخدام الكيماويات هي عملية هامة وضرورية ولا يجب أن تؤثر على الخواص الطبيعية والكيميائية لمادة القطعة الأثرية ولا تغير كذلك من مظهرها أو تقلل من دوامها وعمرها الزمني.

وتعتبر عملية التبخير Fumigating التي تتم بتبخير غازات في درجة الحرارة العادية هي أكثر الطرق فاعلية في مقاومة الحشرات والتخلص منها^(١٢) وإن كانت عالية التكاليف ومؤثرة على البيئة.

وتتناول الدراسة الحالية استخدام بعض المستخلصات النباتية الآمنة وهي بذور الينيم المستخلص زيتها De-oiled neem seeds والسابق استخدامها كمادة فعالة في حماية الحبوب المخزنة وغيرها من الإصابة الحشرية من قبل عديد من العلماء منهم.

Jotwani, M.G., and Sircar, P., (1965),^(١٣) Jotwani, M.G. and Sircar, P., (1967),^(١٤) Girish, G.K. and Jain S.K., (1974),^(١٥) Nair, M.R.G.K., (1975),^(١٦) Jacobson, M., (1980),^(١٧) Prakash, A., Pasalu, I. C. and Mathur, K.C., (1980 a, b, c).^(١٨) Singh, R.P. and Singh, S., (1985).^(١٩) Singh K. P. and Kataria P.K., (1986)^(٢٠).

(١١) Hetchand, " Biodegradation Of Monuments In Rajasthan" The International Conference On Biodeterioration Of Cultural Property, India, 1991, p. 108-11.

(١٢) Pratap Singh, Op. cit., p. 55.

(١٣) Jotwani, M.C And Sir Car, P., "Neem Seed As A Prtotectant Against Stored Grain, Pests Infesting Wheat Seed", Ind. 1965, Ento., 27 (2)p. 160-164.

(١٤) Jotwani, M. G. and Sircar, P., "Neem Seed As A Prtotect Ant Against Bruchid Callosobruchus maculatus Infesting Some Leguminous Seeds", Ind. 1967, 1.Ent., 29 (1) p. 21-24.

(١٥) Girish, G.K. and Jain, S.K. "Studies On The Efficacy Of Neem Seed Kernel Powder Against Stored Grain Pests", Bull. Grain Tech., 1974 12 (3): p. 226-228.

(١٦) Nair, M.R.G.K. "Utilization Of Neem And Its By-Products", Final Technical Report, Modified Neem Cake Manurial Project, Pune.,(Ed.) CM. Ketkar, 1975.

(١٧) Jacobson, M. "Neem Research In The US Department Of Agriculture. Chemical, Biological And Cultural Aspects", In Proceedings Of The 1st International Neem Conference, Rottach Egern, F.R.G., 1980,1: p.33-42.

ولقد عقد في سنة ١٩٨٠ أول مؤتمر يناقش استخدامات نبات النسيم وأهميته وتوالت بعده عدة مؤتمرات بهذا الخصوص.

وكذلك يتناول البحث دراسة بودة بذور نبات السفرجل الهندي Custard apple seed powder لحماية الكتب والمكتبات والمتاحف من حشرة دود الكتب Book worm، وقام كل من:

(٢١) Fauzia Shaheen and Shashi Dhowan (1991) باستخدام تلك المواد في

حماية القطع المتحفية المعروضة والمخزنة من مهاجمة حشرة Anthrenus vorax (Coleoptera: Dermestidae) التي تهاجم المواد الصوفية (الكيراتينية).

المواد والطرق المستخدمة MATERIALS AND METHODS

١- تم في هذه الدراسة استخدام بذور نباتية فعالة ورخيصة ومتوفرة وهي بذور النيم (Neem seeds (Azadirachta indica)) من عائلة Meliaceae، وكذلك بذور نبات السفرجل الهندي Custard apple seeds واسمه اللاتيني Annona squamosa of annonaceae وذلك كمبيدات طبيعية ضد حشرة خنافس دود الكتب (٢٢) (٢٣) Book worm beetles (Gastralles indicus Reitt) التي تتبع رتبة غمدية الأجنحة

(18) Prakash, A., Pasalu, I.C., And Mathur K.C. Evaluation Of Plant Products As Grain Protestants Against Insect Pests Of Stored Paddy", Bull. Grain Techno, 1980a, b,c, 18: p. 25-28.

(19) Singh, K.P. and Singh, S. Evaluation Of De-Oiled Neem (Azadirachta Indica A. Juss). Seed Kernel Against Trogoderma granarium Eversts, Curr. Sci., 1985, 54 (18): p. 950-951.

(20) Singh, k.P. and Kateria, P.K., "De-Oiled Neem Kernel Powder A Protectant Of Wheat Seel Against Trogoderma granarium Eversts", Ind., 1986, 1. ent., 48: p. 119-120.

(21) Fauzia Shaheen AndShashi Dhawan, "Natural Plant Products; A Safe Preventive Measure Against Anthrenus vorax (Coleoptera: Dermestidae), NRLC, Lucknow, Ind. 1991, p. 186-191.

(22) David Carter And Annette, k Walker, "Care And Conservation Of Natural History Collections, Butterworth 1999, p. 15,

(23) أماني محمد كامل إبراهيم كرورة (دكتور): "تأثير الإصابة البيولوجية على تدهور وتلف المخطوطات الورقية مع علاج وترميم مخطوط إسلامي مصاب"، مؤتمر الفيوم الرابع، ٢٠٠٤، ص: ٩٤٤-٩٥٤.

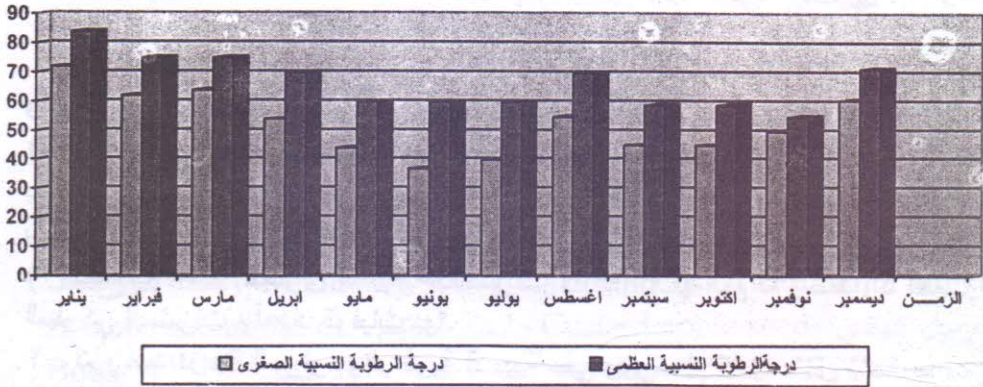
Coleoptera التي تنتمي إلى عائلة الأنوبيدي Anobiidae^(٢٤). وتم ذلك بتجفيف البذور بالفرن عند درجة ٦٠م لمدة ٧٢ ساعة ثم سحنها ، ثم تجفيفها مرة أخرى بالفرن عند درجة ٥٠م لمدة ٢٤ ساعة، ثم تم إزالة المحتوى الزيتي للبذور المسحونة باستخدام الهكسان Hexane بشكل متكرر ثم إعادة سحنها بمضرب كهربائي بسرعة عالية.

كما تم اختيار تركيز مقداره ٠,٠٥ جم وكذلك ٠,١ جم لبودرة كلا النباتين وتعرض عدد ١٠ يرقات من أطوار الحشرة موضع الدراسة مع ورق واتمان رقم (١) Whatman paper n.1 المصنع من السليلوز النقي بدون مواد مالئة، وذلك بمساحة ٥ سم^٢ وذلك عند درجة حرارة ٢٨م^٢ ± ٢، ورطوبة نسبة ٧٠% ± ٥، بأطباق زجاجية مغطاة بشريحة زجاجية، وترك أحد الأطباق يحتوي على ورق واتمان (١) بمساحة ٥ سم^٢ للعدوى الطبيعية بالحشرات (Control) ، ثم تم رصد رد الفعل السلوكي للحشرات وأعداد الوفيات بها.

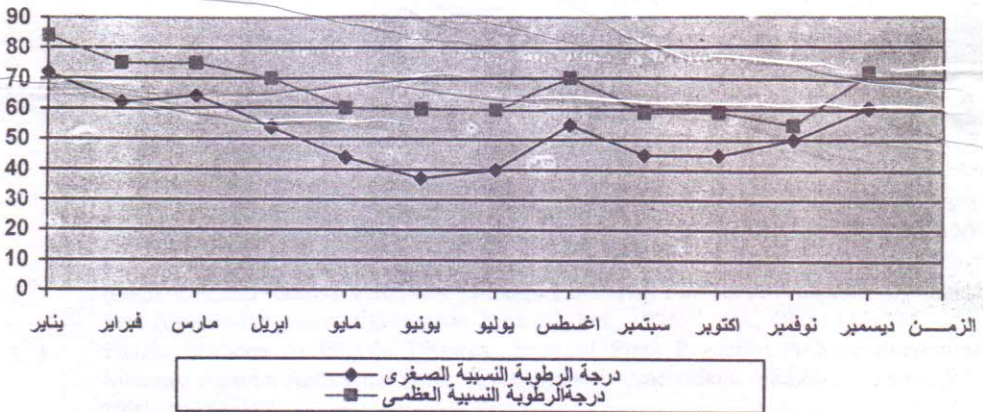
٢- تم رصد درجة الحرارة والرطوبة النسبية على مدار عام كامل داخل قاعة عرض وحفظ المخطوطات بالجناح القديم بالمتحف القبطي بمصر القديمة، وذلك قبل تطويره وذلك كمثال للظروف البيئية التي تتعرض لها واحدة من أهم وأقدم مكتبات ذات الأهمية الثقافية والتاريخية والجدول أرقام (١-٤) توضح ذلك .

(٢٤) أماني محمد كامل إبراهيم كرورة "دراسة علمية لاستخدام التقنيات الحديثة في ترميم وصيانة المخطوطات الأثرية الإسلامية المصورة تطبيقاً على بعض النماذج المختارة"، رسالة دكتوراه، قسم الترميم، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

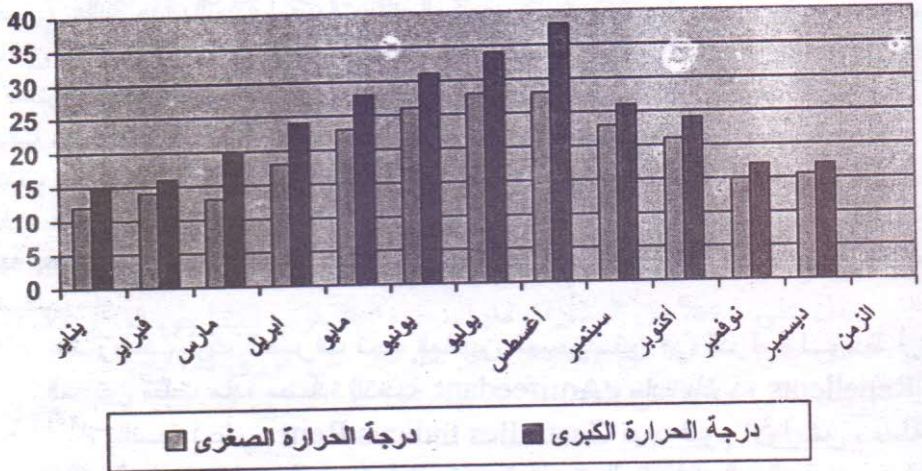
جدول رقم (١) يوضح معدل تغير درجة الرطوبة النسبية (الصغرى و الكبرى) بقاعة عرض و تخزين المخطوطات بالجناح القديم بالمتحف القبطى



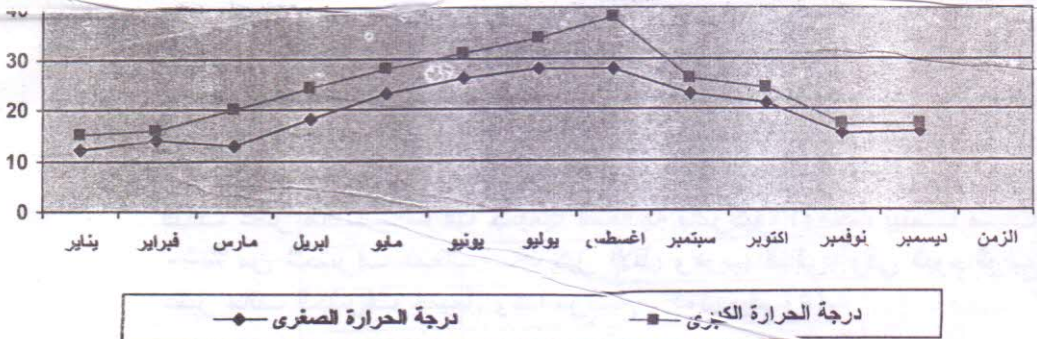
جدول رقم (٢) يوضح معدل تغير درجة الرطوبة النسبية (الصغرى و الكبرى) بقاعة عرض و تخزين المخطوطات بالجناح القديم بالمتحف القبطى



جدول رقم (٣) يوضح معدل تغير درجة الحرارة (الصغرى و الكبرى) بقاعة عرض و تخزين المخطوطات بالجناح القديم بالمتحف القبطى



جدول رقم (٤) يوضح معدل تغير درجة الحرارة (الصغرى و الكبرى) بقاعة عرض و تخزين المخطوطات بالجناح القديم بالمتحف القبطى



النتائج والمناقشة: RESULTS AND DISCUSSION:

يتضح من الرصد البيئي للجو الداخلي بمكتبة المتحف القبلي الأثرية (مكان حفظ المخطوطات) أن معدلات درجة الحرارة بشهور الصيف (مايو - يونيو - يوليو - أغسطس) عالية جداً بالنسبة لمقتنيات تلك المكتبة من رقوق وبردی وورق وجلود، كذلك فإن معدلات درجة الرطوبة النسبية بشهور الشتاء (ديسمبر - يناير - فبراير) وفي بعض الأحيان شهور الربيع (مارس) عالية جداً وتمثل خطورة حقيقية بالنسبة لمقتنيات تلك المكتبة. أيضاً هناك خطر كبير على تلك المقتنيات من عملية التردد والتذبذب في درجات الحرارة والرطوبة النسبية بالأجواء بها خاصة بين فترة الليل والنهار، مما يلزم حفظ تلك المقتنيات في أجواء مثالية من درجة الحرارة والرطوبة النسبية باستخدام التكييف المركزي حتى لا تتعرض تلك المقتنيات للإبادة بسبب التلف البيولوجي.

١- عند رصد سلوك الحشرات تجاه المادتين المستخدمتين في الدراسة لوحظ أن المادتين مثلت مادة مضادة للتغذية Antifeedant ومادة طاردة Repellents (٢٥). بالنسبة لحشرة *Gastralles indicus Reitt* فبعد اليوم الأول من معاملة غذاء الحشرة بهاتين المادتين امتنعت ٥٠% من الحشرات المعالجة بمسحوق بذور النيم بتركيز ٠,١ جم عن الغذاء وظهر عليها الخمول، بينما ظلت الحشرات المعالجة بالتركيز الأقل (٠,٠٥ جم) نشطة، وفي اليوم الخامس هربت ١٠٠% من الحشرات المعالجة بتركيز ٠,١ جم من مسحوق بذور النيم بعيداً عن الورق المعالج، بينما هربت ٥٠% من الحشرات في المجموعة الأخرى المعالجة بتركيز ٠,٠٥ جم وكانت الأخرى غير نشطة وتوقفت عن الغذاء، وتغير الحال في اليوم التاسع من الدراسة حيث هربت ١٠٠% من الحشرات المعالجة بالتركيز ٠,٠٥ جم، أما الحشرات المعالجة بالتركيز الأكبر ٠,١ جم فقد مات منها ٥٠% وهربت المجموعة المتبقية (٥٠%)، وفي اليوم الثالث عشر ماتت الحشرات جميعها المعالجة بالتركيز ٠,١ جم، بينما مات ٥٠% من الحشرات المعالجة بالتركيز الأقل وهرب الباقي، وفي اليوم الرابع عشر ماتت الحشرات جميعاً. وهذا موضح بجدول رقم (٥).

(٢٥) Singh and Kataria, P.K. Op. cit. p. 119-120.

جدول رقم (٥) يوضح تأثير بذور النيم المستخلص زيتها على حشرة

Gastralles indicus Reitt

تركيز ٠,١ جرام	تركيز ٠,٠٥ جم	عدد الأيام بعد تطبيق التركيز
++	++	اليوم الأول
x +	++	اليوم الثاني
x x	x +	اليوم الخامس
x -	x x	اليوم التاسع
--	x -	اليوم الثالث عشر
--	--	اليوم الرابع عشر

- ++ يرمز لليرقات النشطة على ورق واتمان المعالج.
 x + يدل على ٥٠% من الحشرات متواجد ، ٥٠% هرب بعيداً عن الورق المعالج.
 x x يدل على ١٠٠% من الحشرات غير متواجد على الورق المعالج.
 x - يدل على ٥٠% من الحشرات هرب بعيداً عن الورق المعالج، ٥٠% موت للحشرات.
 -- يدل على ١٠٠% موت للحشرات على الورق المعالج.

وهذا يوافق ما توصل إليه^(٢٦) Singh, and Kataria, P. K., (1986), Fauzia Shaheen and Shashi Dhawan, (1991) ولوحظ أن الحشرات التي تم معالجتها بمسحوق بذور نبات السفرجل الهندي كانت أسرع في التأثر بتلك المادة من سابقتها كما هو موضح بجدول رقم (٦)

جدول رقم (٦) يوضح تأثير بذور نبات السفرجل الهندي على حشرة

Gastralles indicus Reitt

تركيز ٠,١ جرام	تركيز ٠,٠٥ جم	عدد الأيام بعد تطبيق التركيز
x +	++	اليوم الأول
x -	x +	اليوم الثاني
x -	x -	اليوم الخامس
--	x -	اليوم التاسع
--	--	اليوم العاشر

حيث مات ٥٠% من الحشرات المعالجة بتركيز ٠,١ جم من تلك المادة باليوم الثاني من الدراسة وهربت بقية الحشرات، أما الحشرات المعالجة بالتركيز الأقل ٠,٠٥ جم فهرب ٥٠% منها بعيداً عن الورق المعالج وكانت البقية الباقية في حالة خمول ورفضت الغذاء، وفي اليوم الثالث مات ٥٠% من كلا المجموعتين وهرب الباقي. وفي اليوم التاسع ماتت كل الحشرات المعالجة بتركيز ٠,١ جم، بينما ماتت ٥٠% من الحشرات المعالجة بالتركيز الأقل وهرب الباقي ثم ماتت في اليوم العاشر من الدراسة. وتحتاج هذه المادة (بنور نبات السفرجل الهندي) لمزيد من الدراسة حيث ثبت فاعليتها في مقاومة الحشرات بشكل أفضل من حبوب النيم، أيضاً هناك مواد أخرى يجب أن تبحر باستفاضة أكبر مثل رائحة الكافور وزيت اللافندر والخلبة وغيرها من مواد آمنة على البيئة وعلى الإنسان وطاردة للحشرات.

النتيجة النهائية CONCLUSION:

يمثل عامل التلوث البيولوجي مشكلة كبرى بالمتاحف والمكتبات الثقافية الهامة، لذلك كان من الضروري إيجاد حلول آمنة لتلك المشكلة دون تلويث البيئة المحيطة بالقطع الثقافية ودون التأثير على المتعاملين مع تلك المواد سواء بغرض الصيانة أو البحث والإطلاع.

ولذلك من الواجب على الباحثين إيجاد مواد آمنة تضمن حماية تلك المقتنيات من تأثير ذلك التلوث باستخدام مواد نباتية طبيعية آمنة كبنور النيم وبنور نبات السفرجل الهندي التي تم استخدامها في هذه الدراسة، والعمل على إيجاد مواد طبيعية أخرى آمنة تحقق هذا الهدف.

الشكر ACKNOWLEDGEME

شكر خاص للأستاذ الدكتور/ فاروق محمد بقسم وقاية النبات بكلية الزراعة جامعة الفيوم، وكذلك كل من ساهم في إخراج هذا البحث.

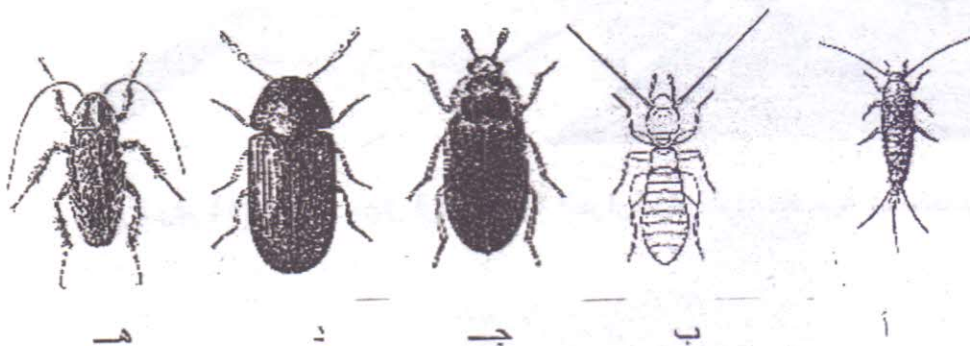
المراجع REFERENCES

- ١- إبراهيم محمد بدر " علاج وصيانة الطيور المحنطة عبر العصور المصرية القديمة" تطبيقاً على أحد المحنطات المختارة من المتاحف المصرية، رسالة ماجستير، قسم الترميم، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٨٠.
- ٢- أماني محمد كامل إبراهيم كرورة "دراسة علمية لاستخدام التقنيات الحديثة في ترميم وصيانة المخطوطات الأثرية الإسلامية المصورة تطبيقاً على بعض النماذج المختارة"، رسالة دكتوراه، قسم الترميم، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ١٤٧.

- ٣- أماني محمد كامل إبراهيم كرورة (دكتور): "تأثير الإصابة البيولوجية على تدهور وتلف المخطوطات الورقية مع علاج وترميم مخطوط إسلامي مصاب"، مؤتمر الفيوم الرابع، ٢٠٠٤، ص: ٩٤٤-٩٥٤.
- ٤- ياسين السيد زيدان "علاج وصيانة المنسوجات دراسات مقارنة مع تطبيقات عملية في هذا المجال"، رسالة دكتوراه، قسم الترميم، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.
- 5- Adamo, A.M., Giovannotti, M., Magaouda, G. Plossi, M., Zappala, Rocchetti, F. Rossi, G., " Effect Of Gamma Rays On Pur Cellulose Paper As A Model for The Study Of A Treatment Of "Biological Recovery" Of Biodeteriorated Books, " Rerstaurator. 1998, p 41-59.
- 6- Adamo, M., Brizzi, M., Magaouda, G., Martinelli, G. Plossizappala, M., Rocchetti, F. And Savagnone, F." Gamma Radiation Treatment Of Paper In Different Environmental Conditions, Rerstaurator, 2000, p. 107-131.
- 7- Dawid Carter and Annette, k Walker, "Care And Conservation Of Natural History Collections, Butter Worthm 1999, p. 15,
- 8- Environmental Research At The GCI. The GCI Newsletter, 1993., Vol. III Num 1, p.5
- 9- Fourzia Shaheen and Shashi Dhowan, "Natural Plant Products; A Safe Preventive Measure Against And Thremus vorax (Coleopteran: Dermestidae), NR and C, Lucknow, Ind. 1991, p. 186-191.
- 10- Girish, G.K. and Jain, S.K. "Studies On The Efficacy Of Neem Seed Kernel Powder Against Stored Grain Pests", Bull. Grain Tech., 1974 12 (3): p. 226-228.
- 11- Hetchand, " Biodegradation Of Monuments In Rajasthan" The International Conference On Biodeteriortion Of Cultural Property, India, 1991, p. 108-11.

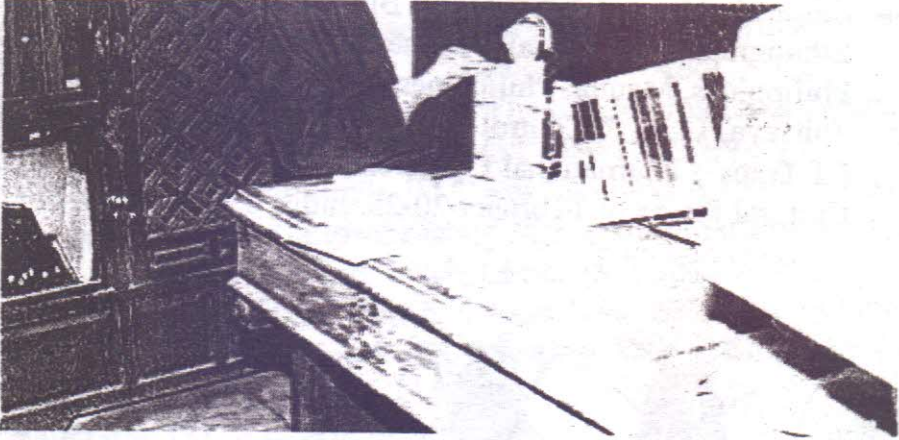
- 12- Jacobson, M. "Neem Research In The US Department Of Agriculture. Chemical, Biological And Cultural Aspects", In Proceedings Of The 1st International Neem Conference, Rottach Egern, F.R.G., 1980,1: p.33-42.
- 13- Jotwani, M. G. and Sircar, P., "Neem Seed As A Prtotect Ant Against Bruchid Callosobruchus Maculatus Infesting Some Leguminous Seeds", Ind. 1967, 1.Ent., 29 (1) p. 21-24.
- 14- Jotwani, M.G and Sir Car, p. "Neem Seed As A Prtotectant Against Stored Grain, Pests Infesting Wheat Seed", Ind. 1965, Ento., 27 (2)p. 160-164.
- 15- Mehrotra, D.C. Op. Cit. p. 74.
- 16- Mehrotra, D.C. Ways To Get Rid Of Insect Pests In Museums, State Museum, Lucknow, India, 1991, p. 73.
- 17- Nair, M.R.G.K. "Utilization Of Neem And Its By-Products", Final Technical Report, Modified Neem Cake Manurial Project, Pune.,(Ed.) CM. Ketkar, 1975.
- 18- Prakash, A., Pasalu, I.C., and Mathur K.C. Evaluation Of Plant Products As Grain Protestants Against Insect Pests Of Stored Paddy", Bull. Grain Techno, 1980a, b,c, 18: p. 25-28.
- 19- Pratap Singh, op. cit., p. 55.
- 20- Prtap Singh " Insect Pests Of Different Art And Cultural Materials And Their Control", Dehradun, India, 1991, p. 54.
- 21- Satish Kumar, " Protection Of Wood In Ancient Wooden Manuments, Dehradun, India, 1991, p.76.
- 22- Singh, K.P. and Kateria, P.K., "De-Oiled Neem Kernel Powder A Protectant Of Wheat Seed Against Trogoderma Granarium Eversts", Ind., 1986, 1. ent., 48: p. 119-120.
- 23- Singh, K.P. and Singh, S. Evaluation Of De-Oiled Neem (Azadirachta Indica A. Juss). Seed Kernel Against Trogoderma granarium Eversts, Curr, Sci., 1985, 54 (18): p. 950-951.

- 24- Susan Sr. Naranjo, " Agents Of Biodeterioration Of Ethnographical Materials At The National Museum Of The Philippines, Manila, Philippines, 1991, p.66.
- 25- Zaitseva, G.A., " Control Of Insects In Museums: The Use Of Traps", International Conference On Biodeterioration Of Cultural Property, February 20-25, India, 1991, p. 469-477.



- | | |
|-----------------------------------|----------------------|
| <i>Lepisma saccharina</i> | أ- السمك الفضي |
| <i>Liposcelis bostrychophilus</i> | ب- قمل الكتب |
| <i>Dermestes maculatus</i> | ج- خنافس الجلود |
| <i>Stegobitum paniceum</i> | د- خنافس البسكويت |
| <i>Blattella germanica</i> | هـ- الصرصور الألماني |
- شكل رقم (١) يوضح بعض أنواع الحشرات التي تهاجم المقتنيات الثقافية
نقلاً عن :

(David Carter And Annette K. Walker , Op. Cit. 1999, P.155)



صورة رقم (١) توضح جهاز قياس درجة الحرارة والرطوبة النسبية المستخدم





صور رقم (٢ ، ٣ ، ٤) توضح تأثير التلف بواسطة الحشرات على المخطوطات الورقية

فحص وصيانة بعض البرديات المحفوظة بالمتحف المصري - القاهرة د. عبد اللطيف حسن أفندي

١ - مقدمة

عند دراسة البرديات المعروضة في قاعات المتحف المصري أو المعروضة على حوائط سلالمتحف وجد أنها في حاجة ضرورية إلى إعادة الحفظ والصيانة وإيجاد طرق وحلول لإيقاف أسباب التلف. وكذلك عند دراسة حالة البرديات المحفوظة داخل مخازن المتحف المصري وجد أنها محفوظة بطرق غير ملائمة للحفظ، فمعظمها محفوظ داخل أظرف ورقية أو كرتون عالي الحموضة أو صناديق خشبية أو معدنية أو ورق جرائد منذ استخراجها من الحفائر، مما جعل حالة تلك البرديات غير مستقرة، وفي حالة تستدعي التدخل السريع لحفظ هذا التراث الثمين .

ويتناول البحث تقييم لحالة البرديات المعروضة والمحفوظة بالمتحف المصري والأسباب التي أدت لتلفها وتدهور حالتها.

كما أشتمل البحث على فحص وصيانة وترميم بعض البرديات المعروضة والمحفوظة في الحجرة ٢٩ بالمتحف المصري وإعادة عرضها أو تخزينها .

٢ - الهدف من البحث

يهدف البحث لتقييم حالة البرديات المعروضة أو المحفوظة بالمتحف المصري والأسباب التي أدت لتلفها وتدهور حالتها. من خلال فحص وصيانة وترميم البرديات أرقام (SR 561) CG 67151 & (SR 560) CG 95661 & (SR 615) JE 95685 & (SR 990) CG 58026 المعروضة والمحفوظة في الحجرة ٢٩ بالمتحف المصري وإعادة عرضها أو تخزينها . مع فحص وتحليل عينات من تلك البرديات باستخدام الميكروسكوب الإلكتروني الماسح (SEM (EDX) وأيضاً التحليل بطريقة الامتصاص الذري بالإضافة إلى الفحص الميكروبيولوجي والحشري لتحديد أهم الفطريات والحشرات التي تصيب تلك البرديات.

٣ - تقييم حالة البرديات داخل المتحف المصري وأسباب تلفها: (صور ١-٧)

بدراسة وفحص معظم البرديات المعروضة والمحفوظة بالمتحف المصري يمكن إيجاز أسباب تلف تلك البرديات فيما يأتي:

١-٣ التلوث الجوى:

أكثر الملوثات تلفاً على البرديات داخل المتحف المصري هي الملوثات التي تتحول إلى أحماض في وجود الرطوبة مثل حمض الكبريتيك المتحول عن أكسيد الكبريت وحمض النيتريك المتحول عن أكسيد النيتروجين.

وتنتقل الملوثات الجوية من وسط المدينة نتيجة للازدحام المروري والكثافة السكانية العالية ولاسيما ثاني أكسيد الكربون بالإضافة إلى مصادر الملوثات الأخرى التي تمتصها ألياف البردي وينتج عنها في النهاية تكسر أو تحلل ألياف البردي .

٢-٣ الحرارة:

الانخفاض الملحوظ في درجة الحرارة يعنى حدوث التكثف (تحول بخار الماء في الهواء إلى قطرات ماء) وتصبح بؤرة لعملية التلف وتشجع على النمو البيولوجي كما أن الارتفاع في درجة الحرارة ينشط من التلف الكيميائي ويفقد المواد اللاصقة خواصها ويؤدى لضعف وهشاشة ألياف البردي مما يقلل من تحمله للطي.

٣-٣ نسبة الرطوبة:

ارتفاع نسبة الرطوبة يشجع النمو الفطري والحشري ورفع المحتوى المائي للسليولوز المكون الأساسي للبردي، كما أن انخفاض نسبة الرطوبة يفقد البرديات مرونتها ومحتواها المائي الداخلي مما يجعلها هشة وسهلة الكسر، ونتيجة التغير في معدلات الارتفاع والانخفاض في المحتوى المائي للبردي فإنه يؤدي للتمدد والانكماش مما يؤدي في النهاية إلى التواء سطح أوراق البردي.

وتأثير الحرارة والرطوبة معاً لا يمكن تجاهله داخل المتحف المصري لأنه من العوامل المؤثرة بشدة على أوراق البردي والتي ينتج عنها ضعف وهشاشة البرديات نتيجة التغير في معدلات الحرارة والرطوبة، وقد تؤدي إلى فقد الأحبار الموجودة على سطح أوراق البردي.

٤-٣ الأملاح:

توجد برديات بالمتحف المصري مصابة بالأملاح والتي تظهر في صورة مادة رمادية اللون داخل الغطاء الزجاجي حول حواف بعض البرديات وتحليل الأملاح وجد أنها عبارة عن مركب يتضمن أملاح الصوديوم^(١).

٥-٣ أساليب العرض المتبعة داخل المتحف المصري:

يُعرض البردي على الحوائط الجانبية في الدور الأول في الحجرة رقم ٢٤، ٢٩ . وعلى الجدار الجنوبي من السلام رقم (١، ٥، ٥١، ٥٧) وغالباً ما يلصق البردي على خلفية من الكارتون الرقيق والذي يلصق أيضاً على طبقة من الكتان.

(1)Banik, G. and Stachelberger, H.: Salt-Migration in Papyrus Fragments, Recent Advances in The Conservation and Analysis of Artifacts, Jubilee Conservation Conference, Summer Schools Press, 1987.

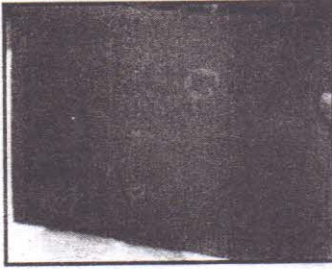
وغالبا ما تعرض البرديات داخل المتحف داخل إطارات خشبية مغطاة بالألواح الزجاجية من الأمام ومن الخلف. وهذه الظروف ضارة جداً بالبرديات لأن الألواح الزجاجية المغطاة للبرديات لم تكن عازلة تماماً للبرديات أو واقية من مظاهر التلف المختلفة وأكثر من ذلك أن الألواح الزجاجية عبارة عن قطعتين أو أكثر حسب طول البردية وتلتصق تلك القطع ببعضها بشريط لاصق وبمرور الوقت يتم إزالة أو تلف الشريط اللاصق بين الألواح الزجاجية مما ينتج عن ذلك فتحات وممرات للتلوث الجوى والأتربة والغبار والرطوبة والحشرات وتؤدي في النهاية إلى تغيير لوني لسطح البردية، وبعض البرديات أصيبت بالتلف الميكروبيولوجي والحشري خاصة الحشرات التي تتغذى على المواد اللاصقة نفسها، بالإضافة إلى أن بعض البرديات معروضة على الجدار الجانبي للسلم رقم ٢٧ حيث توجد دورات المياه الخاصة بالمتحف .

٣-٦ أساليب الحفظ السيئة للبرديات داخل المخازن:

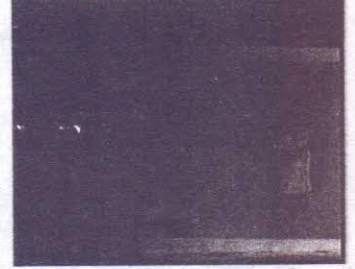
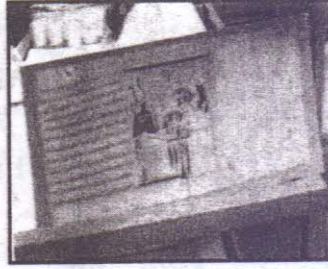
أغلب البرديات محفوظة داخل أطرف ورقية أو ورق جرائد أو كرتون عالي الحموضة، أو محفوظة داخل صناديق خشبية أو معدنية. كما أن هناك كمية كبيرة من البرديات محفوظة داخل قطعتين من الزجاج السيئ مع لصق لوجي الزجاج بلاصق ورقي أو بلاستيكي يغطي جميع جوانب اللوحين الزجاجيين مما يساعد على عملية الأكسدة لتلك البرديات و ينتج عنها في الغالب بهتان للأحبار، كما وجدت بعض البرديات ملصقة على حامل كرتوني مع تسوية الحامل الكرتوني بنفيس الثقوب والتعرجات الموجودة في البردية.

وبعض البرديات تم تجميعها بطريقة خاطئة باستخدام سوليتب لاصق لتجميع الأجزاء ببعضها والجوانب جميعها مغطاة بشريط لاصق بلاستيكي.

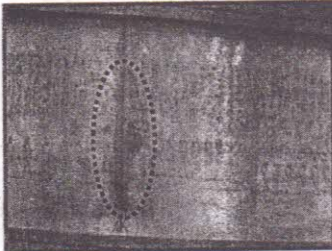
دراسات في آثار الوطن العربي ٨



صورة (٢) برديات مثبتة على حوامل كرتونية
يظهر بها تأثير الحموضة الشديدة



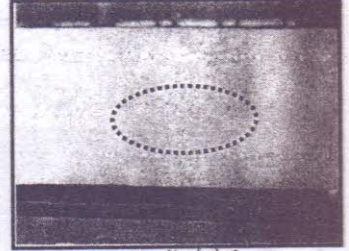
صورة (١) تلف ناتج عن
استخدام الملونات على البريدية
رقم (١٩٣٣٤/١٠٢٦٥) متحف
مصرى



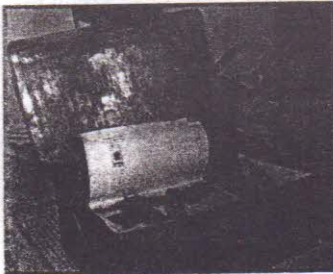
صورة (٥) بقع بنية في اماكن
الانفصال بين الألواح الزجاجية على



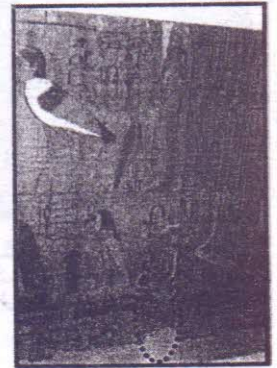
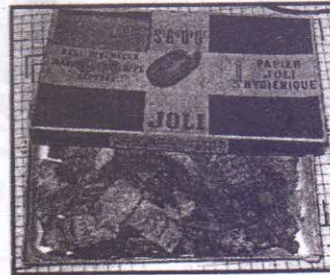
صورة (٤) أنفاق وثقوب ناتجة عن
تلف الحشرات - بردى فرعونى -
مخازن المتحف المصرى (X31)



صورة (٣) تلف ناتج عن
القطريات في شكل بقع لونية



صورة (٧) برديات محفوظة داخل صناديق (ورقية - معدنية) مخزن المتحف



صورة (٦) للبردية رقم
١٩٣٣٤/١٠٢٦٥ متحف مصرى
يظهر بها الترميم الخاطئ باستخدام
شريط لاصق، قوّة، الألو ان،

٤- فحص وترميم بعض البرديات المحفوظة والمعروضة بالمتحف المصري -حجرة ٢٩ .

٤-١ فحص وصيانة البرديتين أرقام (SR 561) (CG 67151) (SR & CG 95661 (560) المعروضتين بالحجرة ٢٩

أولاً: الوصف والتسجيل الأثري للبرديتين (صور ٨-١٤)

أ- البردية رقم (SR 561) (CG 67151)

الأبعاد: ٣١,٧×١٠,٧ سم , مثبتة على حامل كارتوني أزرق اللون من جزئيين , البردية مكتوبة باللغة اليونانية القديمة , البردية ممزقة في أماكن اتصال الكارتون ومصابة بالحموضة نتيجة الكارتون السيء المحتوى على نسبة عالية من اللجنين , توجد مظاهر إصابة فطرية وحشرية خلف البردية في صورة بقع وثقوب حشرية , بطاقة التعريف الخاصة بالبردية تم وضعها بصورة سيئة على الكتابات مما أدى لإخفاء أجزاء من السطور السفلى تحتها .

ب- البردية رقم (SR 560) (CG 95661)

الأبعاد: ٣٣×٩٩ سم , محفوظة بين لوحين زجاجيين , عبارة عن عقد بين سيرانوس وورثة فيلافيوس ابون- البهنسا, مكتوبة باللغة اليونانية القديمة بها ٤٩ سطر من الوجه و ٣ أسطر من الخلف , ترجع إلى حوالي القرن العاشر قبل الميلاد يظهر بالبردية مظاهر جفاف وهشاشة الألياف كما أن بها ترميم قديم باستخدام لاصق بلاستيكي أسود اللون لتجميع البردية .ويظهر بالبردية مظاهر تلف حشرية وفطرية في شكل ثقوب وبقع . ويمكن إجمال مظاهر تلف البرديتين فيما يأتي :-

- الحموضة العالية للبرديات: الناتجة عن الملوثات المختلفة مثل غاز ثاني أكسيد الكربون أو غاز ثاني أكسيد الكبريت وغاز ثاني أكسيد النتروجين والتي تتحول إلى أحماض مثل حمض النيتريك الذي يؤدي لاضمحلال الألوان والأحبار وضعف خواص البردي الميكانيكية ويصبح هش سهل الكسر عند تناوله أو انتقال تلك الحموضة من الخلفيات الكارتونية والملاصقة لها عن طريق هجرة الحموضة (Migration of Acidity) كما في البردية رقم (SR. 560) .

- التلف الحشري والبيولوجي:

ويظهر ذلك في البرديتين في صورة ثقوب وقطوع ولاسيما في البردية (SR 560), ووجود بعض الإفرازات نتيجة لنشاط بعض الحشرات وتغذيتها على البردي, مناطق بها آثار قرض أو قنوات لما تقوم به الحشرات بأجزاء فمها القارض^(٢), كما وجدت بقايا حشرات تسبب تبقعاً لسطح البرديات وتلف الأحبار

(2) Leach, B.: Papyrus Conservation at The British Museum, Papyrologica. Lupiensia 3, Concedo Editore, 1994, P. 137.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

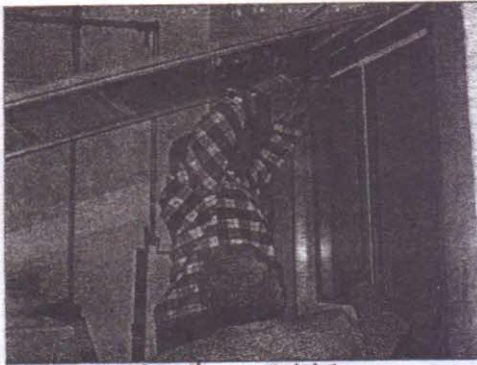
واللواصق، ومن تلك الحشرات التي أمكن رؤيتها بالعين المجردة السمك الفضي Silver Fish وهي حشرة صغيرة مستطيلة الشكل بنية أو رمادية اللون والتي تصنع فجوات وتقوب وتتلغف الأجرار والرسوم. وكذلك قمل الكتب Book Louse وهي حشرة صفراء باهتة ذات أجسام رقيقة تتغذى على الكرتون أو على الفطريات التي تتكون على البردي، وقد عثر على حشرات حية وميتة داخل الإطار الخشبي للبرديتين بعد الفتح كما وجدت بويضات حشرية في الزوايا الخشبية بالفحص تبين أنها أكياس بيض صرصور ألماني.

- الترميم الخاطئ سابقاً:

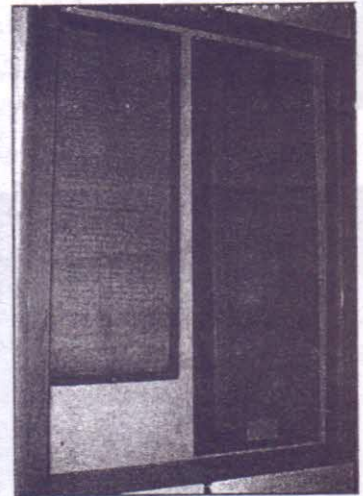
استخدام شريط لاصق بلاستيكي سيئ (سولنتيب) لتجميع بعض الأجزاء في البردية رقم ٥٦٠ SR كما يظهر من الصور وفي البردية رقم ٥٦١ SR وضعت البطاقة الشارحة فوق الكتابات أسفل البردية ونتج عن ذلك لون بني غامق فوق الكتابات.

ثانياً: فتح زجاج البرديتين: (صور ١٠-١١)

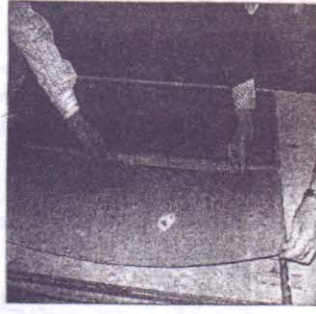
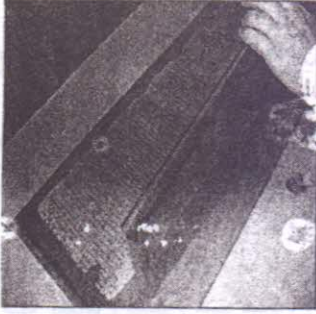
ويجب مراجعة حالة حفظ البردية قبل فتح لوحى الزجاج للتأكد من أن البردية غير ملتصقة بالواح الزجاج، لأن بعض البرديات قد تبدو أكثر صلابة مما هي عليه في الحقيقة، لذلك يجب الحرص الشديد عند فتح الزجاج القديم، وتم إزالة الشريط اللاصق من حول الزجاج القديم وإخراج البرديتين .



صورة (٩) البرديتان أثناء فكهما وإعادتهما للترميم والصيانة



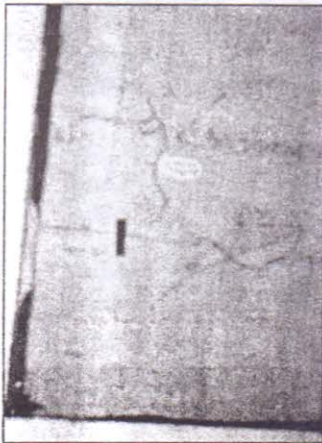
صورة (٨) البرديتان رقم 560 & 561 SR المعروضتين بالحجرة ٢٩ - متحف مصرى



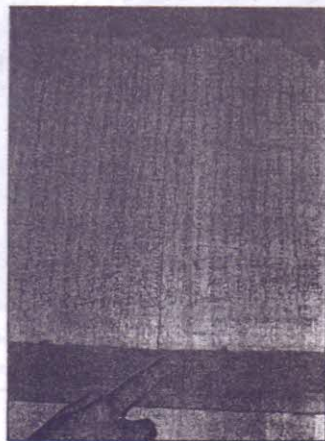
صورة (١٠) البردية ٥٦١ SR. أثناء فتح الزجاج



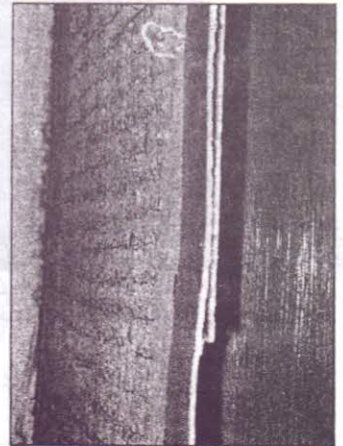
صورة (١١) البردية ٥٦٠ SR أثناء وبعد فتح الزجاج



صورة (١٤) البردية ٥٦٠ تجميع خاطئ باستخدام لاصق بلاستيكي



صورة (١٣) بردية ٥٦١ أمكن الانفصال في البردي والحامل الكرتوني وتثبيت البردية بسلوتيب حديث



صورة (١٢) بردية ٥٦١ مثبتة على قطعتين من الكرتون مثبتين بدبابيس

ثالثاً: الفحوص والتحليل المبدئية:

أ- الكشف عن نوع الحبر: يبلل جزء من أحد أحرف الكتابة في مكان غير واضح بمحلول مخفف من حمض الخليك ١% وتترك قليلاً ثم يتشرب الناتج بورق نشاف ويضاف إليه نقطة من جديد ونيانيد البوتاسيوم ١%، لم يعطى لوناً أزرق بروسيا دليل على أنه حبر كربوني خامل كيميائياً في البرديتين.

ب- اختبار حساسية الحبر للمحاليل المائية والمذيبات العضوية: بوضع قطرة من الماء أو من المحلول المراد اختبار تأثيره على طرف فرشاة ويبلل حرف من أحرف الكتابة في مكان غير ظاهر ثم تلتقط هذه القطرة بسرعة باستخدام ورق نشاف وبإجراء اختبار الحساسية وجد أن الحبر يتأثر بشدة بالمحاليل المائية ويمكن إزالته بالماء، ولكن الحبر لا يتأثر بالكحول والمذيبات العضوية، ولذلك كان استخدام HPC (هيدروكسي بروبييل سيليلوز) الذائب في الكحول أفضل من استخدام CMC (كربوكسي ميثيل سيليلوز) الذائب في الماء.

ج- اختبار قيمة pH الحموضة (الأس الهيدروجيني): وذلك باستخدام الأدلة اللونية التي تتميز بألوان خاصة في درجات الحموضة أو القلوية وهذه الأدلة تعطي أدلة تقريبية على درجة الحموضة أو القلوية وكانت بين ٤,٥:٤ pH أي أنها تحتاج لمعالجة.

رابعاً: الفحوص والتحليل:

أ- الفحص الحشري والميكروبيولوجي للبرديتين: (صور ١٥-٢٠)

تم العثور على حشرات حية وميتة داخل الإطار الخشبي للبرديتين بعد الفتح مثل السمك الفضي، كما وجدت بويضات حشرية في الزوايا الخشبية بالفحص الميكروسكوبي تبين أنها أكياس بيض صرصور ألماني، ثم تم أخذ مسحات من البرديتين لإجراء الفحص الميكروبيولوجي عليها، وأخذت المسحات من أماكن تتميز بالتحلل والضعف ووجود بقع عليها لمعرفة أهم أنواع الفطريات السائدة والمحللة لأوراق البردي داخل المتحف المصري حتى يمكن اختيار الوسائل والمواد التي يمكن استخدامها في مقاومة تلك الفطريات.

ب- أخذ العزلات:

أخذت العزلات من البرديتين قيد الدراسة، وأحياناً كان يتم تقسيم البردية من كل ناحية إلى ٤ أقسام وأخذ عزلة من كل قسم، بالإضافة إلى أخذ مسحات من البرديات أرقام 25368-25367-SR.3805، وعينات مأخوذة من قصاصات متنوعة من برديات مختلفة من الصندوق رقم 3071-SR، ومسحات من البردية رقم 3049-SR، ومسحات أخرى من المجموعة المسجلة برقم 3729-SR، وتم العزل باستخدام مسحات من القطن المعقم والمندى قليلاً بماء معقم أيضاً والملفوف على سيقان خشبية معقمة، وكان يتم وضع المسحات بعد العزل مباشرة في أنابيب معقمة بعد تعريض

فوهاتها للهب أولاً لضمان التعقيم الكامل لها، وعدم حدوث أي تلوث من الجو المحيط وتم نقل المسحات بعد ذلك إلى المعمل حيث تم تمييزها على البيئة الصناعية وعزلها وتصنيفها لمعرفة أنواع الفطريات الموجودة على البردية والتي تسببت في تحللها وتبقعها.

- البيئة المستخدمة PDA: (٣)

تم استخدام بيبه PDA (Potato Dextrose Agar) لعزل وتنمية الفطريات وكذلك لحفظ المزارع النقية لتصنيفها، وتتركب البيئة من المكونات الآتية:

Formula (in /gl)		
Potato extract	مستخلص بطاطس	4.00
Glucose	جلوكوز	20.00
Agar	أجار	15.00
pH	رقم الأس الهيدروجيني	5.6 + 0.2

-- عزل وتنقية الفطريات:

تم صب البيئة السابق تحضيرها في أطباق بترى معقمة ثم لقت هذه الأطباق بالعزلات المختلفة تحت ظروف معقمة، حيث تم عمل ثلاث مكررات لكل عزلة، وبعد ذلك تم تحضين هذه الأطباق عند ٢٨ - ٣٠ لمدة ٥-٧ أيام. وبعد فترة التحضين تم فحص الأطباق وحصر المستعمرات الفطرية الموجودة بها، ثم تم فصل وتنقية هذه المستعمرات في أطباق أخرى تحتوي على نفس البيئة، وبعد الحصول على مستعمرات أو مزارع نقية تماماً تم عمل مزارع مكررة لكل فطر في أنابيب معقمة ومحتوية على نفس البيئة لاستخدامها في التصنيف والتصوير.

- تصنيف الفطريات المعزولة:

تم عزل مزارع فطرية نقية من العزلات التي أخذت من البرديات أو العينات البردية المأخوذة، وتم دراسة لون وشكل هذه المزارع وفحصها بالعين المجردة ثم فحصها ميكروسكوبياً لتحديد نوع الميسيليوم، وشكل الحوامل الجرثومية وتم التصنيف لهذه المزارع طبقاً لما وصفه كل من: Raper & Fennel 1995،^(٤) Webster 1970،^(٥)

Barnett & Hunter 1972،^(٦)

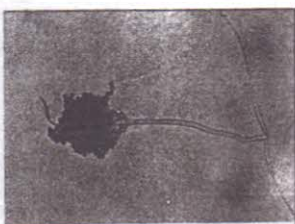
(3) Atlas, R.M.: Handbook of Microbiological Media for the Examination of Food. CRC Press, Boca Raton, (1995).

(4) Raper, K. B. & Fennel, D. I.: The Genus Aspergillus, Williams and Wilkins, Baltimore, U.S.A., 1965.

(5) Webster, J.: Introduction to Fungi, Cambridge University Press, U.K., 1970.

(6) Barnett, H.L. & Hunter, B. B.: Illustrated Genera of Imperfect Fungi, 3rd, ed., Burges Publishing Co., Minneapolis Minnesota, U.S.A., 1972.

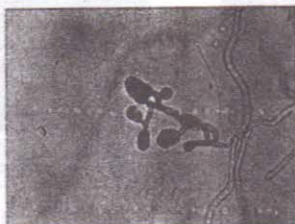
Stevens 1981^(٧)، Domsch, Gams & Anderson 1986^(٨). قد وجد بعد التصنيف أن مزارع الفطريات المعزولة من البرديتين التي تم أخذ العزلات منها كانت بعد التنقية مزارع تتبع الفطريات التالية *Aspergillus*، *Cladosporium fulvum*، *Penicillium Sp. niger*، وأخرى تتبع *Fusarium Sp.* وتعتبر هذه الفطريات من الفطريات التي تصيب المخطوطات بصفة عامة^(٩).



صورة (١٦) [X400]
Penicillium Sp.



صورة (١٥) [X400]
Cladosporium fulvum link



صورة (١٨) [X400]
Stemphylium Sp.



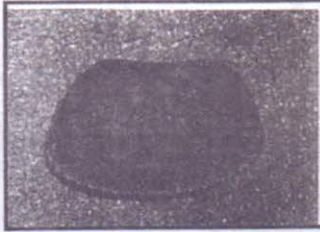
صورة (١٧)
Fusarium Sp.



صورة (٢٠) Silver Fish



صورة (١٩) صرصور ألماني



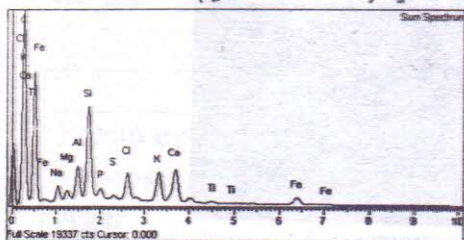
- (7) Stevens, R. B.: My Cology Guid Book, My Cology Guid Book Committee Mycology, Society of American University of Washington Press, Seattle, U.S.A., 1981.
- (8) Domsch, K. H. & Gams, W. & Anderson, T.H.: Compendium of Soil Fungi, Iand 2, Academic Press, Inc., London, 1980.
- (9) Thabet, F. M.; Hassan, M. N.; Abdel Hamid, H. & El - Sayed M. M.: Studies on the Distribution of Air Born Micro Organisms in The General Egyptian Book Organization Building, Bulletin of The Conservation Research Center, Cairo, 1979.

ب- التحليل باستخدام الميكروسكوب الإلكتروني الماسح Scanning Electron

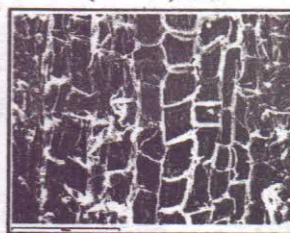
SEM (EDX) Microscope لعينات من البرديتين : (صور ٢١-٢٦)

حيث تم أخذ عينات صغيرة غير مؤثرة من البرديات وعمل شرائح ميكروسكوبية لها للتعرف على شكل الخلايا في المقاطع المختلفة.

- تحليل SEM (EDX) على عينات بردي فرعوني (متحف مصري)



تحليل عناصر بردي فرعوني



صورة (٢١) بردي حديث
(SEM X500) (عينة مقارنة)



صورة (٢٤) بردي فرعوني
(SEM X1000)



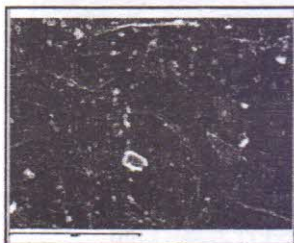
صورة (٢٣) بردي فرعوني
(SEM X1500)



صورة (٢٢) بردي فرعوني (SEM X500)
ويظهر فيه تكسر جدر الخلايا

ويظهر من الصور السابقة مدى تكسر وتهتك جدر الخلايا في البردي الفرعوني مقارنة بخلايا البردي الحديث نتيجة للتقدم الزمني.

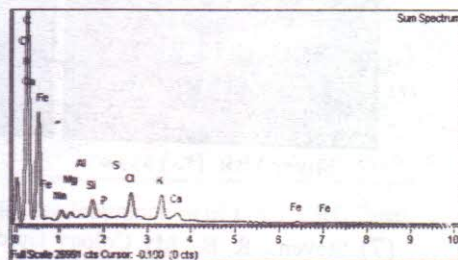
- تحليل SEM (EDX) على عينات بردي يوناني روماني (متحف مصري)



صورة (٢٦) بردي يوناني روماني
(SEM X1000)



صورة (٢٥)
بردي يوناني روماني (SEM X35)



تحليل عناصر بردي يوناني روماني

ويظهر أثر التقدم الزمني على الخلايا

ويظهر من الصور السابقة مدى تكسر وتهتك جدر الخلايا في البردي اليوناني الروماني بصورة تكاد تكون أعلى من البردي الفرعوني نتيجة للتقدم الزمني.

جدول رقم (١)
دراسة مقارنة بين تحليل العناصر
على عينات بردى من عصور مختلفة

العنصر	بردى فرعونى	بردى يوناني روماني
Al	2.74	2.26
C	--	--
Ca	6.25	6.29
Cl	3.60	16.72
Fe	4.80	1.20
K	4.85	19.81
Mg	0.72	4.42
Na	1.35	8.37
P	1.08	1.37
S	0.41	0.69
Si	8.91	9.98
Ti	26.91	--
O	38.38	28.90
Totals	100	100

من الرسم البياني السابق تتضح المقارنة بين تحليل العناصر لعينات بردى من العصر الفرعوني والعصر اليوناني ، مبينة في جدول رقم (١). نتائج الدراسة: من الجدول السابق يتضح أن:

- البردى الفرعوني به نسب عالية من الحديد (٤,٨٠) و الفسفور (١,٨) والتيتانيوم (٢٦,٩١).
- البردى اليوناني الروماني به نسب عالية من الكلور (١٦,٧٢) واليوتاسيوم (١٩,٨١) والماغنسيوم (٤,٤٢) والصوديوم (٨,٣٧) ونسبة عالية من السيلكا (٩,٩٨).

ج- تحليل البردى بطريقة الامتصاص الذرى: Atomic Absorption Spectroscopy

تم تحليل عينات من البردى بعضها حديث وبعضها يرجع للعصر الفرعوني باستخدام الامتصاص الذرى^(١٠)، وتظهر نتائج التحليل في الجدول (2):

جدول (٢)

تحاليل العناصر باستخدام الامتصاص الذرى على بردى حديث وبردى فرعونى

Sample	Fe%	Na%	Ca%	Mg%	Si%	Al%
Recent Papyrus (new)	0.018	0.174	0.671	0.074	0.151	0.125
Pharaonic Papyrus (old)	0.052	4.224	1.180	0.128	0.107	0.131

ويتضح من الجدول انتشار عنصر الصوديوم بنسبة عالية فى البردى الفرعوني وربما يرجع ذلك إلى أملاح التربة التى وجد فيها، و باقى العناصر أظهرت نسب ضئيلة جداً ويمكن تعليل ذلك أن تلك العينات قد تعرضت لعملية تنظيف سابقة.

د- التحليل العنصرى (C, H, O) على بردى حديث وبردى فرعونى:

قام Wiedemann عام ١٩٨٣ بتحليل العناصر لبردى قديم (١٣٠٠ ق.م) وبردى حديث (١٩٧٧)^(١١)، وعند تحليل عينات من البردى بعضها حديث وبعضها

(10) تم إجراء التحاليل فى مركز التحاليل الدقيقة، كلية العلوم، جامعة القاهرة.

(١١) Wiedemann, H.G: Op - Cit.

يرجع للعصر الفرعوني باستخدام طريقة C, H, O^(١٢)، كانت نتائج التحليل كما في الجدول (٣):

جدول رقم (٣)

تحاليل العناصر باستخدام تحليل C, H, O على بردي حديث وبردي فرعوني

Sample	C%	H%	N%
Pharaonic Papyrus (old)	36.9	4.5	Trace
Recent Papyrus (new)	42.2	4.5	Trace

من نتائج التحليل السابق الذي قام به الباحث كانت النتائج متوافقة مع التحليل الذي قام به Wiedmann^(١٣) وخاصة مع نسب (الكربون، الهيدروجين) إلا أن العينة الفرعونية أظهرت نسبة عالية من الصوديوم. أما العناصر التي وجدت بنسبة قليلة كانت (الحديد، الماغنسيوم، الألومنيوم، السيلكون) في العينات التي قام بها الباحث بتحليلها ربما تم إزالتها بالماء أثناء عمليات التنظيف.

خامساً: الصيانة والترميم: (صور ٢٧-٣٥)
أ- التعقيم:

وذلك بوضع كل بردية في بيئة مجهزة لمدة ثلاثة أسابيع مع إحكام الغلق في لفافات بلاستيكية من البولي إيثيلين في كل منها أكسجين كيميائي ممتص تم إدخاله داخل الغطاء، والعمل الأساسي للأكسجين الكيميائي الممتص أنه يقوم بالتفاعل الكيميائي لأكاسيد الحديد النشطة في وجود الأكسجين، وميزة هذه الطريقة أنها خالية من المخاطرة كما أنها تزيل وبكفاءة عن طريق نقص الأكسجين أي أثر أو شكل من أشكال الحياة للحشرات واليرقات والبيض^(١٤)، وأحياناً تم التعقيم بوضع البردي بين ورق نشاف متعادل خالي الحموضة ومشرب بـ P.Chloro. M. Cresol في محلول الكحول الإيثيلي والذي ثبت أنه يضمن حماية للبردية في المستقبل^(١٥).

ب- التنظيف: (صور ٢٧-٢٨)

وذلك بالاستعانة بميكروسكوب وأحياناً عدسة مكبرة، وتم التنظيف ميكانيكي باستخدام فرش ناعمة وأحياناً خشنة لإزالة الأتربة وحبيبات الرمال وجراثيم الفطريات

(12) تم إجراء التحاليل في مركز التحاليل الدقيقة، كلية العلوم، جامعة القاهرة.

(13) Wiedmann, H.G & Bayer.G: Papyrus the paper of ancient Egypt, The analytical approach, American chemical society, 1983.

(14) Kostler, R. & Matthews, T.: Application of Anoxic Treatment for Insect Control in Manuscripts of The Library of Megisti Laura, Mount Athos, Greece, Environment et Conservation de l'ecrit de l'image et du son, Proceeding of the ARSAG Conference, Paris, 1999, 59-62.

(15) Kowalik, R., & Saduraska, L.: Microflora of Papyrus from Samples of Cairo Museum, Studies in Conservation, No. 18, 1973.

أو الكائنات الحية الدقيقة، كما استخدم في بعض الأحيان النافخ الهوائي مع تكرار التنظيف الميكانيكي حتى الوصول إلى نتائج مرضية.

وفي بعض القصاصات تم استخدام التنظيف الكيميائي لإزالة العوائق المتداخلة بين الألياف واستخدام الماء المقطر أو الماء المقطر والكحول (١:١) لإذابة هذه الاتساخات حيث أن الماء يزيد الخواص الميكانيكية للبردي الجاف ويعوض الروابط الأيدروجينية المكسورة في جزئيات السليلوز مع إعادة المحتوى الرطوبي للبردي الجاف، ثم تترك البردية لتجف وتوضع بين ورق نشاف جاف يعلوه زجاج أو أنقال. وتم تنظيف البرديتين وكذلك الخلفية الكارتونية من الأتربة والاتساخات.

ج- إزالة الترميمات الخاطئة: (صور ٢٩-٣١)

مع البردية رقم SR ٥٦١ - تم إزالة البطاقة الشارحة القديمة المثبتة بالغراء على الكتابات أسفال البردية باستخدام خليط من البنزين + الطولوين + أمونيا (نشادر) - وأعطى نتائج جيدة في إزالة اللاصق والاستعانة بمشرط أثناء إزالة البطاقة الشارحة القديمة. أما مع البردية رقم SR ٥٦٠ - فتم إزالة السوليتب الأسود من أماكن التجميع القديمة باستخدام خليط من (البنزين + الطولوين + ترائ كلورو ايثلين) حيث تم إزالة اللاصق تماما دون التأثير على ألياف البردي وإزالة بقايا المادة اللاصقة بالماء الدافئ ثم التجفيف بين ورق نشاف - ثم تقوية وتجميع الأجزاء المنفصلة مكان اللاصق باستخدام الورق الياباني ولاصق هيدروكسي بروبيل سيليلوز (HPC) ٦ %.

د- إزالة الحموضة:

وجد أن نسبة الحموضة في البرديتين بين ٤ - ٤,٥ pH وذلك باستخدام الدليل الورقي لمعرفة درجة الحموضة لذلك كان من الضروري معالجة الحموضة، وتمت معالجة الحموضة باستخدام محلول هيدروكسيد الباريوم في الكحول (١٩ جم هيدروكسيد باريوم في لتر من الكحول الإيثيلي النقي)^(١١). وتمت المعالجة باستخدام ورق نشاف مشبع بهيدروكسيد الباريوم ٣% في الكحول ثم وضع البردي بينه فتم المعادلة بطريقة غير مباشرة من خلال ورق المعالجة إلى ورق البردي البيئي.

هـ- فرد ألياف البرديات:

يتم الاستعانة بملقاط من الصلب ومعه فرشاة شعر دقيقة مع العمل على ورق ترشيع وإضاءة مناسبة مع الاستعانة بعدسة مكبرة متصلة بحامل حتى تكون الأيدي حرة الحركة أثناء العمل. وباستخدام فرشاة مندادة بقليل من الماء يمكن فرد الأنشاءات وإعادة الألياف إلى أماكنها الأصلية دون أن يصل الماء إلى الجانب الخلفي من البردي. ثم تجفيف البردي الرطب خوفاً من الإصابة بالعفن، وذلك بوضع البرديتين

(١١) Hey, M.: The Washing and Aqueous Deacidification of Paper, Journal of The Institute of Paper Conservation, Vol. 4, 1979.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

بين أفرخ من ورق نشاف نظيف ثم توضع بين شريحتين من الزجاج أو كرتون وبإستخدام كلبسات ضاغطة يتم غلق شريحتي الزجاج معاً أو وضع ثقل خفيف فوقها، وتغيير ورق الترشيح من أن إلى آخر طالما أن البردي غير جاف تماماً، وذلك بهدف تجنب إصابة البردي بالعفن وتعجيل عملية التجفيف.

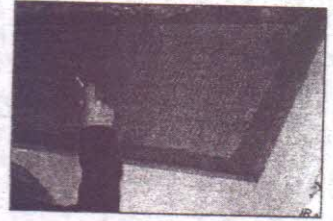
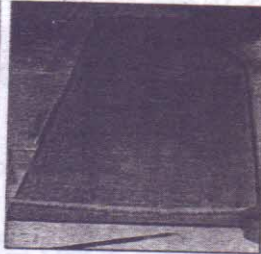
و- تقوية البردي:

تم تقوية البرديتين باستخدام محلول هيدروكسي بروبييل سليبوز HPC الذائب في الكحول (٢%) وذلك برش محلول التقوية في شكل رزاز ثم التجفيف .

ز- حفظ البرديات بين لوحين زجاجيين: (صور ٣٢-٣٥)

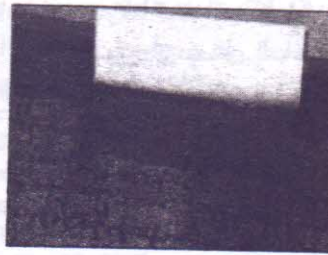
في البداية تم تحديد الإطار الزجاجي المطلوب للبرديتين مع ترك مساحة لكارت التعريف أو البطاقة الشارحة وترك مساحة ٢ سم من كل الجهات مع تنعيم أحرف الزجاج وغسله باستخدام أيزوبروبيل الكحول لنزع أى شوائب عليه ثم تجفيفه بقطعة كتان والتي لا تترك غباراً على سطحه.

ثم توضع البردية وأسفلها كارت التعريف الجديد الذي تم إعداده من ورق أبيض خالي من الحموضة مع استخدام الحروف المطبوعة الجاهزة وتوضع البردية والبطاقة الشارحة بين لوحين من الزجاج سمك ٣ مم - أحدهما من الأمام والآخر من الخلف، وفي الوقت الحالي يمكن الحصول على ألواح زجاجية بأطوال متعددة قد تصل إلى ٣ متر يمكن استخدامها لأطوال البرديات. حيث يتم تنسيق لوحين زجاجيين ويتم لصقهما معاً باستخدام السليكون Silicon وإعادة وضعها مرة ثانية على حوائط الحجر.

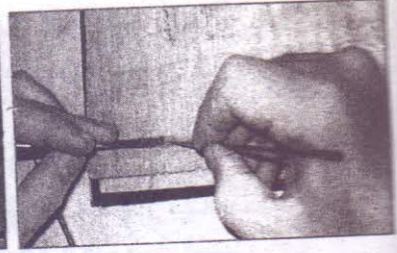
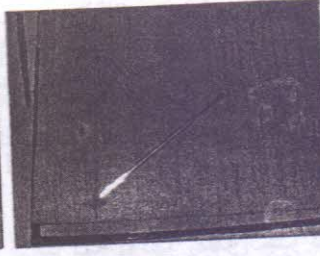
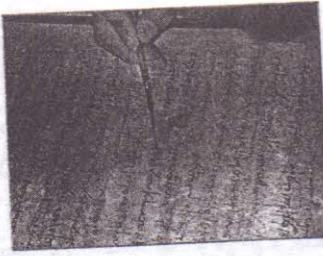


صورة (٢٨) أثناء تسجيل وتنظيف البردية رقم ٥٦٠ SR

صورة (٢٧) عمليات التنظيف وإعادة الألياف إلى أماكنها الصحيحة للبردية ٥٦١ SR

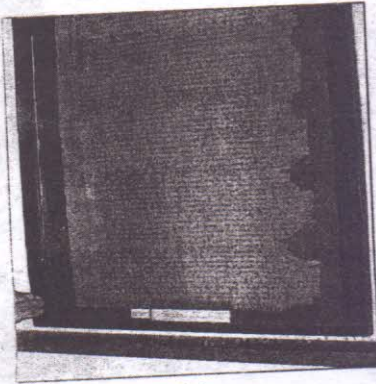


صورة (٢٩) أثناء وبعد نزع وإزالة البطاقة الشارحة القديمة وإظهار الكتابات للبردية ٥٦١

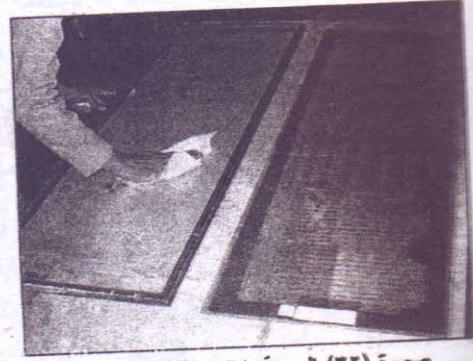


صورة (٣١) أماكن الشريط اللاصق بعد الإزالة من البردية

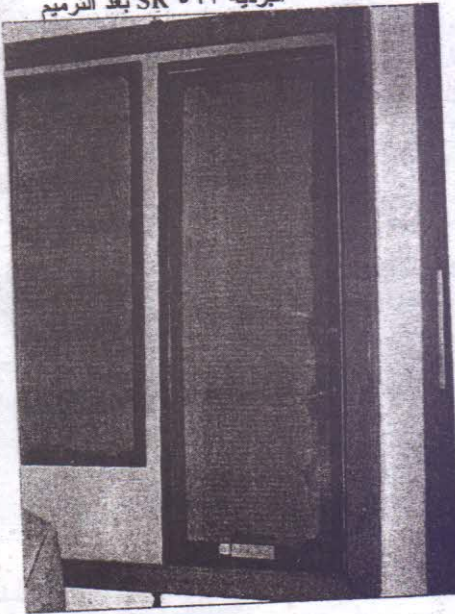
صورة (٣٠) أثناء إزالة الشريط اللاصق



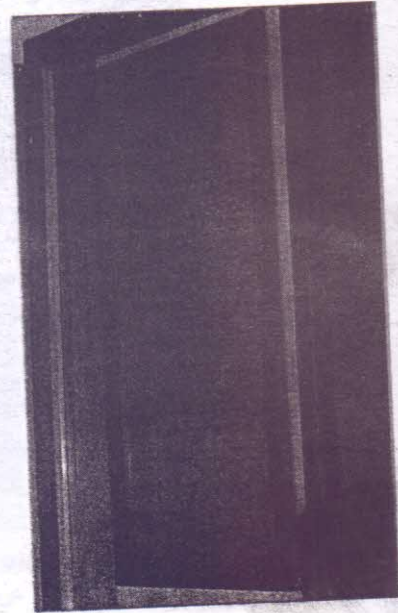
صورة (٣٣)
البردية ٥٦١ SR بعد الترميم



صورة (٣٢) البردية ٥٦١ SR بعد العلاج
والصيانة وإعداد الزجاج لإعادة عرضها مرة أخرى



صورة (٣٥) البردية 561 SR
بعد الترميم والعرض



صورة (٣٤) البردية 560 SR
بعد الترميم والعرض

٤-٢ فحص وصيانة البردية رقم (SR 990) CG 58026 المحفوظة في دواليب
الحجرة ٢٩

أولاً: الوصف والتسجيل الأثري للبردية رقم (SR 990) CG 58026

البردية محفوظة داخل لوحين زجاجيين داخل دواليب الحجرة ٢٩ بالمتحف
المصري- أبعادها ٤٤×٤٧ سم ، البردية لونها غامق جدا نتيجة الحوضنة الشديدة -
عند وصف وتسجيل البردية لوحظ ظاهرة تبلور الأملاح على سطح الزجاج بنفس
شكل البردية وقد أخذت تلك الأملاح لون رمادي داخل الغطاء الزجاجي حول حواف
البردية، وبتحليل الملح وجد أنه ملح كلوريد الصوديوم ربما مصدره التربة التي كان
مدفوناً فيها لفترة طويلة وظهر نتيجة غلق جميع حواف الزجاج ومنع الهواء عن
البردية فنتج عنه هجرة للأملاح على سطح البردي - البردية أيضا بها أماكن تمزقات
وقطوع. كما هو موضح في (الصور ٣٦-٣٧). - الحبر كربوني ثابت إلى حد كبير
- درجة الحموضة (Ph) ٣-٤.

ثانياً: العلاج والصيانة:

أ- فتح الزجاج والتنظيف الميكانيكي:

باستخدام الفرش الناعمة والخشنة على حسب حالة الاتساخ والاستعانة بمشارط غير
حادة وأحياناً استخدام النافخ الهوائي وفي مرحلة تالية تم وضع البردية لإمراد تنظيفها
بين ورق نشاف خالي من الحموضة مندى برزاز الكحول والماء ثم وضعه تحت
أثقال حيث يمتص ورق النشاف الاتساخات والأتربة من سطح البردية وتكرار هذه
العملية حتى يصبح ورق النشاف أسفل البردية وأعلىها خالي من البقع تماماً. وقد
أعطت هذه الطريقة نتائج جيدة وأصبحت البردية نظيفة خالية من الأتربة والاتساخات.
ب- إزالة الأملاح :

وتم إزالة بلورات الأملاح ميكانيكياً باستخدام دفرة ثم فرشاة جافة ناعمة تمرر على
السطح وتوضع ورقة البردي بين ورق ترشيع مندى بالماء ثم توضع بين شريحتي
زجاج وتترك لمدة ٢٤ ساعة حيث يساعد ذلك في إزالة الملح^(١٧).
ج- معالجة الحموضة:

استخدم في معالجة الحموضة محلول هيدروكسيد الباريوم بإذابة ١٩ جم من
هيدروكسيد الباريوم في لتر من الكحول الإيثيلي النقي، وتتم المعالجة بالرش ثم تترك
لتجف بين ورق نشاف خالي الحموضة ثم وضعها تحت أثقال حتى الجفاف التام.

(١٧) Cockle, W.E.H.: Restoring and Conservation Papyrus Bulletin of The Institute of
Classical Studies of the university of London 30, 1983.

تم استخدام محلول هيدروكسي بروبيل سليولوز Klucel G. HPC المذاب في الكحول حيث يعمل ذلك المحلول على تقوية السلاسل الطويلة لجزيئات السليولوز وهذه السلاسل تتفاعل وكأنها دعامة للبردي، وفي بعض الأماكن الضعيفة تم تدعيمها بالورق الياباني و HPC كلاصق وخاصة في الأماكن الضعيفة. بعد ذلك توضع البردية فوق ألواح من الزجاج مغطاة بأفرخ من الورق النشاف خالي الحموضة وترش بمحلول التقوية، وبعد تشرب المحلول توضع بين ورقتين من الأوراق المشبعة ثم وضع البردي بين لوحين زجاجيين وأوراق نشاف يتم استبدالها باستمرار وتضغط بأثقال حتى تمام الجفاف.

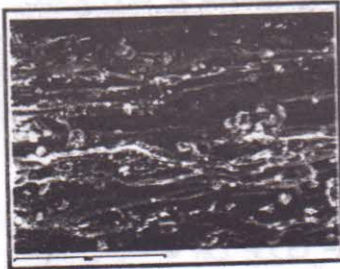
وقد تم التقوية والفرد في مرحلة واحدة وباستخدام مقاطع من الصلب له حواف حادة الزوايا ومعه فرشاة شعر دقيقة، والعمل على ورق ترشيش في وجود إضاءة مناسبة وعدسة مكبرة متصلة بحامل. ويمكن فرد البرديات المكرمشة وإعادة الألياف المتناثرة إلى أماكنها الأصلية وإعادة لصق الشرائح المنفصلة من السطح بلاصق HPC وذلك بعد جفاف البردية تماماً ومراعاة أن يتم فرد تلك المناطق المكرمشة بحرص وعناية، ثم تجفيف البرديات خوفاً من إصابتها بالعفن بوضعها بين ورق ترشيش نظيف وجاف ووضع أثقال خفيفة فوقها، وتغيير تلك الأوراق من وقت لآخر طالما أن البردي غير جاف تماماً.

هـ- ترميم القطوع والتمزقات :

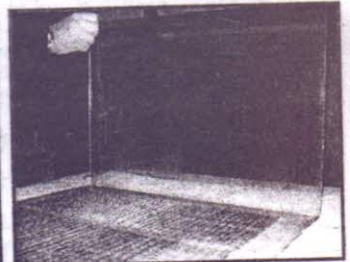
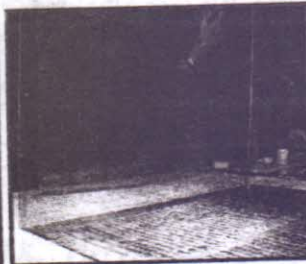
باستخدام لاصق هيدروكسي بر وبيل سليولوز ٦% وورق ياباني سمك ٩ جم متجانس مع لون البردية - ومراعاة إعادة الألياف لأماكنها الصحيحة في الوجه أو الخلف .

و- حفظ البرديات بين لوحين زجاجيين :

وتم حفظ البردية بين لوحين زجاجيين سمك ٣ مم - ومراعاة عدم غلق جميع الأركان حتى يكون هناك تهوية للبردية ، بنفس التكنيك السابق الذكر مع البرديات التي سبق ترميمها.



صورة (٣٧) (SEM X750) وتظهر تسليخات وقربة نتجة عن التربة



صورة (٣٦) البردية رقم SR 990 المصلية بالأملاح وتم معالجتها وإعادة عرضها مرة أخرى

٤-٣ فحص وصيانة البردية رقم (SR 615) JE 95685 المحفوظة في دواليب
الحجرة ٢٩٤

أولاً: الوصف والتسجيل الأثري للبردية

البردية محفوظة داخل نوحين زجاجيين - الزجاج متكسر إلى ثلاثة أجزاء نتيجة الإهمال وسوء الحفظ داخل الدواليب ونتيجة لتكسر الزجاج حدث قطع وانفصال للبردية في نفس أماكن الكسر في الزجاج. البردية عبارة عن قصاصات منفصلة حوالي ٢١ قصاصة (قطعة) مختلفة الأحجام - اللوحين الزجاجيين مثبتين بسوليتب حديث من جميع الأركان - أجزاء من القصاصات تم تجميعها بطريقة خاطئة وفي غير أماكنها الصحيحة - والبردية في حاجة ضرورية لإعادة الحفظ والصيانة .

ثانياً: العلاج والصيانة

أ- فتح الزجاج والتنظيف:

مع الحرص لوجود بعض القصاصات الهشة والضعيفة التي تكون ملتصقة بسطح الزجاج- ثم التنظيف الميكانيكي باستخدام الفرشاة والنافخ الهوائي لكل قصاصة كما سيؤ توضيح ذلك.

ب- فك التجميع القديم:

بعض الحروف غير واضحة بسبب التجميع الخاطئ وبعد إزالة التجميع القديم باستخدام الماء والكحول وفرد الألياف لبعض القصاصات تم تناسق واكتمال بعض الحروف الهامة في البردية.

ج- تجميع أجزاء البردية المنفصلة وإعادة حفظها: (١٨)

- فرد جميع الألياف المنفصلة والمتفرقة في القصاصات وإعادتها لأماكنها الأصلية سواء كانت أفقية Recto أو رأسية Verso.

- وضع لاصق HPC المركز على الحواف الخارجية للأجزاء المنفصلة وكذلك على الألياف المنفصلة من كل جزء.

- تجميع الأجزاء ببعضها ومراعاة التداخل والتراكيب بين الألياف المنفصلة وإعادتها لأماكنها الأصلية. تم التجميع أحيانا باستخدام شرائط الورق المصمغ (بالصمغ العربي) حيث تقطع لأجزاء صغيرة جداً ويوضع الشريط اللاصق من الخلف دون وضعها على الكتابة. وأحيانا تم التجميع مع بعض الأجزاء باستخدام هيدروكسي بروبيل سليلوز كلاصق والورق الياباني وخاصة في الأجزاء الضعيفة من بعض القصاصات بهدف التدعيم والتجميع ومراعاة تجانس الشكل بين الورق الياباني ولون البردية. وضع تلك الأجزاء بين

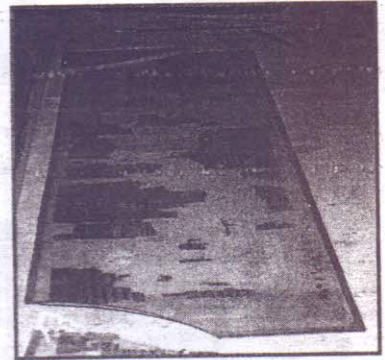
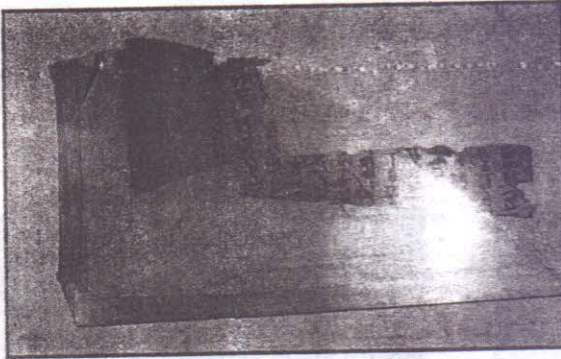
(١٨)Barns, J. W.: The Pacing of Papyrus Fragments, Proceeding of the IX International Congress of Papyrology, Oslo, 1985.

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

ورقتين من النسيج العازل ووضع أنقال عليها لمدة ساعة حتى جفاف اللاصق. بعد المراحل السابقة أصبحت القصاصات قوية ومتماسكة يمكن التعامل معها. (١٩)

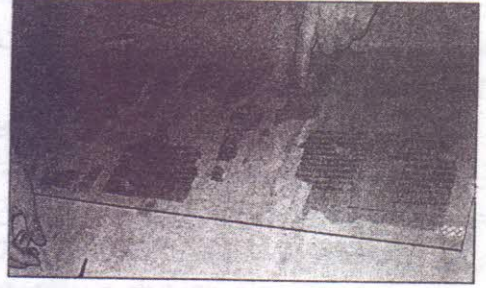
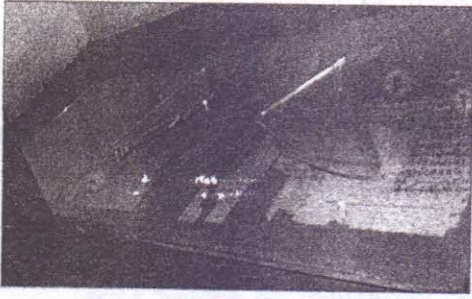
د- تثبيت وحفظ القصاصات بين لوحين زجاجيين :

- إعداد زجاج سمك ٣ مم بحجم أكبر من حجم الزجاج السابق بحوالي ٢ سم من جميع الجوانب. و تنظيف الزجاج بالأيزو بروبيل الكحول لإزالة أى شوائب او اتساخات ثم تجفف بقطعة قطن أو كتان حتى لا تترك غباراً على سطحه.
- تثبيت القصاصات داخل الزجاج القديم باستخدام شرائط الورق المصمغ حيث تقطع لقطع صغيرة جداً وتثبت أطراف القصاصات مع الزجاج بالاستعانة بفرشاة منمداة بالماء ودفرة معدنية مع مراعاة عدم ترك بصمات أصابع بين اللوحين الزجاجيين أثناء التثبيت للقصاصات
- غلق الزجاج :بعد وضع البطاقة الشارحة بين اللوحين الزجاجيين من أسفل يتم غلق الزجاج باستعمال شريط لاصق كتانى على أحرف الزجاج وترك الأركان مفتوحة وبدون لاصق لتهوئة القصاصات.

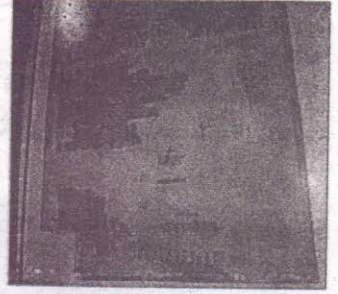
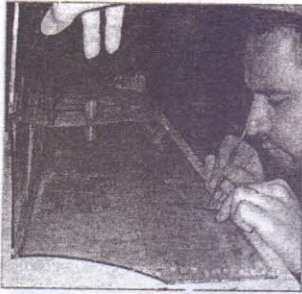


صورة (٣٨) البردية رقم 615 SR
ويظهر بها تمزق البردية بسبب تهشم الزجاج

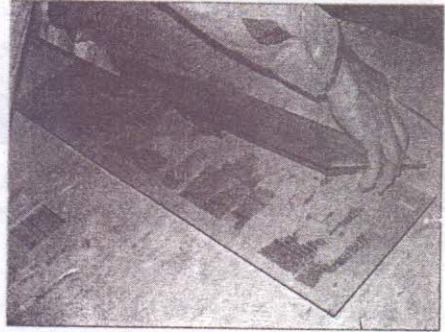
(19) Capasso, M.: Restoration Methods of the Papyri Preserved in The Egyptian Museum of Cairo, "SEAP" 17, 1998, PP. 39-43.



صورة (٣٩) البردية رقم SR 615
ويظهر بها تمزق البردية بسبب تهشم الزجاج



صورة (٤٠) البردية رقم SR 615 (٢١ قصاصة بردي) أثناء فك الترميم القديم وإعادة التجميع والتثبيت بين لوحين زجاجين



صورة (٤٢) الباحث أثناء غلق الزجاج للبردية
رقم SR 615 بعد إعادة الترميم والتثبيت
وإعدادها للحفظ

صورة (٤١) البردية رقم SR 615 بعد إعادة
الترميم والتثبيت بين لوحين زجاجين

- 1- Atlas, R.M.: Handbook of Microbiological Media for the Examination of Food. CRC Press, Boca Raton, (1995).
- 2- Banik, G. and Stachelberger, H.: Salt-Migration in Papyrus Fragments, Recent Advances in The Conservation and Analysis of Artefacts, Jubilee Conservation Conference, Summer Schools Press, 1987.
- 3- Barnett, H.L. & Hunter, B. B.: Illustrated Genera of Imperfect Fungi, 3rd, ed., Burges Publishing Co., Minneapolis Minnesota, U.S.A., 1972.
- 4- Barns, J. W.: The Pacing of Papyrus Fragments, Proceeding of the IX International Congress of Papyrology, Oslo, 1985.
- 5- Capasso, M.: Restoration Methods of the Papyri Preserved in The Egyptian Museum of Cairo, "SEAP" 17, 1998, PP. 39-43.
- 6- Cockle, W.E.H.: Restoring and Conservation Papyrus Bulletin of The Institute of Classical Studies of the university of London 30, 1983.
- 7- Domsch, K. H. & Gams, W. & Anderson, T.H.: Compendium of Soil Fungi, Iand 2, Academic Press, Inc., London, 1980.
- 8- Hey, M.: The Washing and Aqueous Deacidification of Paper, Journal of The institute of Paper Conservation, Vol. 4, 1979.
- 9- Kostler, R. & Matthews, T.: Application of Anoxic Treatment for Insect Control in Manuscripts of The Library of Megisti Laura, Mount Athos, Greece, Environment et Conservation de l'ecrit de l'image et du son, Proceeding of the ARSAG Conference, Paris, 1999, 59-62.
- 10- Kowalik, R., & Saduraska, L.: Micro flora of Papyrus from Samples of Cairo Museum, Studies in Conservation, No. 18, 1973.
- 11- Leach, B.: Papyrus Conservation at The British Museum, Papyrologica. Lupiensia 3, Concedo Editore, 1994, P. 137.
- 12- Raper, K. B. & Fennel, D. I.: The Genus *Aspergillus*, Williams and Wilkins, Baltimore, U.S.A., 1965.
- 13- Stevens, R. B.: My Cology Guid Book, My Cology Guid Book Committee Mycology, Society of American University of Washington Press, Seattle, U.S.A., 1981.
- 14- Ghabet, F. M.; Hassan, M. N.; Abdel Hamid, H. & El - Sayed M. M.: Studies on the Distribution of Air Born Micro Organisms in The General Egyptian Book Organization Building, Bulletin of The Conservation Research Center, Cairo, 1979.
- 15- Webster, J.: Introduction to Fungi, Cambridge University Press. U.K., 1970.
- 16- Wiedmann, H.G & Bayer.G: Papyrus the paper of ancient Egypt, The analytical approach, American chemical society, 1983.

- يتكون القصر من اربعة حجرات تركزت في الاركان القصر الاربعة منها حجرة الصالون التي تقع في الجهة الجنوبية الشرقيه ، مستطيله الشكل ، وحجره الاسماء مئنه الشكل ، وحجره البلياردو مستطيله الشكل ، وحجره المائنه المئنه الشكل . ولكي ينشأ التوازن الهندسي والمعماري والانثائي وضع المصمم اشكال الحجرات بحيث تتبادل اشكالها مع مساحاتها تبدأ بحجره مستطيله ثم حجره مئنه الشكل وهكذا تظهر حجره الصالون المستطيلة تواجهه حجرة البلياردو والمستطيله وحجره المائنه المئنه تواجهه حجرة الاسماء المئنه الشكل .

- كما ظهر التوازن الهندسي والانثائي ايضا في تواجد المداخل الاربعة بحيث يتوسط كل مدخل ايوانا ٠٠ بحيث كل مدخل يواجهه تراس مربع الشكل يعلوه قبه نصف دائريه تحاط بثلاث اناصاف قباب ، محموله على اعمده رخاميه مربعة البدين . اما اعمدة القصر فجميعها اسطوانية الشكل مشيدة من الرخام الابيض الذي جلب من ايطاليا من نوع الكراره وهو من افضل واحسن انواع الرخام من حيث الخواص الطبيعيه والكيميائيه والميكانيكيه . وقد استخدم هذا النوع من الرخام في تغطيه ارضيه تقصر ببلاطات مقاس ٥٠ × ٥٠ سم .

- اما السقف / غطي بسقف جملوني من الخارج من الخشب اما من الداخل فقد غطيت الاواوين بسقف مسطح اما التراسات واما الحجرات الاربعة والابواب (مداخل) القصر الاربعة فتتقدمها قباب كرويه خشبيه .
- اما التراسات الاربعة فغطت بقباب مسطحة تحيط بكل منها ثلاث اناصاف قباب كرويه من الخشب مزينة ومزخرفه بزخارف نباتيه وهندسيه وصور ولوحات مستوحاة من الطبيعه ، وبورترية لمحمد على باشا الكبير

حجرة الصالون موضوع البحث :

- تقع حجرة الصالون في الجهة الجنوبية الشرقيه (الركن الجنوبي الشرقي للقصر) وهي على هيئة مستطيل ١٧ متر × ١٠,٧٠ متر تتألف من ثلاثة واجهات وهم الواجهه الجنوبيه ، الواجهه الشرقيه ، والواجهه الشماليه وبكل منهم ثلاثة نوافذ . اما الواجهه الغربيه فيقع بها مدخل الحجره الذي يفتح على الايوان الجنوبي الذي عرضه ١٠,٢٠ مترا حيث يتقدم هذا المدخل قبه نصف كرويه من الخشب . نصف قطرها ٦,٤٠ مترا .

- وصف الحجره من الداخل :

الحجره صممت على هيئة علبه من الخشب الجوز الهندي والابانوس . جدران وسقف وارضيه نفدت بها الزخارف النباتيه بالتذهيب والحفر والحرق باسلوب جميل زخارف

دراسات في آثار الوطن العربي ٨

عثمانيه متأثره بفن الركوك والباروك الذي ظهر في العصر العثماني باروبا في القرن الخامس عشر الميلادي .

اسلوب تشييد اساسات الحجره : تتألف الاساسات من كتل حجريه منتظمه الشكل ٧٥ × ٤٠ × ٣٠ سم بعرض ٨٠ سم محموله على براطيم خشبيه وضعت على سطح التربه على هيئة فلنكات قضبان السكه الحديد لتوزيع الاحمال + اعداد سطح مستوي .

حالة الحجره :

- من الدراسه الميدانيه لموقع الحجره وجد تصدعات بالجدارين الجنوبي والشرقي في صورة شروخ عميقه Widen cracks & lengthen cracks طوليه وعرضيه .
 - اجريت جسات حول الجدارين سابقى الذكر وجد ان ارتفاع منسوب المياه الارضيه تصل الى عمق ٥٠ سم .
 - التربه في صورة انتفاش ورطبه .
 - الجدار الجنوبي به ميول للخارج وفصل من الجدار الشرقي من اعلى .
- عوامل تلف الحجره موضوع البحث :

١ - The mechanical reasons - العوامل الميكانيكيه

Sub soil water ارتفاع منسوب المياه التحت سطحيه -

بين الارتفاع والانخفاض اسفل الاساسات ونتيجة لذلك حدوث انتفاش بالتربه وانكماش , مما ادى الى حدوث عدم الاتزان بين كتلة التربه وكتلة الاثر موضوع البحث خاصة اسفل الجدارين الجنوبي والشرقي للحجره .

The biological deterioration - التلف البيولوجي

- حدوث ميل بالجدار الجنوبي للخارج نتيجة للهبوط بالتربه نتيجة للتلف البيولوجي المتمثل في الفطريات (fungi consists of brown rot & black rot) والعفن البني والعفن الاسود

الذي اصاب البراطيم الخشبيه التي وضعت اسفل الاساسات الحجريه على هيئة فلنكات السكه الحديد للعمل على الاتي :

- ١ - وضع سطح مستوي ٢ - اتزان الاساس ٣ - توزيع الاحمال على التربه .
- ولقد اصيحت لا تؤدي عملها مما ادى الى حدوث ميل الجدار الجنوبي الى الخارج .
- ارتفاع نسبة المياه التحت سطحيه لارتفاع ٥٠ سم وكذلك ارتفاع محاليل الاملاح بالاساسات والجدران بالخاصيه الشعريه . وبالدراسه والجسات الارضيه وجدت ان الاساسات المستخدمة انشائيا عبارة عن not deep Shallow foundation اساسات سطحيه

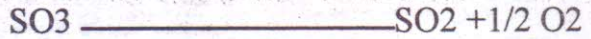
Earth movement - الهزات الارضية

والناتجة من الاتي :

- ١- زلزال أكتوبر ١٩٩٢ م والذي وصل نسبة ٥,٩ ريختر وتوابعه والذي دمر العديد من آثار القاهرة و آثار المحافظات المجاورة .
- ٢- حركة المرور الكثيفه بمنطقة شبرا الخيمة مدخل القاهرة الشمالي والمتمثل في النقل الثقيل والسريع . ولقد قدرت قدرة فرامل تلك السيارات النقل الثقيل بتوابع الزلازل . والتي تؤثر بصورة مباشره على المباني القديمة ذات الاساسات السطحية والجدران الحامله .

The air pollution ٢ - التلوث الجوي

من الدراسات والتقارير الامريكيه تعتبر مدينة القاهرة الكبرى من المدن التي تعلق بها نسبة التلوث الجوي . وأن مدينة شبرا الخيمة الصناعيه ترتفع بها نسبة التلوث الجوي نتيجة لتعدد انواع الصناعه والتي ينتج عنها غازات خفيفه مثل أول وثاني أكسيد الكربون ، وثاني أكسيد الكبريت وتفاعلاتهم في الهواء الجوي ومع بخار الماء . وحسب المعادله التاليه .



مما أدى الي حدوث نحر في احجار اساسات حجرة الصالون والجدران .
اما الغازات الثقيله والمنتشرة بمنطقة الاثر مثل معدن الرصاص والكربون بالاضافه الي الغبار من مخلفات المصانع وعوادم السيارات .

Weathering ٣ - عامل التجويه

منها التجويه الميكانيكيه والكيميائيه والذي سبب تلف وتصدع ونحر في الكتل الحجرية باساسات والمداميل الخمسه الاولى من الجدارين الجنوبي والشرقي .

Examination work الفحوص

- ١ - تم عمل جسات ارضيه اسفل الاساسات لمعرفة الاتي : عمق الاساس - اسلوب تشييد الاساس ونوعيته - ارتفاع منسوب المياه الارضية - نوع وتصنيف التربة حتي عمق ١٥ مترا عمقا .
- ٢ - اخذت عينات الفحص والدراسه من التربه ، وأحجار الاساسات . استخدم في الفحص الطرق التاليه :

- Scanning Electron Microscope ١- الميكروسكوب الإلكتروني الماسح للتعرف على نوع المعادن وشكل البلورات للمعادن التي تتكون منها عينة الفحص - ومدى الترابط بين المعادن ومادة الربط بالعينة .
- X - ray diffraction analysis ٢- استخدم حيود الأشعة السينية لدراسة المركبات ومعادن العينة ومدى التماسك أو الانهيار بالعينة والتعرف على المعادن المضافة التي أثرت على العينة .
- ٣- دراسة الخواص الطبيعية والميكانيكية للعينة . في المعهد القومي لبحوث البناء باستخدام الاجهزه الهيدروليكيه .

The result of analysis and examination

نتائج الفحص والتحليل

جدول (١) يوضح الخواص الطبيعية والميكانيكية لعينة حجر جيري من الجدار الجنوبي لبحر الصالون .

Compressive strength Kg/cm2	Porosity %	Color	Hardness	Lustore	Specific gravity gm/cm3	Thermal expansion	Tensile strength Kg/Cm2
652	14	Yellow	7.3	Glass	8.2	6.2	6.65

جدول (٢) يوضح نسب العناصر والمركبات التي يتكون منها نسيج الحجر الجيري باستخدام

X - ray fluorescence & x - ray differaction analysis .

Element	Weight %	Compound	Weight %
Ca	30.13	CaCO3	75.25
Na	6.77	NaCl	17.20
Mg	1.42	MgO	2.36
Al	1.14	Al2O3	2.15
Si	0.42	Si O 2	0.91
K	0.35	K2SO4	0.78
Fe	0.08	Fe2O3	0.11

جدول (٣) يوضح نسب تركيب العناصر والمركبات التي يتكون منها نسيج التربة باستخدام X - ray fluorescence & x - ray differaction analysis

Element	Weight	Compound	Weight
Si	25.00	SiO ₂	53.48
Al	9.19	Al ₂ O ₃	17.36
Fe	6.33	Fe ₂ O ₃	9.05
Na	2.63	NaCl	6.69
Mg	2.59	MgO	4.29
S	0.52	SO ₃	1.31
Mn	0.03	MnO	0.03

من نتائج التحليل الكيميائي لعينة مياه على عمق ٦٠ سم من الجسه الارضييه بجوار الجدار الجنوبي يظهر من (مقدره بالمليجرام / Na , k , Ca , Mg , Fe , Cl , HCO₃ , NO₃ , SO₄ الاتي حيث يتكون من لتر) .

أنظر الرسم البياني الذي يوضح درجة تركيز ايونات العناصر والمعادن المكتشفة في عينات الاختبار من مياه التربة والحجر الجيري والتربة والتي يظهر فيها ارتفاع نسبة معدن المونتمورلونيت والاليت .

أهم المقترحات التي قدمت من الشركات الهندسيه للعلاج والترميم :

١- من الدراسات الميدانية والتي قام بها الباحث للوضع الراهن للحجرة ذات التصميم الفني والهندسي والانشائي والفريد من نوعه في مصر .

كان الاقتراح يتمثل في فك الهيكل الخشبي الداخلي لحجره الصالون . والذي صمم على هيئة علبة من الخشب (جدران وارضيات واسقف) وحدة واحده لا تتجزأ ٠٠ ثم يعاد تجميعها مره ثانيه بعد ان يتم علاج سبب التلف والتصدع والشروخ بالجدران الحجرية وحقق التربه او استبدالها بتربه جديده ذات مواصفات خاصه .

ولكن بالدراسه وجد ان هذا الاقتراح مرفوض شكلا وموضوعا للأسباب التاليه :

١- عملية الفك للهيكل الخشبي يتسبب في فقد وتلف نسبة من الاخشاب قدر ٤٠% من جملة اخشاب الهيكل الخشبي .

٢ - عملية اعاده تجميع وتركيب الهيكل الخشبي مره ثانيه نسبة نجاحه تتراوح بين ٥٠ - ٦٥% على الاكثر وذلك لعدم توافر الفنان المبدع في هذا التخصص - والعامل المدرب ذو الخبره العاليه - ونوعيه الاخشاب المستخدمه والتي تحل محل الاخشاب التي تفقد وغير ذلك .

هذا بالإضافة الى أسلوب تنفيذ الزخارف والمتآثره بفنون الركوك والباروك غير وارد اعادتها مره ثانيه . مما سوف يشكل تلف وتدمير لتلك الزخارف وفقدان اثريتها وقدمها وجمالها .

Conservation & Restoration العلاج والترميم

Architectural restoration الترميم المعماري

١- تم التجهيز والاعداد لرفع وتحميل الهيكل الخشبي للحجره بنظرية الروافع الدرجة الثالثه باستخدام الجاك يتألف من بكر يدار يدويا من الجهتين المتقابلتين الجنوبيه والبحريه باستخدام حبال وجنزير .٠٠ وتم التحميل من النوافذ الثالثه بالجهتين سابقين الذكر .

٢- بعد أن تم رفع وتحميل الهيكل الخشبي الداخلي للحجره .٠٠ بدأ العمل في الحفر جسه ارضيه بطول الجدارين الجنوبي والشرقي للكشف عن الاساسات واسلوب البناء وارتفاع منسوب المياه الارضيه وحالة التربه .

٣- بدأ الفك لاحجار الوجهتين الجنوبيه والشرقيه التي بهما التصدع من اعلى مع ترقيم كل حجر حسب الجهه التي وجد فيها . يحدد في الترقيم رقم الحجر ورقم المدمك في صورة (بسط / مقام) .

٤- تم رفع الاحشاب التي كانت مستخدمه اسفل الاساسات بعد التأكد من تلفها بفطر العفن الاسود ثم رفع التربه الطينيه المحمله بالاملاح والمياه الراكده وحل محلها تربه تتألف من (رمل (Black rot) حديث + زلط ذات الاحجام الكبيره) للحد من تفاعل الخاصيه الشعريه ووقف المياه التحت سطحه . (Sub soil water)

٥- تم صب كمره خرسانيه مسلحه (سمل) $٦٠ \times ٤٠ \times$ طول الجدارين وعزلهما بماده البتيومين الاسود لرفع وتحميل الاساس والجدران والسقف .

٦- بعد مرور ٧٢ ساعه بدأ إعادة البناء للاساس والجداريين بالاحجار بعد تنظيفها من الاملاح واحلال احجار حديثه بدلا من الاحجار التي اصابها النحر والاملاح والتي تأثرت بعامل التجويه بحيث تحمل نفس مواصفات وخواص الحجر القديم . (Jacks)

٧- بعد ٧٢ ساعه من تاريخ البناء , تم فك الرافعتين
التوصيات :

يوصي البحث :

١- أن أغلب مشاكل الاثار الاسلاميه في مدينة القاهره الكبرى تتعرض لاهم عامل تلف وهو ارتفاع منسوب المياه التحت سطحه او المياه الارضيه بصفه عامه (Swelling & shrinkage) .

٢- الحركه الميكانيكيه للتربه الطينيه من انتفاش او انكماش هو العامل الرئيسي المدمر للآثار والمسبب للشروخ - والميل للجدران والعناصر المعماريه - والتصدعات . والانفصال بين الجدران واخيرا الانهيارات .

- ٣- نسبة ارتفاع كل من كلوريد الصوديوم وكبريتات الكالسيوم تظهر على سطح وداخل نسيج الاحجار الجيري في القاهره واثار القاهره الاسلاميه والقبليه بصفه خاصه .
- ٤- يجب التعامل مع الاثر حسب ظروفه وعدم اتخاذ قرارات العلاج والترميم المعماري بعد الدراسات الكافيه لمنع حدوث تلفيات قد تضر وتؤثر على شكل واثريه الاثر . ومحاولة البعد عن فك الهياكل (Jack) ٥ - الترميم المعماري لمثل هذه الحاله يجب استخدام اسلوب الخشبيه ذات المواصفات الاثريه التي لا يمكن اعادتها الى سابق عهدها .
- ٦- يجب أن ينشأ التعاون بين المرمم المعماري والمرمم الدقيق والاثريين كل في تخصصه للوصول الى أفضل الطرق والاساليب في العلاج والترميم .
- ٧- يجب على الجهات المعنية والتي يهملها الامر استمرار الصيانة الدورية مع وضع ميزانية مالية وفنية لحل كل مشاكل وتلفيات الاثار والمباني التاريخية القديمة.

المراجع العربيه والاجنبيه :

- ١ - أحمد على العريان : المفاهيم الحديثه للخواص الطبيعية والميكانيكية لاختاب البناء واقتصادياتها . مطبعه جريدة الصباح - القاهره ١٩٨٦ م .
- ٢ - حسام الدين عبد الحميد : تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافيه . الهيئه العامة للكتاب - القاهره ١٩٧١ م .
- ٣ - حسن الباشا : تاريخ الفن عصر النهضة في اوروبا . دار النهضة العربيه ١٩٩٢ م .
- ٤ - حسن عبد الوهاب : العماره في عصر محمد علي باشا . دار الكتب المصريه ١٩٤١ م .
- ٥ - صالح لمعي مصطفى : أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلاميه المختلفه .
- منظمة العواصم والمدن الاسلاميه - جدة ١٩٩٠ م .
- ٦ - محمد أحمد أحمد عوض : ترميم المنشآت الاثريه . دار نهضة الشرق - جامعه القاهره ٢٠٠١ م .
- ٧ - محمد عبد الهادي محمد : دراسات علميه في ترميم الاثار الغير عضويه . مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٧ م .
- ٨ - محمد ممدوح رياض : اسباب واثار تراكم المياه على ارضيات بعض المباني في مصر وطرق علاجها ، ندره المباني بالعالم العربي وكيفية معالجتها . الرياض ١٩٩٢ م .

- ٩ - محمود محمد الجوهري : قصور وتحف من محمد علي الى فاروق . دار المعارف المصرية ١٩٧٨ م
- 10 - Alessandrini , G . and Toniolo , 1993 . On the cleaning of deteriorated stone masonry . Milan , Italy . p 504 .
- 11 - Bernard , M. F , 1991 . Conservation of historic building . London , p 160 .
- 12 - Caroline Williams , 1990 . Architectural Guid , Islamic monuments , the American university in Cairo p 205 , 266 .
- 13 - Christine Beall , R . A . 1993 . Masonry design and detailing . London , Tokyo . p 98 .
- 14 - Dexter Perkins , 1998 . Mineraology . London p 131 - 132 .
- 15 - El - Hansy , R . M . 1990 , Principles of soil mechanics .
- 16 - Lamb . L . 1970 . Material and methods of pointing . Oxford university press , London .
- 17 - Mckay , J . K . 1992 . Building construction . Vol 1 , London , P 59 .
- 18 - Kamy , Z . R . and El - Samany , A . A 1995 . Dissolved ions of trace and major elements and in suspended sediments in the Nile . Egypt Overseas publishers association . Vol 2 . Amsterdam . p 37 .
- 19 - Thiel , M . J . 1993 . Conservation of stone and other materials . New York , Tokyo , London , P 159 .

نتائج التحاليل والفحص (وصف اللوحات والصور) :

لوحة (١)

صوره (١) توضح الفراغ والانهيال في طبقات المونه والطوب بالميكروسكوب الالكتروني بقوة تكبير X 750 K . V . 25

صورة (٢) توضح التفتت والنحر والفراغات والانهيال داخل الطوب المستخدم في

البناء الداخلي ميكروسكوب الالكتروني الماسح بقوة تكبير X 1000 K . V 25

لوحة (٢) لثلاثة صور بالميكروسكوب الالكتروني الماسح توضح الانهيال والفراغ وتظاهر الاملاح على X 1000 & X 750 K . V 25 المعادن المكونة لنسيج عينة الطين بقوة تكبير

لوحة (٣) صورتين لعينين حجر جيرى توضح درجة التلف والانهيال بالجير

الجيري . بالميكروسكوب X 1000 & X 500 K . V 25 الالكتروني الماسح بقوة تكبير

لوحة (٤) :

١ - توضح منطقة شبرا الخيمة نوع فوهات مداخن المصانع والتي تبعثه من غازات ملوثة لمنطقة الاثر .

٢- صورة توضح درجة التلف التي اصابه احجار مباني حجرة الصالون وارتفاع مياه الرشح والنشع والمحاليل الملحية بالخاصيه الشعريه .
لوحة (٥)

بها ثلاثة صور الصورة ١ , ٢ للمدخل الجنوبي للقصر اثناء الصلب والنميين والترميم
صورة (٣) توضح حالة باب حجرة الصالون وتأثير مياه الرشح والنشع والمحاليل
الملحية على الحوائط والجدران .

لوحة (٦) بها صورتين .

١ - واجهه القصر الجنوبية والمدخل الجنوبي .

٢ - سقف حجرة الصالون وما به من زخارف ونقوش متأثرة بفنون الرموك والباروك
لوحة (٧) .

بها ثلاثة صور توضح ارتفاع نسبة المياه التحت سطحه والمحاليل الملحية بالجدران
الجنوبي ، والشرقي وظهور الشروخ العميقة والانهيال والتلف بالجدران سابقى الذكر
لوحة (٨)

نتائج تحاليل لعينات حجر جيرى وتربة باستخدام حيود الاشعه السينيه . وارتفاع نسبة
كلوريد الصوديوم وكبريتات الكالسيوم المائية . مع معادن نسيج الحجر .
الاشكال :

شكل (١) يوضح مسقط أفقي لقصر محمد علي .

شكل (٢) يوضح المسقط الأفقي لحجرة الصالون موضوع البحث نقلا عن صالح
لمعي مصطفى .

شكل (٣) يوضح تصميم انشاء الحجرة من عمل الباحث .

- شكل يوضح تصنيف نسيج الطين في التربة الطينية .

شكل (٤) يوضح جسه ارضيه في تربة أسفل حجرة الصالون موضوع البحث .

شكل (٥) يوضح الرسم البياني لعينة حجر جيرى باستخدام حيود الاشعه السينيه .

شكل (٦) رسم بياني لعينة تربة باستخدام حيود الاشعه السينيه .

شكل (٧) يوضح العلاقة بين قطر الحبيبات بالمليمتر والنسبة المئوية بالوزن للحبيبات
نتائج الدراسة والتحليل والفحص :

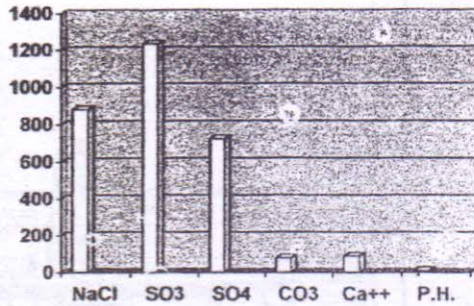
١ - من نتائج التحليل الكيميائي لعينة المياه المأخوذة من التربة يتضح من الرسم
البياني رقم (١) درجة تركيز ايونات العناصر المكتشفة في العينة المختبرة من المياه
الارضية .

٢ - رسم بياني رقم (٢) يوضح نتائج التحليل لعينة حجر جيرى من الواجهة
الجنوبية بحجرة الصالون ويظهر ارتفاع نسبة المعادن في نسيج الحجر بالعينة .

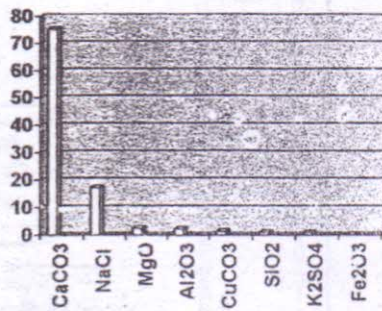
٣ - رسم بياني رقم (٣) لعينة تربة أسفل حجرة الصالون توضح نسبة عناصر
المركبات التي يتكون منها نسيج التربة الطينية بالتربة .

(1)

صياحه



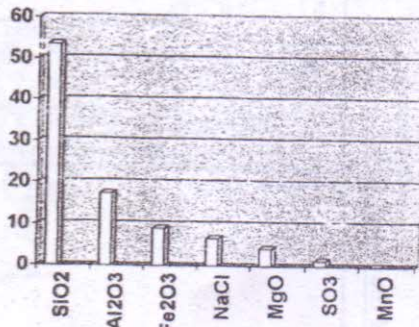
2
عجبري



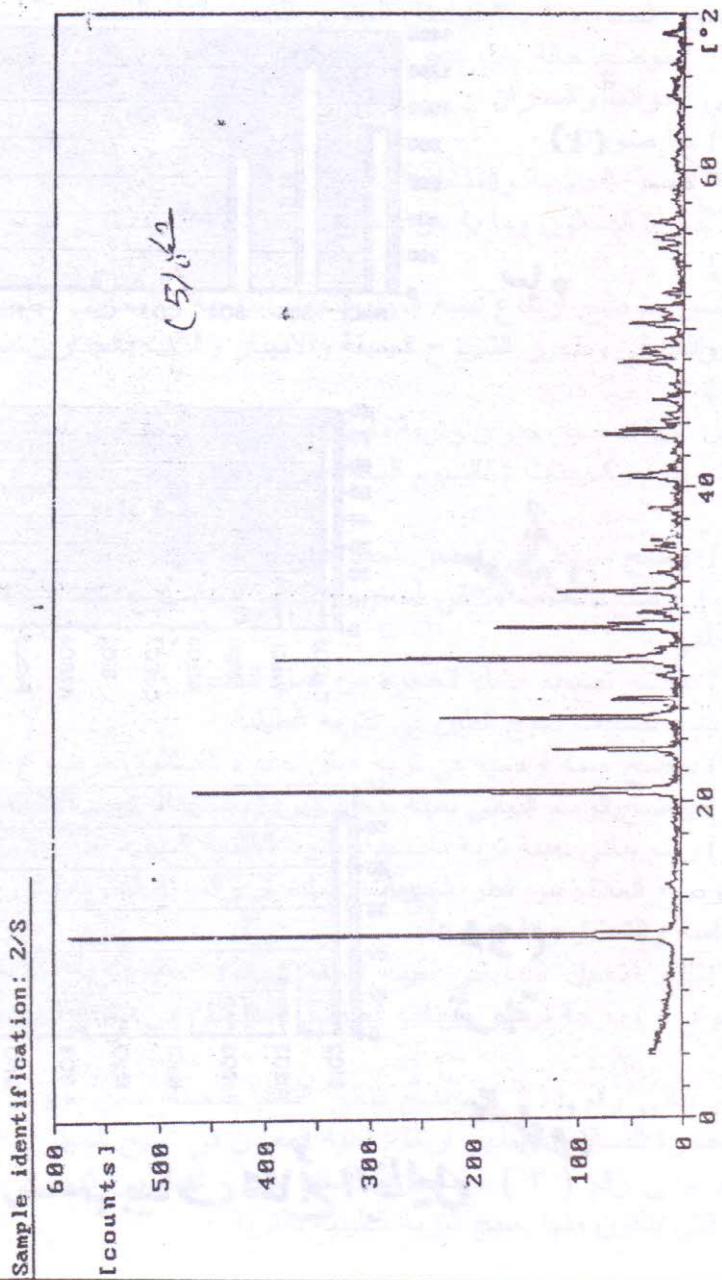
(3)

تربة

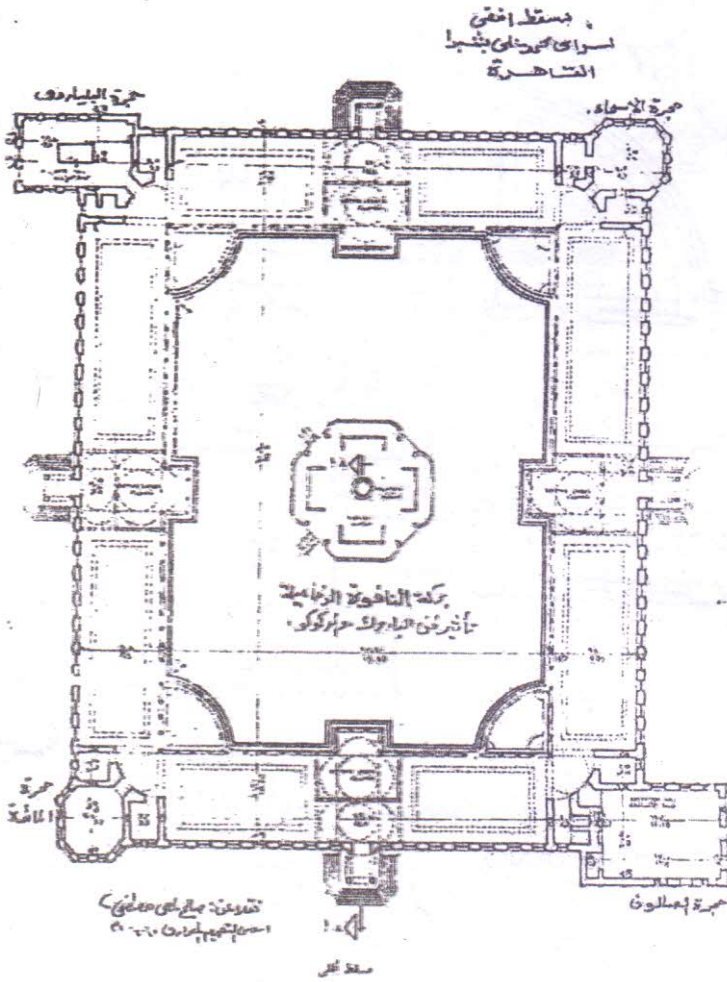
مكسوة

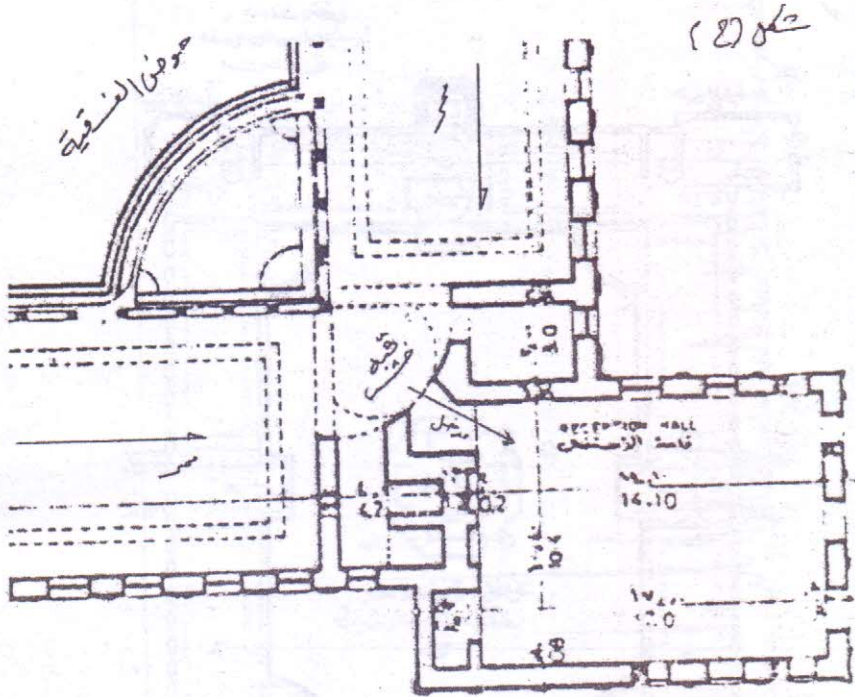


رسم بياني لتناجج التاليل



شكل (١)

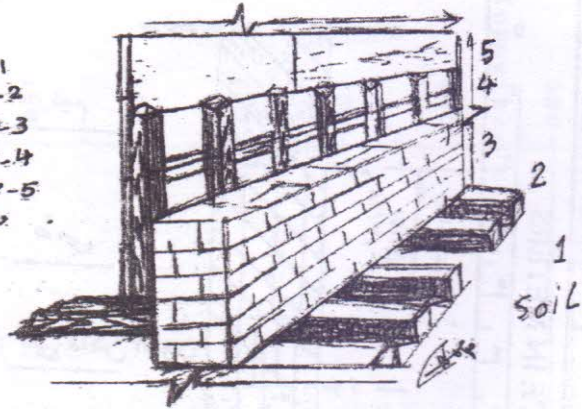




خربة البهلون

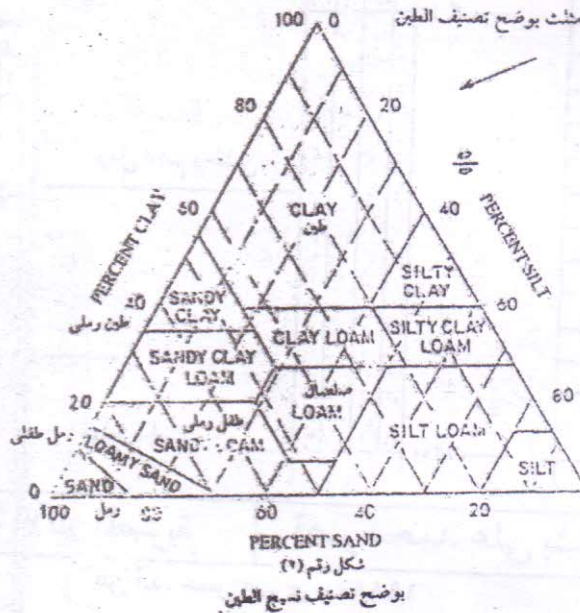
مستطبا اخفى موقع تصميم خربة البهلون
(نقل من مجال علي مصطفى)

- ١- التربة الطينية التمهيدية
 - ٢- التربة الجيرية الممتلئة بالأساس
 - ٣- تربة رملية رطبة لها اجزات معدنية خفيفة
 - ٤- التربة الجيرية الرخوة
 - ٥- تربة طينية رطبة ذات اجزائها المعدنية خفيفة
- وأيضا تربة الرخوة الرطبة لاجزائها المعدنية

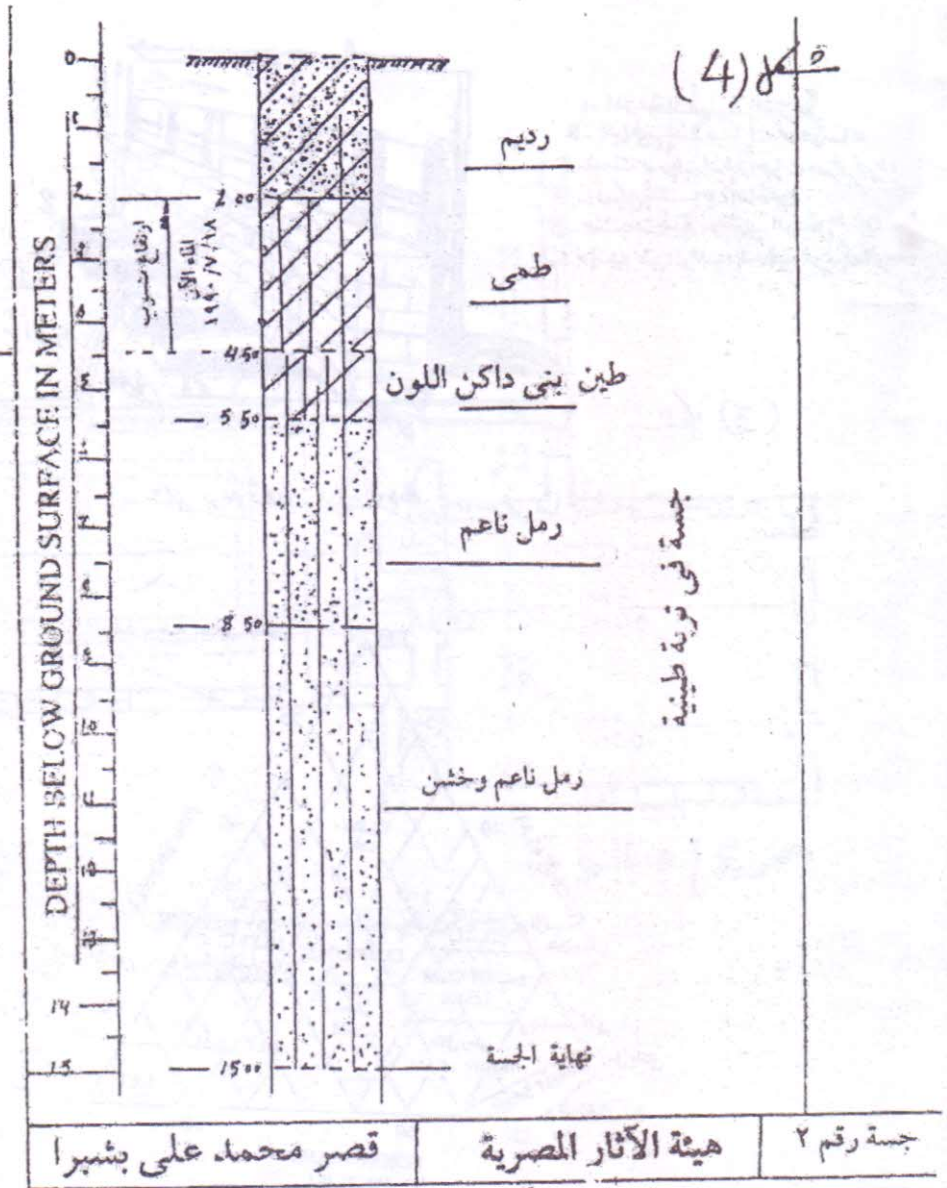


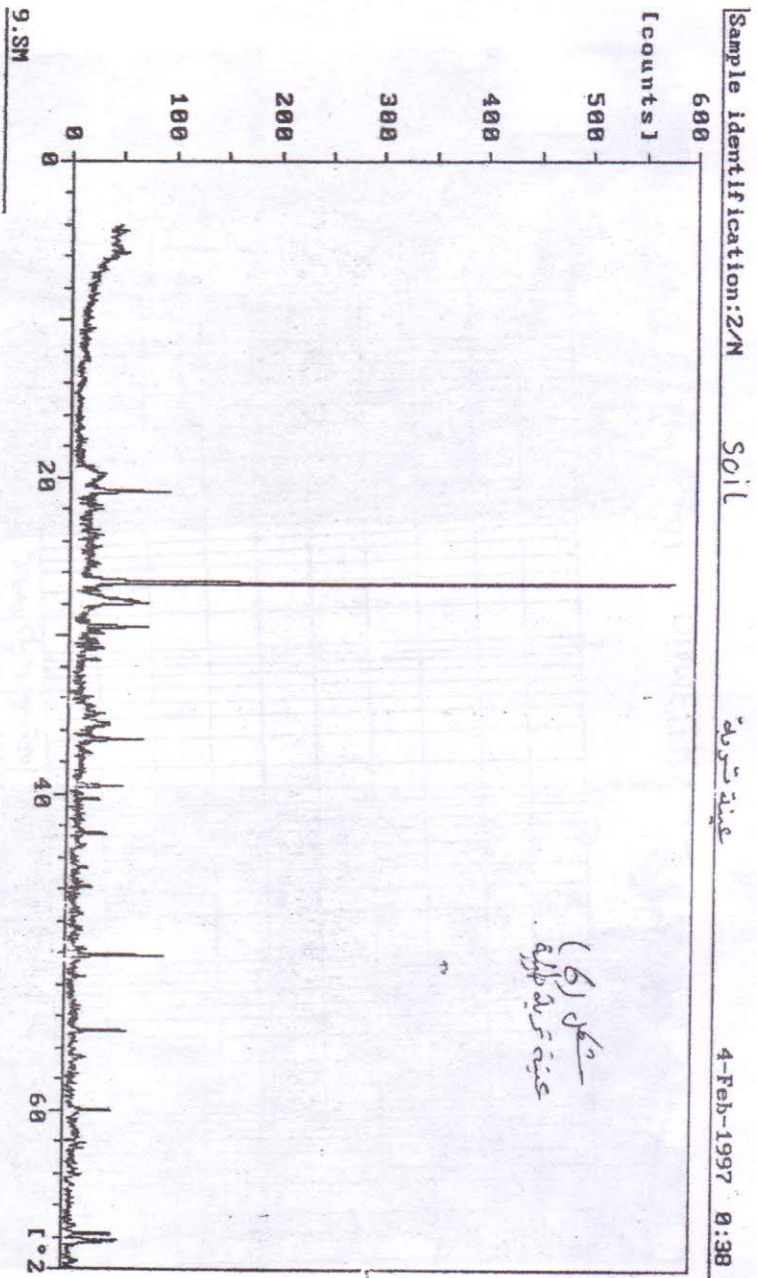
شكل (3)

- شكل يوضح تصميم اشياء الخبثية .. من اجل البناء

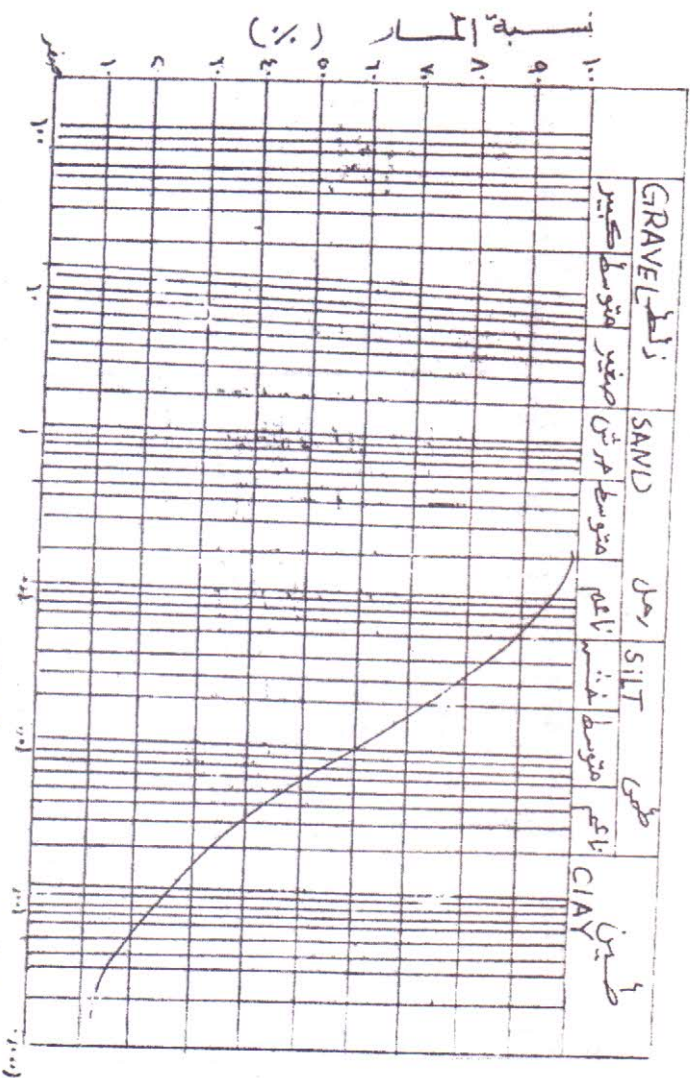


James R. Chilton
Preservation of Historic Arabic Structures - Asian & Pacific Institute of
Applied Technology Washington, 1977.



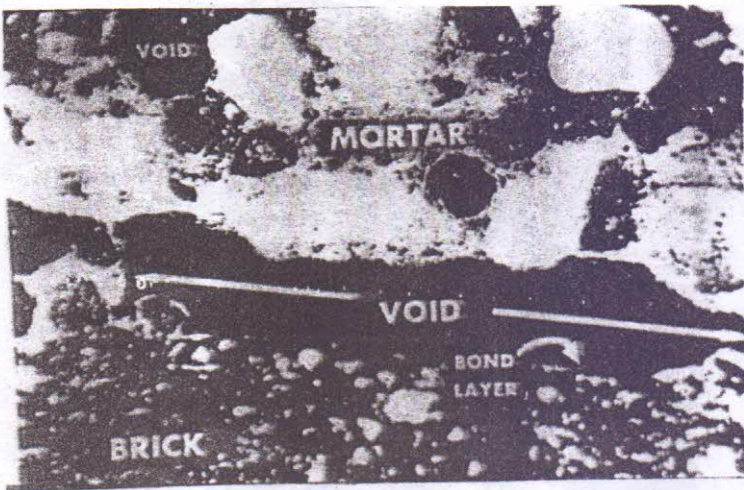


تصنيف كورنبرغ (77)
 موقع الممرقة بين قطري الجياد بالأمير والانسب المخرية بالوزير الجياد .

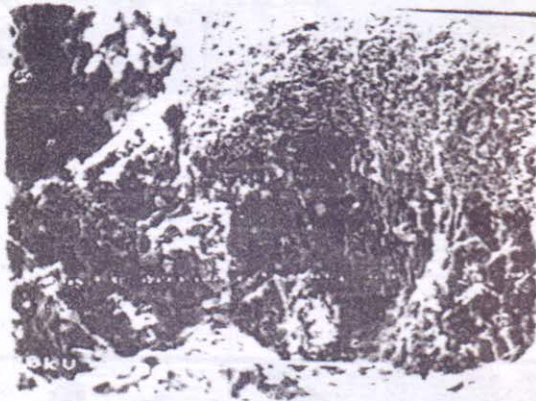


القطر يبلغه ١ (مقاس أوفاريني)
 DIAMETER . mm
 المق ٢٥

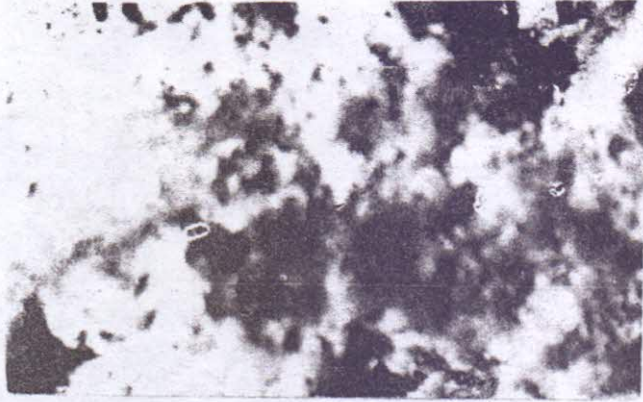
لوحة (١١)



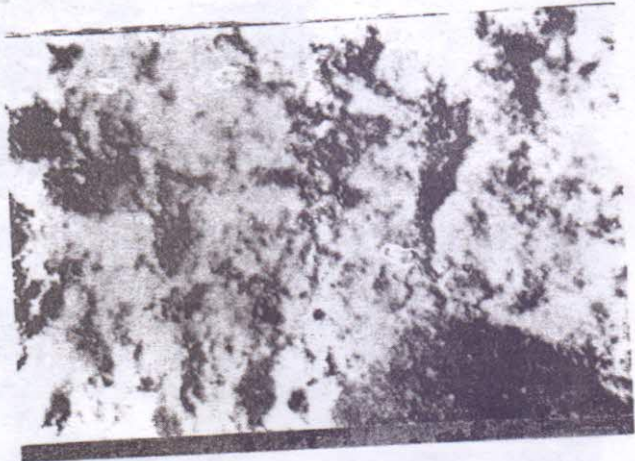
لوحة (٢)



لوحة 3

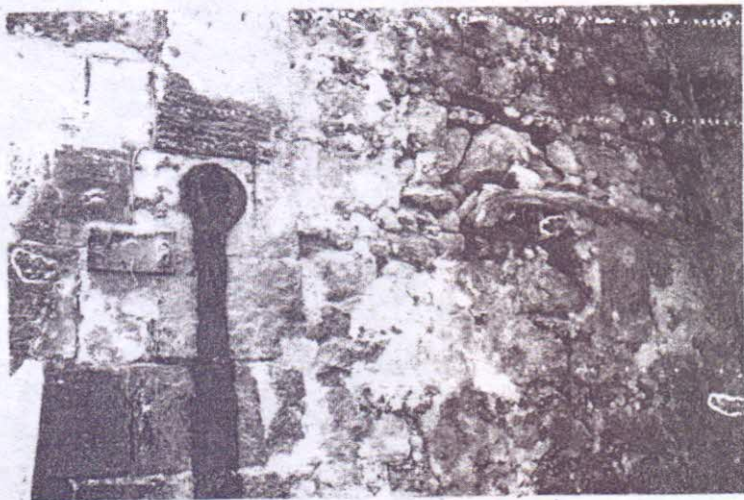
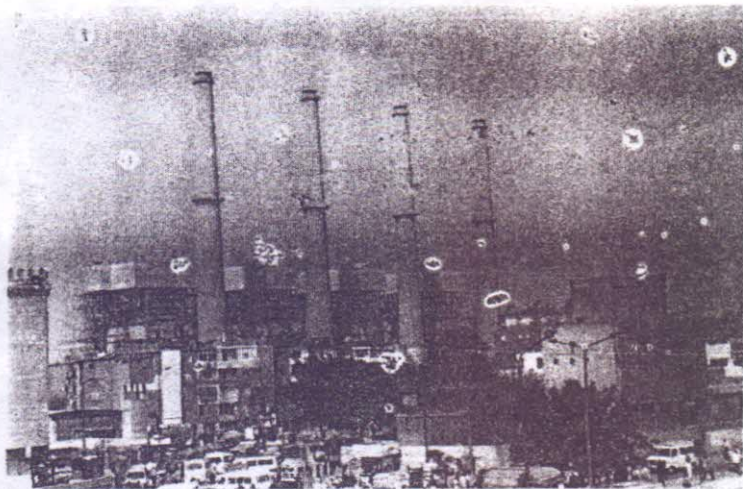


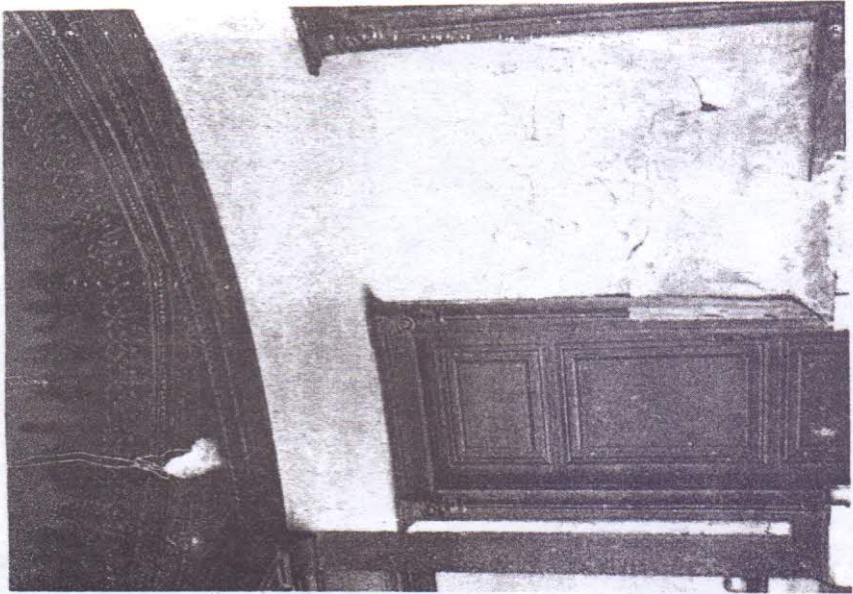
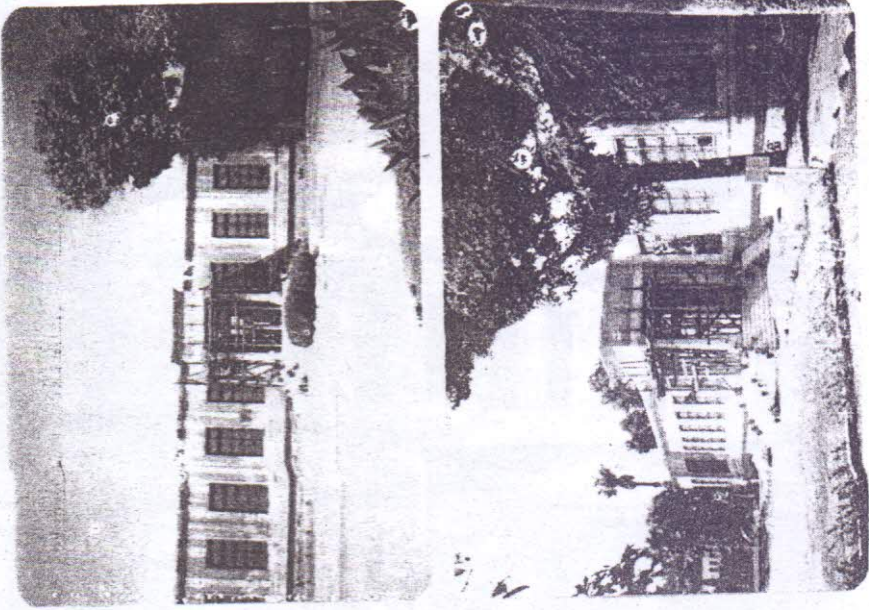
صورة رقم (٤)
بالميكروسكوب الالكتروني الماسح لسطح عينة من احجار الواجحة الجنوبية بقوة تكبير X 500
25.K.V. ويظهر بالصورة بللورات أملاح الكلوريدات والانهييار الذي حدث بسطح العينة.



دراسات في آثار الوطن العربي ٨

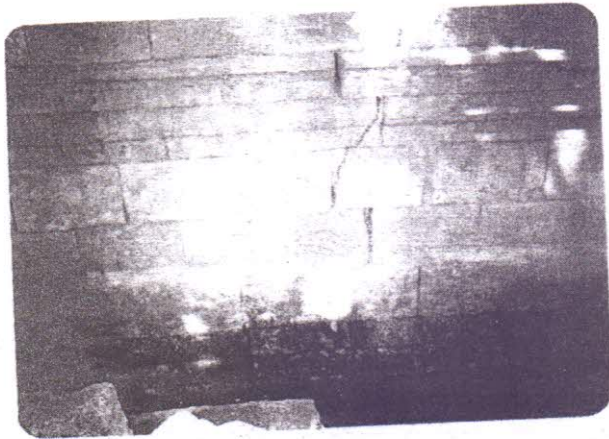
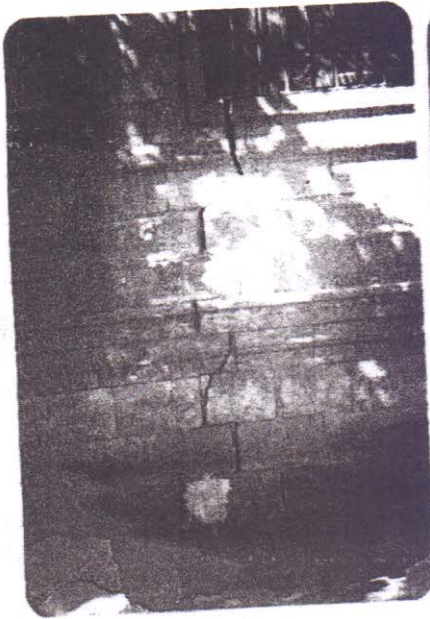
مرحله ٤





٤٥٠





لوحة ٧

THE MECHANISM OF SOME CONSOLIDATES MIGRATION IN POROUS STONE "LIME STONE"

Mohsen M. Saleh^{*}, M. M El-Sankary^{**}, Ali T. Omar and Giuseppe Fan Foni^{***}

Abstract:

The present paper is a result of investigation on migration of some consolidates – Thermoplastic resins to the surface pores of impregnated stone which are reported.

The causes of migration were evaluated as well as the conditions which allow reducing these undesirable effects. It has been stated that the effect of resin molecules, solution viscosity, stone structure and the conditions of drying after impregnation. This investigation are applied on lime stone samples as a porous stone which widely used as building materials in Egypt.

Different analytical and investigation methods were applied to study the stone samples such as polarizing microscope, X-ray diffraction analysis (XRD) and scanning electron microscope (SEM) equipped with (EDX) microanalyzer.

1. Introduction

The main idea of this paper is derived from (Domasłowski et al., 1976). The principal aim of structural consolidation of porous stone is implied by the necessity of obtaining homogeneous physical and chemical properties of stone. Numerous examples are known where stone objects consolidated superficially are subjected to further deterioration. However, numerous difficulties are met, especially in the case of application of the so-called reversible products as e.g. thermoplastic synthetic resin.

It is difficult to obtain satisfactory depth of penetration and to reduce migration to the surface pores of stone, which results from solvent evaporation during the process of drying.

Concerning consolidation, difficulties are mainly due to the too high viscosity of the applied solutions of thermoplastic resins which exceeds the viscosity of silicone and epoxy resins. The viscosity depends on the molecules dimension, solutions concentration, the quality of solvent, etc. The process of migration to the surface pores of stone has not been sufficiently known and valued, neither by the conservators nor by the scientists).

^{*} Cairo Univ., Faculty of Archaeology, Conservation Dep.

^{**} Nuclear Materials Authority, El-Kattamiya, Cairo

^{***} Italian Egyptian Center for restoration and Archaeology [CIERA]

The conservators usually evaluate the depth of the consolidated stone layer on the basis of the depth of penetration of solution, which might be incorrect in the majority of cases. On the other hand, some scientists stated that the difference between the depth of penetration of solution and the depth of consolidation is related to application through the so-called bad solvents. These bad solvents resulted in polymers of a too high viscosity, which are not able to penetrate into the stone pores.

Stone acts as a molecular sieve, it lets the solvent pass and retains the polymer. Investigation on the effect of resin migration and solution penetration capacity as related the properties of the treated stone samples has been performed in the Conservation Department, Faculty of Archaeology Cairo University, Egypt.

2. Materials and Methods

Consolidant applied comprise solution of Thermosetting resins [Ethyl silicate (silicic acid + alcohol)] and Thermoplastic resins [Paraloid B-72 from Rohm and Haas, USA] dissolved in different solvents [Toluene, acetone and thinner]. Limestone from Tura was used for consolidants application. This limestone was the finest and whitest of all the Egyptian quarries. So, it was used as facing stones for the richest tombs, as for the floors and ceilings of mastabas (Grimal, 1988).

Different methods were used to investigate the limestone samples before and after treatment, such as X ray diffraction analysis (XRD), optical microscopy, Scanning electron microscope (SEM) equipped with energy dispersive X-ray fluorescence (EDX) microanalyzer.

3. Methodology of Stone Impregnation and Determination of Resin Distribution in The Pores of Stone

Cubic samples [5 x 5 x 5 cm] were immersed in the respective solution to a depth of 1 cm and impregnated by capillary rise. After the solution had risen to its upper surface, the samples were dried under the normal condition and a 3 mm thick slice was cut horizontally across each sample, at right angle to the direction of capillary rise.

The resin distribution was determined by slices with a 5% solution of hydrochloric to 2 hours, till the reaction quenching Calcium carbonate was decomposed in the the resin did not penetrate. Characteristic 'frames' were observed as a result of consolidate migration.

The consolidant material distribution was on the surfaces by measuring their



Fig.1 Etching the limestone slice by HCl 5%

etching the acid for 0.5 [fig.1]. zones where stone differential

determined hydrophobic

properties by the time of absorption of drops of water ($\sim 50 \mu\text{l}$ in volume), put in 1 cm distance. An immediate absorption of water drop proved the absence of resin. A reduced rate of infiltration or no infiltration at all provided information on the accumulation resin [fig.2].

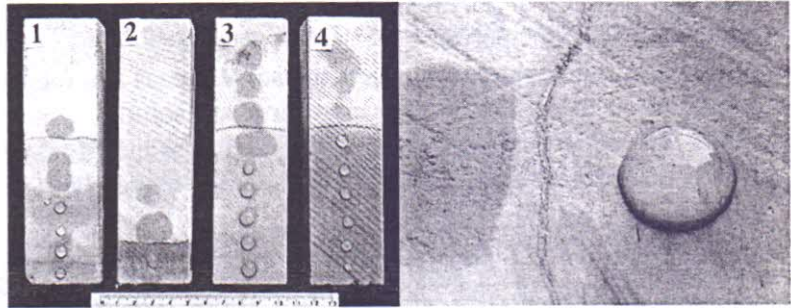


Fig.2 Measuring the hydrophobic properties of samples by the time of absorption of drops of water $50 \mu\text{l}$ in volume, [1] paraloid B.72 in toluene , [2] paraloid B.72 in acetone , [3] paraloid B-72 in Thinner , [4] Ethyl silicate

4. Results

When investigating the process of resin accumulation in the surface pores, the following factors should be taken into account: stone characteristics, type of resin and solvent, and the ambient conditions during of the treated stone. Porous stones represent different types of materials as far as porosity, pore size distribution and pore shape, specific surface and wet ability are concerned.

The movement of solutions towards the core of the stone and the behavior of resin in the pores may be affected by all the above factors. Taking this into account, it could be supposed that fine-porous stones would either from a kind of sieve for macro-molecular resins, or cause phase separation of solvents due to a well developed specific surface. The latter effect is very often observed in the course stone impregnation by a capillary method.

3.1. Polarized Microscope Result

Thin sections were prepared from the studied samples, then petrographical examination and photography was carried out under the polarizing microscope. Mineralogical composition, pore structure and percentage were characterized. The total void areas were determined (as plane area %) in the different thin sections by planimetry using the computer program (Sigma Scan Pro.5 of SPSS Inc.) for image analysis.

Petrographical investigation reveal that the studied limestone samples are heterogeneous concerning their micromorphology and microtextural characteristics (Fig. 2). Their fine granular calcite (micrite) shows different

degrees of clotting and coagulation probably inherited from their biochemical environment of deposition. Fine pores are distributed as interconnected network with different shape and density.

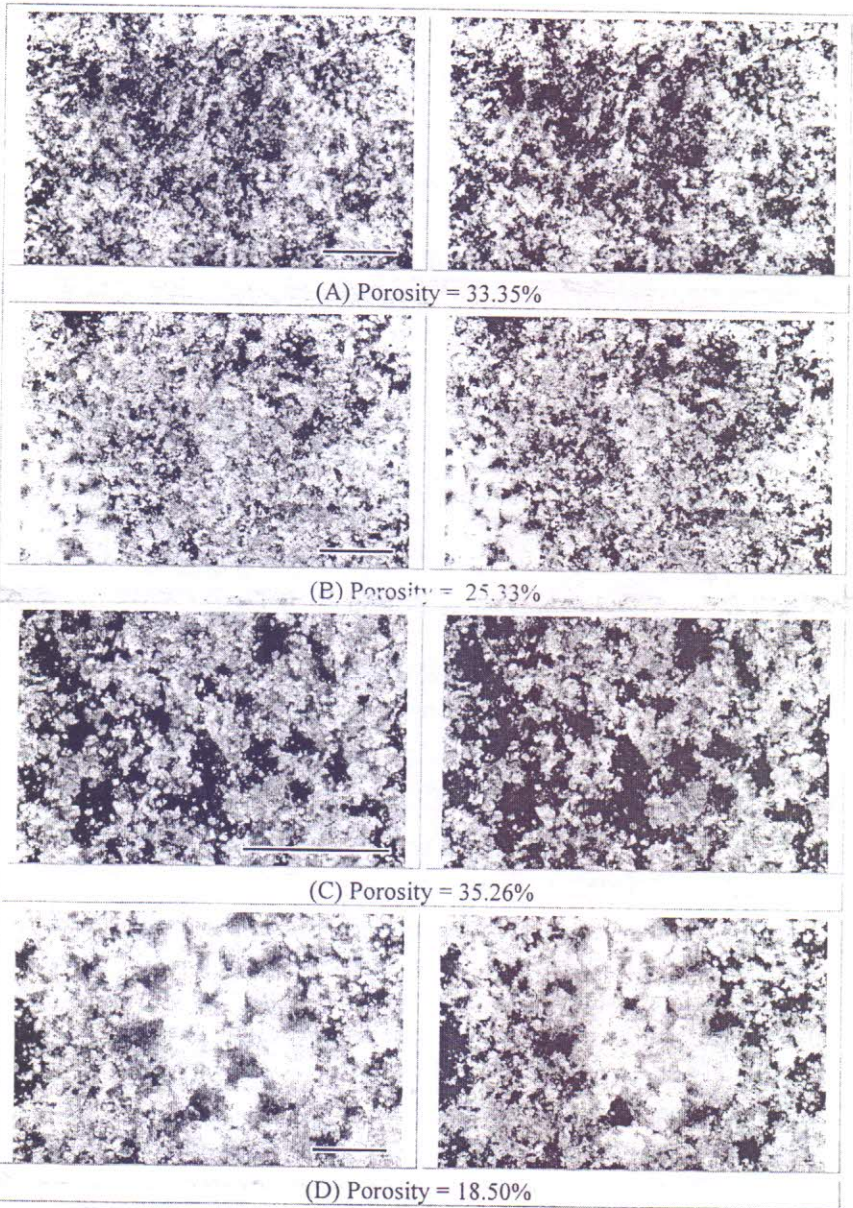


Fig.2. Photomicrographs of representative limestone samples showing different degrees of micrite clotting and coagulation; their corresponding porosity false images are located to the right. The estimated porosity values are indicated. Bar scale equals 200 μm .

The total porosity as plane as plane area% was estimated, which ranges from 18.5 to 35.3%. This inter-growing diversified porosity and granulometry are considered to play an effective role concerning consolidant materials penetration.

3.2. X-Ray Diffraction Analysis (XRD)

Mineralogical investigation was carried out through X-ray diffraction analysis, which is an effective tool to identify the mineralogical constituents of the building materials comprising stones, mortar, plaster and different painting materials. Representative powdered samples of these materials were studied using x-ray diffractometer (Philips, PW 1840) with Ni-filtered $\text{CuK}\alpha$ radiation at operating conditions of 40 kV/30 mA and a scan speed of 2° (2θ)/min. The results indicated that the studied samples are composed of low Mg-calcite with trace amount of dolomite (Fig. 3).

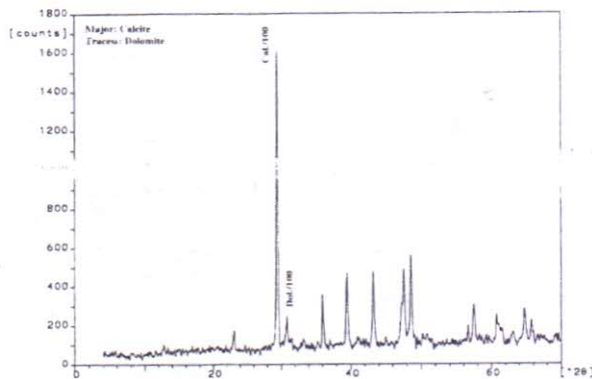


Fig.3. Representative (XRD) Pattern of the studied limestone.

3.3. Scanning Electron Microscope (SEM/EDX) Results

The FEI Quanta 200- Environmental SEM Equipment was used for investigate the untreated limestone and treated limestone samples to identify their micro-morphological, microtextural characteristics and the consolidant penetration on the surface pores, that treated samples were left for two months because of completely setting. The SEM-EDX analysis indicated that:

3.3.1 Untreated Limestone

Untreated limestone samples were characterized by scanning electron microscope (SEM) to identify their micro-morphological and microtextural characteristics. In addition, several (EDX) semi-quantitative microanalyses by

spot and area scan modes were carried out and their results are listed in Table (1).

Table (1) (EDX) analytical results of untreated limestone samples

Sample No.	Analytical results (Wt. %)							
	CO ₂	Cl	Na ₂ O	MgO	Al ₂ O ₃	SiO ₂	SO ₃	CaO
1	53.15	-	00.42	01.97	00.72	02.74	00.24	40.76
2	56.17	00.22	00.71	01.39	00.54	01.82	00.55	38.60
3	50.04	-	-	02.23	00.87	03.50	0042	42.94
4	61.88	01.03	02.23	01.96	01.07	03.02	-	28.81

In addition, the SEM images show that the studied

limestone samples are composed of tiny micrite to microspar rhombic crystals tightly attached to each other (Fig. 4). They show regular to semi-regular orientation. The observed bright batches are due to differential reflection due to micro-relief.

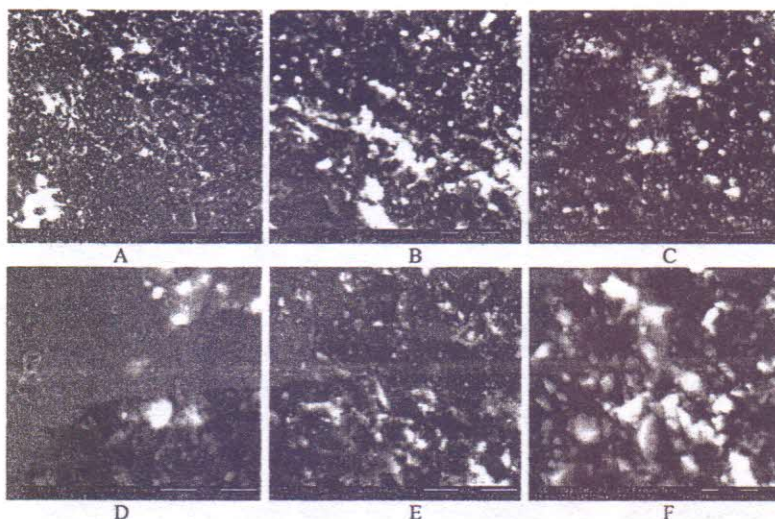


Fig.4 (SEM) images of the investigated untreated limestone samples.

3.3.2 Limestone treated with Paraloid B.72 in toluene 5%

Limestone samples which treated with paraloid B.72 dissolved in Toluene wer investigated by the SEM to identify their micro-morphological , microtextural characteristics and the consolidant penetration on the surface pores, the SEM images indicated that the studied samples: were penetrated with paraloid resin in the stone surface pores and banded the losing grains [fig.5. A, B. C].

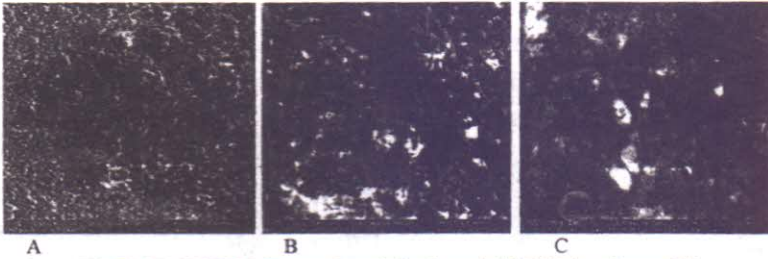


Fig.5.A,B,C (SEM) images (results) of paraloid B.72 in toluene 5%

4.3.3 Limestone treated with Paraloid B.72 in acetone 5%

Limestone samples which treated with paraloid B.72 dissolved in Acetone were investigated by the SEM, which indicated that: thin paraloid film coated some surface parts of the limestone sample this thin coated film is varied in thickness. (fig.5. A, B, C, D, E and F)

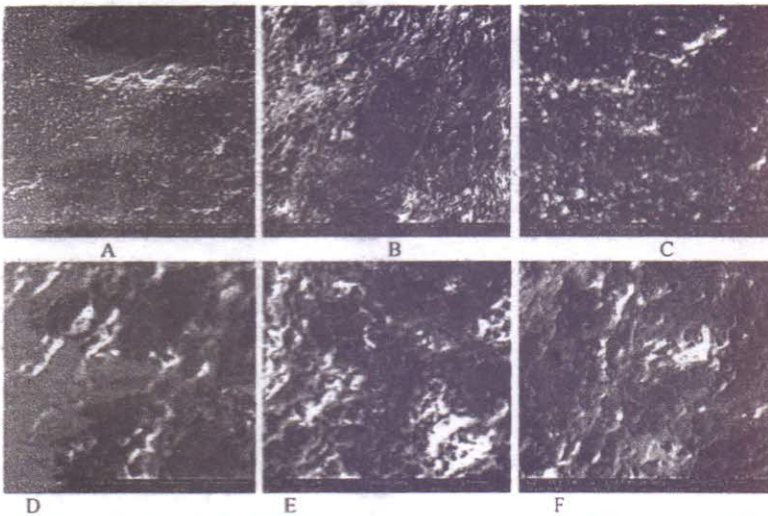


Fig.5.A,B,C, D, E and F, (SEM) images (results) of paraloid B.72 in Acetone 5%.

4.3.4 Limestone treated with Paraloid B-72 in Thinner 5%

Limestone samples that treated with paraloid B.72 dissolved in thinner at room temperature were investigated by the SEM, images observed that, scales of paraloid were formed on the pore surface of the limestone samples especially at the weakness parts. (fig.6. A, B and C)

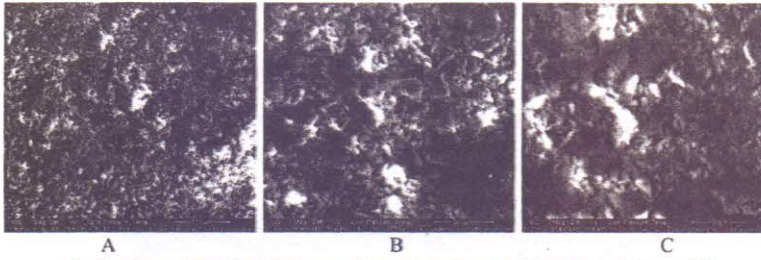


Fig.6.A,B and C, (SEM) images (results) of paraloid B.72 in thinner 5%

4.3.5 Limestone treated with Ethyl silicate

Limestone samples which treated with ethyl silicate were investigated by the SEM, that indicated the following observation a silica gel deposit between the grains of limestone surface jointing the friable calcite grains. [fig.5. A, B, C, D, E and F].

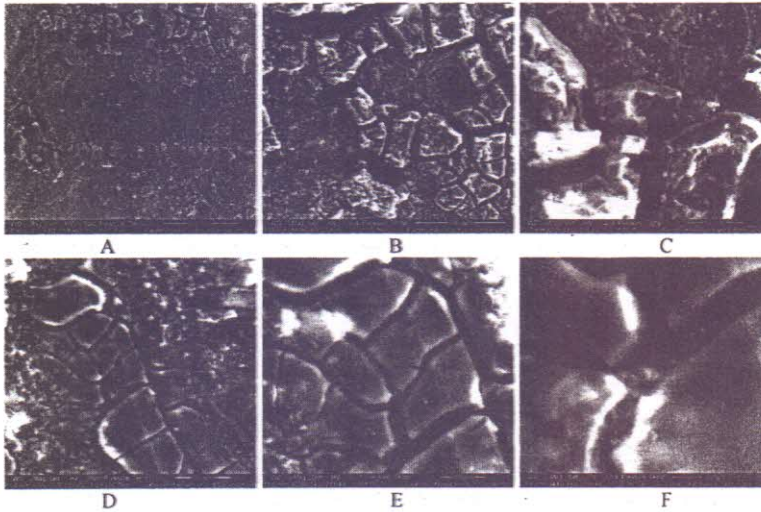


Fig.7.A,B,C, D, E and F, (SEM) images of investigated limestone samples treated with ethyl silicate by SEM.

4.4 The mechanism of resin accumulation in the surface pores of stone

After the solution had risen to the upper surface, the samples were dried under the normal condition and a slice 3 mm thick was cut from the center of each sample, vertical to the direction of capillary rise. The resin distribution was determined by etching the slices with a 5% solution of hydrochloric acid for 0.5, 1 or 2 hours Calcium carbonate was decomposed in the zones where the resin did not penetrate. Characteristic stone 'frames or etching the edges' were

observed as a result of consolidate migration. The following results were obtained for each consolidate materials as follows.

4.4.1 Limestone treated with Paraloid B.72 in toluene 5%

After drying, thin slices were cut off and etched with acid. The results depicted in [fig.8 A, B]

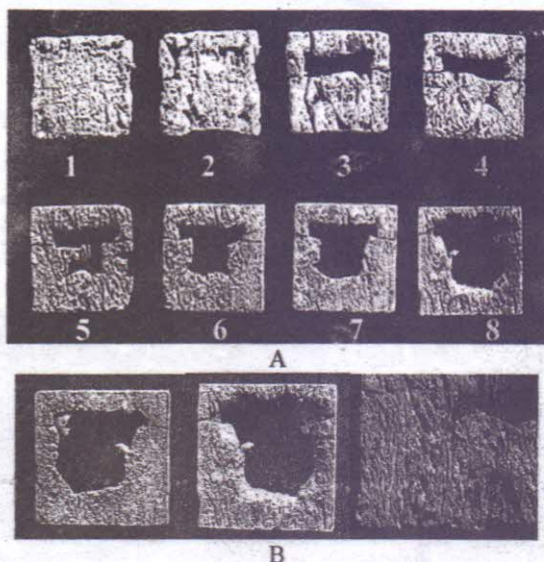


Fig.8.A,B limestone slices cut out of cubes [5 X 5 X 5 cm] treated with paraloid B.72 in toluene 5%. A, upper and lower rows shows the gradually precipitation of resin on the outer surface of the samples proves that the process is due to resin migration during the evaporation of solvent. B, close up for the last slice shows the etching of inner parts with acid that did not consolidate with paraloid B.72 in toluene 5%.

4.4.2 Limestone treated with Paraloid B-72 in Acetone 5%

After drying, thin slices were cut off and etched with acid. The results depicted in [fig.9 A, B, C]

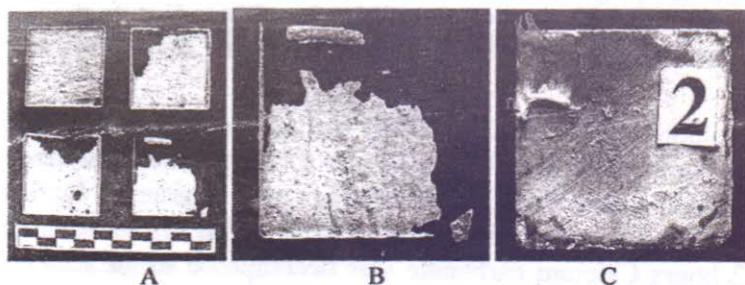


Fig.9.A, B, C. limestone slices cut out of cubes [5 X 5 X 5 cm] treated with paraloid B.72 in acetone 5%. A, the gradually precipitation of resin on the outer surface proves that the process is due to resin

migration during the evaporation of solvent. B, close up for the last slice shows the etching of corner part with acid that did not consolidate with resin, C, thin paraloid film coated some surface parts.

4.4.3 Limestone treated with Paraloid B-72 in Thinner 5%

After drying, thin slices were cut off and etched with acid. The results depicted in (fig.10)

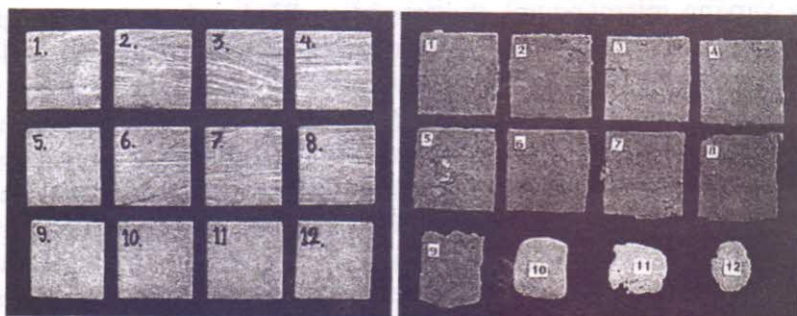


Fig.10. Limestone slices cut out of cubes [5 X 5 X 5 cm] treated with paraloid B.72 in thinner 5%. A, the slices before etching with acid. B, gradually precipitation of resin on the inner surface proves that the process is due to resin migration during the evaporation of solvent B, close up for the 5th and 11th slices shows the etching edges parts with acid that did not consolidate with resin.

4.4.4 Limestone treated with Ethyl silicate

After drying, thin slices were cut off and etched with acid. The results depicted in [fig.11 A, B]

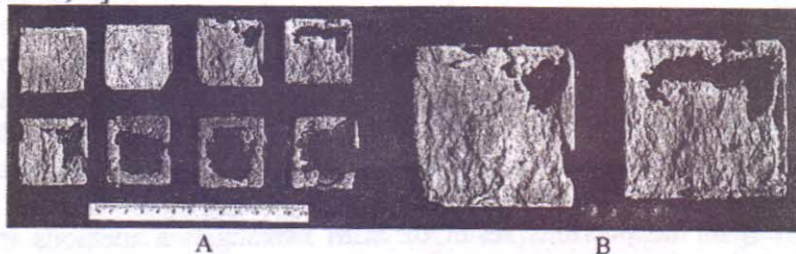


Fig.11.A, B, limestone slices cut out of cubes [5 X 5 X 5 cm] treated with Ethyl silicate A, the gradually precipitation of resin on the outer surface proves that the process is due to resin migration during the evaporation of solvent. B, close up for some slice shows the etching of inner parts with acid that did not consolidate with resin.

5. Discussion and Conclusion

The consolidate distribution was determined on the surfaces by measuring their hydrophobic properties by the time of absorption of drops of water 50 μ l in volume, put in 1 cm distance. An immediate absorption of water drop proved the absence of resin. A reduced rate of infiltration or no infiltration at all provided information on the accumulation resin. The Ethyl silicate obtained the best result about 60% of the total stone sample surface area then paraloid B-72

in Thinner obtained 40% of the total stone sample surface area, paraloid B.72 in toluene obtained 30%, but paraloid B.72 in acetone obtained 10% of the total stone surface area, this low rate of consolidate distribution (P. in Acetone) considered as indication for a rapid evaporation of Acetone.

X-Ray Diffraction (XRD) Result proved that the studied limestone samples are composed mainly of low-Mg Calcite as major constituents with traces of dolomite.

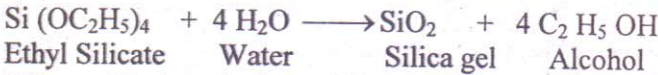
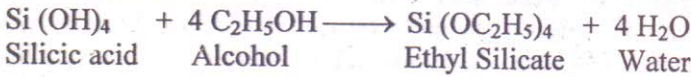
Petrographically, the studied fine-grained limestone samples are heterogenous, show varying microtextural characteristics. Their micron-sized calcite grains are clotted and coagulated to form different micromorphological features. Correspondingly, their porosity values are variable but pores are well connected to each other. These criteria permit the penetration of the applied consolidant materials. Considerable modification due to diagenetic processes are not observed except the small extent of recrystallization of micrite to microspar. SEM characterization reveals that the micrite is not homogenous but has areas of finer or coarser crystals.

Limestone samples which treated with (Paraloid B.72 that dissolved in, toluene, acetone and thinner) and [Ethyl silicate] were investigated by the SEM in order to identify the deep penetration of the consolidate resin on the stone surface after two months of consolidation process. Paraloid in Toluene 5% was penetrated in the stone surface pores and externally banded the loosing grains. Limestone samples which treated with paraloid B.72 dissolved in Acetone 5% have a thin paraloid film coated some surface parts of the limestone sample this thin coated film is varied in thickness. Paraloid had inhomogeneous coated film probably due to rapid solvent evaporation.

Limestone samples which treated with Paraloid B.72 dissolved in thinner showed a scales of paraloid were formed on the surface of the limestone samples especially at the friable surface parts. So it is recommended that using of toluene solvent with paraloid shows a better surface penetration than acetone and thinner solvents.

According to the pervious result of SEM investigation methods it can be deduced that the choice of solvent is extremely important as the solutions should be characterized by a low viscosity in order to penetrate easily through the pores and should not be subjected to the effect of phase separation which could reduce the penetration of resin into the deeper pores. The solvent should show an easy capillary rise which depends on the ratio of the surface tension to viscosity. The volatility, on the contrary, should be reduced, as by capillary rise into fine-porous stones the solution may be subjected to concentration due to rapid solvent evaporation.

Limestone samples which treated with ethyl silicate (Silicic acid + Alcohol) was showed a silica gel deposit between the calcite grains of limestone surface jointing the friable calcite grains. Silica gel can be obtained resulting to the following equations:



Silica gel is deposited as a binder between the calcite grains. This silica gel is a pure mineral, random and amorphous. [Mayer H. 1999], [Bradley, S and others 1999], [Łukaszewicz, J. W 1996]

Limestone slices treated with paraloid B.72 in toluene 5%. shows the gradually precipitation of resin on the outer surface proves that the process is due to resin migration during the evaporation of solvent, the etching inner parts with acid that did not consolidate with paraloid B.72 in toluene 5%. The etching with acid began from the first slice gradually till etching 50% of volume in the last slices.

Limestone samples treated with paraloid B.72 in acetone 5%, were etched from one corner till completely etching of this corner. The paraloid B.72 in acetone 5%, was achieved the lower consolidation ratio comparing with the other solvent, probably due to rapid solvent (Acetone) evaporation.

Limestone slices treated with paraloid B.72 in thinner 5%. showed the etching edges parts with acid that did not consolidate with resin. But the internal parts were completely consolidate on the contrary of paraloid B.72 with acetone and toluene, this mean that the behavior of consolidate materials depends on the kind of solvent. But in this case [Paraloid B.72 in thinner] needs a deeply study to determine the relationship between resin, solvent, stone and the condition of applying the consolidate.

Limestone slices cut out of cubes [5 X 5 X 5 cm] treated with Ethyl silicate shows, the gradually precipitation of resin on the outer surface proves that the process is due to resin migration during the evaporation of solvent, it is observed that slices etched from inner parts with acid that did not consolidate with resin.

6. References

- Moses, C. A.: *Methods for investigating stone decay mechanisms in polluted and clean environments*, Northern Ireland, Processes of urban stone decay, Belfast, 1996, pp. 212-227
- Grimal, Nicholas. *A History of Ancient Egypt*. p.109. Librairie Arthème Fayard, 1988
- Domaslowski, W.: *Strukturalne wzmacnianie kamienia pinczowskiego polimeta-krylane n butylu* [*Structural consolidation of limestone Pinczow with butyl polymethacrylate*, - *Ochrona Zabytkow*, 4, pp. 285-294, (in Polish) 1976
- Bradley S., Shashoua, Y. & Walker, W., *Anovel inorganic polymer for the conservation of ceramic objects.*, [IN]: ICCOM Committee for Conservation., 12th Triennial Meeting, Lyon, 29 August- 3 Sept. 1999, P.770
- Mayer H., *The chemistry and properties of silicone resins*, Wacker-Chemie GmbH, Burghausen, Germany, [IN]: JOCCA, Journal of the Oil & Colour Chemists Association Vol. 82, No.2, 1999 P.77
- Lukaszewicz J. W., *The influence of ageing of polyalkoxysilane gel on the properties of stone consolidated with silicon esters*, [W:] J. Ciabach (ed), Proceedings of the International Congress on Deterioration and Conservation of stone, Toruń 1988. s. 182.
- Lukaszewicz J. W., *The influence of stone pre-consolidation with ethyl silicate on soluble*, [IN:] International congress on deterioration and conservation of stone, Berlin, Germany 1996 pp 1203 - 1208.
- Lukaszewicz, J. W., *The influence of stone pre-consolidation with ethyl silicate on deep consolidation*, [IN:] International congress on deterioration and conservation of stone, Berlin, Germany 1996 pp 1209 - 1214.
- Tucker, M. E., *Sedimentary Petrology*. Blackwell Sci. Publ., 1981, 252p.

STUDYING OF THE CURRENT STATUS OF THE GRECO-ROMAN PART IN THE TEMPLE OF MEDINET HABU AT LUXOR – EGYPT.

Hussein M. Ali^{*}, Mohse: M. Saleh^{**} and Mohamed M. El-Sankary³

Abstract:

Temple of Medinet Habu locates on the west bank of the river Nile at Luxor. It was dedicated to the king Ramesses III [19th dynasty New kingdom] as a mortuary temple. The building was begun during the Middle kingdom and remained in use until the Coptic period. Some parts of this temple were built at the time of Antonius Pius 138 – 161 AC that used as a church in the Coptic period. Sandstone was used as building materials in the Medinet Habu Temple (small temple to Priestess Amernirdas at Medinet Habu).

Medinet Habu Temple is exposed to different destructive factors such as big daily difference between humidity and temperature, the high level of the underground water, wind erosion, biological effects ...etc.

The present paper close up on the actual condition of the Greco-Roman part in the temple of Medinet Habu and diagnosis the deterioration factors and its effect on the building materials as the first step for conservation plan.

Different investigation methods were used to investigate the building materials [stone, mortar and plaster] such as Light Optical Microscope (LOM), Polarizing Microscope (P.M) and X-Ray Diffraction (XRD).

1. Introduction

Medinet Habu was the administrative centre of western Thebes during Ramesses III reign and for some time afterwards. When the workmen constructing the royal tombs in the Valley of the Kings went on strike, they went to Medinet Habu to demand payment. During troubled times the local people sought shelter within the walls of the complex. the area became covered by the Coptic town, Djeme, during the Christian era, when one of the courts was used as a church.

^{*} Conservation dept., Faculty of Fine Arts, Minia Univ., Egypt

^{**} Conservation dept., Faculty of Archaeology, Cairo Univ., Egypt

The last part of the temple complex of Habu was built during the Roman reign of Pius (138 - 161 AC) and the interior of was later used as an early church, as happened to many of the ancient temples.

The rising levels of water from underground reservoirs in locations throughout Egypt may put another of monuments in danger. These monuments are all made from stone which capillary effect thus causing a large of water to be taken into the main foundation of the monument.

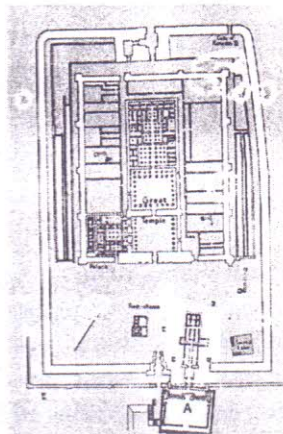


Fig.1. the Greco-Roman part in the temple of Medinet Habu at Luxor

Medinet Antonius this part (Fig. 1)

selection has the amount

Medinet Habu Temple is exposed to different destructive factors that threaten the existence of many details of Habu temple, so diagnosis the deterioration factors and its effect on the building materials consider as the main point of the conservation plan.

The studied samples represent diversified materia! (stones, mortar and plaster) that were collected from the archaeological site of Greco-Roman part Medinet Habu Temple, Luxor, Egypt. The results of such investigations are greatly applicable in the determination of the causes of deterioration and the suitable methods of conservation

2. Materials and Methods

Investigation of the monuments is the most important step in its conservation and preservation. Modern methods of investigation are lately used to give us an idea about building materials such as stone, mortar, plaster and pigments.

Different investigation methods were used to investigate the building materials and its damages aspects by direct field observation and by the laboratory testing the samples that taken from various materials [stones, plaster and mortar] X-ray diffraction method (XRD), light optical microscope [LOM], polarized microscope studies were used to examine the samples of all types of materials mentioned above.

3. Results

3.1 Field Observation

According to the field observation from 2003 till 2007 AD the next observation points were noticed as follow:

- The site and surround area of Greco-Roman temple.

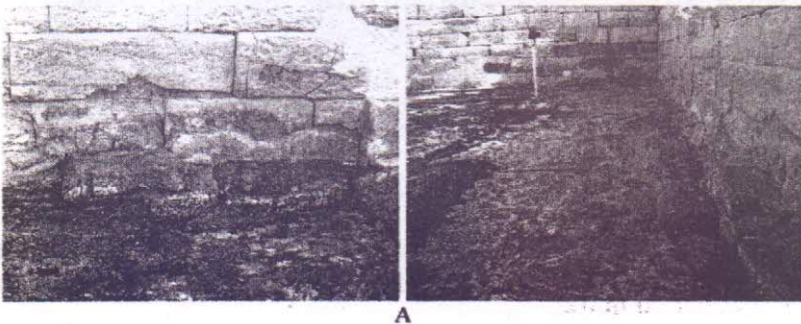
A hot air balloon recorded a view of the main entrance area and the High Gate and the Greco-Roman part at Medinet Habu temple. (Fig.2, A and B). It can be observed that eastern border was an agriculture fields in addition to several populated houses.



Fig.2, A and B, (A) showing the entrance area of the complex at Medinet Habu, including the sacred well. (B) a view of the main entrance area and the High Gate and the Greco-Roman part at Medinet Habu temple

- The humid and saline soil.

Two years ago a thick white salt layers had been observed and still forming from time to time especially in the eastern part of the Greco-Roman temple. Below ground water poses a major threat to the safety of the Habu temple because the water can erode the lower portions of the stone structures. This erosion process is the result of an accumulation of sodium chloride (salts) eating away at the foundation and walls stones. (Fig. 3)



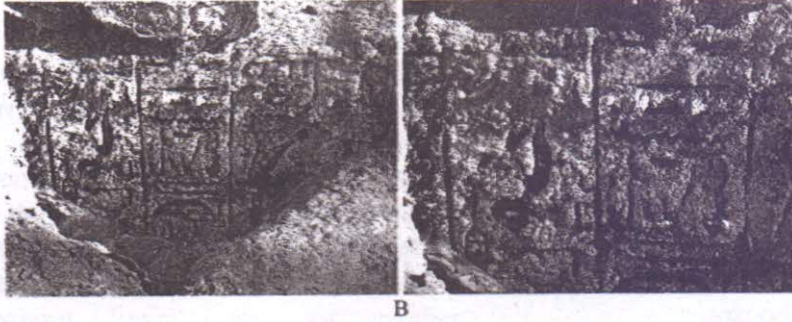


Fig.3. A and B, (A) humid and saline soil of the eastern entrance Greco-Roman area of the complex at Medinet Habu., (B) a white salt crust layers covering and destroying the hieroglyphic text on the eastern Greco-Roman walls.

- Crumbling

According to the scientific definition of this form discussed before by (Van Grieken, F., et al., 1998) and (Storemyr, P., 2000), we can decide that this form represents the major deterioration form affecting the Habu Greco-Roman temple stones where, it occurred because of salts migration slower than the drying rate, where solute crystallizes within the pores, at varying depth, causing crumbling and powdering of the stone leading to detachment of large compact stone elements in the form of crumbs, also this form may be resulting from flaking and may be changed to splintering or contour scaling. (El-Gohary, M.A 2006) (Fig.4)

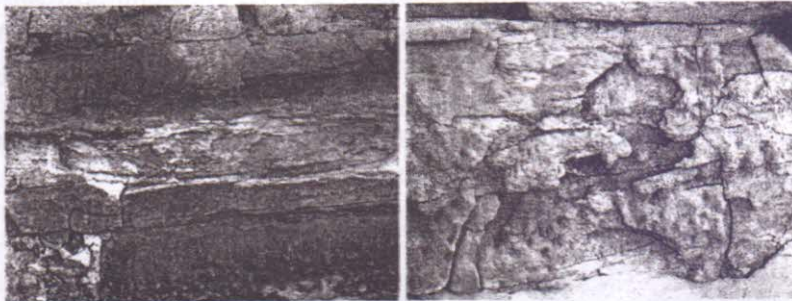
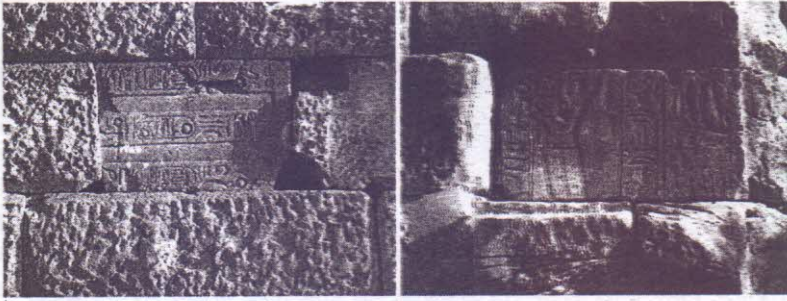


Fig.4, Crumbling phenomenon on the eastern walls of Habu Greco-Roman area.

- Man made deterioration

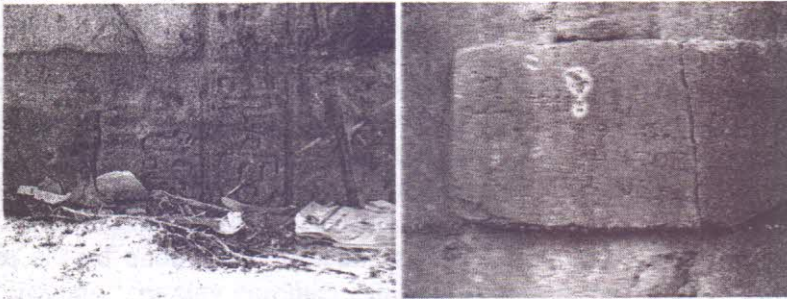
According to the field observation about 17 blocks of stone in different places at Habu temple reused in the incorrect position, in addition to the negligence of

the outer surface of eastern wall of Habu temple, on the other hand a new scratching written on the stone surface. (Fig.5)



A

Fig.5, A, reused of two blocks of stone in the incorrect position at Greco-Roman area of the complex at Medinet Habu.

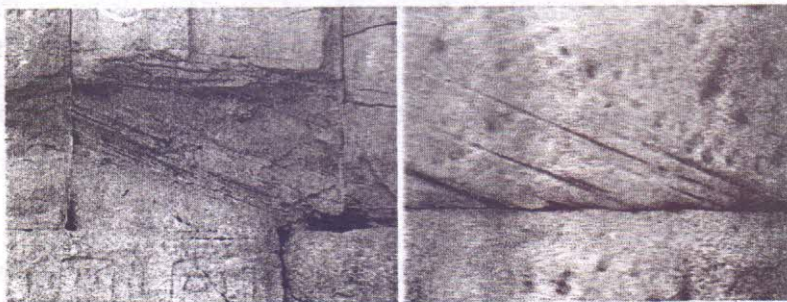


B

Fig.5, B, The negligence of the outer stone surface of eastern wall of Habu temple, and a new scratching written on the stone surface at the eastern Greco-Roman walls of the complex at Medinet Habu.

- Geological defect

Different differential weathering of sandstone shows a cross-bedded layers that consider as weakness parts in the stone blocks. On the other hand a differential weathering of granite. (Fig.6)



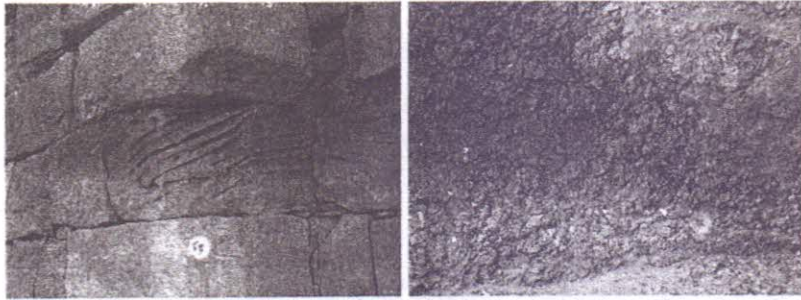


Fig.6, Cross-bedded layers of sandstone, and differential weathering of granite.

- Biological effect

Small birds can damage soft stone with their bills. The species most commonly involved appear to be the Blue Tit (*Parus caeruleus*) and the House Sparrow (*Passer domesticus*) who appear to be seeking grit. They may also be seeking salt. The damage caused by their bills might not be very conspicuous on broad stretches of ashlar, but on carved features in soft stone it can become a matter for concern. However more damage is unquestionably done by the roosting and nesting of birds on masonry. Starlings (*Sturnus vulgaris*) and wild, feral and domestic pigeons are the main offenders. Decay is caused mainly by the accumulation of their droppings and nesting materials. These can form compost which breaks down as a result of bacterial action and releases acids which will attack limestone and calcareous sandstone. The compost also contains salts which might cause crystallization damage to any susceptible type of stone. (Fig.7)

Bio-deterioration in the historical building caused by the microorganisms is as danger as the physiochemical processes of deterioration. It can be said that there are some factors controlling the growth of microorganisms on the wall surfaces in the historical buildings this are: the different ratio between humidity and temperatures, sun light, water content in building materials, used in these the historical buildings. In addition there are some organic components present in the building.

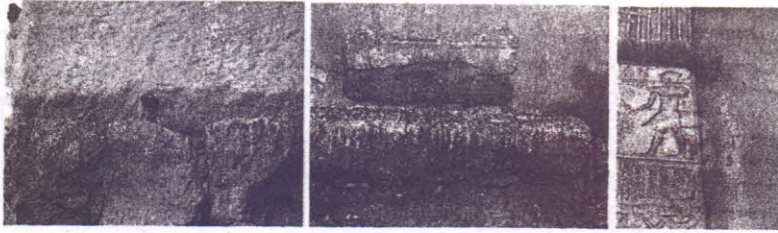


Fig.7, Biological effect by birds roosting at eastern Greco-Roman walls of the complex at Medinet Habu.

-Effective cracks and micro fissures,

according to many previous studies created by (Pinińska, J., et al., 2003), (Doehen, E., 1994) and (Doehen, E., 1981), we can say that cracks are more effective features of deterioration resulting either from the effect of mechanical stress due to crystal growth, hydration pressure or due to mechanical effects of earthquake, also, it may be in individual fissures as bedding, foliation and banding. In our case, we can see that all of these cracks especially that Presence in eternal parts play an important role in the deterioration phenomena affecting both physical and mechanical properties of building materials, also, we can decide that most of these cracks especially that present underlying the covering structures lead to some displacement are due mainly soil movement at Habu temple. (Fig. 8 A,B)

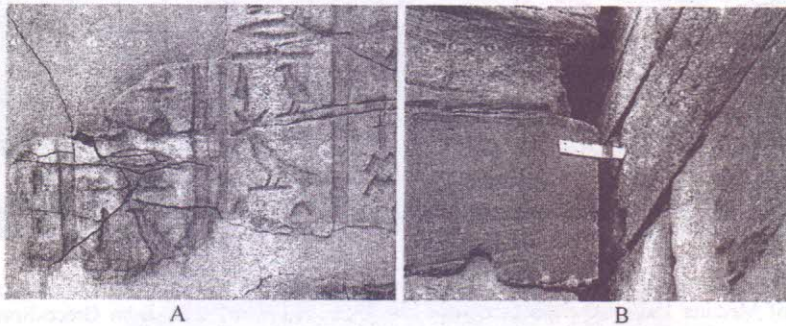


Fig.8, A,B., A micro fissures of sandstone, B, crack due to soil movement at western part of Greco-Roman walls of the complex at Medinet Habu.

3.2 Optical Microscope Results

Different samples of sandstone from eastern wall and thin plaster with colored layer on the lentil. Were investigated with LOM which indicated that, sandstone is fine to very fine-grained, cross-bedded Nubia sandstone blocks.

The investigated plaster shows two kinds of plasters, first very fine white wash with red color, second coarse plaster composed of lime Quartz and powder of limestone; it is also important to mention that color also applied directly to sandstone at Habu Greco-Roman walls. (Fig.9 A, B and C).

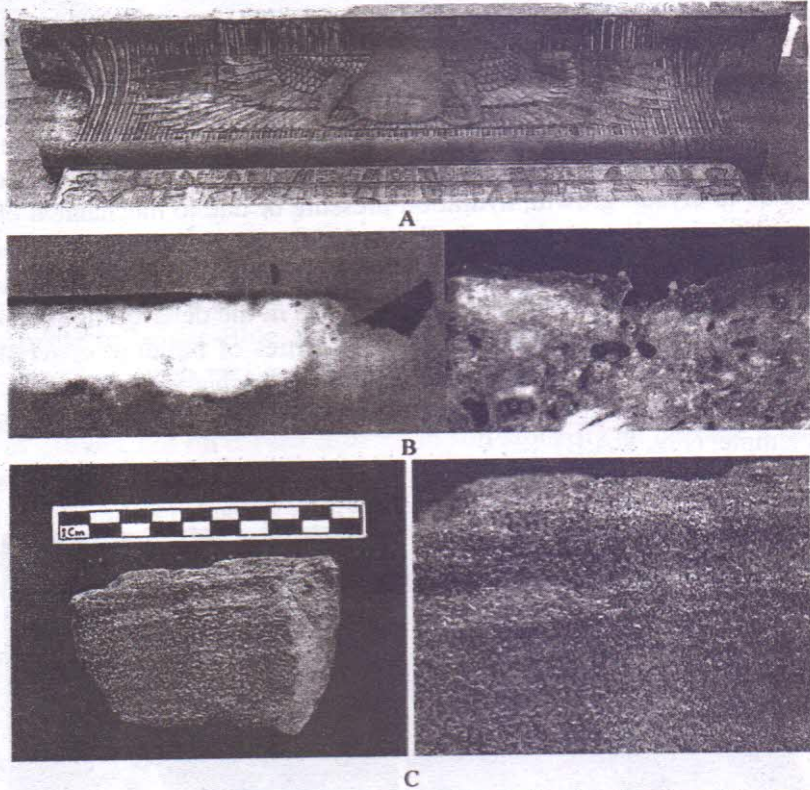


Fig.9. A,B and C. A decorated sandstone lintel with white wash and color Greco-Roman temple the complex of Medinet Habu. B. cross section of two kinds of colored layer from Greco-Roman, Habu temple. C. fine to very fine-grained, cross-bedded Nubia sandstone blocks Habu temple.

3.3 Petrographical Investigation

Thin sections representing the building stones, mortar and plaster were prepared and examined using polarizing microscopy. Investigation results are presented as follows:

- Building stones

They are mainly composed of fine to very fine-grained, cross-bedded Nubia sandstone blocks. Lithologically, the framework grains of these sandstones are composed mainly of quartz and are classified as quartzarenite according to

Folk (1980). Monocrystalline quartz grains are dominant, whereas polycrystalline grains are scarcely recorded. The observed diagenetic features in these sandstones comprise compaction, cementation and replacement. Early diagenesis comprises mechanical compaction, and pore-filling cementation with iron oxides. Compaction resulted in reorientation and repacking of detrital grains showing long and concavo-convex grain contacts (Fig. 10 A, B, C, E, F, G and H) Late diagenesis includes partial dissolution of the framework quartz-grain rims and subsequent formation of pore-filling silica cements that partly completely replaces the preceding iron-oxide cement. This silica cementation gives the stones its highly indurated character that responsible for its good state of preservation for long time.

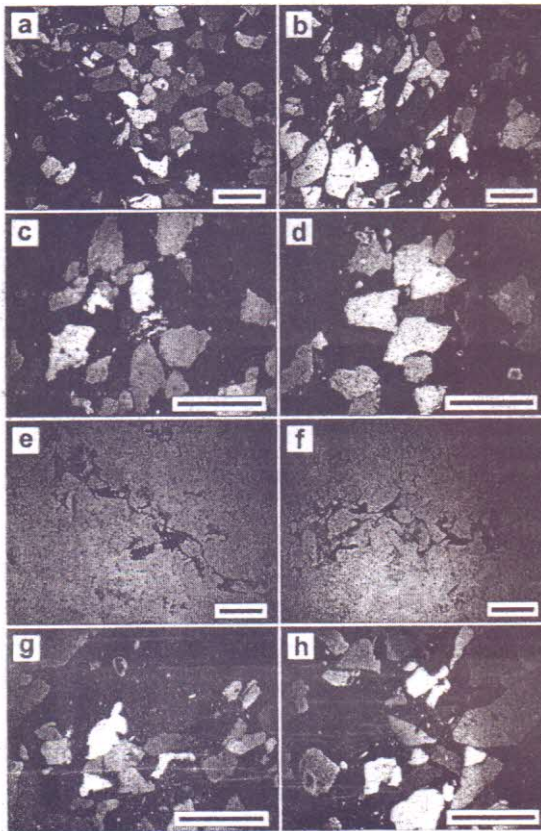


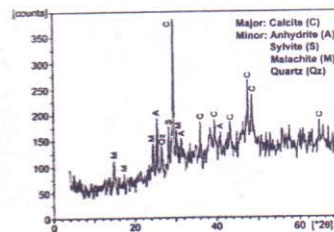
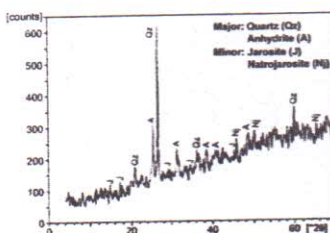
Fig. 10. Photomicrographs of Nubia sandstones; (a,b) Long and concavo-convex grain contacts between quartz grains by compaction; (c,d) Quartz dissolution along the margins of detrital quartz grains, notice polycrystalline quartz grain and isotropic cryptocrystalline silica groundmass (e,f) Pore space filled with dark iron oxide cement; (g,h) Relics of iron oxide cement show partial replacement with isotropic cryptocrystalline silica cement. All photomicrographs are in crossed polarized light (XPL) except (e,f) in plane polarized light (PPL); bar scale equals 200 μ m.

3.4 Mineralogical Investigation

Mineralogical investigation was carried out through X-ray diffraction analysis, which is an effective tool to identify the mineralogical constituents of the building materials comprising stones, mortar, plaster and different painting materials. Representative powdered samples of these materials were studied using x-ray diffractometer (Philips, PW 1840) with Ni-filtered $\text{CuK}\alpha$ radiation at operating conditions of 40 kV/30 mA and a scan speed of $2^\circ (2\theta)/\text{min}$. The results of investigation are illustrated in (Figs. 11) and described as follows.

Building sandstone blocks are mainly composed of quartz. The accompanying little amount of anhydrite and traces of jarosite and natrojarosite are related to the presence of traces of the cladding yellow-painted plaster. On the other hand, mortar is composed mainly of calcite, Quartz is either included by different proportions or completely absent. Plaster is mainly composed of anhydrite associated with different proportions of quartz and relict gypsum. Efflorescent salts affect the lower parts of some walls are composed of halite either disseminated within the building materials or as pure crystals.

Painting materials are variable, including that responsible for green, blue-green to blue colourations like malachite $\text{Cu}_2\text{CO}_3(\text{OH})_2$ (green), cuprorivaite $\text{CaCuSi}_4\text{O}_{10}$ (Egyptian-blue), turquoise $\text{CuAl}_6(\text{PO}_4)_4(\text{OH})_8 \cdot 4\text{H}_2\text{O}$ (sky-blue), covellite CuS (indigo-blue). Other minerals were used as paints of different colours like bornite Cu_5FeS_4 (coppery-red), tetrahedrite $(\text{Cu},\text{Fe})_{12}\text{Sb}_4\text{S}_{13}$ (iron-black), enargite Cu_3AsS_4 (iron-black), goethite $\alpha\text{-FeO}(\text{OH})$ (reddish-black), hematite Fe_2O_3 (red), siderite FeCO_3 (brownish-red) and hydrous iron sulphates like jarosite (ochre-yellow) and natrojarosite (golden-yellow). In addition, some salt minerals are also detected as traces like alunite $\text{KAl}_3(\text{SO}_4)_2(\text{OH})_6$, sylvite KCl , celestite SrSO_4 and trona (Arabic natrun) $\text{Na}_3\text{H}(\text{CO}_3)_2 \cdot 2\text{H}_2\text{O}$. These salts are probably used for paint fixation.



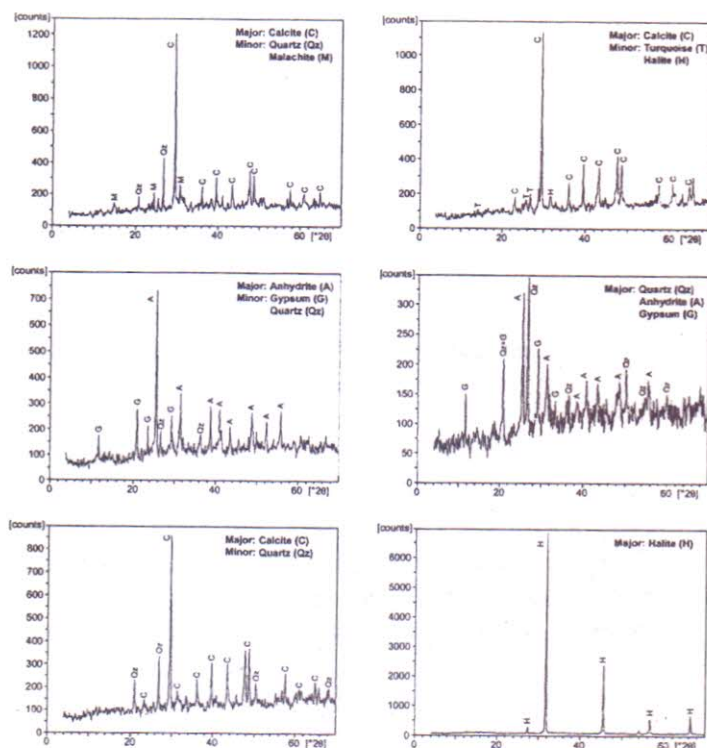


Fig. 11 (XRD) patterns of representative Greco-Roman, Habu temple samples

A full study on some materials of the monument's elements represent the Paint layer, plaster layer, mortar and Salts had been carried out .

The study gives an idea about the compounds of these materials.

The results prove that the plaster layer consists of Anhydrite CaSO_4 , Calcite CaCO_3 and Gypsum $\text{CaSO}_4 \cdot \text{H}_2\text{O}$. The investigation proved also that there is Halite NaCl in the mortar of plaster layer.

4. Discussion and conclusion

The Antiquities of Egypt are part of an active environment, which brings considerable damage to sites, historic structures and monuments. It is important to conserve large to small sites increasingly harmed by groundwater and invasive moisture. Salt accumulation and degradation of the surface of stone architecture and monuments unfortunately occur along the lower courses and foundations of walls (temple of Ramses III at Karnak north exterior wall; and small temple to Priestess Amernirdas at Medinet Habu).

The source of the underground water stems mostly from the lack of a proper water disposal system in the populated areas. Habu temple is situated in a high plantation and farming zone, thus waste water is accumulated through nearby trenches. The water works its way below the surface and reach the monuments. Water can erode the lower portions of the stone structures. This erosion process is the result of an accumulation of sodium chloride (salts) eating away at the foundation stones

According to field observation the Medinet Habu Temples are suffering from different destructive factors that threaten the existence of many details of Habu temple, such as the high level of the under ground water, saline soil, biological effects ...etc.

Biological damage is unquestionably done by the roosting and nesting of birds on masonry. Starlings (*Sturnus vulgaris*) and wild, feral and domestic pigeons are the main offenders. Decay is caused mainly by the accumulation of their droppings and nesting materials. These can form compost which breaks down as a result of bacterial action and releases acids which will attack limestone and calcareous sandstone. The compost also contains salts which might cause crystallization damage to any susceptible type of stone. This aspect has not been adequately investigated. Such troubles are likely to be most serious when the birds roost among statuary.

Mason bees also can harm stonework. The type involved in bores holes in soft stone to provide a safe refuge for its eggs and grubs. The stones affected are mainly loosely bonded possibly argillaceous sandstones. A massive attack could result in highly disfigured stonework that is possibly so weakened that the stability of that part of the building is threatened. Such attack is however, unlikely to make the stone more susceptible to wind erosion or to any other of the main causes of decay. Bio-deterioration in the historical building caused by the microorganisms is as danger as the physiochemical processes of deterioration. It can be said that there are some factors controlling the growth of microorganisms on the wall surfaces in the historical buildings this are: the different ratio between humidity and temperatures, sun light, water content in building materials, used in these the historical buildings. In addition there are some organic components present in the building

Sandstone of Medinet Habu Temples is mainly composed of fine to very fine-grained, cross-bedded Nubia sandstone blocks. Lithologically, the framework

grains of these sandstones are composed mainly of quartz and are classified as quartzarenite.

The investigated plaster shows two kinds of plasters, first very fine white wash with red color, second coarse plaster composed of lime Quartz and powder of limestone, it is also important to mentioned that color also applied directly to sandstone at Habu Greco-Roman walls.

According to XRD, building sandstone blocks are mainly composed of quartz. The accompanying little amount of anhydrite and traces of jarosite and natrojarosite are related to the presence of traces of the cladding yellow-painted plaster. On the other hand, mortar is composed mainly of calcite, Quartz is either included by different proportions or completely absent. Plaster is mainly composed of anhydrite associated with different proportions of quartz and relict gypsum. Efflorescent salts affect the lower parts of some walls are composed of halite either disseminated within the building materials or as pure crystals.

Finally the small temple to Priestess Amernirdas (Greco-Roman) at Medinet Habu) is in a bad condition that threaten the existence of Greco-Roman part at Habu temple by the long term from disappearing. So this part of Habu temple is in need of rapid studied conservation plan of work that can be applied to save this important Egyptian monument.

Reference

Doehen, E.: In situ dynamics of Sodium sulphate hydration and dehydration in stone pore: observation at high magnification using the Environmental Scanning Electron Microscope, "La conservazione dei monumenti nel bacino del mediterraneo", Venezia, 1994, pp: 143-150

El gohary, M., Observation and explanation of limestone weathering in Middle Delte, El-tuba minaret as a case study-El Mehalla, Egypt., [IN] Conference and Workshop on Conservation and Restoration, The Future View of Conservation and Rehabilitation of Archaeological Areas, Faculty of Fine Arts, Minia Univ. April 2006, pp 167-190.

Folk, R.L., 1980: Petrology of Sedimentary Rocks. Hemphill Publ., Texas, USA, p 182.

Goins, E.S., 2004: **Standard Practice for Determining the Components of Historic Cementitious Materials**. National Center for Preservation Technology and Training Publ. No. 2002-20, Louisiana, USA, p 68.

Matteoli, U., et al.: **Humidity in stones -II- Humidity and temperature determinations in various lithotypes**, "The conservation of stone II", 1981, pp: 475-481

Pinińska, J., et al.: **Use of geomechanical research in the conservation of stone monuments (Maadi Town Temple, Fayoum, Egypt)** Geological Quarterly, 47 (1), 2003, pp: 1-12

Storemyr, P.: **Weathering of Soapstone at Norwegian monuments an overview of current knowledge**, "The restoration workshop of Nidaros cultural, Trondheim, Norway, 2000, pp: 1-22

Van Grieken, F., et al.: **Cultural heritage and the environment**, Pure & Appl. Chem., Vol. 70, No.12, Great Britain, 1998, , pp. 2327-2331,

Study the effect of weathering factors on the granite stone status

Dr. Mohamed Ahmed Ahmed Awad

Abstract:

The present research is a scientific study, which deals with studying the dangerous role of the weathering factors, Nile water, and Saline ground water in deterioration of granite status lies in the eastern south side of Karnak's Temple which dates to the 20th dynasty granite rock.

The Saline ground water, subsoil water and infiltrated Nile water are considered one of the principal physio-chemical factors attacking the different Stone Monuments which used in the Karnak Temple and cause serious damage to mineral constituents and the physical structure of the building Materials (Stones, Mortars, Plasters, Bricks) used in the building previously mentioned.

On the other hand, the present research shows that the Water table is considerably high in the first Pylon, Avenue of Crib-Sphinxes, (Sphinx lined Dromes) Statues, the granite statues and the different Columns bases because the porosity of Sedimentary rock used in these constructions (Sandstone) is commonly high.

Deterioration phenomena are found to be a result of humidity and Changes of Temperature, from 50 C – Zero C and direct sun rays.

Two Granite stone samples were collected from the different mine locations on the lower parts of the different Stone Monuments and specimens were taken from the soggy soil at depth of 50cm for investigation and examination by x-ray diffraction, x-ray fluorescence and scanning electron microscopic.

The results show that the content of soil samples were quartz, calcite, montmorillonite, halite, dolomite, illite and other clay minerals.

The results of stone samples by x-ray and scanning electron microscopic investigation show the presence of calcite, quartz, halites, aluminum oxide and iron oxide.

This study presents a project for conservation and restoration the impaired parts and complete the lost parts as well as re-excavations works, Cleaning, Depth and Removal of great Quantities of dust and leftovers from the old biggest drain.

INTRODUCTION

The construction of Karnak temples probably dates back to the 16th century B.C. The temples of Karnak at Luxor are the most important historic places and the most famous ancient building in Upper Egypt. The Karnak temples occupy an area of about 60 acres. The temple was the seat of the throne of Amun and a center of administration. For this reason the pharaohs enlarged its area and built additional annexes to it, until it became the largest place of worship known to man. Here, prayers were held, the courtyard, the largest festivities were held. Several smaller temples were added to it, such as the temple of Mentu, Ruler of the first province, the temple of Mut, Amun's wife, and the temple of Khonsu, god of the moon and Amun's son.

There is the great hall of pillars, with its 134 columns. The crowns of 12 of them are in the shape of the papyrus. The great hall was built in the days of Seti I and Ramses II. There are two obelisks, one for Thutmose III and the other for his daughter Hatshepsut, this latter obelisk is 29.5 metres high, with an estimated weight of 320 tons. But the sacred lake, lying outside the Hall of Ceremonies.

In the eastern south side (to the right) of the first courtyard of Karnak temple there is a temple for the Theban Trinity, built by Ramses III, this small temple is the first example of the basilica shape in the world, which dates to the 20th dynasty. The plan of the Ramses III temple is similar to that of the dwelling of a wealthy Egyptian.

The court and raised portico of the temple correspond to the public reception area and have a forerunner in the models found in the tomb of Meketre, eight hundred years earlier, where there is a court and porch, the roof of the latter supported by four rows of columns. The hypostyle hall of the temple, behind the portico, corresponds to the family living quarters of a private house. In temples which had a resident deity, the god was paraded in such a hall during festivals, but we have no means of knowing what part of the cult took place in this hall.

At the rear are the chapels for the barks, similar to the sleeping rooms of a house. The bark of Amun rested in the central chapel, that for Khonsu was on the right and for Mut on the left.

The towers of the pylons are 33 feet each in length, barely larger than the mud brick pylons before the mountain top shrine of Montuhotep III.

The sandstone of this quarry is mainly composed of rounded and angular grains cemented by different binding materials: ferruginous, siliceous, carbonaceous.

The effect of the damages factors on the statues which made from granite rocks (Igneous rocks).

There are a lot of Environmental factors that played a role in the decline and deterioration of the granite statues and the Architectural elements such as the saline ground water , subsoil water , and infiltrated Nile water are considered one of the principal physio -chemical factors attacking the different Stone Monuments which used in Karnak Temple (Karnak area) and cause serious damage to mineral constituents and the physical structure of the building Materials (Stones ,Mortars , Plasters, and mud Bricks ,) used in the building previously mentioned . The Water table is considerably high in the first and second Pylon, the lower parts of walls, the mud - brick fences, Avenue of Crib-Sphinxes Statues. (There are a 3000 metre long paved road connecting the temple of Karnak and the temple of luxor , on both sides are statues of the Sphinx with a human head or tup head and the body of a lion ,) and the different Columns bases , The sources of the saline ground water, migration and infiltration water (weathering) could be; The wells water at Karnak area , the river Nile after the high dame was built in about 1964 , ThePharaoh Lake and the agricultural fields behind the mud Brick fences. The most dangerous factors inKarnak tempies is the increasing movements of water in the groundlayers and in the layers containing ground water at low depths for there is always formed above the level of ground water a kind of capillary tubes that transfer water to higher levels according to moisture . This water is called continuous capillary water there also exists an area of water but not enough to rise up ward within the level of capillary tubes water . the level of moisture in this water depends upon porous evaporation . On the other hand , The Climate in Luxor City is chara cterized by severe fluctuation in temperatures according to the different seasons of the year . in winter , the temperature ranges between zero c (centigrade) and 25 c but in summer the main maximum temperature under the shade commonly rises to more than 50 c . The minimum relative humidity in Luxor city is , at May ranges from 40 % (percent) to 50 % , while as the maximum level in December ranges from 80 % . The fluctuation of relative humidity leads to chemical reactions in stones causing crystallization and re crystallization of sulfate &chloride salts , which results in turn cracking and spalling of sandstone and granite stone .

The sources of moisture or the relative humidity could be ;

- 1-Infiltration of water due to holes in the roof and leaking or the expasure of wall to rain
- 2- Rising damp in walls in relation to the wet ground by a capillary action .

3- Condensation of humid air on cold walls.

4 - Moisture resulting from damp air.

EXPERIMENTAL WORK;

Seven Sandstone samples and two Granite stone samples were collected from the different mine locations on the lower parts of the different Stone Monuments and specimens were taken from the soggy soil at depth of 50 cm to 75 cm for investigation and examination by x-ray diffraction , x - ray fluorescence and scanning electron microscopic

PROCEDURES AND APPARATUS;

The present work is one of the earliest comprehensive x- ray analyses of the materials used in different statues and planned to provide information needed for the proposition plan of the Architectural and Fine Restoration

The x-ray diffraction scans were taken by a Philips X- ray diffractometer under the following operating conditions Ge. 40 kV, 55 m A , copper radiation and Ni-filter , Gon . Sc.v. 2 / min , chart v. 10 mm / min , counting rate 4×10^2 or 1×10^3 c.p.s, using a proportional counter .

The x- ray fluorescence (X R F) and scanning electron microscope (S.E.M.) were taken by joel scanning microscope (J .S.M.)5300 L.V. Under following operating conditions HNU, x-ray system 5000 spectrum plotting program print plot V,3,000, energy range, 0,20 kev .10 ev /ch .,

PETROGRAPHIC STUDY

1—THE PETROGRAPHY OF GRANITE STONE

Granite is an igneous rock , which was transported from Cataracts area ,and composed primarily of quartz , feldspar , mica , and hornblende . Colors very depending on the amount and type of secondary minerals . Feldspar produces red , pink or clear crystals, brown , buff , gray , and cream colors .while hornblende combining often with lime or iron, appears green ,brown ,or black and mica with iron or potash produces clear crystals , dark green or black .

Serpentine ,in combination with lime ,is generally green or yellow in colors .

Granite is classified as fine , medium , or coarse -grained .It is very hard , strong , and durable , and is noted for its hard - wearing qualities .

Compressive strength may range from 7700 to 60,000 psi , Standard Specification for Granite Building Stone , requires a minimum of 19,000psi for acceptable performance in building construction . While the hardness of the stone lends itself to a highly polished surface , it also makes sawing and cutting very difficult , Granite is often used for flooring ,paneling ,vener ,column facings stair treads obelisk granite statues and flagstones , (Christine Beall, R.A. 1993 .)

SiO₂ (Quartz ,syn) ,Na Al Si 3 O 8 (Albite) , K Al Si 3 O 8 (Orthoclase) , K(Mg , Fe) 3 Al Si 3 O 10 (OH) 2 , (Biotite) , Ca Mn Si 4 O 10 (Calcium Manganese Silicate ,) and Na Cl (Halite syn) these compounds were determined by x-ray diffraction analysis and scanning electron microscopic investigation ,

Table 1 ; shows the compound weight percent and other materials in Granite by x-ray diffraction analysis .

	Karte	I (%)	Formel	Name
1	46- 1045	33	Si O 2	Quartz ,syn
2	9-466	2	Na Al Si 3 O 8	Albite
3	9-462	3	K Al Si 3 O 8	Orthoclase
4	2-0045	8	K(Mg Fe) 3 Al Si 3 O 10 (OH) 2	Biotite
5	05 -0628	2	NaCl	Halite syn
6	26 -0316	1	Ca Mn Si 4 O 10	Calcium Manganese Silicate .

11---STUDY OF SAND STONE ,

This temple was commonly built of sandstone which was transported from Gabal Silsilah quarries 40 k m north of Aswan (Abdel Hady M. 1986)

Sandstone is a sedimentary rock formed of sand or quartz grains .Its hardness and durability depend primarily on the type of cementing agent present . The sandstone are cemented by different kinds of binding material according to the original rocks . which derived from . On the other hand the calcareous ,argillaceous , ferruginous , siliceous , carbonaceous and micaceous cements are considered very common cements in the different kinds of sandstone . If cemented with silica and hardened under pressure , the stone is light in color , strong , and durable .If the cementing medium is largely iron oxide . the stone is red or brown ,and is softer and more easily cut. Lime and clay are less durable binders subject to disintegration by natural weathering , Standard Specification for Sandstone Building Stone , recognizes three classifications of sandstone, Type 1, sandstone, is characterized by a minimum of 60 % free silica content , Type 11 , quartzite sandstone , by 90 % free silica and Type 111 , quartzite ,by 95 % free silica content . As a reflection of these varying compositions , minimum compressive strengths are 2000 psi , 10 ,000 psi , and 20 ,000 psi respectively , Absorption characteristics also differ significantly , ranging from 20 % for Type 1 , to 3 % for Type 11, and 1 % ,for Type 111 ,

When first taken from the ground , sandstone contains large quantities of water , which , make it easy to cut . When the moisture evaporates , the stone becomes considerably harder .

Sandstone vary in color from buff , pink , and crimson to greenish brown , cream , and blue -gray . It is traces of minor ingredients such as feldspar or mica which produce the range of colors . Both fine and coarse textures are found , some of which are highly porous and therefore low in durability .

Si O 2 (Quartz , syn) & (Silicon Oxide) , Ca CO3 (Calcite) , ZnO Si O 2 (Zinc Silicate) , Na Cl (Halite , syn) and , Fe2 O3 (Hematite) , these compounds were determined by x-ray diffraction analysis , and Si , Fe , Ca , Na , O2 , Zn , and Cl . shows the elements weigh percent , in sandstone by x- ray fluorscence method and scanning electron microscopic investigation .

Table 2 Shows the compound weight percent in sandstone sample by x- ray diffraction analysis .

No	Karte	I(%)	rel.w	Formel	Name
1	46-1045	100	0.79	SiO2	Quartz ,syn
2	43-0596	40	0,71	SiO2	Silicon Oxide
3	13-534	20	0,31	Fe2 O3	Hematite .
4	05-0678	3	0.32	NaCl	Halite ,syn-
5	23-1172	9	0,51	Zn O Si O2	Zinc Silicate
6	24-0027	15	0,38	CaCO3	Calcite

Table 3 Showing the physical and mechanical properties , of sandstone and Granite .

Stone	Absorption(%)	Density	Compressive strength(psi)	Shear strength (psi)	Tensile strength(psi)	Thermal expansion	Porosity
Sandstone	13.21	2,60	20,000	400	330	12.0	33 ,35
Granite	0 ,80	2,60	19 ,000	2800	640	7,3	5 ,22

111 -THE PETROGRAPHY OF SOIL & CHEMICAL ANALYSIS .

Clays are basically compounds of silica and alumina with varying amounts of metallic oxides and other minor ingredients and impurities , Metallic oxides act as fluxes to promote fusion at lower temperatures , influence the range of temperatures in which the material vitrifies , and give burned clay the necessary strength for structural purposes . The varying amounts of iron ,

calcium ,and magnesium oxides also influence the color of fired clay . Clays may be classified as either calcareous or non – calcareous , While both are hydrous aluminum silicates , the calcareous clays contain around 15 % calcium carbonate , which produces a yellowish color when fired . The non –calcareous clays are influenced by feldspar and iron oxide . The oxide may range from 2 to 25 % of composition , causing the clay to burn from a buff to a pink or red color as the amount increases . The ground consists of a layer of mud (clay) with pores between 38—40 % and moisture of about 20 % salts of about 7,5 m.m /100 g. These salts consist of elements of carbonates , of calcium, and sodium . The elements of sulfates are connected with calcium ,sodium and chlorine andpotassium . The elements of nitrates each 45 /100 g namely. 28 m.g /100 g . It is also found that the ground is saline in formation because of many reasons . First, the absence of depositions and the high rate of evaporation , second , the shallow water level , then , the porous ground of the rising ground water via capillary tubes with the existence of agricultural lands covered with irrigation water near the temple.All these factors lead to the presence of the saiiine ground of Ramssis 111, temple .

Table 4 : Results of the soil analysis using chemical analysis . (Ismaeil .B. 1999)

SAMPLE	PH	CONDOC. MOSH / Cm	TDS PPM	CHLORID E CLPPM	SULPHAT ES SO3 PPM
K1	8,1	1900	1140	110	245
K2	8.3	2100	1400	145	
K3	7.9	1900	1190	130	175
K4	8.1	1600	1000	100	160
					165

Table 5 ; Shows the elements weigh percent and other materials in soil by x-ray fluorescence method & scanning electron microscopic investigation

Element	Atomic %	Weight %	Compound	Weight %	Net intensity
Si	19.13	25.00	SiO ₂	53.48	108.62
Al	7.32	9.19	Al ₂ O ₃	17.36	30.19
Fe	2.43	6.33	Fe ₂ O ₃	9.05	27.86
Na	2.46	2.63	NaCl	6.69	1.92
Mg	2.29	2.59	MgO	4.29	4.82
Ca	0.90	1.68	CaCO ₃	4.19	9.23
K	0.61	1.11	K ₂ SO ₄	2.49	8.45

Table 6 ; Results show that the content of soil samples by x-ray diffraction analysis

	Card indent	1%	Name	Formula
1	33,1161	100	Quartz -syn	Si O ₂
2	09,462	5	Orthoclase	K Al Si ₃ O ₈
3	03,0909	2	Montmorillonite	Si Al Fe Mg O
4	05,0628	3	Halite syn	Na Cl
5	41,1480	10	Albite, calcian, ordered	(Na Ca)Al (Si Al) ₃ O ₈
6	09,0334	3	Illite 2M1	K Na Mg Fe Al Si O H ₂ O
7	13,0135	1	Montmorillonite , 15A	Ca O ,2(Al ,Mg)2Si ₄ O ₁₀ (OH) ₂

In the light of this study the following works were carried out by the suggestion plan for the Architectural Restoration of Ramses 111's Temple in Karnak-Egypt.

1. Re excavations, Cleaning, Depth and Removal of great quantities of dust and leftovers from the old biggest drain , which was surrounded of Karnak Temples .
2. Excavation covering width of 1.50m and a depth of 1.50m were carried out around exterior Walls outer mud brick fences to uncover the foundation , on the other hand to stop the dangerous role of the Nile water and saline ground water which after were filled up with clean dry pure sand with a big Grains and a biggest pebble .

- Making necessary inclinations for the discharge and drainage piping which are drainage of the Nile water and Saline ground water from the soil under level of the stone Monuments such as granite and sand stone statues and base of Columns to this drain.
- 3. Disassembling and rebuilding of the damaged stones in accordance with the archaeological specifications.
- 4. Injecting the stone blocks which were damaged by the chemical and mechanical deterioration
 - The chemical deterioration which was changed these elements such as silica, mica, felspar and other minerals to the clay minerals.
- 5. Injecting some of the stone blocks to the level of the different stone monuments and bases of columns with new materials for more strengthening and endurance isolating the foundations, and supporting the soil as well and making a pillow of main forced concrete, and concrete blocks to support the columns and statues.
- 6. Disassembling and Rebuilding of the impaired columns on a concrete lentil blocks (80cmX2m x2m) a depth 2.40 meters after isolation of its with water - proofing compounds .
- 7. Mechanical cleaning of the damaged stones on the columns , facades , statues and their isolation with chemicals, suitable for them

CONCLUSION;

From what was mentioned before it can be concluded that ground water is considered one of the main sources of moisture presenting in Karnak temples ,which plays a dominant role for carrying the soluble salts from the soil to the building stones .

Saline ground water & the Nile water (weathering) are considered ,The most damaging factors in stone decay . The very complex capillary system of sandstone and the often strange paths of moisture (damp) in the different building materials complicate .

In the absence of water 1- there would be no chemical reaction of stone constituents . 2- soluble salts would not be transported and would not migrate ,crystallize or recrystallize.

Calculating the relation between the level of groundwater and capillary tubes and the foundations of the buildings in Karnak temples and statues .

Carrying out regular mechanical cleaning for the services of stones to conserve and protect the connections and stones that seem to be deteriorated .

Filing up Badran Canal ,so as to decrease water level .

Re- excavations,works ,removal of great quantities of dust and leftovers from the old drain which was surrounded of Karnak, temples.

At last disassembling and rebuilding of the impaired columns and statues on a concrete lentil blocks so to stop the soil sulping.

REFERENCES;

- 1—Abd El-Hady, M.M, 'The Effect of ground water on the deterioration of Islamic Building in Egypt . American University press in Cairo 1995 .
- 2--Abd El -Hady M.M. 'Durability of monumental sandstone in Upper Egypt ; Inter, Symp .On Engineering Geology of ancient works Monuments and Historical sites ,Athens , 19--23 September 1988 .
- 3—Awad ,M. A. 'Study of protection of the Necropolis of El-Bagawat., The New Valley and the Oases from Antiquity to the present 21 -28 October 1998 .
- 4—Bernard M . Feilden , 'Conservation of Historic Buildings , London , Boston Rome 1987 .
- 5—Charles F . Nims . 'Thebes of the pharaohs , London 1965 .
- 6—Christne Beall ,R.A.Masonry Design and Detailing. New York ,Tokyo1993
- 7—Ismaeil ,B, 'Environmental deterioration of Karnak temples Luxor , Upper Egypt . Bulletin of the Faculty of Engineering Vol 27 , part 1 , January 1999.
- 8—James H. 'Ahistory of Egypt . New York 1937 .
- 9—Margaret A . M. 'Egyptian Temples , London 1931 .
- 10—Michalow ,K. 'Karnak, Poland ,Warszawa 1970 .
- 11—Salah, A.S.,Helmi, F. M .Kamal ,M.M.and El-Banna,A.F.E. . 'Study and Consolidation of sandstone Temple of Karnak Luxor , Egypt , Studies in Conservation 1992
- 12—Thiel M. J. 'Conservation of stone and Other Materials, (Prevention and Treatments) Vol. 2 June29-July 1 Paris 1993
- 13—Zanaty R. Komy 'Distribution of Trace and Major Elements and Organic Carbon in Soil , Faculty of Science , South Valley University , Sohag Egypt 1995 .

The result of investigation & examination:

Plate (1) : Shows the Bud state and damaged of Crib - Sphinxes . which were made from sand stone .

Plate (2) : Shows deterioration phenomenon are found to be a result of weathering factors on the Granite stone statues .

Plate (3) : Shows the effect of weathering factors on the Granite stone statues , such as (rock , spalling and different damaged) .

مكتبة جمعية اتحاد الأثريين العرب
رقم الصنف:
التاريخ: ٢٠١٦
رقم التسجيل: ٩٣



رقم الايداع ٢٠٠٧/١١٥٤٦
رقم الترفيم الدولي ٦ - ١٨٨ - ٤٠٣ - ٩٧٧